عدد ممتاز

العربي

العدد ٢١٨ - المحرم ١٣٩٧ - يناير (كانون الثاني) ١٩٧٧

...ية
...مهرجان
...رطاج

الخليل
ابراهيم
أسيرا

عزيزى القارئ
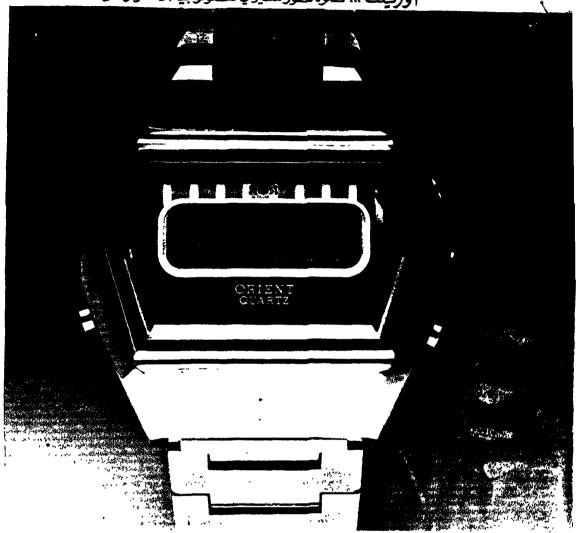
على طريق ملىء بالاحزان والجراح مشت امتنا ذلك العام الذى انقضى ، الهجرى والميلادى • وشاءت المقادير ان تتوقف مسيرة الآلام او تكاد مع نهاية العام • ربما لتفتح الـ[illegible] جديدة ، وآمال جديدة ، فى العام الجديد •

ولا يملك اى عربى الا ان ينشب اظافره متشبثا أمل لازاحة ذلك الكابوس الثقيل ، وبدء تلك المسيرة ولا يملك أى عربى الا ان يبتهل الان الى الله من كل [illegible] ان تنطوى تماما صفحة الاحزان مع العام الجديد ، لتبدأ صفحة جديدة ، يعود فيها الى امتنا عقلها ووعيها •

لكن الابتهالات وحدها لن تجدى • فلم تصنع أمة تاريخها او مستقبلها بالابتهالات والنوايا الطيبة • لقد حفرنا طريق الاحزان بأيدينا • ولن نشق طريق الامل الا بأيدينا ايضا •

ثمة صفحات مخجلة فى تاريخ الشعوب ، تلتصق بجبينها فى مراحل معينة • وستظل احداث العام الذى انقضى هى ذروة تلك الصفحات فى تاريخ شعبنا العربى • وسيظل جيلنا ، الذى كانت معارك اكتوبر مصدر فخر واعتزاز له ، موصوما ومدانا ما لم يكفر عما جرى فى عام ٧٦ •

ولأن التاريخ لا يقف عند لحظة ، فان فرصة التكفير ما زالت قائمة ، والساحة تتسع لبناء الكثير ، فوق الخرائب ورغما عنها •

ليته يصبح عام التكفير •

المحرر
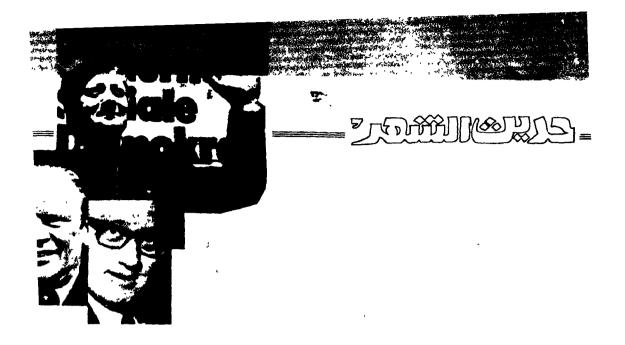
سنة تركت وراءها

بقلم : أحمد بهاء الدين

● تميزت سنة ١٩٧٦ التى ودعتنا ، عن السنوات السابقة عليها ، فى ظاهرة واحدة هامة على الأقل ..

فالسنوات القليلة السابقة تميزت بان اهم احداثها كانت تدور فى العالم الثالث . المشاكل الحادة تبدو فى معظمها نابعة من هذا العالم الثالث. سواء كان ذلك حربا في فيتنام ، او صراعا في الشرق الاوسط . او ازمة حول مادة استراتيجية يكاد يحتكرها العالم الثالث كالبترول . هذا فضلا عن الثورات والانقلابات .

كان الكتاب والمفسرون في العالم المتقدم يصورون الامور على ان الدول الكبرى والدول الصناعية المتقدمة هي عنصر الاستقرار والامان في العالم ، في حين ان الدول المتخلفه او النامية ـ كيفما سميناها ـ هي مصدر القلق والاضطراب والصراع فى العالم ، بخلافاتها التى لا تنتهي . وعدم استقرارها الداخلي . وانها احيانا تجر الدول الكبرى الى مآزق تكاد فيها تلك الدول ان تتصادم . فضلا عن مشاكلها المزمنة من فقر وارتباك مالى ، واقتصادى وحاجتها الدائمة الى معونات ... الى آخره .

ـ طبعا ، المشاكل التى تنشأ فى العالم الثالث ما زالت تقع من حين الى

ـذاقـامر

، وتفرض نفسها علي الاحداث • الحـرب الاهلية فى لبنـان •تورة
: والمواجهة التى كادت تقع فيها بين روسيا وامريكا • مشكلة روديسيا
ة حاليا •وطبعا ما زالت القضية الكبرى التى تهدد أمن العالم ومستقبله
من اى حرب نووية •• وهى مشكلة ازدياد الدول الغنية غنى وازدياد
، الفقيرة فقرا •• طبعا ما زالت هذه المشكلة هى أخطر المشاكل •

ولكن الملاحظة التى اريد ان اسجلها ، عن سنة ١٩٧٦ التى ودعناها او
نا ، هى ان مصدر القلق والاضطراب الاساسى خلالها ، كـان الـدول
ى ، والعالم الصناعى المتقدم بوجـه عام • وكانت ازماتها هى التى
، الصفحات الاولى للصحف ، ومشاكلها هى التى تثير عوامل القلق فى
ـالم •

منطقة الزلازل خلال سنة ١٩٧٦ كانت فى الدول الكبرى وفى العـالم
ـم ••• ومنها كانت تنتشر الهزات بدرجات مختلفة الى سـائر انحـاء
م ، بعكس الحال فى السنوات السابقة •

وقد بدأت السنة فى الواقع وفى الجو شىء ما يشير الى ذلك •••
كانت هناك الازمة الاقتصادية فى اوروبا وامريكا ومشـاكل العملة

وارتباك النظام النقدى العالمي . لان عملات هذه البــلاد هي لغة التجــارة والاقتصاد السائدة في العالم حتى الآن ٠٠٠٠

والامر الثاني الذى اشار في اول الســنة المنتهية الى توقع الزلازل . هى ان السنة بدأت وهناك زعامات هامة كانت مرشحة للاختفاء قبل ان تنتهى السنة . لان اصحابها قد تخطوا سن السبعين . بل ومعظمهم تخطوا سن الثمانين من العمر ٠ ولان اصحابها ليسوا حكاما عاديين روتينيين فى بلادهم . يذهب واحد ويجيء آخر دون ان تتغير امور كثيرة ٠ بل انهم جميعا ممن يدخلون في باب الشخصيات الاســـتثنائية في حياة بلادها . والتي يعني اختفاء اى شخصية منهم يعنى الكثير . والمجهول ٠٠٠

كان المرشحون هم ماوتسى تونج (٨٤ سنة) وتيتو (٨٢ سنة) وفرانكو (فوق الثمانين) وبريجنيف (على وشك السبعين) وشواين لاى (كان يقترب من الثمانين) ٠

وكان الكثيرون منهم مرضى . امراضا تتراوح في خطـــورتها او في معرفتنا بخطورتها ٠٠٠

والسبب الثالث لهذا الترقب الذى بدا مع السنة الراحلة . ان ١٩٧٦ كانت موعد انتخابات عامــة فى عدد من البــلاد ذات تاثير ٠ كانت موعد انتخابات الرئاسة الامريكية وهى اهمها ٠ وانتخـــابات البرلمان فى المانيــا الغربية . العمود الفقرى لأوروبا الغــربية كلها ٠ وانتخابات ايطاليا التى كان اشتراك الشيوعيين في السلطة او عدم اشـــتراكهم فيها . معلقا على شعرة ٠ وانتخابات البرتغال التى كان اختيارها لنوع الحكم بعد رحيـــل سالازار يشكل اهمية خاصة بالنسبة لاوروبا . وكانت ستفصل بين الاستقرار او نشوب حرب اهلية في هذا الطرف الاســتراتيجى من اوروبا ٠ ونستبعد الانتخابات التى ينحصر تأثيرها داخل البلد الذى تجرى فيه كالسويد ٠

ووجوه عبرت سنة ٧٦

هكذا . كان تقدم العمر والمرض بعدد من القادة المهمين الذين اسسوا نظما جديدة . وبالتالي فهناك تساؤل عن درجة اســـتمراريتها بعد رحيل اصحابها . وتوقع الانتخابات في بلاد اخرى ذات تاثير . كان معناه ان سؤالا ضخما كان مطروحا في بلاد كثيرة هامة في العالم المتقدم . حول دوام السلطة السياسية القديمة او تغيرها ٠ واذا تغيرت ففى اى اتجاه ؟

وقد امتد العمر بعدد من القادة الذين كان يخشى من ان اختفاءهم عن المسرح السياسى . سوف يحدث آثارا تتعدى حدود البلاد التى يحكمونها ٠

امتد العمر بالماريشال تيتو . رئيس اتحاد الجمهوريات اليوغوسلافية٠٠

والمخاوف التى تثور حول احتمال ذهاب تيتو . لها مســتويات عدة .

منها مخاوف على المستوى المحلي .يثيرها القائلون بان القوميات السبع المتحدة في دولة يوغوسلافيا ، لها تاريخ طويل من الصراع ... وقد جرت العالم الى الحرب العالمية الاولى • وان الصرب والكروات واهل الجبل الاسود واهل سلوفينيا وغيرهم ، ربما عادوا الى التفكك بعد اختفاء الرجل القوى والرمز القومى لهم جميعا • خصوصا وان اللامركزية التي كان لا بد منها ازاء هذا الوضع السكاني المعقد ادت الى تفاوت مستويات المعيشة بين هذه الجمهوريات مما خلق درجة من التوتر بين سكانها • وسيكون الامتحان الحقيقى لنجاح تيتو ـ كأى زعيم اخر ـ استمرار بقاء ما وضعه من نظام • وهو ما يرجحه الاكثرون •

وعلى المستوى الدولى ، كان تيتو اول من تمرد على وحدة الشرقي ، وذهب بعيدا في مجال عدم الانحياز ، وكتاب الغرب ... السياسة فيه يتوجسون من ان يخلق اختفاء تيتو فراغا ، اما ان ... السوفييتي على « غزو » يوغوسلافيا، واما ان يسيطر عليها باتباع ... فتعود يوغوسلافيا دولة منحازة الى المعسكر الشرقى •

وليس أدل من انشغال بال الغرب بهذا الاحتمال ، واثره على مو... القوى في اوروبا والبحر الابيض ، من ان جملة قالها كارتر اثناء انتخابات الرئاسة الامريكية خلاصتها : « انه اذا غزت روسيا يوغوسلافيا فهو لا يرى في هذا امرا يهدد أمن امريكا ويستدعى تدخلها » ... تحولت هذه الجملة الى قضية من « اسخن » قضايا الصراع العنيف بين فورد وكارتر خلال الانتخابات •

كذلك امتد العمر ببريجنيف في الاتحاد السوفييتى ، ودخل سنة ١٩٧٧ وهو قابض على ناصية الامور فى بلاده تماما ...

وبالتالى فانه يمكن القول بان سياسة الاتحاد السوفييتى لم تنطو خلال ١٩٧٦ على اى مفاجأة • خصوصا سياسة الوفاق ـ والتعبير الادق هو التهدئة DETENTE ـ مع الولايات المتحدة الامريكية • وكل الظواهر تدل على ان بريجنيف فى مركز يسمح له بان يكون خليفته فى نفس الاتجاه ، بعد ان تخلص تقريبا من كل خصومه •

ولكن قادة آخرين من الوزن الثقيل ، قد اختفوا ....

ومات فرانكو ، وكان على رأس المتوقع اختفاؤهم بحكم السن والمرض• والسيناريو الذى جرى فى اسبانيا بعد وفاته لم يختلف ـ حتى الآن ـ عن توقعات المراقبين منذ سنوات ، رغم انه ينطوى على تحول كبير •

كان متوقعا ان يخلف فرانكو الملك الشاب خوان كارلوس الذى اختاره فرانكو وانتقاه بنفسه ، وتعهده فى صباه وشبابه لكى يؤهله لهذا الحكم •

وكان متوقعا ان يبدأ الملك الجديد رحلة من التغيير ، ينتقل فيها باسبانيا من نظام فرانكو الفاشستى الى نظام ليبرالى ديمقراطى اقرب شبها

واوثق نسبا بالنظم السائدة فى غرب اوروبا ، التى تمثل اسبانيا عمقها الاستراتيجي الهام ازاء المعسكر الشرقي من جهة ، وفى نقطه التقاء المحيط الاطلنطي بالبحر الابيض من جهة اخرى ٠

والمدقق في دراسة هذا الموضوع ، سوف يقتنع ان فرانكو كان يتوقع حتمية هذا التحول بعد مماته ٠ بل كان يرغب فيه ٠

كان يتوقعه لانه مهد له بالتاكيد باختيار خليفته ،وبالسماح له بالايحاء بهذا الميل لديه والوعد المرتقب ، حين كان ما زال حيا وقابضا على ناصية الامور ٠ وكان يرغبه في تقدبرى ، ولكنه كان يعرف ان تحقيقه صعب فى حياته ، لان وجوده هو شخصيا كان حاجزا بين اسبانيا وغرب اوروبا ٠ فهو يمثل لها ايام الحرب الاهلية الاليمة التيمهدت للحرب العالمية الثانية المدمرة٠ وهو يذكر غرب اوروبا ايضا بكل ما لقيته على يد النازية والفاشيه ، بصفته الرمز الباقي لهذا النظام بعد النهاية التى لقيها هتلر وموسوليني ٠ لقد فتح ابواب اسبانيا خلال حياته للغـــرب الى اقصى حد ، ولكن اوروبا لم تفتح ابوابها له ٠

على ان المقاومه في الداخـــل ما زالت عنيفة ٠ ومن يذكرون جراح الحرب الاهلية ما زالوا على قيد الحياة ٠ وحين سافر الملك في اول رحلة الى فرنسا ،نشبت معارضة عنيفة ضد هذهالزيارة للدولة التى كانت مفرا لخصوم فرانكو ، حتى اضـــطر الملك الى اختصار مـــدة الزيارة الى ثلاثة ايام ٠ فالمواجهات بين النظام القديم والنظام الذى يراد له ان يولد ، سوف تتكرر ٠٠٠ واسبانيا بالتالى معرضة لان تكون منطقة زلازل خلال السنة الجديدة٠ وان كانت قوة جذب غرب اوروبا ، والسوق الاوروبية المشـــتركة بالذات ، سوف يكون لها اثر كبير في ترجيح كفة على كفـــة فى هذا الصراع ٠ وهو دور تلعبه اوروبا وامـــريكا صراحة في اســـبانيا ، كما لعبته صراحة فى البرتغال قبل ذلك ٠ وكما كسبت اوروبا معركتها ضد اليسار المتطرف فى البرتغال ، فهى تامل فى ان تكسب معركتها مع اليمين المتطرف فى اسبانيا ٠٠

على ان الزلزال الاكبر ، وقع فى الصين ٠٠٠

وكان الاحداث هناك كانت على موعد غريب مع الطبيعة ٠٠٠٠٠ فى بلاد لعبت الطبيعة دورا كبيرا فى آلامها التاريخية العميقة ٠٠٠

لقد وقع فيها زلزال ــ بالمعنى الجـــيولوجي الحقيقى ، وليس مجازا ، ادى الى موت اكثر من مليون انسان ، وكان اعنف زلزال شهده العالم منـــذ عشرين سنة ٠٠٠

ثم توالت الزلازل وكانها على موعد ٠٠٠٠

لقد مات « تشو ــ ته » ، ابن الاقطـــاعيين ، ومدمن الافيون ، الذى حولته الاحداث الى ان يكوناقدم رفاق ماوتسى تونج، واكبر قادتها العسكرين جميعا ، والذى خاض معارك في حجم الصين ، تتحارب فيها الجيوش بالملايين من الجنود ٠٠٠ ورغم انه كان قد تجاوز التسعين ، واعتزل النشاط اليومى، الا انه كان له وزن كبير حين تتأزم الامور وتحتدم الصراعات بين الرفاق ٠

تم مات شواين لاى ، انبغ رفاق ماوتسى تونج ، وذراعه السياسى.و فده مفاوض كان على قيد الحياة في العالم . اذ ظل يمسك بزمام سياسة ماوتسى تونج مع القوى الاخرى ، داخلية وخارجية طيلة اربعين سنة كاملة ٠ ورئيس وزراء الصين منذ استوى ماو على السلطه سنة ١٩٤٩ دون انقطـــاع حتى مات ٠ اى رئيس الوزراء الذى يدير شئون ٨٥٠ مليون انسان لمدة ســبع وعشرين سنة متواصلة فوقانه لقوته الذهنيه والفكريه الحاده ومرونته الفائقة.
كان « واجهة الصين » ازاء العالم الخارجي ، من نيويورك الى جنيف ، موسكو وباريس الى قلب افريقيا السوداء ٠

وقد كانت الادلة كثيرة على عنف الصراع على السلطه مع . وتفاقم مرض «باركنسون» المدمر في جسده ٠ ولكن هذه الصراع حدتها حين مات شواين لاى . فحدثت اول مظاهرات معادية للســ موجهة من الحزب ، بل تلقائيه ٠ بين من كانوا يؤيدون خط ســـ ومن كانوا يؤيدون الخط المتطرف الذى ترعاه علنا اقرب الناس وهى زوجته ٠٠٠٠

ولا شك ان الـ ٨٥٠ مليون صينى مروا فى فترة حيرة عجيبه ٠٠ ازاء احد الطلاسم الصينية الضخمة فى ضخامة الصين ، المعقدة مثل تعقيدها ٠

وبلد لغته تتكون من خمسه الاف حرف ٠٠ لا يمكن قراءته بسهولة ٠

ثم هوى العمود الاكبر ، اذ مات ماوتسى تونج نفسه بعد وقت قصير. وانسحب عن الصين ظله المباشر الذى كان يطغى على كل شئ ٠

وتحرك اخر من اختاره ماو رئيسا للوزارة ــ هوا كو فينج ــ بسرعة٠ ففى ايام كانت ارملة ماوتسى تونج وزوجته لاربعين سنة ، وثلاثة غيرها من اهم قادة الصين ، كانوا كلهم مقبوضا عليهم ، ومبتورين عن اى سلطة فى البلاد ٠ وكما كانوا يسيرون ويحركون مظـــاهرات بالملايين ايام الثـــورة الثقافية ، يرعبون بها اعتى الزعماء القـــدامى ، سيرت ضدهم مظـــاهرات بالملايين تلعنهم وتطالب برؤوسهم وتصفهم باحط الصفات ٠

لغز الصين يزداد تعقيدا

وصار اللغز اكثر تعقيدا ٠٠٠

فالحاكم الجديد غير معروف للعالم ٠ ما عمره ؟ ما هى بلدته ؟ ما هو تاريخه ؟ ما هى حقيقة ميوله ؟ ٠٠٠ كلها تكهنـــات تقصر عن النفاذ الى دهاليز الحزب التى سار فيها حتى وقع عليه الاختيـــار فى الظرف المواتى بالنسبة له ٠٠٠

وبالتالى فالاسئلة كثيرة ٠٠٠٠

هل هو الحاكم الفعـــلى ؟ ام انه الواجهة التى تخفى قوى اخرى ، خصوصا الجيش ؟ ٠٠٠

وهل هو من مدرسة الذين يعترفون بحقائق الحياة التي من ضمنها ضرورة الانفتاح على المعرفة العلمية الاجنبية ٠والاعتراف بدرجة من الحوافز المادية في حياة الناس وما الى ذلك ؟ ام هو من مدرسة الذين يرون انالحماس والتطهر وتغيير الانسان هى عوامل التقدم فى بلد له ضخامة الصين وضخامة مشاكله ٠

والسؤال الاكبر ، هل يعقد الصلح اخر الامر مع الاتحاد السوفييتي ، بعد ان ذهب المبشر الاكبر « بالثورة المستمرة » وبات ممكنا ان تضع الثورة اوزارها ، ام انه سيواصل اعتبار روسيا العدو الاول ، حتى قبل امريكا ؟٠٠٠ ام سيحاول الاستفادة من تنافس الاثنين ليعطى الصين اكبر فرصة للتطور الداخلي ؟

حتى الآن يبدو وكأن « التنين » الصيني الضخم يتلفت حوله ، متفحصا بعينيه ما حوله من حيوانات ووحوش يراها اقل منه جدارة ٠ ولكنه لم يتحرك بعد اى حركة تنم عن خطواته المقبلة ٠

الأمر الثاني الذى كان المراقبون يرصدونه خلال سنة ١٩٧٦ ، وان كان قد جاء في اواخرها ، هو ان سنة ١٩٧٦ كانت سنة انتخابات عامة في اكثر من موقع هام من الدنيا ٠٠٠

واذا اخذنا هذه الانتخابات بالترتيب الزمنى ، فسوف نجد ان اول انتخابات عامة استرعت الانظار كانت فى اوروبا الغربية : البرتغال ، ثم ايطاليا ، ثم السويد ، ثم المانيا ٠٠٠ مع بقاء انجلترا دائما على حافة بين اجراء انتخابات عامة في اى لحظة وبين عدم اجرائها ٠

وكانت التكهنات حول هذه الانتخابات ، اذا اردنا اجمالها ، مع تفاوت الظروف في كل بلد ، تدور كلها حول احتمالات رجحان كفة اليسار او كفة اليمين ٠٠٠٠

ولكن يمكن القول انه ــ مع اختلاف النتائج بسبب الظروف المحلية في كل قطر ، وبسبب اختلاف ترجمة كلمة اليسار واليمين من بلد الى بلد ــ يمكن القول ان النتائج العامة تشير الى ان الرأى العام في غرب اوروبا اثر موقف الاعتدال : الاحتفاظ بالمكاسب الجديدة من تامينات وضمانات للناس واعانات للفقراء وقطاع عام بشكل او بآخر ، مع الاحتفاظ بأسس الاقتصاد الحر ، والنظام البرلمانى المتعدد الاحزاب ٠٠٠٠

هكذا ، بعد ان بدا للناس ان الحزب الشيوعى فى ايطاليا يكاد يكسب المعركة ، كسبها الحزب الديمقراطى المسيحي ، ولكن بنسبة اقل، وبتفاهم غير معلن على ان يكون للمعارضة دور فى التشاور مع الحكومة ازاء القرارات الاساسية ٠ بعد ان اوشكت ايطاليا على الافلاس تحت ضغط التناقضات والاضطرابات الاجتماعية ٠٠٠

وفى البرتغال فاز مرشح الرئاسة المعتدل ، القريب من الوسط ٠٠٠٠

وفى المانيا الغربية ، فاز هلموت شميدت وحزبه ، ولكن باغلبية اقل من السابقة ٠٠ مرة اخرى فى اتجاه اكثر وسطا ٠٠

وفي السويد خرج الحزب الاشتراكي من الحكم بعد ٤٤ سنة متواصلة صاغ فيها حياة السويد كما هي معروفة الآن • ولكن الذين جاءوا الى الحكم تعهدوا بابقاء الاسس السابقة ، دون التزيد فيها ، ومع التركيز بدرجة اكبر على حرية الفرد •

وفي مصر ، جرت اول انتخابات برلمانيه عامة وحرة .وهي تجربة جديدة اذا وضعناها في اطار ظروف مصر ، او ظروف العالم العربى ، او ظروف العالم الثالث كله •

انتصار الجديد في أمريكا

على ان اهم انتخابات كان الناس يترقبونها معظم العام ، ه
رئاسة الولايات المتحدة الامريكيه ••• وكان العالم ـ خارج امر
لديه اسباب كثيرة ، لهذا الاهتمام •••

فالمجتمع الامريكى معقد التركيب جدا ، • ودستوره قائم علـى وجو. قوى توازن بعضها بعضا : الكونجرس • المحكمة الاتحادية العليـا • رئاسة الدولة • فضلا عن القوى الاخرى الواقعية : اجهزة الاعلام وسيطرتها الساحقة على المواطن •قوة الشركات الكبرى التيتوازن ميزانية الشركة منها ميزانية دولة متقدمة متوسطة الحجم • وقوى الضغط العنصرية واسهرها الصهيونية • وأصوات كتل كبيرة مـن المهاجرين الذين لـم يذوبوا تماما بعد كالايطاليين والبولنديين •• الى اخره •

ورغم ذلك ، فالرئيس الامريكي له في الواقع سلطات واسعة الى اقصى الحدود • وقد استغل رؤساء امريكا فى التاريخ القريب هذه السلطة للالتفاف حول نص الدستور وروحه • واشهر مثل ان الدستور يحرم على الرئيس اعلان الحرب على بلد الا بموافقة الكونجرس • ولكن ايزنهاور ثم كنيدى صعـدا مساهمة امريكا فيحرب ضد فيتنام تحتاسم ارسال خبراء ، ثم افتعلجونسون بعدهما حادث خليج التونكين ، زاعما ان قاربا فيتناميا هاجم حاملة طائرات امريكية ، وتحت ستار الدفاع عن النفس ارسل الى فيتنام نصف مليون جندى، أى دخل حربا شاملة كاملة دون اذن الكونجرس الصريح •

وكشف الستار بعد فضيحة ووترجيت عن مصادر قوة للرئيس الامريكى لم تكن معروفة للعامة • بأجهـزة التصنت والتجسس واقتحام البيوت وكـل ما سهلته المخترعات الحديثة من تسهيلات للدولة فى وضع الفرد تحت قبضتها العاتية •

واعقبت فضيحة ووترجيت ، فضيحة شركة لوكهيد للطيران ،التي امتدت الرشاوى التي تدفعها من النواب الامريكيين الىرئيس الوزراء فى اليابان ، الى زوج ملكة هولندا ، غير ما تم التستر عليه •

كل هذا احدث رد فعل عنيف لدى الشعب الامريكي ضد طريقة ممارسة السلطة • وضد كل ما يصدر عن العاصمة واشنطن • وعادت الروح الأمريكية الفردية القديمة التي اسست الدولة الى الظهور بشدة •وعلى هذه الموجةخرج من المجهول رجل غير معروف خارج ولايته ، يحترف زراعة الفول السوداني ، اسمه جيمس كارتر ، يعلن ترشيح نفسه للرئاسة • وبسرعة مذهلة يكتسح الانتخابات التمهيدية ، ويصبح مرشح حزب الاغلبية التقليدية في امريكا •

وكما ان «هوا كو فينج» تربع على كرسى رئاسة الصين ، وهو مجهول الهوية لاسباب تتصل بسرعة الحياة السياسية فى الصين • اقترب كارتر بسرعة من مقعد رئاسة امريكا ، فى مجتمع مفتوح ، ولكنه ايضا مجهول الهوية ، اى ان حقيقة ارائه ومواقفه ظلت محل غموض وحيرة حتى يوم الانتخاب •

وفي نفس الوقت اشتدت الحملة على هنرى كيسنجر كمهندس لسياسة امريكا الجديدة منذ ثماني سنوات • هوجمت سياسة « التهدئة » بشدة حتى قرر فورد اسقاط الكلمة من كل خطاباته ، ولو خلال المعركة الانتخابية • وهوجمت سياسته في « التعادل مع روسيا » في القوة العسكرية ، من داخل الحزب الجمهورى الذى يمثله فورد • وهو الموقف التقليدى لهذا الحزب • وهوجمت سياسته في الشرق الاوسط من اتجاهين مختلفين : اتجاه يهاجمه لانه لا يقف مع اسرائيل بما فيه الكفاية (!) واتجاه يهاجمه لانه تصدى لتفكيك قضية الشرق الاوسط الى اجزاء بدلا من التوجه راسا الى الحل الشامل • وحاول فورد ان يهدىء حزبه باشارات غير صريحة ، الى انه اذا فاز فلن يحتفظ بهنرى كيسنجر • وان كان لم يسقطه تماما من حسابه ، مما اوحى بانه قد يحتفظ به ، بعد ان يضمن الفوز •

كان كارتر يمثل الروح الامريكية المغامرة ، التى تحكم على المرشح من خلال «انطباعها عن شخصيته» بفعل التليفزيون واللقاء المباشر واجهزة الاعلام •• والرغبة في التجديد •

وكان فورد يمثل لهم ،لا الذكاء ،ولا الالمعيه ،ولكن الاجتهاد، والاعتدال والتاني والسمعة الحسنة ، وعدم الطموح الى استخدام سلطات اوسع مما يعطيها له الدستور ••

وجاءت نتيجة الانتخابات لصالح كارتر ، ربما تعبيرا عن رغبة الناخب الامريكي في التجديد ، وضيقه بالاطارات والوجوه المتداولة منذ زمن من بين صانعى السياسة الامريكية •

••

على اننا ، اذا اخذنا بما قلناه في صدر هذا الحديث ، من ان سنة ١٩٧٦ تميزت بان العالم الصناعي المتقدم هو الذى كان مركز الاضطراب ، والمصدر للمشاكل الى بقية انحاء العالم ، فان اخطر ما صدره هذا العالم المتقدم وما لا يزال يصدره حتى الان ، هو : الأزمة الاقتصادية ••••

الكساد ، والانكماش ، والتضخم المالى معا •••

البطالة . وارتفاع الاسعار وفوضى سوق النقد الدوليه وعدم استقرار اسعار العملات التي هي العملات الاساسية في العلاقات المالية الدوليه .

وهذا الموضوع يستحق بحثا قائما بذاته . ولكن لا شك ان كل قارئ يتابع تفاصيله ويرى اثاره كل يوم . فهو السمه الطاغيه على المستوى العالمي طوال سنة ١٩٧٦ . وقد بدات سنه ١٩٧٧ وهو ما يزال علامه الاستفهام الكبرى حول قدرة هذا العالم على الاستقرار . او احتمال تدهوره الى اضطرابات دولية اوسع مدى واشد عنفا .

على انه يمكن القول – في مقام الاجمال مرة اخرى – ان العالم الغربي الصناعي المتقدم بوجه عام . يعاني من عدة امور اساسيه :

الامر الاول : انه بعد انقضاء العلاقات الاستعمارية الى توزع مراكز القوة بين انحاء مختلفه من العالم . ما زال عاجز نفسه على الواقع الجديد للعالم . ولذلك نجد ان اخطر ازمه اشتد باكبر الامبراطوريات المنقرضه وهي انجلترا ...

الامر الثاني : ان ثمه اتجاها بين شعوب هذه الدول الى ان تعيش اعلى من مستوى مواردها . وان النظم السياسيه تبدو عاجزه او محتمه الانماط الجديدة التي يمكن ان تضبط هذا الاتجاه .

الامر الثالث : ان هذه الدول التي اطلقت العنان للتقدم بمعناه العلمي والتكنولوجي . بدات تفقد السيطرة على توجيه هذا التقدم . بل وكبح جماحه اذا اقتضى الامر ... فبرزت تساؤلات هامه اخذت تشغل اذهان المفكرين المستقبليين عن معنى التقدم نفسه . وهل التقدم في خدمه الانسان ام صار الانسان في خدمة التقدم . فهل امتلاك الاسرة لسيارتين بدلا من سيارة واحدة هو سبيل السعادة . ام ان سعادة الفرد لم تعد معيار التقدم . وهل مئات الآلاف من ملايين الدولارات التي انفقت في السباق للوصول الى القمر والمريخ كانت جديرة بهذا الهدف . ام انه تنفيس للصراع بين العمالقة . كان ممكنا توجيهه الى ابحاث علمية اخرى تحارب الجوع . وتضاعف الانتاج الزراعي . وتحقق الوفرة لكوكب يتزايد عدد سكانه بشكل مذهل وفي مناطقه الفقيرة بالذات .

واذا كانت الفكرة العامه ان سنه ٧٦ تميزت بان صداع العالم جاء من الدول المتقدمه . فليس معنى ذلك ان كل شيء كان هادئا في سائر بلاد الدنيا ..

فنحن العرب على الاقل عشنا سنة ١٩٧٦ تظلل حياتنا سحابه كثيفه سوداء . وتورق في نفوسنا – كما يقول الشاعر – ادغال حزنه .. من حرب لبنان الاهلية . التي لم تترك حيرا عربيا الا وقد امتلأ مرارة والما وشعورا ولو مبهما بالذنب . وان كانت تلك المأساة قد بدت وكان فصولها توشك على النهاية . مع نهاية سنة ١٩٧٦ .

... ولنامل ان تجيء سنة ١٩٧٧ علينا وعلى العالم . ولو بخير قليل!

●●

احمد بهاء الدين

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

• عروبة :

انت تسأل :

أدب ولغة :

اقتصاد :

استطلاعات مصورة :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 218 JANUARY 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

« نزهـــة العقـــل الذكـــى »

الذكاء والمعلومات وسرعة البديهة على الصفحات
رحلة جديدة للعربى فى كل شهر مع احتبارات
١٧٩ ـ ١٨٣ ٠

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ٠ الخليج العربى ريالان قطريان البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ٠ العراق ١٢٠ فلسا ٠ سوريا ١٠٠ قرش لبنان ١٠٠ قرش ٠ الاردن ١٠٠ فلس ٠ السعودية ريالان سعوديان ٠ السودان ١٠ قروش ٠ ج٠م٠ع ١٠ قروش ٠ تونس ٢٥٠ مليما ٠ الجزائر ٢٫٥ دينار ٠ المغرب ٢٫٥ درهم ٠ اليمن ٢٫٥ ريال ٠ ليبيا ١٥٠ درهما ٠ جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ٠

الاشتراكات : للاشـتراك فى المجلة يتصل طالب الاشتراك بالشركة العربية للتوزيع على العنوان التالى : دولة الكويت ـ ص ٠ ب ٤٧٠٦ ويكتب على الغلاف : اشتراكات العربى

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

هذا الحديث مع مطلع العام الهجرى الجديد ١٣٩٧ • وهو تاريخ يستوقف النظر . فبعد ثلاث سنوات ، ينتهى القرن الرابع عشر الهجرى . ويبدأ الخامس عشر • وقد تداعى العالم الاسلامى•خلال عامنا هذا ، ممثلا فى موسساته الكبرى ، الى احتفالات ترقى الى جلال هذه الذكرى ، ولا تقتصر على لقاءات وكلمات تقليدية •

وسبق هذا احتفالات فى عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٨م) كانت بمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على بدء نزول القرآن الكريم ، ارتبطت فى ذهنى بمفهوم الهجرة •

وكان من قدر الله ، ان احضر هذه الاحتفالات فى سرى لانكا (سيلان) ممثلا للحكومة المصرية ، وامضيت فى هذه الزيارة نحو اسبوعين زرت خلالها مراكز التجمع الاسلامى فى الجزيرة ،وهى منتشرة على سواحلها الاربع ، وعلى سهولها وجبالها •

ولا زلت اذكر يوم الزيارة الاول ، وكان برنامجا حافلا ، بدأنا فيه من كولمبو ـ العاصمة ـ وتابعنا زيارتنا الى كيلانيا وكاندى ، ثم اخذت السيارة تصعد بنا الطريق مع الليل الى « نوارا ـ ايليا » (اى زهرة الجبل) ، لا نسمع على طول الطريق الا صوت خرير المياه تتفجر به العيون ، او تتدفق به الروافد • وتزداد البرودة مع الارتفاع

وتضيع اثار الجو الحار الرطب الذى تركناه وراءنا فى كولمبو ..حتى وصلنا الى غابتنا مع انتصاف الليل . نستدفىء فى حجراتنا ونستدفىء بالشاى الساخن على عناء الرحلة الطويلة ...

كنا ظهرا فى كيلانيا ومن برنامج الاحتفال ان تلقى بنات صغيرات نشيدا اسلاميا ـ باللغة العربية ـ فيه مدح للمصطفى عليه الصلاة والسلام :

الخضرة حولنا فى كل مكان . الجبل يرتفع فى عمق المنظر حتى تغيب ذوائبه فى السحب العالية . البنات فى ثيابهن البيضاء الكاسية . تبدو منها الوجوه والايدى .كانهن زهور بيضاء وسط الخضرة صوت النشيد طفولى برىء تحس تموجاته كانها اجنحة طيور نورانية .

تذكرت ابنتى الصغيرتين .رأيتهما ـ بعين قلبى ـ بين المنشدات فى الصف امامى . بين الجميع ملامح متشابهة : الايمان بالله وحب رسوله (ص). من فوق الجبال وعلى ضفاف الانهار ومن قلب الصحراء وجوف الغابة يتجهون جميعا الى البيت العتيق ويحنون الى المدينة المنوره حيث هاجر الرسول (ص) واقام قاعدة الاسلام الاولى .

ورثت امانة التوحيد والاخاء الانسانى . وديعة غالية . يسلمها جيل الى جيل . ويحملها ساكن السهل الى ساكن الجبل وراعى الابل الى ملاح السفين . ومع نهاية كل رحلة . هجرة . فى هجرة مستمرة بالحق .

الذين هاجروا .

ومعاربها ...

الذين حملوه الى

الجديد ...

الذين نقلوا مبادئه

جميعا ...

الذين عاشوا به وجعلوا من حياتهم نموذجا حياله ...

الذين طوروا وسائل الدعوة اليه .لتعيش عصرها . وتكتشف مستقبلها .

كل اولئك مهاجرون . تتحقق بهم روح الهجرة . فى حركتنا الدائمة نحو المستقبل .

كانت هذه المعانى تدور فى نفسى وانا اسمع صوت الصغيرات فى كيلانيا .. هناك مع السفوح الخضراء من جبال سرى لانكا .. وانا احاول ان احبس دموعا توشك ان تفيض من عينى مع الرذاذ الخفيف المتساقط .

وكنت احس لحظات انى لست فى هذه الارض .. وكان اصوات مديح المصطفى (ص) تاتى من افق اعلى . او ترفعنا الى افق أعلى ..

وتوقفت الزهور البيضاء عن النشيد فى ختام حنون . ودعيت الى الحديث . فكان عن قصة الايمان وهجرته من قلب الجزيرة العربية حتى وصل الى هذه القلوب الطاهرة . وكم من الاباء والابطال المجهولين حملوا امانته حتى اعادنا على هذا اللقاء .. وواجبنا نحو ابنائنا فى رعايتهم بالعلم والايمان والاخلاق والاخذ بيدهم على طريق المستقبل ..

الايواء والانطلاق

ونعود الى الهجرة فى نظرة تحليلية تبدو بها جوانب من حكمة الرسول (ص) فى اختيار دار الهجرة .. لقد سبق له أن دعا أصحابه الى الهجرة الى الحبشة قائلا :

ـ لو خرجتم الى أرض الحبشة ، فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد . وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه .

فهجرة الحبشة ـ بنص الحديث الشريف ـ مؤقتة . هى محدودة الهدف والمدة : هجرة ايواء لمجموعة من المسلمين ، حتى يجعل الله لهم فرجا مما هم فيه .

وفى هذا تختلف اختلافا جوهريا عن الهجرة الى المدينة، عندما قال للانصار فى بيعة العقبة :
ـ أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم .

ولهذا الموقف مسئولياته التى أدركها الانصار من أول الامر . وقد يؤدى الى حروب من أجل ذلك . تعاهدوا مع الرسول على الوفاء بحق الاسلام وحمايته والبقاء فى المدينة معا بعد النصر .

ويعود القوم فى بيعة العقبة الاخيرة ، الى تاكيد ذلك وزيادة ، يقول عنها عبادة بن الصامت، أحد نقباء الانصار :

ـ بايعنا رسول الله (ص) بيعة الحرب على السمع والطاعة . فى عسرنا ويسرنا ، منشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، وان لا ننازع الامر أهله . وان نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم .

سيدعون الى الله وسيلقون عداوات على طريق الحق ، وقد يضطرون الى رفع سيوفهم دفاعا عن ذلك الحق ، وصيانة لقاعدة الاسلام فى المدينة ، وحماية لانفسهم ونسائهم وذراريهم . وكل ذلك كان .

فرق كبير بين الهجرة الى الحبشة والهجرة الى المدينة . فهنا فى قلب الجزيرة العربية ، يمكن ان تقوم للاسلام قاعدة ، ينزل فيها القران العربى المبين ، ويتابع مسيرته من نفس الارض التى سعدت بالوحى أول مرة .

كان من الممكن ان تكون الهجرة الى الطائف حيث ثقيف وقوتها . وقد قصدها الرسول (ص)، فرده أهلها ردا غير جميل .

وقد عرض نفسه على القبائل.. ولكن العرض كان عربيا فى أرض الوحى .

من أجل ذلك ما ينبغى أن ننظر الى الهجرة « كخروج » من مكة : كمجرد ترك موطن الى مكان اخر . ولكنها « حركة محسوبة » : فينبغى ان تتوفر فى دار الهجرة الجديدة ، مميزات مكانيه وبشرية تجعلها قاعدة صالحة لانطلاق الاسلام .

وبعبارة أخرى نستطيع القول : ان الهجرة كانت من الجزيرة العربية الى الجزيرة العربية . كانت هجرة داخلية ، فى موطن كبير اختاره الله لنزول وحيه وختام رسالاته بمجىء الاسلام .

وكانت لدار الهجرة الجديدة قوة جذب ، حلت بها محل الحبشة فى الايواء فعاد من هاجر اليها ليسكن المدينه ، وليعمل فيها مع العاملين ، وليتخذ منها سكنا وحصنا وقاعدة ينطلق منها الاسلام على صعيد عالمى يعمل به رحمة الله المهداة . « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

العلم والايمان

والهجرة اذا كانت حركة محسوبة نحو المستقبل وانطلاقا الى آفاق جديدة ، فقد كانت لقاء متوازنا بين التخطيط العلمي كادق ما يكون التخطيط. والايمان بالله أعمق ما يكون الايمان.

والذين شاركوا فى نجاحها لهم مسئولياتهم من الناحية الموضوعية ، وتوقيت أدائها ، وطريقة هذا الاداء ، وتنسيق أداء هذه الجهود .. كل أولئك فى اطار علمى واضح المعالم تظله رعاية الله وحفظه .

المصطفى (ص) المهاجر يحتاج فى رحلته الى :

ـ صحبة تعرفه مواقع القبائل وتؤنسه .

ـ دليل يعرف الطرق .

ـ راع يعنى بالرواحل وليكون فى عون الرسول

(ص) وصاحبه ، ومن هؤلاء تكون الركب المبارك.

أبو بكر له معرفته بالقبائل والانساب . عبد الله بن أريقط دليل ماهر ، عامر بن فهيرة أردفه أبو بكر وراءه ليكون في خدمتهم .

ولكن قبل هذه الرحلة كانت استعدادات ومسئوليات محددة .

ولنلجا فيها الى طريقة ، « تقدير الموقف » نطرح السؤال أو المشكلة ونرى الاجابة ..

* ان الرسول (ص) يعيش في مكة وهو محل ثقة القوم رغم العداوات من أجل الاسلام . يحاربونه ويثقون فيه . يكذبونه ويضعون عنده ودائعهم . فاذا ما هاجر فمن يرد الودائع ؟

جـ ـ ان رد الودائع أساسي . فهو الصادق الامين وحاشاه أن يخون أمانته . واقرب الناس اليه ابن عمه على بن أبى طالب فلينم في فراشه ليله الهجرة وليرد الودائع بعد هجرة المصطفى (ص) وليلحق به بعد ذلك .

* ولكن أيخرج الى المدينة مباشرة ، ام يختار مكانا قريبا يأوى اليه بعض الوقت ؟ واذا اختار فما أهم مواصفات المكان ؟

جـ ـ كان أمامه أن يتجه الى الغرب نحو الساحل ثم يتابع سيره شمالا حيث الطريق أمامه ممهد ولكنه مكشوف . وكان أمامه ان يتجه شمالا حيث الهدف المقصود ولكنه سلك طريقا ثالثة :

لقد اتجه الى الجنوب الشرقي ، وهو آخر وجه يظن أعداؤه انه اتجه اليه ، واختار مكانا وعرا صعب المرتقى ، وهو ـ في الثالثة والخمسين من عمره . وتقول بعض الروايات ان أقدامه دميت على الطريق ..

* هو في الغار يحتاج الى تتبع الموقف في مكة فمن يقوم بذلك ؟

جـ ـ ان عبد الله بن ابى بكر : يمضى سحابة يومه بين القوم يسمع ما يقولون ، ويعود الى الغار مساء ليقدم الى الرسول (ص) « تقريرا يوميا » عن مكة . وينطلق في الصباح الباكر الى مكة .

وما شأن الطعام ؟

جـ ـ تكفلت به اسماء بنت أبى بكر . تعد الطعام وهي حبلى متم وتذهب به الى الغار .

* ان العرب مهرة في قص الاثر .. وها عبدالله بن ابى بكر واخته يقطعان الطريق بين مكة والغار !!

جـ ـ كان على عامر بن فهيرة . راعى ابى بكر ، ان يروح الى الغار ويعفي بماشيته على اثار عبدالله واسماء وليحلب للرسول من البانها ما شاء . فالتغطية على الاثار مكفولة . كما ان الطعام والاخبار مكفولان .

* اذا كانت هذه فما خط الاتصال بالمدينة

جـ كان عبدالله بن ويستطيع عامر بن فهيرة ليخبره متى يحضر برواحله

ارأيت كيف ان كل صغيرة وكبيرة من أمر الهجرة كانت محسوبة وبدقة . فاذا بذل الانسان هذا الجهد كله . وقصر الجهد عن بلوغ الغاية ادركته رحمة الله ترعاه في امره .

* ولكن ما دور الايمان هنا ؟

جـ ـ ادرك القوم فم الغار حتى احس بهما الرسول (ص) وصاحبه وابو بكر يقول : لو نظر احدهم الى موضع قدميه لرآنا . والرسول الكريم يطمئنه كما جاء في سورة التوبة « لا تحزن ان الله معنا . فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى . وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم » .

* والطريق الى المدينة ؟

جـ ـ لك ان تقسمه الى ثلاث مراحل : الاولى مرحلة الغار والثانية سلوك الطريق الساحلي مع تجنب الجادات المطروقة . والثالثة الطريق الجبلي مع اختيار اماكن غير مطروقة وان كان فيها بعض أخطار . أعانهم الله عليها بهداية من حاولوا اعتراض طريقهم فيها من غير قريش.

صورة الهجرة تخطيطا وتنفيذا هي توازن بين الايمان والعلم .. والايمان في جوهره علم . والعلم : أنت تسلك سبله مؤمنا بان الله امرك

بهذا . وما اعمق قول الله « انما يخشى الله من عباده العلماء » العلماء أهل خشيته ، وكلما ازدادوا علما ازدادوا اقترابا من ربهم . العلم الذى يسجد به العالم فى محاريب الكون ايمانا بخالقه ، وشكرا لنعمه ، واحساسا ببديع صنعه.

صناعة المستقبل

ان الذين قاموا بالهجرة قبل الرسول (ص) ومعه ومن بعده الى المدينة ، بذلوا جهودهم من اجل صناعة مستقبل الاسلام . وعندما جاءوا المدينة وجدوا امامهم مشكلات متنوعه :

ـ هناك توحيد الصف الاسلامي وتاكيد معانى الاخاء فيما بين المهاجرين والانصار ، وفيما بين قبائل الانصار وبخاصة الاوس والخزرج .

ـ هناك جيوب المنافقين ولها روابطها معقبائل المدينة الكبرى وقبائل اليهود .

ـ هناك اعادة التنظيم الاقتصادى فى المدينه : مشكلات الربا . توزيع الثروات . الزكاة . التكافل .

ـ هناك حماية المدينة داخليا وخارجيا واعداد القوة الضاربة اللازمة لذلك .

ـ هناك العلاقات السياسية على مستوى الجزيرة مع قريش وشيوخالقبائل وعلى المستوى الدولى مع دول الفرس والروم ..

كثيرة كانت مشكلات المستقبل ، فوراء الهجرة من مكة الى المدينة ، هجرة دائمة من الحاضر الى المستقبل بحيث لايصبح المستقبل مجرد تكرار للحاضر وانما صعودا به لنعامل مشكلات الحياة المتجددة .

فروح الهجرة تجدد وانجاز فى اطار العقيدة التى امرنا ربنا ان نقيم وجوهنا لها .

وتقتضى منا مع عالمنا الاسلامى المعاصر ان نتعاون فى بناء مستقبله على وضوح ، ارجو ان اتناول بعض معالمه فى احاديث مقبلة .

ولكن اود ان اقول :

ان نمط العالم الاسلامى يمتاز بتنوع يدعو الى التكامل والتعاون . وان نواته ـ ممثلة فى العالم العربى ـ تعكس هذه الصورة :

اليد العاملة . رؤوس الاموال . الخبرة الفنية. الارض الزراعية . المراعى. الثروة المعدنية. الطاقة ... كل اولئك متوفر اذا نظرت الى العالمالاسلامى فى وحدته الكبرى . وفى كل قطر من اقطاره مصدر من مصادر التطوير .

ونمط الاقطار الاسلاميه اذا نظرنا الى كل منها على حدة ، يختلف عننمط الوحدات السياسية الكبرى ، كالولايات المتحدة الامريكية او الاتحاد السوفيتى او الصين .

واذا كان غرب اوروبا بكل امكاناته يسعى الى التعاون الوثيق بسوق اوروبية مشتركة ، ورغبة فى انشاء برلمان اوروبى وخطوات متتابعة فى هذه السبيل . فليكن من اهدافنا ان نخطط لهذا التعاون الاسلامى الكبير لنستقبل به القرن الخامس عشر الهجرى . ولنحاول مع توفر مصادر القوة فيه . فى هذه العقبة من الزمن ان نجعل منه نهضة كالتى شاهدها الاسلام فى القرن الرابع الهجرى مثلا ..

واعلم ان مشروعات تستهدف هذا الغرض النبيل قدمت فى لقاءات وزارية للمؤتمر الاسلامى، وغيره من المؤتمرات التى عقدتها جامعات اسلامية .. ولكن الذى نحتاج اليه ، ان تتبلور هذه المشروعات فى خطط واضحة المعالم ، متتابعة المراحل ممكنة التنفيذ .

وسيكون لهذا العمل اثر كبير على الاوضاع العالمية . فالسلام فى الاسلام له قداسته . هو من اسماء الله الحسنى . والحضارة الاسلامية ـ بطبيعتها ـ تحارب القهر والاستغلال وامتصاص ثروات منتجى المواد الخام ، او الخضوع لمن يحاولون ان يجعلوا من العلم سلعة او سلاحا..

ودخول هذه الاخلاقيات بقوة فى التكوين الحضارى العالمى سيكون فى ميزان الخير والسلام ..

فهل نستطيع أن نهاجر بحاضرنا الى هذا الغد ؟ هذا هو المأمول .. وبه نستطيع ان نحقق روح الهجرة فى حركتها الواعية الصاعدة الى المستقبل . ■■

الكويت ـ عبد العزيز كامل

رسالة الشهر

العرب في لندن

● تحدتت صحافة الغرب والشرق عن العرب في لندن بمناسبة نزوح الكثيرين الى العاصمه البريطانية في فصل الصيف . ويعلم الجميع ماذا قالت الصحافة الغربيـة . وكيف قدمت العـربي في صور. الاحمق والسـاذج والجاهل ••• الى اخر الاوصاف التى الصقت بالعـرب . ولم يمر اسبوع دون ان تذكـر في مقال أو تحت صوره أو في تعليق على رسم كاريكاتورى • والموسف أن الصحافة العربية تناقلت مـا كتبته صحف الغـرب . وشـاركت بدرجات متفاوتة في حملات التشهير التى شنتها تلك الصحف لاهـداف واغـراض يعلمهـا الكثيرون •

وهذه الظاهر. تحتاج الى وقفه . ذلك أن العربى فى التراث العر. التى تدرس للنش. هو • والساذج » راكب الجمل والمتوحش دائما ••• وحملة الحقد والكراهيه ... مختلفـة وفى قوالب متغيره • ولا يمـ... ينفصل هذا الموقف الاخير للصحافة الغربية عن تلك الجذور القديمة فى الضمير الغربى •

ولا بد ان نعترف صراحة بان بعض أثرياء العرب ينهجون فى العواصم الاوروبية سلوكا يسىء الى الامة العربية . وقد يشينها أحيانا • ولكن هؤلاء ليسوا هم كل العرب بكل تاكيد • واذا اخترنا انجلترا مثلا فلا بد أن نتذكر ان هناك علماء وخبراء عرب لا يمكن انكار قيمتهم ودورهم . وهناك طلاب وباحثون يشرفونوطنهم الكبير • وهناك عمال يكافحون من أجل لقمة العيش ويسهمون فىالاقتصاد الانجليزى اسهاما حقيقيا •

هؤلاء همالقاعدة العربيةالعريضة فىانجلترا أما الاخرون الذين يفدون كل صيف ويفعلون ما يفعلون فهم استثناء دائما •

ونحن نفهم أن تغالط الصحافـة الغربيـة وتتعمد اخفاء معالم الصورة الحقيقية للعرب فى لندن • ولكن ما لا نفهمه على الاطلاق هو أن تنساق الصحافة العربية وراء تلك الحملة. وتشارك فى التشهير بالعرب •

(يا رجال الاعلام العرب . كفانا ظلمالغرب لنا . فلا تضاعفوا احساسنا بالمرارة .وتظلمونا انتم أيضا) •

الدكتور عبد الكريم الالوسى
برمنجهام ــ انجلترا

الاشتراك فى مجلة العربى

● تصلنا كليوم رسائل من القراء يطلب اصحابها الاشـتراك فىمجلة العربى . وقد ازدادت هذه الرسائل بعد أحداث لبنـان وعدم تمكنهم من الاشتراك عن طريق الشركة العربية للتوزيع هناك ••

ولحل هذه المشكلة . وحتى تعـود الاوضاع الى طبيعتها فى لبنـان . فقد قررت الشركة العربية للتوزيع ان تسند مهمة تلقى طلبات الاشتراك الى وكيلها فى الكويت ــ صـندوق بريد ٤٧٠٦ •على ان يكتب المرسـل على غلاف المظروف » اشتراكات العربى «•

ثمن اختلاف العرب

● عندما عادت روح التضامن الى العرب استطاعوا أن يصلوا الى اتفاق بشان لبنان ... واستطاعوا الى حد كبير ان يوقفوا نزيف الدم فوق أرضه. هل يعلم الزعماء العرب كم دفع لبنان بسبب استمرار خلافاتهم . أى أعداد من البشر قتلوا فى أسوأ مجزرة فى تاريخ العرب الحديث ... وأى خراب حل بهذا البلد الذى كان مفخرة كل عربى .

هل يعى العرب الدرس مستقبلا ويدفنون خلافاتهم بسرعة ، ويضمدون جراحهم على الفور ، حتى لا يقتل شعب عربى اخر .. وحتى لا يفتح مزيد من الحدود مع عدونا الاول اسرائيل .

هل نتعلم ونعتبر ؟

باسم ابراهيم علم الدين – اربد – الاردن

أين محمود درويش ؟

● أين الساعر الفلسطينى محمود درويش ؟ ... وما مصيره بعد الذى جرى فى لبنان ؟ لماذا لم نسمع له صوتا بينما شعبنا يذبح فى المخيمات هناك ؟

أبو طارق الفاروقى – الموصل – العراق

– محمود درويش حى يرزق . لكننا لا نسمع له صوتا الآن . صوته سمعناه فى قصيدته الملحمية الاخيرة « احمد الزعتر » التى كتبها اثناء حصار المخيم الكبير . وقال فيها

أحمد الآن الرهنية
تركت شوارعها المدينة
وأتت اليه
لتقتله
ومن الخليج الى المحيط ،ومن المحيط الى الخليج
كانو يعدون الجنازة
وانتخاب المقصلة

نشر محمود درويش قصيدته فى مجلة فلسطين الثورة عدد منتصف أغسطس (آب) . وما دام الشاعر يكتب فمعنى ذلك أنه لا يزال يتنفس.

عن أمل مرضى الفصام

● تعليقا على مقال الدكتور درى عزت « امل جديد لمرضى الفصام .. » المنشور بالعدد ٢١٤ اود أن اوضح النقاط الآتية : –

الذى لا شك فيه أن الامراض النفسية بوجه عام لا زالت تنالمرتبة ثانوية مناهتمام المسئولين فى كل العالم العربى ، ومعرفة الاطباء غير النفسيين بالامراض النفسية قليل فما بالك بمعلومات الجماهير عن هذه الامراض . وأستطيع ان اقول فى أمان للجماهير أن أكثر من نصف المترددين على عيادات الاطباء فى عالمنا العربى أسباب أمراضهم نفسية ليس الا ... ولجماهير الاطباء غير النفسيين اقول لهم يقينا لو افتتحنا مستشفيات جديدة للامراض النفسية فستمتلىء بالرواد فى لحظة عين . أى ان هناك عشرات المرضى النفسيين فىالمجتمع لعدم توفر المستشفيات والامكانيات . وأخيرا اقول للمسئولين فى عالمنا العربى أن النهضة الصحية فى أى بلد عربى هى أيضا بمقدار ما لدى هذه الدولة من رعايةللصحة النفسية ، فلا يمكن أن نفصل النفس عن الجسم وكلاهما يؤثر فى الآخر .

بخصوص الانذارات الحسنة للمرضى نسى الكاتب أن عمر المريض عامل مهم فى هذه النقطة غير المحددة فظهور المرض فى الاطفال وكبار السن انذار سىء للمرضى أما ظهور المرض بعد سن البلوغ فقد يكون انذارا حسنا بالاضافة الى العوامل التى ذكرت بالمقال .

بخصوص العلاج بالصدمات الكهربائية للفصام .. من غير المعقول أن نستعمل علاجا لا نعرف حتى الآن طريقة تاثيره فى مرض لا نعرف عن أسبابه الكثير وعلى ذلك فلا أتفق مع الكاتب على أن لهذا العلاج دورا كبيرا فى علاج الفصام .

أبيات للزهاوى لا للرصافى

● فى مسابقة العدد (٢١١) مـن العربـى سالتم عن شاعر عراقى اتهم بالتقلب السياسى ودعا الى تحرير المرأة فقال فى ذلك : —

مزقى يـــا ابنـة العـــراق الحجابـــا
· اسفرى · فالحياة تبغى انقلابـــا
· .... · ....
.... فقد كـــان ....

وذكرتم انــه توفى بالتسـلل سنة ١٩٣٦ ، ثم وضعتم أسماء شخصيات ثلاثة . هى الرصافى ، والزهاوى والشبيبى . ليحدد المتسابقون واحـدا منها ، هو المقصود فى الجواب • ولكنكم فى العدد (٢١٤) الذى أخرجتم فيه اجوبة هذه المسابقة — ذكرتم أن الشاعر المقصود هو الرصافى ، مع ان الوقائع التى ذكرتموها لا تنطبق الا على الزهاوى·

عمر عبد الرحمن النار — جدة —
المملكة العربية السعودية

— الصواب ما قالهمنا السيد عمر . ونحن نشكر له ولمن وافونا بمثل رسالته عنايتهم بما تنشره مجلتهم (العـــربى) وعنايتهم بان لا تنشر الا الصـــواب . ونزيد هنا أن الزهاوى كان أجهر شعراء العراق صوتا بالدعوة الى تحرير المرأة متابعا فيها المصلح الاجتماعى المصرى قاسم أمين الذى كان رائد هذه الدعوة فى البلاد العربيه . واكبر دعاتها بكتابيه . تحرير المرأة » و« المرأة الجديدة » وقد أيده كثير من ...
وللزهاوى فى هذا الموضوع ...
ديوان الزهاوى الكامل —
بيروت) وقد احتمل اصحـ...
كثيرا من البلاء فصبرو...
الى ان معنى الحجـــاب ...
المرأة رهينة البيت لا تغادر...
ولو للتعـلم أو كسب الرزق مع حاجتها ... بيتها الى ذلك. والسفور الذى طلبوه هو تحصين حقوقها الاجتماعية كما وضعها الاسلام لتكملة انسانيتها . مع التزام شريعته وادابه •

ويستعمل علاج الصـــدمات الكهربائية فقط فى حالات الفصام التصلبى •

العلاج النفسى كما وصفه الكاتب غير مستحب فى بداية المـــرض وقد يضر أكثر مما يفيد فى مريض فقد اتصـــاله بالواقع وافــكاره مليئة بالضلالات والهلوســـة أما فى حالة تحسن حالة المريض فيكون العلاج النفسى سطحيا •

بخصوص الوقاية من المرض ،نظرا لعدم معرفتنا باسبابه فخط المقاومه الاول لا زال مجهولا •••

اما خط المقاومة الثـــانى فهو ياتى بمعـــرفة الاهداف السكانية المعرضة للمرض Target Populat ons مثل المهاجرين من الارياف الى المدن أو من البدو الى الحضارة أو من مجتمـع مغلق الى مجتمع مفتـــوح أو مجتمعات المدينـة والتصنيع . وايضا الشـــباب فى سن المراهقـة بازماتها والنساء فى سن الحمل وبعد الولادة وفى سن اليأس والاشخاص أصحاب الشخصية الفصامية ومرضى الصرع واصابات الراس • ذلك فضلا عن أن تتبع المصابين الذين شفوا من المرض والذين تحت العلاج وكافة وسائل العلاج الاجتماعى هو خـط مقاومة ثالث لهذا المرض •

ومع ان عنوان المقالة « أمـــل جديد لمـــرضى الفصام » فقد شعرت بان الكاتب لم يوجه للقراء اين الامل واستطيع أن أقـــول : نعم هناك امل مشرق من هذه الابحاث الدائرة فى داب فى الشرق والغرب عن وجود أسباب حيوية Biological لهذا المرض من مناعيه Autoimmune وكيماوية Brochemical وعدوية Mfeetive وعضوية ومع ان هذه الابحاث لا زالت فى مرحلة البداية فالبشرية كلها فى انتظار النتائج •••

دكتور حمدى أحمد يوسف
استاذ الامراض العصبية المساعد
بكلية الطب — جامعة الرياض

خدعونا فقالوا « ان للبنان وضعا خاصا »

● رجال السياسة اللبنانية والعربية صرفوا جهدا جهيدا لاقناع الشعوب العربية طيلة السنوات الماضية بان لبنان لا يمكن ان يكون دولة من دول المواجهة .. لماذا ؟ لان له وضعا خاصا لا يمكنه من ذلك .. وكدنا ـ نحن الشعوب العربية ـ نصدق هذا ..

الى ان جاءت الحرب اللبنانية الاخيرة التي وصفها الرئيس اللبناني « بالشريرة » فكلفت الشعب العربي اكثر من خمسين الف ضحية ,وضعف هذا العدد من الجرحى ... اما الخراب الاقتصادي, فحدث عنه ولا حرج ..

ونتساءل بعد هذا .. لو ان لبنان لم يعط هذا الوضع الخاص . وبقي دولة من دول المواجهة مع « اسرائيل » وخاض غمار حرب معها ... سواء أكانت حرب عصابات او حربا نظامية ... وخسر هذه الارواح في قتاله معها .. فكم كان هذا القتال سيكلف اسرائيل من الضحايا والخراب ؟!

وهل كان بمقدور « اسرائيل » بقضها وقضيضها ان تقتل وتخرب في لبنان اكثر مما خربته هذه الحرب « الشريرة » ومن قبلها حرب سنة ١٩٥٨ .

نحن نعلم ان اسرائيل قد استغلت هذه الفرية التي اسموها « الوضع الخاص للبنان » ...واقامت معظم صناعاتها في مدنها ومستعمراتها المتاخمة لحدود لبنان .. من حيفا .. حتى رأس الناقورة .. مطمئنة الى ان الخطر سوف لا ياتيها من لبنان .. لان ارباب الحل والربط فيه . قالوا بان له « وضعا خاصا » ...

والآن هل يتعظ اللبنانيون والعرب ,بان ما اسموه وضعا خاصا . انما كان فرية جرت عليهم الخراب والدمار .

اوليس من الخير للبنان واللبنانيين والعرب .. ان يعود لبنان بعد النهوض من كبوته .. ليكون دولة من دول المواجهة مع اسرائيل ..

اليس هذا اشرف بكثير من ان يقتل اللبناني اخاه .. ؟!

عثمان عبد المعطي الخطيب ـ عمان ـ الاردن

عن عشيقة هتلر

● نشرتم في زاوية طرائف عربية العدد ٢٠٥ انه كان للفوهرر أدولف هتلر عشيقة قبل ايفا براون هي ابنة شقيقته . كيف سمحتم لانفسكم بنشر مثل هذا الكلام الذي تروجه الصحافة الصهيونية لتشويه وجه هتلر ؟

مصطفى أحمد نماع ـ عمان ـ الاردن

ـ ما نشرناه عن هتلر كان تسجيلا لتاريخ وهو ما لا يمكن تغييره حتى ولو كان مشينا . ولا نريد ان نقع في محظور كتابة التاريخ بحسب هوى كل منا . أما وجه هتلر فقد شوهه الرجل بما فعله اما أساليب الصحافة الصهيونية ودسائسها فمعروفة لا تخفى على احد

اغرب القضايا

● تعودنا أن نقرأ على صفحات العربي اغرب القضايا والقصص البوليسية . ولكن هذه المادة اختفت منذ شهور ... أين هي ؟

السيد علاء ـ كفر حقوق المنصورة ـ مصر

ـ نرجو أن تجد ما تبحث عنه في أعداد قريبة قادمة .

السعر لم يرتفع

● ارتفع سعر مجلة العربي في العراق الى ١٥٠ فلس . وليس هذا تصرفا فرديا يقوم به الباعة . ولكنه تصرف من قبل « الدار الوطنية ». وهي مؤسسة حكومية . وذلك أننا وجدنا العربي منذ العدد ٢٠٩ تحمل على غلافها ختما للدار الوطنية يشير الى أن السعر ١٥٠ فلس .

ما مدى صحة هذا الاجراء ؟

محمود الكبيسي
العراق ـ كبيسه

ـ سعر المجلة لم يرتفع ولكنه ثابت كما هو منشور مع كل عدد ١٢٠ فلس . واذا صح ان الدار الوطنية رفعت السعر . فان ذلك يعد تصرفا خاطئا نرجو ان يصحح .
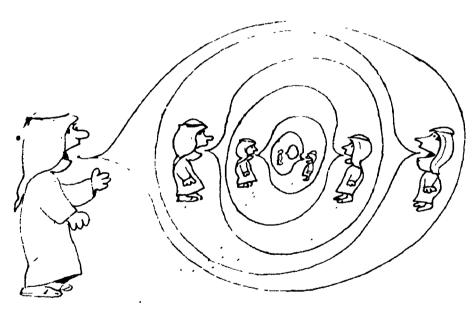
بقلم : الدكتور احمد كمال ابو المجد

■ من القضايا العامة ما لا يستطيع صاحب لرأى ان يتناوله بالحديث مره او مرتين ٠٠ ثم ينتقل الى غيره زاعما انه اعذر بما قال ٠٠ وادى ..ة الكلمة بما كتب ٠٠ وحدد موقفه واثبته على ملأ من الناس٠٠ ذلك أن الامر فىقضايا الامم الشعوب ليس امر موقف يتخذه الكاتب ، او رأى سجله ٠٠ وانما هو مشاركة ومسئولية والتزامبالتغيير عن طريق الكلمة ٠٠ لذلك فان اعـــادة لقول والالحاح به فى مثل تلك القضايا لا يمكنأن يكون تكرارا يتحرج منه صاحبه ٠٠ وانما هو

اصرار على التذكير بما ينبغي . والتزام اخلاص ـ لا فكاك منه ـ بمواصلة السعي من اجل التغيير ..

ومن القضايا التي مسها وانغمس فيها هذا القلم مرات من قبل قضية الحوار بين العرب .. ضرورته .. ومنهجه.. وموضوعاته الرئيسية . ولولا احساس غامر زوى بان ضرورة هذا الحوار تزداد يوما بعد يوم . وان الحاجة الى ارساء منهجه على قواعد واصول يلتزم بها الاطراف جميعا ـ حاجة اساسية تشتد هي الاخرى يوما بعد يوم ..

ولولا الايمان بان القضايا التي تنتظر ان يتناولها هذا الحوار قضايا حيوية ومصيرية تتصل مباشرة بتامين مصالح العرب جميعا في يومهم هذا، وفي غدهم القريب ومستقبلهم البعيد ..لولا ذلك كله .. لترددت القلم عن هذا الموضوع الشائك الدقيق ولصرفته الى احاديث اخرى ادنى مدخلا وأيسر مخرجا واقل اثاره لعواصف الاختلاف...

ـ ولكن الامة العربية تعيش مرحلة من تاريخها عامرة بالحركة وبالحيوية . زاخرة ـ لذلك ـ بالمشاكل والعقبات والازمات .. بالغة التاثير على مصيرها وعلى مستقبل ابنائها . ولكنها تغوص ذلك كله فيما يشبه الصمت.. فالقضايا السياسية والاقتصادية والاستراتيجية لا تطرح ـ بين الاشقاء العرب ـ على بساط البحث .. ولا تلتقي حولها عقول وقدرات القادة والرؤساء والعلماء ..في جهد مخطط منظم يكفل لدراستها القدر الضروري من العناية والجدية والاستمرار ..

ـ والاختلافات الموضوعية القائمة بين ظروف البلدان العربية المختلفة ..في تركيبها السكاني وبنيتها الاجتماعية . ونظامها السياسي وعمقها الحضاري . وفي ثروتها ونظامها الاقتصادي .ثم في علاقاتها الدولية والخارجية .. كل ذلك يمارس ويتطاير بدوره فيما يشبه الصمت .. ولا يلقى الحديث عنه ترحيبا كبيرا . مع ضرورة رصده وتسجيله وفهمه وانطلاق الحوار منه ...

ـ والمشاكل العارضة التي تطرا بين الدول العربية المختلفة . اختلافا حول موقف تكتيكي .او تعارضا في المصلحة بين بلدين . او تنافسا على التاثير في مجال عربي او دولي .. هذه المشاكل تعالج باسلوب التراشق الاعلامي من بعيد .. ولا تعالج ـ للاسف ـ بالحوار الموضوعي من قريب..

ومنهج التعامل بين اجهزة الاعلام العربية منهج بدائي هو اقرب ـ في حقيقته ـ الى غياب المنهج .. اساسه الدفاع المطلق المنفعل عن الذات . وتبرير كل ما يصدر عنها .. والنقد المطلق للغير ـ وان كان عربيا ـ واتهامه وتجريحه في كل ما يصدر عنه ...

ـ والموضوعات الرئيسية التي ينبغي ان يدور حولها الحوار تكاد كثير من الاقلام ان تتجنبها . ويغلف الحرج والاحتراس المفرط ما تتناوله بها اقلام اخرى ..

فالعلاقات العربية مع الكتل السياسية الرئيسية في العالم والاثار الاجتماعية والثقافية للانفتاح الاقتصادي والسياسي على الغرب او على الشرق ومنهج التعامل مع اسرائيل والصهيونية العالمية.

وقضية الوحدة العربية .

كل تلك الموضوعات الحيوية لا تنال من « الحوار العربي » الا اهتمامات متفرقة متباعدة لاتجمعها خطة ولاتوجهها رؤية استراتيجية موحده .

وتكاد الاقلام ان تتجنبها .. ويغلف الحرج والاحتراس المفرط ما تتناولها به اقلام اخرى..

وهكذا .. لا الحوار العربي يبدا بالسرعة الواجبة والاهتمام الذي يتناسب مع ضرورته..

ولا منهجه يتفق عليه بين الاطراف العربية حرصا عليه وضمانا لاستمراره . وحفاظا على الود ان يفسده اختلاف الرأى في المسائل العارضة او الجزئية .

لذلك كله كانت العودة الى حديث « الحوار العربي » امرا مفروضا وكان الالحاح عليه . والدعوة في اصرار الى طرق ابوابه وفاء بالتزام عربي قومي ..

والسؤال الذى يلح على كثيرين من المؤمنين
حد، الامه العربية والمدركين للترابط العضوى
وثيق بين مصالحها ومشاكلها وافاق مستقبلها
: لماذا لا يبدا الحوار العربى ؟ ولماذا ينصرف
رب عنه الى حوارات اخرى مع اطراف غير
بية ، بعيدة فى اوروبا وامريكا وافريقيا والعالم
شتراكى ؟

جواب عن ذلك هائم فى احتمالين :

لهما : ان تكون بعض الاطراف العربية فى
يها الى الاصلاح الداخلى فى اقاليمها ، وفى
فاع بعضها الى تدعيم كيانها المستقل الوليد،
ى توفير مقومات الاستقلال والاكتمال الذاتى له،
دهلت عن البعد القومى الطبيعى ليحركها ،وهو
، لم تعد تمليه شعارات ولا نظريات سياسية ،
ر ما توكده كحقيقة موضوعية ارتباطات المصالح
ى المدى القريب والبعيد على السواء ٠٠ وضرورات
ير الكفاءة والاقتصاد فى مشروعات التنمية
تعمير والتصنيع ، كما صارت تمليه اعتبارات
ن والدفاع المشترك عن الكيان الحضارى
اقتصادى لهذه الافكار العربية ٠

وفى ظل هذه الغفلة عن البعد القومى للعمل
صلاحى لا تظهر الحاجة بالوضوح الكافى الى
ة حوار عربى ٠٠ ذلك ان الحوار قد ارتبط
اذهان كثير من الاخوة العرب بمرحلة
لام والشعارات وهى مرحلة لا يريدون العودة
ا ابدا بعد ان ذاقوا حلاوة العمل والانجاز فى
ين التجارة والاقتصاد والتعمير ٠٠

لثانى : ان كثيرا من الساسة والقادة العرب
خون على انفسهم وعلى الامة العربية كلها من
ب الحوار ، ويتصورونه مدخلا الى مزيد من
لافات ٠٠ ويوثرون لذلك ان يحافظوا على ما
من الود ٠٠ وما بقى من مظاهر التعاون ٠٠
ؤلاء يفضلون استمرار ابواب الحوار مغلقة٠٠
تظل الفتنة نائمة لا يوقظها — بالحوار —
٠٠

اننى اريد ان اصل من ذلك الحديث كله الى
تقرير حقيقتين والى التقدم — بعد ذلك — باقتراحات
ثلاثة محددة :

الحقيقة الاولى :

ان مستقبل العرب لا يمكن تامينه — بحال من
الاحوال — فى غيبة تخطيط استراتيجى ينبغى ان
يبدأ بغير ابطاء ٠٠ وذلك رغم كل ما يبدو من
مظاهر القوة الاقتصادية [illegible]
فى العالم العربى ٠٠ [illegible]
لهذه الحقيقة — الى [illegible]

ا — ان موقف العرب [illegible]
موقفا موحدا ، ولم يعد [illegible]
فيه الادوار ٠٠

وهذا يعنى ان اطرافا عربية عديدة يمكن ان
تستخدم — بوعى او بغير وعى — فى لعبة السياسة
العالمية للدول الكبرى ويمكن — بذلك — ان يتشتت
الكيان العربى من ناحية وزنه الدولى ،وان تتهاتر
سياسات الدول العربية المختلفة نتيجة توزعها ودا
وارتباطا ومصالح — بين دول كبرى مختلفة ٠

ب — ان الاستراتيجية العربية فى مواجهة الكيان
الصهيونى لم تعد هى الاخرى واضحة ولا محددة٠٠
بل شغلت عنها الخلافات التكتيكية حول انسب
المواقف المرحلية او الجزئية ٠٠ وفى هذا الغلاف
تمسكت بعض الاطراف بالمبادىء المثالية المطلقة ،
وشغلها الواجب عن الممكن ، واغفلت اثر المتغيرات
العديدة التى طرات على الصورة العربية وصورة
المنطقة كلها خلال عشرين عاما ٠

وتعلقت اطراف اخرى بالممكن وحده ، اما
لارتباطها الوثيق ومسئوليتها المباشرة عن ايجاد
حل لمشاكل الواقع والمستقبل القريب ،واما لضغوط
داخلية عديدة تجعل انتظار الافضل والامثل — من
زاويتها — تجميدا للموقف لا تحتمله اوضاعها ٠٠
وبين هذين المنطقين ضاعت الاستراتيجية الموحدة ،
وصار الصراع العربى الاسرائيلى يدار ، فى الاعم
الاغلب — من خلال رؤى متباينة ، ومواقف اكثرها

ردود افعال غير مدروسه .او افعال تعكس النزاعات العربية الداخلية اكثر مما تعكس موقفا واضحا مدروسا فى الصراع العربى الاسرائيلى ..

جـ ـ ان قضية التنمية وان احتلت حقيقه جانبا كبيرا من اهتمام كل العرب المعاصرين . الا ان التخطيط المتكامل البعيد المدى لا يزال فى شأنها املا يراود المؤمنين بوحدة الامة العربية . والمدركين لمخاطر نفاد المخزون من النفط تحت الرمال العربية. او مخاطر اكتشاف مصدر للطاقة يحل تدريجيا محل ذلك النفط المخزون .. ويحول دون هذا التخطيط التكاملى . ان المصالح الاقتصادية كثيرا ماتبدو متعارضة فى المدى القصير . بين بلاد تريد أن تقطع طريق التنمية قفزا بغير ابطاء . سباقا مع الزمن. ولحاقا بالدول المتقدمة التى عرفها العرب واختلطوا بها خلال معاملات البيع والشراء ومعاملات استيراد الخبرة وتوظيف الخبراء . او خلال جولات السياحة والتعليم وتسويق المنتجات .. وبلاد عربية اخرى [illegible] ازمة قلة الموارد وكثرة السكان واستنزاف [illegible] فى معارك الدفاع عن ارض العرب ومصالحهم و[illegible] كيانهم الحضارى كله .. وهى لذلك محتاجة الى المال السائل . وان كانت غنية بالموارد البشرية وبالخبرة الفنية التى تعد ـ كالمال السائل تماما ـ عنصرا ضروريا من عناصر التنمية وتوفير الرخاء..

العقيقة الثانية :

ان ادارة الحوار حول هذه الموضوعات كلها ينطوى فعلا على مخاطر جسيمة . فى غيبة الاتفاق على منهج موضوعى للحوار ..

وقضية المنهج وان بدت للبعض قضية فلسفية او شكلية الا انها فى الواقع حجر الزاوية بالنسبة للحوار ..

وان مما تعلمناه من حضارة الانجلو سكسونيين ان الضمانات الشكلية والاجرائية لاى موضوع لا تقل اهمية ولا خطورة عن الضمانات المقصودة اساسا بالحماية والتامين .. فحرية الكلمة مثلا وحرية الاجتماع . مهما نصت عليها الدساتير واعلانات الحقوق تظل شعارا فارغ القيمة اذا استطاعت الحكومات ان تجر مخالفيها السياسيين الى محاكمات صورية مجردة من الضمانات الاجرائية فى التحقيق والاتهام وتوقيع العقاب . كذلك فان الاقدام على المفاتحة والمكاشفه والحوار يظل محفوفا بالمخاطر الكثيرة فى غيبة الاتفاق على منهج له يؤمن موضوعيته . ويضمن استمراره . ويضبط اصول ممارسته ضبطا يستقر فى التقاليد العربية .. وغيبة هذا المنهج هى المسئولة ـ فى تقديرى ـ عن تدهور الحوارات التى بدأت حول عدد من قضايا العرب المصيرية .. والذى ادى الى قطع تلك الحوارات وانهائها فى معظم الحالات. كما ادى فى حالات اخرى الى تحوله لمساجلات ومهاترات ضاع فيها الود . وحلت محله الجفوة والقطيعة .. فى ضوء هاتين الحقيقتين . ضرورة الحوار . وضرورة الاتفاق على منهج سليم له . أتصور أن البداية الطبيعية لاستئناف الحوار ـ العربى ـ محتاج الى المراحل التاليه :

اولا : ان تتبنى جامعه الدول العربيه الدعوة الى مؤتمرات علمية او ندوات للخبراء والعلماء المتخصصين لطرح ومناقشة الاستراتيجيه العربية تجاه القضايا الرئيسية التى عرضنا لها .. ان من شان هذه الندوات ان تحتل قضية الاستراتيجية مكانها الضرورى فى رؤية واهتمام الساسه والقادة وصانعى القرارات . وذلك بتسليط الاضواء عليها من ناحية . وطرح البدائل المختلفة فى شانها من ناحية اخرى . وتوفير زاد من المعلومات والحقائق التى نفترض ـ وهما ـ انها متاحة لكل صانعى القرارات فى الدول العربية . على قدم المساواة. ان توحيد مصادر المعرفة والتقدير وعرض البدائل عرضا موضوعيا تكفله الطبيعة العلمية لهذه الندوات من شانه ان يوسع دائرة الارضية المشتركة حول موضوعات العمل الرئيسية عند الساسة والقادة العرب .كما ان من شانه ان ييسر اللقاء حولها حين يجتمع القادة والساسة والرؤساء .

ثانيا : ان يضاعف الكتاب والمثقفون عنايتهم بضبط اصول الجدل وقواعد الحوار وآدابه .وان يطالبوا اجهزة الاعلام فى الدول العربية المختلفة بالتزام تلك القواعد والاداب . وان تهجر الى غير رجعة اسلوب الاثارة وحملات التجريح التى

هم البعض انها تقوى نظاما على حساب نظام
معين حاكما عربيــا على حاكم عربى اخر ..
حقيقة ان كل الانظمة العربيه من ضحاياها .وان
الحكام العرب منها على خطر عظيم .. وعي
ول ـ مثلا ـ ان يجلس الاقتصاديون العرب
وزراء العرب والعلماء العرب ، يبحثون اوجه
اون والتكامل والتنسيق فيما بينهم ، ثم تخرج
اعات والصحف العربية محملة بالوان من قوارص
لم وفنون التجريح والسباب ، بالغة فى ذلك
حيانا ـ مبلغا من الهبوط والتدنى يصدم الضمير
ربى ويخدش فى احيان كثيرة شعور الحياء
ربى .. ثم هى ـ بعد ذلك ـ تنتقل من موقف
موقف ، ومن نقيض الى نقيض ، مستهينة
ء المواطن العربى ومستخفه بحقه فى ان نقيم
ه العقلى والنفسى على اساس الثقة والتصدق
ترام الذات ..

ان اساليب التدليس الاعلامى لم تعد سرا على
. ولم تعد ممارستها فنا ينفرد به احد دون
... واسلحتها كلها قد صــارت متداولة
روفة : تعريف للكلم عن مواضعه ..

تجريح بالحق وبالباطل على السواء ..

وشحن للنفوس بالضغينة والبغضاء ..

وحجب لكل حقيقة ، او جزء من الحقيقة يستفيد
الطرف الاخر .. وتسقط للعورات والعثرات.
ضخيم لها ..

واساءة ظن وتاويل لكل ما يفعله الاخرون ..
كل ذلك متاح وميسور ..

ولكنه فى حق الامة ومصالحها وفى مستقبل
ضامن العربى كله جريمة لا تغتفر .. «وتحسبونه
ا وهو عند الله عظيم » .

ثالثا : ان يتجدد لدى الساسة والقادة الالتفات
اهمية الدور المنوط بهم .. واهمية التقائهم
فترات متقاربة ومنتظمة .. وهذا الضمان الذى
و شكليا هو فى تقديرى واحد من اهم ضمانات
وار العربى والعمل العربى المشترك ، فالقادة
ساسة بشر ، تؤذيهم كلمات التجريح ،وتسخطهم
رات النقد الذى لا يتحرى الانصاف ، ويعقد

علاقاتهم ـ ومعهم علاقات شعوبهم ـ طوال فترات
القطيعة والابتعاد ..

ان الذين يلتقون دوريا ، او فى فترات منتظمة
متقاربة لن يعز عليهم ان يطووا شقة الكثير من
خلافات الاجتهاد والتكتيك ،وان يقربوا ـ تدريجيا ـ
من نظرتهم الاستراتيجية فى كل قضايا المصير .

وبعد ..

فان الامل فى المستقبل العربى واسع ..
ولكن الطريق اليه محفوف

والقضايا المصيرية التى
مسيرتنا لا يمكن ان يسرت
العاقدين ، او حول العائد
والحوار ..

كما انها لا يجوز ـ مطلقا
لمحترفى التهجم والتجريح وايغار الصدور شــ
لامراض بعض الصدور ..

وليس هذا بحثا فى ضرورة الحوار ، بقدر ما
هو نداء للكتاب والمتقفين ، وللساسة وا
واولى الامر أن يختصروا الطريق ، وان يبـ
الحوار العربى ثم لا يقطعوه .. وان يلتزموا فى
ادارته وممارسته منهج الموضوعية واتساع الصـ
للاختلاف فى امور ـ هى بطبيعتها وحيويتها ميدان
طبيعى للاختلاف ..

وسيظل هذا القلم ـ مع اقلام اخرى كثيرة ـ
يردد هذا النداء .. لا يمل من تكراره .. حتى تستجيب
له اقلام وعقول ، وتهوى افئدة ، وتبدا جهود ..
واذكر ـ قبل ان اضع القلم عن هذه الكلمات ـ
حكاية رمزية يرويها عميد الادب العربى الراحل
الدكتور طه حسين عن معلم للقران كان يستهل
دروسه كل يوم بتلاوة قوله تعالى : «اذا زلزلت
الارض زلزالها» .. حتى ضاق به بعض السامعين
وراجعوه قائلين : متى تغادر حديث الزلزلة ايها
الاستاذ ، فاجابهم قائلا .. اغادره حين تغادر قلوبكم
مكانها » .

جامعة الكويت ـ احمد كمال ابو المجد

لو أردنا للثقافة العربية

بقلم : الدكتور علي الراعي

« ان اللغة العربية في خطر . والكتابة الصحيحة بها توشك أن تكون فنا بائدا . ونحن لا نفعل شيئا لكي نواجه هذا الخطر . بل ان الصحف التي كان لها الفضل يوم ظهورها في تبسيط اللغة وتخليصها من أكداس المحسنات البديعية وايصال معانيها للناس في أسمى صور .. هذه الصحف أخذت تسيء بدورها الى اللغة » .

■ تقف الثقافة العربية اليوم في مفترق الطرق . طرق كلها حافلة بالمغانم والاخطار معا. فمن جهة ، لم يحدث في تاريخ العرب من قبل ان تخلص لهم كل هذا المال وما يعنيه من قوة . ونفوذ وامكان لتغيير مجرى الاحداث . ومن جهة ثانية لم يحدث ان اختلف العرب كل هذا الاختلاف على أشياء أساسية ، اذا لم يتم الاتفاق عليها فقل على العرب ، وليس على الثقافة العربية وحدها ، العفاء .

هناك مثلا اجماع على أن هذه أمة واحدة . يؤيد هذا الاجماع رقعة فسيحة من الارض تمتد من الخليج الى المحيط . تتحدث لغة واحدة . وتتبع تقاليد متشابهة . ويربط بينها مصير واحد . ويهددها كذلك عدو واحد .

وقد كنا نلقن قديما ان الامة هي أرض مشتركة ولغة واحدة، وتاريخ واحد وهذا كله موجود في حالة الامة العربية . فلماذا اذا هذا الخلف الشديد بين حكومات الدول العربية ؟ لماذا تقف الجزائر موقف الحذر من المغرب ؟ ولماذا تتحفز كل من مصر وليبيا الواحدة بازاء الاخرى ؟ وما معنى أن يقتتل السلاح العربي المواطن العربي في لبنان الى غير هذا من مشاهد دامية تتقطع لها نياط القلوب .

مستقبلاً !

السبب – في رأيي – في كل هذا العلاق هو ان العرب قادة وحكومات وشعوبا لم يحسموا أمرهم في مسائل كبيرة بالغة الحيوية. لم يقرروا بعد : أهم يعيشون في الربع الاخير من القرن العشرين . أم انهم يعيشون فيه بالجسد فقط . أما عقولهم فتنتمي الى عشرات القرون الى الوراء.

ان العرب يركبون أفخر أنواع الطائرات وبعضهم لهم طائرات خاصة تنقلهم الى أين يشاءون في ساعات. وهم يديرون قرص التيلفون فيتصلون في دقائق بلندن أو باريس أو غيرهما من عواصم العالم .

وفي بيتهم من متاع الحضارة الحديثة ما يزري بخيال كثير من القصص الخيالية . وهم يلبسون اللباس العالمي خارج بلادهم . وكذلك تفعل نساؤهم وبناتهم . وبناتهم خاصة شديدات التحمس للعلم والتعليم بوصفهما سلاحا في معركة نحو التطور . تشعر المرأة ان لا مناص من أن تخوضها .

والعرب – بعد هذا – أعضاء نشيطون في المنظمات العالمية المختلفة . وما أن تستقل من دولهم واحدة الا ويكون همها الاول الانضمام الى منظمة الامم المتحدة وفروعها المختلفة. كما انهم – كعرب – من أنشط الناس في حضور المؤتمرات والاشتراك في المهرجانات والمناسبات الاجتماعية والرياضية المختلفة .

لماذا – اذن – يتعمق لدى كل عربي مخلص ان هذا النشاط كله مظهري صرف . وان بعضه مقصود به التباهي . وان البعض الاخر لا يعامل المعاملة الجادة التي يستحقها .

نأخذ مثلا قضية محو الامية . وهي القضية المحورية التي ينبغي ان تدور حولها الجهود للنهوض بالامة العربية ودفعها دفعا من عشرات القرون الغابرة الى حياة القرن العشرين .

تتعثر الجهود في هذا الميدان الهام تعثرا واضحا ومخجلا . وبدلا من ان ينقص عدد الاميين يزداد عددهم عاما بعد عام . بفضل المواليد . ومن المشكوك فيه ..
محو الامية ينبغي ان
اي انه لا محو الامية

والاسباب التي تساق
عاما بعد عام هي الامـ
قلة الاعتمادات المالية
للمعلمين . ميل الاطفال الى الهرب من المدارس والانطلاق الى حياة يرونها ارحب والذ .. الخ .

غير ان هذه – في رأيي – أسباب واهية كلها . واهية لانه لا تصميم واضح وراءها على قطع دابر الامية بخطط واضحة فعالة . مثلما تفعل – مثلا – هيئة الصحة العالمية حين تقرر ان تحاصر مرض الجدري فتعمل في هذا السبيل عاما بعد عام الى ان تتوج جهودها بالنصر . فتعلن اعلانا حضاريا رائعا تقول فيه للعالم : الان قضينا على وباء الجدري !

من الواجب ان تعامل الامية في بلادنا العربية معاملة الوباء . فتوضع خطة متعددة المراحل على مستوى الوطن العربي لاستئصال شأفة هذا الوباء بوصفه أكبر عامل مفرد يؤدي بالامة الى التأخر والانتكاس .

ويساعد في انجاح هذه الحملة على الامية ان ترتبط بحملة مماثلة لتحديد النسل في البلاد العربية التي تعيش مشكلة الانفجار السكاني .. وهنا سوف نصطدم بالفكر التقليدي المتحجر الذي يرى في الماضي كل ما هو جميل وخير . ولا يرى في الحاضر الا تشويها لهذا الماضي الجميل . ومن ثم ينفق كل جهده في محاولة جر الامة عشرات القرون الى الوراء .

تنبأ ارنولد توينبى فى أحد كتبه بنشوء نظام اجتماعى وسياسى يحكمه التكنوقراط : أى الفنيون والخبراء فى مختلف اتجاهات الحياة . وقال توينبى أن هذا النظام لن يكون ديموقراطيا أو ليبراليا . بل سيكون تحكميا تتحكم فيه الاحصاءات والبيانات . فاذا كانت موارد دولة ما لا تحتمل الا عددا معينا من السكان . فان كل فرد قابل للانجاب فى هذا النظام ستعطى له بطاقة أشبه ببطاقة التموين . بمقتضاها سمح له بعدد محدد فقط من الاولاد . ان تعداه . حسب ذلك عليه جريمة تدخله السجن .. !

هذه النظرة التى قد تبدو للبعض متطرفة . مغالية فى التشاؤم . قد تصبح قريبا حقيقة رهيبة واقعة . وعلماء التغذية ـ على أية حال ـ يتحدثون من زمن عن مجاعة موشكة . موعدها الثمانينات أى بعد سنوات قليلة من الان .

فتنظيم الاسرة وتعليم الافراد أمران هامان جدا لو كان يراد للامة العربية ان تبقى على قيد الحياة ـ مجرد البقاء على قيد الحياة . والا فان مصيرها لن يختلف عن مصائر أمم كثيرة انقرضت وبادت كل اثارها .

فاذا افترضنا أن العرب قد شرعوا فى محو الامية وتنظيم النسل بنجاح . حق لنا ان ندعوهم الى شىء اخر يثبت اقدامهم ويعطيهم مكانا مرموقا بين الدول. وهذا الامر هو حسن استخدام الثروة الطائلة التى خلصت لهم من باطن الارض على شكل ذهب اسود . لاقامة دولة عربية عصرية حقا .

لقد فعل هذا فى مصر محمد على الكبير حين أستورد من اوروبا الناهضة كل من يستطيع مساعدته على اقامة دولة عصرية : انشئوا له الطرق والكبارى والقناطر والجسور والمدارس والشوارع والجيوش والمدارس العسكرية والفنية ومدارس التمريض وكل ما يكون الدولة العصرية حقا . فعل الرجل هذا ولم يكن له الا النزر اليسير من الثروة الطائلة التى هى من نصيب

فلماذا لا يفعل العرب هذا كله . وهم قادرون على أكثر منه ؟

السبب فى هذا ان الوحدة العربية لا تزال حكمة تقال . وحين تعرض فرصة مواتية لاقامة الوحدة العربية فى أى من أجزاء الوطن العربى تنهال عليها السكاكين . وتتفجر فى وجهها القنابل والمدافع . ويكون بين الايدى التى تسارع الى القضاء عليها ايد عربية كثيرة !

لنواجه الواقع المر ادن . ولنعترف بان بعض العرب لا يريدون الوحدة العربية . وانهم قانعون وراء حدودهم . راضون بجزئيتهم . اعمالا للمبدا القائل : نصف رغيف اكله وحدى . خير من رغيف كامل يشاركنى فيه الغير !

وهؤلاء العرب ليس من مصلحتهم الوحدة ايضا لانها تهددهم بقيام نظام للحكم يقوم على الديموقراطية والشورى . واعتبار الفرد . بدلا من وشائج القربى ومصلحة الاسر وروابط المصاهرة .

ومع ذلك فما لم يعم الحكم الديموقراطى العصرى فى بلاد العرب كلها . فلن يكون هناك مجال لامة عربية تتعدى سنواتها ما بقى من القرن العشرين .

ان هذا الحكم الديمقراطى هو الذى سكافح الامية . وهو الذى سيطلق العقل العربى من أساره . وهو الذى سيفصل فى قضيه طال نقاشها وهى : هل نتخذ التراث بقضه وقضيضه اسلوب حياة لنا . أم ننتقى منه ونختار ما يصلح لزماننا ومكاننا ؟ هل نعتقد مع البعض ان الارض مسطحه وان الانسان لم تطا قدماه ارض القمر أم نؤمن حقا وفعلا بانتصارات العلم وما تمثله من حضارة لم يعد يجوز ان نعتبرها غازيه مدمرة لان فى امكاننا دائما ان نحسن استخدامها لمصلحتنا . مهما كان مصدرها ؟

ان تعلم القراءة والكتابة هو الذى سيطلق صوت الملايين الخرساء التى لا تكتب ـ بسبب أميتها ـ ولا تجد من يكتب لها أما لانه لا يعرفها فينظر اليها نظرة سطحية . أو لانه يتجاهلها بوصف أنها أقل من أن تحظى بالاهتمام .

ولقد قلت فى مقال سابق لمجلة العربى(١) ان الثقافة العربية هى فى الواقع ثقافتان متنافرتان. لا أمل لهما فى الالتقاء الا بشروط : ثقافة الملايين بما فيها من أخطاء وتحيزات وأوهام وجهل وحكمة وحقـائق تخلصت للعربـى الشعبى عبـر القرون • وثقافة القلة المنعزلة التى تدور حول نفسها ولا يهمها الا أمور حياتها • وقلت اذ ذاك أنه لا أمل أمام الثقافة العربية الا اذا منحت الفرصة للملايين ليشاركوا فى صنع ثقافه حقة لهم، ويدخلوا على ثقافة الاقلية الحيوية والبهجة والطزاجة وصدق الرؤية التى كثيرا ما تفتقدها هذه الثقافة ومن ثم يكون فى امكان الملايين ـ ايضا ـ ان يستمتعوا باجمل وأعمق ما فى ثقافة القلةمن نتاج بعضه شامخ ورائع ومعبرة للانسانية •

وقيام الوحدة العربيه على اسـس ديموقراطية كفيل بان تلتحم الثقافتان : وتصبحا ثقافة قومية بالفعل تتشابه وتتمايز هنا وهناك حسب الاحوال السائدة فى البلاد العربية الواحدة . فيكون فى هذا نكهة خاصة لكل ثقافه عربية محلية . وتصبح الثقافة كالنساء الجميلات : كل مليحة بمذاق•• !

ويرتبط بمستقبل الثقافة العربيه ايضا قدرة اللغة العربية على الانتشار • ونحن نعرف طبعا أن لغتنا غير منتشرة فى العالم . لاسباب تاريخية، كاضطهاد الاستعمار الغربى لها قرونا طويلة . ولاسباب أخرى بعضها من صنع انفسنا • فقد رفضنا المرة بعد المرة ان نيسر اللغة العربية نحوا وصرفا وكتابة على الناشئين وعلى الراغبين فى تعلمها من الاجانب •

والنتيجة المرة لكل هذا ان اللغه العربية توشك ان تكون كاللغات البائدة يعرفها أهلها بصعوبة ويكتبونها بصعوبه . فاذا فارقوا مقاعد الدرس او سنوات الدراسة ارتدوا أميين كارهين كل الكره لهذه اللغة الجميلة •

اما الاجانب الراغبون فى تعلم العربية فان حظهم ليس أحسن من أبناء المدارس . والان يقوم موقف خطير حقا : فالعالم كله راغب فى تعرف المزيد عن العرب . ونسبة من جامعاته ومعاهده تدرس الادب واللغة العربية كيما تطلـع علـى ما ينشىء ادباؤنا وفنانونا من أدب . فاذا جاءوا ليطلعوا على هذا الادب وجدوا معظمه عنا من ناحية الاسلوب . منبت الصلة بالتراث العظيم للادب العربى . غير معبر الا عن أحلام واشواق صانعيه وحدهم •

ان اللغة العربية فى خطر • والكتابة الصحيحة بها توشك ان تكون فنا بائدا . ونحن لا نفعل شيئا لكى نواجه هذا الخطر • بل ان الصحف التى كان لها الفضل يوم ظهورها ء اللغة وتخليصها من اك وايصال معانيها للناس ، الصحف اخذت تسى بدو كثيرة ترد فى صلب المقالا بل وفى العناوين الرئيسـ يصطنـع لنفسه اسلوبا غريبـ ـ الـ ـية والاخطاء . وهو يتعمد ان يدخل الجمله على الجملة على العملة فى غير خجل ولا منطق زاعما ان هذه هى شخصيته فى الكتابه •• ويقدم للنشر بل ولزملائه من الصحفيين اسوا ما يحتذى عن مثل •

ان مجهودا رئيسيا ينبغى ان يتم لتبسيط قواعد اللغة ورسم حروفها . حتى يستطيع النشء ان يستوعبها وحتى تكون أداة طيعة لنشر ثقافتنـا العربية فى الخارج ـ الثقافة التى نطمع فى ان تكون لنـا . اذا اننا حقـا وصدقا ناسـا امة واحدة . وان ثروات ـ الامة ينبغى ان تنفق فيما يعود على جميع العرب بالخير . وبما يتيح لهم ان ينتقلوا من مركز المستهلك المعجب بالاعيب الحضارة . الى موقف الشريك الجاد . الذى يرى انه لا حق له فى ان يستهلك شيئا لم يسهم فى صنعه : الشريك الصانع . والزارع والمهندس والمقيم . وليس الجالس على الوسائد المريحة يعرض عليه السماسرة ما لذ وطاب فيشترى لعبا وترهات يدفع فيها ـ فى الواقع ـ ليس ثروته وحسب . بل و مستقبل امته أيضا • ■■

جامعة الكويت .

---

(١) العربى العدد مايو ١٩٧٦ (صفحة ١٥)مقال بعض هموم الثقافية •

من التراث الحديث

هــل الخلا

■ ان الشقاق وليد الانانية، والانانية طبع غريزى فى الانسان ،و
هذه الانانية لا يكبحها الا التربية الاجتماعية المتينة ، والتشكيلات الحك
القوية ، والنزعة المثالية ، والايمان الدينى أو القومى أو الوطنى العمي

ففى كل أمة من أمم الأرض ، وفى كل دور من أدوار التـاريخ
أناس تتغلب فى نفوسهم الانانية على العـوامل التى ذكرناها آنفا ، و
الرأى العام من جهة ، والقوانين الموضـوعة من جهة أخرى ، تعاقب
وتعزلهم عن المجتمع بصور شتى ووسائط متنوعة ، وتجعلهم عبرة للآخر
فتحول بذلك دون استفحال هذه الانانية وانتشارها بين الناس ٠

غير أنه يأتى أحيـانا فى كل أمـة من أمم الارض بعض الادوار
التاريخ ، تضعف فيه هذه القوى الوازعة ، فتنفلت الانانيـات من عقا
وتتضاءل تأثيرات الرأى العام فيها ، فتقل سلطة الحكومات عليها ، وكل
يؤدى الى ازدياد الشقاق وانتشار الخلاف بين الناس ٠

هذا ما حدث ، وما يحدث ، وما سيحدث فى كل أمة ٠

وليس فى طباع العرب ما يجعلها شاذة عن سائر الامم فى هذا المض
يجب علينا أن نعرف ذلك حق المعرفة، كما يجب علينا أن نعتقد اعت
جازما ، بأن طبائع الامم لا تبقى على وتيرة واحدة على مر العصـور ،
صدق من قال : « ان من يتوهم الاستقرار فى طبائع الامم ، كمن ينشد ال
فى الموجات التى تحدث على سطح الماء عند ما ترمى حجرا فيها » ٠

فأن الماضى لا يقيد الحال تقييدا مطلقا وتحقق الوحدة والاتفـاق
الماضى لا يكفى لدرء أخطار التفرقة والشقاق فى الحال، كما أن حدوث التف
والشقاق فى الماضى لا يمنع الاتحاد فى المستقبل ٠

فيجب علينا أن نتخلص من نزعة الانشغال بالماضى كثيرا ، وأن نقلع
الانتفات الى الوراء دائما ٠ فلا يجوز أن نحاول تبرير مساوئنا الحالية بنقا
أسلافنا الاقدمين ، ولا أن نسعى لالقاء مسئولية نكباتنا على عاتق تاري
القديم ، ولا يسوغ لنا ــ على وجه خاص ــ أن نستسلم الى دواعى ال
والكسل ، وأن نتقاعس عن الكفاح والعمل ، بحجة أن الحالة الحاضرة ت
حتمية لطبائع الامة ولمجرى تاريخها العام ٠

لا ريب فى أن حالتنا الحاضرة سيئة للغاية ، والنكبات التى منينا
أخيرا كانت فى منتهى الفظاعة، كما أن الاخطار التى تهدد مستقبلنا عظيمة ج

غير أنه يجب علينا أن نعلم العلم اليقين أن أسباب ذلك لا تعود الى ط
أمتنا ، ولا الى ماضينا البعيد ، بل انما تعود الى أخطائنا نحن ٠

انى لن أحاول فى هذا المقام أن أحلل وأسرد الاسباب التى أدت
نكباتنا الاخيرة واستوجبت فشلنا الاليم ، ولن أبحث عن الاشخاص الذين

ساطع الحصري
(١٨٨٠ ـ ١٩٦٨)

قدر العرب؟

أن يعتبروا مسؤولين عن هذا الفشل وتلك النكبات. ومع هذا [illegible] أقول بلا تردد
أن أهم الأسباب ـ في نظري ـ هو [illegible] بعيدين عن [illegible]
العصر الذي نعيش فيه، وتقصيرنا في التسلح بسلاح العلم [illegible].

غير أني أرى أن هناك [illegible] ربما كان أهم [illegible]
ذلك هو ضعف إيماننا [illegible] بالقومية، وعدم [illegible]
القضايا بعزم وحزم.

إننا لم نستجمع قوانا [illegible] والمعنوية، ولم نحشدها لتحقيق [illegible]
بل إننا عملنا بتراخ [illegible] عزم قوي وتخطيط متين [illegible]
فوتت فرصا كثيرة وسهلة في [illegible] سريع.

وأستطيع أن أقول إن الإيمان [illegible] العميق بإمكانيات [illegible]
الحازم المتواصل لتحقيق غايتنا، [illegible] الكفاح مصحوبة [illegible]
التضحية الحقيقية، [illegible] مدعوما بالأمل الذي لا يقهر...

هذه هي أهم ما يترتب علينا من واجبات بعد هذه النكبات.

أقول هذا وأنا ألمح معالم الخور والقنوط بادية على بعض الوجوه
وهمسات الشك والاعتراض منتشرة في كل الجهات...

نعم، إني أدرك وأشعر وألاحظ كل ذلك إدراكا تاما وشعورا عميقا
وملاحظة دقيقة، وأتألم من كل ذلك ألما شديدا.

ومع هذا أرى من حقي أن أسأل بدوري: ألم تبتل أمم كثيرة بنكبات
مثل هذه، بل وأشد منها؟ فهل كانت نكبة روسيا وألمانيا بعد واقعة [illegible]
ـ مثلا ـ أقل هولا وفظاعة من نكبتنا الحالية؟ ومع ذلك ألم يستطع الألمان
أن يتخلصوا من آثار هذه النكبة؟

وهل كان فشل مؤتمر فرنكفورت في ألمانيا ـ قبل قرن واحد من
يومنا هذا ـ أقل خطرا من فشل مجلس جامعة الدول العربية هذه السنة؟
ألم يقل بعض الساسة ـ عقب انحلال المؤتمر المذكور ـ «إن الألمان فقدوا
حتى قابلية الدفاع عن أنفسهم»؟ ألم يتساءل بعض الكتاب عندئذ قائلين
«أين هي ألمانيا؟ هل لها وجود في غير مخيلة بعض الشعراء وأحلام بعض
رجال السياسة». ومع كل ذلك ألم تتحقق وحدة ألمانيا في حياة من
حضروا مؤتمر فرنكفورت الفاشل؟

وبناء على هذه الملاحظات أقول بلا تردد: لا يجوز لنا أن نترك مجالا
لتسرب الخور والقنوط إلى أنفسنا. ويجب علينا أن نعلم علم اليقين
أن النكبة لا تصل إلى حدها الأقصى إلا عندما تثبط العزائم. كما أن الفشل
لا يصبح تاما إلا عندما يؤدي إلى التقاعس عن مواصلة العمل والكفاح..

فعلينا أن نحذر كل الحذر من العمل على زيادة النكبة وإتمام الفشل
.. بالاستسلام إلى القنوط والخور...

الخليل ابراهـ

« من لم تمكنه زيارتي فليزر قبر ابي ابراهيـــم »

« حديث شريف »

يم .. أسيرا
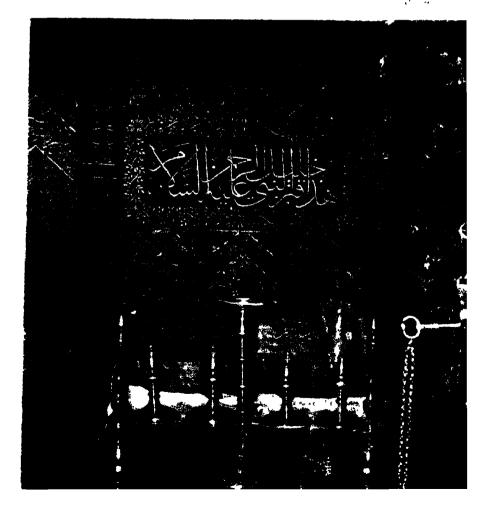
قبر الخليل ابراهيم والمدينة الاسيرة • القبر جدد منذ مائة عام •

■ يكاد الصدام الدموي بين العرب والاسرائيليين في مدينة الخليل ان يصبح بابا اسبوعيا ثابتا في الصحافة العربية والعالمية • ذلك انه ما من اسبوع يمر الا وتشهد هذه المدينة التي تضم قبر ابي الأنبياء ابراهيم عليه السلام ، صداما بين العرب اصحاب الأرض منذ الازل ، وبين قوات الاحتلال والمستوطنين الاسرائيليين ، «الطامعين في الارض» ، «القادمين من الكتب القديمة» ، على حد تعبير الشاعر الفلسطيني محمود درويش •

لم تكتف اسرائيل باحتلال المدينة ، ومصادرة الحياة فيها عام ٦٧ • ولكنها ذهبت الى ابعد من ذلك بكثير . عمدت الى تهويدها بالكامل ، وتحويل الحرم الابراهيمي الشريف الى معبد يهودي !

ذلك كله على مسمع ومرأى من العالم الاسلامي كله . والضمير العالمي الذي يقف موقف المتفرج من جرائم ترتكب كل يوم ، ويعلن عنها بكل وسائل الاعلام ، وتستخدم فيها اكثر الأساليب استغفالا واستخفافا بعقول البشر •

منذ وقع قبر الخليل ابراهيم في أسر الاسرائيليين عام ١٩٦٧ ، والدعاوى تتردد عن ان المدينة كانت مقرا للملك داود قبل كذا الف سنة ، وانه اقام فيها سبع سنوات وستة اشهر (!!!)

استنادا الى مثل هذه «الحجج» ، والى خرافات بغير حصر ، تتحدى العقل الانساني وتسخر منه ، تمضي اسرائيل في خطة تهويد المدينة ، وتهويد الحرم الشريف ذاته ••

وهكذا تتحول الخرافة الى حجة تبرر طرد شعب من ارضه ، ومسخ تاريخ امة بأسرها ، وانتهاك حرمة ارض مقدسة منذ عرف التاريخ المكتوب •

ولأن اسرائيل هي الفاعل الأصلي ، فكل شيء مقبول ومعقول • الخرافة تصبح منطقا • والوهم يصبح حقيقة • والهدم يصبح تعميرا • والقتل يصبح مشروعا ومباحا ، بل مطلوبا « لمقتضيات الأمن » !!

واذا كان ما جرى في فلسطين سيظل وصمة عار في تاريخ هذا العصر ، وشهادة تدين اجياله وحضارته ، فان ماجرى ويجرى في الأراضي المقدسة هو تجسيد حي لتلك الوصمة •

الجريمة التي تشهدها القدس ، والتي لحقت بالمسجد الاقصى يعرفها الجميع ، وسكت عنها الجميع •

والجريمة التي تتم في الخليل ، والتي يسكت عنها الجميع ايضا ، هي موضوعنا هذه المرة •

والمسافة بين المدينتين ـ القدس والخليل ـ لا تتجاوز ٢٠ ميلا • ولكن القصة التي تجرى في كلتيهما واحدة . مع اختلاف طفيف في التفاصيل•

لا يسجل تاريخ مدينة الخليل دورا ملموسا لليهود في اي مرحلة ، باستثناء فترة الانتداب البريطاني التي امتدت ٣١ عاما ، بين سنتي ١٩١٧ و ١٩٤٨ • في هذه الفترة بدأت احلام الصهيونية العالمية تنشط وتستيقظ • وبدأ المخطط الذي وضعه المؤتمر الصهيوني الاول في اخر القرن التاسع عشر ، يدخل حيز التنفيذ •

ذلك انه طبقا للاحصاء الرسمي لعام ١٩٤٥ ، والنكبة على الأبواب ، كانت نسبة عدد اليهود في قضاء او محافظة الخليل هي واحد في الالف من مجموع سكانها • وما يملكونه فيها اقل من ٣ في الالف بالنسبة لمجموع مساحتها •

وبعد نكبة سنة ٤٨ ، واعلان تقسيم فلسطين ، سمحت دول الغرب مع الولايات المتحدة باغتصاب نصف مساحة قضاء الخليل ، ولكن المدينة ذاتها نجت من الاغتصاب •

وكانت الحركة الصهيونية قد بدأت تمهد للزحف على المنطقة في السنوات الاخيرة للانتداب البريطاني • فاقامت خمس مستعمرات في نطاق

> • ● « اما الخليل وما جاورها فانها بلاد الله المرجاة • كثيرة القمح والكروم والزيتون وجميع اصناف الخضراوات • وانعامها تلقح مرتين كل عام • ونحلها يبني خلاياه في صخور جبالها الجميلة ، المكسوة سفوحها بما لا يحصى من الأشجار المثمرة ، كالزيتون والتين والخرنوب والتفاح ••• ليس تحت السماء مكان يعدل هذه البقعة » •
>
> الراهب الروسي « دانيا » ١١٠٦م

امام في الحرم الابراهيمي

قضاء الخليل ،عرفت باسم مجموعةكفار عتصيون. اربع مستعمرات منها بنيت على طريق القدس ـ الخليل ، فى موقع يبعد مسافة ١٣ كيلو مترا عن مدينة ابى الأنبياء ، ومثلها عن مدينة بيت لحم • أما المستعمرة الخامسة فهى تحمل اسم غالعون ، واقيمت الى جوار قرية زيتا التى تدخل فى نطاق قضاء الخليل ايضا •

واثناء حرب ٤٨ ، استخدمت المستعمرات الاربع الاولى فى قطع الطريق بين القدس والخليل ، فهاجمها العرب ودمروها • لكن اسرائيل اقامت بديلا عنها بعد التقسيم ١٨ مستعمرة فوق القرى العربية التى دمرتها ، وطردت سكانها منها •

وظلت اسرائيل تضع اعينها على مدينة الخليل. فاقامت فى عام ٦١ بالقرب منها مستعمرة كبيرة فوق تل عراد ، فى مكان بلدة عراد العربية الكنعانية القديمة • وحملت المستعمرة نفس الاسم Arad وانتهى بناء المستعمرة فى سنة ٦٥ • وضمت فى البداية ٩٠٠ يهودى ، ارتفع عددهم اخيرا الى ٢٧٠٠ • وانشا اليهود فى المستعمرة مصنعا للغاز الطبيعى . وآخر بتروكيماوى لانتاج الفوسفات •

كل ذلك تمهيد لما هو قادم •

ثم سنحت الفرصة بعد هزيمة يونيو ٦٧ ، فاستولت اسرائيل على قضاء الخليل كله ، بما فيه مدينة ابى الانبياء،وهو يضم ٣٥ قرية كبيرة، و ١٠٩ من القرى الصغيرة •

ولم تضع سلطات الاحتلال الوقت ، بل سعت حثيثا من اجل تحقيق حلم الصهيونية القديم : تهويد الخليل بعد تهويد القدس ، وتثبيت دعائم دولة اسرائيل •

صار خليل الله ابراهيم أسيرا • واصبح قبره العتيد فى قبضة الصهيونية• ورفرف علم اسرائيل لاول مرة فى التاريخ فوق مدينة الكروم والزيتون •

فرصة لا تعوض

بعد الاحتلال العسكرى ، بدأت اسرائيل تنفذ مخططاتها •
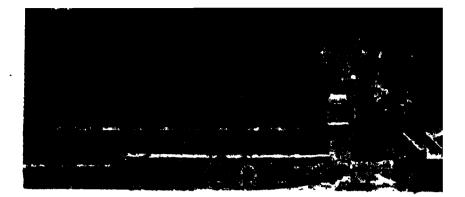
السور الضخم الذى يحيط بالحرم الابراهيمى والذى يصل طول الحجر الواحد منه الى سبعة أمتار ، وتحته شجرة البلوط العتيدة التى قيل ان النبى ابراهيم سكن تحتها ، وقد أسندت الى مجموعة من الاعمدة لتحميها من السقوط . ثم ضريح لاحد الانبياء وبعض المسلمين حوله يبتهلون ويتبركون .

36372
6-2-79.

في العام ذاته ـ ٦٧ ـ بدأت اسرائيل في اقامة ثلاث مستعمرات جديدة ، على انقاض المستعمرات التي هدمت في حرب ٤٨ • اي ان اسرائيل عادت الى نفس المكان بعد ١٩ عاما لتبني مستعمراتها التي هدمت • اقامت في المنطقة مستعمرة تحمل نفس الاسم القديم : كفار عتصيون، ثم مستعمرة عين تسوريم ، والمستعمرة الثالثة تحمل اسم الون شابوت •

وفي مدينة الخليل سعت السلطات الاسرائيلية الى اقامة ضاحية يهودية بها ، على نمط الحي اليهودي الذي بنته في الناصرة • وبالفعل استقدمت عائلات يهودية عديدة ، استقرت بجوار مقر الحاكم العسكري للخليل ، وامام الرفض العربي العارم للتسلل الاسرائيلي الى قلب البلدة ، اضطرت سلطات الاحتلال الى نقل هذه العائلات الى ٢٥٠ بيت اقيمت في اطراف المدينة •

وكان مفهوما في البداية ان هذه الاسر اليهودية اخرجت من الخليل حلا لمشكلة تواجدهم وسط العرب في الخليل ، ولكن تبين فيما بعد ان المخطط ابعد من ذلك بكثير •

تبين ان هذه بداية مؤامرة جديدة لبناء مدينة يهودية كاملة تحل محل مدينة الخليل العربية الاسلامية •

ومن الكتب القديمة ، جاءوا بالحجة والدليل!

قالوا ان هذا التل الكبير ، الذي استولوا عليه وصادروا ٢٥٠٠ فدان للعرب فوقه ، كان مقرا لقرية اربع القديمة ، اصل مدينة الخليل ، الذي يرجع الى ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد ـ كذا !! ـ وقد ذكرت القرية في العهد القديم ، وكانت الهدف الذي قصده ابو الانبياء ابراهيم •

والى جانب محاولة الاستعاضة عن مدينة الخليل بمدينة اخرى فان المحاولات مستمرة ، بحذر بالغ لتهويد الحرم الابراهيمي ذاته •

ـ امتد العدوان والانتهاك الى داخل الحرم الشريف ، فوضع الاسرائيليون خزانة كتب في داخله ، ملئوها بالكتابات الاسرائيلية والصهيونيه • واكثر من ذلك ، وضعوا لافتات على أضرحة الانبياء باللغة العبرية ، حتى يعطى الزائر انطباعا ان هذا المسجد الاسلامي هو كنيس يهودي •

ـ تسربت معلومات اخيرة عن مخطط لانشاء كنيس لليهود ملاصق للدرج المؤدي الى الحرم الشريف •

هذه هي اجراءات اسرائيل التي عرفت حتى الآن، في مؤامراتها على الاماكن المقدسة • وهي تعتمد في الاساس على تطويع الحقائق التاريخية ، وافتعال احداث ووقائع لها اصول مجهولة من العسير اثباتها او نفيها ، ذلك ناحية •

ثم هي تعتمد من ناحية اخرى على غفلة الرأي العام العالمي ، وصمت العالم العربي والاسلامي وعجزه عن التصدي لهذه المؤامرات ، حتى على المستوى الاعلامي •

وقبل هذا وذاك ، فاعتماد اسرائيل على القوة المسلحة ، من الهراوات الى المدافع الثقيلة والمجنزرات ، ثابت في كل وقت • وبهذه القوة الغاشمة تواجه قوات الاحتلال كل مقاومة يبديها الشعب العربي في الخليل ، الذي يقف وحيدا ، اعزل ، يحاول ان يحمي الحرم الشريف من الغارة الخبيثة التي استهدفته •

رحلة مع التاريخ

بالتاريخ يلوحون دائما ••

لنبحث اذن في التاريخ المكتوب عن مكان اليهود في تلك البقعة المقدسة ، بغير افتعال اولي للحقائق وتطويعها •

فمن الثابت تاريخيا ان الخليل من اقدم مدن العالم • فهي بنيت بعد فترة وجيزة من بناء الاهرام في مصر • وهذا ما اكدته نتائج عمليات التنقيب عن الآثار التي اجرتها في منطقة الخليل بعثة جامعة يوتاه الامريكية التي رأسها البروفيسور فيليب هاموند • اثبتت دراسات هذه البعثة ان تاريخ المدينة يعود الى اكثر من ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد ، اي انها بنيت منذ اكثر من ٥٥٠٠ سنة•

لكن اسم الخليل اقترن بالمدينة في عصور متقدمة ، فقد كانت تدعى في الاصل « قرية أربع » ـ التي تحاول اسرائيل احياءها الآن ـ نسبة الى بانيها اربع ، العربي الكنعاني وهو كبير قبيلة العناقيين التي سكنت المنطقة في ذلك الزمن السحيق ، ولم تكن لها علاقة باليهود أو اليهودية •

وفي العهد القديم ان مدينة صوعن المصرية (المعروفة الان باسم صالحجر في دلتا مصر) بنيت بعد قرية « أربع » بسبع سنين • والمعروف ان صوعن هذه وجدت على الاقل منذ عهد الاسرة السادسة (٢٦٢٥ ـ ٢٤٧٥) ق•م •

موقع ديار خليل الله ابراهيم
من فلسطين المحتلة

وفى اوائل القرن التاسع عشر قبل الميلاد وفد الى « قرية أربع » ابراهيم عليه السلام قادما من الحجاز • وسكن تحت أشجار البلوط فى شمالها ، وهناك من يقول ان احدى هذه الشجرات باقية الى الان •

وفى تلك الاثناء توفيت زوجته « سارة » (ومعناها اميرة) ، وعندئذ دفنها سيدنا ابراهيم فى مغارة « المكفيلة » التى تشير كتب التاريخ الى ان الخليل ابراهيم اشتراها هي وحقلها من شخص يدعى عفرون بن صوحر الحثى •

وبعد سارة توفى الخليل ابراهيم ، فدفن فى المغارة ذاتها •

وبعده توفى ابنه اسحق وزوجته رفقة ، فدفنا الى جوار ابى الانبياء •

كذلك دفنت فى المغارة أيضا ليئة زوجة سيدنا يعقوب •

وفى العهد القديم ان يعقوب كان قد توفى فى مصر ، الا أن أهل الطب حنطوا جثته وجاء بها يوسف واخوته الى قرية اربع ، ودفنوه فى مغارة المكفيلة •

ولما مات يوسف فى مصر ...
خرج اليهود من مصر ...
الجثة معهم ودفنوها ...
ان جثته نقلت بعد ...
وعندما حط اليهود ...
تطورا جديدا ، ومثير...
دخل قائد يهودى اسمه...
يدمر ويحرق ويقتل • و... العناقيين العربية ووهب يوسع قرية أربع الى واحد من رفاقه يدعى « كالب بن يفنه » وغير كالب هذا اسم قرية أربع التى ظلت تعرف به مدة ١٤ قرنا ، وأطلق عليها اسم « حبرون » وهو أحد أولاده • وحبرون هذه كلمة عبرانية معناها « العصبة » أو الرابطة •

عندما حكم داود

وثمةروايات متعددة حولاحداث الفترة التالية• تقول أرجحها أن العناقيين تمكنوا من العودة الى قرية أربع وغيرها من مدنهم الجبلية • الا ان اليهود تغلبوا عليهم بعد ذلك ، واتخذ داود بن سليمان « حبرون » مقرا له لمدة سبع سنوات وستة أشهر • ولما استولى داود على يبوس (القدس) انتقل اليها •

سبع سنوات وستة أشهر فقط ، هى التى قضاها الملك داود فى تلك المنطقة ، منذ ذلك الزمن السحيق ، بينما العرب هم سكانها وأهلها على مدار التاريخ ، ومع ذلك تدعى اسرائيل ان لها « حقا » فى تلك الارض المقدسة •

وفى العهد الرومانى ، فى سنوات حكم الامبراطور يوستيفانوس (٥٤٧ ــ ٥٦٥م) اقيمت

منبر بالحرم الابراهيمى الشريف الذى نقله الى الحرم صلاح الدين الايوبى من ثغر عسقلان بفلسطين بعد تخريب الثغر بواسطة الصليبيين . المنبر مصنوع من افخر انواع الاخشاب ، ومطعم بالعاج ، ومصنوع فى عصر الدولة الفاطمية المصرية .
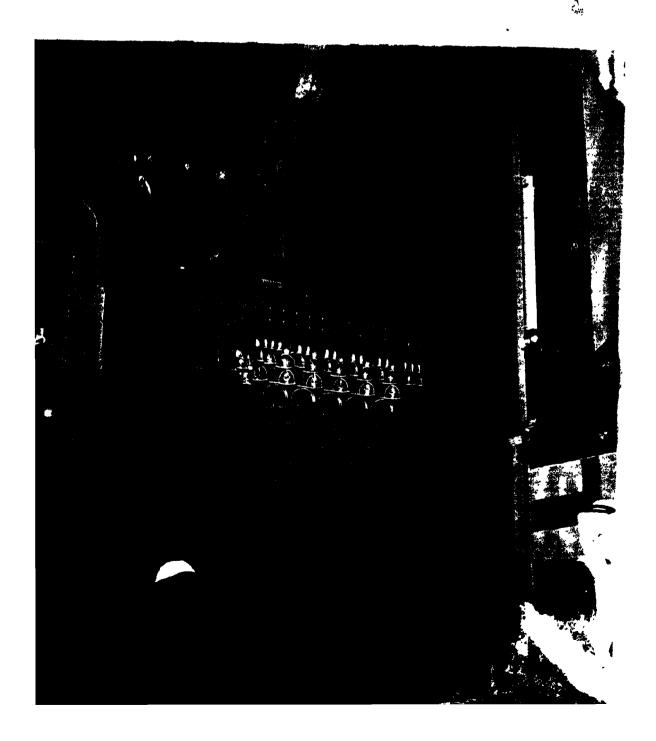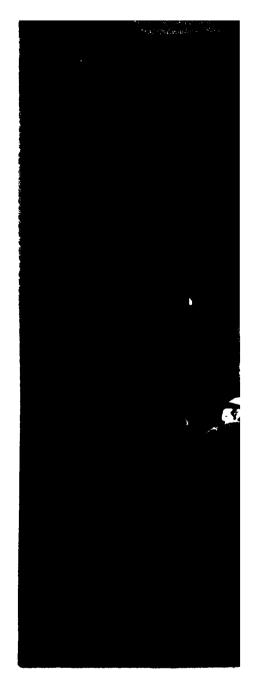
الدرج المؤدى الى الحرم ، والذى يحـاول الاسرائيليون بناء كنيـس لهم ملاصق له ٠
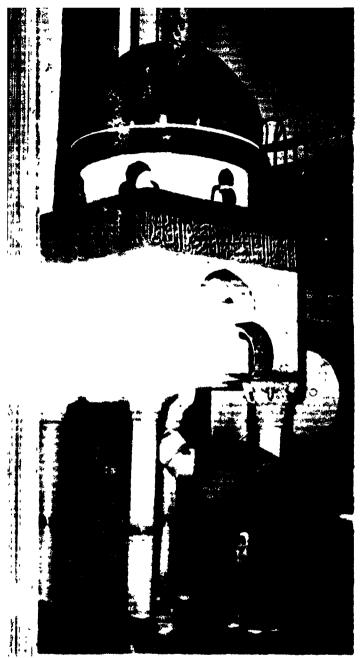
دكة المؤذنين التى يعلوها حاجز حديدى والتى تقوم على عمد رخامية مصنوعة بدقة ، وقد بناها السلطان صلاح الدين الايوبى ٠ وبجانبها قبة فوق مدخل الغار ، أمر ببنائها السلطان محمد الناصر بن السلطان قلاوون

كنيسة على مقبرة ابراهيم وعائلته • لكن الفرس هدموها في غاراتهم التي شنوها عام ٦١٤م • وبقيت كذلك الى أن دخل العرب المسلمون « حبرون » •

وفيما يبدو . فان الخراب الذى لحق بالخليل بسبب غارة الفرس كان كبيرا ، حتى أن اسم « حبرون » لم يذكر في الفتوحات الاسلامية •

وكان من الطبيعي أن تتجه أنظار المسلمين الى مقام جد الانبياء ابراهيم • فرمموا ما سمحت لهم الظروف بترميمه ، وشيد الامويون سقف الحرم الحالي والقباب التي فوق مراقد ابراهيم ويعقوب وزوجتيهما •

وفي العصر العباسي فتح الخليفة المهدى ـ ثالث الخلفاء العباسيين ـ باب السور الحالي من جهة الشرق ، وبنوا له المراقي الجميلة من ناحيتي الشمال والجنوب • وأمر الخليفة المقتدر بالله ببناء القبة التي على ضريح يوسف عليه السلام •

في قبضة الصليبيين

لكن الحال لم يستمر طويلا على هذا المنوال ، فقد سقطت الخليل بأيدى الفرنجة في عام ١٠٩٩م ، ـ ٤٩٢ هـ أيام الحروب الصليبية •

واهتم الصليبيون بتحصين المدينة لموقعها الجغرافي الهام ، حتى صارت تتحكم في كل المنطقة المحيطة بها • حولوها الى قلعة واطلق عليها اسم قلعه « القديس » ابراهام (ابراهيم) وحاول المسلمون انيستردوا مدينة الخليل فيعام ١١٠٧م، زاحفين اليها من عسقلان •وكادوا يستولون عليها، الا ان بلدوين الاول ملك بيت المقدس الفرنجي تمكن من ردهم •

وبعد حوالي نصف قرن من حكم الفرنجة ، اصبحت الخليل مركزا لابرشية ، ثم بنيت كنيسة على موقع الحرم الابراهيمي في عام ١١٧١م •

ولما استرد صلاح الدين الايوبي الخليل اثر معركة ابن الشهيرة (عام ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م) حول كنيسة الى مسجد ، هو الان الحرم الابراهيمي الشريف • ونقل اليه منبر عسقلان الذى كان المستنصر بالله الفاطمي قد امر بصنعه عام ٤٨٤هـ• وما زال هذا المنبر قائما الى اليوم •

غير ان الصليبيين واصلوا محاولاتهم لغزو المنطقة•وكانت آخر غاراتهم على الخليل تلكالتي حدثت في ربيع عام ٦٤٠هـ ـ ١٢٤٢م ،الا انالناصر داود ابن شقيق صلاحالدين تمكن من ردهم ،وبقيت الخليل عربية اسلامية •

ومع ذلك لم تسلم الخليل من محاولات الغزو • ذلك ان المغول وصلوا بغاراتهم الى غزة والخليل، بعد ما دمروا بغداد عاصمة الخلفاء العباسيينعام ٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م ، ثم تطلعوا الى الشام ، فدفعوا بجيوشهم اليها .وقتلوا وسلبوا ونهبوا الكثير • الا ان انتصارات « قطز » في عين جالوت عام٦٥٨هـ ـ ١٢٦٠م ، وضعت حدا نهائيا لهذه الغارات •

بصمات المماليك

وطوال تلك الفترة ، ظلت الخليل مدينة عادية، يعظمها المسلمون ، لكنهم لم يشغلوا انفسهم بتوفير مظاهر الفخامة والترف لمسجدها وقبورها ، وكانوا في ذلك ملتزمين الى حد كبير بالتصور الاسلامي الدقيق والصحيح •

لكن هذه الصورة تغيرت تماما في عهد المماليك• ذلك انه بعد حكم الدولة الايوبية ، ظهرت الى الوجود دولة المماليك التركية والشركسية التي دامت حوالي ثلاثة قرون •

وخلال هذه القرون الثلاثة ترك المماليك بصمات واضحة على مدينة الخليل ، والحرم الابراهيمي الشريف ، حتى وصف عهد المماليك في فلسطين بانه (من ازهى عصورها التاريخية) اهتم المماليك بتوفير مظاهر الفخامة والابهة للأماكن المقدسة ، ودور العبادة • تماما كما اهتموا بتثبيت الكثير منالعادات والتقاليد الجديدة علىالعرف الاسلامي، المولد وحفلات الافطار وانشاء القباب فوق القبور، وانشاء المساجد فوق قبور الاولياء ، الى آخر تلك المظاهر الجديدة على الاسلام •

ومن العهد المملوكي ، انتقلت الخليل مع بقية مناطق الشام الى الحكم العثماني •

وقد استولى العثمانيون على الخليل عام ١٥١٧م ، كما استولوا على بقية الشام على اثر معركة«مرج دابق»الشهيرة • واستمرحكمالعثمانيين اربعة قرون،بعده جاء الاحتلال البريطاني لفلسطين، الذى تستر وراء لافتة الانتداب ، وامتد من عام ١٩١٧ الى سنة ٤٨ ، عام النكبة •

طوال فترة الحكم العثماني ، كانت الخليل مدينة مزدهرة ، زراعيا وصناعيا وتجاريا ، فقد اشتهرت الخليل بصنع الصابون وغزل القطن وصنعالزجاج في معملها الوحيد بسوريا • وذلك فضلا عن مزروعاتها العديدةمن عنب وزيتون وقطن وغابات•
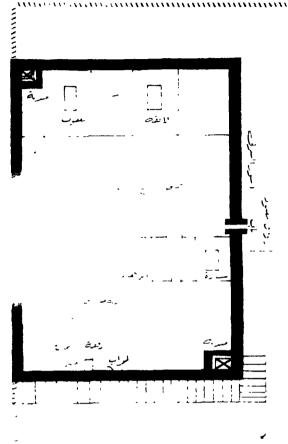
● زار الرحالة العربى الشهير ابن بطوطة مدينة الخليل فى القرن الثامن الهجرى ، وكتب يقول : سافرت من غزة الى مدينة الخليل صلى الله [illegible]

مدينة صغيرة المساحة ، كبيرة المقدار [illegible]

[illegible]

[illegible] لت بهذا الموضع مرات .

... وغابت الشمس !

ومع العهد البريطانى ، بدأت الشمس تغيب عن فلسطين .

بدأت المؤامرة التى انتهت بالتقسيم فى عام ٤٨ وشهدت سنوات الانتداب سلسلة من الاضطرابات التى فجرت الموقف بين العرب اصحاب الأرض واليهود الطامعين فى الأرض .

وتوالت السنوات ، والاضطرابات لم تتوقف ، لان المؤامرة كانت تدبر فى الظلام ...

وجاء الصدام العلنى ، وانكشفت خطط الصهيونية العالمية ، فى حرب ١٩٤٨ ، تم بتقسيم فلسطين واعلان قيام دولة اسرائيل .

وكان حظ الخليل ان نجت من حدود الدولة المزروعة غصبا وبالاكراه ، فوق ارض فلسطين ، واصبحت تحت حكم الاردن ، الى ان حلت هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

فى صباح الخميس ٨ يونيو استولت القوات الاسرائيلية على الخليل ، وبدأ فصل جديد ـ مثير ومأساوى ـ فى تاريخ المدينة البطلة .

ولازالت مشاهد هذا الفصل التعس امام الجميع .

هذه هى وقائع محنة الخليل ، التى هى جزء لا يتجزأ من محنة فلسطين . والوقائع تؤكد حقيقة لا ينكرها اى منصف ، هى ان اسرائيل اغتصبت فلسطين وانتهكت الاماكن المقدسة بقوة السلاح وحده . بفوهات المدافع دخلت ، وليس من باب التاريخ باى حال .

حياة المدينة من الداخل ، الطابع الاسلامى يؤكد بصماته فى كل موقع والسوق يموج بالحركة ، لكن المخططات الاسرائيلية تخبىء الكثير لتغيير ملامح المنطقة كلها ·

نماذج من المصنوعات الزجاجية التى اشتهرت بها الخليل منذ مئات السنين - كانت المدينة رائدة فى تلك الصناعة التى توارثتها عائلات كثيرة أبا عن جد ·

● هدية العربى ●

عالم الغد.. في الفضاء

فون براون

■ الغد الذى نتصوره اليوم ويعيشه ابناونا واحفادنا بعد ثلاثين او خمسين عاما او اكثر او اقل .. هذا الغد الذى يتسابق العلماء الان على تصويره لنا وعلى التنبؤ بما سيحمله من مفاجآت لانسان القرن الحادى والعشرين .. كيف سكون شكل الحياة فيه ؟ !

لقد حملت لنا السنوات العشر الاخيرة مفاجآت علمية مثيرة . اكثر بكثير مما تصورها خيال الانسان العادى .. ولكنها اقل ، فى الوقت نفسه بكثير ، مما تصوره العلماء الذين غزوا الفضاء وحطوا على القمر . وانطلقوا من بعده يبحثون عن محطات جديدة فى الكون الواسع الى كوكب المريخ والى ماورائه .. يقول العالم الالمانى فون براون « ابو الصواريخ » : « غدا ستنطلق سفن الفضاء حاملة مجموعات من البشر الى المستقبل : وهذه « الكبائن » الصغيرة التى تحشر فيها رواد الفضاء حتى تتحملهم معها الى العالم المجهول . هى نقطة البداية .. اما النهاية فلن تجىء ابدا .. فهى انطلاقة لن تتوقف . واذا توقفت فليس معنى هذا اننا قد انهينا من تجاربنا وابحاثنا .. معنى التوقف فى تجارب العلماء ومغامراتهم فى الفضاء هو الانتظار عند محطة جديدة والهبوط فوق سطح كوكب جديد .. تماما كما تتوقف الطائرة فى المطارات لينزل منها ركاب ويصعد اليها اخرون .. اما رحلة العلماء فى الكون فهى ماضية فى طريقها ولن تهدأ .. »

ماذا وراء غزو الانسان للفضاء ؟

يقول العلماء : « .. اننا نبحث عن اسرار هذا الكون الذى نعيش فيه والذى لم يتوصل اليه انسان من قبل .. نبحث عن الحياة فى الكواكب .. ونبحث عن التكوين البيولوجى لهذه الكواكب ! ان الارض هذا الكوكب الصغير الذى نعيش على سطحه اليوم قد ضاق او اوشك عن استيعاب الاعداد الهائلة من البشر الذين يقدر عددهم فى سنة ٢٠٠٠ (اى بعد اقل من ربع قرن) بما يزيد على سبعة الاف مليون من البشر ، وهو ضعف تعداد سكان العالم اليوم ! فاذا كانت ثروات الارض لا تكفى سكانها اليوم ، فكيف بها بعد هذه الفترة القصيرة من عمر الانسان ؟ !

قد نغزو البحار ونبحث فى اعماقها عن مزيد من الرزق ، وقد نحول صحراواتنا الى واحات ناكل حراتها .. ولكن مع هذا ستبقى الملايين من الافواه الجائعة تطلب المزيد !

من هنا كان اهتمام العلماء بالفضاء والكون .. ومن هنا كان اهتمام « العربى » بتقديم هديته للقراء عن انجازات الفضاء وعن الكبسولات او « الكبائن » كما اسماها فون براون التى ستصبح سفنا تنقل اهل الارض فى رحلات طويلة الى الفضاء بحثا عن حياة جديدة ورزق جديد .. وهى امنية البشرية فى مطلع كل عام منذ ان عرفنا طريقنا الى الفضاء ، ومنذ أن بدأ هذا الكون الفسيح من حولنا يصبح فى متناول يد الانسان ! ■■

م.ن

لا نعتقد ان هناك موضوعا حير الباب الكتاب وشغل من التفكير قديما وحديثا قدر ما شغله موضوع الطوفان في عهد نوح عليه السلام ·

سؤالان يثيران حيرة العلماء :

أين سفينة نوح ؟ وما هي حكاية

الطوفان ؟

بقلم : الدكتور أمين محمود عبدالله

■ لقد اثارت تلك الملحمة الكبرى اهتماما واسعا في الثقافات القديمة ، اذ ما من ثقافة كانت تخلو من حكاية تروى عن الطوفان العظيم فيما يروى من حكاياتها المأثورة او قصصها المتوارثة، او الفولكلور · وظلت هذه الملحمة تلح على تفكير الباحثين المحدثين وتدفعهم الى بذل الجهد من اجل تحقيق هذا الحدث الجلل : اين ومتى وكيف وقع ·

ومن اهم هذه المحاولات تلك الحفائر التي قام بها (جورج سمث George smith ـ من المتحف البريطاني ـ في أوائل هذا القرن في موقع (نينوى) القديمة ، حيث استطاع ان يجمع اللوحات المهشمة في هذه الحفائر ، وان يستنطق بالتالي ما عليها من كتابات ويترجمها بمعاني متكاملة · وكان اهم ما دون على هذه اللوحات ملحمة (جلجاميش Gilgamish) ·وقد عرف بعد ذلك أن هذه اللوحات كانت جزءا من مكتبة مشهورة جمعها واسسها الملك (آشور بانيبال) حوالي ٧٠٠ ق·م· لقد عثر جورج سمث على حوالي ٢٠٠٠ لوحة من هذه المكتبة القديمة تضمنت

فيما تضمنته ملحمة تشير الى احداث وقعت قبل عهد ذلك الملك بالاف السنين تلك هي ملحمة جلجاميش .

ان الاحداث التي تحكيها تلك الملحمة هي من الغـرابة بحيث اعتبرها بعض مؤرخي العصور الماضية جزءا من الفولـكلور . وقد ظهرت اول ترجمة للقصة مكتوبة باللغة الاغريقية ، وقام بنقلها من اللوحات الطينية حوالي ٢٧٥ ق.م. كاهن يدعى (بيروسوس Berossus) . وهناك نسخة أخرى من هذه الملحمة وجدت في ارض ما بين النهرين Meso potamia ، وهي نسخة اقدم من نسخة آشور بانيبال ويرجع تاريخها الى عهد (حامورابي) ملك بابل حـوالي ١٨٠٠ ق.م. وهناك ترجمة اخرى للقصة نقلها المصريون القدماء الى لغتهم الخاصة عن النص المسماري القديم .

تراث شعب قديم

ولم يدع اكتشاف نسخة حامورابي بالاضافة الى نسخة آشور بانيبال ادنى شك في ان القصة كانت اقدم بكثير من عهدي كلا الملكين . فلقد كانت تلك الملحمة جزءا من تراث شعب قديم جدا هو الشعب السومري الذي كان يستوطن الجزر التي ظهرت في المناقع بعد ان غيضت المياه . وقد قام جدل عنيف وطويل بين الكتاب حول هذا الموضوع ، واصبح من المعتقد الآن ان هذه القصـة ترتبط بفيضان عظيم حقيقي وقع حوالي ٤٠٠٠ ق.م. وادى الى محو شعب سومري قديم من الوجود . ولا بد ان يكون هذا الطوفان من النوازل الكبرى والكوارث العظمى ، والا لما استطاع ان يستحوذ على خيال الشعوب وان يترك هذا الاثر العميق في تفكيرهم طوال القرون .

وقد جاء في قصة (جلجـاميش) ان من بين الذين وقعت لهم تلك الكارثة العظمى شخصا يدعى (اتنا بشتيم Utnap'sht'm) . ويقول جلجـاميش في ملحمته . انه كان يتـوق الى معرفة سر الخلود ، ولهذا خرج مرتحلا مغامرا للبحث عن جده القديم المعمـر (اتنا بشتيم) ليساله عن هذا السر .. وعندما اهتدى اليه اخذ يقص عليه تلك الملحمة التي كتبت على اللوحات الطينية : ـ « كنت اعيش في مكان يعرف باسم (شرباك Shurruppack) . وكنت من اخلص المؤمنين بالالة (ايا Ea) . وعندما اقتضت ارادة الالهة ابادة النـوع البشرى انذر الاله (ايا) عباده بقوله : (يا اهل شرباك : اهدموا مساكنكم واصنعوا الفلك .دعوا الاموال وانبذوا الثروات . احتقروا الممتلكات . انقذوا حياتكم. اجمعوا بذور جميع الكائنات الحية في السفينة). وبنيت السفينة فكانت مسـاحتها ٢٠٠ قدم مربع وارتفاعها ٢٠٠ قدم والواحها مثبتة بالبيتومين. كانـت مكعبـة الشـكل ذات مظهـر عجيـب . استخدم في بنائها مقـادير عظيمة من الخشب والقار . وكانت مكونة من سبع طبقات كل منها مقسم الى سبع مقاصير . وكان لها باب وعدة كوى » .

الرعب في آداد

ويستمر (اتنا بشـتيم) يروى ما حدث من اهوال ، وجلجاميش يستمع اليه : « ولقد اخذت اراقب مـا يحدث من اهـوال . ان الرعب في (آداد) بلغ ذروته ، بعد ان حول كل ما كان مضيئا الى ظـلام دامس . لقـد دمرت الارض الشاسعة . ولمـدة يوم كامل جعلت العواصف والاعاصير تزمجر ، مستجمعة قواها كلما واصلت الهبوب . وقضت على الخـلائق كما لو كانت معركة . لم يعد أحد يرى الآخر . ولم يكن من الممكن رؤية الناس من فوق . واسـتمر هبوب الرياح ستة ايام وست ليـال ، والعـواصف الجنونية تكتسح الارض . وعندما جاء اليـوم السابع بدأ البحر في الهدوء ، وهدات العاصفة وتوقف الطوفان . وغاضت المياه . ونظرت الى الطقس ، لقد حل السكون وعاد النوع البشري الى الطين .واصبح الصعيد مستويا كسطح ممهد. وعندما فتحت كوة السفينة سقط ضوء النهار على وجهي ، فانحنيت بشدة وجلست اجهش بالبكاء والدموع تنهمر على وجهي . واستقرت السفينة عاليا على جبل نيزير Nisir . لم تكن هنـاك اية حركة ، واخـذت يمامة واطلقت سراحها ، فطارت بعيدا ولـكنها عادت ، ثم اخذت غدافا (غرابا أسود) فاطلقته . لقد طار الغـراب بعيدا . وكانت المياه قد تناقصت .الغراب يحوم وينعب ولا يعود . ثم اطلقت جميع الكائنات الى الخارج في اتجاه الرياح الاربع. وقدمت قربانا ».
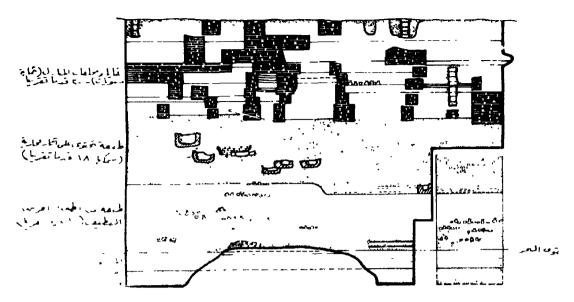
قطاع رأسي يمثل طبقات منطقة حفائر الطوفان في موقع مدينة (أور) القديمة

وقد ورد ذكر الطوفان بعد ذلك في سفر التكوين حيث قيل ان (نوحا) امتثل لامر الله ببناء السفينة ،فجعل طولها ٣٠٠ ذراع ، وعرضها ٥٠ ذراعا ، وارتفاعها ٣٠ ذراعا (اى نحو ٦٠٠ قدم ، ١٠٠ قدم ، ٦٠ قدما على التوالى) • وجاء فى سفر التكوين ان الرياح اخذت تعصف ودمرت الفيضانات والاعاصير الارض ،ثم اوشكت (الاربعون يوما) على النهاية عندما فتح نوح نافذة سفينته التى صنعها • واستقرت السفينة على جبل نيزير •

سفينة نوح

اما القرآن الكريم فقد تناول هذا الحدث الجسيم واجمل قصته فى بلاغة معجزة فى قوله تعالى فى سورة هود : « واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون • واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون • ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون • فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم • حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل • وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم • وهى تجرى بهم فى موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن من الكافرين• قال ساوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين • وقيل يا ارض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى وغيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين » •

كما ورد ذكر الطوفان ومصدره فى سورة القمر فى قوله تعالى : « ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر • وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر • وحملناه على ذات الواح ودسر • تجرى باعيننا جزاء لمن كان كفر » •

وظهرت نتيجة لذلك ايضا بعض الاجتهادات التى تفسر كيفية حدوث الطوفان ،ومنها ما ذهب اليه « وليم ويستون William Whiston » (١٦٦٧ ــ ١٧٥٢ م) من ان الطوفان مرتبط بحادث فلكي وقع للارض عام ٢٣٦٥ او عام٢٣٤٩ قبل الميلاد • وقد جعل « وليم ويستون » هذا الحادث اساس نظرية جديدةله عن الارض ،مصورا بذلك السبب الطبيعى لطوفان نوح • وخلاصة هذا الحادث الفلكى ــ حسب نظرية « وليم

ويستون » ـ ان احد المذنبات A. Comet مر بالقرب من الارض ، ونتج عن قوة جذبه لها ان اعتصرها ، فاتخذت شكل البيضة ، وترتب على ذلك ان تمـزقت قشرة الارض فاندفعت المياه الجوفية خارجة منها ، وحينئذ اتصلت هذه المياه الارضية بالميـاه المنهمـرة على الارض من ذيل المذنب الذى اخذت ابخرته تستقر حول النـواة المحترقة حسب جاذبيتها النـوعية مكونة طبقات متتابعة من السائل الثقيل والماء والتراب •

ما بعد الطوفان

ولنا أن نتساءل بعد ذلك : هل هذه القصص تدور حول طوفان معين بالذات ، أو انها تشير الى فيضانات مختلفة تفصل بينها ازمان طويلة ؟

ان المرجح لدى العديد من الكتاب ان تماثل الروايات يبعث على الاعتقاد بتطابق الاحداث وان رويت بصيغ مختلفة وتناولت اسماء متباينة •

ثم نتساءل ايضا : هل غمر الطوفان العظيم جميع الارض ، أو انه اغرق ارض ما بين النهرين فقط ؟ وهل كان ذلك الحدث الجلل نهاية الارض المستنقعية المليئة بالعزر وبداية تكوين الارض اليابسة الصلبة بين النهرين ؟

وعندما هدات العاصفة وغيض الماء : هل كان ثمة من المواد الرسوبية ما كان كافيا لتكوين تربة ذات سمك ثمانية اقدام من الغرين ـ وهو سمك تربة ارض الجزيرة ـ وكافيا بالتـالي لان يدفن مدن ما بين النهرين ويدفع بالساحل جنوبا فى الخليج ؟

ان الاجابة على هذه التساؤلات جميعا تكمن في ذلك الكشف الخطير الذى قام به العالم الاثرى البريطاني « ليونارد وولي Leonard Woolley » عندما كان يعمل فى حفائر مدينة « اور Ur » القديمة بين عامي ١٩٢٥ ، ١٩٣٠ : ففي سـنة ١٩٢٩ كان قد تجمع لديه كثير من المعلومات من تلك الحفائر تنتظر التصنيف والفهرسة • وقـد قامت زوجته « كاترين وولي Katherine Woolley » بجهد كبير فى معاونته •

فى تلك السنة كان شاغل « وولي » الوحيد هو تحقيق موقع مدينة « اور » القديمة وكانت العجوة والسرداب اللذان تم حفرهما فى الربوة الواقعة فى هذا المكان يزيد اتساعهما على ٢٠٠ قدم،ويبلغ عمقهما ٤٠ قدما ، ومع ذلك فان حدود الموقع لم تكن قد بلغت بعد • ثم اتضح بعد ذلك عندما اوغل الرجال فى الحفر نحو وسط الموقع وجود جبانة كبيرة فى ضواحي موقع مدينة اور • وكانت معظم المواد التى ازيلت من الحفر عبارة عن انقاض ونفايات تمثل بقايا الامم الغابره التى تعاقبت على هذا المكان • وكانت هذه البقايا توجد فى شكل طبقات متتالية امكن تمييزها بوضوح • وكما هو متوقع فان كل طبقة تمثل مدينة اور فى حقبة من الزمن ، وكل مرحلة منها قامت على انقاض مرحلة اخرى •

هياكل بشرية

ولكـن (ليونارد وولـي) لم يكن قـد نسي الاكتشاف البطولي الذى قام به (جورج سمث) والنصوص الاثرية التى عثر عليها والتى رغم الاختلافات بينها وتفاوتها فى القدم تتفـق فـي مضمونها العام وهو الاخبار عن قصة طوفان عظيم وقع فى ازمة غابرة • كذلك فان شيئا هاما يتصل بهذه الطبقة الطينية النظيفة قد ازعج وولي واثار دهشته •

لقد لاحظ أن هذه الطبقة الطينية لاتاخذ شكلا طباقيا ، وان مستواها كان أعلى من مستوى الارض السبخة الاساسية المحيطة بها والتى قامت عليها الاكواخ المصنوعة من عيدان القصب والطلح •

واستمر الرجال في الحفر قدما بعد آخر ومازال الطين نظيفا من اى أثر • وبينما كانت الفئوس والمعاول تتعمق فـي الطين النظيـف كان هناك تساؤل عام : اذا كانت هذه الارض ، كما اثبتت الظاهرات المكتشفة الاخرى ، قد نشات من المناقع، فكيف ومتى جاءت هذه الطبقة الطينية المرتفعة الى هذا المكان •

لقد كان (وولى) على حق حين اخذ يتابع شكه حتى يقطعه باليقين • لقد انتهت طبقـة الطين فجاة على عمق احد عشر قدما • ولكن شيئا مذهلا قد حدث ، أثار دهشة بالغةلدى جميع العمال الذين نظروا في ارتياع الى (ليونارد وولى) : ذلك انه عند هذا العمق بدات طبقات آخرى من الآثار والانقاض والهياكل البشرية في الظهورمرة آخرى •

لقد اخذ الجميع يعودون بذاكرتهم الى الماضى البعيد ، الى مدينة أور التى ازدهرت حتى سنة ٣٢٠٠ ق•م • ولكن مستوى الارض الاساسيالذى قامت عليه لم يكن قد تم التوصل اليه والتحقق منه بدقة • أما (وولى) فقد اغرق في التفكير حيث كانت تشغله طبقة الطين النظيف ذاتها • لقد كان يشعر باقتناع ماذا كانت تعنى هذهالطبقة الطينية ، ولكنه امر رجاله بالحفر في اتجاهات مختلفة على بعد عدة مئات من الياردات فقدكانت هذه الطبقة ممتدة على مساحة واسعة للغاية • وكان اسفلها طبقات من الاطلال والانقاضتنتمى الى حقب اخرى من الزمن• فما هذا اللغز المحير ـ وماذا يخفى وراءه ؟

لقد كانت المستويات العليامن هذهالطبقة الطينية ذات لون داكن ، ومكونة من مواد اكثر تفككا • اما المستويات الوسطى وهى صلب الطبقة فكانت افتح لونا واكثر تماسكا ولايمكن ان تكون الا نتيجة ارساب حادث من تدفق ماء منهمر بمقادير هائلة • ثم تعود المستويات السفلى من الطبقة الطينية فتصبح مرة اخرى اشد قتاما وتحتوىعلى مواد مختلفة •

لقد كانت الكارثة التىكانت تحكى عنها تلك الطبقة الطينية كارثة مروعة حقا ، اذ لابـد ان مدينـة (أور) نفسها ، وجميع المدن والقرى المعاصـرة لها والقريبة منها ، قد دفنت تماما تحـت هـذه الطبقة • لقداختفى كلشيء فيها ولم يترك الرا• اكتسحته العواصف المروعـة والامطـار المتهمرة والفيضانات المدمرة التى انصبت بشكل مفاجيء فاحدقت بالارض اليابسة واغرقتها • لقد جرفت هذه الرياح والامطار والفيضانات مقادير هائلة من الرواسب من المرتفعات المحيطة كافية لدفن كل مظاهر الحياة تحت طبقة من الطين ذات سمـك ثمانية اقدام •

أربعة آلاف سنة ق•م•

ان قصة الطوفان المرتبطة بنوح عليه السلام والفلك الذى صنعه لهى قصة قديمة حقا تعود على الارجح الى نحو ٤٠٠٠ •
مدينة آور فى طورها ...

ومن المعتقد ان سمـ
بنفسه ومن آمنوا مـ
فى الجبال التى تقع
ومن المعتقد ان يكون حـ
هو ماذكر فى القرآنالكريم ـ
فى بعض الكتب المقدسـة الاخرى وفى ملحمة جلجاميش باسم جبل (نيزير) فىتركيا ـ هوالجبل الذى استقرتعليه سفينة نوح بعد سكونالعاصفة وغيضان الطوفان •

وقد اتعب الباحثون انفسهم فى البحث عنهذه السفينة دون ان يصلوا الى شيء • ومازالت القصص بشانهـا تستهوى المكتشفيـن لمواصلـة البحث • وقد ادعى بعضهم انه وجد قطعا من الخشب المشكل فى تلكالجبال الخالية منالاشجار، وادعى البعض الاخر انه وجد صخرة لها شكـل السفينة • ومع ذلك فان دليلا قاطعا على و ا
سفينة او بعض منها مازال بعيد الاحتمال •
الدليل القاطع فقد قام فعلا على وقوع اعنف فيضان فى تاريخ الانسان• هذا الدليل انه فى الطبقة الطينية التى عثر عليها (ليونا، وولى) والتى تغطى آثار المستوطنات البشرية القديمة فـى موقـع مدينـة (آور) العاصمـة السومرية القديمة •

■■

امين محمود عبدالله
استاذ الجغرافيا المشارك بكلية الاداب
جامعة الملك عبدالعزيز ـ جده

الفرقعـــة

● بعض النـاس – اذا لوى عنقه بخفة او بسرعة خرج من التواء فقراتها صوت ، يسمى فى الفصيحة «فرقعة» وكذلك يسمى الصوت الذى يخرج من اصابع اليد او الرجل عند غمزها او شدها ، وفرقعة اصابع اليدين مكروهة فى الصلاة كما ذكرت كتب الحديث والفقه ·

والفعل « فرقع » يستعمل فى الغالب لازما · فيقال : « فرقع الرجل باصابعه » او « فرقعت الاصابع » كما يستعمل متعديا · فيقال « فرقع الرجل اصابعه » اى غمزها او شدها ، فكان هذا الصوت ·

وفى رحلة ابن بطوطة – عند كلامه على اهل مكة – يذكر من عاداتهم يوم الجمعة أن الخطيب يقبل للخطبة . وقد لبس ثوبا اسود ، « وبين يديه (امامه) احد القومة (الحراس) فى يده « الفرقعة » وهى عود فى طرفه جلد دقيق مفتول ، ينفضه فى الهواء ، فيسمع له صوت عال ، يسمعه من بداخل الحرم وخارجه ، فيكون اعلاما بخروج الخطيب ، ولا يزال كذلك الى ان يقرب من المنبر » ·

ونقول : أن هذه البدعة الصلفة قد بطلت الآن ، فلم نشهدها نحن ولا غيرنا عند زيارات الحرم ، ولا ندرى متى كان ظهورها ، ولا بطلانها ·

ولا نجد فى المعاجم هذا المعنى لكلمة «الفرقعة» فى دلالتها على الاداة التى تحدث هذا الصوت، دون دلالتها على الصوت نفسه ، ونحن نعدها فصيحة . فهى مجاز مرسل من باب اطلاق المسبب على السبب وتسميته باسمه ، او اطلاق العمل على اداته وتسميتها باسمه وأمثلته فى الفصيحةكثيرة، ولا سيما فىالمفعول المطلق، ونيابة اداة الفعل عن مصدره، وعكس هذا البابفى المجاز المرسل فصيح ايضا ، اى اطلاق السبب على المسبب او النتيجة وتسميتها باسمه . وامثلتهفى الفصيحة كثيرة ايضا ·

ونحن فى الدارجة اليوم نطلق كلمة «الفرقعة» على انواع كثيرة من الاصوات الانفجارية ،منها الصوتالذى يحدث من حكاصبع الابهام بالاصبع الوسطى او السبابة سريعا ، كمانرى من بعض الراقصات وغيرهن للتطريب ، او عند لفتنظر شخص او تنبيهه على امر ، او عند انفجار الهواء من شىء ملىء به كاطارات السيارات والانابيب وبالونات الاطفال ونحوها ، او انفجار اى غاز آخر من محبسه ، او قصف المدفع ، ودوى الرعد ·

ومع شيوع السيارات وغيرها من الاليات فى مدننا اليوم لم تزل فيها بقايا من الحوذية : اصحاب عربات الركوب التى تجرها الخيل ، ولكل حوذى سوط ذو طرف طويل مفتول دقيق منخيوط قوية . فاذا ما اراد أن يستحث خيله على السير او السرعة يهس بالسوط عليها.فاذانفضه فى الهواء خرج منه صوت ، وهو يكفى لتنبيه خيله لتنطلق (بدلا من جلدها بطرف سوطه اللاهب المبرح) ونحن نسمى هذا الصوت «فرقعة»

ولم يزل اهل الريف يستعملون اداة اشبه بهذا السوط ، ولكنها اضعف منه مادة وفتلا ومسا ، وهم – لرخاوتها – يسمونها « الرخو » (على وزن «دلو») وهى حبل طويل مفتول من الليف ، غليظ المقبض دقيق الطرف، ينفضونه فى الهواء فيحدث فرقعة ، ليهشوا به على حيواناتهم فتمضى فى ادارة الطواحين او السواقى ، او لسوقها فى الطريق .

وعندهم « المقلاع » وهو مفتول من ليف غالبا، يملاون كفه العريضة فى وسطه بصغار الحصى ، ثم يديرونه بسرعة فاذا افلتوا احد طرفيه

انطلقت الحصيات على الطيـــور الواقعة فى زروعهم وانطلقت فرقعة من طرفه المرسل ،وهذه وتلك تكفى لازعاج الطيور القريبة والبعيدة حتى لا تفسد ثمراتهم بالاكل او النقر ، ولابد ان تكون الحصيات صغارا حتى لايؤذى وقعها الزروع او الثمار الضعيفـة • وقـد كان هـذا المقـلاع قديما مـن ادوات القتال ، اذ توضع فـى كفـه العريضة الحجارة ولا سيما المسننة ، فاذا اصابت العدو آذته بشدة وقـد تقتلـه ، وبالمقلاع قتل داود عليه السلام عدوه جالوت او جليات كما جاء ذلك مفصلا فى كتاب العهد القديم ، وقد اشار القرآن الكريم الى هذا القتل ولم يذكر اداته •

كل هذه الاصوات الانفجارية تسمى فـى الدارجة « فرقعة » ونحن نعدها فصيحة ، ع' سبيل المجاز التشبيهى ، جنســا ونوعا ، فانها اصوات كجنس الاصوات التى تحدث من الاعـ م عند غمزها او شدها . وهى تشبهها نوعا فهـى مثلها انفجارية ، بل هى اشد انفجارا • والمجازات ـمرسلة وتشبيهية ـ مما ييسر التعبير، ويزيد اللغة مرونة وسعة ، وهذه من الظواهر العامة فى اللغات •

البعيد .. والأبعد

■ حين ننفر من شخص ، ثم نضطر الى ان نذكره فى حديثنا بالدارجة نقرن اسمه بكلمـة « البعيد » او « الابعد » وهو وصف اقرب الى الدعاء عليـه بالسوء ، واذا كان هذا الشخص امرأة قلنا مثلا : « البعيدة فلانة » ، او « فلانة البعيدة حدث لها ، او حدث منها كيت وكيت » • وكل هذا عربى فصيح فى اشتقاقه واستعماله •

فلقد كان اسلافنا العرب اذا احبوا شخصا او شيئا دعوا له بالقرب ، او ما فى معناه ، ليمتعوا انفسهم بعشرته ، فيقولون مثلا : قربه الله ، او قرب داره ، او يقولون : « لا أبعده الله » ، او : « لا يبعد » ، بل كانوا يقولون ذلك احيانا عند الموت ، وهو ادوم بُعد واقساه ، والى ذلك يشير مالك بن الريب المازنى فى قصيدته التى رثى بها نفسه ، حين أحس بدنو أجله مسموما من حية نهشته ، وتذكر ما سيقوله أصدقاؤه عند موته ، فقال :

يقولون : « لا تبعد » ، وهم يدفنوننى
وأيـن مكـان البعـد الا مكانيــا ؟

اما اذا نفر العرب من شخص او شيء فانهم يدعون عليه بالبعد او البعاد ، وما فى معنـاه فيقولون مثلا : « بعدا له » ، او « باعده الله » ، او « أبعده » ، اى حـــرمه او منعه الخير ، أو أبعده الله عنا وأبعد شره• وقد يقول العرب : « لا قربه الله » ،او « لا قرب داره » ،ومن ذلك فى القرآن الكريم :
شعر المتنبى فى صبا[illegible]
بمفرقه ـ قوله يصف ـ
صيـف الم برأسـ[illegible]
[illegible]
ابعد ، بعدت بياضا لا بياض له
لانت اسود فى عينى من الظلم

والعرب تصف البغيـض بانه « البعيد » و « الابعد » كشأننا فى الدارجة ، ومنه ما ذكره مختار الصحاح : « كب الله الابعـد لفيه » ، اى القاه على وجهه • ومن معانى البعد والبعاد : الهلاك واللعن ، وهو يشبه قولنا فى الدارجة : فلان الهالك ، او الملعون ، وكلها تتداخل وتتقارب فى المعنى ، ولكن الوصف « بالبعيـد والأبعـد والبعيدة » ادخل فى التهذيب من كلمة « الهالك والهالكة ، والملعون والملعونة ، واللعين واللعينة » وهذا ايضا انسب لادب الاسلام والسنة النبوية ، فحسبنا ممن ننفر منه بعاده عنا دون هلاكه وينسب الى النبى عليه السلام انه كان فى ركب ، فسمع رجلا يلعن مطيته ،لانها اتعبته ،فقال عليه السلام: « لا يصحبنا ملعون » ، ومن قوله أيضا « ليس المؤمن بطعان ، ولا لعان ، ولا فاحش، ولا بذيء »• وفى كلمتى الهلاك واللعنة قسوة وجفاء ، ولا شيء من ذلك فى الوصف بالبعاد او المباعدة •

محمد خليفة التونسى

اكثر قراء العربية يعرفون كتاب الشيخ رفاعة الطهطاوى الذى كتبه عن رحلته الى فرنسا بعنوان « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » ••وقليلون هم الذين قراوا كتاب الشدياق ، « كشف المخبا عن تمدن أوروبا »

الشدياق في أوروبا

(١٨٠٥ ـ ١٨٨٧ م)

بقلم : ابراهيم عوض

■ هو احد رواد النهضة العربية الحديثة ، وقد كان صاحب شخصية قوية استطاع ان يشق بها طريقه من الفقر الشديد الى الغنى ، ومن خمول الذكر الى الشهرة العريضة ، حتى ذاع صيته فى العالم الاسلامى كله عندما اصدر صحيفة (الجوائب) • كذلك استطاع أن يكون لنفسه ثقافة واسعة عميقة متعددة الجوانب فى آن ، تبدت فيما خلفه من كتب فى ادب الرحلات ، وفى الدراسات اللغوية التى برع فيها وبلغ مدى بعيدا ،وفى السيرة الذاتية ،اذ صور لنا شخصيته ووصف حياته فى كتاب من أبدع واظرف ما كتب فى التراجم الشخصية هو (الساق على الساق) •• بالاضافة الى كثير من المقالات التى عالج فيها شتيتا من القضايا السياسية والاجتماعية والحضارية وغيرها ، والقصائد التى يبدو انها لم تطبع حتى الآن فى ديوان •

عرف الشدياق رحمه الله الفقر المر فى بداية حياته ، فاشتغل بنسخ الكتب لاغنياء القراء ، فلم تكن المطبعة قد انتشرت فى ذلك الوقت • كذلك حاول العمل تاجرا متجولا بين البلدان والقرى ، ولكنه لم يرتح اليه ، ولم يصب منه ما يبتغى من رزق •• واشتغل ايضا بتدريس اللغة

العربية بمدارس الامريكان فى مالطة . وعمل بعد ذلك مساعدا للدكتور (لى) الانجليزى فى ترجمة التوراة الى اللغة العربية • وقد كفلت له الوظيفتان الاخيرتان مستوى مريحا من المعيشة. غير انه استطاع أن يحرز بعد ذلك ثروة وصيتا، وبخاصة حين استقر فى الاستانة . وانشا صحيفة الجوائب التى نالت شهرة عالمية ، وكانت لسان الخليفة العثمانى ، وحملت على كتفها الدفاع عن القضايا الاسلامية ، والوقوف ضد المطامع الاوروبية الاستعمارية •

كانت شخصية الشدياق من الشخصيات الخصبة ذات الاغوار الرحيبة البعيدة القرار • ولا شك ان بعض هذا راجع الى الظروف التى اكتنفت حياته ، كالفقر الذى علمه الاعتماد على نفسه ، ومجالدة شدائد الحياة ، والانتصار عليها •• وكالاسفار الكثيرة التى رأى فيها مصر ومالطة وفرنسا وانجلترا وتونس وتركيا ، واطلع على احوالها ، وتنبه لما بينها من مفارقات ، وعرف اسباب تخلفنا عن الاوروبيين والسبيل الى لحاقنا بهم • وقد ساعده على هذا كله ثقافة واسعة عميقة ،وخاصة فى التاريخ والاديان والاجتماعيات واللغويات •

وهى شخصية قلقة طلعة تحب التنقل ، وتكره الجمود والركود فى مكان واحد ، وتتمرد على المألوف ان لم تقتنع به وتطمئن اليه، مما يتطلب فى احيان كثيرة الجرأة وصلابة النفس : لقد ترك الشدياق مذهبه المارونى الذى ورثه عن اسرته وتحول الى البروتستانتية غير مبال بما كان يسود الحياة الدينية آنذاك من تعصب مفرط عنيف ، وفى تونس (وكانت سنه اثنين وخمسين عاما) اعتنق الاسلام وتسمى باسم احمد بعد أن كان يدعى (فارسا) ، ويذكر بعض مترجميه انه كان مهيا النفس من قبل للدخول فى الاسلام ، ثم جاءت مناقشاته مع شيخ الاسلام فى تونس فقطعت الشك باليقين • كذلك جمعت شخصية الشدياق بين حرارة العقل والقلب ، فقد كان ذا غرام بالقراءة والتأليف ، الا ان ذلك لم يمنعه ان يتذوق الحياة ، وكانت امرأته تعرف منه ولعه بذكر النساء ،وتغار من شعره الغزلى. كما كان الشدياق يحب التفنن فى الطعام . وكانت عيناه يقظتين دائما لكل ما يمع من حوله . ومن ورائهما ذاكرة واعية . وقدرة على الملاحظة الدقيقة اللاقطه •

كان الشدياق يمور بحرارة الحياة . ويتفطن لمواطن الفكاهة فى الاشياء والاحداث والاشخاص، مما يدل على نفس قوية تقدر على استنباط السرور واشاعة البهجة . وان ا... التهكم الواخز • لقد سد... الاساس . وجلافة ا... والتعصب الذميم . وس... الجهلاء والمستطعين . و... المجانة عابه عليه قوم وعد...

وكتابه (كشف المخبا عن ... لرحلته الى فرنسا وإنجلترا الى بدء سنة ... فى الثانى من سبتمبر سنة ثمان وأربعين وثمانمائة والف للميلاد . وهو ــ ان كان قد تكلم عن صقلية ومارسيليا ــ لم يتلبث عندهما الا قليلا. وجعل مدار كتابه على الريف الانجليزى ولندن وباريس ، فلم يترك شاردة ولا واردة مما رآه او قرأه متصلا بذلك الا سجلها تسجيلا مفصلا دقيقا : وصف البيوت وطلاءها . وكيف يعيش الناس فيها ،وما تحوى من أثاث وحجرات ،ووصف الطعام وألوانه وطرائق طبخه ،وما احبه او عافه منها . ووصف الشوارع والمعارض والمتاحف ووسائل المواصلات ونظام سيرها ، ووصف الأزياء وملامح الناس والوان سحنهم ، كذلك تناول العادات الاجتماعية ،وتقاليد القوم فى التزاور والحفلات •• الخ ، اذ كان الشدياق يهدف ان يعطى لابناء قومه صورة واضحة أمينة للاوروبيين والحضارة الاوروبية ، فاول سبيل الى اللحاق بعدوك والتفوق عليه هو ان تعرفه • والاوروبيون انفسهم لم يستطيعوا ان يهزمونا ويحتلوا بلادنا الا بعد ان درسونا دراسة شاملة مستقصية ،وهم ما زالوا يدرسوننا حتى الآن من مختلف جوانب حياتنا نفسيا ، وفكريا ، واجتماعيا ، وسياسيا،

واقتصاديا ، واخلاقيا ، ويرقبون التطور الذى يطرأ على كل جانب منها ، وتأثر حياتنا به ٠٠ الخ ٠

والكتاب ـ وان بلغ الثلاثمائة صفحة تقريبا (من القطع الكبير) ـ يشد قارئه اليه بما فيه من حيوية الوصف لهذه الدنيا الغريبة على صاحبه ،وحتى بعد مرور اكثر من مائة سنة على هذه الرحلة فانها ما زالت قادرة على شد الانتباه واثارة العقل والعواطف والخيال ، فهى تصف اوروبا منتصف القرن التاسع عشر ، ولا شك ان اوروبا قد تغيرت كثيرا منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ٠٠ ومن ثمة اهمية الكتاب : انه يفتح الباب امام المقارنة بين اوروبا الشدياق واوروبا الحالية ، وكيف تغيرت بها الاحوال ، وما المعنى التاريخى والحضارى لهذه التغيرات ، وما يشير اليه ذلك من اننا قادرون على ان نتغير ونتطور كما فعل الاوروبيون ، لو كسرنا ما بقى من اغلال الجمود والكسل النفسى والعقلى الفظيع الذى يمنع نبض حياتنا ان يسرع بالمقدار اللازم كى نصل الى مستوى من التحضر اقوى وارقى ٠

وهذه صورة من مارسيليا فى ذلك الوقت :

« هى وسخة الحارات والاطراف ، لكنها بهية الحوانيت والديار ، مبلطة الطرق ، وليس فى ديارها مراحيض ، وانما يجمعون اقذارهم فى وعاء الى ان ياتى رجل معه عجلة وعليها برميل كبير ، فيناولونه الوعاء ، فيفرغه فى البرميل ، وما يجمعه فيه فانه يبيعه لتدميل الارض ، ولا اعرف مدينة اخرى بهذه الصفة ، ومنهم من يقذف بالاقذار امام البيوت ليلا ، فلهذا يشم الماشى فى اكثر طرقها رائحة كريهة »٠ فهل ظلت مارسيليا على هذه الصورة الكريهة ؟ بالطبع لا ٠

والقارىء بلا شك يلاحظ هذا التصوير الدقيق الذى لا يفوته شىء فى المنظر الا سجله (العربة المكونة من عجلة وبرميل كبير ـ الاوعية ومناولتها لصاحب العربة وافراغها فى البرميل ٠٠ الخ)٠ والشدياق ـ كما هو ظاهر ـ لا يتحرج من وصف شىء ولا من ذكره ، ان لغته صريحة ، وقلمه امين، وليس ذلك من مجافاة الذوق ، بل العكس هو الصحيح ، لانه يريد من هذا التصوير ان يبغض الينا القذارة ، ويصفى اذواقنا ٠

والكتاب كله يجرى على هذا المنوال ، الا حين يدع الشدياق خبرته المباشرة ، ويستشهد بما فى الكتب من حوادث تاريخية او احصاءات ، فان القارىء يفتقد هذه الحيوية والحرارة ، ويشعر بحركة الاسلوب تبطىء ، مما يسبب له كثيرا من السام ٠٠ ان الكاتب حينئذ يستبدل باللغة الادبية لغة الارقام والتاريخ ، وشتان ما بين اللغتين ٠

وفى الرحلة لفتات تهكمية بارعة ، وبخاصة على المستشرقين الذين يتصدون لدراسة تاريخنا ولغتنا وديننا وعاداتنا ، رغم انهم لم يستكملوا عدة البحث ، فيقعون فى اخطاء شنيعة تجرهم اليها فى احيان كثيرة رغبتهم فى التحذلق والظهور فى ثياب العلماء المحققين الذين فهموا كل شىء ، واحاطوا بكل شىء علما ٠

وهذه صورة ساخرة تبين كيف ان ضيوف الانجليز لا يجدون فى مادبهم الكرم والبهجة اللذين يجدهما ضيوف الشرقيين :

« وعند صف ادوات الشاى تقوم الست ايضا، وتجلس فى الصدر ، وتسال من حضر :

ـ هل تريد ان تشرب شايا ؟

فيقول : نعم ، ان شئت !

فتقول : اتشربه مع السكر ؟

فيقول : نعم ، ان شئت !

فتقول : ومع الحليب ؟

فيقول : نعم ان شئت !

فتقول : وتاكل نصف هذه الكعكة ؟

فيقول : نعم ان شئت !

فتقول : وربع هذه الفالوذة ؟

فيقول : نعم ان شئت !

وكلما اكرمته باحدى هذه المركبات قال : انى اشكرك »

فاى بخل هذا الذى يتعامل ـ بدل الارقام الصحيحة ـ بالكسور ، وكسور الكسور !

ويلاحظ هذا الشكران المتكرر كلما (اكرمت) ربة البيت ضيفها بنصف او ربع او ثمن شىء من هذه الالطاف وكانها خروف !

على ان فكاهة الشدياق ليست من اللون الفلسفى العميق ، انها تتصل بالواقع اتصالا مباشرا ٠ فيها التفاتات الى نواحى النقص فى الاشياء والاشخاص ، وفيها الثقة بالذات ،وفيها اللذع ، ولكن ليس فيها هذا التعمق وراء اسرار الحياة ، حتى يصل المتالم الى الالم العبقرى

الذى يحاول ان يغطى عليه بالفكاهة والضحك ، كما نجد عند المازنى مثلا ٠

والكتاب ممتلىء بالحكايات يؤكد بها المؤلف آراءه وانطباعاته ، والنفس البشرية تميل الى القصص وتطلبه ، ولا شك ان ذلك باعث على النشاط والمضى فى القراءة ٠

ان هذه الحكايات تزيد الرحلة حيوية ،وتقربها من حلاوة السمر وما فيه من عفوية وتلقائية ٠ ومن هذه التلقائية ظاهرة الاستطراد ، وهى فى مثل هذا الكتاب غير معيبة ،لانه ليس بحثا علميا يراعى فيه التنظيم والتماسك ٠

ولغة الكتاب لغة سهلة مسترسلة ، ليس فيها سجع ولا محسنات لفظية ، لكنه راوح فيها بين النثر والشعر ، فهو حينا بعد حين يستشهد ببيت او اكثر له او لغيره ، مما يناسب السياق٠ والمراوحة بين النثر والشعر فى التاليف القديم كانت شيئا مقبولا ، بخلاف الامر الآن ، فالكتابة العصرية تمضى نثرية خالصة ، الا فى الندرة الشديدة التى تعد فى حكم المعدوم ٠

والفاظه وجمله عليها طابعه واضحا اشد الوضوح ، وقد اعانه على هذا ـ بالاضافة الى تمرسه باللغة ، واتساع معرفته بها ، وعمق تذوقه لها ـ انه كان احد رواد الكتابة فى العصر الحديث ، ومن ثم كان عليه ان يشق طريقه التعبيرى بنفسه غالبا ، دون ان تتردد على قلمه التعبيرات المحفوظة ٠ ومن الفاظه (الحافلة)اى العربة التى تجرها الخيول وتنقل الركاب داخل المدينة ، و (العاجلة) اى العربة ، (والجعل) وهو الاجر ،و (المضمار) وهو خط سير الحافلة، و (الشقعة) اى النصيب ٠ اما تراكيبه فيمكننا الاجتزاء بهذه الامثلة عليها : (نهروا اليها نهرا) بدل : شقوا ، و (سقطت شقعتك) اى ضاع عليك نصيبك ، و (ترجمة بعين الالفاظ والتراكيب) وذلك مقابل ما نسميه الآن « ترجمة حرفية » ، وهو يسمى رب الدار (السائد) وربة الدار (الست) ٠ واحيانا يكتب اللفظ الاجنبى كما هو ، مثل (الستى) اى المدينة الصغيرة و (البنك) اى المصرف ، و (البوسطة) اى البريد ٠

وقد كانت له ترجمات لكثير من هذه الاسماء لم يكتب لها الشيوع والبقاء مثل (الورقات اليومية) للصحيفة ٠

ان لغة الشدياق ليس فيها ادنى كلفة ، الا ان هناك شيئا من الصعوبة فى متابعتها ،ويرجع ذلك اولا الى خلو الكتاب من علامات التر[illegible] فقد طبع منذ نحو مائة سنة [illegible]
ولا علامة استفهام ولا غ[illegible]
تعين على فرز الجمل [illegible]
تختلط وتشوش ذهن القار[illegible]
الى انه يتكلم كثيرا عن [illegible]
خبرة معظم القراء ، كاسم[illegible]
الغربية : (الهرطمان ـ الهند[illegible]
السيلقون ـ السرنج ـ النطرون ـ عود برازيل ٠٠ الخ) ٠

واخيرا لا بد ان ننبه الى ان الشدياق رغم انه عالم ضليع فى اللغة ، واديب ومفكر كبير ، فان ذلك لم يمنعه من الخطا بين الحين والآخر ، فهو يقول مثلا : (لا بد وان) وتصويبه : لا بد ان ، او لا بد من ان ٠٠ وهذا الغلط الشائع (رغم ان الامر كذا الا انه كذا) والصحيح : رغم ان الامر كذا فهو كذا ٠ وهذا ليس ماخذا كبيرا ، فالكمال لم يكتب لواحد من البشر ، ولكن ذلك لا يمنعنا من التنبيه اليه ، ومحاذرة الوقوع فيه ٠ ■■

ابراهيم عوض

■ كنت دائما اتوق لأن ارى الدنيا بعينى العجوزين ، فلما رأيتها ، ادركت اننى لم اعد انتمى اليها !

« سومرست موم » فى عيد ميلاده الثمانين
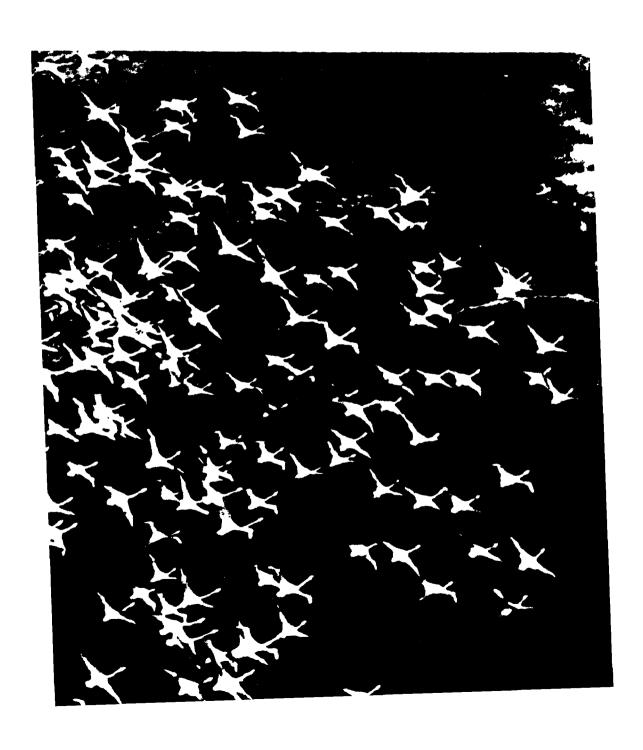
هجرة الطيور

الطير المهاجر.. زائر القطب
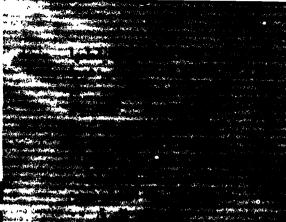
دراسة اعدها :

وجدى رياض

■ غيرت الطيور المهاجرة الى مصر والقادمة من القطب الشمالى وأوروبا طريقها هذا العام ··· ولم تعد الارض المصرية منطقة جذب للطيور المهاجرة من صقيع أوروبا ··· ولم يعد منبت الخصب العظيم ـ الدلتا ـ كافيا لجذب ال ٢٢ الف طير · ولم تستقبل الشباك النايلون المنصوبة على طول الساحل الشمالى هذا الموسم اكثر من ٦٠٠٠ طير مهاجر . وبالتحديد ٦٢٢٠ طير اعياه التعب وهدته الرحلة الطويلة ·· وقاوم الرياح الغربية التى كانت هدفا مستمرا فى البحر الابيض المتوسط لاول مرة هذا العام محاولا الوصول الى بر مصر لينعم بالدفء ··· وليحافظ على جنسه من الانقراض ·· قبل رحلة العودة فى الربيع القادم ··· الى موطنه الاصلى فى اوروبا ليبنى عشه . وهناك تنتظر الاناث التى سبقت بصغارها عودة الذكور ، ومع افراح الربيع ، ومع عودة الذكور من رحلة المخاطر ··· تبيض وتفقس الاناث ومظاهر الفرح مستمرة وزغاريد استمرار الجنس والبقاء تنطلق من بين الاغصان··· ورائحة التجاذب الجنسى تعطر الاوكار ··

ان هذه الظاهرة العلمية ... التي حملها الينا هذا الموسم ـ شدت أنظار العلمـاء في مراكز ابحاث هجرة الطيور في كل وسـط أوروبا .. وكانت علامة مميزة أمام الباحثين في مركز ابحاث هجرة الطيور في قرية بهيج التي تبعد ٥٨ كيلو مترا غرب الاسكندرية على طريق الساحل الشمالي الغربي ... تلك القرية التي ترسـم مع لوحة الصحراء الغربية الصفراء بقعة خضراء أصبحت مع الايام مهبط رحلات الطيور المهاجرة بعد رحلة ـ حتى الآن ـ يحاول العلم جاهدا تفسير بعض غموضها .

حياة ... في ربيع دائم

ومن الاجتهادات التي حاولت الاقتراب من هذه الظاهرة ان طيور الشمال مرهفة الحس والاعصاب ...او بمعنى أدق ان ٥٥ جنسا من طيور الشمال تحب ان تنعم بربيع دائم فتهجر أوكارها عندما يحل شتاء أوروبا القـارس وعندما يلمح الطير السحاب الاسود الداكن المسافر من القطب وعندما تنكمش ساعات النهار .. تحمل الاناث صـغارها الى الجنوب بحثا عن الدفء ومن خلفها الذكور في جماعات كبيرة ، وفي بلاد الدفء تنعم الاناث وصغارها بالجو الدافيء ... وعندما يحل الصيف في مصر .. ويلهب حرّ الصـحراء عيون الطير يترك عشه ويرحل بالصغار ـ الذين بلغوا ـ في الطريق الى اوروبا مرة أخرى حيث الربيع ...

ولكن الأمر المؤكد أن هجرة الطيور .. لا تفسر على أنها رحلات سياحية ...

رحلة تدريب طولها ٢٠٠٠ ميل

والبعض الآخر من علماء الطيور يحاول تفسير ظاهرة الهجـرة ... على انها رحلة شاقة .. تتدرب فيها صغار الطيور على مشقة السـفر فتحمل الاناث صغارها في رحلة الـ ٢٠٠٠ ميل من أقصى الشمال ... الى الجنوب الى القارة الافريقية حيث تعبر القارة الاوروبية كلها والبحر الابيض وبسرعة تتراوح ما بين ٧٠ الى ٨٠ ميلا في الساعة ، وعلى ارتفاعات شاهقة متفادية ابراج التليفزيون وأسلاك البرق وهـواة الصيد ... وحيث يطل مثلث الخصب ـ الدلتا ـ بعد زرقة البحر ... فتنحرف قليلا الى الصحراء ... حيث قرية بهـيج الخضراء فتهبط لاهثة في أحضـان شـباك النايلـون الامريكيـة المـادة واليابانيـة الصنع .

وبمجرد هبوط الطير ... تبـدأ مرحلة علمية طويلة وفق ٨ خطوات لعمل ارشيف علمي يحمل بين طياته كل اسرار الطيور التي زارت الارض المصرية ..

طيور أوروبا .. تهجـر بلادها !

وثمة اجتهاد ثالث يقول ان هدف الرحلة من أجل البقاء .. بمعنى البحث عن الطعام ...بعد ان حجبت حبات الثلج المتساقط والامطار الارض فقطعت كل سبل العيش والبحث عن الطعام .

وتصبح مهمة البحث عن الطعام لصغار الطيور المهاجرة مهمة شاقة تجعل الطيور قلقة على صغارها وعلى اطعامهم ... كما ان الاوكار تصبح غير صالحة للسكنى والمعيشة والحركة ...

وأسال المسئول عن مركز أبحاث هجرة الطيـور المهندس شريف توفيق عن مصير طيور اوروبا في الشتاء ... فرد بسرعة قائلا ... وليس معنى ذلك ان أوروبا تعيش شـتاءها بلا طيور ... فليست كل الطيور مستعدة للهجرة ... وليست كل الطيور تملك جهاز حساسية مرهف مثل السمان والخضير ... ولهذا السبب وحده تهاجر طيور وتتاقلم أخرى مـع الجو .. تماما مثلما يملـك البشر ... من أجهـزة حس .. يؤقلمها حيثما امكن .

عبور البحر ١٠ مرات!

اما الراى الرابع فيقول ... ان رحلات الهجرة المؤقتة .. تهدف الي « كمال » نمو أجسام الطيور قبل بلوغها ... والذى يرجح كفة هذا الراى ان متوسط عدد رحلات الطيور المهاجرة لا يقل عن ١٠ رحلات ما بين الشمال البارد والقطب ... وبين الجنوب الدافىء وخط الاستواء .. يقطع فيها الطائر فى كل رحلة ما لا يقل عن ٢٠٠٠ميل ... صحيح هناك علاقة ما بين طول جناح الطير ووزنه وطول رحلته ... بدليل ان طائر الغضير وزنه لا يزيد عن ٧ جرامات ... وقدرته وطاقته لا تتحمل لرحلة طيران تبدأ من فنلندا وتنتهى على الشاطىء الدافىء ... فى مصر ... بينما طائر السمان ... فان وزنه ما بين ٨٠ الى ١٠٠ جرام .. وياتى طائرا من الاتحاد السوفيتى ويتوغل الى الجنوب حتى السودان ... ثم يعود الى بلاده عن طريق تركيا ... من نفس خط وادى النيل .

وثمة طيور تعبر البحر لاكثر من ٢٠ مرة مثلما أكد طير « مالك الحزين » فى عبوره للبحر المتوسط ..

ومنذ ان بدأ متحف سميثونيان Smuthsonian فى نيويورك رحلة البحث وراء هجرة الطيور ... فقد وقع اختياره على القاهرة وقامت حدائق الحيوان فى مصر بالاشراف على الفكرة على حد تعبير الدكتور محمد عبد المنعم وكيل الحدائق ، ولكن العمل والجهد الحقيقى يقوم به قسم متخصص فى وحدة الابحاث الطبية الامريكية بالعباسية ـ النمرو ـ وهو اختصار لكلمة وحدة الابحاث الطبية للبحرية الامريكية N.A.M.R.O ... حيث تم اختيار قرية بهيج فى الصحراء الغربية لتكون مركزا لاستقبال الطيور المهاجرة .

وموسم الطيور المهاجرة يبدأ من ١٥ أغسطس تقريبا ... ويمتد حتى أواخر نوفمبر تقريبا... بداية موسم الغريف ... ومعه ينتقل جهاز البحث من العباسية الى الصحراء الغربية ...فى انتظار زائر القطب من الطيور المهاجرة .

وعادة تزورنا طيور من جنسيات مختلفة ... وكان زوار هذا الغريف من الطيور من الاتحاد السوفيتى ، وتشيكوسلوفاكيا ، وفنلندا ،وفرنسا، والمانيا الديموقراطية ،والمانيا الاتحادية، وهولندا، والمجر ، وبولندا ، ورومانيا ، والسويد ، ويوغوسلافيا . صحيح كل هذه الدول تمثل جنسيات الطيور ، ولكن ليست بالضرورة تمثل الانواع ، وفى كل موسم يزور [illegible] نوعا من الطيور .

بطاقة شخصية لكل

والسؤال اذا كانت انواع شكلها مثل المنقار أو الاجنحه فكيف التعرف على جنسيتها ؟!

والواقع ان هناك بطاقة شخصية دولية معروفة يحملها كل طائر .. مثل جواز السفر الذى يحمله الانسان المهاجر ... ومن خلال البطاقة الشخصية يمكن التعرف على جنسية الطير ، وبالاتصال ببلده ... تأتى المعلومات كامنة .

وبطاقة الطير الشخصية عبارة عن دبلة من الألومنيوم .. يحملها الطير حول قدمه ... وفيها جنسية البلد القادم منها .. والدبل انواع ومقاسات عددها ستة .. كل دبلة حسب حجم رجل الطائر ..

وعند اصطياد الطير ... ورفع رقم الدبلة او الدبلة نفسها من حول قدمه تبدأ مرحلة الاتصال المباشر مع بلد هذا الطير من خلال الارقام التى يحملها .. وتعود الرسالة من بلده تحمل يوم اطلاقه وسنة الاطلاق .. وخطى الطول والعرض، ثم تبدأ مرحلة أخرى جديدة ... بتصنيف الطير وتحديد صفات الريش ونوعه وجنسيته وحالته

الصحية التي عثر عليها .. ومكان العثور عليه، ويحمل بطاقة فيها كل هـذه المعلومات مدونة ...

دبلة الخطـوبة

وعلى حد تعبير المهندس الزراعي شريف توفيق مدير المركز - أن البحث لا يتوقف عند هذا الحد .. ولكنه يمتد في رحلة تبدأ من أول السـاحل الشمالي الغربي - من قرية بهيج - وحتى السلوم نلتقي مع الاعراب ونستلم منهم الدبل ..والطيور .. بعد توزيع صناديق صغيرة من النايلون يحملون فيها الصيد ... ثم نبدأ خط سير آخر على طول وادي النيل حتى النـوبة نجمع فيها البطاقات الشخصية الخاصة بطيور الهجرة .. أو بمعنى اخر نبحث عن الدبلة الالومنيـوم التي عقـدت خطوبة بين مصر وكل طائر مهاجر اليها .

ولهذه الدبلة عدة معـان ... فهي جاسـوس يبوح باسرار حركة الطير وهجرته .. فعنـدما تصطاد القاهرة الطائر المهاجر اليها .. توقع معه اتفاقا من جانب واحد .. يعقد فيها خطوبته الى مصر .. وتحمل الدبلـة في رجله اسم حديقة حيوان مصر .. ورقم الدبلة وحجمها .. وعندما ينطلق الطير في رحلاته وجولاته ..وعندما يلتقطه مركز ابحاث في اي مكان في العالم يبلغ مركز ابحاث مصر بالعثور على الطائر الذي حمل الدبلة المصرية .. وهنا تتشابك خيوط المعرفة والبحث عن سكة الطائر - وهنا تبدأ مراكز البحث في كشف سر حركة الطير الى هنا او هناك ... هل هو الغير .. ام الانجاب .. ام الضـوء .. أم الحرارة .. ام الجو .. أم هي رحلات لطيور لا تحب القيود مثل طائر السمان . ذلك الطائر .. الذي يعبد حريته ... فاذا ما حبسه احد فـي قفص يضرب عن الطعام ويصاب بعصبية شديدة ويموت منتحرا مـن اجـل حريته . وربما يرجـع فشل كـل حدائق الحيوان فـي العالم الاحتفاظ بطائر واحد من السمان الى ذلك .

عشاق السمان يبحثون عنه

وقد شدت هجرة الطيور ومتابعة اخبارها انتباه مراكز البحث العلمي في العالم ... واكثر ما شد من الطيور السـمان ... هذا الطائر الذي

يتمتع بجنسيتين .. ولا يتمتـع بوطن واحد - حياته حريته .. وكل عام تستورد أوروبا ما بين ٢ الى ٣ مليون طائر ... هو الطبق المفضل في خريف وشتاء اوروبا ..وقد تساءلت أوروبا هذا العام بالاخص عن سر اختفاء السمان ...وخرجت علامات التعجب وراء اختفائه ... وضياعه !

وفي كلية الزراعـة بجامعة القاهرة .. كانت علامات التعجب تحاول ازاحة الستار عن هذا السر كله ..

فقد طرح البحث العلمي المشكلة كلها من أولها لآخرها .. وجاء الدكتور فريد اسـتينو - ٢٩ سنة - مدرس الانتاج الحيواني بزراعة القاهرة وادخل السمان معمل الابحاث وتبين من سـلوكه داخل القفص ...انه حساس جدا للضوء والحرارة ... عصبي المزاج .. يحب الحـرية .. غبي التصرف ولكنه فلكي بطبعه وبغريزته ... فقد علمته الغريزة وحب الاستمرار والبقاء أن يتعلم الهجرة من خلال حركة النجوم والقمر ..

مهاجر تحت الظلام

كيف ... ؟!

يجيب الدكتور فريد استينو وهو يجمع أوراقه ويفضها من حقيبة السفر بعد غيبة اربع سنوات في جامعة جورجيا بالولايات المتحدة الامريكية.. للحصول على الدكتوراه في «السمان..والوراثة»

التى خلف من هذا الطائر حكايات وأساطير بسبب رحلاته المثيرة ..

يضحك الدكتور فريد وهو يجيب على السؤال قائلا .. صحيح .. السمان طائر تعلم الفلك.. يرحل تحت الظلام .. ويقف على شاطىء البحر الابيض بعد رحلة طويلة عبر جبال وغابات أوروبا ...أثناء النهار . ولكنه أثناء عبوره البحر يحتاج الى بوصلة بحرية ... ويقف السمان على شاطىء البحر الابيض ينتظر جنوح الظلام ... وبمجرد ظهور أول نجمة فى السماء .. ينطلق فوق سطح الماء فى جماعات كبيرة وهو يحدد طريقه عبر نجوم الجنوب متجها الى القاهرة بالدرجة الاولى فى رحلة تستغرق ١٠ ساعات ، ويا حبذا لو كان القمر ساطعا ... فهو أسهل دليل لاسراب السمان ... وخصوصا لصغار السمان وضعاف الصحة منهم وهم عادة الدين يهجرون الاوكار قبل هجرة السمان البالغ .. لأنها لا تحتمل برد أوروبا ..

وقد أجريت تجربة علمية طريفة لتاكيد غريزة هجرة الطيور على مطاردة النجوم فوضعت الطيور المهاجرة فى احدى القاعات وأعد رجال الفلك صورة كاملة لحركة النجوم فوق البحر الابيض - ولشهر كامل - واضاءوا السماء الصناعية ... واسدل الظلام الصناعى ... وبدأت عمليات رصد الطيور وهى داخل هذه القاعة ... فتبين أن وجه الطيور دائما فى اتجاه الجنوب على نفس وضع الشاطىء الشمالى للبحر المتوسط ..

وبالبحث ظهر أن الطائر نفسه غبى فهو يطير اثناء النهار فوق أوروبا محددا طريقه بالجبال والغابات . ولكن كيف يحدد طريقه فوق البحر المفتوح بلا أى علامات ترشده ... ولذلك اذا غامرت بعض أسراب الطيور وارادت الهجرة أثناء النهار فعادة تفقد طريقها ... والذى يؤكد صحة هذه النظرية ... ما اعلنته مراكز أبحاث هجرة الطيور فى شرق البحر الابيض - اسرائيل ولبنان وتركيا وسوريا - عن وجود طائر مهاجر فى غير الاوقات المتعارف عليها ... واحيانا كثيرة تهاجر أسراب الطيور مع غروب الشمس فى طريقها الى مصر مسترشدة بالنجوم ولكن الذى يحدث ان تتحرك الغيوم والسحب المنخفضة فى اتجاه البحر وتختفى النجوم فتضل طريقها .. وتسقط فى قبرص او ليبيا او المغرب ... واذا ما هب اعصار على البحر الابيض فانه يطيح بهذه الاسراب وتموت غرقا...

معنى اذن أن مشكلة طيور الهجرة هى الضوء والحرارة ... فعندما يطول خريف اوروبا ويقصر نهاره وتقل درجة حرارته... يهاجر من أوكاره الى مناطق الدفء والعكس صحيح . والذى يدعم هذا الرأى بحث الدكتور فريد فى تجربته فى المعمل ... عندما اشترى ١٦٠ زوج من طائر السمان ، وزن الواحد ٩٠ جراما ووزن خصية الذكور ٢٠ ملليجراما ووزن مبيض الاناث ٥٠ ملليجراما .. وحمل كل طائر ١٠ من وزنه دهونا ..

وقسمهم الدكتور فريد
تعرضت لدرجة حرارة م
ة ية ... وتعرضت لض
كل يوم ... والمجموعة
النهار العادى - فى شت
تعرضت لنفس درجة حر

وتقول دفاتر حسابات التجربة ... بعد بورن .. ان المجموعة الاولى قفز وزن الانثى فيها الى ١٣٠ غرام ، والذكر الى ١١٠ غرام ، وارتفعت نسبه الدهون الى ٢٥٪ ... وبلغ وزن المبيض ١٥٠٠ ملليجرام أى زاد ٣٠ ضعفا . والخصية ٥٠٠ ملليجرام .. أى بزيادة ٢٥ ضعفا .

اما المجموعة الثانية والتى تعرضت للجو العادى فلم تحدث اى زيادة فى وزن المبيض او الخصية باستثناء نسبة الدهن التى زادت ٥٪ فقط ..

والدلالة فى هذه التجربة أن الجو الحار والنهار الطويل هما احدى علامات التاثير المباشر هى الغدد النخامية لطيور الهجرة مما لها الاثر فى التناسل ... وحتى نفس هذه التجربة أجريت على البشر فى جنوب وشمال أمريكا وظهر أن بلوغ الجنس يتاخر فى الشمال عنه فى الجنوب .. لبرودة الجو ..

.. ان هجرة الطيور .. شدت مراكز أبحاث العالم لدراسة سلوكها والامراض التى تحملها عبر القارات ..وكل سنة تصرف ملايين الدولارات فى العالم ... من أجل الوصول الى الحقيقة .. ■■

وجدى رياض

سببت فأوجعت

● أسر معاوية بن ابى سفيان يوم صفين رجلا من اصحاب على بن ابى طالب، فلما اقيم بين يديه قال معاوية : « الحمد لله الذى امكن منك » . قال : « لا تقل ذاك فانها مصيبة » . قال معاوية : « واية نعمة اعظم من ان يكون الله اظفرنى برجل قتل فى ساعة واحدة جماعة من اصحابى ، اضربا عنقه » . فقال الاسير : « اللهم اشهد ان معاوية لم يقتلنى فيك ولا لانك ترضى قتلى ، ولكن قتلنى فى الغلبة على حطام هذه الدنيا ، فان فعل فافعل به ما هو اهله وان لم يفعل فافعل به ما أنت اهله » فقال : قاتلك الله ! لقد سببت فأوجعت فى السب ودعوت فابلغت فى الدعاء ، خليا سبيله » .

حلم

● كان ابو دلامة شاعرا فصيحا وماجنا مليحا ، قيل انه دخل ذات يوم على الخليفة المنصور وانشده :

« انى رأيتك فى المنا
م ، وانت تعطينى خيارة
مملوءة بدراهم
وعليك تأويل العبارة »

فقال له المنصور : « امض فاتنى بخيارة املؤها لك دراهم ودنانير » . فذهب ابو دلامة الى السوق ، واحضر اعظم دباءة (قرعة) توجد هناك ، فقال له المنصور ، « ما هذا » ؟ قال : يلزمنى الطلاق من زوجاتى الاربع ان كنت رأيت الادباءة ، ولكنى نسيت فلما رأيت الدباءة فى السوق ذكرتها » .

بكاء وبكاء

● بعد غزوة بدر الكبرى ناحت قريش على قتلاها ثم قالوا : لاتفعلوا ذلك فيبلغ محمدا واصحابه فيشمتوا بكم . وكان الاسود بن المطلب قد أصيب له ثلاثة من اولاده زمعة بن الاسود وعقيل بن الاسود . والحارث بن زمعة، وكان الاسود يحب أن يبكى على بنيه، فبينما هو كذلك اذ سمع نائحة فى الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره . أنظر هل احل النحيب؟ وهل بكت قريش على قتلاها ؟ لعلى ابكى على ابى حكيمة » يعنى زمعة » فان جوفى قد احترق [illegible] رجع الغلام قال: انما هى امرأة تبكى على بعير لها اضلته فقال الاسود .

اتبكى ان يضل لها بعير
ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن
على بدر تقاصرت الجدود
« والبكر الفتى من الابل » .

اسكافي

● قيل ان احد القضاة ترك نعله عند اسكافي ليصلحه ، وكان القاضي كلما ذهب الى الاسكافي يطلب منه نعله يقول له : « تعال بعد ساعة ... »ثم يمسك النعل ويضعه في الماء تمهيدا لاصلاحه ،وتكرر هذا العمل من الاسكافي عدة مرات فقال له القاضي : « ياهذا تركت لك النعل لتصلحه لا لتعلمه السباحة .»

خطأ ، جهل ، عناء

● حكى ان أحد ملوك فارس خرج يوما للنزهة ، فلقيه أحد الحكماء ، فسأله عن حزم الملوك فقال : « من ملك جده هزله ، وقهر لبه هواه ، واعرب لسانه عن ضميره ولم يحتدعه رضاه عن سخطه ، ولا غضبه عن صدقه . » .فقال الملك: «لا، بل احزم الملوك من اذا جاع اكل . واذا عطش شرب ، واذا تعب استراح » ثم قال الملك . « علمني من حكمتك [illegible] قال . « احفظ عني ثلاث [illegible] « هات » ، قال . « صة [illegible] جوهر من طبعه ــ خطأ . الارض السبخة ترجو [illegible] الصعب السير على الرياض [illegible]

يدعوه للمبارزة فيؤاكله

● حكى أبو دلامة قال : أتي بي الى المهدى وانا سكران فحلف ليخرجني في حرب ، ثم أخرجني مع روح بن حاتم المهلبي لقتال الخوارج،فلما التقى الجمعان قلت لروح : « أما والله لو تحتي فرسك ،ومعي سلاحك لأثرت في عدوك اليوم أثرا ترتضيه » . فضحك روح المهلبي وقال . « والله لادفعن ذلك اليك،ولآخذنك بالوفاء بشرطك » ، ثم نزل من فرسه ونزع سلاحه ، ودفعه الى ، وهنا برز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة فقال روح : « اخرج اليه ياأبا دلامة » فقلت : « انشدك الله في دمي أيها الامير » .قال : « والله لتخرجن » ، فقلت : « انا والله جائع يا أمير ، فمر لي بشيء آكله »،فأخرج لي رغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف .

فلما رآني الخارجي أقبل نحوي، وعيناه تتقدان ، فقلت له : « على رسلك ياهذا، اتقتل من لا يقاتلك ؟» قال : «لا» قلت :« اتقتل رجلا على دينك ؟ » قال : « لا، فاذهب عني الى لعنة الله » قلت : « لاافعل او تسمع مني » قال : «قل» ، قلت: «هل كانت بيننا عداوة ؟» قال :« لا والله»قلت : « ولا انا ، ووالله لا أكن لك الا جميل الرأى » قال : « ياهذا ، جزاك الله خيرا » ثم ان الفارس استعد للانصراف من الميدان فقلت له : « ان معي زادا احب أن آكله معك لتتأكد المودة بيننا» قال. «فافعل» فتقدمت اليه حتى اختلفت اعناق دوابنا واقتربت انفاسنا ، وآكلته حتى شمنا والناس قد غلبوا ضحكا ثم انصرف وانصرفت .

ابو عوف

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

■ بعد جهد شاق وصلت السيدة نادية ارملة المرحوم المهندس عبدالمجيدحسن الخطيب الى الدور الثامن من مجمع المصالح الحكومية ·

كانت قد وصلت الى المجمع الساعة الثامنة والنصف صباحا · قالوا لها ان من يريد انيقضى مصلحة فى هذا المجمع ينبغى ان يبكر بالحضور ، وخاصة اذا كان يريد ان يقابل « ابو عوف » بك مدير عام التشهيلات ـ اى الانجازات ـ فى ذلك المجمع الضخم ·

عند دخولها ردهة المجمع ـحيث السلالم والمصاعد ـ وجدت دنيا تموج بمن فيها موجا · خلية نحل لا تستقر فيها نحلة فى مكانها · ناس لا يعلم عددهم الا خالقهم يتدافعون ويتزاحمون وبيد كل منهم اوراق لاندرى ماذا يصنع بها وامرأة بدينة جالسة ارضا وامامها اوراق الدمغة وعلب الكبريت · نساء تسحب كل منهن طفلا فى كل يد من يديها وطفلا على كتفها ، وفى ذيلها يمسك طفل رابع يبكى وهو يتعثر فى سيره متشبثا بالخيط الرفيع الذى يربطه بالامان · واحدة منهن تسال كل من يمر بها فى بلاهة: اين سجلات المحكمة ؟اين سجلات المحكمة ؟ لا أحد يسمع ولا أحد يجيب · كل امرىء هنا ببلواه مشغول · اخيرا يقفز اليها انسان قمىء زرى الهيئة يلبس جلبابا وسترة وطربوشا مهلهلة كلها :

ـ مالك ياست ؟ ماذا تريدين ؟

ـ سجلات المحكمة يابنى

ـ اى سجلات ؟

ـ خذ اقرا
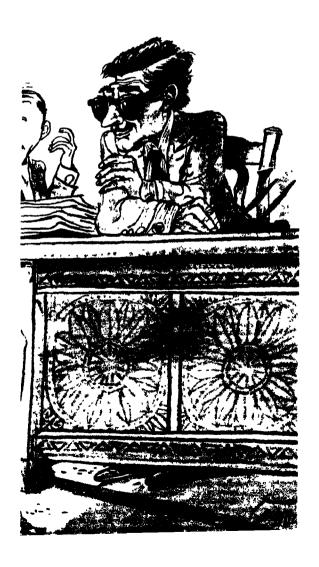
وناولته الاوراق التي بيدها . فنظر فيها وهز راسه هز العالم بكل شيء ، ثم قال : قصدك ادارة سجلات المحكمة ، تفضلي معي •

وسار خطوتين ، وتبعته ، ثم توقف وقال :

ــ ولكن هذه فيها خمسون قرشا ••

فضربت على صدرها في فزع وقالت :

ــ يامصيبتي ياابني . والله ما معي الا خمسة وعشرون ••

ــ لا باس • من اجل العيال • هاتي الخمسة والعشرين • نخدم لوجه الله

وسار • وسارت خلفه المراة تحمل وتجر نصف قبيلتها • النصف الثاني يلعب هناك في الحارة والمصعد معطل •

ووسط يوم العشر هذا وقفت السيدة نادية ضائعة •

واقبل عليها واحد من المتخصصين في الصيد في هذا الزحام ••

ــ نعم ياست ، اى خدمة

ــ اريد مقابلة ابو عوف بك

ــ ياخبر : ابو عوف بك قفزة واحدة ••

ــ لماذا ؟ وماذا يكون ابو عوف هذا ؟

ــ كل شيء هنا ياست ، كل شيء ••• تريدين منه شيئا ؟

ــ كان صديق زوجي • معي له توصية ••

ــ انعم واكرم ، انعم واكرم

ــ واين هو ؟

ــ في الدور الثامن والمصعد

ووقفت صامتة تنظر اليه •خيل اليها انها تنظر في صوررة مهزوزة • كان انسانا هزيلا يلبس بنطلونا وقميصا وحذاء من القماش لا لون له • يبدو ان لونه كان في الماضي السحيق ابيض • بين شفتيه الغليظتين سيجارة وفي صدر جيب قميصه علبة سجائر وقلم حبر جاف وكانت هي سيدة في الاربعينات الاولى•كل مافيها يتحدث عنسعة وحياة راضية •كانتمليئة بيضاء البشرة حسنة التقاطيع، بالمقياس المصري الغالب كانت جميلة وبنت عز • كانت ترتدي ملابس ارملة شابة « حديثة » فقد توفي عنها زوجها من عام وثلاثة شهور • هذه المدة القصيرة علمتها ان تعتمد على نفسها في شئونها• كل من يقدم اليها معاونة يريد شيئا من المال او شيئا من الجمال •

قالت : وما العمل الان ؟ السائق مضى بالسيارة الى السوق ولن يعود قبل ساعتين •

ـ وماذا تريدين يا ست • قد يكون المطلوب شيئا بسيطا نستطيع ان نقضيه دون ان نصعد ثمانية ادوار •

كانت امراة حازمة • بعد دقيقة قالت : ساصعد السلم

ـ ثمانية ادوار ياست ؟

ـ احسن من الوقوف في هذا الزحام الىالغروب

وسارت تشق طريقها بين الجموع الى السلم

وتردد بعض الشيء ، ثم تبعها وهو يردد :عملية كهذه خير من الف

وشيئا فشيئا ، وبعد وقفات طويلة في كل دور وصلت الدور الثامن •

وقال الرجل والسيجارة بين شفتيه :

احسنت ياست

ونظرت اليه بشيء من الاستياء وقالت :

ترفع السيجارة من فمك عندما تتكلم

ورفع السيجارة من فمه وقال :

مكتب ابو عوف بك من هنا ياست هانم

وتقدمت لتنقر على الباب ، فاسرع وقال :

الدخول لابو عوف بك من غرفة مكتبه حيث السكرتارية والسكرتير •• من هنا ياست • من هنا

ونظرت الى يسارها فرأت باب المصعد • والمصعد فيه وعلى بابه رجل • حسب انها تريد أن تدخل فنهض وقال : لا ياست • هذا المصعد محجوز لابوعوف بك •

ـ انه ليس معطلا ••

ـ هذا مصعد ابو عوف بك ياست •• حضرتك ••

وقبل ان يتم كلامه كان الشاب قد فتح لهاباب غرفة السكرتارية وقال : تفضلي ياست •

وتطلعت اعين من في المكتب الى الست • كانت ثمانية اعين • اربعة منها مغطاة بنظارات سوداء • الغرفة فسيحة ونصف نظيفة فيها اربعة مكاتب • ثلاثة يجلس اليها رجال والرابع تجلس اليه بنت عجوز سمينة شديدة السمرة وحبلي • على عينيها احدى النظارتين السوداوين • على راسها باروكة • فروة خروف اسود يبدو انها اصطادتهوسلخته واكلته ووضعتفروته فوقراسها• كانت تمضغ لبانة،وتكتب على الالة الكاتبة باصبع واحدة •

من خلف المكتب الرئيسي نهض شاب طويل نحيل يلبس بنطلونا وقميصا نظيفين • كان وجهه طويلا معروقا تضفي عليه النظارة السوداء شيئا من البشاعة • اهم ما يميزه كتلة شعر راسه الاسود الحالك المهوش • هذا شعر لا تنفع فيه فرشاة ولا مشط ، لا تنفع فيه الا مكنسة كهربائية •

وقال الشاب الذي صعد معها واسمه « امام »: هذا شعراوي بك مدير المكتب

وبدا بوضوح أن شعراوي بهر بالجمال ومظهر العز ، فهب واقفا وخرج من مكانه ، واقبل على السيدة وقال :

اهلا وسهلا بالست ، سيادتك ••

ـ حرم المرحوم المهندس عبدالمجيد الخطيب

ـ تشرفنا ياست ، تشرفنا •• تفضلي

واشار الى كرسي عليه تراب كثير • ترددت بعض الشيء ثم اخرجت منديلا نفضت به التراب وجلست •

وقال امام :

حضرتها معها خطاب توصية لابو عوف بك

قالت : ليس معي خطاب توصية ، قلت عندي توصية ••

فسارع شعراوي يقول :

لايهم ياسيدتي •• مستعدون لكل خدمة • اوامرك

ـ كما قلت لك • اريد مقابلة ابوعوف بك

ـ ابو عوف بك لم يات بعد ، ولكن ما هي الخدمة المطلوبة • ربما استطعنا قضاءها لك دون انتظار قدومه •

● قصة ابو عوف

ابو عوف بك سيصدق على الشهادة ، فنحن ـ اعضاء مكتبه لا نستطيع عملها .. هذه تعليمات ابو عوف بك نفسه .

اتصل انتبالتليفون مع احد المكاتب هنا وتذهب الست الى هناك لعملها ، ثم تعود الينا لنقدمها لابو عوف بك للتصديق ..

ـ عندك حق .. هذه هي الطريقة ...

وبكل كبرياء وبشعور خفي في الثبات وجوده امام هذه السيدة التي لوتتاثر قط بشاربه الهلالي قال :

هذه اصول الشغل كما تعلمناها ...

وفكر شعراوى ثم رفع سماعة رقما ثم قال بعد قليل :

بركات بك .. صباح

مكتب ابو عوف بك ، اهلا

عندنا هنا السيدة حرم .له

اليها فقالت :

المهندس عبدالمجيد السعيد

المشروعات بوزارة الانفال سابقا ..

واستطرد شعراوى يقول بالتليفون :

ـ .. حرم المرحوم الباشمهندس عبدالمجيد الخطيب.. انها تريد شهادةبقاء علىقيد الحياة.. انت عارف .. ستاتى اليك ، هذه تعليمات ابوعوف بك .. تعمل لها الشهادة وحياة اولادك وتعودالينا للتصديق .. متشكر جدا يابركات بك .. الست تاتيكم الان ..

ووضع السماعة ، ثم نظر الى مساعده الثاني وكان شابا ، وقال له :

ـ عبد اللطيف ، تروح مع الست الى مكتب التوثيق عند بركات بك فيالدور الرابع كما تعلم، قل لهم يعملوا لها الشهادة ويوقعوا عليها ويختموها ثم تاتي بها الينا .

وبدا على الشاب كانه فرح بهذه المهمة ، فترك الجريدة ونهض . وقامت نادية وحياها اعضاء المكتب ورافقها شعراوى الى الباب .

خارج الباب وجدت « اماما » اخرج السيجارة من فمه وابتسم ، اصبحت حاشيتها مكونة من اثنين.سار عبداللطيف امامها يدلها على الطريق

وبعد انخرجت نظرت الفتاةالعجوز ذات الفروة من خلف نظارتها السوداء الىشعراوى وقالت :الان انت تصرفت تصرفا خاطئا ياسيد شعراوى

ـ لماذا لا سمح الله ...

ـ اريد شهادة حياة

فنظر اليها شعراوى وبقية هيئة المكتب نظرة تساؤل وحيرة ، وقال شعراوى :

ولكن ياست ، لا يوجد شيء اسمه شهادة حياة .. هل استطيع ان افهم ماذا تريدين بشيء من التفصيل

ـ قصدى انني لكي اقبض معاش المرحوم زوجي لا بد من شهادة حياة اول كل سنة ، ونحن الان في يناير ، فضحكوا وهزوا رؤوسهم ، وقال شعراوى:

اه فهمت : شهادة بقاء على قيد الحياة .. ربنا يعطيك طول العمر ياست .. هذه مسالة بسيطة جدا لا تحتاج الى ابو عوف بك كله .. مسالة روتين تنتهي في نصف ساعة . استريحي ياست ، استريحي .. نستطيع أن نقدم شايا او قهوة ياست ؟

ثم نظر الى « امام » وقال له بازدراء

وانت . تفضل من هنا الان ، سنقوم بالواجب

ونظرت الى « امام » وقالت في رئاسة :

انتظر على الباب . فقد احتاج اليك .

وسره هذا التقدير فابتسم لنفسه ومضى كما امرته

وقال شعراوى مخاطبا احد مساعديه في المكتب

ـ اخ مجدى ، وحياة ابيك تعمل لها الشهادة ، ونوقع عليها نحن الاثنان

فقال مجدى ، وكان رجلا في الاربعينات المتاخرة مكتنز الوجه يتكلم بصوت مبحوح من فرط التدخين، يخرج من تحت شارب سميك يحيط بفمه من ثلاث جهات كانه هلال مقلوب

ـ لا مؤاخذة يااستاذ شعراوى .. اذا كان

وكان لا بد له من أن يتادب معها فهى اخت زوجة شقيق ابو عوف بك

ـ لانك تعرف ان خالي ابوعوف ـ وهكذا كانت تسميه ـ يهمه دائما ان يتكلم بنفسه معالشخصيات المحترمة مثل هذه السيده،وانت تعرف انه موجود٠٠

ـ اعرف انه موجود ، ولكنه مشغول الى الساعة العاشرة ، اليست هذه تعليماته ؟

ـ لا ٠٠ ليست هذه كل تعليماته ٠٠٠

ـ المقصود ٠٠ هدا ماحصل ٠٠

فى الدور الرابعمن المبنى الضخم وقفت السيدة نادية ووراءها حاشيتها المكونة من « الولد » امام و « الاستاذ » عبداللطيف عضو مكتب ابو عوف بك ٠

على باب الغرفة لافتة تقول : غرفة التوثيق٠٠ فتح عبد اللطيف الباب ودخلودعا السيدة البيضاء المليئة التى تلبس الحداد « الحديث »الى الدخول٠ لاول ما دخلت تطلعت عيون ثمانية موظفين قابعين على مكاتبهم كانهم كهنة فىاجتماع المجلسالكهنوتى الاكبر ٠ تعمد عبد اللطيف اقفال الباب فى وجه امـام حتى لا يدخل ، ولكنه كاى فار تسلل مـن الباب ودخل ٠

واتجه عبد اللطيف الى بركات بك رئيس مجلس الكرادلة وحياه تحية معطرة بعطر مكتب ابو عوف ورد بركات التحية باحسن منها ، لا لهذا الهلفوت، بل لابو عوف بك

والناس ياأخى فى هذه الدنيا مقامات ،ثم قال عبد اللطيف :

السيدة نادية حرم المرحوم المهندس عبد المجيد الخيطب تريد ان تعمل شـــهادة بقاء على قيـد الحياة ، وقد راى ابو عوف بك ان خير من يعمل هذه الشهادة هو سيادتك ٠

ونظر بركات الى السيدة واستوقف نظره شعرها الكستنائى الفاتح اللامع يطل على جبينها منطرحة الحداد ٠ كاد يسهو عن نفسه ،ولكنه تدارك وقال:

لا مؤاخذة ياسـت ٠٠ تفضلـى ٠٠ تفضلـى اقعدى ٠

وجلست السيدة ووضعت ساقا على ساق بكل حشمة ورغم ذلك فقد اتجهت عيون بقيه الكرادلة الىهذا القطب المغناطيسىالذى ملا الحجرة عطرا٠

ثم نظر بركات الى عبد اللطيف وقال :

ـ الست تريد شهادة بقاء على قيد الحياة ٠٠؟ حسنا ٠ بكل سرور ٠ تريد لهذا اولا شهدة ميلاد الست ، وثانيا شهادة وفاة الزوج

فقال عبد اللطيف :

ـ وما لزوم شهادة ميلادها ٠٠ هل هى تطلب وظيفة ٠٠ ؟

فتحمس بركات ووقف وقال : اسمع ياأخى ٠٠ انت تعرف ان كـل اجراء حكومى يتعلق بالافراد يبدأ بشهادة الميلاد ٠٠٠

ـ معذرة يابركات بك ولكن هذه مسالة تختلف تماما عما تفكر فيه .هذه سيدة نعرفها جيدا ونريد لها شهادة بقاء على قيد الحياة ٠

ـ يامحترم ٠٠ اذا لم اطلع على شهادة الميلاد فكيف اعرف انها موجودة ٠٠ ؟

فاحتد عبد اللطيف وقال :

كيف تعرف ٠٠ ؟ ياأخى هذه هى امامك بلحمها وشحمها ٠

وانزعجتالست نادية لكلمة شحمها فهى رغـم كل شيء تخلو من الشحم تماما ٠

واحتد ايضا بركات وقال : بلحمها وشحمها او بعظمها ودمهـا ٠٠ لا أهمية لذلك عندنـا ٠٠ ان ان القواعد الحكومية تقول ان الانســان لا يكون موجودا الا اذا وجد على الورق اولا ٠ وكون الست موجودة امامنـا لا يعنى انهـا موجودة رسميا ٠

وتدخل امام وقال :

معها البطاقة الشخصية ٠٠٠

ـالبطاقة الشخصية لا تكفى

ـ ياأخانا هذه وثيقة رسمية تقول ان الانسان موجود ٠٠

ـ نعم ، موجود فى تاريخ استخراجها ، اما بعد ذلك فهى لا تثبت الوجود ٠

ـ ياأستاذ بركات ، هـذه البطاقـة الشخصية خلقت لاثبات الوجود ،وفى كل مكان ٠٠فى المصالح الحكومية ، فى المصارف ، فى المحاكم هى الفيصل الذى لا ينازع احد ٠٠

فقال بركات : اسمع ياحضرة ٠٠ لنفترض ان رجلا مات اليوم فهل بطاقته الشخصية تثبت انه موجود ٠

ـ ياسيدى نحن لا نقول البطاقة الشخصية تؤكد وجود حاملهـا ، والسـت مـوجودة وهـا هـى ، وبطاقتها الشخصية تؤكد لك انها هى هى ٠٠

ـ ياأخى لا تقل لى انها موجودة ٠٠ قلت لك ان الشيءالاول الذى اطلبه هو شهادة الميلاد ، هل هذه مسالة غير مفهومة ؟ سيادتها تستطيع ان تذهب الى

ادارة الاحوال الشخصية فى الناحية التى ولدت فيها وتستخرج مستخرجا من شهادة الميلاد فى ربع ساعة ثم تعود ..

فقالت السيدة :

ـ ياحضرة .. انا مولودة فى السيالة مركز الدر محافظة اسوان فهل اذهب الى هناك واستخرج الشهادة واعود فى ربع ساعة .

ـ ياسيدتى مع فائق الاحترام ليس ذنبى انك ولدت فى السيالة مركز الدر محافظة اسوان .. كان يمكنك ان تولدى فى مكان اقرب، وان اللوائح هى اللوائح . وانا لا استطيع أن احرر شهادة بقاء على قيد الحياة لانسانة غير موجودة .

ووجد عبد اللطيف انه امام صخره لن يزحزحها الشيطان نفسه . فقال للسيدة :

لا عليك ياست .. تفضلى . سنبلغ ابو عوف ليتخذ ما يرى من الاجراءات .

ونهضت واخذت طريقها الى الباب وراء حاشيتها وعندما كانت عند الباب قال بركات :

لا تنسوا شهادة وفاة الزوج ..

فعادت اليه الست محتدة وقالت :

ومالك ياحضرة بشهادة وفاة الزوج ؟ هل تطلب منك شهادة بوفاة زوجى او بحياتى انا ...

فرق قلب بركات ، وخرج من وراء مكتبه واقبل عليها كالمعتذر وهو يقول :

لا تؤاخذينا ياست . كلنا نعرف المرحوم زوجك الباشمهندس عبد المجيد الخطيب ـ عليه الف رحمة ونور ـ ولكنك تعرفين أن الحكومة شىء والدنيا شىء . الحكومة ورق ، كل اعمال الحكومة ورق . وبدون ورق لا حكومة ولا وجود . الوزير نفسه وزير بورقة عليها امضاء وختم . بدون هذه الورقة وبدون هذا الامضاء وذلك الختم لا يكون الوزير وزيرا .. لنفترض ياسيدتى ان رياسة الدولة قالت لرجل من الناس شفهيا : عينتك وزيرا للزراعة مثلا دون ان يصدر مرسوم بذلك فهل يصبح الرجل وزيرا .. ؟ هؤلاء ياسيدتى اطفال لا يعرفون فى امور الحكومة شيئا، وعندما اطالب بشهادة الميلاد انا اعرف بماذا اطالب. ثلاثون سنة على مكاتب الحكومة علمتنا ذلك.. وعندما اطالب بشهادة وفاة المرحوم فانا اعرف لماذا اطالب بها .. حلمك معى : كيف اطالب لك بمعاش والمرحوم زوجك لم يمت .

وضحك الكرادلة. اما السيدة فلم تلحظ التناقض فيما قال بل احتدت وقالت :

ـ وفى هذا ايضا تشك .. ياحضرة ان معى ـ سركى ـ المعاش وها هو (واخرجته من حقيبة يدها) وكنت اتسلم به المعاش طوال الاشهر الماضية. ولكنهم قالوا لى انه لا بد من اثبات الوجود فى اول كل عام لكى يستمر المعاش ..

ففتح الرجل عينيه وابتسم ابتسامة المنته وقال :

ـ اذن اتفقنا .. قد اتساهل فى شهادة وفاة الزوج . لان هذا السركى قد يكفى ـ اقول « قد » لا ننسى ذلك . ولكن اثبات الوجود لا يكون الا بشهادة الميلاد ..

وفتحت الباب وخرجت ومن ورائها حاشيتها . وخارج الباب . اشعل امام سعد

حلمك ياست .. اصل

يعمل فى مكتب ابو عوف ..

يعرف الاصول . ولكنه لا ..

يجرى على الاصول .. فبهتت

الست نادية :

لا أفهم ..

ـ قصدى ان هذا الدور كله ـ والكلام بيننا فئة عشرين قرشا .. حلمك ياست . لا مؤاخذة ياأخ عبد اللطيف الدنيا مقامات ، وهذا المبنى مقامات وفئات . وكل هذا الدور . اى كل موظفى هذا الدور فئة عشرين قرشا ، يعنى امضاء اى موظف هنا بعشرين قرشا . فى الدور الاعلى ـ وسنصعد اليه بعد ذلك الامضاء بخمسة وعشرين قرشا . الدور كله وبلغتنا نحن اولاد الكار والمصنعة ـ فئة ربع جنيه .. تسمحى تعطينى الطلب .

ـ ستعود الى بركات ...

ـ لا .. لا لزوم لبركات .. سادخل هذه الغرفة. واشار الى غرفة عليها لافتة تقول: «ادارة التسجيل» فلى فيها واحد « معرفة » . ياست ثمانية موظفين. الواحد بعشرين . المجموع ١٦٠ قرشا ومحسوبك وعبد اللطيف فالمجموع جنيهان .

وامتعض عبد اللطيف لحشر اسمه مع امام فقال:

انا لا ...

فاسرع امام وقال :

آه . صحيح . انت من الدور الثامن .. فئة اخرى .. لا باس ياست .. هاتى جنيهين وساتيك بالورقة ممهورة من ثمانية موظفين .

وقال عبد اللطيف محتجا :
اسمع ياأخي ٠٠
وقاطعته السيدة قائلة :

لاباس ياسيد عبد اللطيف ، نريد ان ننتهي ٠٠ هاهما الجنيهان والورقة ٠٠

واخذ امام النقود والورقة وغاب عشر دقائق فحسب وعاد بها ممهورة بثمانية امضاءات وختم بنفسجي جميل ٠ وتناولتها السيدة ونظرت باعجاب الى هذا اللاانسان الذى اصبح فجاة فى نظرها انسانا ، وقالت له : الان تصعد الى مكتب ابوعوف بك ٠٠

قال ، وقد شعر ان كرامته عادت اليه :

لا مؤاخذة ياست ، بعد التوثيق ، لا بد من التصديق ، فى الدور الخامس ٠٠ تفضلوا معى

واخرج سيجارة واشعلها ،وسار فىهيئة المنتصر تتبعه الست ومن خلفها عبد اللطيف الذى انحدر الى مرتبة « لا انسان » ٠

فى الدور الخامس ،وهو دور يمتاز بقلة السكان لان موظفيه اعلى درجة ٠

وفى السلم الوظيفى فى هذا المبنى كلما علت الادوار ارتفعت مراتب الموظفين وقل اختلاطهم بالجمهور ، وبالتالى قلت فائدتهم له ، وبالتالى ايضا زادت رواتبهم ٠ الرواتب هنا لا على قدر العملوالفائدة بلعلى قدر قلة العملوقلة الفائدة٠ هنا تاتى المسائل مصفاة وموثقة لكى يصدق عليها٠

وتلفت امام يمنة ويسرة ثم سال نفسه : فين ياولد ياامام حمدى بك ؟ آه فى الغرفة اربعمائة وشىء ،٠٠ تعالوا ، ومضى يقرا اللافتات ، ثموقف امام غرفة تحمل لافتة : مكتب تصديق التوثيق ٠٠ واراد انيدخل فنهض له فراش كان مشغولا فلم يفطن اليه وقال الفراش :

لا احد هنا ياحضرة ٠

ـ واين اذن حمدى بك والسادة اعضاء المكتب

ـ البكوات يفطرون الان ٠ ممنوع الدخول حتى يفرغ الافطار ٠٠ الا ترى النور الاحمر ياحضرة٠٠

ـ لا ارى نورا احمر ٠٠

ونظر الفراش وقال :

ـ آه نسيت أن اشعل النور ٠

ودخل ، واضاءت لمبة كهربائية حمراء صغيرة فوق الباب ، وقال الفراش :

ـ صدقت الان ان البكوات مُشغولون ٠٠

ـ ولكن ياسيدى الفراش ٠٠

فصاح الفراش : ياأخي حرام عليكم ، حتى الاكل تحرمونه عليهم ، اليسوا بشرا من لحم وعظم مثلك ومثلي ٠ كيف تريدهم ان يعملوا دون طعام ٠٠

ـ ومتى يفرغون باذن الله من طعام العافية ٠٠

ـ عندما يطلبون الشاى والقهوة ٠٠٠

ـ يعنى بعد نصف ساعة ٠٠

ـ من باب الاحتياط اعمل حسابك على ساعة، ساعة ونصف ٠

وجلس مكانه ، وفى ضوء المصباح الاحمر المغطى بالتراب عاود النوم ٠٠٠

ونظر امام الى السيدة وعضو الحشم الثانى ثم قال :

لا عليكم ٠٠ نذهب الى زهدى بك ٠٠ انه فى الحجرة التى بعد هذه بحجرتين ، هنا ـ وسار بهم، ووقفوا على باب غرفة تحمل لافتة تقول : مكتب توثيق التوثيق ٠٠

هنا ـ لحسن حظه ـ لم يكن هناك فراش ولا حاجب ، فدخل متلصصا ، فوجد غرفة واسعة يسودها الصمت ، على المكاتب ـ وعددها سبعة ـ جلس سبعة موظفين يقراون الصحف ٠ وفجاة ظهر الفراش الذى لا مفر منه ٠ كان فراشا الطف من الاول واحسن هيئة ، قال :

يا حضرة ٠٠٠ ماذا تريد ؟

ـ زهدى بك ٠٠٠

قال الفراش : تعال خارجا لحظة ٠ زهدى بك هنا وها هو ذا على المكتب الكبير ، ولكنه الان يقرا الجريدة ، زهدى بك والسادة اعضاء المكتب يقراون الجرائد الان ، وهم يقسمون العمل بحساب بينهم ، انظر ٠٠٠

ومن شق الباب نظر الثلاثة : امام والست وعبد اللطيف ، وقال الفراش :

ـ انظر ،ها هم يقراون الصحف بنظام وترتيب كل واحد لهاختصاص : انظر ٠٠ اهرام ، اخبار ، جمهورية ، اهرام ، اخبار ، جمهورية ٠

ـ وهذا السابع ٠٠ ؟

ـ تقصد عبد الهادى افندى

ـ هذا اسمه ٠٠ ؟

ـ هذا جديد وثانوية عامة فقط ، اختصاصه جريدة المساء ، لانها تصدر بعد الظهر اولا ثم هى نحيفة الحجم ٠٠٠

الا يمكن قراءة الصحف فى غير المكاتب ، خارج وقتالعمل مثلا :

ـ سبحان الله يا اخي ، اين المفهومية ٠ ان الصحف تظهر في الصباح لكي تقرا في الصباح اى في المكاتب ٠ ولو كانوا يريدون ان يقراها الناس بعد الظهر لخرجت بعد الظهر ٠

ثم ، ما فائدة قراءة جرائد الصباح بعد الظهر٠ خذ مثلا الوفيات ٠ كيف تقرا اخبارها بعد الظهر فتضيع على الناس فرصة العزاء وتشييع الجنازة٠ الان فقط قام مدير المكتب زهدى بك بتبليغ السيد وكيل الوزارة خبر وفاة خال ابنة عمة السيدة حرمه ٠ بالامس ابلغنا الاستاذ رحمى المستشار القانوني بمكتب السيد الوزير بتاريخ الذكرى الخامسة لوفاة والد ابن خالة الست حرمه ، وتلقينا شكرا رسميا على ذلك ٠٠ هنا مكتب عمل منظم وحيوى لكل السادة الافراد العاملين من اكبر كبير الى اصغر صغير ٠٠

ـ ومسالة دراسة الصحف هذه تاخذ وقتا طويلا ٠٠

ـ يعنى كلك نظر ٠٠٠

ـ آه ٠٠ فهمت ٠٠

واختلى الثلاثة للمداولة وقال امام : كما قلت لكم ، هذا الدور فئة ربع جنيه وسمعها الفراش الذكى فقال :

لامؤاخذة ٠٠ نسيت غلاء المعيشة ٠ انتم تعرفون ان الاسعار في زيادة ، والناس لا بد ان يعيشوا والمرتبات كما تعلمون٠٠ خذ مثلا، زهدى بك هذا كبيرهم ، تصدق بالله ؟ مرتبه اربعة وخمسون جنيها والنان واربعون قرشا وتسعة مليمات ٠

ايجاربيته وحده ثمانية عشر جنيها ، ومصاريف المدارس ٠٠

فقاطعه عبد اللطيف : ولكن المدارس مجانية ٠

فقال الفراش :

سبحان الله يا حضرة ٠٠ والدروس الخصوصية ٠٠ اتعرف ماذا ياخذ مدرس الرياضة في الساعة ؟

جنيها ونصف وحياتك ٠ ولا يعطى اقل من درسين في المرة ٠ اضرب جنيها ونصف في اثنين في ثلاث مرات في الاسبوع في ثلاثة اولاد ؟ احسبها سيادتك ٠٠

والانجليزى شرحه ، والاجتماعيات واللغة العربية ٠٠ هذا كله وسيادته لم ياكل ولم يشرب، لا هو ولا العائلة المحترمة ٠٠٠ اصل محسوبك يقوم بمهمة وزير المالية للساده هنا ٠٠ انا اعرف كل شيء ٠٠ ليست هناك اسرار . هذه ارقام والارقام لا تكذب ٠٠٠ تسمح ياحضرة تقسم اربعة وخمسين جنيها واثنين واربعين قرشا ولا لزوم لقسمة المليمات التسع ـ على هذه النفقات ٠٠٠

ـ والخلاصة ٠٠٠

ـ الفئة زادت الزيادة القانونية ، بحسب ارتفاع الاسعار ٠٠ بالله العظيم ثلاثا ان زكى بك ، وهو الرابع من اليمين الى الشمال هو المختص بدراسة لائحة الاسعار الرسمية كل يوم كما تنشر في الصحف وتعلن في الاذاعة ٠٠

ـ وهل عندكم هنا ركن استماع ايضا

ـ هذا في البيوت يا حضرات ٠ الستات اختصاصهن الاستماع ، البكوات القراءة ٠٠ نحن ناس نعمل يا رجل ، نعمل بذمة وعلى اصول ٠٠ قلت لك ان رحمى بك يرى ان الظروف تستدعى رفع الفئة ٠٠٠

ـ فوق الخمسين قرشا ٠٠ ؟

ـ طبعا وربما اصدر قرارا بذلك يسرى مفعوله من الغد ٠٠ تصدقون بالله ؟ انتم محظوظون اذ اتيتم اليوم قبل ان ترفع الفئة الى ستين او سبعين قرشا ٠٠

وقال عبد اللطيف محتجا :

هذا كلام فارغ ٠٠ لنذهب الان الى المكتب ونبلغ ابو عوف بك ٠٠٠

فقال الفراش :

ـ ابو عوف بك في الدور الثامن ٠٠ ؟

ـ نعم وانا من مكتبه ٠٠٠

ـ ولا مؤاخذة يا حضرة ، يظهر ان شعراوى بك لم يبلغك ان الفئة ارتفعت عندكم من امس ٠٠ لم تصدقنى عندما قلت لك ان هنا مركز الاستعلامات ٠٠

فقالت السيدة :

هذه رشوة يا حضرة ٠٠

فقال الفراش اللبيب :

لا ياست ولا مؤاخذة ، هذه ليست رشوة ٠ الرشوة هي ان واحدا ياخذ في السر ودون علم الباقين ٠٠ اما عندما ياخذ الجميع وفي وضح النهار فان المسالة تصبح نظاما ٠ وقولى لى من

فضلك : واحد يتقاضى خمسين جنيها في الشهر ، ومصروفاته مائة ، من اين يكمل الباقي ٠٠ ؟

ـ من الجمهور ؟

ـ اظن ان هذا هو المعقول ٠ المسألة ليست مسالة رشوة ، انها « تعاون » ، تعاون منظم ٠ الحكومة تدفع شيئا والجمهور يدفع شيئا وتسير المركب ، معقول هذا ام غير معقول ؟

وبعد لحظة صمت ، ادار بصره في الجماعة وقال :

هاتوا الورقة واربعة جنيهات من فضلكم ٠

وقالت السيدة :

ـ لماذا اربعة جنيهات ، اليس العدد سبعة ٠٠

ـ ومحسوبك ؟ لا يدخل في « التعاون » ؟

ـ آه ٠٠ صحيح

وقال امام :

ـ اذن اجعليها ثمانية ونصف ٠٠

وقال الفراش :

ـ والبك ؟

واشار الى عبد اللطيف ٠٠

ـ لا ٠٠ البيه من الدور الثامن ٠٠ فئة اخرى ٠٠

ـ لا مؤاخذة يا سعادة البيه ٠ لم آخذ بالي٠٠

فقال عبد اللطيف في تواضع :

ـ لا داعي للمؤاخذة ٠٠ ما دامت المسالة « تعاون » فلاكن معكم ٠٠ لتكن خمسة جنيهات وتنهدت السيدة الصعداء وقالت :

ـ امري لله ٠٠ لنتخلص من هذه المشكلة ٠٠٠

واخذ الفراش الجنيهات الخمسة ودخل فغاب خمس دقائق ، ثم خرج بالورقة مذيلة بسبعة امضاءات اخرى وختم بنفسجي جميل ، وناول كلا من عبد اللطيف وامام نصيبيه من التعاون ٠٠٠

وقال امام :

ـ الان الى مكتب ابو عوف بك ٠

على غير العادة لم يكن الهدوء مخيما على مكتب سكرتارية ابو عوف بك ٠ كان هناك صخب وضجيج وصوت رجل يصيح ، دهش عبد اللطيف للامر ، وتقدم وفتح الباب ودخل ٠ في وسط الحجرة كان هناك رجل بلدي في حوالي الخمسين من عمره ٠ كان يبدو عليه الفقر والغلب ، ولكنه كان خارج نفسه ، اعصابه افلتت منه وتحول الى مخلوق غاضب ٠ عندما دخلوا كان يقول :

قولوا لي : انا حي ام ميت ؟ ان كنت حيا فلا بد من الغاء شهادة الوفاة ، وان كنت ميتا فليس معي ما ادفن به وعليكم أن تدبروا الامر ٠

وقال شعراوي مهدئا :

مالك ايها الرجل ؟ اعصابك جننت ٠ اخفض صوتك ٠ ابو عوف بك لا يحب هذه الشوشرة ٠ واذا ظللت على ذلك فلن ينفعك شيء ، وسياتي البوليس ويلقيك خارجا ٠٠

ـ لا يستطيع ٠٠ ليس في الدنيا احد يستطيع ذلك ٠٠

ـ لماذا ، هل انت فوق القانون ؟

ـ لا يا سيدي ، لانني ميت ٠

ـ كيف تكون ميتا وهذا صوتك يدوي كالرعد٠

ـ اذن انظر في شهادة الوفاة التي بين يديك ٠٠ من اسبوعين وانا احارب هذه الورقة ولا استطيع التخلص منها ٠ في كل مكان يقولون لي انني ميت ، اقول لهم : يا ناس كيف اكون ميتا وها انا امامكم ؟ فيقولون : اذهب واعمل عملية شطب لشهادة الوفاة هذه ٠٠ انقل نفسك من قائمة الاموات الى قائمة الاحياء ٠٠ من الاخرة الى الدنيا ٠

ونظر الى الست وامام وعبد اللطيف وقال :

ـ هل سمعتم بهذا يا خلق ؟ اكون حيا ويقولون لي انني ميت ، ويسخرون مني ويقولون انقل نفسك من الاخرة للدنيا ٠٠ هل هذا معقول ! هل سمعتم بانسان انتقل من الاخرة الى الدنيا ٠٠٠ اليست هذه حاجة تجنن ؟

وقالت السيدة :

هدىء اعصابك يا عم ، نريد ان نفهم ما هي الحكاية ٠٠

فقال الرجل باعلى صوته وبلهجة غاضبة بل مجنونة ، ونظراته تتنقل في عجلة من شخص لشخص

ـ اصل الحكاية ياست ٠٠

وقاطعته السيدة قائلة :

ـ اجلس يا عم ٠٠ اجلس ٠٠ هات كرسيا يا امام ٠٠ وهات له ماء ، كوب ماء ، واتى الكرسي وكوب الماء ، وشرب الرجل وجلس ، واخذ نفسه ثم قال للجالسين :

واحد منكم يعطيني سيجارة ٠

وسارع امام فاعطاه سيجارة واشعلها له ، وقفز الرجل الى السيدة وقال : ٠

ـ الله يعمر بيتك ياست ! اول ابن آدم اقابله

، عشرة ايام .. شوقي ياست .. الحكاية
، يوم الثلاثاء قبل الماضي ، يعني بعد العيد
غير بستة ايام اردت النهوض من فراشي لاذهب
مل فشعرت بدوار . نهضت رغم ذلك ، لم
، عن الوجود . يقولون انني وقعت على
ض . عندما فتحت عيني وجدت نفسي ممددا
، خشبة باب ورجل يغسلني ،قلت : ماذا جرى
س .. هل انتم تغسلونني ام ماذا تعملون..
ع الرجل الذى كان يغسلني وجرى وهو
ح : الميت صحا .. الحقوني .. الحقوني ..
، ارتعد من البرد يا سيدتي وصرخت ..
وني شيئا البسه ، فلم يصغ لي احد ، ثم
ت على الملعونة امراتي زكية وصاحت : ماذا
، ؟ يا مصيبتي .. الرجل صحا وقام من
ن ! صرخت صئوت ؟ وهل انا مت ؟ قالوا :نعم
من ساعتين ، وابلغنا حكيم الصحة فكتب شهادة
اة وصرح بالدفن ـ تصوري ياست ، لا
اتي ولا هو رآني ، وانما هو ابني الذى
ته هذه الحرباء علي ، انه اسرع وابلغ مكتب
حة وشيخ الحارة .. انهم جميعا ضدي ،
، وزكية ـ لعن الله اليوم الذى رايتها فيه ـ
اء في الفرن ، وهي تريد ان تطردني من
، وتنفرد به مع الولد .. لم ادر ما افعل
شيخ الحارة قال لي اذهب الى مكتب الصحة
بع الواقعة واثبت وجودك .. لم استطع
ا ، كنت متعبا جدا . كان البرد قد اهلكني،
ت بنت الشياطين تريد ان تدفنني بالحياة ..

سكت قليلا ليستجمع انفاسه ، ثم عاد يقول:

عد يومين ذهبت الى مكتب الصحة .. قال
الباشكاتب : خلاص ياعم امين ، سننظر في
وع لان البيه الدكتور لا يستطيع الغاء
ة وفاة صدرت من يومين وسجلناها في الدفتر
ت رقما ...

لت : ولكن الدكتور لم يكشف علي . ولا
، ميتا ...

اسمع يارجل ، انت مجنون وليس لدينا
لا.شالك . ماذا تريد ؟ ان يذهب البيه

الدكتور في داهية ! تقول انه كتب شهادة الوفاة دون ان يراك .

ـ اى والله يا سعادة البيه .. كلهم قالوا انه ما آتي ولا رآني ، اسالوا كل اهل الحارة..

هنا دخل شيخ الحارة وقال :

ـ اسمع يا عم امين .. ما ذنب سعادة البيك الدكتور حتى تدخله في هذه القضية ؟ سعادة البيك قام بواجب ، اتى الى البيت وانا معه ، وكشف عليك كشفا تاما وتاكد من ان قلبك وقف وكتب الشهادة وناولها لابنك . لقد رايت ذلك بعيني والله العظيم ثلاثا وما لاحد يمين علي .

ـ انت يا عبد التواب يا شيخ الحارة ، ياشيخ النصابين رايت الدكتور يكشف علي ؟

ـ لقد اقسمت بالله العظيم ثلاثا يارجل ! نعم كشف عليك بالسماعة امام عيني .. وصمت المسكين قليلا ، ثم عاد يقول :

وتدخل ـ الله يستره ـ عم رجب الخضرى ، جارى وصاحبي وعشرة سنوات طويلة وقال لشيخ الحارة :

اسمع ياعبد التواب ياحمزاوى .. الطبيب لا اتى ولا رآه ماذا تريدون؟تقتلون الرجل وهو حي.. سبحان الله .. قم معي ياأخي امين. لا بد من الغاء شهادة الوفاة : وقال باشكاتب الصحة :

اسمع. يامجنون انت يارجب ياخضرى ، نحن امام احد امرين: اما ان يموت هذا الرجل اويفصل سعادة البيه الدكتور من وظيفته ...

فقال رجب الخضرى :

نحن لا يهمنا ان يفصل الدكتور من وظيفته ، المهم ان يرفع اسم هذا الرجل من قائمة الوفيات حتى يستطيع هذا الرجل ان يعود الى فرنه ويواصل حياته .

ـ وما الذى يمنعه من الذهاب الان الى الفرن وممارسة عمله كان شيئا لم يحدث ..

فقلت انا : كيف وقد اخذت بنت الشياطين امراتي زكية شهادة الوفاة وذهبت بها الى القسم واستصدرت امرا باغلاق الفرن حتى يتم الفصل في التركة .

قالت الست :

ـ ولكن شهادة الوفاة معك ..

ـ ضربتها بعد ذلك واخذتها منها ، وذهبت لالغيها . مكتب الصحة رفض تماما فطردوني من هناك .وفي قسم البوليس سخروا مني وقالوا لي:

« هات ما يثبت انك صحوت بعد الموت » •ومن يومها الى الان وانا حائر ضائع بين المكاتب لي اسبوع كامل في هذا المبنى • طالع نازل ، نازل طالع ،وكل مكتب يحيلني الى الاخر، واخيرا قالوا لي ليس هناك الا ابو عوف بك • هو كل شيء هنا •• هو ـ الله يستره ـ سيصدر امرا بالغاء شهادة الوفاة ، ويامر العساكر بان ياتوا معي ويفتحوا الفرن لازاول عملي •••

فقال شعراوي : ابو عوف بك غير موجود يارجل• فقالت الست :لا ،انه موجود ياسيد شعراوي••!

فاسرع اليها شعراوي واخذها جانبا وهمس في اذنها :

ـ لا تدخلي في هذا الموضوع ارجوك • هذه المسالة تعني ابو عوف بك شخصيا • وفرن هذا الرجل يقع خلف العمارة الجديدة التي يبنيها ابو عوف بك • وقد قمنا بالتفاوض مع ارملته ـ امراته اقصد ـ وابنه بصفتهما الورثة الشرعيين لشراء الارض لتوسيع العمارة ،وقبضت الست زكية مائتي جنيه على الحساب لكي تزوج ابنها ••

ووقفت السيدة ذاهلة والرجل ينظر اليها نظرة كلها ثقة ...مل وفي هذه اللحظة دق جرس ، فنهض عبداللطيف ودخل غرفة ابو عوف بك ، ثم خرج وقال : تفضلي ياست • فسارت وفي يدها الورقة ذات الامضاءات والاختام •••

المكتب فسيح وانيق فاخر الاثاث • مكتب ابوعوف بك طوله ثلاثة امتار وعرضه متران ، وخلفه الى يسار ابو عوف بك شباك واسع •

ونهض ابوعوف بك واقبل يحيي ضيفته ووجهه كله مشرق ، وصلعته تلمع ، وعيناه تضحكان خلف نظارته السميكة • كان رغم قبح هيئته رجلا انيقا محترم الهيئة ، تزيده قامته المديدة احتراما ••

ـ تفضلي ياست ، تفضلي •• اهلا وسهلا ، خطوة عزيزة •• الباشمهندس المرحوم عبدالمجيد بك كان صديقي •• تفضلي ••

وجلست على الكرسي امام المكتب فنهض واقفا واشار الى الاريكة الكبيرة وقال :

ـ هنا اريح •• هنا نستطيع ان نتكلم ••

قالت : لا •• هنا كويس ••

فعاد الى مكانه وقال :

لا مؤاخذة •• هؤلاء الاولاد اتعبوك • انهم لا يفهمون شيئا ، ما كان ينبغي ان يرسلوك الى اي مكتب آخر ••

ـ المهم •• ها هي الورقة ، كل ما ينقصها تصديقك وختمها ••

فتناول الورقة واخذ يتفرج عليها وضحك وقال :

ما هذا كله •• هذا كلام فارغ •• لقد عملت لك الشهادة بمجرد ان علمت انك هنا وها هي موقعة ومختومة •• هؤلاء الاولاد متعبون جدا •

وتناولت شهادة اثبات الوجود في قيد الحياة وقراتها ثم وضعتها على المكتب امامها ثم قالت :

ـ هكذا ياابو عوف بك •• يوم كامل واناجري واصعد واهبط في هذا المبنى لاحصل على ورقة تعمل في خمس دقائق !

ـ انني آسف جدا ياست ـ قلت لك انني لم اعلم ، وارسلت ابحث عنك ••

قالت : اظن انني انصرف الان ••

ووقفت ، فنهض واسرع يقول :

لا يمكن •• لم تشربي شيئا •• لا بد ان تاخذي شيئا •• المرحوم عبدالمجيد بك كان صديقي •• نحن معارف •• نحن اهل ••

ـ شكرا ••

فاخرج منديلا ومسح صلعته ، ثم نظارته ثم قال : لقد تاسفت لما جرى ، وقلت : سيدة محترمة مثل حرم الباشمهندس عبدالمجيد بك الخطيب لا يمكن ان تظل وحدها على هذه الصورة •• انت ترين ما قاسيت من التعب بسبب ورقة تافهة كهذه •• ماذا تعملين ياترى في العمارة التي خلفها لك المرحوم ؟ لا بد انك متعبة وحيرى ••• قصدي•• انك في حاجة الى رجل يقف الى جانبك ، رجل قوي مثل المرحوم يعرف كيف يساير الدنيا •• لهذا كنت اريد ان اتحدث معك •• هنا في المكتب لا يمكن ان نتحدث كما نريد •• نستطيع ان نحدد موعدا ونتحدث ، عندك في البيت او عندي •• انظري •• هاتان العمارتان البيضاوان وراء تلك الحديقة ،انهما لي ، وعندي في الدور التاسع من العمارة شقة جميلة استعملها مكتبا ومكان استقبال للاصدقاء الاعزاء اولاد الناس •• اذا وافقت ، يمكننا ان نتقابل هناك •

ـ لماذا ؟

ـ قلت لك •• انت في حاجة الى من يساعدك في ادارة اعمالك •• والحقيقة انني افكر في ذلك منذ وفاة المرحوم عبد المجيد بك ••

نهضت واقفة ، وذهبت الى النافذة ونظرت ثم

اشارت الى العمارتين وقالت :
ـ هاتان ملكك ؟
ـ وعندى ثالثة فى وسط البلد .
ـ ورابعة لا ادرى اين ومعذلك تريد ان تستولى على فرن الرجل المسكين عم امين .
ـ لقد عملنا عقدا مبدئيا مع الورثة ، وقبضوا المقدم ..
ـ والرجل حى .. !
ـ هذا ليس شانى ..
ـ شانك ان تستولى على اموال الناس وتبنى عمارات ، بالحلال بالحرام ، لا يهم .. اسمع يا ابو عوف بك ... من الساعة الثامنة صباحا وانا هنا فى هذا المبنى الكبير . عندما دخلت فى الصباح كنت انسانة محترمة أتت تطلب شهادة فى غاية التفاهة فانظر ماذا فعلت انت ورجالك بى . كل دقيقة مرت علـى كنت افقد جزءا مـن انسانيتى واحترامى لنفسى . لست وحدى فى ذلك فهناك الوف مثلى تائهون فى هذا المبنى الرهيب يبحثون عن حقوقهم التىتبتلعونها انتم هنا ..عندما دخلت المبنى فى الصباح رأيت منظرا عصر قلبى عصرا: امرأة تجر أسرة كاملة وتهيم على وجهها بينالناس باحثة عن حقها فـى مكان لا تعرفه ، ثـم اخذها شيطان ومضى لا ادرى الى اين .. وفى مكتبك هذا لعب بى من تسميهم الاولاد كاننى كرة بين أرجلهم، وهبطت وصعدت لا ادرى كم مرة .. فى كل مكتب ناس محترمون مثلك على مكاتب مثل هذه ياكلون اموال الناس لقاء امضاءات واختـام انت نفسك تسخر منها .. اتيت اولالنهار ارجو اثبات وجودى وفى النهاية وبعد هذه البهدلة كلها لم يعد لـى وجود اصلا .. هذه الشهادة التى تفضلت على بها ليست شهـادة اثبات وجود ، انها شهادة وفـاة بالضبط كهذه التى تعذبون بها عم امين الفران.. ولم يكفك هذا ايها السيد المحترم .. تحدثنى عن عماراتك وشقتك التى هىمكتب وصالوناستقبالات وتدعونى للحديث ..فيم نتحدث ياابو عوف بك..؟ عز عليك ان اخرج ببقية من كرامتى ، فاردت ان تدوسها ايضا ؟ لقد قلت لى ساعة دخولى انتىبنت ناس.. فهل فىالدنيا انسان ليس ابن ناس؟ نعم هناك ..هناك فىنظركم ناساولاد ناس وناساولاد كلابمثل تلك المسكينة التائهة مع اولادها تبحث عن حق لن تجده أبدا ، لان ابو عوف آخر اكله كما تريد انت ان تاكل فرن المعلم امين والرجل حى .. انما كلنا اولاد كلاب فى نظركم..انتم فقط الناس اولاد الناس .. فى هذا المبنى الف ابو عوف كلهم مثلك ومثل البكوات الكثيرين الذين رايتهم مقسمين الى فئات ،ياخذون الرشوة ويسمونها تعاون ،ومثل هذا الطبيب الذى حكم بموت رجل دون ان يراه.. مـا اتعسنا معكـم .. انسـى ماضيـة الان لانجو بالبقية الباقية من انسانيتى وكرامتى .. فى المرة القادمة ، عندما احتاج شيئا سابعث كلبا لياخذ لى حقى . مع الكلاب لا ينفع الا الكلاب .. ثم اخذت الشهادة وقالت : على الاقل معى اثبات باننى لا زلت على قيد الحياة .. ثم انى دفعت ثمنها غاليا ..

وخرجت ..

واستقبلها عم امين الفران ، وقال :
ـ وانا ماذا اعمل ؟
ـ لاشىء ياعم امين .. انت رجل ميت ولاامل لك فى الحياة او فى استرداد الفرن . امركلله.. لن تستطيع عمل شىء .. اذا لم يقتلك ابوعوف هذا سيقتلك ابوعوف آخر .. انت وانا وكـل المساكين الذين يجرون وراء حقوقهم محاصرون، محكوم عليهم بالموت ..فى كلناحية هناك ابوعوف .. انهم الوف .. الوف ..

ولم يفهم الرجل كثيرا مما قالت ، ولكنه فتح فمه فى يأس وقال :

لن اخرج من هنا حتى الغى هذه الشهادة او اقتله .

ـ لن تستطيع .. اذا قتلته نهضمكانه ابوعوف آخر .. تعال معى .. انا فى حاجة الى بواب.. لابد أن تخرج وتهرب بنفسك من هنا ..سيقتلونك قطعا ليثبتوا ان الورقة التى فى يدك صحيحة.. متى يارب نثبت نحن الكلاب اننا آدميون ..
ثم سالت : هل وصل السائق ؟ ..
ـ انا هنا يا ست ..

ـ خذ هذا المسكين معنا ،سيعمل بوابا او سائسا فى الجراج .. لا تخف منه ، انه ميت وشهادته بيده .. انه احسن حالا منا .. نحن امواتبـلا شهادات وفاة ..

ومضت ومن خلفها السائق وخلفه العم امين الفران وشهادته بيده . ■■

حسين مؤنس

موسيقا من الذات

للشاعر
محمود حسن اسماعيل

■ . . وماذا ستَكتُبُ عنِّي ، إذا غِبتُ يَومـاً ؟
وماذا ستَحكي لِدُنياكَ عن سِرِّ فَنِّي !
. . وماذا ستَروِي عن النَّايِ . .
لمَّا تَراهُ حزينـاً بلا أيِّ دمعٍ ! بِلاَ أيِّ لحنٍ !
. . أتَعرِفُـني ؟
أينَ مِفتاحُ بابي ؟
وأينَ الطَّريقُ إلى جنَّتي ، أوْ يَبابِي ؟
وأينَ الحَدائقُ ؟ أينَ الحرائقُ ؟
أين الحقائقُ . . مصلُوبةً بين عصري وبَيني ؟
وأين اختِلاجاتُ روُحِي ،
وأطيارُها حائماتُ السُّفوحِ ؟ . .
تَجِيءُ ، وتَمضِي ، وتَرنُو ، وتُفضِي ،
وفي فَمِها السِّرُّ . . هَيهاتَ يُفضِي ! !
. . أتَعرِفُ ماذا تريـدُ ؟
وماذا بها مِنْ أحاسيس وَمَضِي ؟
. . أتَعرِفُ أيَّانَ عادَتْ ؟
. . ألِلنُّورِ ؟ أمْ للدُّجَى في مَتاهات أرْضِي ؟
وما هِيَ هذِي الخَمائلُ في قاعِ نَفسِي ؟
وما ذلك السِّحْرُ ؟
مَنْ شَبَّهُ في فَراديسِ كأسِي ؟
. . أتَعرِفُ . . كيفَ انْسِلالُ الرُّؤَى من خَيالي ؟
وكيفَ انْصِهاري بلَحنِيَ عِندَ اشتِعالِي ؟
. . أتَعرِفُ . . كيفَ انكشافي لعُمقِ الوجودْ ؟
وأيَّ القُوى حطَّمَتْ لي جميعَ السُّدودْ . . . . ! !
. . أتَعرِفُ كيفَ امتدادي بِناري لِربِّي ؟

وكيفَ احتدادي ورَفْضي لأشْواق قلْـــبي ؟
وكيفَ التّناقُضُ يَجتاحُ ذَاتي ، ويَمْضِي بَعيدًا ،
ليَرْتادَ شيئًــا أحسُّ به في زماني شَرِيـــدًا ! !
يُنادِي علَيَّ ، وأخْشَـــى صَـــداهُ ،
وأهْوىَ لِقَــاهُ ، غريبًــا جديــــدًا . .
. . أتعرف ما في كِياني ؟ وَعُمْقِيَ ؟ سِرٌ غريبْ !
تَخَطَّى العُصــورَ ،
وفاتَ الدُّهورَ . . إلى سرِّ روْضٍ عجيــبْ
بِهِ الزهْرُ يَسْكَرُ ! والعطْرُ يَسْهَرُ !
واللَيــــلُ داعٍ يَتُـــــــوبْ
ومن غَيْرِ ذنْبٍ يَمُدُّ اليَدَيْنْ
ويَرْفع لله تسْبيحَتَـــيْنْ !
وقد أحْتَويه ، وأنسابُ فيهِ ،
ويَبْقَى بَعيدَ الْمَدَى عن خيالي وجَفْـــني ؛ ؛
فلاَ أنَا منْهُ ، . . ولا هُو مِنِّي . .
ولكنَّنَــا نغْمَةٌ فوْق غُصْـــنِ . .
بلاَ أيِّ طَـــيْرٍ ،
بِلا أيِّ نَـــبْرٍ ،
تُغرِّدُ لِلرّوح في جَوِّها المُطْمَئِنِّ !
. . أتعرفُني بعْدَ هـــذا ؟ . .
وتُدْرِكُ ماذا أغنِّـــي !
. . أنا مِنْ سمائي وأرضي ، قُطُوفـــي ،
ومِن ثَوْرة الرُّوح للروُّح لَحْـــني !
وأحْرَقْتُ ذاتي لضَوْءِ التُّـــرابِ ،
وغَنَّيْتُـــه العُمْـــرَ . . .
. . . مَاذَا تُريدُونَ مِنِّي ! !

هؤلاء الرجال الملثمون فقدوا وظيفتهم التقليدية ..وتقدوا مع جمالهم ينطلقون الى الفراغ الكبير المحي
المشئوم في صحارى تمنراست .. العاصمة الروحية للطوارق ، التي يشهد مجتمعها تطوراً جذرياً .. ا

● اعرف وطنك أيها العربى ●

حياة جديدة للطوارق

أخيرًا : حضارة القرن العشرين تطرق أبواب عاصمتهم الروحية "غات"

استطلاع : سليم زبال

تصوير : اوسكار مترى

● بينما عكف أولادهم على تلقى أحدث
من حياة الترحال الى الاستقرار ●

■ فى محاولة لايقاظ مدننا العربية المتباعدةعن مراكز التجمع التقليدية ، بدات حضارة القرن العشرين تدق بعنف أبواب هذه المدن تدعوهاللاستيقاظ من سباتها العميق .. العقيم !

و « غات » واحدة من هذه المدن النائية تقبعبعيدا عن الاضواء وسط بحر الرمال ، فى اقصى الطرف الجنوبي الغربي من التراب الليبي ..انها العاصمة الروحية للطوارق ..سادة الصحراء الكبرى ونبلائها .. حياتهم تعتمد على الجمل ،يجلسون فوق سنامه بكبرياء وانفة ملتحفين بلباس قطني داكن الزرقة ، ولثام كثيف على الوجه لاترى منه الا عينين فقط !

المشهد يبعث الرهبة والاحترام ، انهم ينتمونالى زمن آخر غير زماننا ، وعالم غامض يختلف عن عالمنا ..

وهذه ليست اول مرة نلتقي فيها مع الطوارق، فقد سبق ان قدمنا على صفحات العربي منذ ١١ سنة « طوارق الجزائر » .. واليوم نعود لنقدم « طوارق ليبيا » والاسلوب الجديد الذي خططوه لحياتهم .

الطوارق فى ٤ دول

لقد مزقت الحدود الدولية قبائل الطوارق الى اربعة اجـزاء .. نصف مليون يعيشـون فى جمهوريتي النيجر ومالي و ١٩ الفا فى الجزائر و ٢٠ الفا فى ليبيا .. وما زال نحو ٦٥ الفـا - من مجموع الطوارق - يعيشـون هائمين فوق ارض صحراوية جبلية تزيد مساحتها على مليون و ٢٠٠ الف كيلو متر مربع !!

اما الآخرون فقداستقروا فىالمدن والتجمعات..

استقر وتنعم !

وفى « غات » كون الطوارق مجتمعهم الخاص الذى يمر حاليا بفترة انتقال صعبة : من حيـاة الجرى وراء الجمال ،الى حياة الهدوء والاستقرار .. ان الاغراءات المطروحة امام الطوارق اكبر من ان يقاوموها .. الحكومة تقدم للعائلة : منزلا وحظيرة ماشية ، وستة هكتارات (٦٠ الف متر مربع) من الارض المستصلحة المزروعة ، وتقول لكل منهم : « هذا كله ملك لك . اسـتقر فيه وتنعم ، واترك حياة البداوة والتنقل المرهقة.. لقد حان الوقت كي تستريح .. وهذه المدارس فتحناها خصيصا لتعليم ابنائك ونومهم وطعامهم مجانا .. وهؤلاء الاطبـاء جئنـا بهم من اجل معالجتك بأحدث الاساليب ، بدلا من ان تكوى جسمك بالنار . وتخلع ضرس طفلك عند الحداد .. و .. و .. و .. » مغريات كثيرة عديدة كلها اقيمت من اجل استقرار طوارق ليبيا ..

الحراطون والامينوكال

والواقع ان المجتمع التقليدى للطوارق اصيب بازمة تفكك منذ ان تدفق الذهب الاسـود فى ليبيـا ..

فالحراطون (المزارعون) الذين كانت تقع على اكتافهم كل الاعمال الصعبة ،فى المجتمع الطارقى، تركوا السادة واتجهوا للعمل فى المزارع الحكومية

« تصل .. أو لن تصل .. » هذا هو السؤال الذى يردده سكان غات فى كل مرة ينتظـرون فيها وصول الطائرات الى مطارهم الترابى.. وقد بدأ العمل فى تشييد مطار حديث كبير..
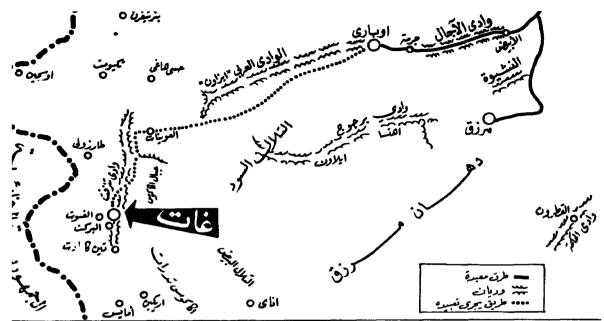
موقع غات العريد كواحة فى الطرف الصحراوى الجنوبى الغربى من الاراضى الليبية ، جعلها نقطة التقاء للقادمين من النيجر وتشاد ومالى ٠٠ وتبعد غات نحو ٦٢٠كيلو متر عن غدامس و ١١٣٠ كيلو متر عن طرابلس ٠٠ وترتفع عن سطح البحر بنحو ٧٨٠ متر ٠٠ ولا توجد طرق معبدة توصل اليها. ويجرى حاليا تعبيد الطريق الموصل من اوبارى الى غات ، وطوله ٣٦٠كيلو متر ٠٠ ومما يذكر ان هناك مشروعا لربط مدينة مصراته بمدينة سبها بواسطة السكة الحديدية ٠٠

٠٠وهجر الشباب الطارقى خيامه وحياته التقليدية، وارتدى اللباس الاوروبى وذهب ليعمل موظفا فى مدن البترول والدوائر الحكومية ٠٠ وجاء حق الانتخاب فانكسر النظام الطبقى القاسى ، واصبح الجميع متساوين ٠٠ لا فرق بين « امينوكال » ولا « امراد » ولا حراط !!

طوارق ٠٠ وتوارك !

والطوارق يكرهون كتابة اسمهم بالتاء « توارك » ، لانها ـ كما يقول ابن خلدون ـ مشتقة من الترك ، فقد تركوا الحق فى الصدر الاول للاسلام ٠٠ اما كلمة طوارق ، ومفردها طارقى ، فهى مشتقة من الطروق ، اى الاتيان ليلا ونهارا ٠٠ ولكن هذا الاسم يتحرف باللغة الطارقية ليصبح « ايموشاغ » ومعناها المستقلون او الاشراف ٠٠

التيفيناغ والتماحاك !

ولغة الطوارق الموحدة هى التى ساعدت على بقاء الترابط والوحدة فيما بينهم ٠٠ انهم يتحدثون ويتفاهمون بها ، رغم بعض التفاوت فى اللكنة بسبب التباعد ٠

ويطلق على هذه اللغة اسماء مختلفة من بلد الى آخر ، لكنها تعرف باسم التماحاك ، وهى لغة تخاطب تكتب بحروف « التيفيناغ » وعددها ٢٥ حرفا ، تضاف لها عدة حروف مركبة ٠٠

والغريب فى هذه الحروف انها لا تكتب ملتحمة، وكتابتها ممكنة من اى اتجاه تريد ٠٠ من اليمين لليسار او من اليسار لليمين ٠٠ من اسفل لاعلى او من اعلى لاسفل !!

ويتحتم على كل فتاة طارقية نبيلة ان تتقن كتابة التيفيناغ التى تعتبر من اقدم حروف الكتابة فى شمال افريقيا ٠
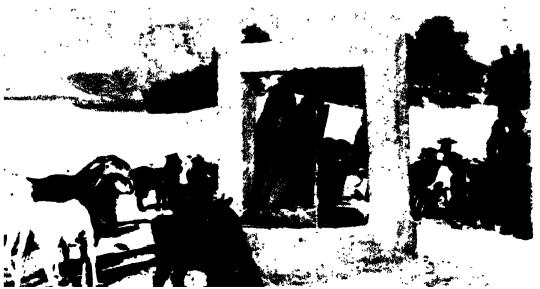
الى اليمين : لعب الملح الصخرى دورا كبيرا فى حياة الطوارق ·· كانوا يصدرونه بكميات كبيرة لبلاد السودان الغربى ، عن طريق قوافل الجمال التى كانت تضم اكثر من ألف جمل ·· اذ يعتقد أبناء الدول الافريقية بان هذا الملح يحتوى على العديد من الفوائد الصحية ·· اما اليوم فاصبحت الارض الصخرية التى تحتوى على هذا الملح بالقرب من كاف الجنون ، مهملة لا يقصدها احد الا مرة واحدة فى السنة ·· فى ليلة القدر يجمعون فيها الملح الصخرى وينقلونه الى المنزل ·· للتبرك ، والعلاج من بعض الامراض الخفيفة ·

الى اسفل : ثلاجة الصحراء ·· قربة من جلد الماعز مربوطة فى الشجرة تحت الظلال ، يوضع بداخلها الماء المخصص للشرب حتى يبرد !!
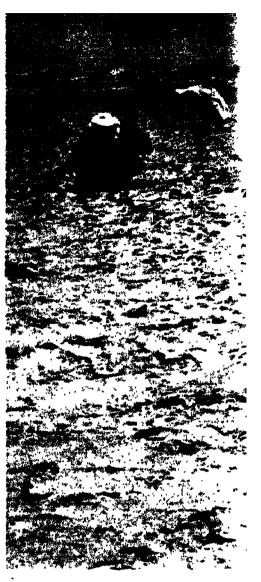
الى اليمين : بئر الماء هى أثمن ما فى الوجود بالنسبة لابن الصحراء ·· وخلال الحروب كانوا يغطون ابار المياه للتمويه على الاعداء الذين كانوا يردمونها ·· والمراة الطارقية فى الصحراء هى التى ترعى الماعز ، وتحمل الماء من البئر ، وتجمع الحطب وتحلب الناقة ، وتربى الاطفال !! حياة شاقة مرهقة بدأت تتبدل مع افتتاح فرع جمعية نهضة المراة فى غات·

والواقع انه لن تمر بضع سنوات حتى تندثر هذه الابجدية ·· لن يكون هناك احد يستطيع كتابتها ·· وستاخذ طريقها الى النسيان مثل عشرات اللغات القديمة المندثرة !!

اما تاريخ الطوارق ، فلم يهتم احد بتدوينه الا الفرنسيين الذين اوصلوه الى عام ١٨٦٠ وقبلها ظلام ·· وان كان بعضهم يؤكد انهم احفاد الجرمنتيون سادة الصحراء في العصرين الاغريقي والروماني ··

شيخهم يجمع الاطفال !

« ان نقطة التحول في حياة الطوارق يجب ان تبدأ مع اطفالهم ·· » هذا ما قاله لنا احد المسئولين في التربية ، الذى كان ينطلق مع الحاج احمد الطارقي شيخ الطوارق في قافلة سيارات للتجول مدة ثلاثة ايام على مخيمات الطوارق المتناثرة عند سفوح الجبال ، يقنعون الاهالي باهمية التعليم ويعودون ومعهم عشرة اطفال تقريبا في كل مرة ··

وتتسلم ادارة المدرسة هؤلاء الاطفال ، تقدم لهم الملابس والطعام والنوم في الاقسام الداخلية بالمدرسة ·· ويبكي الاطفال في البداية ··ولكنهم سرعان ما يتعودون ·· ولا يعود الواحد منهم يرغب في العودة الى مخيمه ، حتى في الاجازات الرسمية !

بعض حروف التيفيناغ التى تكتب بها لغة الطوارق ·· وبجانبها ما يقابلها بالعربية واللاتينية ··

تفناغ	عربي	لاتيني
◫ O	ب	B
ℭ ∂	ش	GH
Λ V	د	D
⊡ ⊙	س	S
][⌶ I	ف	F
⧖ ⋈ ⋈	ج	6
·|· ÷ ·|·	دجى	DJ
:	[illegible]	[illegible]

٩٥ استاذا و ١٧٠٠ تلميذ

وفي حديث مع امين مراقبة التعليم في غات ، الاستاذ محمد خود جبريل ، قال لنا : « انهم اطفال اذكياء جدا ، فرغم عدم اجاتهم للعربية ، الا ان ذكاءهم يجعلهم يفوقون ابن المدينة سريعا ··

« لقد اصبح التعليم الزاميا في البلاد ، ولا يوجد تلميذ في المدينة من سن ٦ الى ١٢ سنة خارج المدارس ·· ونتيجة لهذا النظام ارتفع عدد التلاميذ في غات من ٤٥٠ تلميذ الى ١٧٠٠ تلميذ ، والمدرسة الوحيدة اصبحت ٩ مدارس ·

« اننا في المدارس نعلم المنهج الرسمي ، ولا نعلم الطارقية او الهوسا ·· انهما لهجتان محليتان يتعلمهما الطفل من حديثه مع والديه في المنزل » ··

والتعليم في غات مختلط وصل حتى المرحلة الاعدادية ، يتولى التدريس فيه ٩٥ استاذا عربيا : من ليبيا ومصر وفلسطين وموريتانيا والسنغال ··

توعية المراة

« أما الفتاة فكانت لا تتجاوز في تعليمها المرحلة الابتدائية ، وبعدها تتزوج ·· » وتنطلق السيدة الديناميكية فاطمة ضو رئيسة الجمعية النسائية في غات في حديثها عن المراة فتقول :

« كانت المراة مثل البقرة الحلوب ·· تخدم وتعمل بكل جهدها ·· لا تستطيع الجلوس بمنزلها من كثرة اعمالها في الحقل · وسوق النساء حيث تقوم بعمليات البيع ·· لم يكن لها اى حق الا العمل بينما الرجل جالس يتفرج ·· اما اليوم فقد دخلت فرع الجمعية النسائية تتعلم الاشغال اليدوية والتدبير المنزلي وكيفية رعاية طفلها ، وتتعلم القراءة والكتابة في المساء ·· ودخلت الاتحاد الاشتراكي ، وانتخبت في لجنة البلدية في « غات » وهي اعلى لجنة مسئولة في المنطقة ·· واهم ما نحتاجه هو التوعية ·· توعية المراة في كل المجالات ·· »

المدينة الراقصة

وعادات الزواج في « غات » ما زالت على اسلوبها المعقد القديم ، الا ان الفتى اصبح من
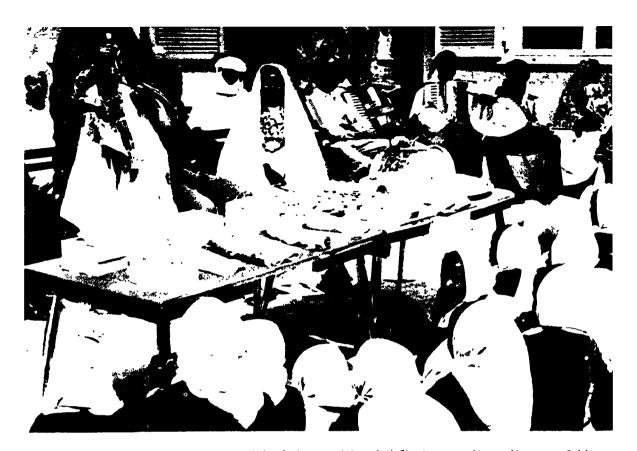
فاطمة ضو .. السيدة التى تقع على اكتافها مهمة النهوض بالمرأة الطارقية وتوعيتها .. وتراها هنا تخطب فى حفل عيد الطفل بنادى الطليعة الذى يعتبر كل السكان ـ بحكم القانون ـ اعضاء منتسبين فيه .. ان الشباب فى غات يمر حاليا بفترة ذهبية من عمره ، لا يعكرها سوى شعوره بأنه يعيش مجهولا فى مكان بعيد عن مركز الثقل فى وطنه الكبير !

حقه اختيار شريكة حياته ، يخطبها وسنها ١٣ سنة ، وينتظرها حتى تبلغ السادسة عشرة ليتزوجها فى احتفالات صاخبة تشل حركة البلد فى الليل ، وتغلق محلات سوق النساء ابوابها لمدة عشرة ايام .. فالكل مشغول بحضور الحفلات الليلية التى تستمر حتى الفجر ..

حفلات متعاقبة مكلفة تبدأ بثلاثة ايام قبل الدخلة و ٧ أيام بعدها .. العريس يدعو كل اهل المنطقة للعشاء .. قصعات الاكل ترسل للمناطق المجاورة .. تلال من الكسكسى واللحوم .. وفى ليلة الدخلة يقدم العريس لعروسه سكينا حادة داخل جراب من النحاس المزخرف ، لا تفارقها فى تحركاتها « حتى لا تصاب بمس من الجن » !

ومن اللطيف ان أهل « غات » يفتخرون بان مهر العروس عندهم يتراوح بين ١٠٠ و ٥٠٠ دينار فقط ، عملا بالحديث الشريف : اقلهن مهرا اكثرهن بركة ..

الا أن حفلات الزواج التى تذبح فيها الخراف والجمال يوميا ، تجعل الاسرتين مكبلتين بالديون لعدة اعوام تالية !!

مشكلة عامة

ان الزراعة هى عماد الحياة الاقتصادية فى المنطقة .. زراعة بدائية هزيلة ، زادها تدهورا هجرة الفلاح لعمل افضل ، تاركا المزارع القليلة تشكو نقصا كبيرا فى اليد العاملة ..

انها ليست مشكلة « غات » وحدها ، بل مشكلة ليبيا كلها فالارض الصالحة للزراعة فى كل انحاء الجمهورية الليبية مساحتها ١٤ مليون هكتار

الانطباع الذى يخرج به الزائر لمنطقة غات ، هو انها تمر بكل ادوار التطور مرة واحدة ، حتى الصحراء يعملون على تحويلها من ارض جدباء الى جنة خضراء ‥ يحفرون الابار ليتدفق الماء غزيرا من الاعماق ،وتتحول التربة الموحشة الى مزارع خضراء زاهية ، تنتج القمح بالذات لكسر حلقة الاحتكارات الدولية له (الصورة السفلى) ‥ لقد تطورت نظرة الطوارق الى الاعمال المهنية ، فتحولوا فى مشروع غات الزراعى الى فلاحين نشيطين ، يتدربون تحت اشراف مهندسين زراعيين عرب ، ينتجون مختلف انواع الخضراوات من الارض التى جعلوها طيبة بسواعدهم وتعبهم (الصورة اليسرى) ‥ لقد نجحت تجربة زراعة الصحراء تماما فى غات ‥وبدأ العمل حاليا فى اقامة منازل على الاراضى المستصلحة وتقسيمها الى قسائم مساحة كل منها ٦ هكتارات اى ٦٠ الف متر مربع‥ لتوزيعها على عائلات الطوارق٠
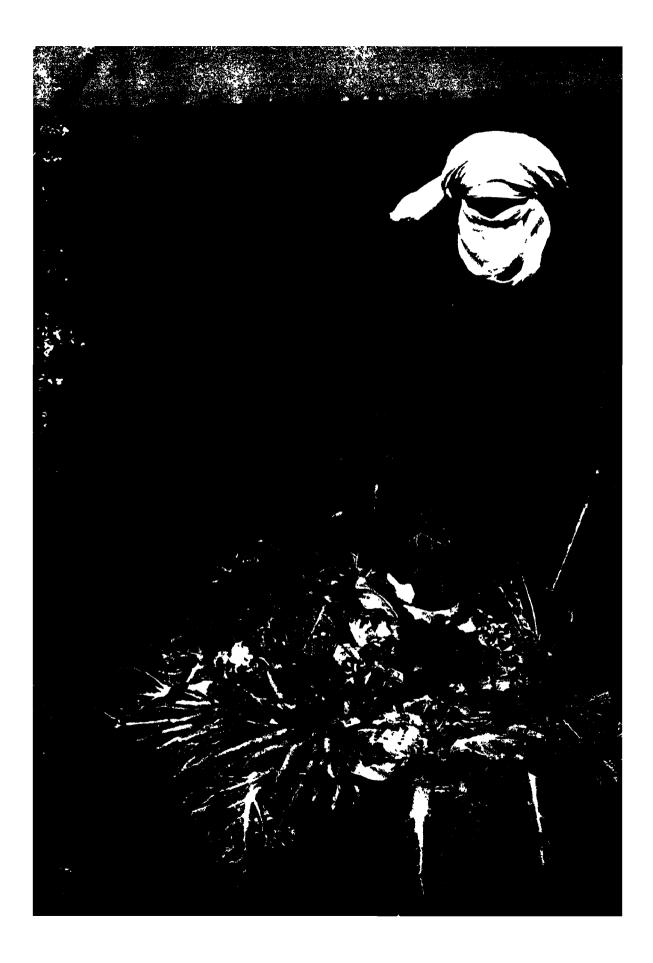
(الهكتار = ١٠ الاف متر مربع) لا يزرع منها الا ٣ ملايين هكتار فقط ٠

وكانت نسبة العاملين في القطاع الزراعي ٧٠٪ من مجموع القوى العاملة في البلاد ، انخفض الى النصف ، اى ٣٧٪ في عام ١٩٦٧ ٠

٧٠٠ مليون دينار للزراعة

ولكن ايرادات النفط الخيالية استطاعت ان تعوض هذا النقص بسهولة جدا ٠٠ الا ان المسئولين يصرون على تحقيق الاكتفاء الذاتي محليا ٠٠

وتحقيقا لهذا الغرض خصصوا ٧٠٠ مليون دينار ليبي في الخطة العشرية من اجل النهوض بالزراعة فقط ٠٠ وكان نصيب غات في المرحلة الاولى ١٢ مليونا من اجل مشروع استصلاح الاراضي ٠٠

هدية لكل اسرة !

واتجهنا الى منطقة المشروع ٠٠ انه مشروع يفوق الامكانات البشرية ، طموح كبير هدفه تحقيق الاكتفاء الذاتي من الخضروات والحبوب واللحوم والاعلاف لمنطقة غات !!

انهم يعملون على استصلاح قطعة صحراوية موحشة ، مات فوقها ثلاثة من أهالي غات عطشا منذ ٥ سنوات بينما المياه كانت تحت اقدامهم مخزونة لا يدرون عنها شيئا !!

لقد اندفعت المياه غزيرة من الابار الارتوازية لتروى الفي هكتار من الارض ، يجرى تقسيمها الى مزارع مساحة كل منها ٦ هكتارات ٠٠ في كل منها مسكن وحظيرة اغنام وارض مزروعة باول محصول، لتقديمها هدية لنحو ٣٣٠ اسرة طارقية ٠

٦٠ او ٢٠ الف متر ؟

ما من شك ان هذا المشروع رائع جميل ٠٠ولكن الموضوع يحتاج الى وقفة تامل ومراجعة ٠٠ فهذا الطارقي الطيب النبيل وجدناه يعيش عند سفوح الجبال في تجمع لا يتعدى العشرين شخصا ٠٠ يعيش ليومه ، قانعا بحياته مع اسرته حول بئر ماء

يأتي الطوارق فوق جمالهم الى مشروع غات الزراعي ، يشهدون الاعمال التي تجرى هناك ويتعجبون من كيفية تحويل الارض الموحشة الى ارض طيبة ٠٠ ويقفون طويلا يتحدثون مع اخوانهم الذين يتدربون على الماكنات الحديثة الكبيرة تحت اشراف مهندسين عرب ٠

يزرع بضعة امتار من الارض٠٠ انه يهاب الاقتراب من المدينة ومشاريعها الضخمة ٠٠هذا الرجل القانع يصاب بالحيرة عندما يعطى ٦٠ الف متر مربع (٦ هكتارات) من الارض٠٠ ماذا سيفعل بها، ومن سيزرعها له ؟

ان اعادة تحديد مساحة الارض بهكتارين ، اى ٢٠ الف متر مربع لكل اسرة ، هو اكثر من كاف لانه بهذا الاسلوب يمكن ان يزيد عدد العائلات الطارقية المستقرة الى الف عائلة بدلا من للثمانة!

عائلات كثيرة ستشعر بدفء اكبر ، وباطمئنان زائد فى حياتها المستقرة الجديدة ، عندما تجد نفسها وسط مجموعة كبيرة من العائلات ٠٠

مياه عمرها ٣٠٠٠ سنة !

ولكن هل التوسع فى تعمير الصحراء خطة حكيمة ؟ ٠ الا يمكن لهذه المياه الجوفية ان تنضب فى يوم ما من فرط تزايد الاستهلاك ، فتزول الواحات ، وتدفن تحت الرمال المتحركة ؟

وسألنا احد الخبراء الاجانب العاملين فى حقل المياه الجوفية فى غات عن رأيه فقال : « الامطار فى منطقة غات شحيحة لاتتعدى سنتيمترين فى السنة والمياه الجوفية فيها مخزونة عمرها ٣٠٠٠ سنة ، اى انها من أواخر الامطار التى هطلت على المنطقة قبل ان تصبح صحراء ٠٠ وبقيت هذه المياه مخزونة كما هى فى جوف الارض يأخذ منها الناس قدر حاجتهم فقط٠٠ اما اليوم فقد تضاعف عدد السكان وسوف يتضاعف مرات ومرات٠٠ والمشاريع الزراعية كبيرة طموحة مندفعة ٠٠ وحرام ان نبعثر هذه المياه الثمينة غير المتجددة ٠٠ »

مياه فى كل مكان

ولكن اهل غات لا يشاطرون هذا الخبير رأيه ، فهم يقولون ان المياه موجودة بكميات كبيرة تحت ارضهم ٠٠ ويؤكدون كلامهم بقولهم :

« ان المياه الجوفية لا تعرف حدودا سياسية ٠٠ وجيراننا الملاصقين لنا فى الجزائر اكتشفوا حقلا للمياه الجوفية مساحته تعادل مساحة فرنسا ، وعمقه ٥٠٠ متر ، ويضم اكثر من ١٢ الف مليون متر مكعب من الماء ٠٠ وفى منطقة الكفرة ، شرق ليبيا ، اكتشفوا مياها جوفية تعادل فى كمياتها المياه المتدفقة من نهر النيل لمدة ٢٠٠ سنة !!

كل هذه المياه عن يميننا ويسارنا ، تؤكد لنا ان عمليات المسح الشامل سوف تثبت وجود المياه الجوفية بكميات كثيرة جدا تحت ارضنا ! »

يقع المسجد العتيق فى قلب غات القديمة ، والمئذنة التى فى الصورة هى مئذنة جامع تافلفد ، الواقع عند اطراف المدينة القديمة٠

التاريخ على جانبى الطريق

ان المياه الجوفية المتدفقة جعلت من غات واحة٠٠ خضراء وسط بحار الرمال وموقعها الفريد وسط الصحراء الكبرى جعلها محطة للقوافل منذ قديم الزمان ٠٠٠ وقصة المنطقة ترويها بقايا العظام المتناثرة على الطرق القديمة ٠٠ هنا بقايا عظام الوف الجمال والعبيد ٠٠ وهناك جثث المستكشفين والرحالة ٠٠وهنا عظام الجنود الاتراك والفرنسيين والايطاليين ٠٠ وفى الطرف الاخير بقايا السيارات الكبيرة الملونة ببقع النفط !!

لماذا توقفت القوافل الكبيرة ؟

لقد اشتهرت «غات» بانها نقطة الاستراحة والتموين للقوافل الصحراوية الكبيرة المكونة من

الطوارق فنانون بالسليقة ٠٠فمنذ اقدم العصور رسموا لوحات على جدران كهوف تاسيلى ، ملونة بطلاء احمر لماع وكانها صبغت به بالامس فقط ٠٠ واليوم يقوم الاحفاد برسم لوحات فى حديقة المدارس ، مستوحاة من البيئة المحلية ،ومن الشعور العربى الدافق نحو فلسطين السليبة ٠٠ تحت اشراف مدرسين محليين وعرب ٠

فى ليلة الزفاف يقدم العريس لعروسه ،سكينا حادا ٠٠ داخل جراب نحاسي ،لا يفارقها فىتحركاتها طوال الاسبوع ،حتى لا تصاب بمس من الجن ، ٠٠ لقد ساعدت هذه العادة القديمة، القائمة حتى اليوم ، على استمرار الصناعة التقليدية المعدنية المعتمـــدة على النحـــاس والفضة ، والتى اشتهرت بها غات من قديم الزمان ٠٠ كان كل صانع يقيم فى منزله يصنع ما يريد ، ومع مرور الزمان تدهـــورت هـــذه الصناعة وانخفض عدد الصناع فى غات الى ١٢ صانعا فقط !٠٠ وحتى لا تندثر هذه المهنة اقامت وزارة الصناعة مركزا للتطوير ، امدته بالالات والمعدات والخامات اللازمة ، ليعمـــل فيه الصناع تحت اشرافها ٠٠ وفى الصـــورة بعض هؤلاء الصناع :: بابا سـيدى احمد ،الامين محمد عمر ، احمد المهدى ٠٠ يعملون فى صناعة مختلف انواع السيوف ٠٠ اما المـــرأة فتقوم بدور آخر فى الصناعة التقليدية ، فهى تحول سعف النخيل والطين الى صحون واطباق جميلة ، ومن الخرز الملون والجلود تصـــنع العقود والاســـاور الرائعة ، التى تباع فى مختلف مدن الجمهورية الليبية (الصورة اليمنى)

الفي جمل ، والتي كانت تنطلق من تمبكتو (بجمهورية مالي حاليا) الى غات وغدامس ، حتى طرابلس ، حاملة معها تبر الذهب ، وسن الفيل والمصنوعات الجلدية ، والصمغ والشمع.. التي كانت تنقل بحرا من طرابلس الى اوروبا.

كانت الرحلة الصحراوية تستغرق خمسة شهور ..وحياة الطوارق كانت تعتمد على هذه القوافل، يتقاضون منها الاتاوة عندما تمر باراضيهم .. وازدهر هذا التبادل التجاري الاوروبي الافريقي خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر،ثم بدأ يتقهقر في نهاية القرن السادس عشر عندما اكتشف العالم الجديد .

واتجه نشاط التجار الاوروبيين نحو امريكا.. ومع نهاية القرن التاسع عشر اصبحت تجارة القوافل شبحا لما كانت عليه في العصور السابقة ، فكانت نهايتها لاسباب عدة منها : اضطراب الامن على طول الطريق .. ونجاح الانجليز والفرنسيين في السيطرة على انهار النيجر والفولتا والسنغال ، وتحويلهم تجارة الرقيق الاوروبية من طرابلس الى موانيء غانا يصدرون منها بضاعتهم البشرية الى العالم الجديد ..

دماء فوق الرمال

ومع اندثار القوافل الصحراوية التجارية ،ظهرت قوافل جديدة صغيرة كانت تنطلق على نفس الطريق التجاري القديم ..قوافل المستكشفين الاوروبيين ، التي غالبا ما كانت تنتهي بمآس دموية يقتل فيها افراد البعثة جميعا !..

واشهر هذه المآسي،مأساة الميجور لنج البريطاني، الذي انطلق عام ١٨٢٥ من طرابلس قاصدا تمبكتو، وبعد مروره على « غات » سقط بايدي الطوارق، الذين تركوه مضرجا بدمائه في النزع الاخير فوق

الميجور لنج

لا بد من حل مشكلة الماء قبل التوسع في بناء غات الجديدة .. وهذا لم يمنع من اقامة حي تادرمت الجديد الذي يضم المستشفى ، ومحطة الكهرباء ، والمساكن الحديثة والشعبية ..

الرمال ، ولكن قبيلة عربية مرضته وانقذته من الموت ، فواصل سفره لمسافة ٤٠٠ ميل في اسوأ الصحاري حتى وصل الى تمبكتو ، ومكث فيها شهرين بدأ بعدهما رحلة العودة . ولكن اناسا مجهولين اغتالوه في الطريق وقطعوا رأسه .. وهكذا اصبحت ايما ، ابنة القنصل البريطاني في طرابلس ، التي احبها حبا جنونيا ، ارملة قبل أن تصبح عروسا !!

هذه قصة واحدة من قصص عشرات المستكشفين الذين فقدوا حياتهم بحثا عن خفايا الصحراء ..

ثورة وهروب وعودة !

ومع بداية هذا القرن العشرين تبدلت الصورة واصبحت القوافل الحربية هي المسيطرة على الطرق ..قوات تركية دخلت غات عام ١٨٧٤ وخرجت منها بعد ثورة الاهالي ، لتعود وتحتلها ثانية بقوات اكبر ، حتى جاء الايطاليون في اغسطس ١٩١٤ وتتكرر القصة .. الاهالي يقومون بثورة

● حياة جديدة للطوارق

من عجينة دقيق القمح المحمرة ، وفوقها عدس اسود ، وقرع احمر وصلصة الطماطم باللحم ..

وحول طبق عامر من البازين جلسنا نستمع الى رئيس لجنة بلدية غات الاخ احمد حسين سالم يحدثنا عن متاعب مدينتـه قائلا : متاعبنا هى الطريق والماء .. والطريق بدأ العمل فى تعبيده وسيمتد ٣٦٠ كيلو متر حتى «اوبارى» .. اما الماء فناقص حاليا وقد حفرنا حتى عمق ٤٥٠ متر ولم نجده . اننا لسنا متخوفين من الماء فعلى مسافة ٦٠ كيلو مترا فقط تقع منطقة تهلا الغنية بآبار المياه. ونضع حاليا التصاميم لمد الماء من تهلا.

« والبناء فى غات متوقف حتى ندرس مشروع المجارى . ولا يمكننا ان نبنى لنكسر فيما بعد..

« ان مقومات السياحة كلها متوفرة فى المنطقة .. البحيرات الصحراوية الفاتنة ..على مسافة ٢٠ كيلومترا ورسوم الانسان الاول على مسافة ١٢ كيلومترا .. ان عدد سكان غات حاليا ٤٠٠٠ نسمة وسكان المنطقة كلها ٩٠٠٠ نسمة .

« ان مستقبل غات يتجه نحو الزراعة ثم الصناعة .. اما المعادن فاحتمالاتها كبيرة جدا.. فالخبراء يقولون دائما ان وجود الملح معناه وجود النفط من تحته . ونحن عندنا الملح " »

الملح فى ليلة القدر

والملح فى غات يستخرج من السهل الممتد تحت جبل الجن .. لقد لعب الملح دورا كبيرا فى التبادل التجارى مع افريقيا الغربية، اما اليوم، وبعد ان توقفت تجارة الملح الصخرى . فلم يعد احد يذهب لجمع هذا الملح الا فى ليلة القدر اى فى ٢٧ من رمضان من كل عام . تخرج النسوة بجموع غفيرة الى منطقة الملح ، يستخرجن كتلا منه ، وبعد تنظيفه من الرمال العالقة به ينقله الرجال معهم الى المسجد عند صلاة العصر ، ثم يعودون به الى المنزل للتبرك واستعماله علاجا لبعض الامراض!

والطوارق يتمتعون بشجاعة فائقة لا يخافون من اى شيء محسوس ..اما الحديث عن الجن والفال والخرافات . فهذا شيء آخر !! ان الواحد منهم يرتدى الاحرزة والاحجبة بالجملة . لتحميه من « جمهورش وابنيه ياريما وجلاديما » .الساكنين ــ حسب اعتقاده ــ فى جبل الجن الموجود عند مدخل المدينة على طريق اوبارى الرئيسى !

باب الخبر فى غات القديمة .. وللمدينة اربعة ابواب كانت تغلق سابقا .. وفى حى تعرفت القديم منازل مقفلة منذ قرون مضت ، يعتقد الاهالى بوجود كنز فى داخلها يحرسه الجان!

.. الايطاليون يهربون ليعودوا ثانية بقوات اكبر. ولا يتركون غات الا عام ١٩٤٣ امام زحف قوات فرنسا الحرة المتقدمة من بحيرة تشاد لتحتل غات.. ولم ترحل فرنسا الا عام ١٩٥٦ لتاخذ غات مكانها الطبيعى بين مدن ليبيا المستقلة ..

متاعب المدينة ..

وبعد منتصف هذا القرن استيقظت الصحراء وافرغت ما فى جوفها من ثروات نفطية ومعدنية ، وحلت السيارات الضخمة مكان الجمال على طرق القوافل التقليدية ..

ولا توجد طرق معبدة توصل الى « غات » حتى اليوم . وطريق اوبارى الوعر هو طريق العذاب الوحيد . كل اصحاب السيارات يتخوفون منه لوعورته فيضاعفون اسعار النقل .فترتفع الاسعار فكل شيء ياتى الى غات عبر هذا الطريق ..حتى الماكولات ..

وطبقهم المفضل هناك هو « البازين » ويصنع

حـــول مشروع غات الزراعى ، تجمع الطـــوارق خارج خيـــامهم يزاولون اعمالهم اليدوية انتظارا لتوزيع قسائم المشروع عليهم ··

الـى اليســار : كانـت الفتـاة « تمشى » الى الحـــداد ليخلع لها ضرسها ··اما اليوم فيقوم الدكتور شكيب شريدى بعلاج اسنان الطوارق وتراه هنا يعالج « نانا بتـــورى متنه » ·· ولكن مشكل الاسنان فى غات يكمن فى الماء الذى ينقصه الفلور ، واكل الحلويات والتمور فى الليل ، دون غسيل الاسنان !!

المرأة هى المرأة ‥ تعشق الذهب والفضة حتى ولو كانت فى غات ! وهذه هى فاطمة احمد عبدالله احمد ترتدى ملابسها الجميلة وحليها الذهبية والفضية الكثيرة ‥ ان النساء الطارقيات سافرات ، بينما الرجال هم المحجبون !!

حول مشروع غات الزراعي ، تجمع الطوارق خارج خيامهم يزاولون اعمالهم اليدوية انتظارا لتوزيع غنائم المشروع عليهم ..

الى اليسار : كانت الفتاة « تمشى » الى الحداد ليخلع لها ضرسها .. اما اليوم فيقوم الدكتور شكيب فريدي بعلاج اسنان الطوارق ونراه هنا يعالج « نانا بحورى منته » .. ولكن مشكل الاسنان في غات يكمن في الماء الذي ينقصه الفلور ، واكل الحلويات والتمور في الليل ، دون غسيل الاسنان !!

المرأة هى المرأة .. تعشق الذهب والفضة حتى ولو كانت فى غات ! وهذه هى فاطمة احمد عبدالله احمد ترتدى ملابسها الجميلة وحليها الذهبية والفضية الكثيرة .. ان النساء الطارقيات سافرات ، بينما الرجال هم المحجبون !!

الى اليمين : ٦٠ قضية تعرض شهريا على القاضى شعبان رجب حمد العمامى فى غات الذى يحكم فى جميع انواع القضايا ، فيما عدا جرائم القتل حيث ينقل الجانى بالطائرة الى مدينة سبها لمحاكمته. والدية الشرعية هى ١٢٠٠ دينار. اما عن قتل الحيوان ودهسه فهى ٣٠ دينارا عن الخروف و ٢٠٠ دينار عن البقرة المحلية ، و ٤٠٠ دينار عن البقرة الايطالية !

السمك الطائر ..

ان انعدام الطرق مع غات جعل من الطائرات وسيلة المواصلات الرئيسية ... عندما يسمع الاهالى ازيزها يهرعون للمطار الصغير لاستقبالها. ويوم وصولنا « كان اليوم يوم ريح فلم يسمع صوت الطائرة » .. « وفى كل اسبوع تهبط فى مطار غات الرملى طائرتان تحملان ٣ طن من اللحم والاسماك ، التى اصبح ابن البلد يعرفها ويحبها. و١٤ الف بيضة و ٢٠٠ كيلو جبن ابيض ، كل هذا يأتى الينا فى شركة التسويق ،نبيعه للاهالى باسعار محددة للتخفيف من حدة الغلاء .. ولكن مشكلتنا ان الطائرة لا تاتى بانتظام ، فنضطر للبيع فى حدود الموجود »

هذا ماقاله لنا ابو بكر بلال عيسى مشرف فرع غات لشركة التسويق ..

السفر بسيارتين !

وعدم انتظام مواعيد الطائرة يسبب ازعاجا كبيرا لاهل غات .. كما سبب لنا متاعب اكبر .. ففى رحلة العودة كنا نتراهن على الطائرة : ستصل .. او لا تصل ؟الواقع انها لم تصل ،وكان لا بد من سفرنا ، ولم يكن هناك من وسيلة الا ركوب سيارة لاندروفر والانطلاق بها صوب سبها مرورا بالعوينات واوبارى ..

ولكن الاخ احمد حسين سالم رئيس لجنة بلدية غات ، اعترض وصمم على عدم سفرنا الا فى فجر اليوم التالى حتى يتمكن من اعداد سيارتين ، لان الطريق وعر جدا ، فاذا تعطلت واحدة ركبنا الثانية ..

طريق العذاب

ومع اشراقة الفجر انطلقنا فى السيارتين ،ومررنا من تحت ظلال كهف الجنون..ونظرنا اليه فوجدناه قطعا مسننة حادة تتلاعب ظلال الشمس عليها فتخلق منها اشكالا متنوعة .. كان سائقنا يقود السيارة بسرعة وكانه يريد ان يرحل من هذه النقطة فى اقرب

الى اسفل : القلعة التى تشرف على منازل غات القديمة ، شيدها العثمانيون ، وهدمها الايطاليون ، ثم اعادوا بناءها قبل أن يحتلها الفرنسيون فى الحرب العالمية الثانية ، اما اليوم فهى من الآثار المهجورة المهملة ..

الى اليسار : يعتقدمعظم الطوارق بان حمهـورش وولديه يارهـا وجلاديما،وهم من الجن ، يسكنون في هذا الجبل !! والقصص التي يتناقلونها عنهم كثيرة متعددة ‥ وقد جاءت بعثة من جامعة بنغازى ابدلت اسـم الجبـل من « كاف الجنون » الى كاف الامان ولـكن الاهالي ما زالـوا غير مقتنعـين بالاسم الجديد ·

وقت ‥ وانطلقنا وسط كثبان الرمال ‥ وكلما زمجر محرك السيارة سارع سائقنا بالضغط على الازرار الصفراء والحمراء فتعاود السيارة القفز فوق التلال ، لتخلعنا من مقاعدنا ، فتصطدم رؤوسنا بسقف السيارة التي يقودها سائقنا كما لـو كـان يقود الجمال ! غير عابيء بالحفـر او الاعشاب او التلال !!

كنا نسير في واد تنزوفت الجاف بين سلسلتي جبـال اكاكـوس (٤٠٠٠ قدم) وجبـال تاسيلي (٦٠٠٠ قدم) التي اكتشفت في مغائرها اروع اللوحات التي رسمها الانسان الاول منذ ٧ آلاف سنة ‥ لقد قلبت هذه اللوحـات بروعتها ودقة خطوطها ، والوانها الزاهية حتى اليوم النظريات العلمية عن الانسان الاول ‥ رسوم لعربات تجرها الخيول وحيوانات متنوعة وتوضح انهذه الصحراء كانت خصبة ماهولة بالفيلة ومختلف الحيوانات حتى القرن الاول الميلادى ‥ بل حتى اوائل هذا القرن كان الفرنسيون يصطادون النعام الكبير في المنطقة ‥ لقد اهلك الصيادون من طـوارق واجانب ، حيوانات الصحراء ، وقتلوا اكثر مـن احتياجاتهم ، واقتلعوا الاعشاب والاشجار للتدفئة وتركوا الصحراء عارية ‥

كانت هذه الافكار تراودنا عندما توقفت السيارة فجاة وتحقق ما توقعه الاخ احمد حسين،فقد اصيب موتور سيارتنا وفشلت جميع المحاولات لاصلاحه، ورفض السائق متابعة الرحلة بسيارة واحدة واصر على رجوعنا الى غات ‥

بعد ٢٥ قرنا من هيرودوتس !

لقد زار المؤرخ الاغريقي الشهير هيرودوتس هذه المنطقة في القرن الخامس قبل الميلاد ،وكتب يقول: « رياح الجنـوب جمعت الآبـار ، وكل الاراضي الزراعية اصبحت بدون ماء‥ فعكر القادة في اتباع اسلوب جديد للدفاع ضد هجوم الرياح الجنوبية، واثناء عبورهم للرمال دفنت الرياح الناس كلهم »!

واليوم وبعد ٢٥ قرنا من زيارة هيرودوتس ، نجد شعبا آخر يبحث عن اسلوب جديد ليصمـد امام رياح الجنوب والرمال المتحركة ‥ لقد حقق انتصارات جبارة في هذا المضمار ، جعلته ينطلق من خطوط الدفاع الى الهجـوم على الصحـراء نفسها ، يحول رمالها الصفراء المتحركة الى اراض خضراء يانعة !

والعقبات التي تصادفهم في عملهم ، ليست عقبات تقنية او ادارية او مالية ، بقدر ما هي عقبات اجتماعية ونفسية . كيـف نحـول نبـلاء الصحراء الى مواطنين عاديين ؟

ان سادة الصحراء القدامى يجلسـون اليـوم بالساعات ملثمين صامتين تحت اشعة الشمس ‥ عيونهم سارحة حائرة ‥ لقد فقدوا وظيفتهـم التقليدية ، وانطفا عالمهـم الصحـراوى بانهيار اقتصادهم المعتمد على الجمل ، فاصبحوا وجمالهم من الماضي الجميل المجيـد الـذى تـروى قصصه لاولادهم واحفادهم قبل النوم !

سليم زبال

عندما اتيحت فرصة الانفتاح للطارقي ، انطلق وابدع ·· وهؤلاء بعض الطلبة بملابسهم الفلكلورية الملونة

يؤدون رقصة التحدى الطارقية العريقة.

لحم محمر بالسمن ، وبيض مسلوق وفول سوداني يقدمها الطارقى فى جلسة الشاى ·· اما الوان التيكامست ، اى الجلباب الفضفاض واللثام الكثيف ،فتخضع لمزاج الشخص·

الى اسفل : « رات » او « غات » القديمة ·· منازل متلاصقة يحيط بها سور له اربعة ابواب ، تؤدى الى الاحياء الاربعة بالمدينة ·وحول هذه المدينة امتدت المبانى الحديثة · ■
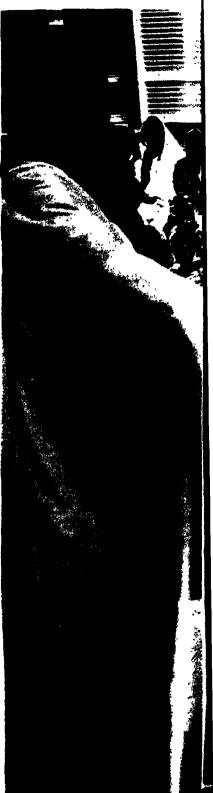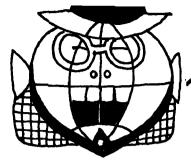
هواية عالم كبير !

● توماس اديســـون (١٨٤٧ — ١٩٣١) العالم الامريكى الشــهير الذى سجل رقما قياسـيا فى عدد المخترعات الحديثة التى قدمها للبشرية حتى قيل انه ابتكر وصمم ما يـزيد على الالف اختراع ، كان يقضى كل يومه ، ليله ونهاره فى معمله وسط بحوثه وتجاربه ٠٠ فقد كانت المختــرعات حيــاته وهوايته !

ولكن هذا العالم الكبير كان له هواية اخرى ، فقد كان يشعر بضعف شديد امام دعوة اطفاله اليه ، لمشاركتهم فى العابهم ، بل انه كثيرا ما كان يشاهد واقفا وراء نافذة معمله ، ينتظر لحظة خروجهم الى حديقة البيت ، فلا يكاد يراهم ويسمع صـياحهم ، حتى يترك معمله وينضم اليهم فى مارياتهم فى القفز والجرى ولعب الكرة ! فقد كان اديسون يعشق كل شىء يتصل بحيـاة الاطفال وهواياتهم ، ويجد متعة كبرى فى مشاركتهم ركوب الدراجات والذهاب معهم الى الشاطىء لصيد الســمك ، وبقيت هذه الهـواية تلازمه حتى بلغ السبعين ، عـدما أحس ان ســاقيه الهزيلتين قد عجزتا عن حمل جسمه ، فاقنع نفسه بالاكتفاء بممارسة هوايته الأصيلة ،ولكنه لم يكف يوما عن مراقبة احفاده من وراء النافذة وفى صـدره حسرة على الشباب الذى ولى !

جلس اليه ابنه تشارلز يوما يقول له : « الا تجد حرجا يا ابى ، وانت العالم الكبير ، فى مشاركتنا العابنــا الصغيرة ؟ »

وقال اديسون : « بل اجد متعة يا بنى ٠٠متعة حرمت منها فى طفولتى! »

ـ ومن الذى حرمك منها ؟

ـ ناظر المدرسة الذى فصلنى من مدرسته لاننى كنت تلميذا خائبا !

ـ وماذا فعل بك والداك ، وكيف تعلمت ؟

الملكة العذراء !

● اليزابيث الاولى، ملكة بريطانيا (١٥٣٣ ـ ١٦٠٣) ٠ جلسـت على العرش وهى فى الخامسة والعشرين ، وبقيت جالسة على عرش الامبراطورية التى لم تكن تغرب عنها الشمس مـدة ٤٥ عامـا أعطت فيها كل حبها لبلادها ٠٠ حتى الزواج كانت تنفر منه وتضرب عنه فلم يكن عندها وقت لمجرد التفكير فيه ٠٠ كنت تقـول امام العـاح المقربين اليها فى البلاط الملكى ، بأن تختار لنفسها زوجا : « يكفينى فخرا ان يكتبوا على قبرى عنـدما اموت ،

ـ لقد افتتحت لى امى مدرسة فى بيتها .. كانت هى معلمتى وزميلتى ومربيتى .. وكنت اقضى فى « مدرستها » النهار بطوله ، ولكن حدتك يا بنى كانت تكره اللعب !

المرأة فى حياة كيث!

● جيلبرت كيث شسترتون (١٨٧٤ ـ ١٩٣٦) المؤلف القصصى الانجليزى ، بدأ حياته صحفيا ، وكان يكتب لمجلة « لندن نيوز » المصورة ، ويخصها دون سواها بمقالاته فى الفن والادب والسياسة والنقد . ولكن حياة الناس ومشاكلهم كانت أكثر ما يثير اهتمامه ، وأحوال المرأة بصفة خاصة، فقد كان يعطف عليها ويدافع عن حقوقها ، وكان يصفها دائما فى تلك الكلمات التى عاشت معه فى قصصه ومؤلفاته ومقالاته ، قال عنها : « انها النصف الافضل » فهى أمى وامك ، واختى واختك .. وهى الزوجة وهى الام .. وهى الابنة .. اليست هذه هى المرأة التى ظلمتها كل المجتمعات وقست عليها ؟!

وعندما اصدر كيث كتابه « دراسات فى حياة واعمال تشارلز ديكنز وروبرت براوننج » قالوا يسألونه : « لقد امتلأت تلك الحقبةمن الزمن ، وما قبلها وما بعدهابمشاهير الكتاب والشعراء .. لماذا ديكنز وبراونتج وحدهما ؟»

وقال كيث : « لقد وجدت فيهما نفسى .. الاول وقف مدافعا عن المرأة المغلوبة على امرها .. حتى تلك التى اضطرت امام قسوة الحياة ان تبيع جسدها !

« أما براونتج . فقد كان شاعرا رقيقا .. وسوف تعيش اعماله من بعده لقرون طويلة مقبلة .. ولكننى اعتقد ان اعظم عمل قام به هذا الرجل الفنان. هو قصة حبه الخالد للفتاة المريضة المسكينة اليزابيث باريت .. لقد احبها من خلال ما كانت تكتبه بدمها ودموعها من شعر هز كيانه هزا .. فقد كانت تعيش اسيرة حب والدها لها وخوفه عليها .. فلما لقيته ،قامت من فراشها ، فامسك بيدها واصبحت له زوجة واما لاطفاله . وقدمت اروع اعمالها فى حياتها الجديدة مع الرجل الذى اعطاها قلبه وحبه وكل ما يملك!»

هنا ترقد اليزابيث التى حكمت بريطانيا عذراء ، وماتت عذراء ! »

وقالت فى مناسبة أخرى : « اننى افضل ان اتسول بلا زواج . على ان اكون ملكة متزوجة »

كانت تفخر بطبيعة الحال بمستعمراتها التى تزداد رقعتها اتساعا عاما بعد عام ، ولكن مصدر فخرها الاعظم هو انها عاشت فى تلك الحقبة من الزمن التى انجبت شكسبير عملاق الأدب الانجليزى !

قاعة مبنى البنك الجديد ٠التى صممت
يتوافدون كل صباح لانهاء معاملات

● استطلاع الكويت ●

العملة في الكويت لها قصة طويلة

استطلاع بقلم : يوسف الشهاب

احدث طراز معمارى يكفل السلامة والامن لمثل هذه المؤسسةالهامة ،ويبدو فيها بعض المراجعنالذين
ـاتهم الاقتصادية ٠٠ اما الىاليمين فتبدو مجموعة من العملات القديمة ٠ (تصوير : أوسكار مترى)
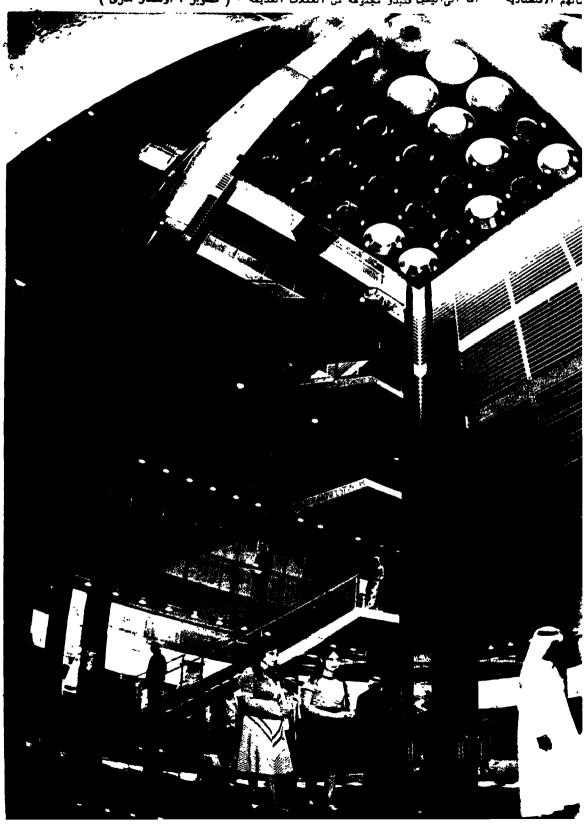
■ رجال من الشرطة ، ورشاشات ، وحالة طوارىء دائمة ، واحتياطات أمنية كبيرة وعيون ساهرة ويقظة تراقب الداخل والخارج من مبنى البنك المركزي في الكويت ، المشيد على طراز القلاع التاريخية القديمة ، وبداخل هذا المبنى لا ترى غير اوراق النقد تتداولها الايدي بحذر تعدها وتحقق في صلاحيتها ثم تشعل لها الضوء الاخضر للنزول الى الاسواق تارة ، أو ياتي الضوء الاحمر ، فيامرها بالوقوف ويصدر الحكم عليها بعد ذلك بالاعدام حرقا ..

وقصة العملة الكويتية طويلة وشيقة ، تعاقبت عليها العصور ، وتداخلت فصولها على مر الزمن حتى وقفت عند المحطة الاخيرة فاسدل الستار عنها بعد ان بقي الدينار لغة التعامل الوحيدة في الكويت .

كيف كانت بداية القصة ؟

يعود تاريخ أول عملة نقدية عرفتها الكويت الى نحو ٢٠٠ سنة قبل الميلاد، اذ اشرقت الشمس على ولادة تلك العملة التي عثر على بعضها بين اطلال جزيرة فيلكا ، وكان الوجه الاول للقطعة النقدية يحمل صورة انطيوخس الثالث حاكم الامبراطورية السلوقية ما بين ٢٢٣ ـ ١٨٧ ق.م أما الوجه الثاني فقد نقش عليه صورة الاله ابوللو ، حامي الاسرة السلوقية . كما عثر بين اطلال الجزيرة ذاتها على قطع اخرى من النقود مسكوكة من نفس مادة العملة السلوقية تقريبا ، لكنها تحمل صورة البطل هرقل ، وعلى الوجه الثاني الاله زيوس ، وهي نقود مسكوكة باسم الاسكندر الاكبر ـ وتداول سكان جزيرة فيلكا هذه العملات خلال الحكم السلوقي لجزيرتهم .

ازدهار وانتعاش في القرين

وتعاقبت السنوات متتالية ، بعد الفترة الاولى، وشاع صيت « القرين » وهو اسم الكويت القديم ، كمركز تجاري عن طريق التجارة البحرية الممتد بين اوروبا والهند واتخذت « القرين » يومها محطة لاستراحة القوافل ودوابهم قبل مواصلة رحلتها من الهند الى اوروبا عبر بغداد وحلب ، وانطلق ابناء الكويت فوق سفنهم المتواضعة تمخر باشرعتها عباب البحر الى سواحل افريقيا واليمن وساحل مالابار بالهند ، وجزيرة جاوة الاندونيسية ، يبتاعون ما يحملونه من لؤلؤ ـ ويجلبون الاخشاب والارز والبضائع في رحلة الاياب ـ كل هذا بالاضافة الى انتقال مقر شركة الهند الشرقية من البصرة الى الكويت عام ١٧٩٣م جعل التجارة تعيش بازدهار وانتعاش ، تنوعت العملات المتداولة وسهل التعامل فيها ..

الليرة العثمانية .. والريال المجيدي

ولا نستغرب اذا علمنا ان هناك اكثر من عملة اشتهرت واستعملت في تلك الحقبة من الزمن ـ فكانت الليرة العثمانية ، والريال المجيدي الفضي وما يتبعه من بشلق وبارة ، وكان ايضا الجنيه الانجليزي فالريال الفرنسي ، وهو الاسم الذي يعرف به ريال الملكة تيريزا الفضي ـ اما « القواريف » وهي العملة الايرانية الفضية ، فكانوا يطلقون عليها اسماء « ابو دبيلة » للقطعة

محمد توفيقي
مدير ادارة التخطيط

د . محمد بدوي
مدير المكتب الفني

محمد القاضي
مدير ادارة البحوث

غير المنتظمة الشكل ٠ و « الشرفي » للقطعة المنتظمة الشكل اى الدائرية ، والى جانب « الفوارين » كانت ايضا الشاهية عملة ايرانية نحاسية اقل قيمة من « الفوارين » ومن العملات التى كانت مستعملة « البرقشية » نسبة الى برقش حاكم مسقط وبعدها الروبية الهندية ٠

اختفاء ٠٠ واستقرار للروبية

يقول احد المخضرمين من ابناء الكويت عن كيفية دخول الروبية الى اسواق الكويت وتداولها بين الناس يقول ، ان احد التجار الكويتيين باع ذات مرة كمية من اللؤلؤ فى اسواق الهند وجلب معه اعدادا هائلة من الروبيات الهندية ، كان من نتائجها دخول هذه العملة الى البلاد واستقرارها فيها ، هذا الامر كان حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى وتقلص نفوذ الدولة العثمانية ، اذ بدأ الارتباط التجارى بين الكويت وشركة الهند الشرقية ، وهو الارتباط الذى ادى الى اختفاء العملات القديمة المتنوعة التى كانت متداولة فى الكويت ٠٠

نقد كويتي مستقل

كانت اول محاولة لاصدار نقد كويتي مستقل خلال حكم الشيخ عبدالله الصباح الثانى عام ١٣٠٤ هـ ، ١٨٨٦ م اذ امر المغفور له الشيخ عبدالله ، بسك عملة خاصة نحاسية ، حفر عليها كلمة « كويت » وكذلك حفر عليها تاريخ السك ١٨٨٦ م وامضائه ، وبقى تداول هذه العملة لفترة قصيرة ، حيث سحبت بعدها من الاسواق ٠ ثم فكرت الحكومة بعد هذا السحب ، والى ازدهار الكويت عام ١٩٥٠ م ، باصدار عملة جديدة مستقلة ، لكنها تراجعت عن فكرتها بعد ان رات واقتنعت بقوة النقد الموجود يومهـا ، وتمتعه بمركز ثابت بين العملات الاخرى فى العالم ٠٠

خطوات هندية ٠٠ لاستبدال الاوراق القديمة

وظلت الروبية الهندية هى العملة الوحيدة فى الكويت ، حتى مايو ١٩٥٩ م ، حيث صدر اعلان من الحكومة الهندية اوضحت فيه ما تعانيه من قلق متزايد لما تكبدته من خسائر فى الاحتياطى من نقدها الاجنبى ، نتيجة التصدير غير الشرعى

وجهان لاول عملة ضربت فى الكويت ٠ فى عهد الشيخ عبدالله الصباح الثانى احد الوجهين كتب عليه عبارة ضربت فى الكويت ١٣٠٤هـ توافق ١٨٨٦م ويحمل الوجه الاخر توقيع الشيخ عبدالله الصباح ٠

للاوراق النقدية الهندية الى منطقة الخليج العربى ، وبكميات تزيد زيادة فاحشة عن حاجة تلك المنطقة ، ثم استبدالها بالجنيه الاسترلينى ــ ومن اجل علاج هذا الامر ، فقد اتخذت الحكومة الهندية خطوات لاستبدال الاوراق المتبادلة آنذاك باوراق نقدية جديدة ــ وهكذا تم استبدال اوراق المائة روبية الزرقاء باوراق خضراء زاهية ــ واوراق العشر روبيات ذات اللون الارجوانى باوراق حمراء قانية ــ واوراق الخمس روبيات الخضراء استبدلت هى الاخرى باوراق برتقالية ٠٠

وجاء الدينار ٠٠ ومعه مجلس النقد

لم تستمر العملة الجديدة السابقة طويلا ، ودفعت الى التفكير باصدار نقد كويتي وطنى مستقل ، وفى ١٩ اكتوبر ١٩٦٠م صدر المرسوم الاميرى رقم ٤١ لسنة ١٩٦٠ م بقانون النقد الكويتي الذى نص على جعل الدينار وحدة للنقد الجديد وبموجبه كانت ولادة مجلس النقد الكويتي

خلف ابواب مغلقة « بالازرة » الخاصة ، يجتمع مجموعة من موظفي البنك المركزي لحساب الاوراق التالفة ومعرفة كمياتها قبل ذهابها الى الفرن كل هذه الاجراءات تتم تحت اشراف مكاتب حسابات تعينها الحكومة ..

قبل ان تذهب المبالـغ التالفة الـى الحريق ، توضع تحت هـذه الالة التـى تقوم بثقبها استعدادا للدخول الى الفرن (الصورة الى اعلى) ٠
وهنا ٠٠ داخل هذا الفرن الغازى ، يوضع اكثر من مليونى دينار كويتى كل عام ، بعد ان تسحب من التداول لاستهلاكها ، وفى لمحة بصر ووسط العيون المتطايرة ، تتحول كل هذه المبالغ الى رماد (الصورة الى اسفل) ٠

نحن نخاف الشيخوخة

لماذا؟
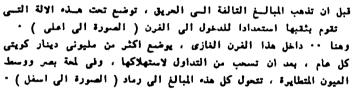
بقلم : منير نصيف

■ مع اليوم الاول من العام الجديد مثل كل عام، ينتابنا احساس غريب .. لقد كبرنا عاما ، انقضى عام من عمرنا .. وعام كامل من حياة الانسان ليس شيئا بسيطـا . لان رحلة العمـر علـى الارض قصيرة .. !

ولكن ماذا يعني هذا الوقت الذى يمر بنا ،والذى تعلمنا كيف نحسبه باليوم والشهر والسنة ؟ نحن نقول انه وقت يمر من اعمارنا ويقترب بنا شيئا فشيئا من الشيخوخة ... وبعد الشيخوخة تكون نهاية رحلة العمر !

ولكن أهل العلم يفلسفون الحياة بصورة اخرى، وهى فلسفة لا تخفى علينا ،فنحن نقرأ عنها ونسمع بها . ولكن قلما توقفنا يوما عند هـذه الفلسفة التى يقولون بها .. كيف فلسفوا الحياة . وماذا قالوا ؟ قالوا : ان اعمار الناس لا تقاس بالسنين، فهذه الصفحات التى نطويها مـع صبـاح كل يوم باسمائها وارقامها ، لا تعنى شيئا .. انها مجرد نظام وضعناه نحن بايدينا ،نحدد به حياتنا وعلاقتنا بهذا الكون الواسع من حولنا وكل مايجرى فيه !

قالوا ان الاعمار ساعات ..وان الاعمار مسافات ومقاييس . وكلها من صنعنا نحن . وقد بذلنا من الجهد والعلم ما بذلنا فى سبيل التوصل الى هذا النظام الدقيق الذى يحكم حياتنا . وينبىء بكـل ظاهرة فى الارض والسماء ، ويحدد موعد لقائنا بها على مدى فصول السنة الاربعة ! هكـذا حول الانسان الحياة البسيطة الـى آلة معقدة . قـال ايمرسون . فيلسوف امريكا عنها : « انها الحضارة التى ازعجتنا واقضت مضاجعنا ، ولكن هل كنـا نستطيع أن نعيش بغير قياس للزمن ؟! ما ابغض ما صنعته وتصنعه بنا تلك المؤشرات الدقيقة التى تذكرنا دائما بشىء تمنينا لو اننا نسيناه ! » .

ولكنهم عادوا اخيرا يقولون : « ان عمر الرجل هو ما يشعر به .. حيويته ، نشاطه ، اقباله على عمله . واخيرا قدرته على التركيز والتفكير ! اما

المرأة فيختلف الحال معها كثيرا ٠٠ فعمر المرأة عينيها وفى نضارتها وجمالها ٠٠ ! »

شباب دائم

وقد يبقى الرجل شابا حتى بعد ان يبلغ منتصف العمر او يتجاوزه وحتى وهو يخطو الى الشيخوخة٠٠ وما اكثر الشيوخ الذين عاشوا شبانا ٠٠وقد تبقى المرأة هى هى . نفس المرأة التى تعيش فى شباب دائم لا يذوى ٠٠حتى عندما تبلغ سن اليأس .وبعد ان تتجاوزه ٠٠ فجمال المرأة لا يخبو ٠٠ انه ينضج تماما مثلما يحدث للفاكهة . ولكنه لا يذبل ولا يجف ٠٠ فالمرأة الجميلة تبقى جميلة مهما تقدم بها العمر ٠٠ وقد تصنع السنون بوجهها وعينيها ما تصنع ٠٠ ولكنها لا تستطيع ان تمحو جمالها او تخفيه تماما . ان مسحة منه تبقى واضحة على هذا الوجه تحكى قصته مع الزمن !

ولكن من منا لا يفزع عندما يحس انه يقترب من الشيخوخة ؟ المرأة تخفى عمرها . وتحاول دائما ان تصنع بوجهها ومظهرها ما يجعلها تبدو اصغر من سنها ٠ وهذه المحاولات فى حد ذاتها شىء مقبول. ولكن بشرط الا يصاحبها ذلك الشعور بالخوف والقلق !

والرجل بدوره ٠٠ انه واحد من اثنين ٠٠ فاما ان يستسلم لاعراض الشيخوخة التى بدأت تزحف الى جسمه كله ٠٠ واما ان يحاول ان يقف على قدميه ويفتح النوافذ ويستقبل الحياة .ويبتسم لها. وكأنه يبدأ من جديد !

موم يحكى تجربته !

دعى سومرست موم الكاتب الانجليزى الكبير الذى اثرى المكتبة بفكره ومعرفته . الى حفل اقامته الصحفية المعروفة الزا ماكسويل فى باريس ٠٠ ووصل موم الى الحفل .ولم يكن فى حاجة لان تقدمه صاحبته الى المدعوين . وفجأة وجد الرجل نفسه محاطا بعشرات الفتيات والشبان الذين راحوا يتسابقون على الفوز بتوقيعه على اى شىء يحملونه او يرتدونه ٠٠ واحس الكاتب الكبير بانه يختنق . فخرج الى الشرفة باحثا عن نسمة هواء بارد تملأ صدره . ويجفف بها عرقه ٠٠ وفى الشرفة وقعت عيناه على سيده انيقة بلغت منتصف العمر او تجاوزته . وكانت تجلس امام آنية من الزهور. وقد سرحت ببصرها وفكرها بعيدا . حتى انها لم تحس به . وهو يقترب منها ويحييها : « أسعدت مساء ياسيدتى ؟ارجو الا اكون قد ازعجتك فى خلوتك٠٠ اسمحى لى ان اقدم نفسى اليك ٠٠ أنا !»

ولم يكمل موم حديثه . فقد قاطعته السيدة بابتسامة رقيقة . وقالت : « اننى اعرفك يامستر موم ٠ ومن منا لم يقرأ لك ويعيش معك فى كتبك ومؤلفاتك . انت رجل مشهور ياسيدى !»

ـ هل تسمحين لى بالجلوس معك ومشاركتك رحلتك ٠٠ من الواضح انك قد ابتعدت كثيرا ٠٠ كثيرا جدا عن جو الحفل الذى ملأ المكان صخبا وضجيجا ٠٠ !

ـ يسعدنى هذا ٠٠٠!

الشباب ٠٠ مستقبل !

وتحدثنا ٠٠٠ وكان حديثنا هادئا طويلا امتد الى ما قبل منتصف الليل بقليل ٠٠ لم يقطعه الا صوت

صاحبة الحفل ، وهي تقترب منهما وترجوهما ان ينتقلا الى حيث تجمع المدعوون حول مائدة الطعام!»

كتب موم يصف هذه السيدة التي التقى بها وخصها دون سائر المدعوين والمدعوات بحديثه طوال السهرة ، قال : « لقد كان في صوتها دفء ، وفي حديثها حياة ، وفي عينيها أمل ٠٠ لم تحدثني عن شبابها الذي ولى ، ولا عن حياتها في الخريف ٠٠ وانما كان حديثها عن المستقبل الذي ينتظرها ٠٠ المستقبل السعيد الذي سينقلها الى العيش وسط ابنائها واحفادها ، بعد ان مات زوجها وترك لها احلى الذكريات ٠٠ ان رحيل زوجها ورفيق عمرها، لم يكن نهاية وانما كان بداية بالنسبة لها ٠٠ انها ستسافر لتقيم مع اسرتها الكبيرة ، ولكنها لن تكون عالة عليهم ٠٠ سوف تفتتح مدرسة صغيرة للاطفال وستطلق عليها اسم زوجها ، وستنقل كل ما لديها من علم ومعرفة الى رؤوس هؤلاء الصغار ! »

عودة الى المدرسة

من اين لها بهذه المعرفة ، وهي التي انقطعت عن الدرس والتحصيل منذ ان تخرجت في الجامعة قبل اكثر من ثلاثين عاما ؟ سوف تعود الى الكتب تقرأ فيها وتغرف منها ٠٠ سوف تعود الى شبابها ٠٠ !

تماما كما عاد سومرست موم نفسه الى شبابه وكان قد جاوز عامه السبعين ٠٠ يومها قال : «لقد عشقت الاسفار والرحلات ٠٠٠ وجلت العالم كله من اقصاه الى اقصاه ٠٠رأيت الدنيا ولمست الناس وانا شاب ، واليوم اجد نفسي اقترب من الشيخوخة وامنيتي ان ارى الدنيا بعيني العجوز،ن ٠٠ ترى هل حدث لهما ما حدث لي ؟

وحزم موم الذي قضى حياته كلها يكتب لنفسه وللايين القراء حتى آخر لحظة فيها ـ حزم حقائبه وراح يطوف الدنيا برا وبحرا وجوا ٠٠ وعاد ليكتب واحدة من أروع قصصه « حد الموسى » ٠٠ وهي قصة « شاب » كان يبحث عن المعرفة في الشرق الواسع بغموضه وسحره ٠٠ لقد كان موم يكتب قصة حياته هو ٠٠ حتى الشاب الذي اختاره بطلا لقصته كان مصابا بعاهة مثله تماما ٠٠ فقد كان الكاتب يعاني من التأتأة .فنقلها الى الشاب بطل القصة في ساقه، فجاءت احدى ساقيه اطول من الاخرى ٠٠ فكان يمشي وهو يعرج ٠٠٠ تماما كما اصيب هو بالعيرة وهو يحاول ان يختار بين دراسة القانون ودراسة الطب ، فاختار الاخيرة ليكون اقرب الى الناس وقلوبهم وآلامهم ٠٠

★ ★ ★

ان الشيخوخة احساس سيكولوجي اكثر منها احساس فسيولوجي ٠٠ حقيقة ان الجسم يضعف والطاقة تقل والخلايا تأخذ في الضمور ، ولكن قد تمر كل هذه التغيرات الاساسية وكأنها شيء عادي، اذا احس المرء ان بقاءه ووجوده وحياته نفسها ما زالت عاملا نافعا في المجتمع الذي ينتمي اليه ويعيش فيه ٠٠ فلا شيء يقتل الرغبة في الاستمرار ويجسم الشعور بالشيخوخة ويقعد الانسان عن العمل ،اكثر من احساسه بأنه قد اصبح عضوا عاطلا او اصبح عالة على من يعيشون معه !

شيخ مريض

يروي الدكتور سمايلي بلانتون العالم النفساني المعروف قصة الشيخ الذي حبس نفسه في حجرة نومه ، واغلق النوافذ واسدل الستائر وراح ينتظر ساعة رحيله بعد ان احيل الى التقاعد في سن الخامسة والستين ، وقد ألمت به كل انواع الآلام والامراض المعروفة وغير المعروفة ٠٠ او هكذا خيل له ،وفشلت كل جهود الاطباء في اخراجه من عزلته ووحدته ومرضه ٠٠

ثم جاء يوم ، صحا فيه الشيخ على صوت صخب وضجيج يملأ البيت ٠٠ ولاول مرة منذ ان اختار العزلة والمرض ، فتح الشيخ باب غرفته يستطلع الامر ، فاذا به يفاجأ بكل ابنائه واحفاده يلتفون حول كعكة كبيرة جاءوا بها من اجله ، فقد كان اليوم هو عيد ميلاده ٠٠ وامتلأت عيناه بالدموع ، وهو يراهم يقبلون عليه ويمطرونه بالقبلات ويتمنون له عمرا طويلا سعيدا ٠٠٠

ثم كانت المفاجأة الكبرى عندما تقدم اصغر احفاده وامسك به من يده وقاده في هدوء ليرى هدية عيد ميلاده التي ساهم في شرائها كل ابنائه واحفاده! ووقف الشيخ مذهولا ٠٠ لقد كانت الهدية التي اختاروها له « دراجة » ٠٠ نفس الدراجة التي كان يهوى ركوبها في شبابه ٠!

عودة الى الحياة

وركبها ٠٠ ركب « عجلة الشباب »٠٠ وخرج الشيخ من عزلته ، ونسي مرضه ، وعادت اليه الحياة وعاد

الى الحياة .. كان يصحو فيساعة مبكرة من صباح كل يوم ، ويسرع الى دراجته الجديدة يطوف بها فى شوارع القرية الصغيرة التى عاش فيهاكل سني عمره ، واحس بالشباب يعود اليه من جديد.

ولكنه توقف يوما وسأل نفسه : « ولكن ماذا قدمت للناس ؟ ما الذى استطيع ان اقدمه لهذا المجتمع الصغير فى قريتى ؟

وكانت تحية اهل القرية له وترحيبهم به فى الصباح كلما مر بهم تضاعف من هذا التساؤل الحاحا عليه !

ولم يطل تفكيره ،اسرع يتقدم الى احدىشركات انتاج وتوزيع الالبان على المنازل ، وقدم نفسه مع دراجته : « اننى اقوم برحلتى الصباحية كل يوم على اية حال .. فلماذا لا اشارك فى توزيع زجاجات اللبن على الناس فى بيوتهم ؟ »

وثبت الشيخ الصندوق الممتلىء بزجاجات اللبن فى المقعد الخلفى لدراجته ، وانطلق فى عمله الجديد .. كان يتوقف عند ابواب المنازل ويضع زجاجة اللبن على السلم الخارجى ، ثم يمضى فى طريقه حتى نهاية المطاف .. فاذا فرغ الصندوق من الزجاجات قفل راجعا من حيث اتى .

وفى طريق العودة كان يقف مرة اخرى ، ويتأمل تلك الوجوه الصغيرة البريئة .. وجوه الاطفالوهم يحتسون اقداح اللبن الذى حمله اليهم .. وكان صدره يمتلىء بسعادة غامرة ..

ولم تنته رحلته مع الدراجة وزجاجات اللبن واطفال القرية ، الا عندما احس ان قلبه الكبير الذى امتلأ بحب الناس والحياة ، لم يعد قادرا على الاستمرار فى عمله .. وعندما مات هذا « الشيخ الشاب » ، كان قد جاوز التسعين !

شباب دائم .. كيف ؟

يقول بلانتون : « ان الحياة المليئة بالعمل ، الحياة الحافلة بالنشاط والاهتمامات والهوايات.. الحياة التىيشعر خلالها الانسان مهما بلغمنالعمر ، ان ساعات النهار لم تعد تكفى ما يقوم به منأعمال من اجل نفسه ، ومن اجل الآخرين .. هذه الحياة هى اعظم دواء لوقف زحف آثار الزمن .

لقد كان الفيلسوف الفرنسى هنرى لويس برجسون يعشق القراءة ، فكان يمضى ساعات نهاره يقرأ ويقرأ .. ثم يفرغما قرأ فىكتبه ومؤلفاته.. الى ان تقدم به العمر ، ولم يعد بصره قادرا على القراءة والكتابة عندما تجاوز عامه الثمانين !

وعندما طلبوا اليه ان يستريح .. صاح فيهم والغضب يملأ وجهه : « كانكم تريدون لى الموت.. لقد أصبحت سجينا فى بيتى ، فلا تحبسوا عقلى.. فقد يشيخ الجسد ويضعف البصر .. اما العقل فيبقى حيا متقدا باحثا عن المعرفة ! لا تحرمونى من لذة البحث .. اقرأوا انتم على كل جديد ، حتى اشعر اننى ما زلت اعيش شبابكم بفكرى وقلبى ! »

■■

منير نصيف

■ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الامير اذا تجسس على الناس أفسدهم .

■ مانازعنى أحد الا أخذت فى أمره باحدى ثلاث خصال، ان كان فوقى عرفت له قدره ، وان كان دونى أكرمت نفسى عنه وان كان مثلى تفضلت عليه .

(الاحنف بن قيس)

■ ما قرن شيء الى شيء ، أحسن من حلم الى علم ، ومن عفو الى مقدرة .

(عمر بن عبد العزيز)

رجال من الصف الثاني

فرات بن حيان

خبير مسالك الصحراء
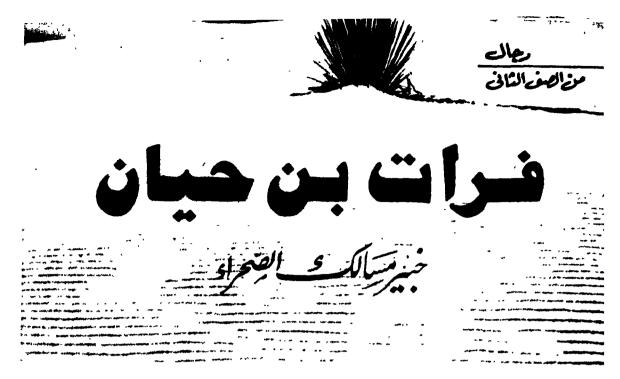
بقلم : احمد عادل كمال

«لان كل تركيز الكتاب انصب على تقديم الصف الاول من الصحابة ، وهي عناية استحقوها بغير شك ، فان جيلا ثانيا من المسلمين الذين عاشوا الى جوار النبي (ص) وبعده كاد ينسى ويسقط من ذاكرة الكثيرين • وهذه محاولة لالقاء الضوء على واحد من ابناء ذلك الجيل » •

■ مسرح الاحداث صحراء مترامية من الرمال الصفراء تتوه فيها الابصار تمتد نحوا من الفي كيلو متر من الشرق الى الغرب ، واكثر من ذلك من الجنوب الى الشمال ، تتخللها بعض الجبال في نجد وفي الحجاز • وهي جبال جرداء لا زرع ولا نبت فيها الا القليل النادر من نبات الصحراء •

من أجل ذلك اعتمد بدو الصحراء على الترحال ١ ، اء قطرات المطر ، فحيثما انهمرت نبت الكلأ ورعت عليه الشاة والابل • ولذلك ايضا كانت حروب ومعارك وايام في تنافس على مهاطل القطر بين تلك القبائل المشتركة في تلك الحياة القاسية• حتى الحواضر القليلة التي تبعثرت هنا وهناك في شكل واحات كانت فقاعات جغرافية على تلك الرمال مثل خيبر ويثرب ومكة والطائف واليمامة وغيرها وكان حتما على اهلها ان يجدوا وسيلة الاتصال فيما بينها وبالعالم الخارجي والا استحالت الى مجاهل •

تلك القبائل كان عليها أن تتحرك فما كانت قطرات الغيث لتاتيها حيث تقيم ، فكانت القوافل • كيف كانت تتحرك تلك القوافل ؟ انها بدون ريب ماكانت تخوض غمرات المجاهل والجفافي والا القت بايديها الى التهلكة وسعت الى حتفها بظلفها • ولكن المؤرخين والجغرافيين القدامى يحدثوننا عن مسالك ودروب ••• لم تكن طرقا ممهدة ، ولكن الادلاء كانوا يعرفونها ويسلكونها تتبعا لمواطن الماء التي كانت بمثابة محطات على الطريق تنزل اليها القافلة فتروى افرادها وتشرب أبلها وتتزود

لترحل من جديد الى مرحلة اخرى • كانت الحاجة ملحة لظهور نوع من الرجال يدلون القبائل ويرشدونها ، يعرفون طرق الصحراء ومساربها •

وصاحبنا الذى نقدمه اليوم هو واحد من أبرز هؤلاء الخبراء بمسالك الصحراء وجبال جزيرة العرب . كان له دور كبير وجهد مذكور وجهاد مشكور فى قمع الردة وفى حركة الفتح الاسلامى. بل كان من الصف الثانى فى القيادات العربية لهذه الحركة المباركة . هو الصحابى الجليل فرات ابن حيان العجلى • وهو كما تدلنا نسبته ينتمى الى بنى عجل وهم احدى قبائل بكر بن وائل ابن قاسط بن هنب من ذلك الشعب الكبير « ربيعة » بن نزار بن معد بن عدنان . وكانت منازلهم من البحرين على ساحل الخليج العربى جنوبا فتمتد شمالا الى صحراء الابلة تجاه شط العرب ثم تستمر بحذاء نهر الفرات وعلى حافة الصحراء الى الحيرة ثم الى هيت جنوب خط عرض ٣٤ شمالا •

وصاحبنا فرات ـ رضى الله عنه ـ قد استمد اسمه بلا ريب من ذلك النهر . والفرات فى اللغة معناها العذب • فاذا اجتزنا الفرات شمال ذلك الخط دخلنا الى مواطن بنى تغلب والنمر وقد كانت بينهم وبين بكر بن وائل حرب فى الجاهلية ظفرت فيها تغلب بقوم من بكر فاحرقوهم بالنار . وسوف يكون لذلك ذكر فى حادث لاحق حين يخرج فرات غازيا فى الفتوح •

قبل اسلامه

وصاحبنا هو فرات بن حيان بن ثعلبة بن عبد العزى بن حبيب بن حبة بن ربيعة بن صعب بن عجل بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل الربعى البكرى العجلى • كان حليفا لبنى سهم من قريش • فاذا كانت ديار قومه حيث يرحلون بين البحرين وهيت . فلسنا نجد تعليلا لقدومه مكة وتحالفه مع بنى سهم الا انه كان افضل استثمار فى عصره لمواهبه كدليل•

وحيث لم تكن فى شبه الجزيرة زراعة ولا صناعة . فلم يكن هناك سوى التجارة عمل •وما التجارة ؟ انها مبادلة •• مقايضة •• ولولا القوافل ما كانت تجارة . ولولا « الدليل » ما برحت قافلة ولا وصلت • وعلى ذلك نستطيع القول ان عمل الدليل كان اهم عمل فى جزيرة العرب بل العمل الحيوى دون مبالغة •

لقد اختص الله قريشا برحلة الشتاء والصيف للتجارة حيث كانت مكة بواد غير ذى زرع فقامت حياتها على التجارة فيمابين اليمن والشام والحيرة. كانت اكبر تجارة بجزيرة العرب فى عصرها فلا غرو ان تستعين باكبر خبراء الطرق والمسافات •قال ابن حبان « كان فرات من اهدى الناس بالطرق»•

واول ما يطالعنا من اخبار فرات بن حيان ما رواه عدى بن حاتم . قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم . اقطع فرات بن حيان العجلى أرضا باليمامة • ويذهب عز الدين بن الاثير الى ان ذلك كان بعد أن أسلم وحسن اسلامه وفقه فى الدين وكرم على النبى صلى الله عليه وسلم فاقطعه أرضا باليمامة تغل ٤٠٠٠ درهم •

ولما وقعت غزوة بدر خافت قريش بعدها ان تسلك طريقها الذى كانت تسلك الى الشام والتى كانت تمر قريبا من المدينة فيما بينها وبين ساحل البحر الاحمر ، وقد كان الرسول يرسل دورياته وسراياه تجوب تلك الافاق بحثا عن قوافل قريش . ولم تكن لقريش ان تحيا بدون تجارتها• وفى العام التالى كانت موقعة أحد بهدف الانتقام لقريش من هزيمتها يوم بدر . ولعل ان تكون هزيمة المسلمين فى أحد قد أعادت فتح الطريق لقافلة مكة الى الشام من عامها ذاك . فلما استدار العام وجاء موعد بدر الاخرة جاس أبو سفيان وصفوان بن أمية وسادات قريش يتداولون أمرهم • قالوا « قد عور علينا محمد متجرنا وهو على طريقنا فما ندرى كيف نصنع باصحابه وهم لايبرحون الساحل . وأهل الساحل قد وادعوهم ودخلت عامتهم معه . فما ندرى أين نسكن . وان اقمنا فى دارنا هذه أكلنا رؤوس اموالنا فلم يكن لها من بقاء وانما حياتنا بمكة على التجارة الى الشام فى الصيف والى اليمن فى الشتاء » •

دليل قريش

وكل يقدح دهنه •• اهتدى أحدهم الى اقتراح . فقال زمعة بن الاسود « انا ادلكم على رحل يسلك بكم الطريق النجديه •• لو سلكها مغمض العينين لاهتدى ! » واعجب صفوان بالفكرة

فبادر يتساءل « من هو ؟ حاجتنا الى الماء قليل . انما نحن شاتون » قال زمعة « فرات ابن حيان » . فدعوه فاستاجروه فخرج بهم فى الشتاء على خلاف عادتهم ان تكون رحلتهم الى الشام صيفا . ولقد طمانهم فرات بقوله « طريق العراق ليس يطؤها أحد من أصحاب محمد فانما هى أرض نجد وفياف » .

خرج مع القافلة أبو سفيان بن حرب بنفسه ومعه فضة كثيرة وكانت عظم تجارتهم ، كما خرج صفوان بن أمية بآنية الفضة . ولكن .. الحذر لا يغنى من القدر . فقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بامر القافلة اذ كان يتابع أمرها من المدينة . كان المسار المرسوم للقافلة ان تخرج من مكة شمالا بشرق الى ذات عرق ومنها الى غمرة (وهى منهل من مناهل طريق مكة الى نجد وتقابل طريق المدينة الى نجد) ثم الى القَرَدة (وهو ماء فى نجد بوادى الرمة بين الربذة وغمر تهامة أسفل من وادى الثليوث وهو واد بين منازل طىء وذبيان يتصل بوادى الرمة). ومنها تتجه القافلة الى بطن عالج (وهى رمال البادية التى تمتد مسيرة اربعة أيام بين فيد والقريات..وهى دومة الجندل وسكاكة والقارة). ثم تنحدر يسارا الى الغور ـ غور تهامة ـ فتطلع الى الشام .

وحدد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ توقيته ، وحدد المكان الذى تفاجىء فيه قواته القافلة ، واختار ماء القَرَدة بنجد لذلك . فى هذا المكان تكون القافلة قد قطعت مسافة بعيدة بعدت بها عن مكة وتكون قد تجاوزت المدينة . وتمت الكبسة فى شهر جمادى الاخرة من السنة الثالثة من الهجرة وقد صادف ذلك شهر فبراير ٦٢٤م . كانت السرية مائة مقاتل من صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان قائدها زيد بن حارثة . واعترضت العير على ماء القَرَدة فى طلوع مفاجىء أذهل رجال القافلة ففر أبو سفيان وصفوان ومن معهما من القرشيين . ووقعت القافلة فى قبضة المسلمين ووقع معها فرات بن حيان فى الاسر .

كيف استطاع أبو سفيان ومن معه الفرار ولم يستطعه فرات ؟ لعل فراتا كان الهدف الاول من الهجوم حتى اذا فقدت القافلة دليلها ومرشدها كان سقوطها أمرا واقعا . ولعل فراتا قد اثر البقاء مع القافلة باعتباره مسئولا عنها كما كان يفعل بعض قباطنة السفن الغارقة حين يؤثرون الغرق معها على النجاة . أيا ما كان فقد أخذ فرات مع القافلة الى المدينة . وكان دخولها المدينة مثيرا لسرور المسلمين وأفراحهم فانشد حسان بن ثابت قصيدة طويلة قال فيها :

اذا سلكت للغَور من بطن عالج
فقولا لها ليس الطريق هنالك

فان نلق فى تطوافنا والتماسنا
فرات بن حيان يكن رهن هالك

اسلام فرات

ولعلنا نفهم من قول حسان ان فراتا كان مقضيا عليه بالهلاك . فقد كانت له فى المعركة بين المسلمين والمشركين قيمة استراتيجية وهى امكانية السلوك بقوافل قريش أعالى الصحراء وكسر الحصار المضروب عليها . ولكن فراتا أعلن اسلامه .

أفيحقن مثل هذا الاعلان دمه ؟ ان شريعة الاسلام تاخذ بالظاهر ولا تطلب النبش عن القلوب . والظاهر أن فراتا قد أسلم وأنه قد أعلن ذلك . وأن لدليل القوافل بحكم طبيعته وشخصيته ما يؤيد هذا الظاهر ، فان عمله ينطوى على مسئولية جسيمة عن أموال القافلة ومعاش القبيلة التى تمتلكها ، ومسئولية عن أرواح أفراد القافلة . ولم نطلع على أى خبر عن تيه وقع لقافلة بجهالة دليلها أو ضياع حدث لها بتغريره . وكما انه عمل ينطوى على أعلى درجات المسئولية فانه من الجانب الاخر يبث الثقة فى صاحبه . وقبل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من فرات اعلانه فقال لاصحابه « ان منكم رجالا نكلهم الى ايمانهم . منهم فرات ابن حيان » . ولا ريب ان اكتساب صحابى فى مواهب فرات الى جانب المسلمين كان خيرا من اعدامه . لقد كان فرات يهجو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولكنه عاد بعد اسلامه يمدحه .

وتفيد الاخبار ان فراتا حسن اسلامه وانه هاجر الى المدينة واعتبرها داره وانه صحب رسول

ـ صلى الله عليه وسلم ـ بها ولم يزل معه ما بقي من حياته ـ صلى الله عليه ـ فلما توفى انتقل فرات الى مكة فنزلها.

دليل حروب الردة

اءت الى المدينة وفود القبائل تعلن اسلامها ، فى دين الله أفواجا .

اء وفد بنى حنيفة فيهم مسيلمه بن حبيب ب فاعلنوا اسلامهم ثم عادوا الى اليمامة . ، ابو هريرة وفرات بن حيان والرجتال بن فى مجلس رسول الله ـ صلى الله عليه ـ ثم قاموا . فقال « لضرس احدهم فى أعظم من (جبل) أحد . وان معه لقفا » . فبلغهم ذلك فجزعوا وخاف كل منهم ون موضوع النبوءة حتى ارتد مسيلمة وادعى . وأرسل رسول الله ـ صلى الله عليه ـ الترجتال الى بنى حنيفة ليتبتهم على م فى وجه تلك الردة . غير أنه انحاز الى مة وايد دعواه انه قد أشرك فى النبوة ن قريتنا لا يعدلون ! فكان أشد فتنة على حنيفة من مسيلمة .

ذاك خر أبو هريرة وفرات بنحيان ساجدين كرا ان نجوا من ذلك المصير . لقد كان بنى حنيفة باليمامة رئيسان، مسيلمة وثمامة ثال . وكان مسيلمة اشد نفوذا وسطوة . حين ارتد مسيلمة ثبت ثمامة على اسلامه النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فرات حيان اليه فى شان قتال مسيلمة وقتله . الروايات لا تسعفنا بعد ذلك عن مآل تلك ة وتفاصيلها . وانتقل رسول الله ـ صلى عليه وسلم ـ الى الرفيق الاعلى وتولى كر أمر الردة حتى قضى عليها .

عث أبو بكر جيوشه لمحاربة المرتدين فكان جيش العلاء بن الحضرمى الى البحرين اء على ردة عبد القيس من بكر بن وائل . مع العلاء خير دليل ومرشد الى تلك البلاد رات بن حيان . فانها بلاده . واذ مر هذا ، باطراف اليمامة فى طريقه الى البحرين به ثمامة بن أثال ومن ثبت على اسلامه من حنيفة فانحازوا اليه . وسار العلاء بدلالة فرات فقاتل المرتدين فى جواثا وهزمهم حتى لم يفلت منهم احد ثم سار الى القطيف وكان بها جمع من العجم فهزمهم وانسحب من أفلت منهم الى الغط على ساحل البحر وانحاز اليهم مرتدو ربيعة . وبعد قتال على ساحل البحر فروا أمام العلاء الى جزيرة دارين . ولكنه عبر وراءهم وطلع عليهم الجزيرة فاحتواها . كل ذلك برشده الى مسالكه فرات بن حيان ويقاتل معه .

لقد بدأ فرات حياته دليلا « تجاريا » للقوافل يقود التجار فى مسالك الصحراء مقابل اجر . ولكنه الان وقد أسلم . وعم الهدى جزيرة العرب وتغير تبعا لذلك المناخ العام لتلك البيئة . نجد فراتا قد تحول من دليل تجارى الى دليل «حربى» للجيوش والعملات . أما رزقه فلعله صار يعتمد على غلة الارض التى اقطعه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ باليمامة أو بالبحرين بالاضافة الى نصيبه من غنائم الحرب .

وفى فتح العراق

وانتهت الردة وبدأت الفتوح . وكان لبكر ابن وائل سهم وافر فى فتوح العراق .

وسار فرات مع جيش الصحابة والتابعين يقودهم خالد بن الوليد . كان فرات فى المقدمة التى قادها القائد العظيم المثنى بن حارثة الشيبانى . ومع مطلع العام الثانى عشر للهجرة اكتسح هذا الجيش غربى الفرات فى أربعين يوما من الابلة على شط العرب الى الحيرة بعد أن هزم الفرس وحلفاءهم من العرب العملاء فى سبع مواقع مظفرة . وأرغم عرب الحيرة على قبول الصلح وعلى أداءالجزيه بعد انهزام الفرس عنهم . ثم عبرت قوات المسلمين نهر الفرات فطهرت العراق الجنوبى كله حتى شطآن دجلة من قبضة المجوس وكان فرات بن حيان يعمل تحت قيادة المثنى ويقوم بدوره كدليل بالاضافة الى دوره القيادى الوسيط كركن من أركان ذلك الجيش .

واستمرت الحملة فى زحفها شمالا تطهر غرب الفرات فىقطاعه الاوسط وتخوض معارك استولت فى أثرها على الانبار وعين التمر . وحين اتجه خالد الى دومة الجندل ليفتحها بقى فرات مع

المثنى بالعراق للامساك بما تم فتحه حتى يعود خالد .. وعاد ليواصل الفتح فخاض خمس معارك اخرى بلغ بها خط عرض ٣٦ شمالا . ولكن ابا بكر امر خالدا ان ينتقل بنصف جيشه من العراق الى الشام حيث كانت فتوح الشام تستدعى ذلك ، وكان عليه ان يترك نصف الجيش الاخر بالعراق تحت قيادة المثنى بن حارثة .

واجرى خالد قسمة الجيش فاستاثر بابطال الصحابة وترك للمثنى اعداهم من سواهم . واعترض المثنى على القسمة واصر على ان يكون له نصيبه من الصحابة المغاوير . وامام هذا الاصرار ترك له خالد نخبة منهم حتى ارضاه فكان فرات بن حيان فى مقدمتهم . وفى هذا شهادة من خالد ومن المثنى بقيمة فرات فى ذلك الجيش ومنزلته عند القائدين العظيمين . وسار خالد الى الشام فاحس الفرس بضعف المسلمين بعد ان انخفض جيشهم الى النصف وخرجوا فى عشرة آلاف ليردوه عن العراق ولكن المثنى لقيهم فى بابل وكال لهم الهزيمة .

ولقى ابو بكر ربه وبعث عمر بحشد جديد الى العراق اسند قيادته الى ابى عبيد بن مسعود الثقفى فانضم الى جيش المسلمين بالعراق . وانتصر ابو عبيد على جيوش الفرس فى النمارق وفى السقاطية ثم فى باقسياثا ، ولكنه لقى لاول مرة فى حرب العراق هزيمة منكرة فى معركة الجسر فى شهر شعبان ١٣ هـ . وخرج جيش المسلمين من المعركة مثخنا بالجراح بعد ان فقد ثلثيه .

وعاد المثنى يقود قوات المسلمين بالعراق بعد ان وصلتها امداد اخرى واستطاع بعد شهر واحد ان يرد الهزيمة للفرس فى معركة البويب فاباد جيشا لهم قوامه مائة الف . حينذاك انفتحت ارض العراق من شماليها الى جنوبيها امام قوات المسلمين . واذ كانت قوات المسلمين قليلة العدد الى حد بالغ لا يسمح بوضع حاميات لاحتلال الارض فقد عمد المسلمون الى بعث سرايا الى شتى الاعماق لتشن غاراتها الخاطفة لتغنم وتبث الرعب فى اوصال الاعداء وتعود لتدعهم غير آمنين . وقطع المسافات يحتاج الى ادلة مرشدين .

ويبرز من بين سطور المصادر صاحبنا فرات بن حيان الدليل الركن يغير مع المثنى على الغنافس ثم على سوق بغداد ، ثم يستخلفه المثنى على الانبار فى حين يقوم هو ببعض جولاته ويعود اليه ليبعثه مع عتيبة بن النهاس (العجلى ايضا) فى غارة الى عمق بعيد من اعماق الجزيرة ... الى صفين . ويفر سكان الجزيرة من بنى تغلب والنمر امام هذه الاغارة ، ويتعقبهم فرات وعتيبة على راس فوة من بنى عجل ويحصرانهم على شاطىء النهر ثم يرمون بهم فى الماء فكانوا يصيحون « الغرق الغرق » وكان فرات وعتيبة يذكران قومهما غلبة تغلب على بكر بن وائل فى الجاهلية التى اشرنا اليها فى صدر المقال حين احرقوهم فى غيضة من الغياض وكان امرهما « تغريق بتحريق » .

أدعوى الجاهلية ؟

كانت لعمر عيونه فى جيوشه ، وما لبثت التفاصيل ان بلغته ، فتوقف امام هذا الخبر « تغريق بتحريق » ! ماذا ؟ ايدعوان بدعوى الجاهلية ؟ وهل استحالت الفتوح فى سبيل الله الى انتقام لايام الجاهلية ؟ ويبعث عمر فى طلب المتهمين فرات وعتيبة الى محاكمة عاجلة من محاكمات الحرب فى المدينة . واجرى معهما تحقيقا فاجابا بانهما قالا ما قالا على سبيل المثل .. لقد انتصرنا عليكم بعد ان اسلمنا وآمنا واغرقناكم كما كنتم تنتصرون فى الجاهلية وتحرقون اعداءكم ... واوضحا انهما لم يقولا ما قالا على وجه طلب الثار لايام الجاهلية .

ومرة اخرى ـ مع فرات بن حيان ـ يجد عمر ان الامر متعلق بنوايا القلوب وان لنا من ذلك الظاهر وليس بمقدور البشر النبش عما اكنت القلوب . واستحلفهما عمر انهما ما ارادا الا المثل واعزاز الاسلام ، فحلفا فحكم ببراءتهما واعادهما الى العراق مع سعد بن ابى وقاص حيث كان يعد حملة جديدة هى اكبر حملة لفتح العراق واسقاط ملك بنى ساسان .

بدات مسيرة العودة الى العراق فى شهر شعبان ١٤ هـ . وطلب عمر من سعد قبل أن يبدأ المعركة ان يوفد وفدا الى يزدجرد الثالث

فارس يدعوه الى الاسلام وان يتخير اعضاء
الوفد من ذوى الحسب والمنظر والمهابة والرأى
كر ، فكان فرات بن حيان واحدا منهم
، اميرهم النعمان بن مقرن المزنى ولعل هذه
دة على ذلك الاساس من الاختيار ترسم
الاطار العام لشكل فرات وشخصيته .

دى الوفد مهمته ولم يستجب يزدجرد بل
ردا قبيحا وهو يلوح بقتلهم . وظننا بفرات
يذهب الى هذه المهمة ويعود انه غلبت عليه
، فهو يدرس الطريق الى المدائن ويحفظه
سد معالمه . وخرج جيش المجوس مائة
ين الف مقاتل لملاقاة المسلمين بالقادسية
لت المعركة عن هزيمة ساحقة للفرس .
عمر لجيش المسلمين ان يزحف الى المدائن
على نفس الطريق الذى سلكه فرات
لد حين قدموا على يزدجرد . وسقطت
ن .. ثم سارت منها ثلاثة جيوش للمسلمين
صاحبنا فرات فى الجيش الذى سار
، دجلة شمالا الى تكريت ففتحها بعد حصار
سار الى الموصل ونينوى ففتحهما واقتسموا
م فكان سهم الفارس ثلاثة آلاف درهم .
الجيش كان يقوده صحابى رسول الله ـ
، الله عليه وسلم ـ عبدالله بن المعتم ،
ت مقدمته من بنى عنز بن وائل وميمنته من
ذهل بن وائل وميسرته من بنى عجل بن بكر
وائل ، هذه الميسرة كان يقودها فرات بن
وكان ذلك اختيارا من عمر امر به سعد
ابى وقاص . وبعثوا باخبار هذا الفتح
الحارث بن حسان الذهلى الى عمر كما
ا الانفال وهى خمس الغنائم مع من يؤتمن
ا ويستطيع ان يبلغ بها المدينة ، مع فرات
حيان .

قت جيوش المسلمين امبراطورية المجوس .
م المسلمون اكبر حاضرة لهم فى الكوفة
ت قاعدة حربية كبرى متقدمة ينطلقون منها
آفاق ابعد . تلك الكوفة اقاموها احياء كل
تسكنه قبيلة ، ونزل فرات الكوفة وكانت له
ذرية وابتنى بها دارا فى حى بنى عجل .
الدار يبدو انها كانت كبيرة مشهورة حتى

يذكر الرواة عن الفتنة التى وقعت عام ٦٧ هـ
زمن المختار بن ابى عبيد الثقفى أن بعضهم انهزم
وبلغ فى فراره دار فرات بن حيان .

وتم فتح الجزيرة فيما بين دجلة والفرات شمالى
العراق عام ١٧ هـ فولى عمر عليها الوليد بن
عقبة . ولكن عرب الجزيرة لم يقبلوا الاسلام
واستمروا على نصرانيتهم . واراد الوليد ان
يحملهم على الاسلام فابوا وكتب الوليد بذلك
الى عمر فاجابه « انما ذلك لجزيرة العرب
لا يقبل منهم فيها الا الاسلام » . وكانوا ذوى
انفة وعنجهية ، وقال الوليد شعرا يدل على
ضيقه بهم ، وتخوف عمر ان يفرغ صبر الوليد
فيبطش بهم ، فعزله وولى على الجزيرة من هو
اطول منه بالا فى غير ضعف واكثر صبرا
وسماحة ... صاحبنا فرات بن حيان ومعه هند
ابن عمرو الجملى ، ثم لا نجد بعد ذلك
فى بطون المصادر خبرا عن فرات .

ولم نتبين كم من العمر بلغ فرات فى اى
مرحلة من مراحل حياته الحافلة بالنشاط ،
وبعبارة اخرى لم نقف على تاريخ مولده او متى
جاء الى الحياة ولو على وجه التقريب . وكما
لم نر الرجل وهو يجىء كذلك لم نره وهو
يذهب . فلم نجد فى اى مصدر متى توفى فرات
ابن حيان ولا فى اى ارض مات .

ولقد روى فرات احاديث عديدة روى عنه
ابنه احمد كما روى عنه حارثة بن مضرب العبدى
من رواة الكوفة وقيس بن زهير والحسن البصرى،
فكانت احاديث فرات امتداد لحياته .

واذا كان لنا ان نعتبر بفرات فان ابرز ما
ناخذه عنه أن نتعلم وان نكتسب من الخبرات
اللازمة لنا فى حياتنا ما نسبق به الامم ، وان
نسعى وان نكد ونكدح وان نرحل فى هذا
السبيل ، فلا يعلم الا الله كم من الاف الاميال
قطع فرات بن حيان لاكتساب خبرته ولخدمة
امته . ■■

احمد عادل كمال

قبـل أن تتهـم طفلـك ..

بقلم : الدكتور نبيه غبره

ليس كل طفل متاخـر في دراسة هو طفل غبي أو كسـول كما ينعتـه معظم الناس ٠

فالتـاخر عـرض لـه أسباب كثـيرة ومعظمهـا بيئية تربوية ٠ والقليـل منهـا ينجم عن النقـص العقـلي أو الامـراض النفسية أو الجسمية ٠

■ أسباب التاخر في التحصيل المدرسي كثيرة، فالنقص العقلي الناجم عن اى سبب من الاسباب والامراض النفسة والجسمية واضطراب حالة السمع أو البصر . كلها تحدد مقدرة الطفل على التحصيل والتعلم ٠ كما ان الطفل الذى يصادف صعوبات شديدة في سنى الدراسه الاولى . قد يتلكأ في السنين التالية ٠ كما أن بعض الحوادث العائلية التى تسبب له الحزن ، والقلق ـ من جراء تخاصم الابوين مثلا ـ تؤثر ولا شك على قدرة الطفل على المتابعة والدراسة ٠ كما أن التاخر قد يكون نوعا من العقاب الذاتي ، أو لسوء التربية المنزلية وفقدان الحنان والمحبة ٠

اذا فليس كل طفل متاخر في دراسته هو طفل غبي أو كسول كما ينعته معظم الناس ٠ فالتاخر عرض له أسباب كثيرة ومعظمها بيئية تربوية ٠ والقليل منها ينجم عنالنقص العقلي أو الامراض النفسية أو الجسمية ٠

لذا كان لا بد في كل حالة تاخر منفحص الطفل فحصا طبيا دقيقا يشمل الجسم واختبار الذكـاء والمقدرة على القراءة وفحص السمع والبصر .وبعد التاكد من سلامتها جميعا لا بد من اجراء تحريات دقيقة لمعرفة الطريقة التى يعامل بها من قبـل اهله ومدرسيه ٠ وكثيرا ما يجد الطبيب معاملة شاذة او موقفا منحرفا من قبل الاهل أو المدرسين تضعف الاحترام المتوازن المتبادل ما بين الطفل ومربيه . وهذا الاحترام شرط اساسي في نجاح التعلم والتطـور الطبيعي ٠ وعنـدها لا تكون المعالجة الصحيحـة الا بتعديل الوضع ومعـاملة حكيمة لتصحيـح نظرته الـى نفسه ونظـرة ذويه والمشرفـين عليـه نحوه ٠ ومـن اكثـر المـواقف المنحرفة شيوعا عند الاهل والتيسنخصها بالبحث، طلب الكمال من الطفل ، والافراط في انتقاده . والافراط في الخضوع لرغباته ، والاغداق عليه ، والاهمال والنبذ وعدم الثقة والمعاقبة ٠ ولنر تباعا ما هي هذه المواقف وكيف تؤثر على تحصيل الطفل الدراسي :

طلب الاكمل :

يقصد بذلك طلب الاهل من ابنهم الصغـير سلوكا معينا هو فوق مستواه الطبيـعي ـ في

الغبـــاء والكســـل !!

ونظافته، وترتيبه ونظامه ، وطعامه وشرابه،
ركه الاجتماعى ، وغير ذلك ، وعدم رضاهم
اذا لم يستطع ذلك • فهذا الوضع يرهـق
، ويجعله دائم الانشغـال لتحقيق المستـوى
ب • وعدم تمكنه من الوصـول الى هذا
رى قد يجعله يشعر بالغيبة ونقص القدرة
ية فينتقص من قدر نفسه ، وهذا كله يودى
لى الوهن وقلة الانتاج فى كل شىء بما فى
التحصيل الدراسى • وفى المدرسة اذا ما
الاهل من طفلهم بالحاح تحصيل الدرجـة
ى أو أن يكون من الاوائل كما يحصل فى
من الاحيان وكان ذلك دون استطاعته براحة
، فان فشله فى تحقيق هذه الاهداف الصعبة
• ايضا بالغيبة وانه طفل غير جيد ولا قيمة
مخيب لامال أهله• ويستفحل الشعور بالنقص

شيئا فشيئا حتى يشل امكانات الطفل ، فنراه يجد ويكدح ويقرأ الساعات الطويلة ولكن دون أية فائدة •

الافراط فى انتقاد الطفل :

فالاهل هنا يوجهون ابنهم المـرة تلو المرة فـى كل أمر من الامور، دون الاكتراث بميوله ورغباته مع حقه بشىء من الحرية فى التصرف والمبادرة ، وهم يحثونه على مزيد منالدراسة وعلى التركيز على نوع معين من الدراسة والمواد للحصول على درجـات متفوقة • وتفاعـل الطفل العادى تجـاه سلوك الاهل هذا هو الاضطراب والتشوش الذى قد يؤدى الى العصيان والمقاومة الى حد فعـل عكس ما يطلب منه ، فاذا ما كان طلب الاهل السهر الساعات الطويلة على الدراسة لتحصيل العلامات العالية ، فقد يتخذ الطفل سبيل المماطلة والتثاقل فهو يمسك بالكتاب ويقلب الصفحـات لكنه لا يقرأ برغبة واقبال ، وقد يصبح كثـير الترود والنسيان متباطئا ، هذا اذا لم يعلن رفضه للدراسة صراحة •

الخضوع لرغبات الطفل :

اذا استمر الاهل فى الخضوع لرغبات طفلهم ، رغم كبره ، ودون اعتبـار لاحتياجاته العقيقية ، وظلوا يسارعون فى تلبية طلباته ويوافقون على تصرفاته الصبيانية دون وضع الحدود المناسبـة والمتدرجة فى الوقت الذى يجب عليه أن يتعلم

ويدرك وجوب التقيد بهذه الحدود ، وان يعكسها على نوازعه الداخلية وهذا يحصل ابتداء من السنة الثانية من العمر ، فكما يتعلم وجوب الحد من طلباته وتصرفاته وان يصبر على شيء من الحرمان فانه يتعلم عندئذ بشكل تلقائي وعفوى ان يصبر على نوازعه الداخلية • والا ـ أى فى حال الخضوع المفرط له أو ـ تدليله ـ فانه لا يستطيع تكوين عادة أو ملكة تحديد تصرفاته تجاه الاخرين وتجاه نوازعه أو ميوله الداخلية • أى انه ينشأ انانيا مستعبدا لرغباته وأهوائه وهكذا يذهب هذا الطفل الى المدرسة وليس عنده الاحترام الكافى أو الاستعداد لكى يحترم أنظمة المدرسة والصف الضرورية للتعليم • وباعتباره عبدا لاهوائه فانه لا يدرس الا قليلا وبدون رغبة• فهو لم يتعلم محبة الاعمال والنشاطات المنتجة البناءة •

الاغداق على الطفل :

يغدق الاهل على الطفل كثيرا دون النظر الى احتياجه الحقيقى . وهذا السلوك يودى بالطفل الى الملل ، وعدم معرفة قيمة الاشياء ، وبالتالى فانه يفقد اللذة فى تحصيلها • وفقدانه اللذة فى تحصيل الاشياء يسرى الى المعلومات والمعارف التى تقدم له بالمدرسة • وذلك لان التعلم محتاج الى بذل الجهد ، وهو لم يتعود بذل الجهد فى تحصيل أى شيء ، ويتوقع ، من حيث لا يشعر، ان يقدم له العلم على طبق من الفضة ايضا •

الاهمال

عندما يهمل الاهل ابنهم فى طفولته ولا يعطونه الوقت والانتباه الكافيين لمساعدته ومشاركته فى لعبه وتعلمه • فانه يحرم من لذة مشاركتهم له وبالتالى فانه لا يتعلم ، ويصعب عليه أن يتعلم فيما بعد ، عقد صداقات أو علاقات منتجة وثابتة مع الاخرين • وانعدام وجود العلاقات الجيدة مع الكبار التى يتعلم منها الطفل وضع الحدود اللازمة لتصرفاته الابتدائية بصورة عفوية طبيعية تجعل منه شخصا متبعا للهوى ، غير مراقب لتصرفاته • وهذا يتجلى فى المدرسة اذ يكون سلوك هذا الطفل غير نظامى ، فهو مشاغب لا يعرف الانضباط • هذا ولا يخفى ان الانضباط أمر ضرورى للدراسة ، فالتلميذ بحاجة الى ان يلزم نفسه باوقات معينة للجد والدراسة • هذا فضلا عن كون التعلم لا يتاتى فى الصغر خاصة الا عن طريق أناس آخرين فاذا لم يتعود الطفل انشاء الصداقات العاطفية مع الآخرين • ومنهم لا يشعر بقيمة اى علاقة مع الاخرين• ومنهم أولئك الذين يقومون على تدريسه وبالتالى يكون تلقيه عنهم ضعيفا وغير مجد •

النبذ

قد يصدف أن ينبذ الاهل طفلهم لسبب من الاسباب فلا يشعر الطفل ان له مكانا فى عائلته ويصبح أسيرا لمشاعر المرارة والعداء والقلق كما انه يصاب بمركب النقص لانه يعتقد انه لا يستحق القبول من قبل أهله وبالتالى لا يستحق القبول من قبل نفسه • ولا يتوقع هذا الطفل بالطبع ان يكون مقبولا من الاخرين طالما انه نبذ من قبل أهله • فهذا كله يضعف قدرة الطفل على عقد صلات طيبة مع الاخرين ، ويضعف قدرته على التعلم بصورة مباشرة وغير مباشرة •

عدم الثقة بالطفل :

عندما يبدو للاهل ان ابنهم سيكون فاشلا وينعتونه بالصفات الرديئة ويذمونه بمناسبة وغير مناسبة، نرى ان الطفل ينجذب بصورة لا شعورية نحو هذه الصفات وينمو عنده الشعور بالنقص • ويلاقى هذا الطفل صعوبات كبيرة فى المدرسة فاهله لا يتوقعون منه الا الفشل ، فهو منجذب نحو السقوط الذى يخافه• لدرجة انه قد يضطرب ان اظهر له أحدهم ثقته به ، وقد يحصل هذا الشيء من المدرس فان أوحى المدرس للتلميذ بانه غير جيد فانه ولا بد واجدا صعوبة فى تحصيله وتعلمه ، وهذه قاعدة عامة فان دعى طفل بسارق أو قذر أو كذاب ، فانه يشجع على سلوك هذا السبيل أو ذاك •

ألمعاقبة :

كثيرا ما يجد الاهل متنفسا لعدوانيتهم فى أطفالهم فيقبلون عليهم شتما وضربا زاعمين ذلك انه من التربية • وغالبا ما نجد ان هؤلاء الاهل

قد نشأوا هم أنفسهم في وسط يجد القسوة على الاطفال جزءا لا يتجزأ من التربية الجيدة • وسلوك الطفل الطبيعي تجاه هذه التربية الخاطئة وكانه يطلب المزيد من المعاقبة مع شعور الخوف وحب الانتقام • وحيث أن الطفل يرى نفسه هدفا لغضب أهله فانه يشعر بانه غير محبوب ولا مقبول من قبلهم • وهذا يؤدي الى الشعور بالنقص وبالتالي يتلكأ الطفل في تحصيله المدرسي • وقد يكون سلوكه في المدرسة تجاه معلمه كسلوكه في المنزل وكانه يثير المعلم لمعاقبته • واذا عرفنا أن التحصيل الجيد يحتاج الى علاقة ودية طيبة ما بين المعلم والطفل تبين لنا كيف يتاخر التحصيل عند وجود الشعور العدائي ما بين المعلم والتلميذ •

المعالجة :

عندما يكون هناك مرض جسمي أو نفسي فلا بد من معالجة السبب ، وعندما يكون هناك تاخر عقلي فلا بد من معاملة الطفل على هذا الاساس، ووضعه في مدارس خاصة • وأما ان كان السبب هو ضعف أو فقدان الاحترام المتوازن المتبادل ما بين الاهل والطفل ، بسبب وجود أحد المواقف المرضية السابقة ، فلا بد عندئذ من تعديلها • وذلك يكون باجراء عدة جلسات ما بين عائلة الطفل والطبيب لمعرفة السبب ثم بيان كيفية تاثيره ، ثم العمل على تعديله • ولكن قد يكون الامر من الصعوبة بمكان وخاصة في حال الاهمال أو النبذ أو المعاقبة الشديدة ، وهنا ينصح في البلاد الغربية تغيير بيئة الطفل بتربيته في معاهد او بيوت خاصة أو الحاقه بمدرسة داخلية •

هذا وان لم تبدأ المعالجة الا في وقت متاخر وكان من المتعذر انقاذ السنة الدراسية فلا بأس من اعادة السنة ، أو مساعدة الطفل في دورة صيفية ان أمكن ، اذ القضية المهمة هي تصحيح موقف الاهل ، وايجاد الاحترام المتبادل سواء في البيت أو في المدرسة • فان كان الاهل يطالبون ابنهم بما هو فوق طاقته ، فيجب افهامهم بان يكونوا أكثر واقعية ، وان يراعوا مقدرة الطفل وسنه • وان كان هناك افراط في انتقاد الطفل وتوجيهه وملاحقته ، وهذا كثيرا ما يرافق العلة السابقة ، فيجب افهام الاهل بان يكفوا عن ملاحقة ابنهم ، وان يخففوا الوطأة عنه ، حتى يتحرر من ضغط القلق ، وان يمتنعوا نهائيا عن الاستهزاء به وعن استعجاله • واذا ما كانت هناك دلائل على حدوث أو بدء حدوث مركب النقص عند الطفل ، فيرشد الاهل بان يقولوا لابنهم : كفى عندما يبدأ بانتقاص نفسه أو الاعمال التي يقوم بها • وانه بالامكان تعليم الطفل بشكل مباشر لطيف بان يكون صديقا لنفسه ، دونما توبيخ او انتقاص • واذا ماشعر بعدم القدرة اوالنقص عند القيام بالاعمال المدرسية فالاحسن ان يستريح قليلا ليعاود بعد برهة بعد أن يستشعر ثقته بنفسه •

وان كان الطفل نزوانيا نتيجة خضوع اهله الزائد السابق له ، واصبح يغضب ان لم تلب طلباته ، فلا بد من ارشاد اهله بوضع حد لتصرفاته بالشكل المناسب وذلك بان يحرم من الجلوس مع افراد العائلة ، وان يرسل الى غرفته في كل مرة يشتط فيها عن الحد المعقول حينما يتعدى على حقوق الاخرين أو يغضب • على ان يسمح له بالعودة عندما يشعر بان بامكانه أن يسلك سلوكا جيدا وان لا يعتدي على احد •

وان كان أصل العلة في الافراط في الكرم ، فهنا يكون العلاج بفرض عمل منزلي على الطفل يشارك فيه مع بقية افراد العائلة ، على أن يكون العمل معقولا ، وان لا يتعارض مع اوقات اللعب، وأوقات الدراسة • وعلى الاهل أن يتحملوا اعتراض الطفل على العمل ، ولكن عليهم أن يصروا على تنفيذه • وان لا يعطى من المال الا مايسد حاجته • وان كان كبيرا وتيسر له عمل يدخر منه بعض المال فلا بأس أيضا فهذا اجراء علاجي جيد •

ومع أن الاهل يوافقون على القواعد التربويه السابقة ،ويعترفون بوجوب وجود الاحترام المتبادل مع طفلهم ،فانهم واجدون صعوبة كبيرة في التعود على الطرق الجديدة ، وقد ياخذ ذلك بعض الوقت لانهم ينجذبون بحسب عاداتهم الى طرقهم المالوفه القديمة ، وقد يرتدون اليها بين الفينة والفينة، لذا فانهم بحاجة الى تاكيدات الطبيب وتشجيعه على المثابرة والمحافظة عليها ، وانهم سيتعودون الطرق الجديدة ، ويجدون فيها الراحة المنشودة •

■■

دمشق — نبيه غبره
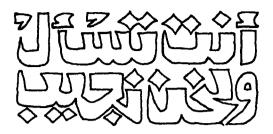
لغز كارتر رئيس امريكا الجديد !

● بعد أيام سيسكن البيت الابيض الامريكي رئيس جديد .ما الذي يعنينا منه ؟ !

« عربي »

ـ الذى يعنينا نحن العرب من السياسة الامريكية فى المقام الاول هو المواقف المعلنة وغير المعلنة للبيت الابيض والكونجرس الامريكي تجاه الشرق الاوسط ونزاعنا مع اسرائيل . وهو نزاع طال امده منذ أكثر من ثمانية وعشرين عاما عندما قامت (اسرائيل) . فى قلب الوطن العربى •• وما ترتب على قيامها من تشريد شعب واحتلال ارض بقوة السلاح وبتاييد من العديد من دول العالم الكبرى والصغرى على السواء ••

وفى الولايات المتحدة الامريكية حوالى ستة ملايين يهودى نشط عدد كبير منهم فى الدعوة لاسرائيل والمطالبة بمزيد من الحماية والرعاية لها من خلال المناصب الرئيسية التى يشغلونها فى الهيئات والمؤسسات الرسمية والاهلية •• انهم دعاة الصهيونية !

ومنذ اللحظة الاولى التى اعلن فيها جيمى كارتر الرئيس الامريكي المنتخب . اعتزامه ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة . وهو يبذل كل ما فى وسعه من جهد لكسب اصوات اليهود واستمالتهم.
وكان يعرف طريقه تماما •• فقد راح يعمل طبقا لخطة مدروسة ومرسومة •• سياسته تجاه اسرائيل اذا قدر له ان يدخل البيت الابيض •• ثم المال والدور الكبير الذى يمكن ان يلعبه اذا انفق وانفق بسخاء على المؤسسات الصهيونية واخيرا علاقته الشخصية بالزعماء الصهيونيين ••

اما موقفه من قضية الشرق الاوسط واسرائيل. فقد ارجا اعلانه لحين •• وبدأ فورا بالاتصال باصحاب النفوذ الصهاينة . القريبين منه . والبعيدين •• وكانت الرسائل التخصية هى وسيلته . وفيها راح يوكد لهم ولاءه للقضية الاسرائيلية بل انه ذهب الى ابعد من هذا فقد وقع احتياره على احد زعمائهم وعينه مستشارا له ومديرا لشئون اليهود !

وعندما بدأ حملته الانتخابية فى الصحف . اتجه بكليته الى تلك المجلات والجرائد التى يمتلكها اليهود فى مختلف انحاء الولايات المتحدة ••ووقف بجانبه يؤيده ويشد من ازره العديد من الزعماء اليهود بمدينة اتلانتا بولاية جورجيا فى الجنوب . الذين راحوا يؤكدون للناخب الامريكى تلك العلاقة الوثيقة التى كانت وما تزال تربط بين كارتر بوصفه حاكما لهذه الولاية . وبين كبار الشخصيات اليهودية . وكيف انه ـ اى كارتر ـ كان يختار من بينهم دائما معظم الذين يشغلون المناصب الرئيسية فى الولاية !

وقد اعلن كارتر موقفه من اسرائيل وقضية الشرق الاوسط . فى مدينة اليزابيث بولاية الينوى . عندما قال فى خطابه الذى اعده مسبقا فى شهر يونيو من العام الماضى وسط تصفيق وحماس جمهور الناخبين الذين جاءوا يستمعون اليه : « ان بقاء اسرائيل ليس مسألة سياسية •• انه واجب أدبى لا مفر منه ولا سبيل الى تجاهله ! » .

ثم توجه كارتر بالنقد الشديد الى هنرى كيسنجر وزير خارجية امريكا السابق بسبب الطريقة التى اتبعها فى معالجة السياسة الخارجية الامريكية . وكيف انه حولها الى مسالة شخصية تكتنفها السريه •• بما فى ذلك سياسة الخطوة
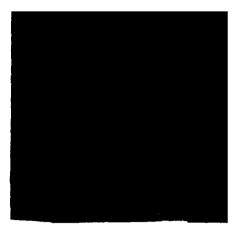
. الخطوة التى بدأ بها فى الشرق الاوسط .
وقد فسرت مجلة تايم الامريكية التى نقلت
ف كارتر هذا من قضية الشرق الاوسط .
صفته بانه من مؤيدى اسرائيل الاقوياء ..
ت هذا الموقف المعلن فى خطابه بانه دعوة الى
. مؤتمر على غرار مؤتمر جنيف الذى لم يستمر
يلا عقب حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ .. ثم قالت
لة ان كارتر لم يشر على اية حال بشىء على
طلاق الى النتائج التى قد تترتب على فشل
، هذا المؤتمر .. وقد اعترف كارتر فى
ابه « بأن للفلسطينيين حقوقا . وانه لا بد
الاعتراف بهذه الحقوق » .

هذا هو موقف الرئيس الامريكى الجديد الذى
احتفل بتنصيبه يوم ٢٠ يناير الجارى . بوصفه
رئيس التاسع والثلاثين للولايات المتحدة الامريكية
واول رئيس لامريكا من الجنوب وهو اليوم
الثانية والخمسين من عمره . وهو اب لثلاثة
د وبنت واحدة ما زالت طفلة فى السابعة !

وقد بدأ حياته السياسية فى عام ١٩٦٢ . اما
، ذلك فقد كان ضابطا مهندسا فى البحرية
ريكية تخصص فى الطاقة الذرية .

ويقول كارتر انه عرف الهزيمة مرة واحدة فى
ته عندما رشح نفسه للمرة الاولى لمنصب
كم ولاية جورجيا فى عام ١٩٦٦ . ولكنه لم
تسلم .. فما كادت نتيجة الانتخابات تعلن حتى
يستعد للمعركة الانتخابية القادمة لنفس
صب الذى خسره امام منافسه ! وفاز به بالفعل
عام ١٩٧٠ .

اما انتخابات الرئاسة الامريكية ، فيقول
دقاؤه والمقربون اليه انه بدأ يستعد لها منذ
ر من أربع سنوات .. واما شخصيته فتتميز
بالغموض والذكاء .. وهو رجل عنيد ، لا يطلب
النصح . ولا يعمل بنصيحة احد ويعتمد على نفسه
فى اتخاذ كل القرارات التى تتصل بحياته ومستقبله
هو واسرته وربما ايضا سياسة بلاده . ثم هو
بعد هذا رجل جاد فى عمله يحافظ على مواعيده.
ولكن اغرب ما فيه هو تلك الابتسامة التى يرسمها
احيانا على وجهه . فلا احد يستطيع ان يعرف ما
تخفيه هذه الابتسامات وراءها .

لقد نشأ كارتر فى ريف الجنوب.وهو رجل متدين
ينتمى الى طائفة « المعمدانيين » المسيحية .
ومحافظ فى الوقت ذاته شأنه فى ذلك شأن كل
اهل الجنوب . ولعل هذين العاملين الاخيرين هما
اللذان دفعا حاخام اليهود آرثر هرتزبرج رئيس
المؤتمر اليهودى الامريكى الى ان يقول : « ليس
هناك زعيم يهودى وطنى واحد يستطيع أن يقول
ان جيمى كارتر صديقى ! » .

نحن العرب ما موقفنا من رئيس امريكا
الجديد ؟ فى هذه المرحلة المبكرة . ورغم ما قيل
عن مواقف الرجل من قضيتنا الكبرى . لا نستطيع
أن نحدد موقفنا منه ! فكل ما نشر وينشر فى
صحفنا انما هو نقل عن صحفهم هم فى الغرب
وفى امريكا بصفة خاصة .

ولكن تبقى بعد هذا حقيقة ثابتة لقد قال كارتر
انه لم يلتق يوما بزعيم عربى واحد ! وهذا
صحيح . فقد كان الرجل القادم من اعماق الجنوب
بعيدا بعض الشىء عن الصورة وعن مركز الاحداث.
ولكنه رآها وعاش احداثها فى عام ١٩٧٣ ..
العام الذى سمع فيه العالم كله صوت العرب
عسكريا واقتصاديا وسياسيا خلال حرب اكتوبر
وما بعدها . عندما رفضت اسرائيل ان تنصت
لصوت العقل .

موقفنا اليوم لا يمكن ان يتجاوز موقف الانتظار
والترقب ..

(م . ن)

فى مواجهة الكوليرا ..

● ماهى حكاية الكوليرا التى ظهرت
اخيرا فى المنطقة العربية . وكيف
يمكن ان نتجنب هذا الوباء ؟

ـ تتوطن الكوليرا منذ القدم فى الهند وبخاصة

فى دلتا نهر الجانج وشرق باكستان وبنجلاديش وكانت ىنتشر الى البلدان المجاورة حتى يكتسح الوباء العالم باسره •

وفى عام ١٩٤٧ ، اجتاح المرض القطر المصرى وتسبب فى وفاة عشرين الفا من بين ثلاثةوثلاثين الف اصابة • تم ظهر الوباء بعد احد عشر عاما فى تايلاند ، وهنا تكاتف العلماء لوضع حد للخسارة الكبيرة فى الارواح وساعدهم فى ذلك قرارات كانت لها دوافع سياسية دعمت هذا المجهود العلمى •

وبمتابعة تنقل المرض نجد انه وصل الى افريقيا والشرق الاوسط فى عام ١٩٧٠ ، روسيا فى عام ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ وامتد الى تشيكوسلوفاكيا تم اسبانيا وفرنسا والبرتغال حتى السويد وبريطانيا • ولقد تغيرت النظرة العامة الى المرض ولم يصبح وكانه لعنة من السماء تصيب الخلق. انما ثبت أنه مرض اجتماعى وان وصفه بانه مرض محجرى (أو كاراتينى) (١) كان تجنيا على الواقع وهو الان مرض يخضع للوائح الدولية وذلك ربما زاد الموقف تعقيدا •فبالرغم من ان منطوق اللوائح كان هينا لينا بازالة مصادر العدوى او فحص عينات من وسائل المواصلات القادمة من المناطق الموبوءة فان تطبيق هذا البند قد اتصف باجراءات شبه بوليسية وقيل عنها تعسفية فى بعض المناقشات ، وهذه التصرفات أدت الى خسائر مادية جسيمة سواء على الصعيد التجارى أو السياحى كما ادت بالدول التى تظهر فيها الاصابات الى اخفاء الحقائق •

وقد ثبت انه لا اللوائح الدولية ولا شهادات التحصين ضد الكوليرا ولا الاجراءات التعسفية قد أدت الى أى دور فى مكافحة انتشار الكوليرا

(١) (العربى) نسبة الى كاراتينا .ومعناها أربعون . لان المرضى كانوايحجزون اربعين يوما •

الاسبرنتو ، احدث اللغات العالمية

● سمعت عن لغة « الاسبرنتو »وانتشارها فى الغرب . حتى صارت لغة عالمية . فالى اى شعب تنتسب هذهاللغة . وما السبب فى انتشارها ، وهل تصير فى المستقبل لغة تتكلمهاكل الشعوب الى جانب لغاتهم القومية او بغيرها ؟

.. مع ازدياد تواصل الشعوب ـ بسبب الرحلات بينها للغزو او التجارة او الاسترزاق او مجرد الاطلاع ـ اشتد شعورها جميعا بالحاجة الى لغة واحدة عامة للتفاهم فى غير لغاتها الاصلية التى يتفاهم بها افراد كل شعب فيما بين بعضهم وبعض. وكثير من اللغات فى بعض العصور القديمة كانت فى عصرها اشبه باللغة العالمية بين الشعوب المتجاورة فى منطقة خاصة واسعة . ومن ذلك مثلا اللغة الارامية فى بضعة القرون السابقة للميلاد، واللغة اليونانية بعد فتوح الاسكندر المقدونى . واللغة الرومانية فى عصر سيادة الرومان ، تم اللغة العربية بعد فتوح الاسلام وامتداد نفوذه السياسى والحضارى بين الصين والمحيط الاطلسى واخر لغتين قوميتين يمكن اعتبارهما عالميتين منذ قرنين هما الفرنسية والانجليزية •

وكل لغة من هذه اللغات وغيرها تنتسب الى شعبها الذى ظهرت فيه ، وهو صانعها خلال قرون طويلة ، وأما « الاسبرنتو » فليست كذلك ، بل هى من عمل فرد ، هو الدكتور الروسى « زمنهوف Zemhof » وهى ـ فيما نعلم ـ أحدث اللغات. قد ظهرت سنة ١٨٨٧.وانتشرت فى اوربا وأمريكا على مدى واسع . وهى تستمد جذورها من اللاتينية ومن المعروف بين اللغويين انها اسهل لغة،لقلة جذورها ، وسهولة الاحاطة بها ، حفظا ،ولقلة قواعدها النحويه واطرادها . دون اى شذوذ.وعلى وفق قواعدها الصرفية القليلة يسهل الاشتقاق من

قالها من بلد الى آخر • وثبت أيضا أن بع المعلومات الاكاديمية دون تطبيقها لن يفيد أعمال المكافحة وأن السياسة الحكيمة هي م الشعوب بأن الكوليرا ليست وحشا مفترسا صورت لهم من قبل وأنها مرض كأي مرض اخر ن الوقاية منه بأقل قدر من العناية والنظافة نصية . وأن مريض الكوليرا نفسه ليس لتهرب منه بل ان علاجه يعتبر ناجحا وسهلا ر فعالية اذا قورن بغيره من علاجات أخرى اض أخرى نتقبلها بسهولة •

عد وضوح الرؤية دوت صيحة أحد العلماء وهو جين جانجاروزا) يلوم القوم على تشنجاتهم مجابهة هذا المرض مما أطلق عليه ستريا الكوليرا » التي تصيب بعض البلدان ما تذكي نارها صيحات الصحف وانتقاداتها ف الحكومات ونشر الوعي الكامل عن طبيعة س وطرق الوقاية منه •

المعروف ان الكوليرا تتسبب من جرثومة واوية الشكل تنتقل من براز مريض أو حامل للجرثومة الى طعام شخص لديه استعداد خاص للاصابة • ولا تنتقل الكوليرا بالملامسة ولا بوسائل المواصلات كالسيارات ولا بسبب الاختلاط في الاسواق العامة • والجرثومة شديدة الحساسة للعوامل الجوية وهي لاتنتشر بطريق الهواء •

وعندما تصيب الكوليرا شخصا لديه استعداد لها فان حموضة المعدة تقتل الجرثومة . والاكل المطبوخ والمشروبات الساخنة في الغالب امنة خالية من العدوى . واذا قارنا الجرعة المرضية التي يمكن ان تصيب الشخص السليم بغيرها من الجرعات الجرثومية لامراض اخرى وجدنا في حالة الكوليرا انها يجب أن تكون أربعة أضعاف الجرعة الجرثومية لمرض الدوسنتاريا وضعف الجرعة الجرثومية لمرض مثل التيفود •

وفي يقيني ان الالتزام بمراقبة نظافة الايدي وغسلها بالماء والصابون وغسل ما يؤكل طازجا ولو بالماء الجاري وحده يكفي لمنع أي اصابة •

رها ، ثم هي تكتب كما تنطق ، فالجهد في ها دون الجهد في تعلم اى لغة سواها •
اصحابها (الاسبرنتيون) كاشد المبشرين تمين حماسا في نشرها عالميا ، ولهم بها مجلات بوعات كثيرة ذائعة . كما انهم يتفقون كثيرا بعض المجلات الشهيرة لتفرد جانبا لتعليمها ، م مؤتمرات سنوية تخف أو تشتد تبعا للاحوال لية ، وقد يبلغ المؤتمرون في بعضها من شتى ر العالم اكثر من ثلاثة الاف ، وهم يؤلفون ويترجمون منها واليها ، وحقوق الترجمة في ب محفوظة لا كما هي حالها عندنا ، ولهذا سمح الاسبرنتيون بترجمة شيء من لغتهم الا اصله الاسبرنتي بجانب الترجمة وقد نجحوا في عصبة الامم سنة ١٩٢٧ على الاعتراف بها ، زالوا يلحون على هيئة الامم المتحدة للاعتراف ، ولو اكتفوا في البداية ان يتكلم بها بعض بي الامم ، فيفهم عنهم بعض الآخرين •
مع زيادة التواصل بل التلاحم بين كل شعوب لم الى حد لم يعهد مثله قبل ، ظهر شعورها ى بالحاجة الماسة الى لغة واحدة مشتركة للتفاهم بينها ، ومع ان « الاسبرنتو » اسهل اللغات وأهلها ذوو نشاط جم لا نرى انها ستكون في اى يوم لغة عامة لكل الشعوب ، الى جانب لغاتهم القومية فضلا لغتهم الوحيدة ، بل لن تكون لغة المثقفين منهم حتى الكبار ، لا باهمال لغاتهم ولا الى جانبها ، فان لغة كل شعب هي ديوان ثقافته وتاريخه الطويل ، وهي جزء من حياته الاجتماعية كانها بعض الاجهزة العضوية في الجسم الحي فلا يسهل التفريط فيها بغيرها او مع لغة اخرى بجانبها • ومهما يبلغ من انتشار لغة فلن تجتث اللغات القومية ، وان استعين بها للتفاهم بين ذوي اللغات المختلفة ، كما أن العالم لا يمكن ان تحكمه دولة واحدة مهما تبلغ من الجبروت ، بل نتوقع ان تنقسم لغة الاسبرنتو في المستقبل كما انقسمت عقب ظهورها ببضع عشرة سنة ، وستبقى حاجة الشعوب المتلاحمة الى لغة أو أكثر للتفاهم ، وستكون هذه اللغة لغة الشعوب التي هي أوسع ثقافة وبخاصة حين تكون أوسع نفوذا •

(م • خ • ت)

النساء

في الصفحات الأولى

خلال سنة ١٩٧٦

■ في كل دقيقة من كل يوم يقع حدث في مكانما يتحول الى خبر تتلقفه وسائل الاعلام في جميع أنحاء العالم وتصنع منه قصة لاشباع رغبة القراء . وبعض الذين يصنعون الاخبار يثيرون ضجة قد تكون اكبر من حجم الخبر واحيانا اخرى يكون الخبرمن الضخامة بحيثتوالي وسائل الاعلام متابعته لاسابيع وربما شهور .

وقد تميز عام ١٩٧٦ بكثرة عددالنساء اللواتي صنعن أخبارا شغلت الصفحات الاولى للصحف والمجلاتشهورا طويلة .. وفي مجالات متعددة ومتناقضة .

- أرملة ماوتسي تونج تدبر انقلابا مع موت زوجها ، فيقبض عليها ، يقال انها في السجن .. او انها اعدمت بالفعل ..
- ايزابيلا بيرون تعزل عن الحكم .
- سيلفيا المضيفة الالمانية الحسناء تغزو قلب ملك شاب وتتربع على عرش السويد .
- الاميرة مارجريت تنفصل عن زوجهاوتقع في غرام شاب يصغرها بعشرين عاماً .
- باتريشيا هيرست حفيدة مليونير الصحافة تسرق بنكا وترتكب ١١ جريمة .
- لاول مرة تعين امرأة مديرة لجامعة السوربون الفرنسية العريقة .
- بربارا ولتوز ابنة التلفزيون الامريكي المدللة تمضي عقدا بخمسة ملايين دولار .
- الريك مينهوف زعيمةمنظمة ارهابية فوضوية بالمانيا تنتحر في سجنها .

ارملة ماوتسي تونج

واخطر امرأة صاحبة اعجب قصة ، شغلت العالم هذه السنة كانت ارملة ماوتسي تونج .فهذه المرأة التيباعها اهلها الفقراء، الىأحد كباريهات شنغهاي، وعملت راقصة زمنا، هربت خلال الحرب الاهلية ، والتحقت بقوات ماوتسي تونج.

وكان ماوتسي تونج متزوجا . وكان الطلاق

امرا غير مقبول • ولكنه طلق زوجته ليتزوج
ـة السابقة . التي انجبت له بنتين ، وظلت
حوالي اربعين سنة حتى مات •

ن ماوتسي تونج خلال الحرب والمطاردة قد
الى ترك طفلين له مع بعض الفلاحين ولم
مصيرهما بعد ذلك حتى مات • هل عاشا ؟
ولا الى فلاحين لا يعرفان أباهما ؟ هل ماتا
ـرب الاهلية ؟

ـ ان الحزب اشترط على ماو حين تزوج
شنج اشترط عليه انتترك العمل السياسى
ـخل فيه ابدا . وقد تم هذا • ولكن اسمها
ـهر مع بداية مرض ماو وضعفه ، فصارت
متعرفة على الثقافة• وكرهها كل المثقفين لقسوتها وتطرفها الشديد ورفضها لكل ابداع فنى خارج عما كانت تعتبره انه تفكير ماوتسى تونج • فلما جاءت الثورة الثقافية لعبت فيها دورا كبيرا ، وكانت زعيمة الجناح المتطرف • وقيل انها تريد ان تطرد بذلك كل القادة القدامى . حتى يخلو لها الجو بعد موت زوجها.فتنفرد بحكم ثمانمائة مليون انسان •• اى ربع سكان العالم !

ويبدو ان شيئا من هذا قد حدث• فالراجح انه قد قبض عليها بسرعة ــ وهذا دليل على درجة خطورتها بعد موت زوجها بايام • ولا أحد يعرف هل هى حية فى السجن بتهمة التآمر أم أنها قد أعدمت بالفعل ؟

ايزابيلا بيرون
تعزل عن حكم الارجنتين
وتصبح سجينة قلعة المسيلور !!

ايزابيلا بيرون فيبدو أنها لم تنجح فىادارة
ـحكم مثلما كانت قديرة على التحكم فى
ـا الايقاعية عندما كانت راقصة كباريه •
استطاعت ماريا ستيلا مارتينيز . وهــو
الحقيقى لايزابيلا ، أن تغزو قلب جوان
بيرون رئيس جمهورية الارجنتين حين كان فىالمنفى وبينهما ٣٠ سنة من فارق السن . ولكنها فشلت فى غزو قلب الشعب الارجنتينى عنـدما دفع بها القدر الى أن تصبح رئيسة لجمهورية الارجنتين• فلم يمض على توليها رياسة جمهورية الارجنتين

سوى عام واحد بعد وفاة زوجها مساء الاول من شهر يوليو عام ١٩٧٤ الا وبدات القلاقل تغيم على الجو السياسى فى الارجنتين •

لقد وقفت ايزابيلا بمفردها تواجه الصعوبات التى مرت بها الارجنتين والتى كادت تدفعها الى هاوية الافلاس • بل ان حالة البلاد تفاقمت بتصاعد عمليات العنف السياسى بين اليسار واليمين •

ورغم أن ايزابيلا جاءت الى الحكم بمبايعة احزاب الارجنتين على اختلاف اتجاهاتها الا انها بدات تواجهالمشاكل منذ اليوم الاوللتوليها منصب رئيسة الجمهورية • فقد تزايدت موجة العنف وتصاعدت معدلات الاغتيالات ، وارتفعت نسبة التضخم الى ٦٠٠٪ • وتزايد معدل البطالة •

وتجمعت ضدها كلالعناصر التى اصابها الضرر فى ظل سياستها حتى اطاحوا بحكمها •

ان ايزابيلا الان معتقلة وتواجه احتمال محاكمتها بتهمة اساءة استخدام اموال خزانة الدولة وقد تخلى عنها مساعدوها ومعاونوها حتى ان بعضهم ابدوا استعدادهم للشهادة ضدها • وبذلك تكون ايزابيلا قد تحملت وحدها نتيجة التدهور الذى اصاب الارجنتين بعد ان تخلى عنها المسئولون الحقيقيون عنالفساد الذى استشرى فى المجتمع الارجنتينى والذين شاركوها فى الحكم •

ويبدو ان سقوط ايزابيلا اسقط معه « البيرونية » التى كانت ممثلة اساسا فى اتحادات العمال التىانقلبت بدورها على ايزابيلا عندما ضربت عرض الحائط بالحركة البيرونية

التىفجرها الزعيمبيرون بافكاره التقدمية وزوجته الاولى «ايفا بيرون» التى كانت معبودة الجماهير• لقد ضمت هذه الحركة اكثر قطاعات الشعب تأثيرا وظلت اكثر الحركات السياسية فىالارجنتين قوة حتى دمرتها ايزابيلا •

وقد حاول الزعماء الوطنيون فى الارجنتينقبل ذلك ارغام الرئيسة ايزابيلا على الاستقالة وذلك بتهديدها باثارة فضيحة حولها تؤدى الى احراجها وبالتالى الى تنازلها عن الحكم • وقد ترددت اشاعات بانايزابيلا وضعت مبلغ ٦٠٠٠٠٠ دولار تبرعات لجمعيات خيرية فى حسابها الخاص ووقائع اخرى تدينها بسوء استخدام سلطاتها لمصالحها الخاصة والبطانة التى تحوطها •

وقد قابلت ايزابيلا هذا التهديد بان أكدت بشكل قاطع فى رسالة قصيرة بالتليفزيون انها لا تعتزم الاستقالة •

وعلى ذلك تقدم ممثلو المعارضة فى البرلمان بمشروع قانون يطالب بتقديم ايزابيلا بيرون للمساءلة البرلمانيه بسوء ادارتها للحكم •

وبدات حركة التمرد تاخذ شكلا رسميا بتمرد القوات الجوية وانتشرت موجة التمرد بين رجال الجيش الى أن وقع الانقلاب العسكرى الذى قامت به القوات المسلحة يوم ٢٤ مارس الماضى وظلت ايزابيلا سجينة قلعة « المسيدور » منذ ذلك الوقت •

وفى الوقت الذى هوى فيه نجم رئيسةجمهورية شهد العالم صعود مضيفة المانية لتتربع على عرش السويد : انها سيلفيا الحسناء •

سيلفيا : المضيفة الالمانية التى غزت قلب الملك

وفى ميونيخ كانت بداية قصة حب ملك السويد ••

ففى الوقت الذى اهتز العالمفيه لحادث ميونيخ الشهير حين اختطف فدائيون فلسطينيون رياضيين اسرائيليين واحتفظوا بهم كرهائن حتى تفرج اسرائيل عن بعض المعتقلين فى سجونها ، وبين اصداء الحدث الذى وقع اثناء الدورة الاوليمبية فى ميونيخ عام ١٩٧٢ والنهاية التعسة التى جاءت

المناورة الاسرائيلية . والتى أسفرت عن لمختطفين والرهائن معا . بدأت قصة حب ؛ السويد كارل جوستاف والمضيفة الحسناء سوميرلاث .

وقع اختيار المسئولين عن الدورة الاولمبية يلفيا . من بين ١٥٠٠ مرشحة . كرئيسة ات اللاتى أوكلت اليهن مهمة استقبال شخصيات . وقد شاء القدر أن تكون في استقبال الملك كارل جوستاف. وبمجرد ت له باقة زهور عند وصوله الى ميونيخ لى تناول الغداء معه .

؛ أن ملك السويد الذى يبلغ ٣٠ عاما وقع فى حب سيلفيا التى تبلغ ٣٢ عاما من اول نظرة . ومنذ ذلك اليوم بدأ العاشقان يتناولان العشاء سويا تحت اسم مستعار .

وعاد الملك جوستاف الى السويد وقد ترك قلبه فى المانيا وكان يحادث سيلفيا بالتليفون كل صباح .

بمجرد اعلان خبر خطبتها الى الملك جوستاف رحب بها الشعب السويدى بحرارة وخاصة فى اول مرة يقدمها الملك الى شعبه عندما ظهرا سويا من شرفة القصر الملكى وقد لف الملك ذراعه حول سيلفيا وقدمها للحشد الذى احاط بالقصر قائلا « هذه هى ملكتكم » .

الاميرة مارجريت تنفصل عن زوجها وتقع فى غرام شاب يصغرها بعشرين عاما

سال الاميرة مارجريت عن زوجها له قصة . فيبدو أن الاميرة مارجريت رغم بلوغها ا ما زالت تلك المرأة الرومانسية التى الى المغامرة العاطفية. لقد اعلنت مؤخرا ا عن انطونى ارمسترونج جونس الذى ب زواجه منها باللورد سنودون . وذلك ات طويلة من الخلافات . وقد وقع هذا ، بعد ١٦ عاما من زواجهما .

ولم تعد مارجريت تلك الاميرة سجينة قصر بكنجهام التى سبق لها من عام ١٩٥٥ أن أثارت العالم بقصة غرامها والتى كانت فى غض شبابها تصطدم بعقبات ناجمة عن انتمائها الى الاسرة المالكة والتى كانت تسكب الدموع بلا جدوى كلما حالت تقاليد الاسرة دون اشباع نزواتها الغرامية. وكانت كلما ابدت حركة تمرد سرعان ما يتم السيطرة عليها .

قد نسيت حرمانها من ذلك الضابط الذى اختارته زوجا ولكنها مازالت تتذكر الاهانة التى تعرضت لها فى ارغامها على الرفض علنا ضد ارادتها ٠

ولذلك فقد انتقمت من كل الناس ، من اختها صاحبة الجلالة الملكة التى كانت تحسدها دائما على العرش الذى تجلس عليه ومن انطونى أرمستورنج جونس الذى أصبح اللورد سنودون ومن انجلترا باسرها ، بل ومن نفسها ايضا وكما قال سينيك « ان اى انتقام هو فى الواقع عقاب يفرضه المرء على نفسه » ٠

ان منظر الاميرة مارجريت بقامتها الممتلئة وهى تتابط ذراع رودى الشاب الفاره الطول النحيف الذى يصغرها بحوالى ٢٠ عاما يبدو غريبا ٠ وتعتقد بعض الدوائر المتصلة بالقصر الملكى البريطانى بان ما بين الاميرة مارجرت ورودريك ليولين اكثر من مجرد صداقة كما يدعيان ٠

انه انتقامها من التقاليد !

المليونيرة باتريشيا هيرست ٠٠

هل سطت على البنك ـ بوعيها ؟

أما قصة باتريشيا هيرست المليونيرة والوريثة لثروة دار نشر « هيرست » فما زالت تحير المجتمع الامريكى حتى بعد أن صدر الحكم عليها أخيرا بالسجن سبع سنوات ٠ فهل قامت عصابة « جيش التحرير السيمبيونى » بعملية غسيل مخ لباتريشيا حتى تشترك معهم فى سرقة البنك وغيرها من الجرائم التى وصلت الى ١١ جريمة سطو وخطف وسرقة؟ أم أنها كانت بكامل ارادتها ووعيها وهى تسرق البنك ؟

وبمعنى آخر هل كانت باتريشيا تحمل اصلا بذور التمرد ضد عائلتها ومجتمعها كوريثة لاحد اكبر المليونيرات واكبر اصحاب الصحف وجاء حادث اختطافها ليفجر فيها الرغبة الدفينة فى التمرد والمغامرة ، أو أن ما عانته أثناء سجنها وتهديدها المستمر بالقتل اذا لم تستجب لاوامر العصابة الغى ارادتها وجعلها ترضخ لمطالبهم وهى مسلوبة الارادة ؟

لقد امتنعت باتريشيا عن الاجابة على ٤٨ سؤالا وجهت اليها خلال المحاكمة وذلك استنادا الى

كما انها لم تعد تلك الفتاة المتعالية العصبية التى انكفات على نص أعده رئيس الوزراء تتعهد بمقتضاه ان تتخلى علانية عن فكرة الزواج من الكابتن بيتر تاونسند ذلك الطيار الوسيم الذى لعب بلبها فى شبابها ،واحد ابطال معركة بريطانيا فى الحرب العالمية الاخيرة ٠

فمارجريت اليوم امراة امتلات بالمرارة ٠٠ ولا يمكن للمرء ان يصدق وهو يراها انها اخت الملكة ، ان نظراتها اصبحت تشع قسوة كما ان وجهها بدا وكانه يعكس رغبة فى الانتقام ٠ قد تكون مارجريت

ى القانون الامريكى تبيح للمتهم ان يحمى من التورط فى كلام قد يضره .

ال المحاكمة ظلت باتريشيا ترفض الادلا ملومات عن شريكيها اللذين ظلا على قيد من مجموعة العصابة الذين فضلوا ان وهم يقاتلون رجال البوليس على ان ا انفسهم . اما الشريكين اللذين بقيا على حياة فهما وليام هاريس وزوجته اميلى .

؛ بمجرد ادانتها . غيرت موقفها واعلنت تقدم كل عون لرجال الامن والقضاء كشاهد لمساعدتهم فى محاكمة اميلى ووليام .

ير حقا هو شهادة الشهود فى قضية باتريشيا قالت أمها انها كانت مثال الابنة الودعة المتفاهمة مع اسرتها قبل وقوع حادث ف فان خطيبها صرح فى لقاء له مع ستيفن رر « النيوز ويك » قائلا : « ان السبب ادى عن المحاكمة ان محامى عائلة هيرست ن تكون اجاباتى ضارة بالمتهمة » ويقول سئلت مثلا هل كنت تدخن المخدرات مع ا ؟ او هل كانت تكره عائلتها ؟ او هل ورية ؟ كنت ساقول نعم ردا على هذه . فكل ذلك كان صحيحا ... لقد كانت نه شىء فظيع ان تنتمى الى عائلة هيرست كانت تختنق عند سماع اوامر عائلتها . ادوا ان يحذروها ويتحكموا فى تصرفاتها اقت ذرعا بالحياة معهم .

قال بعض اصدقائها انها كانت ثورية وثائرة على اسرتها وعلى مجتمعها وكانت نزعة والقابلية للقيام باى عمل جنونى .

وكانت لها علاقات جنسية منذ كان عمرها ١٥ سنة .

وزعمت باتريسيا خلال المحاكمة انها اشتركت فى سرقة البنك وهى تحت تهديد العصابة التى اختطفتها . وانها لم تكن تعرف كيف تستخدم السلاح الذى تحمله بل زعمت انها كانت تجهل ما اذا كان هذا السلاح فارغا او محشوا بالرصاص .. ولكن الشهود من موظفى البنك قالوا انها اطلقت عدة رصاصات فى الهواء بطريقة بارعة لكى تحمى ظهر افراد العصابة . كما نبهت احد افراد العصابة الى وجود شخص فى مدخل البنك فاطلق عليه الرصاص على الفور فى حين انه كان فى وسع باتريشيا ان تطلق النار على العصابة وتهرب وتلجأ الى البوليس .

ولذلك فالنقطة التى حاول اثباتها محامى اسرة هيرست كوسيلة وحيدة لانقاذها هى القول بانها قد تعرضت لعملية « غسيل مخ » . وكانت باتريشيا قد ذكرت فى التحقيق الطريقة الوحشية التى اختطفت بها فى ٤ فبراير عام ١٩٧٤ وكيف وضعها مختطفوها فى دولاب طوله نحو مترين وعرضه متر لعدة ايام وهى معصوبة العينين ومكممة الفم ومقيدة اليدين . واضافت انه لم يحدثها احد سوى شخص يدعى « سانك » وهو الذى جاء لها بجهاز تسجيل وأمرها بتسجيل الحديث الذى قالت فيه لاسرتها انها ستقتل ان لم تستجب اسرتها لمطالب مختطفيها . وقالت باتريشيا فى المحكمة انه حينما رفعت العصابة عن عينيها شعرت وكأنها قد تناولت عقار الهلوسة . فقد بدا كل شىء حولها مشوها وهى ترى مختطفيها مسلحين بالمسدسات وتسمع تهديداتهم بقتلها اذا حاولت الهرب او رفضت الرضوخ الكامل لاوامر العصابة . واكد لها بعض افراد العصابة ان اسرتها تخلت عنها وانهم لن يدفعوا الفدية ولا يكترثوا بمصيرها . كما ان مكتب التحقيقات الفيدرالى يطاردها وسوف يقتلها اذا ما قبض عليها . وبعد عدة اسابيع من هذه المعاملة اصبحت باتريشيا فى حالة صحية ونفسية سيئة .

ونتيجة للضغوط والتهديدات المستمرة والحبس والوحدة والاحساس بالذعر بدات وريثة المليونير تشعر وكان سحابة تغطى عقلها وانها تفقد صوابها تدريجيا . وذكرت باتريشيا ان من اكثر العوامل

التي كانت تدفعها الى الجنون هو ما ردده افراد العصابة من ان اسرتها عرضت مكافأة قدرها ٥٠ الف دولار لمن يقبض عليها حية او ميتة !

وقالت باتريشيا ان كل الاحداث التي اعقبت سرقة البنك والتي انتهت باعتقالها في سبتمبر ١٩٧٥ تبدو غامضة وكأنها مغلفة بالضباب • واضافت انها لم تستيقظ من عالم الرعب الا بعد ان عانقها والدها ووالدتها وشقيقاتها في سجن سان ماتيو •

وفي حين يستبعد بعض الاخصائيين النفسانيين ان تكون باتريشيا قد تعرضت لعملية « غسيل مخ » فان آخرين يقولون انها تعرضت لضغط رهيب جعلها تضع حياتها في كفة والتعاون مع العصابة في كفة اخرى •••

امرأة تدير جامعة السوربون
لاول مرة منذ ٧٠٠ عام

لقد تعاقب على ادارة السوربون ، الجامعة الفرنسية العريقة ، عشرات من الاساتذة الرجال وذلك منذ نشأتها في القرن الثالث عشر •ولاول مرة في تاريخ جامعة السوربون (٧٠٠ عام) يتم تعيين امرأة مديرة للجامعة •

اسمها هيلين ارويلار وتعتبر مرجعا فيالحضارة البيزنطية ، ويبدو انها تكافح للجمع بين دورها كزوجة وام ، ودورها كباحثة واستاذة وكاتبة واخيرا كمديرة للجامعة تقوم على الاشراف وادارة الحياة الاكاديمية في السوربون •

ان الاستاذة هيلين التي تم انتخابها لمنصبها الجديد في ١٢ فبراير من هذا العام • فرنسية من أصل يوناني ، زوجة وام لطفلة عمرها ١٢ عاما • وتتحدث الفرنسية بطلاقة بالاضافة الى اليونانية والانجليزية والالمانية والايطالية والتركية •

وقد ولدت هيلين في اثينا في ٢٩ اغسطس ١٩١٦ ودرست آثار منطقة الشرق الاوسط في العصور الوسطى والتاريخ اليونانيقبل ان تستقر في فرنسا عام ١٩٥٠ • وهي حاصلة على اكثر مندكتوراه، واحدة في الادب، واخرى فيالتاريخ• وقد صدر لها ٦٠ بحثا في موضوعات مختلفة • كما ساهمت في كتابة الفصول الخاصة بالامبراطورية البيزنطية في دائرة المعارف البريطانية •

وعندما سئلت ما هو عمل مديرة السوربون قالت :

« معالجة المشاكل اليومية » • ولعدة اسابيع تمثلت المشكلات اليومية في اضرابات الطلبة ومحاولتهم الاستيلاء علىمباني الجامعة والاحتماء بها نتيجة اشتباكاتهم مع قوات البوليس •

والسيدة ارويلار مسئولة عن ٣٠٫٠٠٠ طالب وطالبة و ٧٠٠ استاذ وحوالي ٢٠٠٠ من الضيوف المحاضرين وكذلك بعض الجنرالات المحالينللمعاش والذين يعطون محاضرات في الاستراتيجية العسكرية وبعض الصحفيين المحررين الذين يلقون محاضرات في الصحافة •

وبالاضافة الى ذلك فهي تشرف على المشروعات الجديدة للجامعة مثل توسيع مساحة المكتبة واقامة كافيتريا لخدمة ١٠٫٠٠٠ طالب •

واخيرا فهي ترأس اجتماعات مجلس الجامعة الذي يشرف على ادارة السوربون • ويتكون المجلس من ٣٦ استاذا و ٢٠ طالبا وستة ممثلين عن هيئة ادارة الجامعة و ٢٠ شخصا من خارج الجامعة يمثلون وزارتي الداخلية والخارجية واهم الاتحادات والمنظمات •

وتقول مديرة السوربون ان الخلافات بين الاساتذة ليست سياسية بقدر ما هي خلافات بين « المتخصصين » والذين يدعون الى وضع برامج دراسية تعد الطالب ليكون « صالحا لمواجهة الحياة » •

وترى السيدة ارويلار ان القلق الذي يعاني منه الطلبة يرجع الى امكانيات ايجاد عمل بعد التخرج •

وتبدأ السيدة ارويلار عملها الساعة الثامنة والنصف صباحا فتذهب الى مكتبها وتظل تعمل حتى السادسة مساء •

وعندما سئلت كيف تستطيع ان تفي بالتزاماتها في العمل والبيت والمجال الاجتماعي نظرت الى زوجها وعلى وجهها ابتسامة عريضة وقالت : لم اكن استطيع ان اجمع بين كل هذه الالتزامات لو لم اكن سعيدة • فالعمل يحتاج الى تركيز واذا كان لدى مشاكل عائلية لما استطعت ان افعل شيئا • ولكني اشعر بالامان •

بربارا المذيعة تصبح
نجمة بمليون دولار !

اما مقدمة البرامج الشهيرة منشبكة التليفزيون الامريكي « ان - بى - سى » بربارا (٤٤ سنة ، مطلقة ، لها ابنة واحدة) فقد حققت هذه السنة رقما قياسيا في مرتبات العاملين بأجهزة الاعلام ·

فقد تعاقدت مع شبكة « أى - بى - سى » على تقديم برنامج اخبارى مسائى لمدة ساعتين مقابل مليون دولار فى السنة ولمدة خمس سنوات·

لقد كانت بربارا تقدم برنامجها الصباحى اليومى تتخلله الاعلانات التجارية وذلك مقابل ٤٠٠ر٠٠٠ دولار سنويا بالاضافة الى عدد من الامتيازات مثل تزويدها بسيارة خاصة بسائقها وكوافير خاص وسكرتير خاص ·

لقد ادخلت بربارا انقلابا فى حياة الامريكيين عندما جعلتهم يجلسون امام شاشات التليفزيون فى الصباح بدلا من المساء ·· واعتاد جمهورها ان يستيقظ مبكرا لكى يشاهد برنامجها الذى كان يبدأ من السابعة حتى التاسعة صباحا ، وذلك طوال فترة ال ١٥ سنة الماضية حيث تقدم فيه متنوعات تتضمن اخبارا ولقاءات متعددة ·

وقد اشتهرت بربارا فى احاديثها بالاسئلة المحرجة واحيانا الاستفزازية من النوع الذى يحب المشاهد انيسمع الاجابة عليها، فمثلا عندما تولى فورد الحكم طلبت منه انيعقب على وصفليندون جونسون له بانه لايستطيعان يمشى ويمضغ اللبان فى وقت واحد ·كما سالت زوجة جونسون عنشهرة زوجها فى مجال المغامرات العاطفية ، وسالت ارملة ايزنهاور عن ادمانها الخمر ·

وفى لقاء تليفزيونى مع سبيرو اجينيو النائب السابق لنيكسون لم ترحم بربارا الرجل الذى افل نجمه بعد تورطه فى فضيحة رشوة ودار بينهما الحوار الساخن التالى :

اجينيو : اعتقد انه من المحرج ان تسالى رجلا مثلى عمره ٥٧ عاما فى شئون عاطفية ·

بربارا : ولكنك تناولت الجنس فى كتابك ·

اجينيو : لم يكن هذا هدفى ·· بل انىقرأت العديد من الكتب الجنسية لكى اتمكن من الكتابة فى هذا الموضوع· ومعذلك هليقبل رئيس شبكةالتليفزيون التى تعملين فيها ان يظهر فى برنامجك هذا لكى يحكى لنا تفاصيل حياته الجنسية ؟

بربارا : انى لم اسالك عن حياتك الجنسية . كما ان رئيسى فى التلفزيون لم يصدر كتابا · ولو حدث والف كتابا فى الجنس لما ترددت فى سؤاله··

اجينيو : انى أشك فى ذلك ··

هى : هل تناولت الجنس فى كتابك بناء على طلب الناشر ؟

هو : كلا ولكنى نقلت بعض العبارات عن كتب اخرى تتحدث عن الجنس ·

هى : بعد كل ما حدث لك هل تشعر انك فى حالة سلام مع نفسك ؟

وعند هذا السؤال تلعثم نائب الرئيس السابق مثل التلميذ الذى يرتبك فى امتحان صعب ··فى حين امسك ملايين المشاهدين انفاسهم وهم يتابعون على شاشة التليفزيون هذا الاسلوب الاستفزازى الذى اشتهرت به بربارا فى لقاءاتها العديدة مع محدثيها والذى جعل منها اشهر مقدمة برامج ·

انتحار ألريك مينهوف ـ فى سجنها ..

ومن احداث ٧٦ ايضا انتحار ألريك مينهوف فى الثامن من شهر مايو الماضى فى سجن ستامهين بشتوتجارت . وقال احد الحراس انها كانت تكتب على الالة الكاتبة حتى العاشرة مساء الليلة السابقة لاكتشاف انتحارها . واضاف ان الورقة التى تركتها لا تتضمن سبب انتحارها .

وكانت الريك مينهوف (٤١ عاما) قد حوكمت مع ثلاثة أرهابيين آخرين اعضاء بمنظمة « بادر ـ مينهوف » الارهابية بتهمة تنظيم موجة من تفجير القنابل واطلاق الرصاص فى المانيا الغربية وذلك فى اوائل السبعينات ، مما أسفر عنه مقتل أربعة جنود امريكيين وضابط بوليس واصابة العشرات بجروح .

وقد اتهمت مينهوف وزملاؤها بانهم الرؤوس المدبرة لهذه الجمعية الارهابية . وبانهم مولوا الحركات الارهابية بحوالى ١٠٠ر٠٠٠ جنيه استرلينى حصلوا عليها من عمليات سطو على البنوك وكذلك من سرقة السيارات !

وقد كانت هذه ثانى مرة تحاكم فيها مينهوف ، فقد حكم عليها قبل ذلك بتهمة ارتكاب اعمال ارهابية ، وفى المرة الثانية قبض عليها بسبب هجومها على مكتبة سجن بالمانيا الغربية لتهريب « اندياز بادر » الذى كان يمضى مدة عقوبته لقيامه بعملية سطو على محل فى فرانكفورت .

واختفى كل من مينهوف وبادر . ثم ظهرا مرة اخرى فى المانيا الغربية على رأس تنظيم اطلقوا عليه « الجيش الاحمر » ومهمته تحرير مجتمع المانيا الغربية عن طريق معركة مسلحة . واستمرت هذه المعركة عامين عانى منها الشعب الالمانى من العمليات الارهابية ، وقد امكن القبض عليها وحكم عليها بالسجن ثمانية اعوام .

ومنذ اربع سنوات استطاع البوليس القبض على الرؤوس المدبرة وحاكمهم وسجنهم . غير ان البوليس ذكر ان هناك اخرين من أعضاء التنظيم الارهابى ما زالوا يمارسون نشاطهم .

وعقب اذاعة خبر انتحار مينهوف وضعت سلطات بون وغيرها من مدن المانيا الغربية قوات الامن فى حالة تأهب خوفا من حدوث اضطرابات من جانب مؤيدى مينهوف انتقاما لموتها فى السجن ،حيث انهم لن يصدقوا انها ماتت منتحرة .

وفعلا انفجرت حوادث العنف فى اليوم التالى لانتحار الريك مينهوف وخرجت جماعات من الارهابيين تدمر المحلات فى شوارع فرانكفورت .

ومما زاد من عنف حركة الموالين لمينهوف ان شقيقتها قالت:« انها قالت لى انها لن تنتحر ابدا ! وقالت اذا ما اذيع انى انتحرت فى سجنى فلتعلمى انى قتلت » .

وكان لانتحار مينهوف اصداء فى جميع انحاء العالم . فقد انفجرت قنبلة خارج مكتب سياحى المانى . وقد اعلنت منظمة تطلق على نفسها « مركز هولجر مينز المعادى للامبريالية » مسئوليتها عن الحادث . وقد انفجرت قنبلة اخرى فى زيوريخ ، ولطخ منزل سفير المانيا الغربية « بكوبنهاجن »، وحطمت قنبلة معهد جوتة « بتولوز » وهاجم المتظاهرون فى برشلونه مكاتب شركة هوكت للكيماويات التابعة لالمانيا الغربية .

وفى باريس وقع ١٤ كاتبا ومفكرا ـ من بينهم سيمون دى بوفوار وبول سارتر ـ على بيان يعربون فيه عن استنكارهم للنهاية المأسوية لمينهوف وطالبوا بوضع نهاية للاسلوب العنيف الذى يعامل به المساجين فى المانيا .

نائلة تونى

دعوة الى مراجعة كتابي : "حديث الاربعاء" و"... في الشعر الجاهلي"

إنصافاً لطه حسين

بقلم : سعيد الافغاني
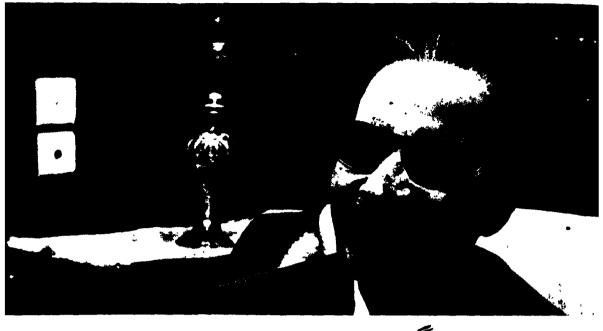
في الذكرى الثالثة لوفاة طه حسين ، تفسح « العربى » المجال لدعوة تلقتها من الباحث الاديب السوري الاستاذ سعيد الافغاني، ينادي فيها باعادة النظر في كتابي « حديث الاربعاء » و .. « في الشعر الجاهلي » . وهو في مقاله هذا يسجل انطباعات شخصية عن فقيد الأدب العربي ، ننشرها كما هي .

■ شهد الرعيل الاول من أئمة الادب في عصرنا : مصطفى صادق الرافعي واحمد أمين وطبقة كل منهما أن الدكتور طه حسين قوي الاساس في العربية سليم النشأة فيها . مكنته ثقافته الازهرية وملكته الخاصة أن يتذوق بلاغة أدبها غاية التذوق . حين يملي خواطره حول نص أدبي أو على هامشه يأتي بكل بديع . وحدثني غير واحد من نابهي طلابه (القدماء) أن دروسه في الادب أعلى كثيرا من دروسه في تاريخ الادب . لافتقار الثانية الى أدوات لم تتح له . اذ كان اعتمادها جميعا على الباصرة.

وهيهات ان يكون المعاونون له (ماجورين او متطوعين) بديلا منها فى حال من الاحوال .

من هنا كانت كتبه ومقالاته فى تاريخ الادب خالية من الخلق والاضافة الحقة . وبعضها كان اشبه بسنحات الخواطر يزينها باسلوبه العاطفى، وبيانه الحلو ، وتكريراته وتاكيداته وسائر خطابياته ، وهى على كل حال بعيدة عن مقومات البحث ومعطيات البراهين .

لذلك لم يكن غريبا ان يقرر الدكتور طه حسين حكما فى يوم ، ثم يحلو له بعد مدة طويلة او قصيرة ، حكم آخر يبطل به الاول ، وكثيرا مايؤيد اليوم أمورا يرجع عنها غدا فى مثل الحرارة التى كان أيدها بها ، وهو فى الاقرار والالغاء حافز سوانح وبدوات ، لا وثائق ولا براهين . اضف الى ماتقدم المزاج العاطفى المتحول أبدا بين الرضى والغضب .. تدرك ماينبغى ان يحتاط به القارىء لنفسه حين يطالع آثار هذا النموذج من الادباء ، لاسيما حين يعرضون لنقد آثار غيرهم،فلا يقبل احكامهم الا بعد تجريدها من الآثار العاطفية ، وعرضها على مقاييس موضوعية . وتشتد الحاجة الى هذا التحرز وتلك المناعة حين يتسلح هذا الناقد الاديب ببيان (أزهرى) اصيل رائع مثل بيان طه حسين .

قبيل زيارتى للقاهرة سنة ١٩٤٧ ، كلفنى وزير المعارف السورية آنذاك ، « ابلاغ الدكتور طه حسين رغبة الجامعة السورية فى استضافته شهرا لالقاء بعض المحاضرات فى كلية الآداب » ، فاتصلت به هاتفيا ، وفى الموعد المتفق عليه استقبلنى فى داره بالزمالك ، وكان عنده اثنان من الاساتذة أحدهما ـ فيما اذكر ـ المرحوم الشاعر عبد الرحمن صدقى ، ودار الحديث عن سورية فاثنى طه حسين على عنايتها باللغة والادب..وقبل ان اشرع فىحديث موضوع الزيارة أبدى استغرابه (من تفكير مسؤول سورى فى اسناد رياسة الجامعة السورية الى المرحوم الدكتور منصور فهمى ، وان هذا المنصب ادارى لا يصلح ان يتولاه غير سورى) ، لم افاجأ بالملاحظة ، لانى كنت اعرف قبل هذا ان الدكتور منصور فهمى لا يخف على قلب طه حسين ، فصرفت الحديث عن الرجل وناقشته فى المبدأ قائلا : «ان العرف السورى يجعل الاقطار العربية فى مثل هذا وحدة » وذكرت له ان عددا كبيرا من العراقيين والاردنيين والفلسطينيين واللبنانيين والليبيين والتونسيين والجزائريين اسندت اليهم مهام جسام فى اول عهدنا بالاستقلال سنة ١٩٢٠ على عهد الملك فيصل بن الحسين رحمه الله .. » فقاطعنى بقوله « انتم ـ السوريين ـ معروفون بمثاليتكم فى العقيدة العربية وتطبيقكم لها عملا » . الا انه ـ فيما بدا لى ـ لم يرتح الى مخالفتى له فيما رأى .

ثم عرضت عليه التكليف (موضوع الزيارة) فسر جدا ، ولم يكتم طربه ، وقال : « انه سعيد جدا ان تشرفه سورية بهذا التكليف » . ولما ذكرت له ان المحاضرات المطلوبة لا تقل عن العشر، ويرجى اعلامنا بموضوعاتها قال : « ان الموضوع مختار جاهز وسيدور على ما يلى » :

كنت قررت فى كتابى (حديث الاربعاء) ان الحجاز كان يصدر المجون الى البلاد العربية على عهد الدولة الاموية ، وانه كان يعج بشعراء المجون ، وبالقيان والمغنيات والمتماجنين والمخنثين والرقيق ، وما الى ذلك ، وان القيان المحسنات كن يتعلمن الغناء والضرب بالعود على أساتذة الغناء والعزف المشهورين بالحجاز ، حتى اذا اتقن الصنعة تغالى الامراء والاثرياء من جميع الاقطار فى شرائهن من النخاسين وحملوهن الى اوطانهم .. وان كتاب الاغانى تكفل بتصوير ذلك كله .. اما الان(١) فقد تبين لى ان ذلك كله (كلام فارغ) وان مصدر المجون الحقيقى حينئذ كان بلاط الامويين فى دمشق لا حواضر الحجاز .. الخ » .

لم استغرب رجوع طه حسين عن رأى له مشهور مسجل فى كتاب واسع الذيوع ، متعدد الطبعات ،

---

(١) كان مضى على صدور الطبعة الاولى من(حديث الاربعاء) عشر سنين كاملة ، اذ صدرت عن مكتبة عيسى البابى الحلبى سنة ١٩٣٧م .

فذلك شأن المنصفين • لكني كنت أحب ـ كما كان قد سجل هذا الخطأ حتى أخذ به كثير من السطحيين ـ أن يسجل رجوعه عنه في كتاب أو صحيفة ذائعة ، فذلك أحوط لبراءة ذمته واقوم لحق العلم عليه •

في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في دورته الحادية والاربعين (عام ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م) استمعنا الى بحث رصين عن المرحوم الدكتور طه حسين وقد مضى على وفاته عام كامل ، ألقاه الدكتور محمد أحمد خلف الله . وعقب عليه عدد من الزملاء الاعضاء ، منهم الاستاذ محمد أحمد الحوفي ، وكان تعقيبه شهادة أداها بان طه حسين رجع عن نظريته في انتحال الشعر الجاهلي ، وهو الزعم الذي ادار كتابه (في الادب الجاهلي) على تأييده . وسمع منه هذا الرجوع غير واحد من الاساتذة . ثم جاء دوري في ابراء ذمتي من أمانة في عنقي . فاخبرتهم برجوعه أيضا عن حكمه السابق (في حديث الاربعاء) كما قلت • وعلى هذا لم يعد يصح في شرع الامانة والعلم الاعتماد عليهما ولا أن ننسب اليه ما فيهما من أحكام على أنها آراؤه ، بعد أن رجع عنها •

لئن تخلى طه حسين عن خطأ الاحكام في كتابيه (حديث الاربعاء) و (في الشعر الجاهلي) ، ان ما فيهما من عذوبة البيان والعماسة لانتهاج منهج ما في البحث ، مستمر الاثر ـ فيما أقدر ـ حتى سنوات قادمات الى أن يقل في القراء ـ لا سمح الله ـ متذوقو بلاغة العرب من ذوي النشأة اللغوية الاصيلة وعشاق البيان الصافي الجميل •

شعرت بعد كتابة ما تقدم بحافز ملح في الرجوع ثانية ـ بعد أعوام طويلة جاوزت الاربعين ـ الى مقدمتي الكتابين ، فظهر لي أن الرجل ـ رحمه الله ـ كان أمينا غاية الامانة في أداء ما في نفسه الى الناس ، لكن كثيرا من الناس يقرؤون في غير اناة ولا روية • لقد حذرهم هو نفسه من الاعتماد على ما أصدر من أحكام . واعترف لهم ـ في غير غمغمة ـ بحاجة بحوثه الى اعادة النظر ، لكن الببغاوين اتباع كل جديد رائج في غير تبصر ولا اعمال عقل ، لا يتلبثون في قراءة ولا يتوقفون لتفهم . بل يمضون في اتخاذ آراء من هنا وهناك فيضلون ويضلون •

جاء في مقدمة الطبعة الثانية من (حديث الاربعاء) ص (د) قول طه حسين :

« اني اعرف من عيوبي ونقائصي أكثر مما يعرف الناقدون لي ، والناعون علي ، وكم اتمنى ان تتيح ظروف الحياة لي من الفراغ ما يمكنني من ان اظهر رايي في نفسي وفي آثاري مفصلا . اذن لرأى الناس من ذلك عجبا •• » وقد فعل ذلك ـ رحمه الله ـ شفاها ، على ما مر بك آنفا في احكامه السابقة من كتابيه (حديث الاربعاء) و (في الشعر الجاهلي) • بل ذهب أبعد من ذلك وهو يبدي ويعيد ويكرر ، محذرا من الاتكاء على ما املى من فصول في (حديث الاربعاء) لانه أرسلها احاديث في صحف سيارة لا تمهل الكاتب ان يتروى ويبحث . وقرر مؤكدا حاجتها الى اعادة النظر والى بذل جهد وعناية ، لقد نعت هذه الفصول بقوله الصريح الصادق :

« فلست تجد فيها الفكرة القوية الواضحة المتحدة التي يصدر عنها المؤلفون حين يؤلفون كتبهم واسفارهم ، بل أنا اذهب الى ابعد من هذا فاحدثك في غير تحفظ ولا احتياط اني مهما اكن قد تكلفت في هذه الفصول من جهد ومشقة فاني لم اعن بها العناية التي تليق بكتاب يعده صاحبه ليكون كتابا حقا ، انما هي فصول تنشر في صحيفة سيارة ليقرأها الناس جميعا فينتفع بقراءتها من ينتفع ، ويتفكه بقراءتها من يتفكه ، ولم يكن بد لكاتبها من ان يتجنب التعمق في البحث والالحاح في التحقيق العلمي ، اذ كانت الصحف السيارة لا تصلح لمثل هذا • ولقد يكون من الحق علي لنفسي والادب ولقراء هذه الفصول ان اعترف باني ما كتبت منه فصلا الا وانا اعلم انه شديد النقص « محتاج » الى استئناف العناية به والنظر فيه •• »

لقد كان على الذين يصدرون عن اقواله واحكامه ويقررونها على طلابهم ان يقفوا ـ على الاقل ـ عند حكمه هو نفسه على ما صدر عنه ، فيحققوا ما قال هو انه يحتاج الى تحقيق ، ويمحصوا ما اقر هو انه يحتاج الى تمحيص • اما ان ينسبوا اليه احكاما اخذوها من الفصول التي كتبها من غير الاحتياط الذي احتاطه هو نفسه حين كتبها فحرج جبار ، وظلم آن ان يوضع له حد •

ان الذي حداني على كتابة ما تقدم أمران •

اولهما أمانة في عنقي علي ابراء ذمتي منها ، اديتها لوجه الحق،وقد ذهب الرجل لقاء ربه ، فحق علي ان أشهد بما سمعت منه ، وقد قمت بذلك في مؤتمر المجمع ـ كما اسلفت ـ بعد ان ادى الدكتور الحوفي شهادته برجوع طه حسين عن رأيه ايضا في انتحال الشعر الجاهلي ٠ لكن ذلك كان منا في مجلس محدود ، وبيئة خاصة قليلة جدا بعدد افرادها ، وان عظمت كفاياتها واعيده هنا على نطاق اوسع ٠

والامر الثاني ما نشرته مجلة (دعوة الحق) (٢) التي تصدرها وزارة الشؤون الاسلامية والاوقاف في المملكة المغربية بعنوان (رأى طه حسين في الشعر الجاهلي) وهو تلخيص مدرسي لكتابه (في الشعر الجاهلي) ٠ ولا ريب في انك علمت الان أن في العنوان ظلما لطه حسين بعد ان رجع عن رأيه ، وليت الكاتب اشار الى السنة التي رأى فيها طه حسين ذلك الرأى فقال : « رأى طه حسين سنة ١٩٢٦ في الشعر الجاهلي » ٠

خمسون عاما مضت على رأى رآه ، عورض فيه ، والفت في الرد عليه كتب (موضوعية) جيدة (٣) افيجوز في شرعة الحق والانصاف ان نظن أن طه ـ بعد هذا كله ، طوال تلك الاعوام التي قاربت الخمسين ، قد ظل جامدا على رأيه الذي رآه في اول شبابه بعد كل ما بينوا له ؟ فاين حصافته اذا ، واين فهمه وانصافه ، وكل الذين عرفوه شهدوا له بهذه الفضائل الثلاث ؟! وهي شهادة حق ٠

هذا ما رأيت واجبا بيانه بعد اطلاعي على ما نشر في تلك المجلة الرفيعة ، انصافا للحقيقة ، وابراء للذمة ، وانقاذا لمن يضع هذين الكتابين في ايدي طلابه ، وهو لا يعرف ان مؤلفهما رجع عما فيهما رجوعا قاطعا لما نضج وبرىء من فتنة لفت النظر واثارة الضجيج ٠ وحق على تاريخ الادب ان يشيد بفضيلته في التصحيح كما كان ندد بتورطه في شبابه بتحمسه لرأى غير نضيج ٠

لدعوة الحق الخلود ، ولعامليها التحية ، وعلى طه حسين الذى انصف نفسه قبل ان ننصفه ـ رحمة الله ٠

سعيد الافغاني

---

(٢) العدد الخامس من السنة السابعة عشرة(المحرم ١٣٩٦ هـ ـ يناير ١٩٧٦ م) ص ٧٦ ٠

(٣) عد الكاتب هنا تسعة كتب ، منها :

ـ النقد التحليلي لكتاب الشعر الجاهلي للاستاذ محمد احمد الغمراوى

ـ الشهاب الراصد للاستاذ محمد لطفي جمعه-صدر عام ١٩٢٦ م

ـ نقض كتاب (في الشعر الجاهلي) للشيخ محمد الخضر حسين شيخ الجامع الازهر فيما بعد ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٥ هـ ٠

ـ محاضرات في بيان الاخطاء التى اشتمل عليها كتاب (في الشعر الجاهلي) للشيخ محمد الحضرى ـ نشرت في مجلة القضاء الشرعي ٠

ـ نقد كتاب (في الشعر الجاهلي) لمحمد فريد وجدى ٠ بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين بمصر ـ اكتوبر ١٩٢٦ م ٠

ـ نقض مطاعن في القرآن الكريم للشيخ محمد عرفة ٠

ـ (الشعر الجاهلي) والرد عليه لمحمد حسين عدا ردود كثيرة نشرت في صحف ومجلات مختلفة٠

أنباء الطب و العلم

مسماع طبي حديث

● طالما استغرب الكثيرون السماعة التي درج على استعمالها الأطباء في فحوصهم ، وبخاصة فحص نبض المريض. فهي ليست بالقدر الكافي من الحساسية. وقد يتعذر عليها التقاط النبضات الضعيفة في المريض ، فيحسبه الأطباء ميتا ، وهو لا يزال على قيد الحياة . وقد حدث ذلك فعلا في المدة الاخيرة ، واعتبر مريضان في عداد الأموات ، وذلك في أعقاب نوبة قلبية حادة كانا قد تعرضا لها . ولكنهما لم يدفنا .. وذلك بفضل المسماع الالكتروني الحديث (انظر الصورة) .

اذ جرى فحص المريضين بهذا الجهاز الجديد ، الذي تم صنعه في امريكا مؤخرا

خطر الجراد قادم

● تشير أخر التقارير التي وردت على مركز ابحاث الحشرات الضارة فيما وراء البحار ، وهو مركز معروف في لندن .. تشير الى ان الجراد الصحراوي لم يختف نهائيا كما ظن البعض ، وانه يعد العدة حاليا وينذر باجتياح مناطق واسعة من آسيا وأفريقيا - بما فيها البلاد العربية. وذكرت تلك التقارير ان حشودا كبيرة من هذا الجراد قد شوهدت في الهند والباكستان وجنوب غرب الجزيرة العربية اما صغاره فقد شوهدت هي الأخرى بجموع هائلة في الصومال . فالظروف المناخية السائدة في هذه المناطق كانت وما زالت ملائمة جدا لنمو الجراد وتكاثره.

فأمطار السنة الماضية الموسمية ،وكذلك الامطار الغزيرة التي هطلت في شتى مواطن الجراد ، في الصيف والشتاء ، كانت من بين تلك الظروف التي ساعدت على تزايد هذه الحشرة على نطاق وبائي خطير. ومما يذكر هنا ان زوجا من الجراد يستطيع انجاب ٧٥٠٠ جرادة في سنة واحدة ،

المناطق التي يهدد الجراد باجتياحها

حتى ولو تلفت اكثر بيوضه .ولم ينج منها الا العشر فقط !! ويذكر ايضا ان بيض الجراد الذي يدفنه في التراب لا يفقس الا اذا كانت التربة رطبة بالقدر الكافي .

وصغار الجراد لا تقل كثيرا عن كبيره من حيث الأضرار التي تستطيع الحاقها بالمزروعات .. ومهما يكن فهي لا تحتاج الا لبضعة اسابيع لتستكمل نموها وقدرتها على انزال تلك الأضرار بكاملها .. ولا تسل عن السرعة التي تنتقل بها حشود الجراد من مكان الى مكان ، فهي سرعة خارقة حقا وقد بلغت المسافة التي تمكن الجراد من قطعها في غضون ثلاثة اسابيع ما يزيد على ٣٠٠٠ كيلومتر !!

واذا بهذا الجهاز الحساس يكتشف نبضاتهما الضعيفة ، فيبقى على حياتهما ، ويحول دون انهائها قبل الأوان ٠

وقد امكن تطوير هذا الجهاز ، الذى اطلقوا عليه اسم فيتال واحد Vital 1 بنفس التكنولوجيا التى طوروا بها الالآت الحاسبة والعقول الالكترونية ٠٠ وهو يعتمد على مجسات صغيرة توصل بأطراف اصابع المريض ، وذلك لرصد نبضه فى الأوعية الشعرية Capillaries ٠ ويقوم كمبيوتر الجهاز بعد ذلك بحساباته الخاصة ، ويحدد عدد النبضات فى الدقيقة الواحدة ٠٠٠ وتعلن النتيجة على نحو ما ترى فى الصورة مرة كل ثمانى نبضات ٠٠٠

« ارجل العنكبوت ٠٠ » للسيارات

● كانت الجنازير الوسيلة الوحيدة التى يلجأ اليها سائق السيارة ليتمكن من السير بسيارته على الطرق الثلجية او الجليدية ٠ ولعلها كانت الوسيلة المثالية، لولا اعتراضين اساسيين ٠٠٠ اولهما هو ان الجنازير لا تركب على الدواليب الا حين الحاجة ٠٠ ولا يخفى ما يترتب على تكريبها حينئذ من مشقة وعناء ٠٠ فقد تكون الثلوج فى تساقط مستمر ٠ وقد تكون الطريق مزدحمة بالسيارات بحيث يصعب التوقف فيها ويتعذر تركيب الجنازير ٠

اما الاعتراض الثانى فالضرر الذى قد
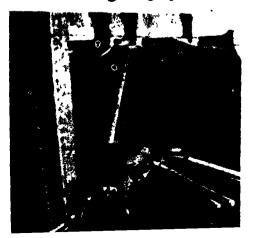
تلحقه هذه الجنازير بالاطارات من جهة ، وبالطريق المعبد بعد ذوبان الثلج والجليد من جهة ثانية ٠ لا عجب اذن ان أولى العلماء هذه المشكلة اهتمامهم ونجحوا أخر الامر فى اختراع وسيلة اخرى جديدة تغنى عن تلك الوسيلة القديمة ٠

والاختراع الجديد امريكى ، وهو جهاز قوامه لوالب (زمبلكات) فولاذية قوية ، ومتصلة بقاعدة متينة بشكل القرص (انظر الصورة) ٠

ويركب هذا الجهاز فى اسفل السيارة وبالقرب من الدولاب ، ويثبت ليبقى فى مكانه كأى جزء من اجزاء السيارة الاخرى ٠ وعند الحاجة يضغط السائق على الزر المحرك لهذا الجهاز ، فيهبط وترتكز لوالبه على الارض ، فتصبح كأرجل العنكبوت تعتمد عليها السيارة فى سيرها بدلا من الدواليب ٠ وتستمر الامور على هذا الحال حتى اذا اجتازت السيارة الطريق الثلجية ضغط السائق على الزر المحرك ثانية فيرتفع الجهاز الى وضعه الاصلى ، وتعود السيارة الى السير على دواليبها كالعادة ٠

من اوروبا ، من بقية انحاء العالم ومن افريقيا بصفة خاصة جاءوا الى المهرجان .. لقد أيد جمهور السينما الرأى القائل بان الجماهير اليوم اصبحت اكثر وعيا واكثر ثقافة فهى ترفض الافلام التافهة التى تحشر العدد الكبير من الممثلين وتخاطب الغرائز . لقد قال جمهور السينما كلمته.. ان الافلام التجارية البحتة التى يجرى انتاجها لغرض تجارى فحسب ، فى طريقها الى الزوال .
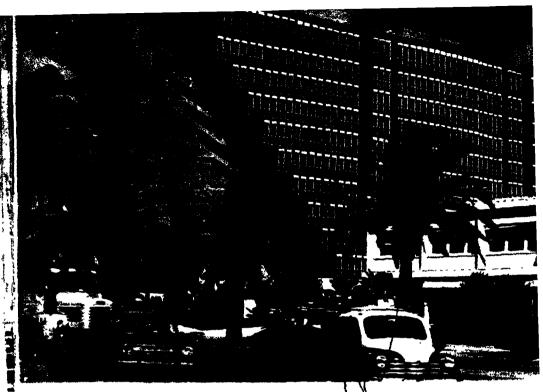
فندق « البحيرة » اقامت فيه الوفود ويتميز بهندسته الفريدة،فقد بنى على هيئةهرم مقلوب ، شهدت ابهاؤه وجوها من كل لون ، سمراء وشقراء ولكن الازياء الشعبية (الفلكلورية) استطاعت ان تخطف الاضواء في جو من الاخاء والمودة .. لقد كان هذا طابع المهرجان .

صاحب قصة « عرس الزين » الكاتب السوداني الطيب صالح، انه فنان يحاول التعبير من خلال قصصه عن مجتمعه ويكتب باحساس عميق عن الحياة في السودان،لقد سجل بقلمه صورة حية لهذا المجتمع فى قصته التي اختارها خالد الصديق المخرج الكويتي الصاعد وصورها للسينما .

■ لم يكن مهرجانا فحسب بل كان تظاهرة ثقافيه سياسية ، اجتماعية وفنية ٠٠ كل هده العناصر اجتمعت في هذا المهرجان الذى قصدنا اليه وفي رؤوسنا نفس الصورة ٠٠ الصورة التى حدثت وتحدث منذ عشرة أعوام مع مولد فكرة« مهرجان قرطاج السينمائي » ٠

لم يكن مجرد منافسة على الفوز بجائزة احسن فيلم بين الدول العربية والافريقية ٠٠ بل كان ندوة ثقافية تحت عنوان عريض هو « السينما والادب والتراث الشعبى » ، وكان ايضا معرضا للكتب والنشرات والصحف والمجلات التى تتحدث عن الفن السابع ٠٠ وكان اخيرا مناقشة فكرية حادة حول ماهية السينما والدور الذى يجب أن تلعبه في معالجه مشاكل الانسان المعاصر ٠

وفي اطار المهرجان اجتمع اتحاد السينمائيين العرب وكذلك اتحاد النقاد العرب وقالوا كلمتهم فيما يسمى المهرجان اليهودي الدولي الاول للسينما والتيلفزيون ، الذى أقيم في اكتوبر من العام الماضي في « القدس المحتلة » ٠٠ واعلنوا ان ذلك المهرجان من سمته يؤكد الطابع العنصرى للسياسة الصهيونية ، وطالبوا بالعمل بكل الوسائل للكشف عن وجهه الحقيقي ورفضه ومقاطعته من كل السينمائيين في العالم٠

وكان اخيرا حفلة لتكريم فنان فلسطيني قضى نحبه وهو يحمل « الكاميرا » يسجل احداث لبنان الداميه ، تماما كما يموت الجندى في ساحة القتال ٠٠ هو الشهيد هاني جوهرية ، وعرضت على الشاشه « بكرة » الشريط التى وجدوها في الكاميرا عند استشهاده ٠٠ وأعلنت الشركة التونسيه للتنميه والانتاج السينمائي رصد جائزة باسم الشهيد لاحسن فيلم يتعرض للقضيه الفلسطينيه ، كما قررت اطلاق اسمه على احدى دور السينما الكبرى في تونس ٠

ثم لا ننسى أن المهرجان احتوى على عروض خاصة للسينما النيجيرية وسينما امريكا اللاتينيه وافلام حركات التحرر العربية والافريقية وأفلام السينمائيين التونسيين الهواة ٠٠

كان مهرجان قرطاج كل هذا وأكثر ٠٠ ولنبدأ القصة من أولها ٠٠

لقد افتتح المهرجان بشريط خارج المسابقة

وكان الشريط هو « زائر الفجر » شريط مصرى له مغزى سياسى من اخراج المرحوم ممدوح شكرى ويدين المخابرات المصرية لصلاحياتها وسلوكها وتصرفاتها تجاه فئات عديدة من المجتمع ، وذلك في الفترة قبيل هزيمة يونيو ١٩٦٧ وكان ذلك من خلال قصة صحفية قتلتها المخابرات باسلوب خبيث ، حاصرتها بالخوف والارهاب وهي تعلم انها مريضة بالقلب ، الى أن ماتت ، ولما اكتشفت الشرطة الجريمة ، عندما حاولت البحث عن الجاني وجدت نفسها تسير في طريق مسدود ، فحفظت القضيه ٠٠ لانها لا تستطيع تقديم جهاز المخابرات للمحاكمة ، وخلال عرض الشريط كان واضحا انه اقتطعت منه بعض المناظر مما أخل الى حد ما بسياق القصة ٠٠

ثم توالت في الايام التاليه عروض الافلام المتسابقة ٠٠ وقد كان المستوى العام لمعظم الافلام متوسطا ، ان لم يكن دون المتوسط ـ وليس هذا رايى وحدى وانما كان رأى معظم النقاد الذين حضروا المهرجان ٠

فرصة ضاعت

نعم فرصه ضاعت حقا على المهرجان وعلى فيلم كان الناس ينتظرونه في المهرجان ، انه فيلم « عرس الزين » عن قصه للاديب السوداني المعروف « الطيب صالح » ، اخرجها المخرج الكويتي الشاب « خالد الصديق » ٠٠ كان من المقرر ان يفتتح المهرجان به وكان الناس في شوق لمشاهدة ابطال القصة الرائعة وقد حركهم الصديق في صور حيه على الشاشه ٠٠ ولكن للاسف الشديد لم يصل الفيلم فقد تاخر وصوله من معامل لندن ٠٠ وصرخ خالد الصديق أسفا على ضياع هذه الفرصة تماما كما كان يصرخ « الزين » بطل قصة عرس الزين « يا أهل الحلة ٠٠ يا ناس البلد ٠٠ عزة بنت العمدة كاتلا لها كتيل ٠٠ الزين مكتول في حوش العمدة » ٠٠ هكذا كان يصيح الزين دائما بلهجته السودانيه المحلية ، عندما تعجبه فتاة من حسان البلد ٠٠ وتصيب قلبه سهام الحب فيعلنه بهذه الطريقة٠٠ أما خالد الصديق فقد قتلته دموع « تحبة » بطله الفيلم وقد خاب أملها ٠ ويقول الصديق باللهجه الكويتية « حسافه » أى يا خسارة ٠٠ ولعرس

المخرج الكويتي الشاب خالد الصديق وبجانبه « تحية » بطلة عرس الزين بينما يظهر البطل في الصورة (تحت) .

ن قصة تروى .. ولكن قبل أن أحكيها لكم
ب لنكمل حديثنا عن مهرجان قرطاج ..

قرطاج

قرطاج هذه مدينة أثرية حمل المهرجان اسمها، ضاحية تقع على بعد عشرة كيلو مترات من س العاصمة .. أسستها عام ٨١٤ قبل الميلاد يرة الفينيقيه عليسه واخرزت هذه المدينة شهرة سعه واصبحت مركز اشعاع لحضارة وضاءة . مدت على التجارة المزدهرة ولكن مدينه تونس الية ما لبث ان ورثت أمجادها .. ويحاول وسيون اليوم أن يعيدوا اليها هذه الامجاد نابرة فعملوا على احياء ذكرى قرطاج امام بيل الجديد فاطلقوا اسمها على مطارهم الدولي. قيمون في صيف كل عام مهرجانا مسرحيا يحمل سمها ، كما يقيمون هذا المهرجان السينمائي ة كل عامين ، وهذه دورته السادسة وقد أطلقوا ليها « أيام قرطاج السينمائية » .

ويعد هذا المهرجان مرآة تعكس صورة نمو الفن لسابع وتطور ابداع الفنان السينمائي في البلاد لعربية والافريقية ، بالاضافة الى دول العالم لاخرى .. فتلتقي فيه تجارب الدول المتقدمة مع جارب الدول الناشئة التي تحاول ان تتلمس طريقها وان تبحث لنفسها عن اسلوب جديد تتميز به في الفن والصناعة السينمائية . وهو ايضا يلقي الضوء على حياة الناس في افريقيا والبلاد العربية ومشاكلهم واحلامهم وطموحهم ، كما يتيح الفرصة للقاءات تتم بين رجال السينما والنقاد والصحفيين من مختلف دول العالم .

وخلال عشرة ايام .. عرضت تجارب عديدة في مسابقة الافلام الروائية الطويله ، تنافست ثماني عشرة دولة عربية وافريقية على شاشة قاعة « الكوليزيه » الفسيحة الفخمة ، بحوالي عشرين شريطا ،كل بلد منها بعرض ما يعتقد انه افضل ما توصل اليه الانتاج السينمائي فيها ، وفي مسابقة للافلام القصيرة تنافس ايضا سبعة عشر شريطا .

تونس اجمل !!

وكنا نحن ضيوف المهرجان تنتابنا الحيرة بين الجلوس في قاعات السينما ، التي تناثرت في شارع بورقيبة وما حوله لمشاهدة ما تقدمه من افلام جاءوا بها من كافة انحاء العالم ..وبين أن نتجول في المدينه الجميلة ، مدينة تونس بمساجدها واسواقها

وفنادقها ومساكنها . والتي تعتبر كنزا من كنوز الفن الاسلامي والعمارة الاسلامية . لقد كانت تونس اكثر جاذبية وجمالا ‥ فالافلام المعروضة كما سبق وان قلت كانت دون المستوى الذى كنا نتوقعه ٠ ويتضح لنا عندما نستعرض عشرات الافلام التي شاهدناها ان السينما العربيه والافريقيه تعيش في مازق ‥ ففيلم «السفراء» الحائز على جائزة المهرجان الاولى والذى اشتركت به تونس واخرجه المخرج التونسي الناصر القطارى وهو يروى محنة العمال المهاجرين الى فرنسا . الذين يقاسون صنوفا من الاضطهاد والتفرقه العنصرية ومن الاعتداء على اجسادهم وكرامتهم ‥وابرز الشريط مشكلة الانتماء الفكرى والدينى كما ابرز مشكلة هؤلاء المهاجرين الاجتماعيه ، عندما يتزوجون باجنبيات وتكون النتيجة اطفالا مزدوجي اللغة حائرين بين دين الاب ودين الام ‥ وقد كانت اللغة في الجزء الاخير من الفيلم حائرة ايضا بين فرنسة غير مستقيمة وبين لهجات جزائرية وتونسية ‥ ويطرح الفيلم حلا لهؤلاء العمال المظلومين بان يتحملوا مسئولية مصيرهم بتكوين « لجان الدفاع الذاتى » ‥ وينتهي الفيلم حيث يتقدم العمال الذين اقتيدوا الى احد مخافر الشرطة بسبب اشتراكهم في احدى المظاهرات ‥ يتقدمون جماعة ، محاصرين لرجال الشرطة ،الذين كانوا يسألون كل واحد منهم على انفراد :

ما هي مهنتك ؟ وما هي جنسيتك ؟

فيرد العمال في صوت واحد ‥

« سفراء ! نازحون سفراء نازحون » فتتقهقر الشرطة ٠

ونفس مشكلة المهاجرين هذه يطرحها الفيلم الجزائرى « فرنسا الاخرى » للمخرج على غالم وكذلك الفيلم الموريتاني « الجنسية مهاجر » للمخرج الموريتاني سيدناى سوخونا وهو ايضا يركز على ماساة العمال المهاجرين من خلال تجربته الذاتية ٠ وقد منح الجائزة الثالثة ‥ ويتضح من كثرة الافلام التى تعالج قضية المهاجرين انها مشكلة تهم الناس في الشمال الافريقى ‥ كما تهم هؤلاء العمال البالغ عددهم في فرنسا وحدها اربعة ملايين ومائتى الف وهم يمثلون أداة اساسيه في جهاز الانتاج والاقتصاد الفرنسى ٠ فهم يبنون منزلين من كل خمسه ويرصفون كيلو مترا من كل كيلو مترين من مجموع الطرقات المرصوفه . وينتجون سيارة من كل اربع سيارات ‥ ومع كل هذا فهم اناس مطاردون محرومون من المساواة بنظرائهم الفرنسيين.وعلى ذلك ليس بغريب أن يفوز فيلمان من ثلاثة طرحا مشكلة واحدة ‥ سبق ان طرحت في افلام اخرى ‥ ومعروف ان الفيلم الفائز بالجائزة الاولى في الدورة السابقة هو فيلم « عمال عبيد » ويعالج نفس القضية ٠

مناقشات حادة

لكن الجديد المشوق في افلام قرطاج انها كانت افلاما تبعث المناقشات الحارة الملتهبة في دار « ابن رشيق » في اليوم التالي لعرضها ،ويطول النقاش وتختلف وجهات النظر ويرتعد بعض المخرجين من مواجهة الجمهور المثقف الواعى.وقد تعرض مخرج الفيلم الليبى « الضوء الاخضر » الى هجوم ومناقشة قاسية على مدى ساعتين وكذلك مخرج الفيلم المصرى « جنون الحب » فالنقاد

المناقشات الحادة التي كانت تلتهب حرارتها في دار « ابن رشيق » هي السمة البارزة لمهرجان قرطاج ‥ فقد كان المخرج يجلس في صدر القاعه في اليوم التالي لعرض فيلمه ويبدو الحوار بينه وبين الجماهير بالمقا ... ويطول النقاش ‥ وتختلف وجهات النظر ٠

ن فيلم «السمراء»
ـر عمى حسا...
ار الاولى ..
ـ محنة العمال
ـين من الشمال
تى فى اوروبا .

ـرن الافلام التجاريه التى تقدم عالما مبهرجا والتى تعمل على نسر الافكار الخاطئة وتقدم ـ المبالغ فيه . ولكنهم يريدون افلاما ذات اجتماعى عميق يتناول مساكل الناس ويعالج هم .. ويطلبون من المخرج ان يتخذ له موقفا ـساكل العصر الذى يعيش فيه .. ولقد عبر ـذه الاراء المحكمون الدوليون عند توزيع ـنز بقولهم .. ان ايام قرطاج السينمائيه ـ كغيرها من المهرجانات السينمائيه ، انها انتحال نظرة واضحه فى شان السينما وهى ـذا الفن اداة فعالة فى خدمه الجهاد المسترك. يخوضه هذا الجزء التاسع من العالم ـى بالعالم الثالث . واذن على السينما ان ـد تلك الشعوب الى ان الاوان لان تقود ـها على اساس الوعى بذاتها ومقوماتها اكلها الراهنه .. ان ايام قرطاج السينمائية ـ على الواقع الاجتماعى منظارا واعيا ـى . ان لم يكن بحلول ، فعلى الاقل بالتفكير ـد الذى يؤدى من ذلك الواقع الاجتماعى الى ـول المرموقة .

اللجنة تاسف لقلة الافلام التى تعبر عن ـاف المهرجان فى هذا العام وتعزو هذا الى ـوف الحالية التى تحيط بتوزيع وانتاج الافلام الاقطار العربية والافريقية .

ولهذه الاسباب رأت لجنه التحكيم انه من الاجدى ان تسند جوائز للافلام المقدمة فى اطار المهرجان . لا على اساس جدتها ولكن على اساس اندراجها فى الاتجاه الذى تحاول بعث سينما وطنيه مستقلة تستجيب لمطامح الشعوب العربيه والافريقيه .

● وتوجهت الى رئيس الهيئه المشرفه على المهرجان نساله عن كيفيه اختيار الافلام التى تدخل المسابقه فيجيبنا الطاهر فيفه قائلا : « هناك لجنه اختيار توسيعة تستعرض الافلام وتختار منها حسب قواعد متفق عليها .. منها ان تكون افلاما هادفة تطرح باسلوب درامى مشكلات الشعوب العربيه والافريقية .وان تكون معبره عن مجتمعاتها باحساس عميق بواقعها ، حادمة لتنميتها وتقدمها .عاكسه للقيم الحضارية الخلاقه التى ترسبت فى وجدان هذه الشعوب عبر تاريخها الطويل المليء بالنضال والكفاح والبطولات ، كما تكتشف للجماهير الطريق الى حياة افضل .. كل ذلك فى صيغة فنية مبدعة تدخل البهجة الى النفوس وتبث فى قلوب الناس الحماس لحركة الحياة .

ولكنى اجد نفسى بالرغم منى وقد اعترضت حديث رئيس اللجنة المشرفة على المهرجان قائلا ..

لقد عرضت افلام دخلت المسابقة غير ذات قيمة ولا تحمل شيئا جديدا ولا تنطبق عليها هذه القواعد

ثلاثة مناظر فى فيلم « عرس الزين » الذى لم يقدر له ان يراه المهرجان « حسافة » •
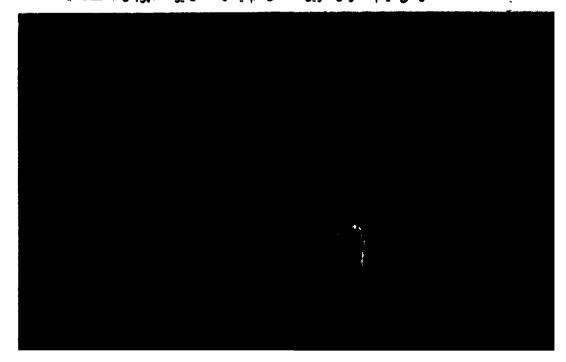
واتضح ذلك عند مناقشتها وبرد فعل الجماهير تجاهها فيجيب بقوله :

ـ هذه مسالة ارجو ان نوضح موقفنا منها كهيئة تونسة منظمة للمهرجان ٠٠ غايتها النهوض بالسينما العربية والافريقية ٠٠ فالسينما فى هذه البلاد مازالت فى المهد ماعدا « مصر » فلها تاريخ سينمائى قديم ٠٠ ولذلك لا نستطيع ان نقوم بعملية فرز دقيقة فلا ناخذ الا جيد الجيد ونترك البقية علما بان اكثر هذه الافلام مقدمة منهيئات شبه رسمية هى التى تشرف على تنمية السينما فى بلادها ، واعتقد انه من المفيد ان نترك هذه الهيئات تعرف رد فعل جمهور دولى عربىوافريقى وهم مجموعة من النقاد والصحفيين والسينمائيين والمثقفين نترك هؤلاء يقولون رأيهم ٠٠ ولا يمكن ان يتهموا بالتحيز وبانهم مغرضون فهم ليسوا باجانب ، بدلا من ان نقوم نحن لجنة الاختيار التونسية برد الفليم قائلين للدولة الشقيقة صاحبة الفليم ٠٠ ان مارسلتموه لنا لا قيمة له فيصبح الفليم ضحيتنا نحن وربما كنا لم نحسن التقييم، اعتقد انه افضلان نترك الفيلمللجماهير والنقاد ولجنة التحكيم الدولية ليقولوا رأيهم ، فقد يكون ذلكحافزا لهيئات السينما فىهذه الدول ان تغير سياسة الانتاج الى الطريق الصحيح ٠

● وأساله عن رأيه فى المستوى العام للافلام التى عرضت فى المهرجان ويجيب الاستاذ طاهر قيقة قائلا : مستوى الافلام فى جملتها هو مستوى متوسط ـ فى رأيى الشخصى ـ والمهرجان عموما بعكس صورة للوضع السينمائى فى العالم العربى والافريقى ٠٠ لقد بذلنا جهدنا وبعد اتصالات متعددة استغرقت مدة سنتين كاملتين ٠٠ كان هذا هو المحصول ٠٠ ولسنا راضين عنه ٠٠ وهذا هو الانتاج فى هذه الفترة ومعنى ذلك ان الانتاج السينمائى يجتاز فترة صعبة فالمهرجان مرآة للحالة التى وصلت اليها صناعة السينما فى البلاد العربية والافريقيا ٠

السينما والادب والتراث الشعبى

وفى اطار المهرجان ايضا اقيمت ندوة استمرت ثلاثة أيام فى دار الثقافة « ابن خلدون » كان موضوعها « السينما والادب والتراث الشعبى » شاركت فيها بالدراسات والبحوث والمناقشة مجموعة من الادباء والمثقفين والشعراء الشعبيين وطرحت امامهم للبحث عدة موضوعات منها :

✽ تصور الواقع عند الاديب والشاعر الشعبى ورجل السينما ٠

✽ كيفية تحويل المادة الروائية الى مادة سينمائية ٠

✽ البحث فى تطوير مادة التراث الى ما يناسب الحقيقة التاريخية والمفاهيم الحديثة ٠

✽ التعبيرالعربى الافريقىبين اللفظ والمفاهيم الحديثة ٠

✽ مدى تاثير التكنية السينمائية ومشاكل صناعتها فى الحد من المخيلة الشعبية او الادب فى اثرائها ٠

ولقدبدا لاول وهلة ان الندوةذات طابعاكاديمى تقليدى ، الا ان ماحدث خلال المناقشات ومن خلال الحوار الذى جرى بين مقدمى الدراسات وبين جمهور المثقفين ان اثيرت عدة قضايا واجمع

اقيم فى اطار المهرجان معرض للمنشورات السينمائية من كتب ومجلات ونشرات باللغة العربية وباللغات الاجنبية وقد اقبل عليها الجمهور يتصفحها ويقرأ عن سينما الدول النامية ٠

على ضرورة التعرض للتراث والعودة
تفادةمنهوالبحث عنخير السبللاستلهام
لثرى لكى يمدالسينما بمادة غزيرةذات
ية وغنية ٠٠ ونادوا أن الاوان قد ان
الى تاريخ حضارتنا ونستعرضانجازاتها
الفكرية ٠ فتاريخنا منبع اصيل يعيش
الشعوب مهما بعد الزمن وفيه خلاصة
ور هذا الى جانب تجربة عصرنا الذى
. ومكتباتنا عامرة بمناهل كثيرة من
ب القديم من تاليف رجال عباقرة مثل
المعرى وبديع الزمان الهمذانى والرجوع
التراث الادبى يسرى افكارنا ويوكد
٠٠ وخصوصا والقصة الحديثة المعاصرة.
د عليها السينمائيون ما زالت تبدوعليها
الغربية مما يجعلها تبتعد عن واقعنا
٠٠ ونادوا بان يكون هناك تعاون بين
السينمائيين تتاكد من خلاله شخصيتنا فى
السينمائى فيعبر عن روحنا وواقعنا ٠

بس يابحر وعرس الزين

د الى « عرس الزين » ومخرجه خالد
، ٠٠ وهو اول مخرج سينمائى كويتى قدم
يلم روائى كويتى حقق نجاحا كبيرا وحاز
لاول « بس يابحر » على تسع جوائز دولية
ان هذا النجاح قد اسعده الا انه زاد من
اذ عليه ان اقدم على عمل آخر ان يكونفى
سابقه ان لم يتفوق عليه ٠٠

د معاناة فى البحث عن قصة تتفق معالخط
انتهجه لنفسه فى تقديم افلام ذات مستوى،
رأيه على قصة « الطيب صالح » الذى
من الصعب اقناعه ولكن مشاهدته لفيلم
، يا بحر » كانت عاملا مساعدا فى قبول
ب الكبير على تسليم قصته لهذا المخرج
عد ٠٠ وقد كانمن راىالكاتب انه منالصعب
مخرج غير سودانى ان يخرج قصة عرسالزين
بقى ان نتناهده ويشاهده معنا صاحب القصة
م عليه ٠٠

يسافر المخرج مع قافلة فنانى الفيلم الى
ودان ويقضون هناك شهورا طويلة ، ويمر
يم الوقت هناك وهم فى مغامرات واقعية ٠٠

الطاهر قيقة رئيس الهيئة المشرفة على مهرجان قرطاج يقول « مستوى الافلام فى جملتها هو مستوى متوسط والمهرجان يعكس صورة الوضع السينمائى فى العالم العربى والافريقى ٠٠ » وفى رأيه أن الانتاج السينمائى يجتاز فترة صعبة ٠

فى الصحراء التاسعة والغابات بحيواناتها وزواحفها وعقاربها ٠٠ حيث كان الزين يعيش ويتغنى بجمال الحسان اللواتى فتلن قلبه ٠٠ كان الزين مشغولا بمغامراته العاطفية بينما مخرج القصة وابطال الفيلميتعرضون للموتعطشا وجوعا ٠٠ فمغامراته لم تقف عند هذا الحد ٠٠ بل لقد تعرضت« ديكورات الفيلم » نفسه ومنشاته ومعدات التصوير للغرق عند فيضان النيل ٠٠ وللتلف والضياع بسبب « الهبوب » الرياح الشديدة التى تثير الغبار ٠

ونقول معه بدورنا « حسافة » فلم نعد من نتيجة جهدى٠٠لقد نسيت معاناتى ٠٠ وسوف انسى متاعبى واسعد حقا عندما يرى معى المتفرجون نتيجة هذا العمل الذى امضيت اكثر من عامينابذل فيه الجهد والعرق وحدى فلم يقف بجانبى سوى ابطال الفيلم وسط الادغال ووحوشها واعاصيرها ٠٠ « حسافة » ٠

ونقول معه بدورنا « حسافة » فلم نعد من المهرجان بصورة لعمل سينمائى جيد ولكنعزاءنا ان مهرجان قرطاج كان فرصة للقاء الفكر من اجل مستقبل افضل للفن السابع ٠

■■

محمد حسنى زكى

بقلم : الدكتور جلال أحمد أمين

■ يحكى ان طفلا ولد ولادة طبيعية تماما ، كان بصحة جيدة ويتنفس بطريقة مرضية الا ان وزنه عند الميلاد كان أقل من الوزن المعتاد ، الكل كان يعرف انه تجب بالطبع تغذيته ، وبما باكثر مما يغذى به غيره ، ولكن الكل كان يعرف أيضا ان هذا يجب أن يتم بحذر ودون عجلة ، الا أبويه الاحمقين، فقد عرضاه على طبيب اكثر حماقة اخذ يتحدث عن خطورة الحال وانه لا بد من اتباع كافة السبل لكى يصل الطفل الى الوزن « المألوف » ، وصدقه الابوان وراحا يشحنان جسم الطفل بعدد لا نهائى من الادوية والحقن ، ويخضعونه لصور لا نهاية لها من العلاج ، بعضها يتعارض مع البعض الاخر ، وانتهى الامر بان زاد وزن الطفل فعلا مع مرور الايام حتى كاد يصبح مساويا للوزن المألوف فى مثل سنه ، ولكن اعتلت صحته وتشوه جسمه ولم يعد على الاطلاق طفلا طبيعيا ، وحتى كتابة هذه السطور ، لا زال الطفل ، فيما اعلم ، يزوره الطبيب بانتظام لتقديم علاج جديد يحاول به تصحيح الر علاج قديم .

هذا الطفل هو مايسمى بالبلاد المتخلفة ، والابوان هما حكامها وقادة الرأى فيها ، والطبيب الاحمق هو اقتصاديو التنمية المعاصرون (والهيئات الدولية المشتغلة بالتنمية) .

ففى يوم ما كانت بلادنا بخير ، كانت مدننا صغيرة ولكنها كانت أكثر نظافة وهدوءا مما هى عليه اليوم ، لم نكن نعرف الكهرباء ولكن هذا لم يمنع متعلمينا من انتاج ثقافة افضل مما ننتجه

اعترافات قلب مجنون

تاليف : ادجار آلن بو

اقول الحق : انا عصبي ! عصبي جدا ، جدا • عصبي عصبية رهيبة ، فلماذا تزعم انت انني مجنون ؟ المرض ارهف حواسي ، ولكنه لم يعطلها ، ولم يصبها باية بلادة • لا سيما حاسة السمع التي كانت حادة • سمعت كل شيء مما يدور في السماء وفي الأرض ! سمعت اشياء كثيرة في جهنم • فكيف اذن تزعم انني مجنون ؟! انصت ! بل انتبه جيدا : كم انا عاقل وهادىء وانا اقص عليك قصتي كلها •

من المستحيل ان اقول لك كيف اندست الفكرة في عقلي منذ البداية ،لكني أدركت يوما ان تلك الفكرة قد تلبستني وتسلطت عليّ ليلا ونهارا ، كشهوة لا مثيل لها • لقد أحببت الرجل العجوز• انه لم يضرني أبدا • لم يمسني يوما باهانة • لم اطمع في ماله • اعتقد ان السبب هو : عينه• اجل ، هذا هو السبب • عينه عين نسر ممتقعة ، زرقاء تعلوها غشاوة ،عندما تسقط عليّ وتتفرس فيّ يبرد دمي واتثلج رعبا ، ورويدا رويدا اتخذت قراري ، قررت ان أنزع روح ذلك الرجل العجوز من جسده ، ورايت في ذلك راحة لنفسي وخلاصا لها من تلك العين الى الأبد •

لهذا السبب ، انت تتصور أنني مجنون • المجانين لا يدركون شيئا ، ولكنك سترى، سترى كيف انني تصرفت خفية بحكمة ، بحذر ، بتبصر ، وكنت أكثر رحمة بالعجوز طوال الاسبوع السابق لقتله !

ففي كل ليلة • قبيل منتصف الليل ، كنت أسحب مزلاج بابه وافتحه • آه : كنت افتحه بتؤدة تامة ! ومن خلال شق كاف لادخال راسي كنت أضع في ظلام حجرته فانوسا • وكان كل شيء معتما ، معتما تماما،ما من بصيص واحد•كنت ادس راسي• آه ، انك كنت تضحك لو لمحتني وأنا أدس راسي كنت افتح الباب ببطء ، بمنتهى البطء ، كيلا ازعجه وهو يغط في نومه • وكان دس رأسي كلها خلال ذلك الشق الضيق ••• يستغرق مني ساعة كاملة . وذلك حتى اتمكن من رؤيته راقدا على سريره • ها ! ايمكن ان يكون الشخص المجنون على هذا القدر من الحكمة والتدبر ؟! حينئذ ، حين تكون راسي قد تسللت تماما الى حجرته ، كنت ادير مشعل الفانوس ليخبو الضوء، كنت اديره بحذر ، بحذر بالغ ، (اذ كانت مفصلاته تصرف صريفا خافتا) ، كنت أديره حتى يسقط شعاع نحيل من الضوء فوق عين النسر تماما •

ظللت اقوم بهذا العمل طوال سبع ليال مديدة ، كل ليلة قبيل منتصف الليل • لكني وجدت العين مقفلة ، ولم يكن لها ذلك التاثير • لم يكن ذلك العجوز هو الذى ينغص على حياتي ويثير هياجي ، بل كانت هي تلك العين الشيطانية •

وفي كل صباح ، عندما يملأ الدنيا نور النهار، أعود بقلب ثابت الى حجرته ، وأتحدث اليه بشجاعة ، وأناديه باسمه بنبرة رقيقة من أعماق قلبي ، واسائله كيف امضى ليلته !

فانت ترى اذن ان الرجل لا بد ان يكون في
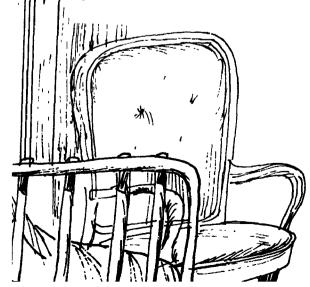
الحقيقة ذا عقل ثاقب حتى يشتبه فى أنا الذى أتسلل اليه ، واطل عليه فى أثناء رقاده كل ليلة، فى منتصف الليل •

وفى الليلة الثامنة ، كنت أكثر حذرا وأنا أفتح باب حجرته • وكان عقرب دقائق الساعة يدور بسرعة أكثر من سرعة دقات قلبى •

لم أشعر مطلقا ـ من قبل ـ بمدى ما شعرت به فى تلك الليلة من القدرة على الدهاء •

استطعت باقتدار فريد أن أكبح جماح شعورى بالتفوق • كنت أفتح الباب قليلا قليلا ، ولم يكن يخطر فى باله أو أحلامه سر أفعالى أو أفكارى •

وفى الحقيقة : ضحكت فى سريرتى من الفكرة• وربما يكون قد سمعنى ، لأنه تحرك فجأة فوق سريره ، كأنما قد استبد به الفزع • وربما تظن الآن اننى قد تراجعت ، لا ! لم أتراجع • وكانت حجرته حالكة ، سوداء سواد القار ، مدلهمة الظلام • (لأن مصاريع النوافذ كانت مقفلة باحكام خوفا من اللصوص) •

وبناء على ذلك ، استطعت أن أوقن أنه لم ير شق الباب الذى ظللت أدفعه بثبات ، بثبات راسخ • وأدخلت رأسى • وما أن شرعت فى تسديد شعاع الفانوس نحو عينه لاسقاطه فوقها ، حتى انزلق ابهامى فوق المحبس الصفيحى ،فارتج العجوز على سريره وصاح :

ـ « من هناك ؟! »

ظللت ساكتا • لم أنبس بكلمة واحدة • ظللت هكذا جامدا لمدة ساعة كاملة لا أحرك عضلة واحدة • وفى نفس الوقت لم أسمعه وهو يعود

الى هجوعه • كان ما يزال جالسا في السرير ، يرهف مسامعه •

كان ذلك يحدث ليلة بعد أخرى ، فكنت أنا أيضا أنصت الى دوران عقارب الساعة على الحائط ! وفي تلك الليلة ، في تلك اللحظة ، سمعت أنة خافتة • فادركت أنها حشرجة الرعب الحاني • لم تكن أنة ألم أو حزن • أوه ! لا ! انها غصة مختنقة صادرة من أعماق روح مترعة بالهلع طافحة بالذعر :

اقول : أدركت في الحال هذا الصوت جيدا • أدركت ما يشعر به الرجل العجوز ، ولقد أشفقت عليه ، رغم انني ضحكت في سريرتي • أدركت أيضا أنه كان مستيقظا منذ حدوث الجلبة الطفيفة الأولى ، عندما تقلب في سريره •

ومنذ تلك اللحظة ، تملكته مخاوفه • وظل سيئا يزعم لنفسه أن خوفه لا مبرر له كان يقول لنفسه . . انه ليس غير صرير الريح في المدخنة •• وقد يكون مجرد مرور فأرة فوق الأرضية •• أو مجرد صفير صرصار : •

حاول أن يجد لنفسه من تلك المبررات عزاء أو تسرية : لكنه أدرك انه يحـــاول عبثا ! وأن محاولاته جميعا ذهبت سدى! جميعها ذهبت سدى! فالموت لا شك قد دنا منه • وواجهه متســللا في عطائه القاتم وظله الختال ، واحتوى الفريسة ! انه التاثير المفجع للطيف غير المحسوس الذى جعله يشعر بوجود رأسي داخل حجرته رغم أنه لم ير ولم يسمع شيئا •

ولما كنت قد انتظرت فترة طويلة، بصبر وجلد، ودون ان أسمعه يعود الى نومه ، فقد قررت أن افتح الباب عن فرجة ضئيلة جدا • وفتحته • ولا تستطيع ان تتصور باى اقتدار خفى فتحت تلك الفرجة • وسرعان ما انبثقمنها ـ أخيرا ـ شعاع كاب وحيد كخيط العنكبوت • وسقط بكامل بهرته فــوق عين النسر التي كانت جاحظــة • جاحظــة باتساع • وفار دمي غضبا عندما رشقتها بنظرة منى • نظرة متفرســة • رأيت العين بوضـــوح كامل • كانت شاحبة الزرقة ، تعلوها غشـــاوة شوهاء اللجت نخاع عظامي • ولم أر شيئا آخر في وجهه أو في شخصه ، لذلك أدرت الشعاع ، وكانني مدفوع بغريزتي وسلطته باحكام وتركيز فوق تلك البؤرة الملعونة !

والآن ، ألم أقل لك ان جنوني الذى توصمني به ، ليس أكثر من وفاهة في حواسي ؟ ! أقول لك الان ان صوتا خافتا مكتوما متلاحقا تناهى الى سمعي كدوران ساعة مدفونة في كوم من القطن • وكنت اعرف ايضا ذلك الصوت جيدا • انه : دقات قلب الرجل العجوز التي اثارت غضبي ، فكأنها دقات طبول تستحث الجندى للاقدام بجسارة • لكنني تمالكت نفسي وظللت جامدا • تنفست بصعوبة وامسكت بالفانوس دون نامة او حركة • كنت احاول اختبار قدرتي على ابقاء الشعاع مسددا ـ بكل ثبات ـ تماما فوق العين • وخلال ذلك تزايدت دقات قلبه الشيطاني • تلاحقت اسرع فاسرع وتائه بعد ثانية ، علا طنينها ، اعلى فاعلى • ولا بد ان رعبه قد طفح به وبلغ مداه • نعم كان يعلو ويعلو كل لحظة ! اتصغي الي جيدا ؟ لقد قلت لك انني عصبي • هكذا انا : عصبي • وفي تلك الآونة الهامدة ، في هدأة الليل ، في لجة السكون الرهيب الذي يغرق ذلك البيت العتيق، كانت تلك الجلبة الغريبة تثير فزعي اثارة لا استطيع التغلب عليها • ولكني مع ذلك ، وبعد مضي دقائق ، تمالكت نفسي واستقمت جامدا . وان كانت دقات القلب قد تعالت وتعالت ، حتى خطر لي انه لا بد سينفجر • فتملكني قلق جديد مبعثه ان اطنئن حتما سيسمعه جار من الجيران ! اذن ، لقد حانت منية العجوز ! فتحت الفانوس صارخا صرخة عالية ووثبت داخل الحجرة • فشهق شهقة واحدة لا اكثر • وفي لحظة واحدة سحبته ، جررته الى ارضية الحجرة ، وقلبت السرير الثقيل فوقه • ثـم ابتسمـت فرحا لان الفكرة ـ عند هذا الحد ـ قد تم تنفيذها • لكن القلب ظل لعدة دقائق يدق دقات مكتومة • لكنها على اية حال ، لم تكدرني ، فلم تكن تسمع من خلال الحائط • وبعد هنيهة همد القلب تمامـا ، ومات العجوز ، ورفعت السرير وفحصت الجثة ، نعم ، مات الرجل موتا اكيدا • وضعت يدى فوق القلب لعدة دقائق ، لم يكن به نبض ، كـان ميتا موت الجماد ، ولم تعد عينه تزعجنى •

اذا كنت ماتزال تظنني مجنونا ، فان ذلك لن يخطر لك على بال عندما اصف لك ما اخذته في اعتبارى من تحفظات عاقلة واحتياطات حكيمة خاصة باخفاء الجثة • مضى الليل ، فمضيت انا اعمل

بخفة . لكن في سكون . فاول كل شيء : قطعت اوصال الجثة . فصلت الراس وبترت الذراعين والساقين . ثم نزعت من خشب الارضية ثلاثة الواح ودسست كل تلك الاعضاء المبتورة في احشاء الحفرة . ثم اعدت الالواح مكانها بمهارة ودقة بحيث لاتستطيع عين انسان – ولا حتى عينه هو– ان تلمح شيئا واحدا يبعث على الريبة . لم يبق شيء ليغسل . لم يبق اى اثر . ولا اية بقعة دم. لقد كنت فطنا يقظا لكل ذلك . لملمت كل شيء . وسددت الباب الذى ياتيني منه الريح لأستريح ! .. ها .. ها ... وعندما انجزت فعلتي تلك . كانت الساعة قد بلغت الرابعة . وكانت الدنيا ما تزال غارقة في ظلام كظلام منتصف الليل . وما ان دقت الساعة هناك حتى تناهت الى سمعي طرقات على الباب الخارجي المشرف على الشارع. فهبطت الدرج لافتحه بقلب راض نشوان – وهل يوجد ما يدعو للخوف الآن ؟ ! ..

دخل ثلاثة رجال . قدموا لي انفسهم . برقة ودماثة. على انهم ضباط شرطة – جاءوا يستطلعون الامر . اذ ان احد الجيران قد سمع صرخة اثناء الليل . وارتاب في ان لعبة خبيثة قد حدثت – فاودع بلاغه في قسم الشرطة الذى انتدب هؤلاء الضباط لتفتيش المنزل . ابتسمت.فماذا يخيفني الآن ؟ استقبلت الرجال بترحاب . قلت لهم ان الصرخة التى سمعت ، انما كانت صرختي انا اثناء كابوس انتابني . وذكرت لهم ان الرجل العجوز غائب لسفره الى الضواحي .

وقاموا بتفتيش جميع ارجاء المنزل . تركتهم يفتشون وينقبون بعناية . واخيرا قدتهم الى حجرته واطلعتهم على كنوزه ومدخراته المحفوظة في حرزها المامون . وفي فورة ثقتي بنفسي ، احضرت لهم مقاعد في داخل حجرته ، والححت عليهم ان يستريحوا هنا مما عانوا من مشقة ، بينما كنت انا مفعما بجراة وحشية وذلك لشعوري اليقيني بانتصاري التام .

وضعت مقعدي تماما فوق الموضع الذى تستكين في جوفه جثة الضحية . اطمان ضباط الشرطة، اذ اقنعهم سلوكي الفريد ، جلسوا ، كانوا يسالون وكنت اجيب بمرح .

وراحوا يثرثرون بكلام مالوف ، لكني ، بعد قليل احسست انى اشحب ، وتمنيت ان يغادروا البيت . وشعرت بصداع في راسي . وكان جرسا يطن ويرن في اذني! لكنهم ظلوا جالسين يثرثرون. وتضاعف الطنين وتلاحقت دقاته فاشتد شعوري بها . وانطلقت اشاركهم الحديث تخلصا من ذلك الشعور . واخيرا . ما لبثت ان اكتشفت انذلك الطنين لم يكن داخل اذني . لا شك ، انني شحبت شحوبا بالغا آنذاك ! لكنني انطلقت اتحدث بسهولة ويسر . وبصوت جهوري . ومع ذلك . تضاعف الصوت – فماذا في مقدوري ان افعل ؟ ! لقد كان الصوت خفيضا . مكتوما . متلاحقا . انه كدقات ساعة مدفونة في كوم من القطن . شهقت شهقة واحدة . وبرغم ذلك . لم يسمع ضباط الشرطة شيئا. تحدثت بسرعة اكثر ، وبتدفق محموم .لكن الجلبة تضاعفت باطراد عنيد . قمت وجادلتهم في امور تافهة بصوت زاعق ، وانا الوح بيدي واومئ بعنف.لكن الطنين تضاعف اكثر . لماذا لا يريدون الانصراف ؟! رحت اخطو فوق الارضية خطوات واسعة ثقيلة – وكان وجودهم المرصود يثيرني لاغضب . لكن الطنين تضاعف اكثرواكثر . اه ! ياربي ! ماذا يمكن ان افعل ؟ ارغيت . ازبدت . هذيت . وانفلت لساني بالسباب ! وطوحت بالمقعد الذى كنت اجلس عليه ، فراح يتارجح وينز فوق خشب الارضية . لكن الطنين المكتوم تلاحق متصلا وبسرعة اكثر . وارتفع اعلى ! واعلى واعلى : ولكن الرجال مايزالون يثرثرون بسرور ويبتسمون اكان يحتمل انهم لم يسمعوا ؟ ! ياربي يا قدير لا ! ! لا بد انهم سمعوا !لا بد انهم ارتابوا –لقد عرفوا ! – كانوا يسخرون من رعبي ! – هذا ما ظننته وما زلت اظنه.لكن اى شيء كان بلاشك افضل من ذلك العذاب ! جعلوا مني هزاة . اى شيء كان يمكن ان يحتمل ويطاق الا ذلك ! انني لم استطع ان احتمل تلك الابتسامات الخداعة اكثر مما احتملت وشعرت ان لا فكاك من الصراخ او الموت .

والآن – مايزال الطنين مستمرا ايضا – انصت اعلى ! واعلى ! واعلى ! صرخت فيهم :

– « ياأوغاد ! كفى خداعا ! انى اعترف بالفعلة اخلعوا الألواح الخشبية ! ارفعوها انها هنا .. هنا .. انها دقات قلبه المخيف ! » .

ترجمة : حسني محمد بلوى
(الاسكندرية)

هذه العيون الجبارة التي ترقب السماوات

الله في اكوانه المترامية الى مالا نهاية ..«ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا، وهو حسير» !

عندما صنع جاليليو لنفسه اول منظار فلكي، ونظر به الى السماء في ليلة من ليالي عام ١٦٠٩، وقف دهشا، ونظر ماخوذا، وتمتم بكلمات مبهمة. وكانما هو يخاطب بها خالق هذه الاكوان .. ولا شك أنه كان يعبده وقتها عبادة صامتة، ولهذا كتب خطابا الى صديق له ينبئه فيه بما لم تره عين بشرية من قبل.

يقول جاليليو في خطابه « لشدّ ما انا ماخوذ بروعة ما أرى .. ومدين لله بما وهبني لكي اكشف عن هذا الابداع العظيم الذي لم يظهر لكل الاجيال السابقة » ! .. ثم تراه يختم خطابه بقوله « ولا شك أن الله مغتبط لفرحتي بما رأيت » !

ويكتب جاليليو في مذكراته « فيما وراء النجوم التي تراها عيوننا، حشد آخر تعز على العين رؤيته، ولو استعنت على ذلك بتليسكوبي .. ان حشود النجوم لكثيرة .. كثيرة جدا، لدرجة يصعب تصديقها » !

وعندما يرى الانسان ـ لأول مرة ـ منظرا فريدا انقشعت عنه الغشاوة التي تحجبه عن عينيه، يراه وكانما هو بمثابة طفل تبهره لعبة جميلة .. وكذلك كان جاليليو أمام السماوات التي تطلع اليها بمنظاره الجديد .. والواقع أن كل العلماء كذلك أمام كل كشف مثير

لو أن جاليليو قد بعث الى الحياة هذه الايام، وتطلع الى الكون بالمناظير الفلكية الحديثة، لتمنى الموت على الحياة، أو ربما حلت به صدمة قاتلة تريحه من حياة تختلف تماما عن تلك التي عاشها في بداية القرن السابع عشر.

فمنظار جاليليو الذي تطلع به الى روعة السماوات وبديع صنعها، لم يكن ـ في الحقيقة ـ الا منظارا بدائيا لا تزيد قوته عن قوة العين البشرية الا بثلاثة اضعاف .. قارن ذلك بالمناظير الحديثة التي تستطيع أن ترى الاكوان المترامية بقوة تفوق قوة أبصارنا باكثر من ٧٥٠ الف مرة :

ورغم أن العين البشرية خلق عظيم، وأداة رائعة الا أنها ـ مع ذلك ـ ما زالت عينا قاصرة. فهي ـ مثلا ـ لا تستطيع ان تقرب البعيد جدا لنراه على حقيقته، ولا أن تكبر الصغير جدا، لنكشف عن مضمونه وطبيعته.

والواقع أننا لا نرى الا أقل القليل، حتى ما نراه ينطوي على خداع كثير .. فعندما ترقب نجوم السماء، وتراها مكدسة ببقع صغيرة لامعة في غير نظام ظاهر، فاعلم أن العين تخدعنا. فمن وراء هذه البعثرة نظام بديع قام على أساس، وسار بقانون، وخضع لنواميس الكون التي لا يرى فيها العلماء خللا ولا فروجا.

وانت عندما تنظر الى النجوم، فتراها على هيئة بقع ضوئية، فاعلم أن العين تخدعك مرة أخرى لانها قاصرة عن ان تطلعك على حقيقة ما تنظر فالبقعة الواحدة قد تكون أكبر من أرضنا بعشرات الملايين من المرات ومئاتها.

وانت عندما تتجول بعينيك في أرجاء السماوات، فترى ازدحاما وتكدسا، وكانما النجوم لا تفصلها عن بعضها الا مسافات تقدر بالاشبار والأمتار، فاعلم أن تلك خدعة جديدة من خداع البصر، لان المسافات التي تفصل النجوم تقدر بملايين الملايين من الاميال .. الخ

لو اننا اعتمدنا على عيوننا، لما تجلت لنا روائع الخلق العظيم الذي تزخر به الارض والسماوات.. اذ لو تطلعت الى ما في الكون بعين غير عيني رأسك، لرأيت ثم رأيت كونا عظيما، وفضاء رهيبا، ونظاما بديعا، وأحداثا كثيرة ما يزال العلماء في اسرارها حائرين، ولخالقها خاشعين «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون».

لقد بدأت عيون العلم بداية متواضعة، ولكنها رغم بساطتها وبدائيتها، قد أوضحت لنا الكثير مما خفي على أبصارنا .. والانسان بعقله العظيم وشغفه باكتشاف المزيد، وتوقه لازاحة الغموض عن الاسرار الهائلة التي تمتد أمامه بغير حدود ـ كل هذا وغيره قد دفعه دفعا لكي يطور أفكاره، وهذه تنعكس على تطوير أجهزته وأدواته .. فالتطور حياة، والركود موت :

علينا الان أن نقفز قفزة من القرن السابع عشر حيث كان يعيش جاليليو بمنظاره الفلكي المتواضع، الى النصف الثاني من القرن العشرين .. لكن ليس معنى ذلك أن هناك فجوة كبيرة بين عصر جاليليو وبين عصرنا الذي نعيش فيه، بل العكس هو الصحيح، فالعلم بمثابة نبتة صغيرة تغذيها
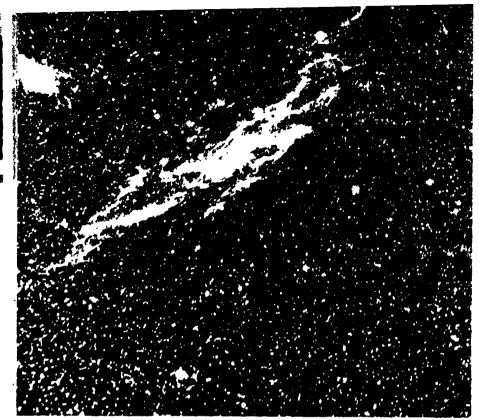
ى سطح الى
رة اكوان ..
ى وراء اكوان
سلها ملايين
سوات الضوئية.
تتوى القمة
ا على ملايين
لايين النجوم .

سارة العقول البشرية بالافكار ، وبها تنمو شجرة
رفة ، ثم نراها تتفرع هنا وهناك ، لتصبح
رفة الظلال دانية الثمار .. فما من ورقة ولا
رة ولا فرع يمتد فيهذه الشجرة شجرة المعرفة
ووراءها عقول تزيدها تناسقا ونضارة وانتشارا،
ن ضيق المجال هنا يحول بيننا وبين اظهار حقيقة
كر الانسانى فى نظرته الى أمور الكون فى
تلف العصور ، ثم كيف طور هذا الفكر من
لال جهد الايام ، وعرق الاجيال ، حتى وصل الى
ه المرحلة التى تبدو لنا فيها شجرة العلم فى
مو وارتفاع .. لكنها مع ذلك ، ما زالت دون ما
خفى .. فما خفى كان اكثر واعظم واروع من كل
كشفته الاجيال السابقة والحالية .

فالكون المرصود ما يزال غامضا اشد الغموض،
ما انه اغرب من كل ما يمكن ان يطوف بخيال
لبشر، مهما يكن هذا الخيال خصيبا . كما ونوعا.

لقد كان الظن السائد ان تقدم العلوم وتطورها
سيزيد من معرفتنا ، ويقربنا من الحقيقة العظمى
الخالدة . لكن العكس هو الصحيح ، اذ كلما
عمقنا فى طبيعة الكون والحياة ، تفتحت أمامنا
المتاهات ، وعلامات الاستفهام ، حتى بدا لنا
كانما معرفتنا تتضاءل امام طوفان هائل من المجهول
الذى يمتد امامنا الى ما لا نهاية .

فالكشوفات العظيمة التى حققها العلماء فى
السنوات العشر الماضية جعلت الكون يبدو امامنا
بصورة أقل ادراكا وفهما لعقولنا الحائرة ، فهو
يختلف اختلافا جوهريا عن الصورة التى انطبعت فى
اذهان علماء النصف الاول من القرن العشرين،
ودعك اذن من تصورات الاقدمين عن هذا الكون
المثير ، وما حكوا حوله من اساطير .

ولا شك ان السنوات العشر او العشرين
القادمة ستطور مفهومنا أكثر عن هذه السماوات
الواسعة المترامية ، لكنها — فى الوقت نفسه —
ستوضح لنا جهلنا الكبير بما هو كائن وما سيكون،
ولدى العلماء الان من اجهزة الرصد الحساسة
ما يؤهلهم لفتح نافذة هائلة للنظر من خلالها الى
اعماق الكون ، ورؤية ما فيه من احداث لو اننا
اطلعنا عليها ، أو رأيناها رؤية العين ، لوجفت
القلوب ، وخشعت النفوس ، وزاغت الابصار!

نحن نسمع عن الانتصارات العظيمة التي حققها الانسان في غزو الفضاء، وما زلنا مبهورين بالتقدم العلمي الجبار الذي استطاع ان يرسل بعثة من وراء بعثة الى القمر ، ثم على سطحه المهجور يخطو نفر من البشر ، ويومها قال من لا يعلم : لقد بدأ الانسان يسيطر على الفضاء ، لكن من يعلم ، يتساءل ويقول : اي سيطرة تقصدون ، واي فضاء تتصورون ؟

ومن يعلم خير ممن لا يعلم ، وهو ـ رغم علمه ـ يدرك ضخامة ما يجهل ، وقد يردد بخشوع لقوم لا يعلمون او يعلمون « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » !

نعم ٠٠ اي سيطرة واي فضاء هذا الذي غزوناه حتى ولو كان ذلك في اقمار صناعية تطوف مجاهل المجموعة الشمسية ؟

الواقع اننا لم نذهب بعيدا ، ولم نتجول في الفضاء الا قليلا ، ولم نكتشف من الكون الا نزرا يسيرا وما غزوناه لا يعتبر شيئا مذكورا !

فالمسافة التي قطعها الانسان ليغزو القمر مسافة تبدو لنا بمعاييرنا الارضية انتصارا عظيما . فبيننا وبين القمر « مشوار » سماوي لا يقل عن ٢٤٠ الف ميل ٠٠ مسافة لا شك هائلة ، لكنها بمعايير الكون شيء جد متواضع .

والمسافات الكونية لا تقاس عادة بالاميال ولا بالكيلومترات ، فليست لهذه في عقولنا مغزى ولا معنى ، لان الارقام الضخمة ستصبح فيما وراء حدود العقل والخيال ، ولهذا دعنا نقيسها بالثانية الضوئية ، وهذه تستخدم كوحدة من وحدات قياس الابعاد الكونية ، وتساوي المسافة التي يقطعها شعاع من الضوء في الفضاء ، هذا وسرعة الضوء ثابتة دائمة ، وهي تساوي ١٨٦ ألف ميل في الثانية .

فالمسافة بيننا وبين القمر ثانية واحدة وثلث ثانية ضوئية لا غير ، وبيننا وبين الشمس ٥٠٠ ثانية ضوئية ، لكن المسافة بيننا وبين اقرب نجم بعد شمسنا تقع في حدود ١٤٠ مليون ثانية ضوئية ، والواقع ان الشمس تعتبر نجمنا الذي تطوف حوله كواكب تسعة ومنها ارضنا ، لكن حافة الكون التي امكن رصدها تبعد عنا اكثر من ٤٠٠ مليون بليون ثانية ضوئية ، ثم انها ما زالت تجري وتبتعد عنا في فضاء الله الفسيح بسرعة خيالية ، ففي كل ثانية تنطلق اجرامها بسرعة تصل الى ٥٠ الف او ١٠٠ الف ميل ويزيد !

قارن اذن الثانية وثلث الثانية الضوئية التي تفصلنا عن القمر ، بهذه الارقام التي تفصلنا عن اقرب نجم بعد الشمس ، ثم عن أبعد نجم او مجرة تنطلق هناك بعيدا ٠٠ بعيدا ٠٠ عند حافة الكون المرصود الذي يبعد عنا بمقدار ستة آلاف مليون سنة ضوئية !

هذه اللمحة السريعة عن المسافات الكونية توضح لنا ان ذهابنا الى القمر بانفسنا او تجسسنا على كواكب المجموعة الشمسية بالاقمار الصناعية التي تنطلق نحوها في شهور وسنوات ، ليس ـ في واقع الامر ـ غزوا للفضاء ، بل قل انه شوط ضئيل لا يتعدى عدة سنتيمترات في شوط كبير يبلغ طوله ملايين وبلايين الاميال !

صحيح ان العين البشرية تستطيع ان ترقب وترى نجوما ومجرات تبعد عنها عشرات ومئات وآلاف السنوات الضوئية ، لكنها مع ذلك لا تقدم لنا الا صورة جد متواضعة ، فماذا لو تضاعفت قوة ابصارها الى عشرة آلاف او مائة الف ، او ربما مليون مرة ؟

لو ان ذلك قد حدث ، فلا شك أننا سنرى الكون اكثر وضوحا بمئات الالاف من المرات ، وهذا بالضبط ما تفعله المناظير الفلكية ، فهي بمثابة عيون كونية ترقب وتكتشف وتوضح ما لا تستطيعه العين البشرية ، كما انها ـ بمساعدة ادوات العلم والتكنولوجيا الحديثة ـ اوضحت لنا شيئا عن طبائع هذا الكون الغريب ، ومكاننا فيه ، وماذا نعني بالنسبة له،وما هو قدرنا ومسيرتنا واتجاهنا على هذه السفينة الكونية التي تنطلق بنا جميعا في فضاء الله الفسيح ٠٠ ونعني بتلك السفينة كوكب الارض !

السماوات الآن ـ وكما اوضحتها لنا عيون التليسكوبات او المناظر الجبارة ـ ليست نجوما ولا مجرات تنتشر في فضائها اللانهائي ، بل هناك عوالم من وراء عوالم من وراء عوالم ٠٠ الخ

كما ان نجوم السماوات واجرامها ليست اجساما تشع بالأضواء الخافتة التي تراها العين كلما اظلم الليل ، بل هناك في الواقع « سيل » منهمر من اشعاعات مختلفة تتسلط على كوكبنا ليل نهار ،

يوننا لا ترى منها الا نزرا يسيرا . ومع ذلك
يون المناظير الفلكية قد كشفت عن عيوننا
ة هائلة . واوضحت لنا ان الاجرام السماوية
م لغات شتى ، وهي قطعا غير لغاتنا التى
دمها ، بـل جاءت على هيئـة مـوجات
غناطيسية ، وكأنما كل موجة تحكي لنا قصة
، وتضع أمام عقولنا حقائق غريبة ما كانت
لنا يوما من خلال حواسنا .

، اللغات الموجية الواصلة الينا من مجرتنا
، المجرات الاخرى التي تبعد عنـا بعشرات
، الملايين من السنوات ، أو من تلك التى تصل
ماق الكون فى عدة الاف الملايين من السنوات
ية .. هذه اللغات الخاصة جـدا اجبـرت
ماء على ان يتحدثـوا عن السماوات فـوق
سجية ، أو تحت الحمراء او الرونتجينيـة
التي تبعث اشعة اكس) او الجـامية (اى
تبعث اشعة جاما ذات الباس الشديد) ، او
ة (ذات الضوء المعروف لعيوننا) .. الخ

اللغات المختلفة تعنى أشياء كثيرة ، تشير
حـداث رهيبة ، لو اننا اطلعنا عليهـا ، او
ن منا ، لراينا فيها ما تنفطر له النفوس .
ع من هوله الافئدة .. لكن ذلك ليس له هنا
، وقد نعود اليه في دراسة اخرى قادمة .

ا اذن نقدم نبذة مختصرة عن تلك العيـون
ة التي ترينا مالا عين رات ، ولا اذن سمعت
طر على قلب بشر !

ن التعرض لانواع المنـاظير الفلكيـة او
سكوبات،دعنا نقدم هنا اعظمها بناء وتشييدا،
ا تعمقا وكشفا لعجب الكون ، ولنذكر منها
: احدهما فى الـولايات المتحدة الامريكية ،
ى فى الاتحاد السوفييتى .

الذى فى أمريكا فمقام على جبل عال اسمه
، بولاية كاليفورنيا ، واهم ما فى هـذا
سكوب هو عينه الزجاجية أو مرآته المقعـرة
ة الضخمة التى يبلغ قطرها خمسة امتار
يد قليلا ، ومساحتها ١٩٦ الف سنتيمتـر
(او ما يعادل ٢٠ مترا مربعا) ، ويبلغ
هذه العين ١٥ طنا ونصف طن ، ويحملها
متحرك من الصلب وزنه ٤٥٠ طن ، ورغم
لكتل الهائلة ، فانت تستطيع ان تحركها
ة وفى اتجاهات شتى ـ بضغط من يدك .

هذه العين الهائلة تعتبر احدى التحديات الجبارة التى واجهها العلماء والفنيون فى القرن العشرين اذ كان من المقرر ان تصنـع من كتـلة واحـدة مصهورة من زجاج « البيركس » يبلغ وزنها ٤٥ طنا ، على ان توضع على هيئة « كعكة » زجاجية داخـل فـرن خاص ، ثم تبرد تدريجيا ، الا ان المختصين قد عدلوا عن هذه الفكرة ، اذ ان عملية التبريد البطـىء جدا (حتى لا تحدث كسـور او شروخ) سوف تستمر تسع سنوات كاملة ، وحتى بعد هـذا الـوقت الطويـل ، فان احدا لا يضمن النتائج

وجاءت العلماء فكرة بديلة ، فمن الممكن صب ٢٠ طنا من المصهورات الزجاجية فى هيكل خاص من الصلب ، ومبطن بالواح من مادة السيليكا ، وعندما قاربت العملية على الانتهاء تحطم جانب من الهيكل ، وانساب الزجاج المنصهر كبحر هادر ، وضاعت الجهود سدى .

ولم يفقد العلماء الامل ، وبدئت المحـاولات من جديد ، وبتصميمات اكثر كفاءة ، وتم صب هذه الكتلة الـكبيرة فى عام ١٩٣٤ ، ثم وضعت المرآة فى فرن خاص ، واستمرت عملية التبريد عاما كاملا ، وفى اثناء ذلك حدث زلزال وفيضان، ووجفت القلوب، وكاد جهد الاعوام يضيع ويتبخر، ولكن الله سلم .

بعد أن بردت المرآة ، استمر الفنيون فى عملية تسوية وصقل استمرت اكثر من احد عشر عاما ، أزيل فيها ٥ر٤ طن من الزجاج ، واستخدم فى العملية اكثر من ٣٠ طنا من مـواد الصـنفرة والتجليخ والكشط والصقل ، بحيث لا يتجـاوز الخطأ فى سمك هذه الكتلة الضخمة جزئين من مليون جزء من البوصة !

واخيرا وبعـد عشرين عاما من محـاولات مضنية ، واوقات عصيبة ، واموال طائلة ،واتقان فى الصناعة بلغ حد الهوس ، بدأت اضخم عين تنظر من خلال نافذة واسـعة من الارض ، الى ملكوت الله فى السماء ، ورأى الانسان لاول مرة أجـراما تسـبح على مسـافات تبعد عنه ...ر...ر...ر...ر...ر...ر٣٦ ميل (اى ٣٦ الف مليون مليون مليون ميل) ، أو ما يعـادل ستة آلاف مليون سنة ضوئية !

وظل هذا المرصد الفلكي المقام على جبل بالومار بكاليفورنيا متربعا على العرش سنوات طويلة ، وكان محط انظار علماء الفلك والطبيعة الكونية ولا يزال ، الى ان جاء الاتحاد السوفييتي واعلن انه بصدد اقامة اكبر مرصد فلكي في العالم ، وطبيعي أن أهم ما في المرصد يتركز دائما في العين أو المرآة التي يمكن أن تجمع الموجات الضوئية الضعيفة القادمة من أعماق الكون

وبالفعل تمكن الاتحاد السوفييتي من صنع « عين » كونية يبلغ قطرها ستة أمتار ، ووزنها ٧٠ طنا (قارن ذلك بعين جبل بالومار السابقة ـ قطرها خمسة أمتار ، ووزنها ٥ر١٥ طنا)،واقيم هذا المرصد على جبل سيميرود روكي ، وهو واحد من سلسلة جبال القوقاز ، ويصل ارتفاع هذا المرصد فوق سطح البحر الى حوالى ٢٠٨٠ متر

ولقد انتهى الفنيون من صب هذه المرآة في عام ١٩٦٧ ،ووضعت في مكانها بالمرصد فياكتوبر عام ١٩٧٠ ، وثبتت على هيكل يبلغ ارتفاعه ٢٤ر٣٨ مترا (أى بارتفاع بناية مكونة من حوالى ثمانية طوابق) ووزنه ٨٥٠ طن ، وتبلغ قوة هذا التليسكوب درجات يصعب تصديقها ، اذ انه بالامكان ان يكشف وجود شمعة لو انها وضعت في الفضاء على ارتفاع من الارض يبلغ ٢٤ الف كيلو متر ، ويقال ان هذا التليسكوب يستطيع أن يرصد ما في الكون بكفاءة أكبر من كفاءة العين البشرية بمليون مرة !

ولقد أعلن العلماء حديثا عن عين فلكية أخرى مصنوعة من مادة الكوارتز الشديدة الصلابة ، وهي أكفا بكثير من العيون الكونية التي سبقتها من حيث الجودة والدقة ومدى اتساع الرؤية على مسرح السماوات ٠٠ فصورة فوتوغرافية واحدة يقدمها هذا التليسكوب للعلماء لقطاع محدد في السماء تزيد في مضمونها ٤٠ مرة عن مضمون أية صورة أخرى لأكبر التليسكوبات الضوئية ٠

صحيح أن هذه الاداة الجديده أصغر من تليسكوب جبل بالومار بامريكا ، وجبل سيميريد روكي بالاتحاد السوفييتي ، لكنها أكفا منهما في الكشف عن بعض الغموض الذي لايزال يجابه العلماء في هذا الكون الغريب ٠

ورغم أن المئات منهذه العيون الارضيه الهائلة تتسلط ليل نهار على السماوات ، وتتقبل أنباءها المثيرة ٠٠ بالضوء تارة ، وبالموجة تارة أخرى ، ورغم أنها تحمل طوفانا هائلا من المعلومات ، وتكومها امام العلماء ، لتصبح أكداسا فوق أكداس ٠٠ رغم كل هذا ، فلم نقرأ من مجلد الكون العظيم الا فقرةصغيرة لا تكاد تشفي غليلنا الى المعرفة الاصيلة بهذا الفضاء الضخم الذى يمتد أمام عيوننا بدون حدود ، ويتراقص في عقولنا وخيالنا ، فلا نعرف من أين بدأت البداية، ولا الى أين ستنتهي النهاية

وماذا اوضحت هذه العيون الجبارة من انباء حديثة ومثيرة ؟

ه ٠٠ هذا موضوع آخر ، قد تكون له دراسة قادمة ٠

عبد المحسن صالح

■ ويل لكلمن يتصور انني اصبحتشيخا عجوزا ضعيفالبنية٠٠ فانا املك لسانا اقوى من اساطيل الامبراطورية !

« جورج برناردشو »

■ ان هذا القرن الذى ندخل اليه ، يمكن ان يكون ، بل يجب ان يكون قرن الرجل العادى ٠

« هنرى والاس » ١٩٤٢
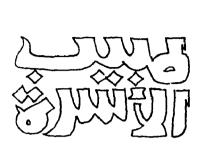
زيادة ضربات القلب وتقطعها

● بدات اشعر بظاهرة غيرمالوفةفى دقات قلبى ، تتمثل فى زيادة دقاته ·· فتملكنى الخوف··واعترانى الوهم ·· فهل اجد عندكم علاجا يهدىء خوفى ؟

قبل ان نبحث فى القلب والأسباب
تؤدى الى زيادة ضرباته او تقطعها
عدم انتظامها ، لابد ان نبحث عن
ب خارج القلب تؤدى الى ذلك وهى
ة ·· فمرض القلب يمكن تشخيصه
عراض وعلامات اخرى ·· كذلك عن
، تخطيط القلب واشعة القلب،وهى
معظم الحالات واضحة ·· ولكن الذى
المرضى هو كيف يكون القلب سليما
ن النبض غير طبيعى ··· وهناك
كبيرة ، تكون هذه الظاهرة موجودة
، دون مرض بالقلب ، وعلى رأسها
طرابات النفسية والخوف من مرض
ب ·· وهو مرض القلب الوهمى··
بر من أصعب الأمراض علاجا من
ة المريض ·· فقلما يقتنع المريض
، وتراه يحتار ويحير معه الأطباء··
ب كل يوم الى طبيب ·· ففى هذه
ة لابد من التركيز على حالة المريض
ية وعلاجها ·
تزداد ضربات القلب فى حالات فقر

الدم الشديد ، او فى الحميات وارتفاع درجة الحرارة ، او فى حالات الضعف الشديد ، وفى دور النقاهة من مرض مزمن ·· وفى حالة زيادة افراز الغدة الدرقية المعروف بالتسمم الدرقى ··وفى حالات الاجهاد الشديد ، والسمنة المفرطة وغير ذلك ··

وربما يكون مع هذه الزيادة فى

سل العمود الفقرى

● يشكو صديقى من الام شديدةفى ظهره ، يصاحبها ارتفاع فى درجة الحرارة ، وقد عرض نفسه على طبيباخصائى .فقال له : انت مصاب بسل العمود الفقرى ... فما هو هذا المرضوما اسبابه وعلاجه ؟

ـ ان سل العمود الفقرى يحدث نتيجة لالتهاب يصيب الفقرات في العمود الفقرى بواسطة ميكروب السل الذى يصله عن طريق الدم ، وتكون المنطقة الظهرية من العمود الفقرى اكثر اصابة ، ويصحب الاصابة اولا آلام ظهرية شديدة ، مع ارتفاع فى درجة الحرارة وعرق غزير .. وهذا المرض لا يستجيب لمركبات الاسبرين كما هو الحال فى الآلام الروماتيزمية .. بل تزداد حالة المريض سوءا وتتدهور يوما بعد يوم .. ويستمر الألم فى الظهر دون ظهور أى تغير فى اشعة الظهر،وذلك لعدة شهور .. واذا ظهرت تغيرات فى الأشعة فتكون فى تهتك وتغير المسافات بين الفقرات يصاحبها فى بعض الحالات خراج حول الفقرات ، واذا انهارت الفقرات وحدثت المضاعفاتاثر الضغط على النخاع الشوكى والأعصاب الطرفية ، نتج عن ذلك الشلل النصفى الأسفل وشلل الأعصاب المصابة وما يتبع ذلك بن آلام فىالمنطقة التى تحدها ، او ضعف فى العضلات التى تغذيها ..

وهذا المرض يصيب صغار السن والشباب مما يجعل له سيىء الاثر خصوصا لو حدثت مضاعفات ادت الى تأثير على حركة المريض .

والعلاج المبكر فى هذه الحالات واكتشاف المرض فى مراحله الأولى يؤثر على مآل المرض ، فاذا عولج بالأدوية الخاصة بالسل ، مع عدم حركة الجزء المصاب والتغذية الكافية ، لأدى ذلك الى نتيجة حسنة دون التأثر الشديد بالمرض ..على أن يكون العلاجلفترة طويلة ربما تمتد لسنةاو سنتين حسبحالة كلمريض.

وفى الحالات الشديدة التى تؤدى الىضغط على النخاعالشوكى او الأعصاب ربما استعانالطبيب المعالجبجراحالأعصاب لرفع هذا الضغط خوفا من حدوث الشلل ، على ان يكون ذلك فى الوقت المناسب اما اذا تأخر هذا ، فربما ادى المرض الىشلل دائم لا يرجى له علاج .

الضربات عدم انتظام ايضا ، والمعروف بتقطع الضربات ..

وزيادة الغازات فى المعدة والقولون، تضغط على القلب من الخارج وتسبب زيادة فى ضربات القلب او تقطعها ،لذا وجب الانتباه الى ذلك والابتعاد عن الأطعمة التى تزيد من غازات الأمعاء كالبصل والثوم والفجل والمياه الغازية وغيرها .

ومن الأسباب التى تزيد من ضربات القلب او تقطعها الاكثار من شرب المنبهات كالقهوة والشاى والدخان والمشروبات الروحية .. والأدوية التى تزيد من ضربات القلب كمركبات الافدرين والادرنالين التى تستعمل فى مرض الربو الشعبى ، ومركبات التيروكسين التى يستعملها البعضفىانقاص الوزنوغيرذلك

على انه لابد ان نذكر الأمراض المتعددة التى تصيب القلب وتسببزيادة فى ضرباته مثل هبوط القلب ، وارتفاع ضغط الدم ، وامراض شرايين القلب ، وامراض صمامات القلب ، وامراض عضلات القلب كماهو الحال فى روماتيزم القلب او مرض الدفتيريا وغيرها من الامراض التى تضعف من عضلات القلب عند الأطفال .

نزهة العقل الذكى

حرب الملكات

فى الشطرنـج ، ان لم تكن تعرف ، تتحرك الملكة اى عدد من المربعات افقيا او راسيا او قطريا (فى الاتجاه المائل) • والملكـة يمكنها ان تاسر ملكة اخرى ، اذا ما صادفتها فوق مربع يقـع فى طريق الملكة الاولى •

هل تستطيع ان ترتب لمـانى ملكات على رقعة الشطرنج، بحيث لا يمكن ان تاسر اى ملكة منها ، ملكة اخرى ؟
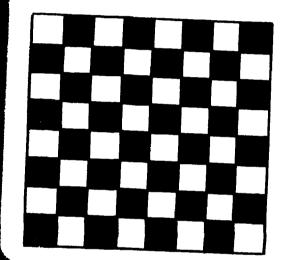
● العاب سريعة ●

بالقلم الرصاص

حاول ان تخترق جميع اجزاء هذا الشكل التى بين النقط ، بخط واحد متصل ، وبحيث لا تمر على الخـط الذى ترسمه مرة ثانية ، او تقطعه •

● مسابقة ●

اثنتان فى واحدة
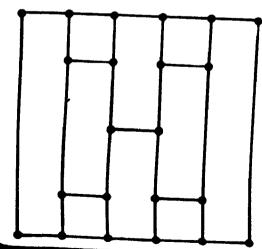
اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، أمكنك أن تتعرف على الشخصيتين فى (٨) أفقيا، و (٨) رأسيا.

فى (٨) أفقى ، ستجد اسم صحابى معروف .

فى (٨) رأسى ، ستجد اسم علم من أعلام الموسيقى العربية .
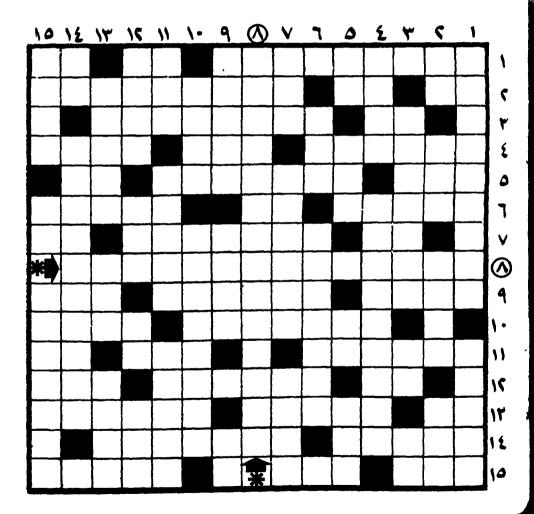
الكلمات الافقية :

(١) فى الذرة – غطاء الطبق – حرف استفهام.
(٢) حرف جر – حرفان متشابهان – عالم صريات عربى من القرن الحادى عشر الميلادى .
(٣) للتفسير – مؤلف رواية « دون كيشوت » .
(٤) نوع من الاشجار – حاجة – أوشكت .
(٥) من الثمار – ينافقها – حرف استفهام .
(٦) من معالم الطبيعة الجغرافية حول الانهار – نصف كلمة (قيود) – سرونا .
(٧) نصف كلمة (نلوم) – أحد سيارات المجموعة الشمسية – بحر .
(٨) صحابى معروف .
(٩) بارى – ترشدانه – بغير .
(١٠) تستهل بها التلاوة – فايض .
(١١) فى الوجوه – أعترف – للنداء .
(١٢) حرفان متشابهان – طيور جارحة – استقظ .
(١٣) عبودية – شهر ميلادى – نوع من الاشجار.
(١٤) وحدة قياس طولية – من أشهر أمراء النمسا وساسة اوروبا فى القرن الثامن عشر .
(١٥) خبر – اقترب – قطيعة .

الكلمات الرأسية :

(١) رائد الكوميديا الاغريقية ومؤلف مسرحية « الضفادع » – دولة أسيوية .
(٢) جوهر – فى الوجه – شجاع – من أعضاء الجسم .
(٣) نوع من الطائرات الحربية – من علامات الموسيقى – حرف استفهام .
(٤) تبغى – من المملكة الحيوانية .
(٥) حرفان متشابهان – حرف استفهام – للتمنى – قرأ .
(٦) عون – تفاؤل .
(٧) آلة موسيقية – رائد الهندسة التقليدية – عاصمة بيرو .
(٨) من أعلام الموسيقى العربية .
(٩) تشردن كراهية – مسقط مياه – اكتمل .
(١٠) أهتم – اوبرا للموسيقار العالمى فاجنر .
(١١) عملة نقدية اوروبية – أبسطه – حجة .
(١٢) نمزق – ايراد – احسان – جدول فلكى يضبط حركة الكواكب .
(١٣) يعفو – يحرمه الدين – اتيه .
(١٤) غزير – مؤلف قصة « روبنسن كروزو » .
(١٥) وفاة – من الاقارب – العبيد .

● بالعقل فقط ●

استاذ نبيه يسأل :

من يتزوج حكمت جبران ؟

السيد جبران له من الابناء ولدان وبنتان ، الا انه قد اختار لهم أسماء يصعب أن تعرف اذا ما كانت أسماء اناث أم ذكور ، وهى : آمال ، وحكمت ، واحسان ، وبدر .

السيد وديع ، أحد جيران السيد جبران ، كان له هو الآخر ولدان وبنتان .. وللمصادفة الغريبة ، كان قد اختار لهم نفس الاسماء .

مع مرور الوقت ، توطدت الصداقة بين العائلتين ، فأصبح كل فرد من أبناء السيد جبران ، مخطوبا لفرد من أبناء السيد وديع ، ومع هذا لم يحدث أن كان لاى خطيب ، نفس اسم خطيبته .

وقد بلغنى أن الآنسة احسان جبران مخطوبة للابن الذى يحمل نفس اسم خطيبة الابن بدر وديع . وكذلك علمت أن الآنسة حكمت وديع أكبر سنا من خطيبها .

السؤال الذى يحيرنى الآن : من الذى سيتزوج حكمت جبران ؟ .

● النجمة والسهم ●

أديب عربي راحل

ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة • انقل بعد ذلك الحروف التى فى مربعات يوجد بها السهم ، ورتب هذه الحروف بحيث تصنع الاسم الاول لكاتب وأديب معروف راحل • ثم انقل الحروف التى فى المربعات الموجودة بها النجوم ، ورتبها بحيث تصنع لقب الاديب المذكور •

الكلمات الافقية :

(١) أمريكى اخترع المصباح الكهربائى •
(٢) عاصمة دولة فى جنوب أوروبا •
(٣) يشتغلون بالمصنع •
(٤) برّاق •
(٥) زهور ذات رائحة جميلة •
(٦) وحدة قياس الزمن وفى بعض الحيوانات ـ للنداء •

الكلمات الرأسية :

(١) قطر عربى آسيوى •
(٢) استحكامات عسكرية للحماية من قذائف العدو ـ نصف كلمة (هتلر) •
(٣) يهتمون •
(٤) وقود من مستخرجات البترول •
(٥) نصف كلمة (شجون) ـ مسافة أو بعد •
(٦) نفزع •
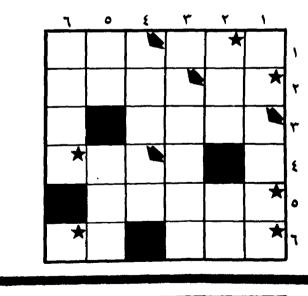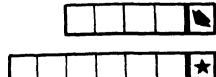
● اللعب بالحروف ●

عش النحل

الكلمات ذات الستة الحروف التى نعطى معانيها فيما يلى ، توضع حروفها فى الخلايا المحيطة بالارقام المناظرة ، فى اتجاه حركة عقارب الساعة (وفقا لما يشير اليه السهم) . والحرف الاول من الكلمة الاولى ، يوضع فى الخلية المشار اليها بالزهرة .

(١) من المضادات الحيوية .
(٢) مدينة مقدسة بفلسطين .
(٣) توجد فى النبات المتسلق .
(٤) نوع من الاشجار يقترن بعمل من أعمال المنفلوطى .
(٥) رقصة اوروبية قديمة .
(٦) وحدة قياس كهرباء .
(٧) الحين او الوقت المناسب .
(٨) الدافع والمشجع للنشاط .
(٩) قضية العرب الاولى .
(١٠) نتعاون على الحياة .
(١١) نوع من الزواحف يشبه السحالى .
(١٢) حدود القطر الملامسة للبحر .
(١٣) يمتدحنا .
(١٤) وحدة موسيقية تتضمن سلما موسيقيا كاملا .
(١٥) حاضرة متوفرة .
(١٦) بديهيات منطقية نقبلها بلا برهان .
(١٧) ولاية امريكية بها مدينة لاس فيجاس الشهيرة .
(١٨) من مستلزمات العيد الاضحى .
(١٩) خبرته ومعرفته بالعمل .
(٢٠) تجىء اليهم .
(٢١) دولة افريقية عاصمتها بورتونوفو .
(٢٢) الماجن .
(٢٣) عالم عربى عرف بلقب « جالينوس العرب » .
(٢٤) يحتقره .
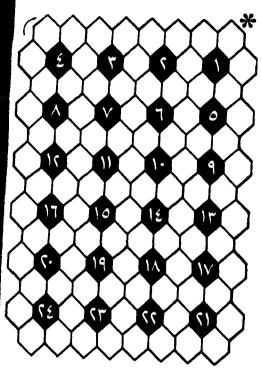
١٢ سـؤالاً

■ الجزر في العالم ٠٠ غالبيتها تحولت الى جزر سياحية عالمية ٠٠ أما جزرنا العربية فغالبيتها العظمى تكاد تعيش نسيا منسيا ، حتى اسماؤها نكـاد نجهلها ، ولا نعرف منها غـير تلـك التي تقع مقابل شواطيء بلدنا ٠٠ وهذه المسابقة عن الجزر عامة . والمطلوب منك الاجابة على عشرة اسئلة منها لتفوز بواحدة من الجوائز المالية ومجموعها ١٠٠ دينار ٠

١ـ مصيرة ٠٠ اسم جزيرة عمانية استراتيجية الموقع، طولها ٤٠ ميلا وعرضها ١٢ ميلا ٠٠ البحر من حولها هائج مائج تكثر به التيارات والصخور الخطرة ٠٠ لذلك أصبحت قاعدة جوية تم الجلاء عنها اخيرا . فاين تقع هذه الجزيرة الهامة :

الخليج العربي ــ بحر العرب ــ البحر الاحمر ٠

٢ ـ استراليا هي الجزيرة القارة ، والى جنوب هذه الجزيرة الرئيسية الكبيرة توجد جزيرة استرالية صغيرة مساحتها ٢٦ ألف ميل مربع يعيش فوقها نحو نصف مليون نسمة ٠٠ وهذه الجزيرة هي :

تاسمانيا ــ بورنيو ــ كارولين ٠

٣ ـ في شهر يونيو من عام ١٩٧٦ اعلن قيام جمهورية فتية تتكون أراضيها من مجموعة ٩٢ جزيرة صغيرة ، مجموع مساحاتها ٩١ ميلا مربعا ، يعيش فوقها اكثر من ٦٠ الف نسمة ٠٠ انتاجها الرئيسي هو جوز الهند الى جانب اشجار القرفة والفانيليا وغيرها ٠٠ وعاصمتها اسمها فيكتوريا ، فما اسم هذه الجمهورية الجديدة الواقعة في المحيط الهندي ؟

موريشيوس ــ سيشيل ــ ريوثيون ٠

٤ـ في مدخل مضيق هرمز جنوب الخليج العربي ، تقع جزيرة رفيعة طويلة ٠٠ حكمها العرب فترة من الزمن واطلقوا عليها اسم الجزيرة الطويلة ٠٠ وقد تبدل اسمها اليوم واصبحت تعرف باسم :
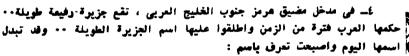
جزيرة قشم ــ جزيرة خراسان ــ جزيرة قمران ٠

٥ ـ في البحر المتوسط العديد من الجزر منها : البليار ، وكورسيكا ، وكريت وسردينيا ، ومالطة ٠٠ فهل تعرف الجزيرة المستقلة بينها ، والى اى من هذه الدول تنتمي كل منها ؟

تركيا ــ اليونان ــ اسبانيا ــ ايطاليا ــ فرنسا ٠

٦ ـ مقابل ميناء اللاذقية السوري توجد جزيرة اشتهرت منذ التاريخ القديم، ما اسم هذه الجزيرة ؟

كريت ــ قبرص ــ ارواد ٠

٧ـ بانضمام فلسطين الى جامعة الدول العربية ارتفع عدد اعضاء الجامعة الى ٢٢ عضوا ٠٠ وهناك عضو عربي واحد اراضيه عبارة عن مجموعـة جزر صغيرة ، فما اسم هذه الدولة العربية ؟

عن الجزر وجوائز ١٠٠ دينار

٨ ـ فى جنوب خليج قابس بتونس تقع جزيرة تونسية ساحرة هى جزيرة جربة، ولكن هناك مجموعة جزر ساحلية تونسية اخرى تقع شرق مدينة صفاقس التونسية ، وهذه الجزر اسمها :

جزر الرأس الاخضر ـ جزر قرقنة ـ جزر المرجان ٠

٩ ـ اى الجزر يمكن اعتبارها اكبر جزيرة فى العالم بعد استراليا ٠

سيريلنكا ـ جرينلند ـ مدغشقر ٠

١٠ ـ فى مواجهة شاطىء مدينة الكويت توجد جزيرة عامرة اشتهرت باثارها الاغريقية القديمة . فقد اقام فيها جنود الاسكندر الاكبر بعد عودتهم من غزوتهم للمشرق ٠٠ وهذه الجزيرة هى :

فيلكا ـ بوبيان ـ وربة ٠

١١ ـ « فرموزا » اسم كان يطلق على جزيرة تقع على مسافة ١١٠ اميال شرقى الصين ٠٠ احتلتها اليابان بعد الحرب الصينية اليابانية عام ١٨٩٥ واعيدت كمقاطعة الى الصين عام ١٩٤٥ ، وبعد ان سيطر الشيوعيون على الصين لجا شيانج كاى تشيك رئيس حكومة الصين فى ذلك الوقت الى فرموزا عام ١٩٤٩ . واطلق على فرموزا وعلى ٧٨ جزيرة محيطة بها اسما جديدا ٠٠
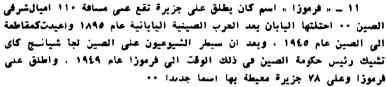
فما هو هذا الاسم ؟

١٢ ـ اربع جزر تكون دولة واحدة تقع فى مدخل مضيق موزمبيق الشمالى ٠٠ غالبية سكانها من اصول عربية ٠٠ واسم هذه الجمهورية :

جمهورية جزر مالديف ـ جمهورية جزر القمر ـ جمهورية جزر الرأس الاخضر ٠

شروط المسابقة

١ ـ ان يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة ٠

٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠

٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى ٠

مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢١٨ » ٠

٤ ـ آخر موعد لوصول الاجابة الينا فى الكويت هو اليوم الاول من شهر مارس (آذار) ١٩٧٧ ٠

٥ ـ كل خطاب يفقد شرطا من هذه الشروط فرصة لان يهمل ولا يدخل عملية الاقتراع على الجوائز ٠

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار كويتى على الوجه الاتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ٠ **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا ٠ **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير ٠

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ٠

نتيجة مسابقة العدد ٢١٥
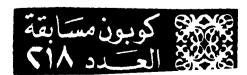
الفهد الصياد أسرع الحيوانات

■ قامت مسابقة العدد ٢١٥ على اسئلة علمية عن الحيوان ومملكته ، وغالبا ما تحتاج الأسئلة العلمية الى اعمال فكر وبحث فى الكتب العلمية المعتمدة للوصول الى الاجابة الصحيحة وعدم الاعتماد على الذاكرة والتخمين ، لذلك كثرت اخطاء المشتركين فى هذه المسابقة وتناقصت بالتالى رسائل المشتركين فى المسابقة ٠

ونورد فيما يلى نموذجا للاجابة الصحيحة ، ثم اسماء من فازوا بالمسابقة:

١ ـ اسرع الحيوانات الأرضية هو الفهد الصياد ٠

٢ ـ انثى العقرب تلد ٠

٣ ـ يستخرج العنبر من العيتان ٠

٤ ـ كان العرب يطلقون على جزر الكنارى اسم جزر الخالدات ٠

٥ ـ يستطيع الجمل ان يشرب ٦٠ لترا من الماء دفعة واحدة ٠

٦ ـ الجزء الذى يعشق الناس اكله من الضفادع هو الأرجل ٠

٧ ـ تستعمل البقرة ذيلها فى طرد الذباب والحشرات المؤذية عنها ٠

٨ ـ تقع مسئولية بناء بيت العنكبوت على الأنثى فقط ٠

٩ ـ عدد بيض انثى التمساح فى كل مرة يتراوح بين ٣٠ ـ ٦٠ بيضة ٠

١٠ ـ تستخدم الأسماك زعانفها بديلا عن الأيدى والأقدام لحفظ توازنها فى الماء ٠

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : غازى فهد الأحمد /الكويت

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها :كاميليا الشوا /حلب/سوريا

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : محمدجعفر سلمان المطوع /المنامة البحرين

٨جوائز مالية قيمتها ٤٠ ديناراً كل منهاخمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ سليمان ناصر عودة /القاهرة /مصر

٢ ـ حيدر محمد المقرى /صنعاء /اليمن

٣ ـ رائد محمد فيصل حسن /جدة /السعودية

٤ زياد احمد محمد ابو شنب /الزرقاء /الاردن

٥ ـ جمال صالح محسن كرمدى /المنصورة /اليمن الديمقراطى

٦ ـ عبد الرحمن بشارة سبهان /بغداد /العراق

٧ ـ ماجد احمد عبد الله /دبى /الامارات

٨ ـ صالح البطاح الغزى /برايتون /انجلترا

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية
فصلية علمية تعنى بشئون الخليج والجزيرة العربية
السياسية - الاجتماعية - الاقتصادية - الثقافية - العلمية
رئيس التحرير : الدكتور محمد الرميحي
صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
وصلت أعداد السنة الاولى الى أيدي نحو ٥٠٫٠٠٠ قارىء
ستهل المجلة عامها الثاني بصدور العدد الخامس في مطلع يناير ١٩٧٦
يحتوى كل عدد على حوالي ٣٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :
● مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة باقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
● عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
● ابواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات ببليوجرافيا .
● ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية .
ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتيا او ما يعادلها في الخارج
الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا امريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .
الشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ٤ دنانير كويتية في الكويت ، ٢٥ دولارا أمريكيا في الخارج .
العنوان : جامعة الكويت — الشويخ ص.ب / ٢٣٥٥٨ ، هاتف / ٨٢١٧٢٠ — ٨٢١٤٧٧
جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

شاحنات كرايزلر تفهم لسانكم كلّ الفهم

لايوجد من هو أدرى بسوقكم منّا . ولا مَن هو أقدر على سدّ احتياجاتكم بغاية الإتقان والدقّة .. وذلك بفضل الخبرة الشاملة التي اكتسبناها في صناعة الشاحنات على الصعيد العالمي.

الشاحنات التي نصنعها في مختلف أنحاء العالم .. في الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وإسبانيا ، واليابان . يسلّم العالم كلّه برقيّ تصميمها وإتقان هندستها . شاحنات مصنوعة من أجود المواد ومختبَرة في أقسى الأحوال التي يمكن مجابهتها في أي بقعة من بقاع العالم . من سيارات التوزيع الخفيفة إلى الشاحنات الجبارة .. ومن الباصات الصغيرة إلى سيارات السفر الفخمة التي تطوي الأميال على الطرق الحديثة.

اختاروا من مجموعتنا الهائلة ما يناسب احتياجاتكم بشكل مثالي.

للهدايا ... المجوهرات التي تكتب

هذه هدايا تعتزون بها مدى الحياة ،
فهي معادن ثمينة طوّعت بدقة ومهارة لتصبح أدق
أدوات الكتابة في العالم .
فكل أسطوانة وكل غطاء قد نحته ونقشه بالغ
الجهد والإتقان حرفيون باريسيون ، هو في الواقع تحفة راقية .
ويسرّنا أن نقدّم لكم تشكيلة « بلاس فندوم » من
أطقم باركر لأقلام الحبر والحبر الجاف في
ستة نقوش متميّزة مغطاة بقشرة سمكها
١٠ ميكرون من الذهب من عيار ١٦ قيراطاً أو
بأربعة نقوش بقشرة من الفضة سمكها
٢٠ ميكرون . كل منها واضح الأناقة ...
وكل منها يبعث على الطمأنينة لأنه باركر .

إن الطقم الذهبي الظاهر أعلاه يعرف باسم
بيرليه . أما الطقم الفضي فاسمه ايكوسيه وإذا
رغبتم أيضاً فإن أقلام حبر برؤوس لينة وأقلام
الرصاص المزوّدة بخرطوشة متوفرة بنقوش مسحة
وواضح أن طقم من تشكيلة « بلاس فندوم » يشكل
هدية رائعة والواقع إن إهداء مثل هذا الطقم يتطلب
ذوقاً رفيعاً نادراً .
فإذا حدث وأنت استسلمت للإغراء فاشتريت
لنفسك طقماً فإنك
ستكون في
صحبة ممتازة
للغاية .

PARKER
أكثر الأقلام رواجاً في العالم

الفطنون من جميع أنحاء العالم يوفرون معنا

ان حساب ودائع في لومبارد نورث سنترال هو استثمار حكيم للمال. تدفع فوائد جذابة دون خصم ضريبة المملكة المتحدة في المصدر، ورأسمالك في مأمن تام.. لأن لومبارد نورث سنترال هو من البنوك التابعة لمجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر التي هي من اكبر الهيئات المصرفية في العالم.

١١½٪ في السنة حساب ودائع عادي

لا يوجد حد أدنى للوديعة. مهلة ٦ أشهر قبل الدفع. مائة جنيه استرليني لدى الطلب كل سنة تقويمية. الفائدة تدفع أو تقيد لحساب المودع كل نصف سنة.

١٢٪ في السنة وديعة ذات دخل شهري

الحد الأدنى الف جنيه. ١٢٪ لمدة محددة، سنة واحدة. ١١½٪ في السنة لسنتين. فوائد جذابة أيضاً لـ ٣ و٤ و٥ سنوات. الفائدة تدفع شهرياً.

١٢½٪ في السنة حساب وديعة زمنية

الحد الأدنى الف جنيه. ١٢½٪ في السنة لمدة سنة واحدة. ١٢٪ في السنة لسنتين. فوائد جذابة ايضاً لـ ٣ و٤ و٥ سنوات. الفائدة تدفع كل ½ سنة.

للحصول على كامل المعلومات، يرجى ارسال الكوبون ادناه بالبريد.

To The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England

الاسم: ....

العنوان: ....

G182

Lombard North Central

Bankers

احد المصارف التابعة لمجموعة ناشونال ويستمنستر التي يزيد رأس مالها واحتياطيها عن ٨٥٩ مليون جنيه استرليني.

Registered Office Lombard House Curzon St London W1A 1EU, England

وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ
الوقت
بدقة
WEST IND WATCH C°
W
EVERBRIGHT
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
UNIVERSE
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص.ب ٣٣٤ - تلفون ٤٣٣٥٨٥

من المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول يناير ١٩٧٧

٨٨

يوليوس قيصر

تأليف : وليم شكسبير
ترجمة : د. محمد عواد العسيلي
مراجعة : د. محمد اسماعيل الموافي

عزيزي القارئ

● اعتدنا طوال السنوات التي مضت ان نخاطب في هـذا المكان قراء « العربي » قبل كتابها لكننا سوف نستأذن هذه المرة في ان نعكس الاية ، فنخاطب ـ للحظات ـ الذين يكتبون « للعربي » قبل الذين يقرأونها ٠

ذلك ان بريد « العربي » متخم دائما بسيل لاينقطع من المدد ، وهو ما يسعدنا ويحيرنا في الوقت ذاته ٠ نسعد باستمرار تدفق البريد لانه يعني ببساطة شديدة ان الجسر بيننا وبين المواطن العربي قائم ويتدعم يوما بعد يوم ٠ ويحيرنا لاننا لا نجد الحيز الكافي لنشر هذا الذي نتلقاه ، وفيه جيد كثير ، يستحق ان نفسح له المجال ، لكن ظروفا معجزة تحول بيننا وبين تحقيق هذا الذي نتمناه ٠

مثلا : المقالات المطولة والمسهبة التي هي في حقيقتها ابحاث او فصول في كتب،هذه المقالات نترددفي نشرها كما هي لان ذلك يخل بالتوازن المطلوب في المجلة ٠ واذا اختصرت فقد يخل ذلك بالبناء الاساسي للموضوع ٠ بينما الحجمالامثل للمقال هو ما بين ٢٠٠٠و٢٥٠٠ كلمة ، اي حوالي ٥ صفحات فولسكاب في حالة الطباعة على الالة الكاتبة ٠

مثلا : الموضوعات الهامة التي يعالجها كتاب لا يقدمون انفسهم لنا وللقراء،بينما نحن لا نعرف عن تخصصاتهم شيئا،بل حتى لا نعرف عناوينهم ٠ الامر الذي يجعلنا نتردد ـ ايضا ـ الف مرة ، ونحجم عن نشر مثل هذهالموضوعات في الغالب ، درءا لمخاطر ومحاذير كثيرة٠

مثلا : الرسائل التي نتلقاها بغير توقيع ، او ممهورة بالاحرف الاولى للاسم ، تلك ايضا نحجم عن نشرها ، لان الوضع الطبيعي ان يسجل كل صاحب رسالة اسمه وعنوانه ، ومن حقه ان يطلب عدم ذكر اسمه ، ونحن ملزمون مهنيا بالاستجابة لرغبته ، لكن من حقنا ايضا ان نعرف من هو ٠

ومعذرة اذا كنا قد اقتطعنا هذه المساحة لكي نخاطب الذين يكتبون الى « العربي » ٠ وحسب قرائها ان لهم كل صفحات المجلة منذ مولدها قبل ثمانية عشر عاما ٠

لكننا نخشى ان يكون هذا الاعتذار في غير موضعه ، لانالكتاب الحقيقيين ـ وهم الذين نخاطبهم ـ هم في الاصل والاساس قراء ايضا!

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسلاميات :

سياسة واقتصاد :

لغة وآداب :

استطلاعات :

طب وعلوم :

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 220 March 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر

صورة الغلاف

بعد المحنة ..

● تعمير لبنان .. متى يبدأ وكيف ؟ ان البلد الجريح يبحث عن الدواء ، ان عملية اعادة البناء لا بد أن تبدأ على الفور .. انه بناء اجتماعي وسياسي واقتصادي .. انه بناء دولة من جديد (اقرأ الاستطلاع ص ٣٦) .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢ر٥ دينار . المغرب ٢ر٥ درهم . اليمن ٢ر٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

العالم كله

الوحدة

بقلم : أحمد بهاء الدين

● عندما تفضل الاخوة المسئولون عن تنظيم الموسم الدبلوماسي السنوى فى دولة الامارات بدعوتى لالقاء محاضرة افتتاح الموسم.. اختاروا لى موضوعا ، غاية فى الصعوبة وغاية فى السهولة .. وهو موضوع الوحدة العربية ..

واعترف باننى لم انتبه الى هذا المازق ، من اول وهلة ، الوحدة العربية، لقد طال شوقى الى الاستماع الى هذه الكلمة ، لقد شعرت وشعر غيرى ،ان هذه الدعوة التى نشأنا عليها ، قد نسيها الناس ، وطمستها كثبان الايام .

المازق من ناحية فى ان عنوان الوحدة العربية فى حد ذاته واسع جدا . متشعب جدا . لا يمكن الاحاطة به فى محاضرة ، ولا فى كتاب ، فالغوض فى الحديث ، تحت هذا العنوان الواسع ، كالقبول بالسباحة فى بحر لا قرار له ولا ساحل يحده ، ولا مرفا نرسو فيه .

والمازق من ناحية اخرى ، هذا الشعور الذى تحدثت عنه . الم تخمدالجذوة
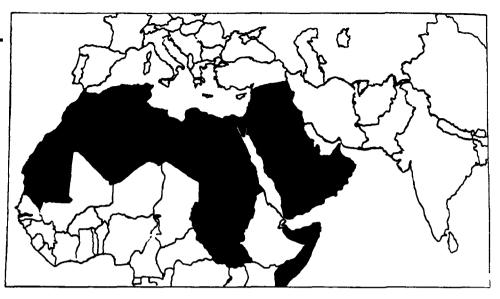
تحت وطاة الاحداث ؟ ألم تتبدد اعظم فكرة فى اخطر سكرة ؟ ألم يمل الناس من الحديث عن شىء لا يتحقق ؟ الم يتعب سكان السفينة التائهة من طول انتظار الوصول الي مرفا ، اى مرفا ؟

ماهو الجديد الذى يمكن ان يقال ، لا يعرفه الناس ، عن الوحدةالعربية؟

ماهى الحجج الجديدة التى يمكن ان تساعد للاقناع والناس مقتنعة كل الاقتناع ، وقد ينقصها اى شىء الا الاقتناع بهذه القضية بالذات ؟ ...

لا اظن ان المواطن العربى،فى اىمكان،،فى حاجة الىمعرفةاو الىاقتناع وفهم ، بل ان الشىء الوحيد الذى لا يفهمه المواطن العربى فى قضيةالوحدة العربية ، هو : لماذا لم تتحقق هذه الوحدة بعد ؟ .. والسؤال الوحيد لديه هو : ماذا ننتظر ؟ ما الذى يجعل الاقليمية قادرة على البقاء على قيدالحياة، سواء بين الاقطار العربية المختلفة او احيانا داخل القطر العربى الواحد . من الذى يعرقل الاتحاد والاندماج هنا فى دولة الاتحاد ، نحن او غيرنا ؟ من الذى يجعل الاخوة يقتتلون فى لبنان ، نحن ام غيرنا ؟ من الذى يوجدخلافات على الحدود بين اقطار عربية .. احيانا على امتار قليلة..نحن ام غيرنا؟اين هذا مما كان يملأ قلوبنا من ايمان قديم ، بأنه يكفى ان ينسحب الاستعمار ،

ويرفع يده الغليظة عنا ، حتى تتحقق الوحدة ، متوالية متعاقبة ، جارفة فى سبيلها اى عقبة حقيقية او مصطنعة ؟

تلك فى تقديرى ، هي الاسئلة التى قد تطوف بعقل المواطن العربى او تؤرق ضميره ، حول قضية الوحدة العربية •

الوحدة العربيةتجاوزت مرحلة التعريف••وتجاوزت مرحلة التبشير•••

من اجل هذا ، كان لابد ان احاول ان اختار بندا واحدا من البنود التى تندرج تحت عنوان «الوحدة العربية» او ان أحدد عنوان الحديثبعض الشىء، وقد خطر لى أن يكون « الوحدة العربية ازاء العالم » •

خطر لى هذا العنوان «الوحدة العربية ازاء العالم» ، لان لدى قضية اريد ان اقولها تحت هذا العنوان • قضية لعلنا نعرفها ولكننا احيانا ننساها ، قضية لعلها ترد على بعض هذه التساؤلات التى ذكرت انها تطوف بعقل المواطن العربى وتزعج ضميره •••

أريد أن اقول فى بساطة وصراحة وايجاز : ان العالم كله ضد الوحدة العربية !!

نعم !••العالم كله ضد الوحدة العربية • اقول هذه دون ادنى رغبةفى الاثارة او المبالغة او اعطاء انفسنا أهمية اكثرمما يجب • وابادر ايضا فأسجل اننى لست من الذين يحبون أن يروا الاشباح والمؤامرات وراء كل فشل يصيب قدمهم • ولست من الذين يستسهلونالحياة بتعليقالمسئولية على اقرب شماعة• كالاستعمار او خلافه • كلا •

انما اقول هذا بكل مسئولية وعقلانية • واقوله وانا مؤمن فى نفس الوقت أن كون العالم كله ضد الوحدة العربية ليس معناه انها مطلب مستحيل• ولذلك ربما كانت الصيغة الاكثر توازنا واكتمالا ان اقول : العالم كله ضد الوحدة العربية • ولكن هذا لا يمنع العرب ـ لو ارادوا ـ من تحقيق وحدتهم•

واذا كنت اركز ، على نقطة واحدة ، وهى معارضة العالم بوجه عـام لقضية الوحدة العربية ، فانما احاول ان اوضح بـذلك ان الوحـدة العربية أخطر واهم بكثير جدا مما يظن البعض • فهى ليست كلمات جميلة ، ولا هدفا سهلا ، ولا تتحقق باتفاقات هزيلة ، ولا بقبلات بين رؤساء الدول ، وانما هى تحتاج الى نضال ، وصبر ، وعمل ، ودهاء ،وعيون مفتوحة على كل مناورة خارجية ، وكل شرك منصوب •

●●

ولكن ، لماذا ؟ •••

لماذا يكون العالم كله ضد تحقيق أمنية عزيزة على امة من الامم ، كالامة العربية ؟ •••

لا يمكن طبعا ، فى هذا الحديث ، الا أن نقف عند ما يمكن أن نسميه الاسباب الرئيسية ، اذ لا يتسع المجال لان ندخل فى كل التفاصيل •••

واول نقطة تستوقفنا هنا ، هى أن السياسة الدولية بوجه عام ، وعلى مر العصور ، كانت تكره قيام الكيانات الضخمة الكبيرة ، فما قام منها انما قام اما بحد السيف ، واما لتوفر ظروف مساعدة كثيرة •

ينسبوناليوم الى كيسنجر أنهصاحب سياسةاقامة الاستقرارفى العالمعلى

أساس من «التوازن الدولي» • ويقول اخرون أن كيسنجر لم يكن في هذا الا تلميذا للسياسي النمساوي « ميترنيخ » الذي برز في الامبراطورية النمسوية عقب حروب نابليون، والذي حقق اطول مدة من السلام في أوروبا التي كانت تتحارب باستمرار ، عن طريق « التوازن الدولي » •

ولكن قبل كيسنجر ، وقبل ميترنخ، كان معروفا ان انجلترا ، كانت أحد أسس سياستها الخارجية دائما ، هي إقامة نوع من التوازن الدولي خصوصا في اوروبا القريبة منها • كانت سياسة انجلترا وما تزال أن لا تقوم في اوروبا دولة مسيطرة على بقية القارة ، بأى نوع من السيطرة ، لان في نمو مثل هذه القوة ما يهدد مصالحها في اهم منطقة بالنسبة لها • نابليون لم يطلب معاداة انجلترا ، هتلر لم يطلب معاداة انجلترا ، ولكن انجلترا كانت دائما اذا بدت قوة صاعدة جمعت الاخرين في تحالف ، لحصر هذه القوة ، واعادتها الى حجمها • ولاتذهب انجلترا الى الحرب وحدها أبدا، وحين نقرأ تاريخ أى حرب، ونجد طرفا من المحاربين يسمى «الحلفاء» ، فلا بد أن نجد فيه انجلترا • تلك كانت فلسفتها التى حكمت بها العالم اكثر مما حكمت باسطولها • حين كانت الامبراطورية العثمانية توشك أن تهزم روسيا القيصرية ،كما في حروب القرم وغيرها ، كانت تصنع تحالفا من سائر قوى اوروبا يقف مع روسيا ضد الامبراطورية العثمانية • وحين اوشك محمد على الكبير الزاحف من مصر الى الشام أن يهدد الامبراطورية العثمانية ، جمعت تحالفا آخر وفيه روسيا ضد محمد على لابقاء التوازن بينه وبين الخليفة العثماني • وفي وجه نابليون جمعت روسيا والنمسا والمانيا • وفي وجه غليوم الثاني سنة ١٩١٤ ثم هتلر سنة ١٩٣٩ جمعت روسيا وفرنسا وامريكا وسائر اوروبا ، فهي لم تحارب مثلا سنة ١٩٣٩ لان هتلر هاجم بولندا • بل لانه بعد أن ابتلع النمسا ثم تشيكوسلوفاكيا ثم بولندا صار تركه خطرا يهدد بتحول المانيا الى تلك القوة الكبرى التى تهدد التوازن المحسوب •

وعادة ، القوى الكبرى في اى عصر ، المستفيدة من الوضع الدولي القائم ، هى التى يهمها ابقاء التوازن كما هو •• وهى التى تعارض قيام قوى كبرى جديدة الى جانبها ••

والقوى الكبرى تعبير لن استخدمه هنا بالمعنى العسكرى فحسب • ولكن بالمعنى الاقتصادى ايضا ، الذى هو الهدف المهم فى الحقيقة ،ومحور الصراعات الدولية عبر معظم العصور •

وما هى سياسة المعاهدات والتحالفات منذ قديم الازل ؟ انها اما معاهدة بين طرفين قويين ، تمنع الصراع بينهما ، حتى لا يستفيد من تناحرهما طرف ثالث ، او تحالف بين دولتين او اكثر لاحتواء او اتقاء خطر قوة اخرى تشكل تهديدا مشتركا بالنسبة لاطراف التحالف •

واذا كنت ضربت مثلا سريعا موجزا بانجلترا ، فلأنها كانت هي الدولة الاقوى والاعرق والامهر سياسيا في العالم ، خلال الاربعة قرون الماضية تقريبا • فهى النموذج الاكبر ، وان كان قد حل محلها غيرها • فى عالم اليوم •

وليس هناك ما هو اكثر فعالية في الحيلولة دون قيام قوة جديدة كبيرة،

أو فى تدميرها ، من عملية تقسيمها أو تفكيكها • وهنا ايضا نعرض لاسلوب تعرفه السياسة الدولية جيدا •

فالولايات المتحدة الامريكية ، القوة الكبرى فى عالم اليوم • قامت بمساعدة ظروف كثيرة ، ابسطها بعدها البعيد عن اوروبا فى عصر لم يكن العلم فيه قد تقدم بعد ، بل انها قامت فى غفلة عن العالم القوى ، فى وقتها اوروبا كانت مشغولة بحروبها وثوراتها ، وأحدا لا يتوقع ان تتحول تلك الارض الفضاء الى الكيان الضخم • حتى أن الولايات الاثنتى عشرة التى بدأت فى امريكا كانت احيانا تشترى ولاية بأكملها من فرنسا او من غيرها بما يساوى ٢ او ٣ مليون دولار •

القوة الكبرى الثانية ، روسيا القيصرية ، وخصوصا عندما بدأت تتحول الى الاتحاد السوفيتى ، جرت هجمات انجليزية وامريكية وبولندية كثيرة فى محاولة لتفكيكها خلال فوضى الثورة وضعفها •

والنموذج الماثل امامنا المانيا • فالشعب الالمانى هو اكبر الشعوب عددا فى قلب اوروبا • وله صفات عريقة فى القوة والانتظام جعلته دائمـا قابلا للتفوق ماديا وصناعيا وعسكريا • لذلك ظلت كل دول اوروبا الكبيرة المحيطة تمنع المانيا من التوحد وتجعلها دائما دويلات وامارات صغيرة ، حتى وحدها بسمارك كما نعرف بمزيج من القوة والدهاء • ولما تكرر خطر المانيا مرتين فى الحربين الاولى والثانية ، كان الحل الذى اتفق عليه الجميع ،شرقا وغربا، هو تقسيم المانيا •وحتى الان ربما كانت امريكا وحدها التى لا تعارض توحيد المانيا لان خطرها سيكون موجها الى روسيا • وسيؤثر على وضع كل المعسكر الشرقى فى شرق اوروبا،ولكن فيما عدا امريكا فان كل دول اوروبا بلا استثناء، شرقية وغربية ، تريد أن تبقى ألمانيا مقسمة الى دولتين • فالمانيا فى الواقع بشعبها الكبير ، المتقدم ، القوى ، او لانها كذلك ، لم تعش دولة موحدة اكثر من حوالى سبعين سنة فقط !

مثل آخر يستحق ان يكون موضع دراسات عـديدة وما زالت كثير مـن اسراره مطوية وهو انهيار الامبراطورية العثمانية •

لا نملك فى هذا المجال ، الا ان نتحدث عن خطوط عريضة جدا • ولكنها تكفى لانها تتصل بسياق حديثنا •••

كانت الامبراطورية العثمانية مكروهة بغير شك من دول ذلك العصر وامبراطورياته القوية ، روسيا القيصرية • امبراطورية النمسا • فرنسا • انجلترا ، وكان يكفى لكراهيتها انها كانت تجسد المد الاسلامى •وتدمير بيزنطة نهائيا • واحتلالها لمناطق يعتبرها الاخرون أولى بهم ، خصوصا البلقان كله ، حتى قلب اوروبا • وانها من ناحية اخرى تشغل بقعة بالغة الاهمية ، هـى نقطة الوصل بين الشرق والغرب •خصوصا بعد ان انفتحت مستعمرات الشرق لصناعة الغرب وتجارته •

كانوا لا يكفون عن التآمر ضدها • والعمل على ضعضعتها وتخريبها من الداخل • والحصول على امتيازات فى قلبها هنا وهناك • وبث الفتن الدينية والعنصرية فى ارجائها • وفى بعض المذكرات القديمة وخطابات قناصل تلك الدول الكثير والرهيب ، مما يشير الى ذلك •

ميترنيخ هتلر بسمارك

وفي نفس الوقت ، كانوا اذا وجدوا ان الامبراطورية العثمانية ، مهددة بحركة تجديدية من داخلها ، يسارعون الي الوقوف الى جانب الباب العالى • ويساهمون في توطيد سيطرته • لماذا ؟ كانوا يريدون ان تبقي الامبراطورية كما سموها رجل اوروبا المريض ، وكانوا يريدون للرجل المريض الموت ولكن في الساعة التى تناسبهم والظروف المواتية لهم ، حتى يقتسموها هم ، فلا تستعيد صحتها او تسترد شبابها مع حجمها الضخم الكبير • هكذا تحالفت اوروبا كلها مثلا ضد محمد على الكبير الذى كان يمثل قوة فتية نامية في اهاب الامبراطورية العجوز ، وهكذا تحالفت نفس الدول على خداع الثورة العربية بعد ذلك في الحرب العالمية الاولي ، موهمة لها انها ستحقق املها في استقلال المشرق العربي موحدا ، بينما كانوا قد وقعوا بالفعل معاهدة سايكس بيكو لتقسيم المشرق العربي الى دول وتفاهموا بالفعل مع الحركة الصهيونية لاعطائها فلسطين • وهذا ما كان •

••••••••

اذن فالذى نستخلصه من هذه الامثلة ••• ان هناك حقيقتين قديمتين جديدتين ، من حقائق السياسة الدولية ، وهما مقاومة ظهور أى قوة جديدة من قبل القوى القائمة لانها تربك التوازن القائم ، وتقلل من فعالية القوى القديمة ، وان التقسيم او الابقاء على عوامل الانقسام احد اهم الاسلحة التى تستخدم لتحقيق هذا الغرض في كل زمان ومكان •

•• فاذا كانت هذه من القواعد الاساسية في لعبة الامم •• فلست ادرى لماذا نعتبرها غير موجودة بالنسبة لنا ، ولماذا لا نتوقع ان يكون مجرد احتمال قيام قوة عربية كبرى فيه ما يثير مقاومة الاخرين ؟ خصوصا وان الأمر في حالتنا اشد• اى أنه فوق هذه القواعد العامة للعبة السياسة الدولية ،هناك اشياء خاصة بنا تجعلنا يجب ان نتوقع مقاومة اشد ، وما هو سوف أصل اليه بعد قليل •

ففى حدود القواعد العامة ايضا للعبة الامم ، ما يجب علينا ان نفصله ونستوضحه قليلا •••

فنحن نقول العالم ضد الوحدة العربية بوجه عام • ولكن العالم يتكون من دول ومعسكرات ، وهي دول يمكن تقسيمها او تصنيفها تصنيفات مختلفة• وكل نوع او صنف منها قد يكون له رد فعل مختلف •

فمن ناحية القوة ،بكل معانى القوة عسكرية واقتصادية وعلمية وعددية، نجد عندنا :

أولا ـ دولتان كبريان • هما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى • مثل هاتين الدولتين لا يمكن ان نتصور ان تتقبل احداهما ببساطة فكرة قيام دولة او كيان او كتلة قوية متراصة مترابطة ممتدة من المحيط الى

الخليج · وهنا ناتي الى بعض تلك الصفات الخاصة بالوحدة العربية والتي تجعل القبول بها اصعب · فهذه الرقعة ليست في اي مكان من الارض · ليست في امريكا الجنوبية اوفي استراليا ، انها في قلب العالم · تشرف على الخليج، والمحيط الهندى ،وتحكم البحر الاحمر كله، ولها نصف شواطىء البحر الابيض المتوسط وتطل شواطئها على المحيط الاطلنطى ، والامر الجديد انه صار لديها اكبر واهم مخزون عالمي لاهم سلعة استراتيجية في العالم وهي البترول · أليس التعامل مع هذه الدول فرادى اسهل مائة مرة من التعامل معها ككل واحد؟··

اذا ارادت روسيا طريقا الي البحار الدافئة فهي لا بد ان تفكر فيها ، واذا ارادت امريكا ان تحمى طرق تجارتها الدولية وتجارة معسكر الغـرب والشريان الذى يمد اسرائيل بالحياة فلا بد ان تفكر فيها · وبالنسبة للطرفين فالتفكير في هذا الكيان موحدا هو بالتأكيد فكرة مرعبة وكابوس مزعج ·

وبعد الدولتين الكبيرتين تاتي الدول الصناعية المتقدمة في اوروبا او كندا او اليابان ، وهي ليست بعيدة عن تلك الدولتين الكبيرتين وبالتالي ليست بعيدة عـن ردود فعلهما ، فضـلا عن اسباب خاصـة باوروبا بالذات ، سوف اعرض لها بعد قليل ·

ثم هناك الدول النامية ، وقد تكون مقاومتها للفكرة اقل أو هـي غير قادرة على مقاومتها وان كان يمكن ان نتصور انها لا تتحمس لها ·

ثم الدول الاشد فقرا ، وهي بند جديد في جدول الدول دخل القاموس الدولى ، ولكنها لا تختلف كثيرا عن المجموعة السابقة ·

تقسيم او تصنيف اخر ، يمكن ان نصنف به الدول الى دول مجـاورة وقريبة منا ، ودول بعيدة عنا ، هنا ايضا ربما نجد دول امريكا الجنوبية لا يزعجها كثيرا قيام وحدة عربية في اى صورة من الصور · اما الدول المجاورة للحدود العربية او التى تشترك مع الدول العربية في بحار واحدة ، فهـي بالغريزة وبالطبيعة ، شأن كل دول العالم، لا تحب تعاظم قوة الجار القريب ولا ترتاح مستقبليا اليها · فهى لا بد ان تكون في صف المقاومين لها ، ما امكنها ذلك ·

تقسيم ثالث ، يمكن ان نصنف به الدول الى دول ترى ان رسالتها في خدمة نفسها ومصالحها فحسب · ودول ترى ان لها فوق ذلك رسالة عالمية ، تتخطى حدودها ، وهذه ايضا تصطدم بنا · فروسيا مثلا تـرى ان لهـا فوق وضعها كدولة كبرى دورا آخر في نشر المذهب الماركسي الذى ترى انه النظام المناسب لعالم الغد · والغرب يرى ان لديه رسالة يسميها الحضارة الغربية المسيحية ، بكل مقوماتها التى نعرفها ، ومعظم الاحزاب في اوروبا الغربية اسمها Christian Democratic هذا هو الاسم الذى تطلقه الكتب على مجموعة القيم التي ارتبطت بقيام الحضارة الغربية ونشوئها ·وفي هذا المجال، يرى الاثنان ، ان العالم العربي يخلق لهما مشكلة · فهو ليس ارضا عارية من حضارة متكاملة سابقة ، وعالمية الرسالـة ايضا ، وهـي الحضارة العـربية الاسلامية ، ومن الطبيعى ان ينظرا الينا فـى القليل نظرة تنافس او عـدم ارتياح ، لان اى بلد له حضارة شرقية لا بد ان تؤثر في نمط تقبله حتى للدعوات الجديدة · فالماركسية مثلا ، بنت الحضارة الغربية ، لم تنقلب الى

محمد على كيسنجر

لون جديد ، منافس ، مختلف ، حاد فى اختلافه ، الا فى الصين ، لانها بلورها كيان ضخم ذو حضارة شديدة الخصوصية ، ولا احد يعرف الى اين ستنتهى التجربة هناك ، ولكن احدا لم يكن يتصور ان مشكلة روسيا العظمى سوف تكون مع الصين !

تقسيم رابع ، يمكن ان نصنف به الدول،الى دول لها معنا سابق تاريخ واحتكاك ، ودول ليس لها معنا مثل هذا التاريخ •

فهناك ، مثلا الدول الافريقية ، او بالتحديد الحزام الافريقى الذى يلى الشمال العربى الافريقى مباشرة •هنا نجد منطقة مختلطة ، مناطق مسلمة ومناطق مسيحية ومناطق وثنية • مناطق يجرى فى عروق اهلها الدم العربى بوضوح ، ومناطق زنجية خالصة ، فتلك كانت نقطة الالتقاء ومعبر الهجرة والتجارة والتعامل ايام المد العربى • وفى تلك المناطق يوجد حب للعرب ، اول من نقلوا لهم تاريخيا انوار الحضارة ، وفيه كراهية مصدرها ما يقال عن تجارة الرقيق ، وهى نقطة حاول الاستعمار الاوروبى ان يغذيها هناك حتى يقيم حاجزا بيننا وبينهم • وان كانت مساعدة العرب لحركات التحرر الافريقى فى القرن العشرين قد ازالت الكثير من اثر تلك التركة ، الا ان بعضها قائم •

وهناك جار آخر ، ذو اهمية خاصة ، هو جارنا الشمالى ، الذى يفصل بيننا وبينه البحر الابيض المتوسط او بالاحرى يجمع بيننا وبينه البحر الابيض ، وهو اوروبا •

ولا اريد ان اعيد هنا ما كتبته فى مجلة « العربى » ـ عدد اغسطس ١٩٧٦ تحت عنوان « نحن نعيش الحرب الصليبية العاشرة » •• من استعراض شامل للحروب الصليبية ، كمواجهة بين حضارات استمرت قرونا ، وتركت آثارا عميقة لدى الجانبين •••

ولكن العبرة العامة ، ان « اوروبا قوية » كانت تحب ان ترى دائما عالما عربيا ضعيفا • لان عالما عربيا موحدا كان يعنى اضعاف اوروبا •

والظروف السياسية والاقتصادية تغيرت بالطبع • ولكن الرواسب لا تموت بسهولة • وقد يهم الاوروبيون بترولنا • ولكن قد تزعجهم وحدتنا على وجه اليقين •

•• وبعد ، فاننى اقول هذا كله لا لبث الياس من قضية الوحدة العربية ،ولكن لكى أنبه العرب جميعا الى اننا حين نفكر فى الوحدة ، بأى شكل وعلى اى مستوى ، فنحن نفكر فى مشروع من اخطر مشروعات التاريخ كله ! وعلى هذا المستوى يجب ان يكون التفكير فيه •• والعمل من اجله • ●●

احمد بهاء الدين

نظرة الرسول

بقلم : الدكتور عبد العزيز كامل

■ كان الكون كله قريبا من الرسول عليه الصلاة والسلام • واذا كان الله قد جمع له فى اصحابه اجناس البشر من العرب والروم والفرس ، والاغنياء والفقراء ، والاقوياء والضعفاء •• فقد طوى له الزمان والمكان فى الاسراء والمعراج :

طوى له المكان فاسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ، وعرج به الى السموات العلى •

وطوى له الزمان فلقى الانبياء ، وجمعته معهم صلاة ، ودارت احاديث • وشهد من غيوب الله ما يرتبط بالماضى وما يرتبط بالمستقبل •• وعاد بعد ان رأى من آيات ربه الكبرى •

وبهذا الفضل الالهى ، كان خاتم الانبياء والمرسلين هو « الانسان الكونى » •

واذا ما عدت الى القرآن الكريم وجدت فيه صورة اخرى من اللقاء بين الانسان والكون :

فالله يقص علينا احسن القصص • يعلمنا بدء الحياة ومسارها ، وانه خلق لنا السماوات والارض ، واسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة ، وارسل الينا رسله مبشرين ومنذرين • والى ربنا نعود فى يوم تجد فيه كل نفس ما عملت محضرا• ففى القرآن معالم قصة الوجود واضحة : اين انت من الكون ؟ واين الكون منك ؟ وانظر الى صور من تتابع فضل الله فى قوله : « الم نجعل الارض مهادا ،والجبال أوتادا ، وخلقناكم ازواجا وجعلنا نومكم سباتا ، وجعل الليل لباسا ، وجعلنا النهار معاشا، وبنينا فوقكم سبعا شدادا، وجعلنا سراجا وهاجا ، وانزلنا من المعصرات ماء ثجاجا ، لنخرج به حبا ونباتا ، وجنات الفافا ، ان يوم الفصل كان ميقاتا » (النبأ : ٦ ـ ١٧)•

واسال نفسك : هل يصف الله لك الكون الكبير ، أم تحس انه يصف لك بيتك الذى تعيش فيه ؟ وانت بهذا فى وجود صديق •

الى .. الكون

ولنحاول ان نرى كيف يؤكد الرسول (ص) هذه النظرة فى نفس المسلم :

فى الصــلاة

وانت تحس هذه النظرة الكونية فى الاسلام فى عباداته ومعاملاته : ولنبدأ بالوضوء للصلاة والتطهر للعبادة •

يقول الرسول (ص) : الطهور شطر الايمان (رواه مسلم عن ابى مالك الاشعرى) •

ويقول (ص) : من توضأ فاحسن الوضوء ، خرجت خطاياه من جســده حتى تخرج من تحت اظفاره • (متفق عليه عن عثمان) •

وما الوضوء ؟ انه عبادة تســتخدم فيها ماء طاهرا تغسل به اعضاء محددة من جسمك ، هى – عمليا – وسائل اتصالك بالعالم من حولك •

وما مصدر الماء ؟ انه هذا الكون من حولك : من ماء المطر او العيون او الانهار او البحار •

وانت : حين تجمع هذا الماء بين يديك ، انما تجمع جزءا من هذه الطبيعة حولك • جزءا طاهرا تمر به على اجزاء من جسمك • وكانك تصافح الكون من حولك عن طريق هذا الماء •• وكان لهذا الماء معك حديث ونجوى : انه طاهر فكن طاهرا، انه يسبح بحمد ربه فكن انت مسبحا بحمد ربك•

ولنتامل هذا الحديث الذى امامنا : « من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت اظفاره » • ليس الامر فى الوضوء حسيا فقط ، وانما هو عبادة كاملة ، لها جانبها الحسى والمعنوى فى ذات الوقت • عبادة انت تذكر فيها فضل الله عليك وتستغفره مما اجترحت من اثم • وتدعو ربك حين تتم وضــوءك ، ان يجعلك ويجعلنا من التوابين والمتطهرين •

وكذلك التيمم : انت به تقصد الصعيد الطيب تمسح به وجهك ويديك • وما وضع اليد على الصخر او على اديم الارض الطيبة ؟• انه اتصال بهذا الكون الكبير ، وتذكر الارض : نبت منها، ونثوى فيها ، ونخرج منها ، وبقدرة الله التى خلقت هذا كله وجعلته مسبحا بحمده ، ولــكن لا نفقه تسبيحه ، وان كان كل قد علم صلاته وتسبيحه •

وتقف للصلاة متجها الى القبلة من اى مكان انت فيه • وبهذا تتخطى حدود المكان من حولك لتقف على نقطــة من محيط دائرة كبيرة ، يقف عليها آلاف وآلاف من اخوانك المؤمنين ، ليــلا ونهارا ، متجهين الى البيت العتيق •

وتستطيع أن ترى منها دوائر صغيرة بعينيك ، اذا ما ذهبت الى مكة ، وصليت مع اخوانك هناك دوائر دوائر حول الكعبة •

وتؤمن وانت فى صــلاتك التى تعلمتها من اشرف الخلق (ص) « صلوا كمــا رايتمونى أصلى » ان كلمتك المؤمنة قادرة على ان تجــد الى ربها سبيلا •

ماذا يحدث للكلمة الطيبة ؟ ان ربنا يعلمنــا فيقول « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » (فاطر : ١٠)

حركة الشفتين وخفقة القلب الطاهر ، تستطيع ان تصعد الى السماوات العلى ، وان تسجل عند الله « فى صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدى سفرة ، كرام بررة » (عبس : ١٣ ـ ١٦) .

فى الصلاة تجد نفسك فى لقاء مع الكون : انت مع ربك . الارض مع السماء . الكلمة مع الجزاء . الدنيا مع الاخرة . مكانك مع الكعبة .

وفى الصلاة انت مرتبط بظواهر كونية : من طلوع الفجر الى شروق الشمس وزوالها وطول ظلها وغروبها الى غسق الليل .

وهذا الرباط الكونى فى الصلاة ، متلازم مع رباط بالانسان تعلو به منزلة صلاة الجماعة ، والسعى الى المساجد .

فى الصوم

وينطبق ذلك على الصوم ايضا : فمواقيته يحددها هلال رمضان ويعلمنا الرسول (ص) فيقول : « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين » .

(متفق عليه عن ابى هريرة) .

وفى يومك انت مرتبط فى عباداتك بحركة الشمس سحورا وامساكا وصوما وافطارا وقيام ليل . لا تتدخل ارادة بشرية فى ذلك . وتحس انك واخوانك ، فى مشارق الارض ومغاربها ، تؤدون عباداتكم مرتبطين باهلة ، تعلمون بها عدد السنين والحساب ، وبشمس تجرى لمستقر لها .

فى الحج

والحج لقاء بين شعائر ومواقيت ناخذها عن رسولنا ، وجاءت من قبله لخليله ابراهيم عليه السلام .

والحج بدوره لقاء بين الانسان والانسان ، ولقاء بين الانسان والكون :

هذا اول بيت وضع للناس . وهؤلاء اخوتك جاءوا وقد تساقطت عنهم حواجز اللون والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية .

وهذا حجر له كرامته نستلمه ، ونحن نعلم انه حجر لا يضر ولا ينفع ، واحجار اخرى نرجمها فى « منى » باحجار صغيرة نجمعها من المشعر الحرام.

وما الذى يميز حجرا عن حجر ليكون هذا مجال تقبيل ، وذلك مجال رجم ؟ هذا داخل فى بناء الكعبة ؟ وذلك تصوير للشر ؟

وانت فى هذا متبع ومعتبر ومعظّم لشعائر الله .

وتستطيع ان تتابع العبادات لتجد فيها هذا الترابط القوى بين الانسان والكون ، ترابطا يجعل نظرة الانسان الى الكون ، نظرة المودة ، ومن فيه من الناس أهله ، وما فيه من الثمرات رزق ، للمحتاج فيه نصيب .

الزكاة

ويقودنا هذا الى كلمة عن الزكاة .. والزكاة زيادة ونماء . والعطاء ظاهرة نقص ، ولكن :

ماذا تقول فى الزارع حين يضع فى الارض بذوره ؟ ان الحبوب التى عنده تنقص اول امرها ، فجزء منها اصبح فى باطن الارض ، ولكنه مطمئن الى نمائها بعد هذا ، وان هذه البذرة ستكون سنابل وثمارا .

والاسلام يعلمنا ان تكون ثقتنا بالله اكبر . وان ما نغرسه فى ارض الخير ينمو ويزكو ويرتفع. وان قلوب العباد وحاجات المحتاجين ، هى ارض طيبة ، دعانا ربنا الى ان نضع فيها بعض البذور. وحددت لنا السنّة المطهرة الانصبة التى نقدمها الى الخير ، مما يفيض عن حاجتنا مع حساب الجهد المبذول فيها .

فاذا كانت الزراعة واستخراج المعادن وصيد البر والبحر تعاملا مع ما خلق الله من خيرات ، فان الزكاة رباط اجتماعى واقتصادى يذكرنا دائما بخالق هذه الخيرات ، الذى جعل عبادا يختبرهم فى أن يملكوا ، وعبادا يختبرهم فى انهم لا يملكون ، لينظر منا اينا احسن عملا وشكرا .. وفرض على الجميع السعى ما استطاعوا ، وجعل الارض مجال ذلك فى قوله تعالى :

« هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى

مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور » (الملك: ١٤ ـ ١٥) .

النبات والحيوان

وان الصداقة مع الكون ، كما رايناها مع الشمس والقمر والماء والصخر ، نراها ايضا مع النبات والحيوان .

١ ـ فاذا كان الحيوان للركوب والعمل والقتال، فما ينبغى ان يتخذ تسخيره فيما لا يجدى . وفى هذا يقول المصطفى (ص) « لا تتخذوا ظهور دوابكم منابر . فان الله تعالى انما سخرها لكم لتبلغكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ، وجعل لكم الارض . فعليها فاقضوا حاجاتكم » . (ابو داود عن ابى هريرة) .

٢ ـ ونهانا عن التسلى بالتحريش بينها فى حديث رواه الترمذى عن ابى عباس .(والتحريش اغراء بعضها ببعض) .

٣ ـ وتصل به الرقة الى ان يقول « لاتسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة » (ابو داود عن زيد ابن خالد) .

٤ ـ ويامر اصحابه ان يعيدوا الى حمّرة (عصفور) فرخها ، عندما رآها تفرّش (اى ترفرف باسطة جناحيها قرب الارض) ويقول لهم « من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها اليها » (ابو داود عن عبد الرحمن بن عبد الله عن ابيه) . وتامل تعبيره النبوى الكريم : من فجع هذه بولدها ؟

٥ ـ وينهانا فى الغزو عن ان نقطع شجرة الا لطعام ، كما ينهانا عن الاسراف فى الطعام ويدعونا الى القصد فى ذلك كله .

البيت الكبير

ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان ينظر الى الوجود نظرة حب يتعمق منها الى ما فيه من بديع صنع الله . ولم تكن حياته صراعا مع هذا الوجود او تحديا له .

انه بشر من خلق الله . وهذا الكون من خلق الله . هو مسبح بحمد ربه . وهذا الكون مسبح بحمد ربه . والله اعطى الانسان العقل والفكر وحرية الاختيار . وهذا الكون تحكمه قوانينه . والانسان خليفة الله على هذه الارض . وله خلقها وخلق السماوات .

وعلى هذا لا نجد فى الاسلام ولا فى توجيه الرسول لنا الا حب الكون والانسان .

الكون هو بيتنا الكبير . الناس كلهم اخوة . الحياة عمل واختبار . نعمل فى الحياة دون اخلاد اليها . نقوم بحق خلافة الله فيها . ما جاء من رزق اشتركنا فيه . لا تفرقة بسبب اللون او العنصر او الوضع الاجتماعى او الاقتصادى .

حاجة عالمنا الى هذه النظرة

وتختلف هذه النظرة المحبة الودود ، عن نظرات اخرى رات فى الكون مجال صراع وعداوة ، وصلت الى تدمير مقومات غير قليلة فى بعض بيئاته :

وانظر ـ كمثال ـ الى ما حدث فى افريقية منذ عهد الكشوف الجغرافية فى اواخر القرن الخامس عشر ومطالع القرن السادس عشر .. وراجع ما حدث فيها عندما اصطدم الفكر المحلى بالفكر الوافد حول راس الرجاء الصالح من البرتغال ، ومن جاء بعدهم من المستعمرين ..

لقد وجدوا ـ كما يقول بازيل دافيد سون ـ مدنا تموج بالحضارة والتقدم . وشهدوا آلات جديدة لم يكونوا يعرفونها من قبل ، يستخدمها اهل البلاد فى تنقلهم بين شواطىء شرق افريقية والشواطىء العربية والاسيوية . وشهدوا صلات ود باركها الاسلام وحث عليها . وهى صلات يمكن ان نردها تاريخيا ـ فيما بين الجزيرة العربية وشرق افريقية ـ الى ما قبل الاسلام .

وجاءت مع الاستعمار مطامع ضارية ، تضرب بالمخلب ، وتنهش بالناب ، وتشعل النيران فى المدن العامرة . وبدلا من مشاعل الحضارة التى كانت قائمة فى هذه الاجزاء ، ارتفعت السنة اللهب ، وغطى دخانها الاسود وجه الحياة .. وغاب اندلس الشرق عن انظار التاريخ .

نحو اربعين مدينة اقامها العرب ما بين مقديشو

في الشمال وكلوا الجزيرة في الجنوب ، كشفت عنها بحوث وحفريات علمـــاء الاثار ·· ولنرجع ـ كمثال ـ الى ما كتبه ـ فريمان جرنفل عن هذه المواقع ·· اطلال بقيت ، نمت حولها المراعي والاشجار وازالت منها احداث التاريخ وهطـــول الامطار وجريان السيول ما ازالت ·· ولكن المعول الاكبر الذي حطم هذه المواقع ، واليد الباطشة التي حركته كانت عن طريق رأس الرجاء الصالح ·· وأي رجاء صالح جاءنا عن هذه الطريق ؟

هذه النظرة المدمرة لم تنظر الى مقومات هذه البيئة نظرة حب ، ولا مودة ، ولك ان تقارن بين هذا الدمار الذي شهده شرق افريقية في اندلسه المفقود ، وبين العمار الذي شـهدته شبه جزيرة ايبيريا عندما عبرها المسلمون من عرب وبربر ، واقاموا فيها الاندلس المولود ·· ترعاه مبـادىء ارتضاها رب الناس للناس ، حبا وبرا ،وشهدت بها ارض الاندلس حضارة عاد الاسبان اخيرا ، وبعد قرون ،يضمون ما بقي من اجزائها، بعضها الى بعض ، ويرون فيها ـ بحق ـ صفحة رائعـة من صفحات امجـادهم بها يعتزون · وراوا ان العقول التي ابدعت هذه الحضارة كانت لقاء بين دماء عربية واسبانية ، وتوجيهات من رب الناس الى الناس ،ربهم الذي خلقهم جميعا ·· واذا ما كان العرب والبربر قد حملوا مشاعل هذه الحضارة عابرين بها مضيق جبل طارق فان ازدهارها كان في الاندلس : فوق ارضها وتحت سمائها ساهمت فيه عقول ابنائها ، وتحركت ايديهم يعملـــون ، غذتها دماء تستمد من رافدين احدهما من الارض التي يعيشون فيها ، والثاني من الارض التي جاءوا منها ·· نهر طويل ينبع من مهبط الوحي في الجزيرة العربية ويصب في الاندلس ·

عودة

وشيئا فشيئا راينا كيف اخذ العـــالم يثوب الى مضمون هذه النظرة الاســـلامية ، الى هذا التطبيق الذي يحترم الانسان والكون ، والذي يرى في مكونات البيئة الطبيعية والحضارة عطايا الهية ، ينبغي ان نقابلها بالشكر لا بالجحود ·

وقد تكون هذه العودة اكثر ظهورا في ميـدان المحافظة على مقومات البيئة منها في المحافظة على الانسان ، رغم الـــكثير الذي يقال عن حقوقه ؟ ولكن العودة الى حب هذا الكون والمحافظة عليه، ومحاربة مظاهر الدمار والتلوث فيه ، والنظـر البعيد الى مستقبله ، والنظرة الشاملة اليه ·· كل اولئك مما يباركه الاسلام ويسعى اليه ·

هذه المقـــاومة لزحف الصـــحراء على ارض المراعي والزراعة ··

هذا الحرص على الشـــواطىء من اخطـــار التآكل ··

هذه العناية بمستوى الخصـــوبة في الارض الزراعية ··

هذه العنـاية برفع مستـوى الانتـاج الزراعي باختيار واستنبات بذور اقوى واشـــد مقاومة للآفات ·

نماذج ونماذج اذا كان غيرنا يسـعى اليها ، من اجل رفع مستوى الحياة المادية ، دون ربطها باصولها الدينية ، فما احرانا ونحن نسعى اليها بدوافع الدين والحياة ، ان تكون لنا مساهماتنا الايجابية في هذا المجال ·

مشاركة

وان ايماننا بهذه النظرة التي يوجهها الينا ديننا وعاش بها رسولنا ، يفرض علينا الا تظل قوانا حبيسة الاماني ، وانما علينا ان نطبق هذه النظرة في جامعاتنا ومعاهد بحثنا ومختبراتنا ، فتكون كلها ـ عمليا ـ معـــابد علم ، تعبر عن ايماننا ، بمزيد من الفكر والعمـــل والانتاج · وتضيف الى الجهود العالمية في عمار الحيـــاة وصداقة الكون ومكوناته ، ما نســتطيع به ان نتقدم على طريقنا الصاعد حيث يلتقي الايمان بالعلم والعمل · ■■

عبد العزيز كامل

كنيسة نوتردام

اناقة ضرورية

بقلم :
الدكتور حافظ الجمال *

■ هل ابدأ بحكاية ٠ ان هذا ممكن دوما ٠ والحكاية هي انني دعيت كما يدعى كل الناس ، لسهرة في بيت صديق ٠ وكان ما قدم للضيافة شيئا حلو المنظر على كل حال : اناء بيضوي ، ناعم ، فيه قطعة من الكاتو ، مطعمة بالبوظة ، وحولها بعض حبات الكرز ، على سبيل الزخرفة٠ وامسك الملعقة بيدي ، واقتطع منها ما هـــو بحجم اللقيمة الاولى ٠ فاذا بي اجد تحتهـــا ورقة ٠ ولكن لم الورقة هنا ؟ لم افهم بادىء ذي بدء ٠ ولكن اللقيمة الثانية اثارت استغرابا اكبر : اذ ظهر فيها ما يشبه المقطع المكتوب « مو » فما هي هذه الـ « مو » يا ترى ؟ وتتابعت اللقيمات فاذا بي اري على الورقة مقطعا مكتوبا اخر هو « رو » ثم مقطعا ثالثا هو « كو » وانكشف السر كله ٠ اذ لقد جيء بالضيافة من محـــل موروكو المعروف ٠ ولما كان هذا حريصا علـــى الدعاية لمحله ٠ فقد فطن الى ان وضع ورقـــة عليها اسم محله ، وعنوانه ، سيثير انتباه كل ضيف تقدم له الضيافة من عنده ، وسيقسم هذا مباشرة يمينا بالله ، انه سيقدم هو بدوره لكل ضيوفه الاخرين ، ضيافة من هذا النوع ، لايحلو مذاقها فحسب ، بل يكون فيها ما يسترعي الانتباه

* الدكتور حافظ الجمـــال هـــو استاذ ســـابـــق بالجامعة السورية ، وسفير لبلاده في عدة دول اوروبية ، ويرأس الان اتحاد الكتاب العرب بسوريا ٠

فى كل لقيمة ، حتى يستطاع اخيرا كشف السر ، وحزر « الجزيرة » بقراءة المقاطع المتتابعة ، مرة بعد اخرى ... اى بقراءة : مو ـ رو ـ كو. ويا للسعادة بهذا الاكتشاف العظيم !

وفكرت قليلا ، وتساءلت : ايمكن لرجل فيه بعض الذوق ، ان يستثمر ضيوف الناس ، فيختلس الدعاية لنفسه ، من وراء ظهورهم ؟ وهل من واجبنا ان نستخدم ضيوفنا كادوات للدعاية ؟ الحقيقة انى شعرت ، خلال بعض اللحظات ، ان الغاية الاولى او الغاية كلها هى تلك الضيافة . اما انا الضيف ، الانسان ، كبيرا أم صغيرا ، عظيما أم غير عظيم ، فانى لست الا الوسيلة . ووسيلة لماذا ؟ وسيلة لاستهلاك روائع موروكو . فما اعظم الغاية ، وما أتفه الوسيلة !

وهذه قصة اخرى : ان بعض الناس يموتون كل يوم . وينعون بصورة تقليدية معروفة : تبدأ بآية ما ، مثل : انا لله وانا اليه راجعون ، او ما يشبهها . تليها اسماء الناعين من اقرباء الفقيد وانسبائه ، ياتى بعدها اسم الفقيد ، والتفاصيل الضرورية الاخرى . ولكن صاحب المطبعة لا ينسى ان يحتفظ لنفسه بهامش خاص ، آخر ورقة النعى ، يكتب فيه أشياء من النوع التالى : ليلا ـ نهارا . مكتب المطبعة العصرية.

شارع رامى .... طباعة ـ قهوة مرة ـ قراءة قرآن ـ موائد كراسى

ومرة اخرى ، يحيل الطابع « الميت » واهله ، وحرمته ، وكرامته . والحزن عليه ، ومشاركة الاحياء ، العاطفية ، لاهله وذويه ، الى مجرد وسيلة . ولكن وسيلة لماذا ؟ انها وسيلة استهلاك للطباعة ، والقهوة المرة ، والموائد والكراسى ، كان هذا الاستهلاك ، هو الغاية ، وكان المستهلك ، الانسان ، الذى جعله الله فى احسن تقويم ، هو مجرد وسيلة . فليمت هذا الانسان ، وليمت الكثيرون بقدر ما يشاءون.اذ كلما كثر موتهم تتالت المنافع على صاحب مكتب المطبعة العصرية ، احسن الله اليه ، وزاد من امثاله .

واتساءل فى نفسى : اليس هذا الخلط بين مستويات مختلفة من القيم ، بعضها فى الدرك الاسفل ، والاخر يعانق السماء ، برفعته وقداسته ، مما يميز الشعوب المتخلفة جملة ، لا شعبامعينا منها؟وكان الجواب سهلا جدا:ان كنيسة نوتردام فى باريس (وقل مثل ذلك فى كل كنيسة اخرى غيرها) بنيت فى اعماق القرون الوسطى،من عام ١١٧٧ حتى عام ١٣٧٥ تقريبا . ولم تنشأ فى عهود متقدمة حضاريا ، بل فى عهود ممعنة فى التخلف ، وعاصرته اربعة او خمسة قرون اخرى ، اى حتى أواخر القرن السابع عشر على الاقل ، ان هذه الكنيسة لم تغلف كمساجدنا ، كلها تقريبا ، بحوانيت ودكاكين من سائر الجهات والواجهات ، على ما هى الحال فى المسجد الاموى . مثلا ، على الرغم من انها تقع فى وسط المدينة ، وفى تماس مباشر مع كل الاسواق التجارية التقليدية . اترانا وحدنا الذين نحتاج الى المال ، للانفاق على بيوت الله ، والقيام بامورها ام نحن والآخرون سواء فى هذه الحاجة ، ولو ان كنيسة نوتردام او الفاتيكان غلفا بالحوانيت والمتاجر ، لعاد ذلك عليهما بربح كبير جدا . فلم نزهت بيوت الله هناك عن التجارة ، وفصل فيها بين الدين والدنيا ، ونحن لا نكاد نجد مسجدا من مساجدنا الا وفى جانبيه باعة الغضار ، والجوارب ، والاحذية ، ولماذا لا تعفى أبواب المساجد نفسها من الاعلانات التجارية على الاقل ، لتدع المؤمنين يدخلون الى مساجدهم بهدوء ، ويفرغون لصلواتهم وعباداتهم، تاركين الدنيا ، مؤقتا وراء ظهورهم ؟ او ليست هذه الظاهرة ، شبيهة جدا بظاهرة الضيافة ، من عند موروكو ، أو بظاهرة الاعلان عن تاجير الكراسى ، وتهيئة القهوة المرة ، واقامة الموائد والموالد من مكتب المطبعة العصرية ، على ورقة نعى الموتى ؟ وتختلف مستويات الهبوط والصعود، من ظاهرة الى اخرى ولا ريب . ولكنها جميعا تاتلف فى صفة مشتركة تجمع بينها ، وهى الهبوط من قيمة كبيرة الى قيمة صغيرة ، او لا قيمة ، ومن السماء الى الارض ، او من الغاية الى الوسيلة . واكثر من ذلك ان سلم القيم ينعكس تماما ، فتصبح اللاقيمة قيمة ، والسماء ارضا ، والوسيلة غاية واكثر من ذلك

كله ايضا ، ان هذا الخلط وهذا العكس يتمان بصورة لا شعورية تماما ، حتى لكان احدا لايشعر بهما ، ولا يفاجا ، ولا تقوم في نفسه اية بادرة من بوادر الاستغراب • واذا وجد من يستغرب ذلك ، قليلا او كثيرا ، وجد انه هو الرجل المستغرب • او الغريب الاطوار ، او المريض في حساسيته • فكان اللاطبيعي هو الطبيعي والغريب هو المالوف ، واللامعقول هو المعقول •

ومما لا ريب فيه ان في وسع الانسان ان يجد امثلة كثيرة على هذا النوع من القلب ، والعكس لقيم الاشياء ، والهبوط من الاعلى الى الاسفل لا على هذه الاصعدة البسيطة نسبيا ، والقليلة الخطورة على كل حال ، بل على اصعدة اخرى ، ترقى خطورتها الى مستوى صبغ حياتنا بصباغ خاص ، ندرك معه ان « التخلف » هو الشيء الطبيعي الذي لا بد منه في مثل هذه الظروف وان التقدم هو الامر الغريب • وبتعبير آخر : ليس العجب ، ان ينشيء هذا القلب لقيم الاشياء ، كل صور التخلف ، ولكن العجب ان يخطو بنا خطوة واحدة على طريق التقدم ••

ونذكر على سبيل المثال ان السلطان عبد المجيد الذي ارتقى عرش الخلافة بعد زمن طويل من شعور الناس ، بان الدولة مريضة ، وانها بحاجة ماسة الى مسايرة العصر ، والسير في ركابه ، اصدر خطا همايونيا يستجيب به لحاجة هذا الاصلاح • وقد عرف هذا الخط الهمايوني، باسم خط كلخانة نسبة الى الساحة التي اعلن فيها هذا المرسوم الملكي •وكانت براعة الاستهلال فيه : ان السلطان يمنح رعيته الامان على الحياة والعرض والمال • وبطبيعة الحال فقد كان السلطان سعيدا ، بخطوته التقدمية هذه ، ظانا انه اتى بالمعجز من الامور •وتخطى اعظم الصعاب ، وحقق نصرا لا مثيل له • ولهذا فانه دعا العظماء والوجهاء والسفراء الى شهود الحفل ، والاستماع الى خطه الهمايوني ، ليزدادوا به اعجابا ،ويدعوا له بطول البقاء •

ولكن المتامل الذي يحلل هذا الكلام ، لا يستطيع الا ان يستخلص منه مباشرة ان السلطان كان يملك من الناس حياتهم ، واعراضهم ، ومالهم، وان هذه كلها حق من حقوقه ، وها هو الان يتنازل عنها ، لطفا منه ، وامعانا في الكرم • ولعلها ساعة رضى ، حصل فيه الشعب من سلطانه ، على مثل هذا السخاء ، ترى الا يمكن ان تتلوها، مرة ما ، ساعة غضب ، يسترد بها السلطان • ما كان قد منحه لرعيته ؟

ومع ذلك فان هذه المنحة ظلت حبرا على ورق، ولم يستفد منها احد • ذلك ان الادارة العثمانية التي اعتادت التصرف بحياة الناس واموالهم واعراضهم لم تستجب مطلقا للسلطان • وظل سلوكها على ما كان عليه • وكان ينبغي لتمام المنحة • ان يصدر كل ذي سلطة ، مرسوما مماثلا يمنح فيه الرعية التي حوله ، مثل ما منحها السلطان • ويبدو انه لم يكن هنالك الا « ساحة كولخانه » واحدة،لم يستطع الولاة والمتصرفون والقائمقامون، والقيادات المختلفة ، ان تتصرف بها ، لمثل الغاية التي استخدمها السلطان من اجلها •

ومن جهة اخرى ، فان الانسان ليتساءل :مادامت حياة الناس ، واعراضهم ، واموالهم ، من حق السلطان في الاصل ، فلماذا لايكون طعام الناس، وشرابهم ، ولباسهم ، من حق السلطان ايضا ؟ ولِم لم يفكّر السلطان باصدار خط همايوني آخر ، يمنح فيه الرعية مثل هذه الحقوق ؟

الواقع ان قلب القيم ، او عكسها شيء واضح جدا في هذا الخط الهمايوني • ذلك ان الاصل هو ان « الرعية » هي التي تختار السلطان لحماية « قيمها » واستخدام القوة الجمعية ، لرعايتها ، والحفاظ عليها ، وليس من المالوف ان تختار الرعية سلطانا ليجردها من حقوقها ، ويعتدي على حرماتها ، ويعبث بمقدساتها ، ويتصرف كما يريد بحياتها واعراضها ومالها ، وبتعبير آخر : ان الاصل المعقول ، لاختيار كل سلطان ، او سلطة، هو حرص الناس على من يرعى لهم حقوقهم ، ومقدساتهم ، ويقوم لهم بامرها ،اي ان يكون خادما للرعية ، ولهذا اطلق العرب اسم « جحش القوم » على سيد القوم ، من حيث انه يحمل اثقالهم ، ويذب عن حياتهم ، ويحميهم من اعدائهم ، ولكن عملية القلب هذه ، جعلت خادم القوم ، سيدهم ،

وسادة القوم ، خدمته • وهنا ايضا تنقلب القيم، فيصبح الدنيء منها هو الرفيع والرفيع منها هو الدنيء •

وخطوة اخرى ، الى الامام ، وسوف نجد ان في وسعنا ، ببعض التعميم ، ان نقول : ان عملية قلب القيم ، وعكسها ، يجب ان تكون هي الاصل، لا في الامور التي اشرنا اليها فحسب ، بل في كل الامور الاخرى ، اذ لا يمكن ان تتم صور القلب هنا وهناك وفي قطاعات ضخمة من حياة الناس، الا اذا كانت شائعة في المجتمع ، منتشرة فيه • ولولا ذلك لما خطر ببال هذا البائع ، او ذاك الطابع ان يقوم بمثلها في القطاع الذي يسيطر عليه •ولولا الخوف من الاطالة ، لاشرنا الى صور كثيرة من هذا القلب ، على كل صعيد ، غير ان الذي يغنينا عن ذلك كله هو ان هذا القلب يصل دوما الى النتيجة نفسها • فالانسان فيه هو الذي يصبح الاداة والوسيلة • اما الربح ، او المنفعة ، فهما اللذان يصبحان الغاية • وبتعبير آخر : ان الانسان هو الذي « يشيأ » اي يصبح شيئا بين الاشياء ويفقد وجوده ، ككيان يملك شعورا ، ويجد ان غاية وجوده هي في نفسه ، لا في خدمة ما هو ادنى منه • وكل شيء في هذه الدنيا ، قد سخر للانسان ، وجعل في خدمته ، فاذا بنا نجعل من الانسان شيئا من الاشياء ، نسخره هو الآخر ، للقيام بخدمات ، وارواء رغبات وتلبية حاجات •

ولكن من هو المسخر الاول والاخير ؟ ليست الاشياء طبعا هي التي تسخرنا لخدمتها ، بل ان « آخرين » او «اناسا متميزين» هم الذين يسخرون سائر الناس لحاجاتهم ، والقيام بخدمتهم • وليس في ذلك من باس لو ان هذه الحاجات والخدمات « قيم » نؤمن بها جميعا ،ويشترك المسخِّر والمسخَّر في تقديسها والعمل من اجلها ، لكن الذي يحدث دوما هو انمنافع بعض المتميزين الصغيرة ،ومآربهم الشخصية المسكينة ، المقابلة للقسم الادنى من نفوسهم ، اي لغرائزهم وانانياتهم ، هي التي تسخر كل الآخرين لتلبيتها ، وسد حاجتها ، كان المسخِّر والمسخَّر قد اصبحا معا ، على مستوى واحد • اذ ان كلا منهما تنازل عن اسمى ما في نفسه ، واصبح ادنى ما فيها ، واستخدم وجوده ، وشعوره ، وضميره ، للقيام بعبء « احقر » ما في نفسه • و « اصغر » مافيها ، الا ان المسخر تنازل عن ذلك بارادته طوعا لا كرها ، وتنازل المسخَّر مكرها لا بطلا • وشتان بين استلاب الذات بفعل « الذات » واستلاب الذات بحكم اكراه الاخر •وما دام الاول يضحي تلقائيا باكرم ما في نفسه لحساب ادنى ما فيها • فيقينا لم تكن التضحية سهلة جدا، الا لان « الذات » لم تكن غنية بما عليها ان تضحي به ، وفقيرة بما تضحي من اجله • بل لقد ضحت «بانبل ما فيها »لحساب «ادنى ما فيها »، لان ذلك القسم الانبل كان شيئا تافها لا يقام له وزن ،ولا يؤبه لوجوده ، اذا قيس بالادنى والاحقر • وهكذا فان « ادنى ما في وجود المسخر » قد فرض سيادته على كل الاخرين ، ليهبط بهم مرة اخرى الى الادنى ما فيهم •

لا ريب ان عملية قلب القيم ، الشائعة جدا ، في المجتمعات المتخلفة ، خطيرة الآثار الى ابعد الدرجات ، ذلك انها الوسيلة المثلى لتعميق التخلف ، بدلا من زيادة التقدم ، والامعان في الصغار • بدلا من الطموح الى السمو • ولئن وجد من يقول : ان كل مجتمع يعتَرف بالقيمة التي يمنحها للفرد ، فيجب ان نقول : ان كل مجتمع ينكر قيمة الفرد ، ويشيئه ، ويقلبه من غاية الى وسيلة ، لن يكون مجتمعا قائما ، الا بمعنى واحد ، وهو انه قائم فقط ، لكي يحل كيانه ، ويقضي على وجوده •

ومن هنا كانت بعض صور الاناقة التي اشرنا اليها في مقدمة هذا الحديث ، ضرورية حتما لا لاننا لانستطيع غض النظر عنها ، بحملها على محمل « العامية الشائعة » في بعض الاوساط الهامشية ، ولكن لانها قد تكون قرينة على شيوع عملية قلب القيم ، ورد عاليها الى سافلها ، ولا شك ان المجتمعات متخلفة او متقدمة ، لالف سبب او سبب • ولكن من المستحيل مع ذلك الا يكون راس هذه الاسباب ، رد الانسان من مستوى الغاية الى مستوى الوسيلة ، والعبث بوجوده قيمة وكرامة ووجودا •

■■

دمشق ـ حافظ الجمال

نتيجة مسابقة العدد ٢١٧

طولون في فرنسا

قامت مسابقة العدد ٢١٧ من «العربي» على مجموعة من الاسئلة المتنوعة عن اسماء مدن ورجال يوجد بينها تشابه واضح لفظي او مكاني, وفي نفس الوقت هناك فروق واضحة بينها • ولقد كانت في مجموعها سهلة ميسرة ، لذلك استطاع اغلب المشتركين أن يجيبوا على اسئلة المسابقة اجابات صحيحة كما أن عدد المشتركين بالمسابقة كان في زيادة ملحوظة ، وفيما يلي نموذجا للاجابة الصحيحة ثم أسماء من حالفهم التوفيق ففازوا بجوائز المسابقة :

١ ـ طولون ميناء حربي كبير يقع في فرنسا •

٢ ـ الجبل الاخضر يقع في سلطنة عمان •

٣ ـ برشلونة هي مدينة اسبانية تطل على البحر المتوسط ، اما لشبونة فهي عاصمة البرتغال وتطل على المحيط الاطلسي •

٤ ـ جامع القيروان يقع في مدينة القيروان بالجمهورية التونسية ، اما جامع القرويين فهو في مدينة فاس بالمملكة المغربية •

٥ ـ بحر الخزر يسمى اليوم بحر قزوين •
بحر القلزم يسمى اليوم البحر الاحمر •
بحر الظلمات يسمى اليوم المحيط الاطلسي •

٦ ـ بحر الغزال ، وبحر الجبل ، رافدان من روافد النيل •• اما بحر العرب فهو البحر المتاخم لجنوب شبه الجزيرة العربية ، وهو جز من مياه المحيط الهندي •

٧ ـ ميناء صور يقع في سلطنة عمان •

٨ ـ العين مدينة تقع في امارة ابو ظبي بدولة الامارات العربية •

٩ ـ طبرقة ميناء سياحي جميل يقع في تونس•

١٠ ـ طنطا مركز السكة الحديد تقع في جمهورية مصر العربية ، اما طنجة فهي ميناء دولي شهير يقع في المملكة المغربية ، اما طهطا فتقع جنوب جمهورية مصر العربية •

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :علي صالح عون ـ عدن / اليمن الديمقراطي

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها:مليكة فايلي ـ البويرة / الجزائر •

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فازت بها:فاطمة يوسف عزالدين ـ بيروت / لبنان

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ حسين محسن آل طالب ـ مطرح ـ سلطنة عمان•

٢ ـ محمد عبدالله جاسم آل ضيف ـ القطيف/ السعودية •

٣ ـ سمير عبدالله صالح ـ نابلس/الضفة الغربية •

٤ ـ احمد رامي مفتي ـ اللاذقية/سوريا •

٥ ـ عبدالعزيز سالم محمد الخشاش ـ الفيحاء/ الكويت •

٦ـ احمد عز الدين ابراهيم ـ القاهرة/مصر •

٧ ـ حسين علي الاشول ـ الدوحة/قطر •

٨ ـ عيسى حيدر عبدالله ـ خورفكان ـ الامارات العربية •

المؤامرة على فلسطين.

السلطان عبد الحميد

بقلم : الدكتور محمد حسن الزيات

يفند الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر الاسبق فى هذا المقال دعوى ان احتلال اليهود لفلسطين كان بسبب اضطهادهم فى اوروبا • ويؤكد مستندا الى شواهد تاريخية عديدة، ان المؤامرة لها جذور قديمة ، وان الهدف منها كان فصل سوريا وفلسطين عن مصر، وان الذين رشحوا فلسطين موطنا لليهود كانوا من غلاة البريطانيين ولم يكونوا من اليهود !

■ اجتمع المؤتمر الصهيوني الاول فى مدينة بازل السويسرية فى صيف عام ١٨٩٧ ، ثمرة لجهاد قام به وثابر عليه الصحفي النمسوى الشاب « تيودور هرتزل » الذى قام بتنظيم المؤتمر وتوجيه اعماله ، واستصدر بعد ثلاثة ايام من انعقاده اول قراراته واهمها وهو تحديد هدف الحركة الصهيونية بانه « انشاء وطن قومي لليهود فى فلسطين يحميه القانون العام » وقد اختار المؤتمر كلمة « وطن قومي » بدلا من كلمة دولة تحاشيا لاثارة شكوك السلطان العثمانى الذى كانوا يحرصون على عدم اغضابه . والذى كان القرار الثانى للمؤتمر هو ارسال برقية شكر اليه • على ان هرتزل نفسه كان يعرف ماذا يريد ، وقد سجل فى مذكراته ، بعد انفضاض المؤتمر مباشرة ، قوله : « لو اننى اردت ان الخص وقائع المؤتمر فى عبارة واحدة لقلت : اننى فى بازل قد وضعت اساس دولة اليهود » •

كان هرتزل قد لقى من المصاعب والمتاعب بسبب ديانته اليهودية فى بلاده النمسا ما لقى ، وكان قد شهد فى باريس ، بصفته الصحفية ،

محمد على باشا

هرتزل

بدأت قبل هرتزل بنصف قرن
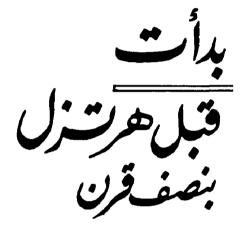
اشهر محاكمات القرن التاسع عشر وهى محاكمة اليهودى الفريد دريفوس الذى اتهم وحوكم بتهمة الخيانة العظمى • بينما اشتبهت الحكومةالفرنسية فيه واتهمته وحاكمته ٠٠ ـ فى راى دريفوس ـ بسبب ديانته اليهودية • وكذلك استقر فى يقين هرتزل ان بنى ديانته لن يجدوا الامن والعدل فى اوروبا المسيحية ، وانهم لا بد ان يتركوها الى ارض يكونون هم فيها السكان والحكام ، فتصبح لهم ملاذا ودولة ، ولم يكن هرتزل عند ذاك مهتما بان تقوم هذه الدولة على ارض فلسطين ، فقد فكر فى اوغندة وفكر فى الارجنتين ، بل ان واحدا من اصدقائه اليهود نصح بالا تقام هذه الدولة ـ ان اتيح لها ان تقام ـ فى فلسطين ابدا ، فان فلسطين فى رايه تقوم على ملتقى قارات ثلاث ، وهذا المركز الاستراتيجى جدير ان يجرها جرا الى صراع دولى هى فى غنى عنه •
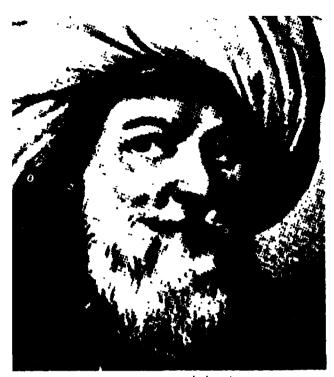
بهذا السرد السريع يبدو ان اضطهاد الكثرة المسيحية فىاوروبا لمن كان يعايشها من اليهود كما لو كان هو الدافع الاول للحركة التى بدات بقرار مؤتمر بازل عام ١٨٩٧ واستمرت خمسين عاما كاملة حتى تم ـ فى عام ١٩٤٧ ـ تقسيم فلسطين بقرار منمنظمة الامم المتحدة الناشئة عندما قامت فعلا ، فى فلسطين ، دولة اليهود •

وهكذا جرت العادة على ان نورخ للحركة الصهيونية مبتدئين بمؤتمر بازل عام١٨٩٧ ،ذاكرين اسم هرتزل على انه نبى الدولة اليهودية وصاحب فكرة انشائها •

مصالح الامبراطورية اولا

والذى يريد مقالنا هذا ان يبينه هو ، اولا ، ان فكرة الدولة اليهودية قد وجدت وعرضت قبل انعقاد مؤتمر بازل باكثر من خمسين عاما ، وهو، ثانيا ، ان اصحاب الفكرة لم يكونوا من اليهود المضطهدين او غير المضطهدين ، ولم يكن هدفها ايجاد حل لمشكلة اليهود فى اوروبا ولا الحرص على توفير الامن والاستقلال لهم ، بل ان الدعوة اليها

صدرت عند ذاك من احد عمال الامبراطورية البريطانية من المسيحيين ، حرصا على تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية والاستراتيجية للامبراطورية ،ولذلك تعين انتقوم الدولة اليهودية على ارض فلسطين دون سواها ، لان المطلوب بقيامها ـ على طريق الهند ـ لم يكن الا ضمان استقرار واستمرار نفوذ الامبراطورية البريطانية في منطقة يتزايد اهتمامها وكذلك يتزايد اهتمام الدول الاوروبية الكبرى بها ، وهي منطقة المشرق العربي •

كان محمد علي باشا قد عرفمصر ودرس بعض امورها منقبل ان يثبت فيعام ١٨٠٥ واليا عليها، ولقد اطال ، بعد ولايته ، النظر في احوالها ،في تاريخها ، في حاضرها وكذلك في امكانياتها ، وفي السنة التي كان يفتتح فيها مشروع القناطر الخيرية الكبير الاهمية فيتنظيم الري والزراعةفي دلتا النيل ، قال انه « لا شك ان مصر كانت في قديم الزمان سيدة ممالك العالم وعلمها الذي تهتدي به ، اما الان فقد اخذت اوروبا هذه المكانة» ثم اضاف في جسارة رجل شرقي خلا من عقد النقص التي فرضها التفوق الحضاري الاوروبي ـ بل ولا يزال يفرضها ـ علىالكثيرين منمواطنيه، قال « واني لآمل ان ياتي يوم تنهض فيه الى مكانتها الاولى في التمدين والعمران وما هذه الدنيا الا صعود وانخفاض » •

كان والي مصر يرى بوضوح اهميتها في منطقتها وكان يرى ـ بنفس الوضوح ـ اهمية المنطقة ، منطقة المشرق العربي في العالم ، ولقد مد سلطانه على الحجاز ونجد في عام ١٨١٨ وعلى السودان في ١٨٢٣ ثم الى الشام في ١٨٣٣ وبهذا اجتمع المشرق العربي تحت لوائه •

وهدد هذا الكيان العربي الجديد توازن الدول العظمى فاسرعت تتباحث وانتهت في مؤتمر لندن ١٨٤٠ الى التعهد للسلطان بالتصدي لمحمد علي، وتصدت له فعلا مجتمعة ، وطالبت بريطانيا ان تكون شبه جزيرة سيناء حدودا قصوى لسلطانه •

ضرب الاسطولان الانجليزي والنمسوي بيروت• اشعل عملاء الانجليز (ونحن سنتعرف الى واحد منهم في هذا المقال) اشعل هؤلاء العملاء نار الثورة في سوريا • وصل جزء من الاسطول البريطاني الى الاسكندرية واخلى محمد علي بلاد المشرق العربي مرتدا الى شبه جزيرة سيناء ،وفي فبراير عام ١٨٤١ صدرت الاوامر الشاهانية ،التي اخرجت اقاليم المشرق العربي عن حكم محمد علي، والزمته حدود واديالنيل وسرحت قواته العسكرية برية وبحرية حتى تصبح ولا قبل لها بالخروج من ارض الوادي •

بداية المؤامرة

وقبل ان يتم للدول ذلك كله ، كانت تفكر متفرقة ومجتمعة في مستقبل المشرق بعد ان يخليه محمد علي • ومذكرات الدول ودراساتها محفوظة، ولكن هذا ليس وقت ولا مكان عرضها او دراستها ولكني حريص مع ذلك ، على ان اشير الى مذكرة منها ، هي المذكرة التي وجهتها الحكومة الروسية في اكتوبر ١٨٤٠ الى حكومة بروسيا وان الخص ما جاء فيها •

جاء في المذكرة انه تتردد اخيرا في اوروبا ـ وخاصة في فرنسا ـ آراء مختلفة وغالبا متضاربة حول الاجراءات التي يجب على الدول العظمى المتدخلة في امور « المشرق » ان تتخذها في الوقت الحاضر لكي تحقق الهدف الذي حاول الصليبيون في حروبهم الطويلة والدامية تحقيقه فلم يفلحوا •• وقد عرض مشروع باقامة دولة مسيحية في فلسطين ، وان كان هذا المشروع لم يناقش مناقشة جدية ، ••• وعرضت فكرة احياء منظمة فرسان القبر المقدس ليعهد اليها بحماية المقدسات ••• بل ان هناك افرادا فكروا في ان يدعوا اليهود المتفرقين في مختلف بلاد العالم للعودة الى مدينة سليمان •••

ونحن نشير الى هذا الجزء من المذكرة لاسباب اهمها ان الخطط العديدة المتضاربة التي ارادت الدول العظمى ان تمنع بها عودة الترابط بين بلاد المشرق العربي تحت اي ظروف جديدة بعد ان تمكنت من تحطيم الكيان العربي الذي تكون تحت لواء محمد علي ، فتعرض ـ بين ما تعرض من وسائل تحقيق ذلك ـ ان تحتل الدول الاوروبية سوريا احتلالا مباشرا مستمرا ، كما تعرض من الحلول البديلة ان يدعى اليهود « للعودة » الى فلسطين •• على ان الدول لم تتمكن من الاتفاق على اي حل من هذه الحلول فاتفقت على اعادة سوريا الى الباب العالي •

وقد تامل احد الموظفين البريطانيين المقيمين فى المنطقة وهو « الضابط البريطانى المقيم فى دمشق » (١) ما حدث ، فكان من دواعى اغتباطه وسروره ان يفصل بين سوريا وفيها فلسطين وبين مصر ، ولكن كان من دواعى اسفه واساه ان اوروبا عجزت عن فرض سلطانها المباشر او غير المباشر على البلاد ، وانها اعادتها الى حكم السلطان ، وقد عبر هذا الضابط عن شعوره وعن اقتراحاته فى رسائل كتبها من دمشق وبيروت بين عامى ١٨٤١ و ١٨٤٣ ، وليس من المعروف لنا الان ، هل عرض هذا الضابط المقيم افكاره التى وردت فى هذه الرسائل على حكومته او على اى جهاز من اجهزتها ، وتلقى توجيهات بشانها ام لا • وان كنا طبعا نميل الى الاعتقاد بانه لم يعمل الا بتوجيهات من حكومته ، وقد حفظت رسائل هذا الضابط فى سجلات مجلس ادارة نواب اليهود البريطانيين (٢) وهى رسائل لا اعتقد انه قد سبق نشرها فى العالم العربى ، وهى على التحقيق لم تلق حظها من الدراسة والتفكير حتى الان •

كان اسم الضابط هو الكولونيل تشارلس هـ• تشرشل ، وقد وجه رسائله الى رئيس مجلس ادارة نواب اليهود البريطانيين فى ذلك الوقت وهو السير موسى مونتفيورى •

وقد عبر تشرشل فى رسائله عن قلقه لان تزايد ضعف السلطنة العثمانية قد يؤدى فى المستقبل الى انتفاضة شعوب المنطقة واتحادها ، ولا شك انه كان من الواضح لديه ان المنطقة ـ لو تمكنت من هذه النهضة وهذا الاتحاد ـ لاصبحت قوة لا بد ان يحسب لها حسابها ، وكان الكولونيل تشرشل يرى ان اوروبا قد حققت هدفا سلبيا باخراج مصر من الشام ولكنها عجزت عن تحقيق الهدف الايجابى وهو اقامة حكم فيها لا يتصور ان يعود للاتحاد مع مصر او غيرها من الاقاليم ، وقد عادت سوريا الى حكم العثمانيين ،والكولونيل تشرشل يوقن «بان هذه البلاد (سوريا وفلسطين) يجب ان تستنقذ من قبضة حكامها الجهلة والمتعصبين•• ان موكب الحضارة يجب ان يتقدم وعناصر رخائها التجارية المختلفة يجب ان تنمى ••• ولن يحدث هذا تحت الحكم البالى المتعسف ، حكم الاتراك او المصريين ، وفى كلمة واحدة ان سوريا وفلسطين لا بد ان توضع تحت العماية الاوروبية وان تحكم بروح واسلوب الادارة الاوروبية ـ وسيتم ذلك حتما فى آخر الامر ••• »

تحريك يهود بريطانيا

ولكى يتم ذلك ، اتجه الكولونيل تشرشل الى يهود بريطانيا • ففى الخطاب الذى وجهه الى سير موسى مونتفيورى رئيس مجلس اداره نواب اليهود البريطانيين بعد صدور الاوامر الشاهانية التى اخرجت مصر من الشام بشهرين فقط ، اى فى يونيو ١٨٤١ ، يرجو تشرشل ان تكون رسائله السابقة قد وصلت سالمة ، ثم يقول : ليست اخفى عليك رغبتى الشديدة فى ان ارى مواطنيك يتحركون لاعادة وجودهم باعتبارهم شعبا (مستقلا) وانا اعتقد ان ذلك امر يمكن تحقيقه تماما بشرطين : الاول ان يبدأ اليهود انفسهم بتبنى هذه الحركة بالاجماع وفى كل مكان ، والثانى هو ان تساعدهم الدول الاوروبية • ان على اليهود انفسهم ان يبدأوا ، على زعمائهم ان يتصدروا هذه الحركة، عليهم ان يجتمعوا ، وان ينسقوا فيما بينهم • وان يتقدموا بالشكاوى ، يجب ان يحدث ذلك فى بلاد اوروبا كلها وفى وقت واحد • ليست هناك حكومة اوروبية واحدة يمكن ان تغضبها مثل هذه التظاهرات والاجتماعات العامة •

وستكون النتيجة ان يبرز بروز السحر عنصر جديد بين عناصر « دبلوماسية المشرق » ولن تستطيع دول اوروبا ان تتجاهل هذا العنصر اذا تبناه مواطنوك من اغنياء اليهود ذوى النفوذ •ان ذلك لن يثير الاهتمام فقط بل سوف يحقق النتائج• انكم لو وجهتم مواردكم لاحياء سوريا وفلسطين فلن يكون هناك شك فى ان هاتين البلدين ستعيدان اليكم استثماراتكم بربح وفير ، ولن يكون هناك شك فى انكم ستنتهون بالحصول على السيادة على فلسطين على الاقل •

وفى نفس هذا الخطاب الذى يدعو فيه الضابط البريطانى بالحاح الى ان يقوم اليهود بحركات واستثارات فى كل مكان ، يتعهد هو نفسه بان يبدأ

(1) Resident Office at Damascus.

(2) Board of Deputies of British Jews.

حركة في منطقة عمله ! فسيبدأ بنفسه اعداد بعض العرائض وتوزيعها وتوقيعها من اليهود المقيمين في سوريا باعتبار ذلك جزءا من حملة الاثارة التي يدعو اليها .

وقد مرت شهور طويلة بعد هذه الرسالة واليهود البريطانيون والاوروبيون لا يتحركون، فكتب الكولونيل رسالة اخرى بتاريخ ١٥ اغسطس عام ١٨٤٢ ، يلح في دعوته نفسها ويقرنها هذه المرة باقتراح محدد هو أن يتصل المجلس اليهودي في بريطانيا بيهود اوروبا ليقدم باسمهم واسمه عريضة الى الحكومة البريطانية تطالب بارسال مندوب خاص الى سوريا تكون مهمته الوحيدة توفير الرعاية والحماية لليهود المقيمين فيها ، على أن تحدد مهمات وسلطات هذا المندوب بالاتفاق ما بين وزارة الخارجية البريطانية وبين اللجنة اليهودية التي تقدم الاقتراح . ويوضح تشرشل صراحة أن هذا التعيين سيكون اعترافا بان اليهود الانجليز والاوروبيين يمثلون يهود سوريا الذين سيوضعون بهذا الشكل تحت حماية بريطانيا وبالتالي فانه لابد أن يكون لليهود الانجليز وغيرهم وتكون لبريطانيا كلمة فيما يجري في سوريا او لها لانه لابد سيمس اليهود من سكانها .

ونلاحظ أن الكولونيل تشرشل يؤكد للسير موسى ان اليهود لو تقدموا بهذا الطلب فان نتائج هذا التقديم ستسرهم حتما ، كما يوضح له أن الطلب يجب أن يقدم عن طريق شخص يحدده وهو (الايرل اوف ابردين) .

وفي وقت معاصر لارسال هذه الرسائل وبالتحديد في شهر يوليو عام ١٨٤١ وصل الى لندن مبعوث للحكومة الالمانية هو البارون بونسون في مهمة خاصة ذكر انها تتعلق بالاتفاق على تسهيلات لشراء الاراضي في فلسطين لعدد من المسيحيين واليهود الالمان الذين يريدون الاقامة فيها ، وقد قابل هذا البارون يوم ١٩ يوليو ١٨٤١ اللورد بالمرستون وخرج من المقابلة ليكتب الى زوجته قائلا « هذا يوم عظيم ! لقد نجحت في اقناع لورد بالمرستون بالمبدأ ، ولقد ارسل فعلا توجيهاته الى السفير البريطاني في تركيا ليسعى لدى السلطان .... وفي اكتوبر القادم سيعين سفير بريطاني جديد في تركيا وهو البيشوب الكسندر المولود في بوسلو في بروسيا والمسيحي حاليا على مذهب الكنيسة البريطانية ولكنه « يهودي الجنسية » وقد كان استاذ للغة العربية واللغة العبرية في انجلترا لمدة عشرين عاما فيما يسمى الان بكلية الملك King's College ، وهكذا يبدأ العمل باذن الله لاعادة انشاء اسرائيل » ! .

مشكلات التنفيذ

ان المشروع الذي فصله الكولونيل توماس تشرشل الضابط البريطاني في دمشق عام ١٨٤١ و١٨٤٢ والذي كان موضع مباحثات سرية بين المبعوث الالماني وبين الوزير البريطاني في عام ١٨٤١ ، يوضح الخطوات التي كان مطلوبا أن تكرس انفصال سوريا وفلسطين خاصة عن المشرق العربي وقيام الدولة اليهودية في فلسطين على الاقل . لقد اقترح تشرشل على اليهود أن يثيروا من المظاهرات ما يبين للعالم أن هناك مشكلة يهودية تتطلب حلا وعندئذ فان الحل سيكون جاهزا وهو استعمار اليهود لفلسطين ، ولما كانت فلسطين جزءا من الاراضي العثمانية فلا بد أن يبدأ هذا الاستعمار بشكل لجوء بعض اليهود الى ارض عثمانية ليعيشوا فيها رعايا للسلطان بضمانات من انجلترا وغيرها من الدول ، ولا بد لذلك من الحصول في اول الامر على رضا السلطان ، على أن الخطوة التالية ستكون أن تعين انجلترا هؤلاء اليهود على استقلالهم بدولتهم كما يؤكد لهم الكولونيل تشرشل .

ان التاييد الاوروبي لاولئك المستعمرين ثم لدولتهم مضمون لان قيام هذه الدولة وبقاءها قوية سيظل ضروريا للحيلولة دون قيام تجمع جديد في المنطقة يهدد موازين القوى الدولية من جديد كما هددها محمد علي . كما أن في وسع بريطانيا والدول الاوروبية أن تطمئن الى اخلاص الدولة اليهودية لانها ستكون في حاجة دائمة الى تاييدها لتعيش منيعة في الوسط الذي سوف تقوم فيه .

وهذا الاستعمار سيحتاج الى تمويل ، ولكن هذا التمويل يسير على يهود العالم ، وهم لن يقدموه تبرعا بل استثمارا وفي المنطقة من الثروات والامكانيات ما هو جدير بأن يضاعف مع مرور الزمن هذه الاستثمارات .

بتاريخ ٨ نوفمبر ١٨٤٢ ابلغ سير موسى مونتفيوري قرار المجلس اليهودي للكولونيل تشرشل فما كان المجلس واثق من ان تحقيق نوايا تشرشل الطيبة

ستكون له فوائد جمة ولكنه يعتقد ان مثل هذه المبادرة تتجاوز صلاحياته ، والمجلس مستعد على كل حال للنظر والاشتراك اذا اهتم بها يهود الدول الاخرى جميعا ٠

جاء الرد قصيرا وفاترا ، وكان رد تشرشل عليه هو الشكر وانه سيظل على كل حال تحت الامر ٠

انتهت هذه الحركة ، وكان تطور الاحوال فى العالم العربى داعياً الى انتهائها فى اغلب الامر، فان نهضة محمد على احبطت والكيان العربىتمزق وكان الناظر السياسى يستبعد ان تقوم لمصر او للعرب قائمة خطيرة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر،ولذلك لمتتحرك الصهيونية ولاالدعوة الى انشاء الدولة اليهودية حتى جاء هرتزل فى آخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين٠

والمهم ـ فيما يخص هذا المقال ـ ان نتبين ان التفكير والتدبير لاقامة دولة يهودية فى فلسطين لم يصدر فى اول امره عن اليهود ، ولـم تكن مناسبته البحث لهم عن ملجأ من الاضطهاد ،ولكنه صدر عن غلاة البريطانيين وكانت مناسبتهضرورة فصل سوريا وفلسطين عن مصر والحيلولة دون انضمامها تحت حكم واحد يضم دول العرب ٠

وليس هذا المقال بحثا تاريخيا بطبيعة الحال ، والهدف من ابراز هذه الحقائق ليس مجرد الاضافة الى وقائع التاريخ المعلومة ، وانمـــا اردت ان اتعمق دراسة المشكلة التى نعيشها لنكون علىهدى مناصولها الىجانب علمنا بتطوراتها وبما وصلت اليه ٠

واذا كان بعض اليهود من الصهيونيين قدتقبلوا وتحمسوا لاقامة دولة اسرائيل ، ثم زادوا فارادوا توسيع رقعتها واستغلال موقعها وزيادة منعتها ، فهذا كله واضح ، ولكن لعل من الخير ان ندرك ايضا ان الدول العظمى كانت لها مصالح توافقت وتتوافق معهذه المصالح ، وهذه المصالح ستبقىمن العوامل الاساسية التى تشكل سلوكها فيما تسميه اليوم بازمة الشرق الاوسط ٠ ■■

القاهرة ــ محمد حسن الزيات

■ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى ، والله غنى حليم ٠
(قرآن كريم)

■ البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك فى نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس ٠
(حديث نبوى)

■ أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان ، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم ٠
(الامام على)

■ ليست الاحلام فى حال الرضا انما الاحلام فى حال الغضب
(مسكين الدارمى)

■ مازينت النساء بشىء كأدب بارع ، تحته لب طاهر ٠
(هند بنت المهلب بن ابى صفرة)

■ لا اليأس مجد ، ولا الامــــال نافعة
اخبث بعيش على الحـــالين مذموم
(ابراهيم عبد القادر المازنى)

العلم في الكتب والفن في الأصابع

■ سألت مستر نورمان دوط ، وكان استاذ جراحة المخ والاعصاب فى جامعة ادنبره ومستشفاها الملكى سنة ١٩٢٨ ، بل لعله كان الرائد الاول لهذه الجراحة هناك ٠٠ وكان مستر دوط هذا عصاميا ، تعلم الطب - على باهظ نفقاته - من كد يديه ٠ وحين اصبح طبيبا ذهب الى الولايات المتحدة على نفقته الخاصة ، وتتلمذ هناك على « كوشنج » الاب الروحى لجراحة المخ والاعصاب فى العالم ، وكان من انبغ تلاميذه.وقد ساعدته على هذا النبوغ اصابع اشبه ما تكون باصابع الفنان ٠٠

سألت الاستاذ دوط ، وانا اودعه ، بعد أن اجرى لى جراحة ناجحة فى الدماغ ٠٠٠ وكان يحيط به خمسة من مساعديه اثنان منهم اجانب ، والثلاثة الباقون انجليز ٠٠

سألته : هل يمكن ان تقبل مبعوثا مصريا ، تمنحه اجازة الزمالة لكلية الجراحين الملكية بادنبره ، مع التخصص فى جراحة الدماغ والاعصاب ؟

وتبسم دوط ، ونظر الى مساعديه واجاب :

- اننى لا اعرف من مساعدى الخمسة هؤلاء ، واحدا تهمه هذه الزمالة ، الا ان تاتى اليه عفوا ، وما أكثر ما تاتى منقادة الى الشخص الموهوب ٠٠٠

قلت :

- لسوء الحظ انها عندنا احدى المؤهلات الاساسية ، للتعيين فى اقسام الجراحة ، باى وظيفة من وظائف التدريس ٠

قال : غريب منكم جدا - انتم المصريين - ولعكم هذا بالدرجات ! ٠٠ ان هذه الدرجة التى تتكلم عنها لا تعنى اكثر من ان صاحبها حفظ كتاب الجراحة عن ظهر قلب ، ومارس الجراحة فى بلده فترة من الزمان ، ولكنها لا يمكن ان تسبغ عليه الموهبة ،

بقلم : الدكتور سعيد عبده

او تمنحه اصابع الجراح الفنان ، او تهب له عبقرية الانامل ، التى تعمل فى هذا المجال كانامل الموسيقار على اصابع « البيان ، Piano » .

وكان منطقة من القوة ومن البساطة بحيث كاد يخرسنى عن التعليق ، لولا أن تمالكت نفسى وقلت :

ـ وماذا لو كان الشخص المبعوث اليك للتخصص حاصلا على درجة الزمالة ؟

قال :

ـ يكون موضع ترحيب ما دام يستوفى الشروط التى اتطلبها من مساعدى .. ان جراحة المخ ولدت فى بلادكم ، وليس احب الى من رد بعض الجميل الى واحد من سلالة هؤلاء العمالقة القدماء !

قلت وما تلك الشروط ؟

قال ان يمكث المبعوث معى فترة من الزمن اطمئن فيها الى مهارة يديه ، ودقة انامله ، فان ارضانى ابقيته معى عامين او ثلاثة اعوام حتى اطمئن الى انه نال من الخبرة والنضج والمران ، ما يمكن ان يؤتمن معه على حياة الاخرين .

قلت : الا تكون هذه فترة طويلة لتدريب جراح كامل التاهيل ؟

قال : هى كذلك فعلا ، ولكنى اجد نفسى مسئولا عن كل طبيب اجيزه للعمل فى جراحة الدماغ والاعصاب .

قلت : وهل يحصل بعد ذلك على درجة ؟

قال وفى تعبير وجهه لمحة من التافف :

ـ انى لا أمنح درجات ، ولكنى اعطى شهادة بالمدة التى قضاها معى المرافق ، وفى اعتقادى انها تغنى عن كل الدرجات !

وانتهى حديثنا عند هذا الحد ، ولكن الموضوع نفسه لم ينته ، اذ لم البث ان عدت الى القاهرة حتى اتصلت بالمغفور له الدكتور على ابراهيم باشا عميد كلية الطب ، وكانت الكلية الوحيدة فى مصر فى ذلك الحين ،ورويت له الحديث ،وكانت بينى وبينه مودة ، ولم يكن بالكلية حينئذ قسم لجراحة المخ والاعصاب ،كالموجود فيها الان ،وظننتها فرصة ذهبية لتمهيد الطريق لانشاء مثل هذا القسم الهام ...

وذكرت الاستاذ العميد برجاء رجوته فيه ذات يوم اثناء مرضى بالام عصب الحس فى شق وجهى الايمن .. أن ينقذنى منهذه الالآم التعسة ،باجراء جراحة لى فى الدماغ ، فقال لى يومئذ : اسمع يابنى ؟ لا انا ولا احد من زملائى الجراحين هنا ، مارس هذه الجراحة قط ، ولا جرؤ على القيام بها، فلا تكن اول مريض نتعلمها فيه ! .. ان هنا استاذا اجنبيا يزعم انه يجريها ، فاسال الدكتور عبد الله الكاتب عن مصير اصحاب الجراحات الثلاث التى اجراها فى هذا المجال ! .. وشعرت يومها بخيبة امل شديدة،عادت الى خاطرى بصورتها المؤلمة ، وانا احدث الاستاذ العميد عن امكان ارسال واحد من زملاء كلية الجراحة الملكية بلندن أو بادنبره للتخصص فى جراحة الدماغ والاعصاب .

ولم يكد على باشا يستمع هذا الاقتراح حتى قهقه ضاحكا وقال :

ـ ان عليك ان تقنع واحدا من هؤلاء الزملاء ، وعيادة كل منهم تدر عليه مئات الجنيهات فى الشهر الان ، ان يهجر عيادته ، ويضيع من عمره عامين او ثلاثة اخرى ، يمكن ان يصبح خلالها نصف مليونير!

قلت ولماذا لا يرسل فى هذه المهمة مبعوث ناشىء، دون ان تشترطوا عليه الحصول على درجة الزمالة، ليعين مدرسا حين يعود ؟

قال وهو يتململ وكانما ينبهنى الى ان الحديث قد طال :

ـ ان شخصا مثل هذا ـ حتى لو كان نورمان دوط نفسه ، لايمكن ان يقنع قانون الجامعة الحالى، بتعيينه فى وظيفة مدرس ، بله الترقية الى وظيفة استاذ ،مطلوب منه ان ينشىء قسما ويمنح درجات'

وافحمنى ٠٠٠٠

تذكرت هذه الاحاديث وانا راقد فى سرير بمستشفى قصر العينى سنة ١٩٤٧ ، انتظر اجراء جراحة لى لاستئصال الزائدة الدودية ، ولم اكن اعرف فى اى قسم من اقسام الجراحة بالمستشفى اقيم ، فقد دهمتنى بوادر التهاب هذه الزائدة وانا سائر ليلا فى الطريق ،ففيرت وجهتى ،واتجهت الى المستشفى رأسا ، واسلمت نفسى لاول نائب من نواب الاقسام الجراحية صادفته ، فوضعنى تحت الملاحظة حتى الصباح •

وفى الصباح لم يبق ثمة اى شك فى التشخيص، فاتصل النائب باستاذ القسم ، داعيا اياه ، ليجرى لى جراحة الاستئصال •

وخلال ذلك جاءنى رئيس الممرضين بالقسم ،وكان يعرفنى ، وكان التمريض حتى ذلك الحين ، ما زال بعضه ـ بعد ان كان كله على التقريب ـ فى ايدى ممرضين من الرجال ،فقال لى وعلى وجهه كل مظاهر الفزع :

ـ الا تعرف من سيجرى لك الجراحة ؟

قلت : كلا

قال : انه الاستاذ فلان !

قلت مخلصا : وماذا فى ذلك ؟ (ان الاستاذ ، كان زميلا لى فوق انه زميل لكلية الجراحين الملكية فى لندن) •

قال الرجل فى ذعر وضيق :

ـ يده ! ٠٠يده يادكتور قليلة البركات ٠٠ انه لم يجر جراحة لاحد وسلم ، ان لم يمت اصيب بعاهة ، وان لم يصب ظل طريح الفراش عدة اسابيع !

وغاظتنى هذه اللهجة يتحدث بها ممرض عن استاذ ، ولكنى عزوتها لحسن النية ، والرغبة فى الغير ، فصحت به :

ـ اذهب لحالك ٠٠ ولا تكن كغراب البين !

ودخل علينا الغرفة زميل كان يعمل بقسم الامراض بالكلية (الباثولوجيا) ثم اصبح فيما بعد استاذا لقسم الامراض بجامعة عين شمس ، فلما ادرك سبب صياحى قال لى :

ـ لقد نصحك ! ٠٠ وانت من حقك ان تطلب موررو باشا او المنياوى باشا او عبد الله الكاتب بك ، وما على احد منهم من حرج ان يجرى لك الجراحة فى اى قسم من الاقسام •

قلت بعناد : لن اطلب احدا ٠٠ وليكن مايكون! وجاء طبيب الامتياز بالقسم ، وكان تلميذا لى ، وادلى بدلوه فى هذا الحوار العجيب فقال :

ـ ان العميد كان هنا البارحة ، وكان يحقق فى امر مريض وفد على المستشفى ليستاصل ورما فى الغدة الدرقية بالعنق ،فاستاصل له الاستاذ الورم، واستاصل معه اعصاب الحنجرة ، واصبح المريض اخرس ٠٠

واضاف زميلى فى قسم الامراض :

ـ الا تذكر الجثة التى قمت انت بتشريحها فى العام الماضى اثر جراحة لفتق مزدوج ٠٠ فوجدت ان المريض لم يفقد الحياة فحسب،ولكنه فقد كذلك قبيل فقدانها قدرته على ٠٠

قلت : لا تكمل ٠٠٠ ارجوك ، انى اعتزمت فى نفسى امرا ولن يقوم باجراء الجراحة لى غير هذا الاستاذ •

قال : انك مجنون !

قلت : قد اكون ، ولكنى اومن بالله ، وبان لكل

اجل كتابا ، واذا كانت نهايتى على يديه فليكن ما اراده‌الله •

قال : ولكن الله امرنا الا نلقى بايدينا الــى التهلكة •••

قلت :ومن ادراك انى شديد الحرص على الحياة؟

وانقطع الحديث بدخول طبيب التخدير •

ونمت فلم اصح الا على وجه زميلى فى قسم الامراض •

سالته وانا لما ازل فى بقية من غيابة التخدير :

ـ الم يحضر الاستاذ بعد ؟

قال : لقد انتهت الجراحة وكتب لك عمر جديد•

فضحكت قائلا : ولقــد ذهبت توقعاتكم جميعــا ادراج الرياح !

قال : كانت نجاتك معجزة ••• ان الجراحــين يستاصلون الــزائدة الملتهبة مــن قطع فى جــدار البطن لا يزيد على بضع سنتميترات •• اتدرى كم بلغ طول جرحك ؟

قلت : لا أريد أن أعرف ••

قــال : وبدلا من ان يدخل فــى بطنك اصبعين يستخلص بهما الزائدة الملتهبة فى رفق ، ضرب قبضة يده كلها فى بطنك ، وبمنتهى العنف ، وكأنه يلاكم الزائدة الملتهبة ، ويريد ان يصرعها بضربة قاضية ، فشهقت شهقة خلت ان روحك صعدت الى السماء •

قلت : انك ترى انها لا زالت على الارض !

قال : وهل تعلم •• ؟

قلت : حسبك •• لا اريد أن اعلم شيئا ، ان كل ماينتهى بخير ، خير •• فدعنى بالله لانام •

الله يعلم انى لم اصدق اكثر ما قالوه فى هذا الاستاذ ، فالناس حين يتحدث بعضهم عن بعض يسرفون ، ويبلــغ الاسراف قصاراه حين يكــون للعقيقة ظل فيما يقولون •• وحتى تلك الجثة التى تحدث عن صاحبها زميلى فى قسم الامراض . لم تترك يوم تشريحها فى نفسى ، اثرا اعمق مما كان غيرها يترك ، مما يكشف عنه التشريح مــن أخطاء الاطباء •• وما كان اكثر ما تكتم المشرحة من مثل هذه الاسرار !

بيد ان هذا التبرير انهار كله بعد شهر واحد ـ حين سمعت ان العميد تلاقى مع هذا الاستاذ فى جلسة طويلة ، سرية . واستحلفه علــى القرآن الكريم الا يمسك فى حياته مبضعا ، وان ينقله نظير ذلك الى قسم آخر من‌اقسام الفروع الجراحية الجديــدة التــى لا مجال فيهــا لاستعمال المقص والسكين •••

ونقل الاستاذ بالفعل الى هذا القسم الجديد، وفتح الله عليه ، فنجح نجاحا باهرا فيه •

وعاودتنى يومئذ كلمة الاستاذ دوط وخلاصتها ان زمالة كلية الجراحين الملكية تصبح مجرد ورقة اذا لم يؤت صاحبها انامل فنان •

وادركت‌حينئذ لماذا كان الاستاذ آرثر برنارد شو ـوهو ابن‌عم جورج برنادر شو الكبير ـوكان‌اعظم استاذ رأس قسم الباثولوجيا فى كلية طب القاهرة فى الثلاثينات ، وكان هو من قدمنى الى نورمان دوط •• ادركت لماذا كان يسال كل مرشح للعمل مساعدا فنيا فى قسمه، ان كان قد عمل عملا يدويا فى حياته : نساجا مثلا او ساعاتيا او اسكافا او عاملا فى اصلاح السيارات •• وكان يفسر سؤاله هذا لمن يستغربونه بان تحضير شرائح الانسجة

للفحص الميكروسكوبي يحتاج لنفس اللمسة الفنية التي تحتاج اليها انامل الجراح !

وادركت اكثر واكثر ٠٠ سفاهة الطريقة التي نحشر فيها الطلاب في كلية الطب حسب مايحصلون عليه في امتحان الثانوية العامة منمجاميع الدرجات ٠٠ ان هذا الحشر ، وعلى هذا الاساس قد يصلح في كلية نظرية ، اما في الكليات العملية ،وبخاصة في كلية يتعامل طلبتها وخريجوها معالموت والحياة، ومع المقص والسكين ، فما اكثر ماتنتهي اعلى مجاميع الدرجات باتعس المآسي في الحياة ٠

وادركت فوق هذا وذاك لماذا اجد في وجهيفرقا كبيرا بين جراحتي دماغ متشابهتين ، تنعكس آثار كل منهما على جانب بذاته منجانبي وجهي ،الاولى هي التي اجراها لي الاستاذ دوط سنة ١٩٣٨ ،وقد مرت بدون ادنى مضاعفات غير متوقعة ، والثانية اجراها جراح آخر في ادنبره سنة ١٩٥٠ بعد ان تقاعد الاستاذ دوط ،فكدت افقد في اعقابها الحياة، ولما نجوت كدت افقد احدى عيني لولا لطف الله ، وخرجت في النهاية بفقد الحس بالقبلة في نصف فمي ، كما فقدت معظم السيطرة على هذا النصف اثناء الطعام ٠٠ ولكن الجراحة مع ذلك نجحت من حيث الغرض الذي كنا نتوخاه انا والجراح ٠٠٠ وهو تهذيب الالم المبرح العنيد ، لقد كان الفرق بين الجراحتين كالفرق بين « خبطة المعلم » الفنان ، وضربة الفاس في يد فلاح نصف غشيم !

ان الاستاذ دوط ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ بدا حياته صبي نجار،واستمر يعمل فيهذه الحرفة، حتى جمع منها ما اعانه على دخول كلية الطب ، ثم ساعده بعد التخرج فيها علىالسفر الى الولايات المتحدة ، والتخصص في جراحة الدماغ والاعصاب، ولم يكن يانف البتة من الزهو بهذه الفاتحة المتواضعة لحياته العصامية ، ويقول انى مدين لها بالكثير مما صادفت في حياتي من شهرة ونجاح ٠

لقد كانت آخر كلماته لي :

ـ هل يمكن ان تؤدي لي جميلا لا انساه !

قلت للرجل الذي لم ياخذ مني قرشا عنالجراحة التي اجراها لي ، في ذات الوقت الذي اخذ فيه على نفس الجراحة خمسة آلاف جنيه استرليني من احد تجار الماس في افريقيا الجنوبية ٠٠ الرجل الذي نزللي عنحجرته الخاصة حين لم يوجدمكان لي في القسم الذي يشرف عليه ٠٠

قلت :

ـ لك الامر وعلى الطاعة ٠

قال : لقد قمت بهذه الجراحة لعدة آلاف من المرضى، وحتى الان لم استطع ان استخلص رايا حددا عن نتائج استئصال عصب الحس في الوجه . جزء منه ، فهل لي ان اعتمد عليك في كتابة تقرير نصف سنوي ، لمدة عامين ، عما يسميه معظم المرضى « بشبح » العصب الذي مات ٠٠ ماهو ، وما اوصافه ، والى متى يدوم ، وما هي الوسائل التي يستعين بها عليه المريض ؟ لقد اخبرني «شو» انك كاتب وطبيب ٠٠ فهل تقوم لي بهذا العمل « الجليل » !

لقد ذهلت من هذا الطلب المتواضع الذي حرصت على الوفاء به ، متذكرا على الدوام ان سحر « دوط » لم يكن في انامله وحدها ، ولكنه كان كذلك في العقل الذي لم يترفع عن طلب العلم ، حتى وهو في اعلى قمة من قمم المجد والنبوغ ٠

■■

د ٠ سعيد عبده

مقالات في كلمات

قاسم امين

عباس العقاد

- الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأى ، ونشر كل مذهب ، وترويج كل فكر ٠

(قاسم امين)

- الشاعر الذى لا تعرفه من شعره لا يستحق ان يعرف ٠

(عباس محمود العقاد)

- أأحب قوما لم يحبوا ربهم — الا لفردوس لديه ونار

(ابن الرومى)

- ما أكثر القيود التى تربط الانسان بالدنيا ، ولكن اعجبها جميعا قيد الامل ٠

(تاجور)

- تسلية الانسان نفسه اولى له وانفع من الانقباض والغم

(ديوجين)

- لا يصلح النفس انكانت مدابرة — الا التنقل منحال الى حال

(ابو العتاهية)

- حين يحل فى نفوســـنا معنى قدسى رفيع فانه يقوينا على اقتحام معارك العالم ، وحين تذكر اصغر الواجبات بعلاقتنا بالله لا يلبث الارضى ان يصير فى تقـــديرنا ســـماويا ، والزمانى ابديا ، كأن حياتنا كلها حياة فى الله ٠

(مكس مولر)

- تأخرت استبقى الحياة، فلم اجد — لنفسى حياة غير ان أتقدما

(الحصين بن الحمام المرى)

- اذا لزم النقد ، فلا يكون الباعث عليه الحقد ، ولكن موجها الى الاراء بالتمحيص لا الى الاشخاص بالتنقيص ٠

(محمد البشير الابراهيمى)

- الشك فى الاصدقاء ادعى الى الخجل من الانخداع بهم ٠

(لارشفوكو)

للفحص الميكروسكوبى يحتاج لنفس اللمسة الفنية التى تحتاج اليها انامل الجراح !

وادركت اكثر واكثر ٠٠ سفاهة الطريقة التى نحشر فيها الطلاب فى كلية الطب حسب مايحصلون عليه فى امتحان الثانوية العامة منمجاميع الدرجات ٠٠ ان هذا العشر ، وعلى هذا الاساس قد يصلح فى كلية نظرية ، اما فى الكليات العملية ،وبخاصة فى كلية يتعامل طلبتها وخريجوها معالموت والحياة، ومع المقص والسكين ، فما اكثر ماتنتهى اعلى مجاميع الدرجات باتعس المآسى فى الحياة ٠

وادركت فوق هذا وذاك لماذا اجد فى وجهىفرقا كبيرا بين جراحتى دماغ متشابهتين ، تنعكس آثار كل منهما على جانب بذاته منجانبى وجهى ،الاولى هى التى اجراها لى الاستاذ دوط سنة ١٩٣٨ ،وقد مرت بدون ادنى مضاعفات غير متوقعة ، والثانية اجراها جراح آخر فى ادنبره سنة ١٩٥٠ بعد ان تقاعد الاستاذ دوط ،فكدت افقد فى اعقابها الحياة، ولما نجوت كدت افقد احدى عينى لولا لطف الله ، وخرجت فى النهاية بفقد الحس بالقبلة فى نصف فمى ، كما فقدت معظم السيطرة على هذا النصف اثناء الطعام ٠٠ ولكن الجراحة مع ذلك نجحت من حيث الغرض الذى كنا نتوخاه انا والجراح ٠٠٠ وهو تهذيب الالم المبرح العنيد ، لقد كان الفرق بين الجراحتين كالفرق بين « خيطة المعلم » الفنان ، وضربة الفاس فى يد فلاح نصف غشيم !

ان الاستاذ دوط ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ بدأ حياته صبى نجار،واستمر يعمل فىهذه الحرفة، حتى جمع منها ما اعانه على دخول كلية الطب ، ثم ساعده بعد التخرج فيها علىالسفر الى الولايات المتحدة ، والتخصص فى جراحة الدماغ والاعصاب، ولم يكن يانف البتة من الزهو بهذه الفاتحة المتواضعة لحياته العصامية ، ويقول انى مدين لها بالكثير مما صادفت فى حياتى من شهرة ونجاح ٠

لقد كانت آخر كلماته لى :

ـ هل يمكن ان تؤدى لى جميلا لا انساه !

قلت للرجل الذى لم ياخذ منى قرشا عنالجراحة التى اجراها لى ، فى ذات الوقت الذى اخذ فيه على نفس الجراحة خمسة آلاف جنيه استرلينى من احد تجار الماس فى افريقيا الجنوبية ٠٠ الرجل الذى نزللى عنحجرته الخاصة حين لم يوجدمكان لى فى القسم الذى يشرف عليه ٠٠

قلت :

ـ لك الامر وعلى الطاعة ٠

قال : لقد قمت بهذه الجراحة لعدة آلاف من المرضى، وحتى الان لم استطع ان استخلص رأيا حددا عن نتائج استئصال عصب الحس فى الوجه ـ جزء منه ، فهل لى ان اعتمد عليك فى كتابة تقرير نصف سنوى ، لمدة عامين ، عما يسميه معظم المرضى « بشبح » العصب الذى مات ٠٠ ماهو ، وما اوصافه ، والى متى يدوم ، وما هى الوسائل التى يستعين بها عليه المريض ؟ لقد اخبرنى «شو» انك كاتب وطبيب ٠٠ فهل تقوم لى بهذا العمل « الجليل » !

لقد ذهلت من هذا الطلب المتواضع الذى حرصت على الوفاء به ، متذكرا على الدوام ان سحر « دوط » لم يكن فى انامله وحدها ، ولكنه كان كذلك فى العقل الذى لم يترفع عن طلب العلم ، حتى وهو فى اعلى قمة من قمم المجد والنبوغ ٠

د ٠ سعيد عبده

مقالات في كلمات

قاسم امين

عباس العقاد

■ الحرية الحقيقية تحتمل ابداء كل رأى ، ونشر كل مذهب ، وترويج كل فكر ٠
(قاسم امين)

■ الشاعر الذى لا تعرفه من شعره لا يستحق ان يعرف ٠
(عباس محمود العقاد)

■ أأحب قوما لم يحبوا ربهم   الا لفردوس لديه ونار
(ابن الرومى)

■ ما أكثر القيود التى تربط الانسان بالدنيا ، ولكن اعجبها جميعا قيد الامل ٠
(تاجور)

■ تسلية الانسان نفسه اولى له وانفع من الانقباض والغم
(ديوجين)

■ لا يصلح النفس انكانت مدابرة   الا التنقل منحال الى حال
(ابو العتاهية)

■ حين يحل فى نفوســـنا معنى قدسى رفيع فانه يقوينا على اقتحام معارك العالم ، وحين تذكر اصغر الواجبات بعلاقتنا بالله لا يلبث الارضى ان يصير فى تقـــديرنا سمـــاويا ، والزمانى ابديا ، كأن حياتنا كلها حياة فى الله ٠
(مكس مولر)

■ تأخرت استبقى الحياة، فلم اجد   لنفسى حياة غير ان اتقدما
(الحصين بن الحمام المرى)

■ اذا لزم النقد ، فلا يكون الباعث عليه الحقد ، ولكن موجها الى الاراء بالتمحيص لا الى الاشخاص بالتنقيص ٠
(محمد البشير الابراهيمى)

■ الشك فى الاصدقاء ادعى الى الخجل من الانخداع بهم ٠
(لارشفوكو)

■ فى السنوات الماضية ، عندما كنت امر ببيروت ، كان ينتابنى حزن شديد لاننى كنت افتقد فيها الوجه العربى للبنان٠ لكن مشاعر الحزن تحولت هذه المرة الى فجيعة وأسى لا يوصف، لاننى لم أجد لبنان ذاته ٠ كما ان المستقبل المرئى لا يبشر بقرب مولده ٠

تعمير لبنان

استطلاع بقلم : فهمى هويدى

بيروت تستعد لمشوار التعمير ٠ يتخلصون من الانقاض، ويبيعونها « بالكيلو » (فوق) ـ البيع والشراء على الرصيف جنبا الى جنب مع الخراب فى ساحة البرج (الى اليمين) ـ يحرقون الفضلات والبقايا (الى اليسار) ٠
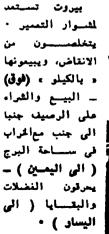
قبل الذى سيجرى ، دعونا نتذكر فى البدايةحصيلة بعض الذى جرى • تحولت لبنان الى انقاض قدرت خسائرها باربعة بلايين دولار •وسقط تحت الانقاض ٦٠ الف شهيد ، و ٢٠٠الف جريح ، غير عدد يصعب حصره من المشوهين •وخلفت الحرب ١٠٠ الف يتيم ، بينما طردت مليون و ٣٥٠ الف مواطن خارج لبنان • حدث.لك خلال قتال استمر ١٩ شهرا ، رفع فيه جانب شعار « التغيير » وظلت الخريطة كما هى •ورفعطرف آخر شعار « السيادة » وظلت الاوضاع كما هى • وكان يامل الطرفان أن يخرجا على أسوأالفروض بنتيجة « لا غالب ولا مغلوب » ، لكنحتى هذا الهدف لم يتحقق ، فقد صار الكل مغلوبا !

وعلى حد تعبير المفكر اللبناني الدكتور حسن صعب ، فقد تحول الوطن الى مسخ غريب وبالغ الشذوذ • صار لبنان اللادولة ، واللاعروبة ، واللاديمقراطى • صار شيئا يستحيل تصوره ، وبالتالى يستحيل وصفه •

فى البدء كان الهدف هو محاولة البحث عن « لبنان الجديد » • ذلك أن اكثرنا يظن أن لحظة الميلاد قد حانت • فالحرب انتهت رسميا • والقوات العربية ماضية فى « الفصل بين المتحاربين » • والمساعدات العربية والاجنبية فى الطريق • وغدا يبنى ما دمر • ويتم تشغيل المصانع ، ولا بد بعدئذ ان ينهض مركز المال والتجارة •• ويعود الامر الى شرايين لبنان •وما فات مات !

بهذه البساطة يطرح اكثرنا القضية • وبهذا التفاؤل يرى اكثرنا المستقبل ، عندما نطل على لبنان من الخارج • من أخبار الصحف ونشرات الاذاعات وتصريحات المسئولين •

غير اننا نغالط انفسنا ، بل نرتكب جرما فادحا اذا بسطنا القضية الى هذا المدى • ومثلما كانت حرب لبنان هى من اكثر صفقات التاريخ خسارة، فان هذا التبسيط يعد انسياقا وراء أكثر الاوهام خداعا •

من الداخل تختلف الصورة تماما، وتختلف معها المقاييس والحسابات ، والتنبؤات ايضا •

من الداخل يظل الحديث عن لبنان الجديد ضربا من الحدس والتخمين • يظل املا بعيد المنال يراود الذين يحلمون بوطن مستقر ومتحضر • اولئك الذين مازالوا يسالون : كيف يمكن تثبيتالتعايش الدائم والراسخ بين اللبنانيين على اختلاف طوائفهم ،.من خلال صيغة عادلة تجعل من لبنان وطنا لا شركة مساهمة ، ولا عقدا ينتهى بانتهاء العمل به ، او باخلال احد اطرافه ، مما يؤدى الى ثورة تتكرر كل عشرين او ثلاثين سنة ، كما حدث حتى ،لآن ؟

،لاجابة الموضوعية للسؤال معروفة • وليست المشكلة فى الجهل بها ، ولكن المشكلة الحقيقية ، بل المعجزة الحقيقية ، هى كيف تطبق الاجابة ، ويلتزم بها الجميع فى صدق واخلاص •

لبنان الجديد الذى نحلم به لن يولد الا اذا تغيرت الخريطة السياسية والاجتماعية للدولة ، وهى حقيقة لا يختلف حولها احد ، لكن طريق التغيير ملىء بالالغام والاشواك •• والسدود •

ولبنان الجديد الذى نحلم به لن يولد الا اذا تمت تسوية مشكلة اخرى جوهرية اعتبرت من الاسباب الرئيسية لانفجار الصراع وتصعيده ، وهى المشكلة الفلسطينية • وتلك ايضا حقيقة لا يختلف حولها احد • لكن الحديث عن التسوية الان ما زال تائها فىسراديب السياسة والسياسيين، فى المنطقة وفى الدول الكبرى •

لهذا - اكرر فان الحديث عن لبنان الجديد لا يخلو من حدس وتخمين ، ومتاهات لا أول لها ولا آخر •

مشكلة الامن اولا

،لحديث عن تعمير لبنان - اذن - هو الممكن ،لان ، رغم أن الفصل بين قضيتى التعمير وبناء لبنان الجديد فيه قدر من التعسف والافتعال • ورغم أن الفصل بين تخريب لبنان والمخططات

المرسومة لتعتيم المنطقة كحلقة فى مسلسل غامض لم تتكشف ابعاده بعد ، هذا الفصل لا يخلو ايضا من التعسف والافتعال ٠

تعمير لبنان لا بد أن يسبقه استقرار الامن ٠ هكذا يقول الرئيس سركيس ورئيس الوزراء وكل مطلع على ما يجرى فى الساحة اللبنانية ٠ذلك انه من الامور البديهية ان احدا لن يرمم بيتا ، او محلا تجاريا كما ان احدا لن ينشىء مشروعا او يستثمر مالا ، بل أن أحدا لن يخرج للشراء ، ما دام الشعور السائد أن الرصـاص ينهمر فى اى وقت ، وان حواجز الموت جاهزة للعمل فى ثوان ٠ وان طريق الجحيم ما زال مفتوحا ٠

والمشكلة فى قضية الامن انه لا يتحقق بمجـرد الاعلان عن استقراره فى الصحف ٠ او الاطمئنان الى وجود قــوة ردع عربية ، او حتى التاكد من سحب الاسلحة الثقيلة من المتحاربين ٠ المشـكلة أن الامن شعور داخلى ٠ احساس لا يصنع بقرار، ولكنه ينمو ببطء وتدرج ٠ اختفت مشاهد الموت والرعب هذا صحيح ٠ ولكن الخوف يعشش فىكل قلب، والحذر عند أكثر الناس تفاؤلا٠اما الامن، أما الثقة والاسترخاء فلن يكون الا فى ظل لبنان الجديد الذى نحلم به ، فى ظل بناء ثابت الاركان لا تقوضه رصاصة ٠فى ظل وطن بالمعنى الصحيح٠

الم اقل لكم أن الفصلبين قضيتى التعمير وبناء لبنان الجديد فيه قدر من التعسف والافتعال ؟!

عندما يستقبلك الخوف

يستقبلك الخوف عندما تجتاز حدود لبنان ٠ بل حتى قبل الوصول الى الحدود ٠

من دمشق كانت رحلتى الى لبنـان ، لان كل الطائرات المتجهة الى بيروت كانت محجوزة لثلاثة اسابيع مقبلة٠ ذهبت الى « مركز انطلاق سيارات الاجرة الى لبنان والاردن » فى قلب دمشق باحثا عن «تاكسى» ٠ وفوجئت بان بعض الركاب يريدون الذهاب الى مناطق محددة فى بيروت ، وليس الى المكان المتعارف عليه كمحطة اخيرة منذ زمن وهو

شـبـاب الجيل الجديد يطالع ما فعله الجيل الذى سبقه ٠

ساحة البرج ٠ وفهمت أن هؤلاء الركاب يرفضون النزول فى ساحة البرج لانها تدخـل فى نطاق بيروت الغربية (التى كانت تحت سيطرة القـوى الوطنية والتقدمية) ٠ ويصرون على ان يتوجهوا مباشرة الى بيروت الشرقية حيث منطقة القــوى الانعزالية اثناء الحرب ٠ وسائقو التاكسى فى كل منطقة ما زالـوا يترددون كثيرا فى الذهاب الى المنطقة الاخرى ٠ وبعضهم يرفض «المخاطرة» تماما ٠ انه الخــوف منذ اللحظة الاولى ٠ انها الحواجز التى رفعت من الشوارع وبقيتفى اعماق الناس ٠

تتوقف ١١ مرة قبل أن تصل الى قلب بيروت، امام مراكز قوات الردع ٠ نظرة سريعة الى داخل السيارة ، وقراءة عيون ركابها ، والاطلاع على

من المشاهد الشائعة فى بيروت الان، منظر اللبنانيين العائدين من الخارج وهم يطوفون بانحاء المدينة · بعضهم يبحث عن سكنه واثاث بيته · وبعضهم يتأمل ما جرى ، ولا يكاد يصـــدق · والنتيجة واحدة فى الحالتين ، فجيعة وصدمة ، واحيانا دموع اسى وندم ·

سمعت واحدا منهم يضرب كفا بكف ويقول باللهجة اللبنـانية وهو يتطلع الى آثار الدمار : شو عملنا بحالنا ؟ ولا شـو ؟

لقد راحت السكرة ، وجاءت الفكرة!

• • •

الهوية احيانا ، لم يسمح لك بالمرور ، مودعا بالعبارة التقليدية : « يعطيك العافية » .

نسم رائحة البارود . وتقترب من موكب الانقاض ، وتقرأ المعركة على الجدران . كلمات الخيانة . الاستسلام. الجبناء . العملاء .الشهيرة في القاموس السياسي العربي ، قاسم مشترك لا تخطئه العين .

تقرأ ايضا اسماء حركية من وحي الاحداث : ابو الجماجم . ابو الموت . ابو قذائف . ابو طعام .

يفزعك المشهد في ساحة البرج .

تتذكر كوارث الطبيعة ، تستعيد اسماء اشهر وسائل التخريب والدمار في التاريخ . تعرف كيف تكون هناك مدينة للموت او للاشباح . لا تصدق انه كانت هنا حياة دافقة . كانت الساحة مركزا للتجارة والمواصلات لا يهدأ .

تكتشف بعد قليل ان الصورة مكررة في ساحة الشهداء وشارع المصارف . والشياح وعين الرمانة . وميناء بيروت ، وكل مناطق « التماس » بين الفريقين . يقولون لك ان المحلات التجارية الكبرى كانت في مقدمة ما دمر ونهب ، تعبيرا عن البعد الاجتماعي للصراع . وان كل الاسواق التجارية نهبت عن آخرها . يثير انتباهك على الفور ان هناك محلات كبرى ما زالت على حالها لم تمس. يبتسمون من حولك ويقولون ان اصحاب هذه المحلات « دفعوا » للجماعات المتقاتلة . الوف الليرات دفعها بعض الرأسماليين الكبار لقادة تلك الجماعات ، حتى لا تخرب محلاتهم . قيمة السلع التي في المتجر ، وقيمة المتجر ذاته ، قبضها بعض « القادة » مقابل تلك الحماية .

اكذوبة الحضارة

تفاجأ بعد قليل بان هناك هولا اكبر . تسمع قصصا يشيب لها الوجدان عما جرى في منطقتي المسلخ والكارنتينا . تتمنى ـ من الهول ـ ان لو اقتصر الامر على النسف والتدمير والقتل . تكاد تسد اذنيك حتى لا تسمع قصص التشويه والتمثيل بالجثث . الاحياء قبل الاموات ، والاطفال قبل الكبار .

يتذكرون التفاصيل كاذنما المأساة حدثت هذا الصباح .

تسأل : لماذا ، وكيف ، ومتى ، تراكم هذا المخزون الهائل من الحقد الاسود ؟

وتسقط تحت قدميك اكذوبة انه كانت هنا حضارة .

لا تفيق من الذهول وانت تتجول في بيروت ، يحاولون رفع الانقاض. يمدون السلالم والرافعات الخشبية لتصل الى مواقع القذائف والصواريخ . كثيرون يبحثون عما تبقى من منازلهم . لا الاثاث طبعا ، فقد نهب اكثره . ولكن الجدران والنوافذ والابواب . كثيرون يقفون امام الانقاض ولا يستطيعون حبس دموعهم . عندئذ تكتشف انه ما زالت في بيروت دموع . وان مخزون الحزن لم ينفد .

تكتشف ايضا ان الحزن مزروع في كل العيون. وان الذين عاشوا المأساة اصابتهم الشيخوخة جميعا . شابت رءوسهم ، وزحفت التجاعيد الى وجوههم ، بينما اصابعهم ترتعش وهم يقدمون لك سيجارة او فنجان قهوة .

حتى لهو الاطفال صار غريبا . صارت « الحواجز » هي لعبة الكثيرين منهم . يقفزون امامك فجأة ، ويسدون الطريق بعصا طويلة ،ثم يسألون : هويتك . تعال معنا . ترتبك ولا تفهم. فقد كانت رحلة الموت والتمثيل تبدأ هكذا .

وكان بعض هؤلاء قبل شهور يحملون الكلاشنكوف ويقفون وراء المتاريس . كانوا قتلة وهم بعد في سن الثانية او الثالثة عشرة . ينفجرون ضاحكين عندما تتعثر ولا تجد ما تقوله .

الارقام تتكلم ..

تجسد الارقام مأساة خراب لبنان ..

التقدير الرسمي للخسائر التي نجمت عن الح

هو ٤ بلايين دولار • اى حوالي ١١ بليون ليرة لبنانية •

تتضح الصورة اكثر اذا اقتربنا من بعض التفاصيل • يقول تقرير جمعية التجار الى الرئيس سركيس « ان الحرب القذرة اصابت القطاع التجارى اصابة مميتة • فقد تهدمت واحرقت ٦ آلاف مؤسسة تجارية في بيروت ، بلغت خسائرها ٤ مليارات ونصف مليار ليرة » •

تقرير لجنة تطوير مرفا بيروت يقول ان خسائره التى ترتبت على تدميره بلغت ٥٥ مليون ليرة ، وان قيمة البضائع المحروقة والمسروقة من المرفا ٢ مليار و ٥٠٠ مليون ليرة • وما سرق من المستودعات قيمته مليار ليرة • وان الدمار في المرفا اصاب : ٢٠٠ مستودع ، ٣٣٣ آلية ، و ٥٠٠ مقطورة •

وزارة التصميم وبنك الانماء الصناعى قدرا قيمة خسائر قطاع الصناعة بمبلغ يتراوح بين ٦٠٠ و ٨٠٠ مليون ليرة •

رئيس عملاء بورصة بيروت يقول انه خلال عمليات نهب بعض البنوك سرقت اسهم « لحامله » قيمتها ٢٠٠ مليون ليرة •

خسائر مديرية البرق والبريد والهاتف ١٣٥ مليون ليرة • الكهرباء والمياه ١٠٠ مليون ليرة • مصلحة النقل المشترك ٢٧ مليون ليرة بينها ٧ ملايين قيمة ١٥٠ اتوبيس احرقت واستخدمت كمتاريس اثناء القتال •

وهكذا لم ينج قطاع من الخراب والخسائر ، وكلها بالملايين •

وحتى نستوعب هذه الارقام ، فمن الضرورى ان نقف قليلا امام الخريطة الاقتصادية للبنان ككل•

ذلك ان الاقتصاد اللبناني يقوم اساسا على الخدمات ، التى تشكل ٦٠ ٪ من نسبة الدخل القومى • تحتل التجارة نصفها ، والخدمات المصرفية حوالى ١٥٪ ، وكان هذا القطاع – الخدمات – هو اكثر ما اصيب بالضرر نتيجة للقتال •

النسبة الباقية من الدخل موزعة بين الزراعة والصناعة والسياحة •

الزراعة منيت بخسائر شديدة في الربيع الماضى خلال التحركات العسكرية في وادى البقاع ، ولكنها سرعان ما عادت كما كانت • واستانفت التصدير بالشاحنات عبر دمشق الى دول الخليج العربى •

الصناعة : استمرت المصانع التى تعمل في المناطق «الامنة»بنصفطاقتها اغلب فترة القتال•الاانالكثير منها توقف عن العمل ، اما بسبب القصف ، او بسبب انقطاع الماء والتيار الكهربائى • او لان الاطراف المتقاتلة احتلتها و «تمترست» فيها ، كما يقولون • ولم يخل الامر من عمليات نهب وسرقة •

اما قطاع السياحة فلا معنى للحديث عنه ، لانه كان اول القطاعات التى اصيبت بالشلل ، ليس مع بدء القتال ، ولكن منذ لاحت نذره في الافق •

واذا كان ميناء بيروت قد توقف الا ان ميناء جونيه التى كان يرشحها الانعزاليون عاصمة لهم ظهر الى الوجود ، وازدهر طوال القتال • حتى اطلق على المدينة بعد شهور قليلة من القتال انها اصبحت هونج كونج الشرق • كل سلعة مفتوحة امامها الابواب بغير قيود ولا رسوم ولا قانون .وهو ما تعاظمت بسببه عمليات التهريب الواسعةالنطاق بينما القتال عنيف والدماء تملأ شوارع بيروت •

والى جانب جونيه ، فقد دبت الحياة ايضا في مينائى طرابلس وصيدا ، وقد كانتا تحت سيطرة الفريق الاخر •

ومن ناحية اخرى،فقد افرزتفترة القتال تركيبا جديدا فيلبنان لا يمكن تجاهله •فريق هجر الارض وفريق هجر الوطن كله طلبا للحماية (وهؤلاء تقدرهم الارقام الرسمية بمليون و٣٥٠ الفشخص) وفريق ثالث اما ترك القرى طواعية ليستوطن في حماية « جماعته » ، بتعبيرهم ، او أجبر علىترك موقعه لاسباب متعلقة بخطط التقسيم الخفية ، كما حدث بالنسبةلسكان منطقتى الكارنتيناوالمسلخ•

• • •
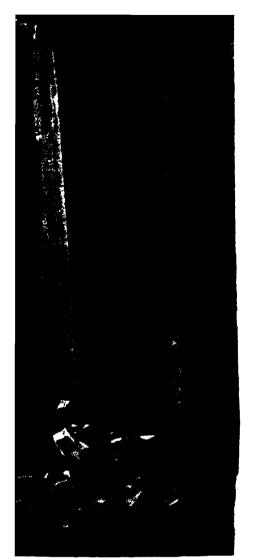
بعض البدايات المتواضعة للعودة الى الحياة· ازالة الركام ، وترميم واجهة محل تجارى · بينما الصورة الثالثة تسجل جانبا اليما من المأساة · ام وابنتها هربتا اثناء القصف · لجأتا الى المجهول ثم عادتا اخيرا لمواجهة الحقيقة ، التي تقول ببساطة شديدة انه لم يعد هناك بيت !

الى جوار الانقاض جلست الام ووقفت الابنة تطل بعيون شاردة على المستقبل ، بينما حقيبة الملابس ملقاة على الارض ·

هذا المصير يواجه الوف اللبنانيين العائدين ، فى الوقت الذى يهدد فيه البعض بالعودة الى استخدام السلاح مرة اخرى · وكأن ما جرى لم يكن فيه الكفاية !
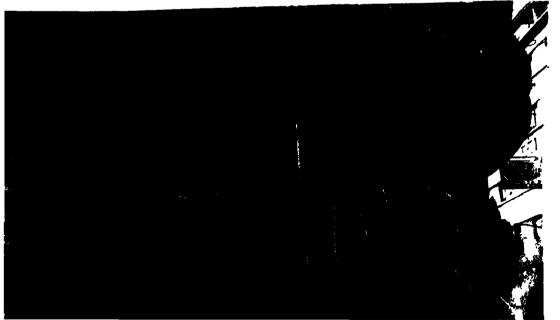
التقسيم الواقعي والرسمي

ورغم ان قضية التقسيم لم تعد مثارة على سطح الحياة اللبنانية الآن ، الا ان احدا لا ينكر ان هناك تقسيما واقعيا حدث •

الحرب كرست واقع التقسيم • عمقت المرارة والحقد ، وتركت جروحا لا تندمل بين الفريقين • حدث التقسيم في الجيش والشرطة والمصانع ودواوين الحكومة والجامعات والمدارس• هناك محاولات لمعالجة هذه التصدعات ، لكن عمق الجراح يفسدها اولا باول . فضلا عن ان هؤلاء الذين يطالبون بالعمل في مواقع واحدة - فصل دراسي او مصنع او ديوان وزارة - هؤلاء جميعا كانوا يتصيدون بعضهم بالرشاشات قبل شهور•كان كل منهم مستعدا لان يمثل بجثة « زميله » اذا وقع بين يديه . بل انه ما من واحد من هؤلاء الا وقتل له أخ او أب او قريب ، على يد هذا الزميل الذى يفترض انه سيجلس الى جانبه ،ويعملان اويدرسان سويا •

ارواح القتلى تحلق في كل مكان ، ودوافع الثار لا تحتاج الى تدليل • وذلك كله يصنع حاجزا سميكا من المرارة والدم والاشلاء ، يدعم الروح الانقسامية ويعززها •

والنتيجة ان الموظفين في بيروت الشرقية لا يذهبون الى بيروت الغربية والعكس•وان كل فريق سحب ابناءه من المدارس التى تقع في منطقة الفريق الاخر • ونفس الشيء حدث في المصانع • وهناك فكرة يشجعها بعض اساتذة الجامعة ، لتقسيم الجامعة • ويقاومها تيار قوى • ولا احد يعرف أى التيارين سيسود •

ويسجل الدكتور ادمون نعيم مدير الجامعة مخاوفه فيقول أن عودة الطلاب الى فصولهم الان قد يفتح الباب لمجازر انتقام بشعة ،لان هؤلاء الطلاب حاربوا بعضهم البعض ، وكل يعرف من كان قاتله من الطرف الاخر •

حتى الاعلام الرسمي الذى قيل انه توحد ، صورته غريبة وشاذة • فهناك ٦ محطات اذاعة للفرقاء مازالت موجودة • بينها محطتان فقط اعتبرتا نظريا « اذاعة لبنان » ، وهما محطة الصنايع ،وقد كانت محطة الاذاعة الاصلية ، وتحت سيطرة القوى الوطنية • ومحطة عمشيت ، وكانت محطة تقوية ، وتت سيطرة القوات الانعزالية •

كل محطة لها مذيعوها وبرامجها ، والمسئول الرسمي عنها ولكنهما تتبادلان اذاعة نشرات الاخبار • وقد تم التنسيق النسبي بينهما بحيث يبدأ الارسال من محطه الصنايع بالقرآن الكريم ثم الترانيم الكنسية لمدة اسبوع ، ثم يبدا الارسال في الاسبوع التالي من محطة عمشيت بالترانيم ثم تلاوة القرآن الكريم •• وهكذا !

خطوات التعمير ••

والعمل ؟

لان حجم المأساة اكبر مما نتصور ، وآثارها اعمق مما نتصور • ووجوهها متعددة وعناصرها شديدة التشابك ، فانه كان من الصعب حتى تحديد نقطة البدء •

كيان الدولة ومقوماتها ووثائقها ، ذلك كله كان مفقودا • رئيس الوزراء ذاته لم يكن له مقر ،بعد ان هدمت رئاسة الوزراء • في دوادين كثيرة لم يكن هناك مكان للموظفين ، ولا سجلات ولا اوراق• ولولا أنهم عثروا بالصدفة على نسخة من قوائم « النفوس » ، لما عرف اللبناني من غيره • خصوصا وان كل فريق كان يصدر من جانبه جوازات سفر لمن يشاء ، حتى اضطرت اغلب الدول العربية الى عدم الاعتراف بجوازات السفر اللبنانية الصادرة في عامي ٧٥و١٩٧٦ •

لذلك كان لابد ان تكون البداية هي « ترميم » الادارة ذاتها • والقول ترميم لان الوقت لا يحتمل اكثر من ذلك • فحل مشكلة الادارة - خصوصا فيما يتعلق بالتوزيع الطائفي لمناصب الحكومة - مرتبط بالمشكلة الاكبر « لبنان الجديد » • ثم ان

السيارة مقلوبة والاثاث متناثر فى العراء والرجال يلملمون ما تبقى فى محاولة لبدء الحياة الجديدة.

الموظفين الحكوميين الذين ينتسبون الى كل من فريقى الصراع ، ما يزال كل منهم مستعدا للعودة الى العمل فى منطقته. بعد سلسلة النداءات الملحة التى وجهتها اليهم الوزارات عبر الراديو .

بعد ان تقف اجهزة الادارة على قدميها ، حتى ولو كانتا مصطنعتين . تنشط عملية التعمير . ولرئيس الوزراء اللبنانى الدكتور سليم الحص راى فى قضية التعمير سجله فى بيان الوزارة ، وكان قد فصله فـى دراستـه لاحيـاء الاقتصاد اللبنانى ، عندما كان رئيسا للمصرف الوطنى للانماء . ومن ابرز آرائه فى هذا الصدد :

● ان القطاع الخاص ـ أساس اقتصاد لبنان ـ غير قادر على ان يقوم من كبوته بموارده الذاتية ولابد عندئذ من تدخل الدولة بالمساعدة او الاقراض من خلال البنوك مثلا .

● ان الدولة بظروفها الراهنة عاجزة عن ان تؤدى هذا الدور لصالح القطاع الخاص . لانها ـ الدولة ذاتها ـ بحاجة الى الامدادات المالية من الخارج لترميم واعادة بناء المرافق العامة المتضررة ، كشبكات الكهرباء والمـاء والطرقات والمواصلات والمرفأ والمطار ، وكذلك المبانى العامة وتجهيزاتها. وقد تحتاج الى المساعدات الخارجية لتغطية العجز المرتقب فى الموازنة العادية خلال السنوات الثلاث الاولى .

● ان مباشرة عملية اعادة البناء ينبغى ان تتم فورا وعلى وجه السرعة ، ، حتى بغير انتظار لوضع خطط شاملة ومتكاملة . خصوصا وان المشاكل الاجتماعية الناجمة عن الحرب لا تحتمل الانتظار باى حال ، مثل مشكلات البطالة والتموين والسكن .

● فى الوقت ذاته ـ وبينما اعادة البناء مستمرة ـ يبدا وضع خطة شاملة ومتكاملة للتعمير . اعادة بناء القطاع الخاص . اعادة بناء المرافق العامة والمؤسسات الرسمية . تصحيح وضع الخزينة .

● وما دامت الدولة هى التى ستدير دفة التعمير وتموله ـ اعتمادا على المساعـدات والقـروض
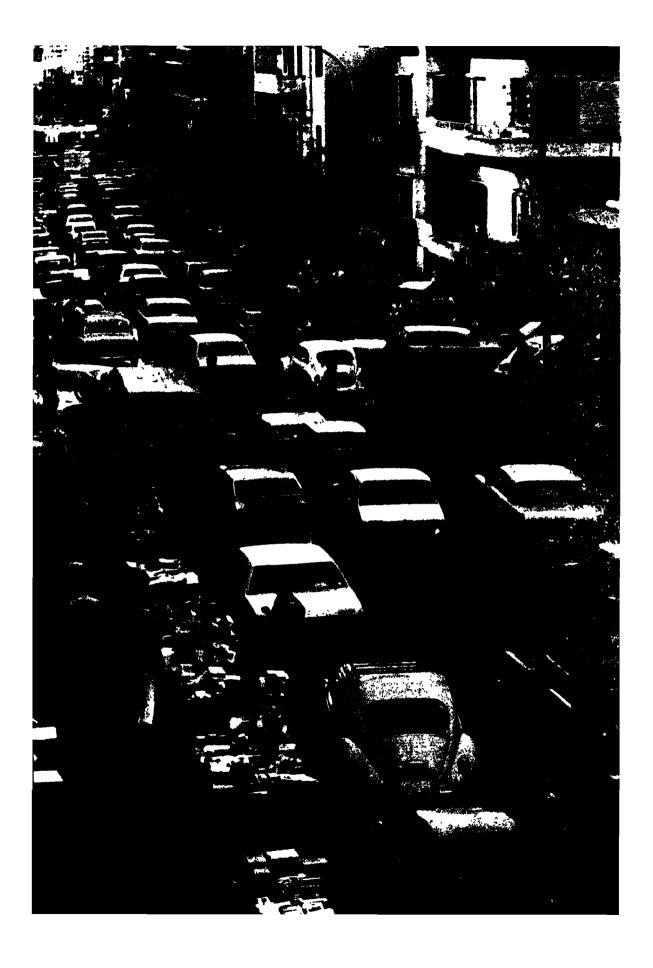
لا أحد يصدق أن هذه هي الروشة ٠٠ الشارع الهادىء الجميل ، تحولت ارصـــفته الى صفوف طويلة من المتاجر التى تنافس « سوق سرسق » ٠اكثر الذين هدمت محلاتهم لم يجدوا الا رصيف الروشة ملاذا لهم ٠

كلنا نذكر معارك حى الفنادق ، التـى راحت ضحيتها اكبر فنادق بيروت ٠ هيلتون ، وفينيسيا، وهوليداى ان ٠٠ وغيرها ٠ وفى الصورة احـد اللبنانيين وقد جلس فى مواجهة فندق سان جورج ليصطاد ٠٠ ربما كان يهرب من الواقع ! ٠

● ● ●
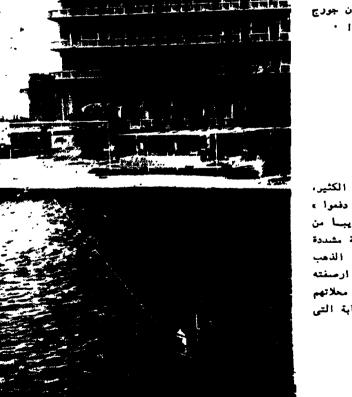
شارع الحمرا فى قلب بيروت لم يصبه الكثير، ربما لان كبار اصحاب المحلات التجارية « دفعوا » مقابل حماية متاجرهم ، او لانه كان قريبـا من البنك المركزى ، الذى وضع تحت حراسة مشددة ومكثفة ، بسبب وجود رصيد لبنـان من الذهب فيه ٠ الذى تغير فى شارع الحمرا أن ارصفته امتلأت ببضائع بعض التجار الذين هدمت محلاتهم فى ساحة البرج ، ثم مسحة الحزن والكآبة التى تطالعك فى وجوه كل رواده ٠

الخارجيةـ فتلك فرصتها للتدخل وتصحيح الاوضاع الاقتصادية • بحيث تمتنع عن القيام بعمل يعيد وضعا اقتصاديا شاذا الى سابق عهده •

● اذا حلت مشكلة التمويل ، واذا انشئت الاجهزة الادارية اللازمة لادارة عملية التعمير باسم الحكومة، فيخشى ان تتعثر الخطا بسبب نقص العناصر البشرية اللازمة للتنفيذ المادي • ذلك ان قطاع البناء في لبنان كان يعتمد اساسا على الايدي العاملة السورية ، وهؤلاء اعرضوا عن العمل في لبنان بسبب محنته • لذلك لا مفر من توجيه العمال اللبنانيين العاطلين الى هذا المجال ، وتنظيم دورات تدريبية مجانية وسريعة على المهن التي تتطلبها عملية الاعمار • (تضاعف اسعار مواد البناء ٣ مرات بعد وقف القتال مباشرة) •

★★★

تتحدث دراسة الدكتور العص عن فترة «السنوات العشر الاولى » لتنفيذ البرنامج • وهو تقدير واقعي الى حد كبير ، يعبر عن ادراك حقيقي لحجم المشكلة • لان التعمير ـ مرة اخرى ـ يحتاج الى امن • والامن لن يستتب الا في ظل صياغة جديدة للواقع اللبناني • وتلك الصياغة لن تولد الا بعد حل المشكلة الاجتماعية والسياسية للبنان وتسوية مشكلة الفلسطينيين •

متى يجيء الحل ؟

الله وحده يعلم • وما اعلمه فقط ـ وما رايته بعيني ـ هو ان عناصر التوتر في بيروت مازالت قائمة كما هي • •

اي مستقبل ينتظر لبنان ، ويراد لامتنا ؟

فهمي هويدي

■ لا تظن بكلمة من احد سوءا ، وانت تجد لها من الخير محتملا •

(الامام علي)

■ يبرون عظمي ، وهمي جبر أعظمهم
شتان ما بيننا في كل ما سبب
أهوى بقاءهم جهدي ، وأكثر ما
يهوون ان اغتدي في حفرة الترب

(عمرو بن معد يكرب الزبيدي)

■ من علمني حرفا فهو ابي مدى الحياة •

(مثل صيني)

■ اذا غامرت في شرف مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير
كطعم الموت في امر عظيم

(المتنبي)

■ حسبما تهييء فراشك يكن رقادك •

(مثل روسي)

مكان الإرادة الإنسانية في.. فكر الاسلام السياسى

بقلم : الدكتور محمد عمارة

■ فى كثير من الاحيان يبلغ الغلط بين الامور المتمايزة نفس النتائج التى يبلغها الجهل او تعمد التضليل ! .. واحد نماذج هذا الغلط ما نقرأ ونسمع عنه من نتائج يتوصل اليها نفر من العاملين والمشتغلين بالدراسات الاسلامية السياسية ، عندما يقررون أن نظرية الاسـلام السياسية تختلف ، جوهريا ، مـع الديمقراطيـة السياسيـة ، لان الديمقراطية هى حكم الشعب والامة ، والسلطة فيها للشعب ، على حين أن السلطة فى الاسلام - كما يقول - هى لله سبحانه وحده ، اذ هو الحاكم والحاكمية له ، ولا حاكم الا الله ..

وهذا النفر من المشتغلين بالدراسات الاسلامية يصنفون نظام الحكم الاسلامى مع نظم الحكـم « الحتمية » غير « الاراديه » ، لان النظم الارادية تجعل للارادة الانسانية القول الفصل فى تاسيسها وتطويرها ، على حين يسلب الاسلام - فى رايهم - هذا الحق من الامة ، ويجعله خالصا لله سبحانه وتعالى ..

وهم ، بقولهم هذا ، يجعلون صاحب السلطة السياسية فى النظام الاسلامى - الحاكم - وكيلا عن الله - سواء صرحوا بذلك أم لم يصرحوا - لان الحاكم هو فى النهاية منفـذ شريعة ومطبـق قانون ، وهو فى عمله هذا انما ينوب عن صاحب السلطة الاصلى فى المجتمع ، فاذا قلنا ان السلطة لله ، كانت دينا ووحيا ، ومن ثم كـانت سلطة دينية ، وكان متوليها حاكمـا « بالحق الالهى »

ونائبا عن الله ، وخليفة له وظلا ! ... اما اذا قلنا ـ كما هو الحال في الفكر الديمقراطي ـ بان صاحب السلطة الاصلي هو الشعب ، كان متوليها نائبا عن الامة ووكيلا ، او شبه وكيل ، وكان مسئولا امام الامة التي لها الحق في محاسبته ومراقبته ، وعزله ان هو اخل بشروط عقد البيعة والتفويض والاختيار ..

واذا كان اسلافنا قد قالوا : ان حسن الظن ورطة ، وسوء الظن عصمة ! ، فنحن نستاذنهم في التخلي عن حكمتهم هذه ، فسنحسن الظن بمرامي هذا النفر من المشتغلين بالدراسات الاسلامية ، وسنقول ان الذي اوقعهم في هذا التشخيص لفكر الاسلام السياسي هو الخلط ، وليس الجهل او تعمد التضليل ! ..

كل النظم ارادية

ذلك ان تقسيم النظم السياسية التي عرفتها وتعرفها البشرية الى :

أ ـ نظم حتمية ، لا مكان فيها لارادة الانسان ..

ب ـ ونظم ارادية ، تقوم على الارادة الانسانية ، وتتاسس على مبدا : ان الامة هي مصدر السلطات ..ثم القول بانالاسلام هو منالنوعالاول ،لانالحاكم فيه هو الله ، وليس الانسان .. ان هـذا التقسيم غير واقعي ، ومن ثم غير صحيح .. ذلك ان السلطة في اي مجتمع من المجتمعات ، وفي ظل اي نظام وتحت اي فلسفة ، انما هي في النهاية ، وبصرف النظر عن الصيغ والشعارات ، بل وبرغم هذه الصيغ والشعارات ، في يد بشر يمارسون التشريع ، والقضاء ، والتنفيذ ... وحتى لـو تصورنا المجتمع الاسلامي الذي يتحدث عنه هذا النفر من الباحثين ، والذي يعلن حكامه :ان الحكم لله ، لا للامة .. فاننا سنجد انفسنا امام بشر يمارسون سن القـوانين ، بالاجتهـاد ، والحكـم بموجبها ، والقيام على تنفيذها .. مع ادعائهم انهم وكلاء عن الله ، مصدر السلطة والحكـم ، وليسوا وكلاء عن الامة .. فهم بشر يحكمون ، رغم القول بان الله هوالحاكم ، ولا حاكم سواه ..وكل الجديد في هذا الامر ـ اذا جاز ان يسمى ذلك جديدا ـ اننا سنكون عندئذ قد عـدنا بعقارب الساعة الى فلسفة (الحكم بالحق الالهي) ، على النحو الذي عرفه الفرس ايام كسرى ، وروما زمن قيصر،واوروبا في عصور الظلام؟!..ولنيقلل من سوء مثل هذا النظام وخطر مثل تلك الفلسفة السياسية القول بان الحاكم ملتزم بالشريعة ، لان العدول عن مبدا : (الامة مصدر السلطات)، سيحرر الحاكم ،بدرجات متفاوتة ،من قيد تستخدمه الامة للحيلولة دونه ودون الشطط والاستبداد ، كما سيفتـح له الطريق كي يضفي على نفسه قداسة دينية وسلطة ربانية تتنافى تماما مع روح الاسلام ..وهذه قضية قد حسمها التطور السياسي للمجتمعات البشرية ، بصرف النظر عن العقائد والنظم والفلسفات ، ولقد دفعت البشرية ثمنا باهظا من التضحيات كي تتخلص من مثل هـذه الفلسفات في نظم الحكم .. والتاريخ العربـي والاسلامي شاهد على الثمن الذي دفعه المسلمون عندما سادت فيهم ـ رغم تعاليم دينهم الحنيـف وروح شريعته ـ مثل هذه الفلسفات .

فالنظم السياسية لا تنقسم الى : حتمية ، وارادية .. لانها دائما وابدا ارادية ، لانهاسلطة في يد بشر ، لهم ارادة تحكم تصرفهم فيما لديهم من سلطات ، ولكنها تتفاوت وتختلف في ضيق او اتساع دائرة الارادة الانسانية ... فقد تكون ارادة فرد ، او حزب ، او طبقة،او تحالف طبقات واحزاب .. كما تتفاوت في الاطلاق او التقييد لارادة الانسان ـ ثمهي تتفاوت فيالانحياز للفكر المدني او ادعاء قداسة الكهنوت ، فالسلطة التي تؤمن بان الامة هي مصدر السلطات ، تحدد ان الحاكم فيها نائب عن الامة التي توليه وتراقبه وتعزله اذا اخل بشروط الولاية ، على حين ان السـلطة التي يزعم اربابها ان الحـاكم في السياسة والاقتصاد هو الله سبحانه وتعالى ، تحدد انها تحكم باسم الله ونيابة عنه ، لا عن الناس .. فالتقسيم الحقيقي للنظم هو :

أ ـ نظم تحكم او تتحكم تحت ستار الحقالالهي..

ب ـ ونظم تفصح عن ان الحاكم بشر ، ينوب عن البشر في سياسة المجتمع وحكمه ، وان الامة هي مصدر السلطات .

معنى الحاكمية لله

وهولاء النفر من المشتغلين بالعمل والدراسات فى الحقل الاسلامى يمعنون فى افتعال التناقض بين ان تكون السلطة للامة ، وبين ان يكون الحكم لله سبحانه وتعالى ، وسبيلهم الى ذلك : الخلط بين امور لا تقبل الاختلاط ٠٠ بل ويرتبون على مقدماتهم الفاسدة :الحكم بكفر كل من يجعل مصدر السلطة السياسية لغير الله ! ٠٠ فيقولون ،مثلا: « انه ان كانت السلطة التى يستند اليها المرء ، لاتباعه قانونا من القوانين او نظاما من النظم ، سلطة الله تعالى ، فالمرء لا شك فى دين الله عز وجل،واما ان كانت تلك السلطة سلطة ملك من الملوك ، فالمرء فى دين الملك ، وان كانت سلطة العائلة او العشيرة أو جماهير الامة ، فالمرء لا جرم، فى دين هؤلاء ! » (١)

فهم هنا يضعون سلطة جماهير الامة نقيضا لسلطة الله ، ويحكمون بكفر من يحيا ، راضيا ، فى مجتمع تكون فيه الامة مصدر السلطات ! ٠٠

ولقد نسى هؤلاء الباحثون الاسلاميون انالحديث فى الفكر الاسلامى عن « حق الله » ، انما يعنى « حق المجتمع » ، وان القول بان «المال مال الله » معناه ان « المال مال الامة والمجتمع»،ومن ثم فان الحديث عن « حكم الله وسلطانه » انما يعنى ،فى السياسة، « حكمالامة وسلطانها » ٠٠٠ فلا تناقض هنا بين ان يكون الحكم لله،وبين ان تكونالسلطة السياسية والحكم فى المجتمع الاسلامى لجماهير المسلمين ٠٠ واكثر من هذا ـ فان هذا النفر من الباحثين المسلمين قد استشهد ، فى تاسيس فكره، بما لا يشهد له ، ومن ثم بنى قاعدة نظريته ـ (الحاكمية لله) ـ بتفسيره هذا ، على غير اساس ٠٠

فهم قد اشتقوا « حاكمية » الله سبحانه ، من مصطلح « الحكم » ظانين ان القرآن ، ومن ثمفكر الاسلام السياسى ، يستخدم مصطلح « الحكم » للدلالة على النظام السياسى ، على حين انّاغلب الاستخدامات القرآنية لهذا المصطلح واردة بمعنى « القضاء » والفصل فى المنازعات ، وبمعنى « الحكمة » ٠٠ فعيسى عليه السّلام لم يبن دولة ولم يكن حاكما سياسيا ولا صاحب نظام من نظم الحكم ، ومع ذلك فلقد آتاه الله (الحكم) بمعنى الحكمة ، اذ يقول : (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عبادا لى ٠٠) (٢) ٠٠ ونبى الله يحيى لم يكن حاكما سياسيا ولامؤسس دولة ونظام حكم .ومن باب اولى لا يتصور منه شىء من ذلك وهو صبى، ومع ذلك فلقد آتاه الله (الحكم) وهو صبى ، اى « الحكمة » فيقول : (يا يحيى خذ الكتاب بقوة ٠ وآتيناه الحكم صبيا ٠٠) (٣) ٠٠ ولوط لم يكن حاكما ، حسب فهمنا لمصطلح « الحاكم »، ومع ذلك فلقد آتاه الله (حكما وعلما) (٤)٠٠ اى حكمة وعلما ٠٠ وموسى عندما قتل المصرى ، ثم فر من شرطة فرعون مصر ، لم يؤسس دولة يحكمها ، ومع ذلك فهو يتحدث عن ان الله وهب له « الحكم » (ففررت منكم لما خفتكم ، فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين) (٥) ٠٠

فالحكم ، كمصطلح قرآنى ، لا يعنى الحكم بالمعنى الذى نستخدمه اليوم فى الدراسات السياسية ، ومن ثم فان اشتقاق « حاكمية » الله، بمعنى الحاكمية فى النظم السياسية من هذا المصطلح انما هو تاسيس على غير اساس !

ويزيد هذا الامر تاكيدا تلك الحقيقة التى سيطالعها اىباحث اذا هو ذهب ليبحث عن المصطلح الذى استخدمه القرآن ، والادب السياسى فى صدر الاسلام ،للتعبير عنالسياسة ونظام الحكموالسلطة العليا فى المجتمع الاسلامى ٠٠ لان هذا البحث سيكشف لنا ان مصطلح « الامر » وليس مصطلح « الحكم » هو الذى استخدمه القرآن للدلالة على هذا المبحث ٠٠

فالامر مصطلح ذو صلة «بالائتمار» اى التشاور والشورى ، التى هى فلسفة « الحكم » فى الاسلام ومنه سمى الحاكم بـ « الامير » ٠٠ والقادة بـ « اولى الامر » ٠٠ ومن هنا جاء قوله سبحانه : (يا ايها الذينآمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول

---

(١) ابو الاعلى المودودى (المصطلحات الاربعةفى القرآن) ص ١٢٥ (والنقل عن مجلة المسلم المعاصر ص ١٥٧ ، ١٥٨،عدد ٤ سنة ١٩٧٥ م ٠

(٢) آل عمران ٧٩ (٣) مريم : ١٢ (٤) الانبياء : ٧٤ (٥) الشعراء . ٢١

واولي الامر منكم) (٦) وقال : (وامرهم شورى بينهم) (٧) ، كما قال لنبيه عليه الصلاة والسلام (وشاورهم في الامر) (٨) ..

وعند وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ،تحدث ابو بكر الصديق عن السلطة العليا في المجتمع فقال : « ان محمدا قد مضى لسبيله ، ولا بد لهذا الامر من قائم يقوم به » (٩) .. وعندما اقترب به الاجل قال، من بين ما قال : «وددت انى يوم سقيفة بني ساعدة قذفت هذا الامر في عنق احد الرجلين ـ اى عمر وابى عبيدة ـ فكان اميرا وكنت وزيرا .. ووددت انى كنت سألت رسول الله في هذا الامر ، فلا ينازع الامر اهله .. ووددت انى سألته : هل للانصار في هذا الامر نصيب فنعطيهم اياه .. » (١٠) ولما اراد العهد بالخلافة الى عمر بن الخطاب قال للصحابة : « تشاوروا في هذا الامر ، ثم وصف عمر بصفاته ، وعهد اليه واستقر الامر عليه .. » (١١) .

وفي اول خطبة لعمر بعد خلافته قال : « ليعلم من ولي هذا الامر من بعدى أنه سيريده عنه القريب والبعيد » (١٢) وفي موطن آخر يقول : « ان هذا الامر لا يصلح الا بالشدة التى لا جبرية فيها ، وباللين الذى وهن فيه .. » (١٣)

ويتحدث على بن ابى طالب عن أن موت الرسول قد اعقبه « ان تنازع المسلمون الامر من بعده ..» (١٤)

وبعد على يخطب ابنه الحسن في أهل العراق فيقول : « اما والله لو وجدت اعوانا لقمت بهذا الامر اى قيام .. » (١٥)

ويكتب معاوية الى الحسن فيقول : « .. فادخل في طاعتى ، ولك الامر من بعدى .. » (١٦) اى لك الخلافة من بعدى على المسلمين .

فمصطلح « الامر » لا « الحكم » هو المصطلح الذى استخدمه القرآن ، واستخدمته السنة ، وجرى استعماله في الادب السياسى على عصر صدر الاسلام ، تعبيرا عن نظام الحكم في المجتمع .. ومن ثم فلا اساس لاشتقاق الحاكمية الالهية ، من مصطلح « الحكم » والقول بانها تعنى السلطة السياسية العليا والوحيدة في مجتمع الاسلام .

ويزيد قولنا هذا تاكيدا ، وايضا يزيد منطق هذا النفر من الباحثين الاسلاميين تهافتا ، ان استشهادهم على موقفهم ،من كتب التراث الاسلامى لا يشهد هو الاخر لموقفهم هذا ! ..

فهم ينقلون قول الامام الغزالى في كتابه (المستصفى من علم الاصول):«الحاكم هو الشارع.. ولا حكم الا لله ، وانه لا حكم للرسول ولا للسيد على العبد ولا لمخلوق على مخلوق،بل كل ذلك حكم الله تعالى ووضعه ،لا حكم غيره... واما استحقاق نفوذ الحكم فليس الا لمن له الخلق والامر ، فانما النافذ حكم المالك على مملوكه ، ولا مالك الا الخالق ، فلا حكم ولا أمر الا له ، اما النبى صلى الله عليه وسلم والسلطان والسيد والاب والزوج فاذا امروا او اوجبوا لم يجب شىء بايجابهم ،بل بايجاب الله تعالى طاعتهم .. فالواجب طاعة الله تعالى وطاعة من اوجب الله تعالى طاعته ..» (١٧)

والخطا في الاستشهاد بكلمات الامام الغزالى مرده الى الاستشهاد بها على غير ما كتبت له ! ..فحديث الغزالى في (المستصفى) عن اصول الفقه، وليست الامامة ولا نظام الحكم من هذه الاصول ، فلا مجال للاستشهاد عليها بهذه الكلمات ، اذ الموضوع هنا هو « الاحكام الشرعية الثابتة لافعال المكلفين ... كالوجوب والحظر والاباحة والندب والكراهية .. » (١٨) الخ .. اى التكاليف ،

---

(٦) النساء : ٥٩ (٧) الشورى : ٣٨ (٨) آل عمران : ١٥٩
(٩) الشهرستانى (نهاية الاقدام) ص ٤٧٩ تحقيق الفرد جيوم . طبعة بدون تاريخ وبدون مكان للطبع . (١٠) المسعودى (مروج الذهب) جـ ١ ص ٥١٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٨ م
(١١) نهاية الاقدام ص ٤٧٩ (١٢) طبقات ابن سعد جـ ٣ ق ١ ص ١٩٧
(١٣) المصدر السابق ج٣ ق١ ص٢٥٠ (١٤) نهج البلاغة ص٣٥٢ طبعة دار الشعب ،القاهرة .
(١٥) د . احمد صبحى (نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية) ص٣٢٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٦٩ م (١٦) المرجع السابق ص ٣٢٠
(١٧) (المستصفى من علم الاصول) جـ١ ص٨٣، ٨ طبعة القاهرة الاولى سنة ١٣٢٢ هـ .
(١٨) المصدر السابق جـ١ ص٤، ٥

وهذه الحاكم فيها هو الله ، والحاكمية فيها لله وحده ٠٠اما نظام الحكم فمكانه كتب الفروع ،وهو ليس من الاصول حتى نستشهد عليه بالنصوص الواردة فى موضوع علم الاصول ٠

فسلطة « الحاكمية الالهية » فى علم الاصول ، ليست هى « السلطة التشريعية » فى السياسة ونظم الحكم وقوانين المجتمع ،كما فهم الذين خلطوا الاصول بالفروع ، فانتقلوا بالسياسة ونظام الحكم الى اطار اصول الدين (١٩) ٠٠٠ وبعد قليل سياتى الحديث ، بل وحديث الامام الغزالى نفسه، الذى يبدد مبررات الخلط فى هذا المقام ٠

ثم ٠٠ ان تاريخ الفكر الاسلامى يدلنا على ان اول من قال بفكرة « الحاكمية لله » فى السياسة ونظم الحكم ،كانوا هم (الخوارج) عندما اعترضوا على « التحكيم » بين على ومعاوية فى « صفين » فلقد كانوا يرون — مثل على بن ابى طالب — ان معاوية بن ابى سفيان وصحبه هم « الفئة الباغية » التى نص القرآن على قتالها حتى تفىء الى امر الله ، ومن ثم رفضوا « تحكيم » البشر و « حكمهم » فى امر ورد فيه نص القرآن الكريم ،فصاحوا صيحتهم الشهيرة : (لا حكم الا لله) ، حتى لقد سموا (بالمحكمة)٠٠ولقد كان تعليق الامام على بن ابى طالب على قولهم هذا : « انها كلمة حق يراد بها باطل ! » (٢٠) ، لانهم ارادوا فرض « حاكمية الله » فى السياسة ، وهى امر لا بد لممارسته من بشر ،حتى ولو وردت فى بعض قضاياه نصوص!

طبيعة السلطة فى النظم الاسلامية

وبعض الباحثين الاسلاميين يخشى ان يؤدى القول بان للارادة الانسانية دورا فى صنع النظم السياسية والاقتصادية ، ان يؤدى القول بذلك الى جعل النظام الاسلامى ، فى السياسة ، نظاما وضعيا ؟!

ونحن نقول لهؤلاء الباحثين : ان الاسلام ،كدين، وباركانه الخمسة التى بنى عليها ، وبكتابه المعجز، وبسنته التشريعية التى بلغ بها الرسول عليه افضل الصلاة والسلام تفصيلات ماجمله الوحى٠٠ ان ذلك كله « وضع الهى » ، وليس لمؤمن ان يدعى ان شيئا من ذلك هو من « وضع الانسان » ٠٠ لكن الاسلام ، كدين ، لم يحدد للمسلمين نظاما محددا للحكم ، لان منطق صلاحية الدين الاسلامى لكل زمان ومكان يقتضى ترك النظم المتجددة قطعا بحكم التطور للعقل الانسانى الرشيد ، يصوغها وفق مصلحة المجموع ، وفى اطار الوصايا العامة والقواعد الكلية التى قررها هذا الدين ٠٠ فهو ، مثلا ، قد دعا الى الشورى ، والعدل ،ومنع الضرر والضرار ، وعلى المسلمين ان يصوغوا لمجتمعاتهم نظم الحكم التى تقربهم من تحقيق هذه المثل العليا ٠٠ ولذلك كان الدين واحدا فى كل مراحل التطور البشرى ، ولدى كل الرسل ، بينما تعددت الشرائع تبعا لتطور المجتمعات واختلاف البيئات وتعدد الرسالات ٠٠ فالدين عند الله الاسلام ٠٠ والقرآن قد جاء مصدقا لما بين يديه ٠٠ ولا يحق لنا ان نقول: الدين الموسوى ، او الدين العيسوى ، او الدين المحمدى ، بينما يحق لنا ان نقول الشريعة الموسوية، والشريعة المحمدية ٠٠ فالدين الذى بعث الله به محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، هو دين الانبياء الذين سبقوه ، اما شريعته فهى ناسخة للشرائع التى سادت فى مجتمعات سبقت مجتمع الاسلام ٠

اما زعم هذا النفر من الباحثين الاسلاميين وجود نصوص قرآنية ونبوية حددت احكام السياسة ونظمها ، فهو زعم لا يوجد فى القرآن والسنة ما يشهد له ،كما انه زعم غريب اذا نحن عرضناه على تراث الائمة والمفكرين المسلمين فى هذا المجال ٠٠

فشيخ الاسلام ابن تيمية (٦٦١ — ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ — ١٣٢٨ م) يقرر ان السياسة الشرعية مرجعها فى القرآن آية طلبت من الامراء اداء الامانات والحكم بالعدل ، وآية طلبت من الرعية الطاعة لاولى الأمر اذا هم ادوا الامانات وحكموهم بالعدل (٢١) ٠٠ اما تفاصيل نظم الحكم وعلوم السياسة ونظرياتها فى الاسلام فهى تراث ،وثمرات اجتهاد بشرى محكوم بقواعد الدين العامة ومثله العليا ٠٠

---

(١٩) هانى احمد الدرديرى (التشريع بين المفكرين الاسلامى والدستورى) ص١٦ — ١٨ طبعة القاهرة ١٩٧٦م

(٢٠) (نهج البلاغة) ص ٦٥ ٠

(٢١) السياسة الشرعية ص ١٥ ، ١٦ طبعة القاهرة سنة ١٩٧١ م ٠

ونحن نعتقد ان صمت القرآن الكريم عن تفصيل الحكم والسياسة للمسلمين هو موقف الهى مقصود، لانه هو الموقف الذى التزمه الدين الحنيف حيال كل ما عهد به الى عقل الانسان وارتبط بالامور المتطورة المتغيرة التى تستعصى نظرياتها على الثبات ٠٠ والا فهل يعقل عاقل ان يضن القرآن على نظم الحكم بآيات تساوى ما جاء به عن بقرة بنى اسرائيل ؟! ٠٠ انها حكمة الحكيم العليم ٠٠

واذا كان لا بد من المزيد من النصوص والاستشهادات على هذه القضية الهامة ، فاننا نذكر ،مثلا ،قول الدكتور عبد الرزاق السنهورى، الذى يحدد فيه علاقة الشريعة الاسلامية بالكتاب والسنه ، اى بالدين ، ونصيب « الوضع البشرى » الذى جاء ثمرة لفقه الفقهاء فى هذه الشريعة ٠٠ يقول الدكتور السنهورى : « ان الكتاب والسنة هما المصادر العليا للفقه الاسلامى ٠ وقد قصدت بالمصادر العليا ان اقول : انها مصادر تنطوى فى كثير من الاحيان ، على مبادىء عامة ترسم للفقه اتجاهاته ، ولكنها ليست هى الفقه ذاته ، فالفقه الاسلامى هو من عمل الفقهاء ، صنعوه كما صنع فقهاء الرومان وقضاته القانون المدنى (٢٢) ٠٠

فهذا التحديد الدقيق لمكان الشريعة من الدين، ولمكان الفقه الاسلامى من الشريعة الاسلامية هو الذى عبر عنه ، كما سبق واشرنا ، المفكرون المسلمون الذين بحثوا مكان السياسة والامامة ونظام الحكم من الدين ، فقالوا : انها مستخرجة من « الرأى » ، وليس من الكتاب والسنة ٠

وقبل الدكتور السنهورى قال امام مجتهدى الاسلام فى العصر الحديث ، الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ ـ ١٩٠٥ م) : « ان تفصيل طرق المعيشة والحذق فى وجوه الكسب٠٠ مما لا دخل للرسالات السماوية فيه ، الا من وجهة العظة العامة ، والارشاد الى الاعتدال فيه ، وتقرير ان شرط ذلك كله ان لا يحدث ريبا فى الاعتقاد بان للكون الها ٠٠ وان لا ينال احدا من الناس بشر ٠٠٠ ان الدين لم يعلم المسلمين التجارة ولا الصناعة ولا تفصيل سياسة الملك ولا طرق المعيشة فى البيت ، ولكنه اوجب عليهم السعى الى ما يقيمون به حياتهم الشخصية والاجتماعية ، واوجب عليهم ان يحسنوا فيه ، واباح لهم الملك ، وفرض عليهم ان يحسنوا المملكة ٠٠ وكل ما يمكن للانسان ان يصل اليه بنفسه لا يطالب الانبياء ببيانه ، ومطالبتهم به جهل بوظيفتهم ، واهمال للمواهب والقوى التى وهبه الله اياها ليصل بها الى ذلك ٠٠ وقد ارشدنا نبينا ، صلى الله عليه وسلم، الى وجوب استقلالنا دونه فى مسائل دنيانا ٠٠ اذ قال (ما كان من أمر دينكم فالى ، وما كان من أمر دنياكم فانتم أعلم به) ٠٠ » (٢٣)

الاستفادة بالتجارب الانسانية

ونحن اذا لم نؤمن باحترام الفكر الاسلامى لارادة الانسان ، وارادة الامة ، فى بناء نظمها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والادارية ، وضعنا انفسنا فى صدام تام وحاد مع كل وقائع وحقائق تاريخنا الاسلامى وتشريعاته فى هذه الميادين ٠٠ فالاسلام يدعو المؤمنين به الى تاسيس نظمهم الدنيوية بارادتهم الحرة ووفق مصلحتهم الاجتماعية ، وفى اطار مبادئه العامة ووصاياه الكلية ، كما يدعوهم الى النظر والاستفادة من كل التجارب الانسانية ،سواء منها تجارب السابقين الاولين او اللاحقين المتاخرين ، وبصرف النظر عن عقائد اصحاب هذه التجارب الانسانية ومذاهبهم٠٠ وتاريخ الفكر والتشريع الاسلامى اعظم شاهد فى هذا المقام

فعمر بن الخطاب استفاد واسترشد فى « تدوين الدواوين » بتجارب الفرس المجوس والروم النصارى فى هذا المجال (٢٤) ٠٠ ولقد عارضه نفر من الصحابة فى ادخال هذه النظم المستحدثة التى لم يسبق لها فى الاسلام نظير ، ومن الدين

(٢٢) مجلة (المسلم المعاصر) ص ٧٨ عدد ابريل سنة ١٩٧٥ م (وهى تنقل عن كتابه (مصادر الحق) منشورات معهد البحوث والدراسات العربية) ٠

(٢٣) الاعمال الكاملة للامام محمد عبده جـ ٣ص ٤٢٠ ، ٤٢٦ ، دراسة وتحقيق دكتور محمد عماره طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م ٠ (٢٤) (طبقات ابن سعد) جـ٣ق١ص٢١٢،٢١٦ ٠

عارضوا : عثمان بن عفان وعلي بن ابي طالب٠٠ فالذى قرر ونفذ هنا : ارادة انسانية اجتهدت لمصلحة الامة ، فى مواجهة ارادة انسانية كانت ترى الابقاء على النظام القديم ٠٠

✱ وبعد الفتوحات الكبرى لمجتمعات الزراعة باحواض الانهار ، اراد عمر بن الخطاب وضع نظام ضريبى للارض الزراعية ، فوقع الاختيار على النظام الذى وضعه كسرى انو شروان (٥٧٩م) وهو النظام القائم على اساس « المساحة » ، وظل المسلمون على هذا النظام حتى العصر العباسى ، عندما استبدلوه بنظام يقوم على «المقاسمة»٠٠ بل لقد ظل اسم هذا النظام فى فكرنا وتراثنا شاهدا على ذلك ، فكانوا يسمونه : (وضائع كسرى) ، اى التشريع الذى وضعه كسرى وتواضع الناس عليه فى عصره ! ٠٠ ولم يقل احد لعمر ابن الخطاب ، يومئذ انك تستلهم مصادر غير اسلامية ، و «تضع » بارادتك البشرية نظما ، على حين أن الاسلام له فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والادارة نظم حتمية لا مجال فيها لارادة الانسان ؟ ! ٠٠ لم يقل احد ذلك ٠٠ لان اغلب ما لدينا من تراث اسلامى فى السياسة والاقتصاد والادارة ان هو الا ثمرة للاجتهاد الذى ابدعه المسلمون مسترشدين فى ذلك بالعقل ، كى يحققوا المصلحة الدنيوية والاخروية ، اللتين كانتا ولا تزالان ، غاية الدين والرسل والرسالات ٠

ان الذين يقولون باشتمال الوحى على نظام سياسى واجتماعى واقتصادى وادارى للمجتمعات المسلمة ، وانه ما علينا الا التنفيذ والتطبيق لهذا النظام الحتمى ، الذى لادخل فيه لارادة الانسان ووضعه ، سيصلون شاءوا ام لم يشاءوا ، الى تعطيل ملكة العقل فى الابداع ، وهم بذلك يتنازلون عن ميزة هامة تميز بها الاسلام وامتاز عن الرسالات التى سبقته ٠٠ وكما يقول الامام محمد عبده ، فان هذا الرأى الغريب هو ما انتهت اليه السلطة الكهنوتية الكاثوليكية الاوروبية فى العصور الوسطى عندما زعمت « ان الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج اليه البشر فى المعاش والمعاد٠٠» (٢٥) ٠٠ على حين علمنا الاسلام ان « هداية الدين هى الهداية الرابعة التى وهبها الله الانسان، بعد هداية الحواس ، الوجدان ، والعقل ٠٠ » (٢٦) ٠٠ فجميعها هدايات الهية ، وهبها الله للانسان كى يستعين بها جميعا ويصل بواسطتها الى الغاية التى استهدفها الدين والانبياء والرسل والمصلحون والثوار ، الا وهى سعادة الانسان ، وتحقيق الرشد والاستقلالية اللائقين بخلافته عن المولى سبحانه فى عمارة الكون وزخرفة الكوكب الذى يعيش فيه ٠٠

ان التدين لايعنى التنكر للعقل وبراهينه ، والايمان بالنصوص المروية لا يتجافى مع مراعاة المصالح المتجددة والمتطورة بتجدد الحياة وتطورها ٠٠ والاسلام ، كما نفهمه ونؤمن به ، يدعونا للنظر فى سنن الله وقوانينه الكونية التى تحكم تطور الحياة والمجتمعات ، ويطلب منا الاستفادة فى امور دنيانا بكل ثمار العقل الانسانى ، سواء فى الاقتصاد او الاجتماع او السياسة او الادارة ٠٠ الخ ٠٠ الخ٠٠ بصرف النظر عن عقائد اصحاب هذه النظريات والوانهم واجناسهم واوطانهم ، وبصرف النظر عن العصر الذى ظهرت فيه هذه النظريات والعلوم٠٠

ومرة اخرى نقف ، ونطلب من الداعين الى نظام حتمى ، لا مجال فيه لارادة الانسان ، بعد تغليفه بغلاف دينى، ان يقفوا معنا امام هذه الكلمة الجامعة من كلمات الشيخ محمد عبده التى يقول فيها :« لو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ، ويأخذهم باحكامه ، لرأيتهم قد نهضوا ، والقرآن فى احدى اليدين ، وما قرر الاولون وما اكتشف الاخرون فى اليد الاخرى ، ذلك لاخرتهم وهذا لدنياهم ،وساروا يزاحمون الاوروبيين فيزحمونهم! (٢٧) ٠

ان فى ديننا وتراثنا طاقات خلاقة لازالت وستظل صالحة للعطاء فى معركة امتنا من اجل الحرية والتقدم والوحدة وليس فى تراث الاسلام السياسى ما يتعارض مع المبدا الذى تؤمن به جماهير امتنا وتناضل فى سبيل سيادته ، وهو ان تكون هذه الامة ، دائما وابدا ،مصدر السلطات ٠ ■■

محمد عمارة

---

(٢٥) الاعمال الكاملة للامام محمد عبده جـ ٣ ص٢٩٣ ٠
(٢٦) المصدر السابق ٠ جـ٥ ص ١٨٢ ٠ (٢٧) المصدر السابق جـ٣ص٢٥١ ، ٢٥٢ .

التفتيش

البعض يفضلونه منهجا للبحث عن الحقيقة : اسقاط المنطق والموقف ، والتفتيش فى الضمائر .لا يهم ماذا تقول وتفعل ،ولكن المهم – من وجهة نظر اصحاب هذا المنهج –هو النية والاهداف الخفية .ليست العبرة بالظاهر ،فالسذج وحدهم هم الذين ينخدعون بالظواهر، ولكن العبرة بما تطويه تحت جناحيك . بما تتكتمه وتتستر عليه فى اعماق اعماقك .

هم يتركون كل ما هو معلوم ، ويحمل كل منهم مصباح ديوجين ليبحث عن الحقيقة فى المجهول . وعلى مشقة الرحلة ومخاطرها ، فانهم يتمتعون بقدرة هائلة على الغوص فى عالم المجهول والامساك بالنيات . والقاء القبض عليها .

ومن هذا الباب يحررون شهادات الايمان والكفر والولاء والاصالة والتبعية والتقاعس والتجاوب والتغريب .. الى آخر تلك الصفات والنوايا التى كنا نظن ان الله وحده اعلم بها.

وللامانة نقول ان هذه الصكوك جاهزة دائما ، ينقصها فقط تحرير الاسم والعنـوان والتوقيع ، والاعتماد من الجهاز المختص .

وللانصاف نقول ان اصحاب هذا المنهج يؤكدون دائما انهم يرحبون بكل حوار ، ويفتحون الاذرع لكل مناقشة ، بشرط واحد بسيط – جدا فى الحقيقة – يتصل بمواقع اطراف الحوار. مسالة جغرافية لا اكثر . ذلك ان اصول المنهج لا تحتمل حوار يجرى فوق اوضية مشتركة (يسميها السذج المصلحة العامة) ، بحيث تتصارع الحجج بين الانداد ، ويكشف كل طرف اوراقه فى مواجهة للراى بالراى الاخر .ولكن الحوار الامثل ينبغى ان يتم فى صورة مغايرة. طرف فوق منصة الادعاء ، يوجه الاتهام ويطالب بتوقيع اقصى العقوبة . وطرف آخر فـى القفص يرد التهمة ، وله مطلق « الحرية » فى محاولة تبرئة نفسه .

بهذه الصيغة يتم الحوار الذى يرحبون به ،وهو ما يصفه بعض الخبثاء والمغربين –لاحظ انهم ادرى بالنيات – بانه « محاكمة » !

وللدقة ايضا نقول ان اخواننا هؤلاء ليسوا مخترعين لهذا المنهج ولا حتى مجددين فيه . فهو قد جرب واستخدم من قبل ، وكان مفعوله اكيدا فى اشاعة الخوف والارهاب . ورواده الاوائل دخلوا التاريخ ،ولكن من منافذه الخلفية،عبر تلك الشقوق التى يتسلل منها الاشرار واعداء الانسان دائما . وسجلت كتب التاريخ كل ما فعلوه،ولكن فى صفحات قاتمة وحزينة، ما زالت تهز ضمير الانسان وتثير خجله .

ثم اصدر التاريخ حكمه ،وصرنا نعرف عصر التفتيش فى الضمائر بانه على قمة عصور الظلام التى تردت فيها البشرية .

حدث ذلك فى القرون الوسطى . باسم محاربة « الزيغ فى العقيدة » انشئت محاكـ[م] التفتيش فى ايطاليا والمانيا وفرنسا ، ثم اسبانيا بعد ذلك . وباسم المحافظة على سلا[مة] العقيدة الكاثوليكية اهدرت آدمية البشر.واستخدمت «الدواوين المقدسة» كافة الوسائل لقرا[ءة] افكار « المذنبين » ، من التحريات السرية الى اعترافات الناس امام القسس وكان « الاخـ[وة] المقررون » يصدرون احكام القتل والحرق ومصادرة الاموال على هؤلاء . وقبل التنفيذ يـ[جب] ان يؤدى المتهم رسوم الايمان « الاوتودافى » بحيث يرتدى الثوب المقدس ، ويوضع حبل عنقه ، وشمعة فى يده ، ويمر على الكنيسة ليكفر عما فعل ، او ما لم يفعل (!) ...
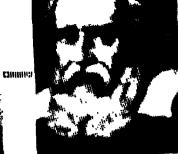
ابن رشـد

جاليليو

فى الضمائر !

دستور ديوان التحقيق يجيز محاكمة الموتى والغائبين الذين يشتبه فى ايمانهم وتصدر الاحكام فى حقهم وتوقع العقوبات عليهم ، مثل الاحياء تماما • فتصادر اموالهم ، وتقام لهم تماثيل تنفذ فيها عقوبة الحرق ، او تنبش قبورهم وتستخرج رفاتهم لتحرق ايضا !

وكان « الانجاز » الذى حققته هذه المحاكم هو انها خلال ١٨ عاما ـ فى الفترة من ١٤٨١ الى ١٤٩٩ ـ حكمت باحراق ١٠ آلاف و ٢٢٠ شخصا وهم احياء • كما حكمت على ٦ الاف و ٨٦٠ بالشنق بعد التشهير • وعلى ٩٧ الف و ٢٣ شخصا بعقوبات اخرى مخففة !

●

بعد خمسة قرون ، يعود البعض فى ايامنا الى اسلوب قراءة الافكار ومحاكمة النيات والتفتيش فى الضمائر •

تحاول أن تقول رأيا ، فيجيئك الرد اتهاما !

لاحد يسأل ماذا تريد • لا احد يناقش ما تقول ، او يحاول ان يتثبت من صحة اسانيدك وحججك •ولا أحد يقيم ما تفعل • ولكنك تتلقى على الفور شيئا لا يمكن ان يخطر لك على بال • يجتمع « الاحبار المقررون » فى لحظة ثم يصدرون حكمهم : مغرب • مشرك • كافر •

لا أحد يستخدم عقله ومنطقه • ولكن الايدى السحرية الجبارة التى تملكها « الدواوين المقدسة » تمتد الـى اعمالك • تفتش وتقلب الاوراق وتشخص العالة وتقدم الحكم الـى « الاحبار » ، ولا بد أن يكون بالاعدام والحرق ، السياسى والادبى !

وعبر التاريخ العربى ، كان اشهر اسلحة تصفية الخصوم هو التشكيك ، بـالحق او بالباطل • التشكيك فى الايمان،والتشكيك فى الولاء، (دعك من نوع ثالث شهير فى الشارع العربى وهو التشكيك فى الرجولة) •

كان التشكيك فى الايمان هو السلاح الأمضى عندما كان الناس يعبدون الها واحدا ، سبحانه • وبرز سلاح التشكيك فى الولاء عندما تعددت الالهة على الارض !

وقضية التشكيك فى الايمان هى الاكثر قابلية للمناقشة الان ، لانها الاكثر تحديدا ، كما أن الفكر الاسلامى الصحيح له موقف واضح منها كما سنرى • بينما التشكيك فى الولاء ـ رغم انه مرفوض كاسلوب ـ الا انه يحتاج الى بحث مطول يبدأ بالتساؤل : الولاء لمن؟ وكيف ؟

وتلح علينا قضية التشكيك فى الايمان فى هذه المرحلة بوجه خاص ، بعد أن استخدم هذا السلاح فى معاركنا السياسية والفكرية • كانما لم يكتف اصحاب هذا المنهج بالاعـدام الدنيوى ، السياسى والادبى ، لكنهم صاروا يطاردون اصحاب الراى المخالف فى الاخرة،حتى يلقى بهم فى الجحيم !

ونحن نقول ابتداء ان هذا المنهج ، فضلا عن كونه علامة تخلف فاضحة ، فهو ايضا بمثابة اشهار للافلاس • هو اعلان عن الضعف والعجز الفكرى ، لان القاءالاتهام فى الحوار الفكرى لا يظهر الا فى غيبة الحجة •

ولنذكر أن المشركين عندما عجزوا عن ان يصدوا دعوة النبى محمد عليه السلام الى عبادة الله وحده، ورفض عبادة الاوثان ،والمساواة بين البشر ••عندما لم يجدوا مايقولونه،

لجاوا الى نفس الاسلوب • قالوا عنه « ساحر او مجنون » ،كما يروى لنا القرآن الكريم •
ولنذكر ان محاكم التفتيش ظهرت فى مناخ مماثل • عندما احست الكنيسة بان سلطانها مهدد امام بشائر العلم والفكر الفلسفى • عندما عجزت عن التصدى بالمنطق والحجة لما يقوله تلاميذ ابن رشد وتلاميذ تلاميذه الذين انطلقوا من جنوب فرنسا وايطاليا،وكان رجال الكنيسة والمتحالفون مع الاقطاع يرددون دائما « ان الجهالة أم التقوى ! » •

لقد قرر مجمع « لاتران » امام هذا الزحف المستنير ان يلعن كل من ينظر فى فلسفة ابن رشد ، واعتبر الدومينيكان لعنة ابن رشد واتباعه نوعا من العبادة والقربى الى الله ! • هؤلاء انفسهم هم الذين حكموا بالكفر على « برونو » الذى قال بوحدة الوجود • واحرقوا جاليليو الذى قال بدوران الارض حول الشمس • واقرانهم فـى مجمع سلامانك هم الذيـن اعتبروا كريستوف كولومبس « مخالفا لاصول الدين » ، عندما ذهب يستكشف العالم الجديد• وهم ايضا الذين عارضوا استخدام الحقن تحت الجلد • وقالوا ان تخدير المراة لتخفيف آلامها اثناء الولادة يصيبها باللعنة ، لان سفر التكوين يقول للمراة فى اصحاحه الثالث : بالوجع تلدين اولادا !

سيف الجلاد هو البديل دائما • واطلاق سهم الكفر والمروق هو الحل الاسرع للخروج من مازق العجز والافلاس •

●

تعالوا نرى اذن كيف حسمت قضية الايمان والكفر فى التاريخ الاسلامى منذ قرون••
عندما ذهب اسامة بن زيد يروى للرسول عليه السلام قصة المشرك الذى نطق بالشهادتين عندما رآه يصوب سهمه نحوه ، ولكن اسامة لم يبال وقتله • استمع الرسول الـى القصة وسأله معاتبا : هل فحصت قلبه ؟ وفى « سيرة ابن هشام » ان اسامة بن زيد ظل نادما على ما فعل طوال حياته •

أراد النبى ان يقول له ، ولغيره ، ان الرجل اذا نطق بالشهادتين فهو مسلم • ولا يملك احد على وجه الارض ان يحكم بكفره •

وهذا ما فعله على بن ابى طالب ، عندما رفض ان يوصف الخوارج بانهم كفار ، رغم انهم شهروا السلاح فى وجهه ، وقال لمن حوله : بل هم مسلمون •

ومن اصول الاحكام الشرعية انه « اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ـ مرة اخرى : مائة وجه ـ ويحتمل الايمان من وجه واحد ، (واحد فقط) •• حمل على الايمان ، ولا يجوز حمله على الكفر » •

وفى كتابه « الفتاوى الشرعية » ، يرفض ابن تيمية وصف من اعلن اسلامه بانه كافر، ويقول ان التكفير هو اول بدعة فى الاسلام •

والامام الغزالى يذهب الى ابعد من ذلك • يقول فى كتابه « احياء علوم الدين » ان الشك فى الايمان كفر •

والى ابعد وابعد ، تذهب الفتوى التى نشرها الامام الشاطبى ضمن كتابه « الموافقات»• تقول الفتوى ان المهم فى تقييم المرء هو موقفه المرئى والملموس ، وليس قناعاته ومعتقداته• ونصها ان : « الكافر العادل افضل من المسلم الجائر ، لان الاول عليه كفره ولنا عدله ، والثانى له اسلامه وعلينا جوره » •

ماذا يقول احبارنا المقررون ؟؟ ■■

فهمى هويدى

اذا فقد الطفل شهيته لاسباب مرضية فالطبيب يعالجه • اما اذا كان الطفل سليما وفقد شهيته فامه هى طبيبه الوحيد •

مشكلة تشغل كل بيت :

عندما يفقد الطفل شهيته !!

بقلم : الدكتور محمد صادق زلزلة

■ من المشاكل الكبرى التى تشكو منها كثير من الامهات هى مشكلة فقد الشهية عند الطفل • ولا يجوز أن تلام الام على ذلك • فان فقد الشهية عند الطفل من الامور المهمة التى ينبغى أن تعطى أهمية كبرى ، لا لان الموضوع ـ اجمالا ـ فيه من الخطورة ما يخشى منه دائما ، بل لان بعض الامراض قد تكمن وراء بعض حالات فقد الشهية •

فقد يسبب فقد الشهية عند الطفل ، فى بعض الحالات ، الضعف العام والهزال ، وفقر الدم وهذه بدورها تؤدى الى فقد الشهية ايضا ••فيدور الامر ـ حينئذ ـ فى حلقة مفرغة• وقد يؤدى الامر الى التأثير على نمو الطفل • كذلك فان الطفل الهزيل يكون هدفا سهلا ، ومرتعا خصبا ، لكثير من الامراض الانتانية ـ تصيبه وتفتك به ـ لقلة مقاومة جسمه الهزيل الضعيف لها •

لهذا كله ، فان الامر يتطلب الاهتمام لمعرفة السبب ـ بعد دراسة الحالة واستقصائها ـ والسعى لمعالجتها •

وثمة اسباب مرضية متعددة لفقد الشهية عند الطفل ••

ـ فالحميات ، والامراض الحادة ، والامراض الانتانية ، كلها تسبب فقد الشهية ـ بصورة مؤقتة ـ عند الطفل ، كالانفلونزا ، وذات الرئة ، وهى التيفوئيد ، وحالات الاسهال الشديد ، والحصبة وغيرها •

ـ كذلك فان الاصابة ببعض الطفيليات ، التى تسبب للطفل فقر الدم والضعف ، والهزال ، من ديدان وغيرها ، تسبب بدورها فقد الشهية التى تزيد الحالة عند الطفل سوءا على سوء •

ـ والامراض المزمنة ، سبب مهم من أسباب فقد الشهية عند الطفل ايضا ، كما فى حالات التدرن بانواعه ـ وامراض الكلى ، وامراض القلب المزمنة ، وامراض الدم ، ونحو ذلك •

عند الطفل السليم

والذى يعنينا هنا ليس فقد الشهية عند الطفل المريض • فان ذلك من الامورالتى تعطى فيهـــا الاهمية لمرض الطفل نفسه وليس لشهيته • أما فقد الشهية عند الطفل السليم الجسم ـ السالم من الامراض والافات ـ فهو ما يعنينا هنا خاصة •

وقبل الغوض فى الموضوع ، ينبغى أن ننوه هنا عن وجود بعض الحالات عند الطفل يخيل للام معها أن الطفل مصاب بفقد الشهية ، وهو فى الحقيقة ليس كذلك •

ـ فالشهية عند الطفل قد تختلف من يوم لاخر، فيرى الطفل ذا شهية طيبة فى بعض الايام ، فهو ياكل ما يقدم له ، بل ويزيد احيانا على ذلـــك فيطلب منه المزيد • وقد تقل شهيته ـ اياما اخرـ فلا يعود ياكل طعامه كله ، فيخيل للام أن طفلها مصاب بفقد الشهية او ما يسببه ذلك • ان هذه الحالة ـ زيادة الشهية يوما وقلتها يوما آخر ـقد تحدث عند الكبار ايضا ، وليس فيها ما يؤذى او يضر • وليس فى الكبار من لم يجرب ذلك مرة او مرات ، فلا يعير الامر التفاتا •

ـ وقد يقبل الطفل علىأنواع معينةمن الطعامـ يحبها ويستســيغها ـ فيلتهمها التهاما ، ويعزف عن أنواع أخرى منها ، فتعافها نفسه فلا يقربها• فيخيل للام أن طفلها « لا ياكل » طعامه •

ـ وقد يكونالطفلصحيحا سالما ،وشهيتهللطعام سليمة • ولكن الام تقارن طفلها بطفل اخر من ذويهـا ـ فى مثل سنه مثلا ـ تراه ياكل بشهية كبيرة ، فترى طفلها ـ بالمقارنة معه ـ ليس ذا شهية طبيعية كاملة •

ان اكثر اسباب فقد الشهية عند الطفل السليم هى اسباب بسيطة يمكن تلافيها وتجنبها ، اذا ما عرفت الام اسبابها ، واطلعت على دوافعها ، من غير أن تلجا لاستشارة الطبيب •

ـ قد تتبع الام عادات خاطئة عند تغذية طفلها• كاعطاء الطفل وجبات متعددة ، باوقات متقاربة ، رغبة منها فىحصولالطفل علىوزن اكبر ، وصحة افضل ! •• فيتسبب عن ذلك بعض اضطرابات الهضم التى تسبب فقد الشهية عند الطفل •

ـ وهناك بعضالعالات النفسية المهيجة للطفل، كالخوف والرعب ، والغيرة ، والحزن الشديـد ، والفرح الشديد ، والقلق النفسى الناشىء من جو البيت ، او المدرسة ،، كلها قد تسبب فقد الشهية• وعلى الامأن تعملعلى أزالة كلأثر منآثار التهيج النفسى من طفلها قبل جلوسه الى مائدة الطعام بوقت كاف •

ـ ان التعب والارهاق من مسببات فقد الشهية عند الطفل • فاللعب قبل الطعام ـ خاصة اذا كان من نوع عنيف كالركض ـ يتعب الطفل ويرهقه ، فيفقد شهيته للطعام • لذا فان على الام أنتستدعى طفلها قبل الطعام بمدة كافية ، فتنصحه بالذهاب الى الحمام ، وغسل يديه ووجهه ، والتهيؤ لتناول الطعام • وذلك بالجلوس ـ براحة واطمئنان ـ مع بقية أفراد العائلة •

ـ كذلك يجب ان يراعى وضع الطفل ، وراحته عند جلوسه الى المائدة • اذ ينبغى أن يكون كرسى الطفل ملائما ومريحا ، وكذلك المائدة نفسها • كما ينبغى الانتباه الى الصحون ، والملاعق ، والاكواب ،لئلا تكون غير ملائمة للطفل،أو مزعجة له ، فينزعج من ذلك ، وتعاف نفسه الطعام •

ـ ومن ناحية اخرى ، قد لا يجد الطفل وقتا كافيا لتناول طعامه ، اما بسبب عجلة افرادالعائلة فى تناول طعامهم، أو عجلته هو نفسه• مما يسبب له بعض الارتباكات التى تفقده ـ بدورها ـشهيته للطعام •

ـ كذلك فان الطعام كلما كان مظهره لطيفا جذابا ، وطعمه شهيا ، ورائحته زكية ، وطريقة عرضه مغرية جذابة ، كلما اقبل الطفل علىتناوله بشغف اكبر ، وشهية افضل • ولا تنسى الام ان تتفهم ما يحبه طفلها من وجبات ، وما يسيغه من طعام فتعمل على الاكثار من اعداده له • فاذا ملَّ تناولـه ـ على مـر الايـام ـ تعمـل على اعداد ما يحبه من طعـام اخر ، فان لديهـا من تنـوع الطعام ، وتعدد اصنافه ، ما يغنيها عن الحيرة ، ويجعل امامها اختيار نوع الطعام سهلا ميسورا •

ـ ولا يفوتنالامـ عند جلوسطفلها الىالمائدةـ ان يكون جو الطعام بهيجا سارا ، تتخلله احاديث لطيفة مسلية ، وتبعد عن الاحاديث المؤسفةوالمؤلمة، او القذرة للنفس ، ونحو ذلك •

ـ كما يجب ان يعامل الطفل ، وهو علىالمائدة، معاملة الكبار • فلا يلام على خطا يرتكبه • فلا يوبخ مثلا ـ اذا سقط من يده شىء من ادوات

المائدة ـ كالملعقةمثلا ـ او بعض الطعام ، أو غير ذلك • كما ان شهيته للطعام يجب ان تحترم ، فلا يلح عليه ، ولا يجبر ، على تناول نوع معين من الطعام دون آخر ، او الاكثار منه مثلا • حتى يشعر الطفل بانه عضو في العائلة مثل بقية اعضائها الذين هم اكبر منه سنا •

ـ ويجب ان تدرك الام ان اكتساب عادات الغذاء، وتناول الطعام عند الطفل يجب أن يكتسب بتجربة الطفل نفسه ، فلا يجب ان تتدخل الام في ذلك ، الا في بعض التوجيهات والنصائح التي تخص آداب المائدة واصولها •

فقد الشهية العصبي

وهذه مشكلة كثيرا ما تختلقها الام نفسها • وذلك بان تقوم بالضغط على طفلها ، والالحاح عليه ، بتناول وجبات طعامه ، والتحكم في نوعيتها وكميتها ، واوقاتها• فاذا رفض الطفل ذلك ، او مانع فيه ، تضطرب الام ، وتبدو عليها سيماء القلق واللهفة • وتروح تشكو الى زوجها ، وصديقاتها ـ امام الطفل ـ ما تلاقي من شقاء وماتعاني من تعاسة وبلاء ، خوفا على طفلها مما هو عليه من فقد الشهية و « عدم الاكل » ! وما تخشى ان يؤدي اليه ذلك من نتائج وخيمة •ثم تاخذ ولدها ـ مرات عديدة ـ فتزور به عيادات بعض الاطباء ، فتشكو من فقد ولدها للشهية ، وعدم تناول طعامه ، وانه قضى عدة ايام بدون ان « ياكل او يشرب » ، ومن غير ان « يذوق »شيئا من الطعام •• وانه «سوف يموت من الجوع»••وهكذا كل ذلك والطفل يسمع ويرى ! فيطلع على امر كان يجهله قبل هذا ،وهو ماله من منزلة كبيرة ، واهمية عظيمة عند امه ويكتشف فيها نقطة من نقاط الضعف عندها ، فيزداد تعنتا وجبروتا ليلفت اليه الانظار ، وليحصل على قدر اكبر من المحبة والرعاية ، والاهتمام ، فتنغلق شهيته للطعام اكثر من ذي قبل •

ولعلاج مثل هذه الحالة ، يجب اولا ان تعتقد الام بخطل سلوكها ،وخطا تصرفاتها •وان تستطيع ضبط عواطفها، والتحكم باعصابها ومتى ما تم ذلك فان امر العلاج يصبح سهلا ميسورا •

ـ تكف الام عن الالحاح على طفلها بتناول طعامه ، كما تكف عن الشكوى من فقد طفلها لشهيته امام الطفل او في غيابه • وتحاول ان تنسى الموضوع بعد ان تطمئن من الطبيب عن عدم وجود سبب عضوي من اسباب فقد الطفل لشهيته •

ـ تضع الام الطعام امام الطفل في موعد تناول الطعام • فان لم يتناول منه شيئا ، او انه قد تناول منه شيئا قليلا ، ترفع الطعام عنه بطريقة اعتيادية هادئة ـ لا باسف ولا بغضب ـ فاذا طلب الطفل ـ بعد مدة ـ بعض الطعام ، تفهمه الام ـ ببساطة وبلهجة اعتيادية خالية من الغضب اونحوه ـ انه لا يستطيع ان يتناول طعاما اخر حتى موعد الوجبة القادمة للطعام •فاذا تكرر ذلك ـ واعصاب الام هادئة ونيتها صادقة ـ فسيتغير الامر الى عكس ما كان عليه قبل ذلك ، فيصبح الطفل هو الذي يطلب الطعام ،ويجري وراءه •فتزول الحالة ، وترجع شهية الطفل الى ما هي عليه عند بقية اقرانه ، وربما افضل من ذلك •

ـ ولتحذر الام ـ كل الحذر ـ من اجبار طفلها على تناول طعامه ، او ما تقدمه له من كميات كبيرة منه ، فان ذلك سيصيب الطفل بعسر الهضم، وما ينتج عنه من اضطرابات هضمية كثيرة ، كتجمع الارياح المزعجه في البطن والتقيؤ احيانا، واستفحال امر فقد الشهية للطعام ،واضطرابات الامعاء ،ونحو ذلك •

ـ ونود هنا ان نذكر الام بانها لابد ان تكون قد اطلعت على حالة بعض العائلات التي تضم عدد كبيرا من الاطفال ـ خاصة العائلات المتوسطة وما دون المتوسطة ـ والضجة التي تقوم حول مائدة الطعام ، من تزاحم وتسابق ، وكيف ان الاطفال يتزاحمون فيما بينهم للحصول على اكبر كمية من الطعام • كذلك فاننا نذكرها :

كيف ان الام في العائلة ذات الطفل الواحد ، تحمل وحدها مشقة التوسل لطفلها ، وعناء التضرع اليه ، ان يرحمها فيتناول طعامه • وقد تفقد اعصابها فتهدده ، بل وتضربه ، حتى ياكل طعامه!

ان على الام ان تحذر مثل هذه التصرفات ، وان تتجنبها ، فلن تجنى من ورائها غير النصب والتعب، وان تجرب ما نصحنا به،فترى حل المشكلة سهلا ميسورا • ■■

الكويت ـ محمد صادق زلزلة
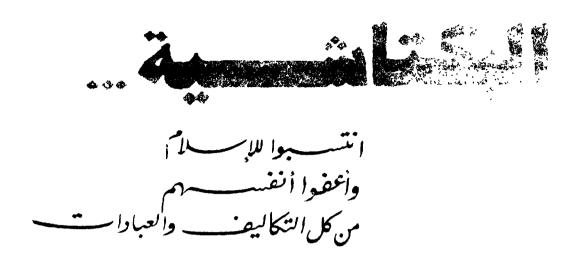
بقلم : محمد موفاكو

المستشرق اليوجوسلافي

لم يتح للبكتاشية ان تنتشر في العالم العربي ، كما انتشرت في مناطق اخرى ، ولذا بقي الاحتكاك بها نظريا ولم يتخذ طابعا حياتيا . الا أن هذا لا يعني أن البكتاشية لم تحظ بطوائف من المهتمين والمهاجمين والمدافعين في الشرق العربي . علينا أن نضيف هنا أنه ، لاعتبارات عديدة ، سيكون خط الدراسة متوجها الى البانيا ، المكان الذي يمكن اعتباره مهدا وقبرا للبكتاشية في امتدادها البلقاني .

■ اذا تركنا الحديث هنا لمؤرخ ، اكتفى بتسمية نفسه « احد علماء القسطنطينية » ، ليحدثنا عن البكتاشية ، سنجد ان اي بكتاشي قد يجد صعوبة في التعرف الفوري على بكتاشيته . فالبكتاشية عند هذا المؤرخ هي « اكبر الطوائف المشغولة باضلال المسلمين » ، كذلك فان البكتاشية « ليست شيعية بل مشركة ، ولما لم تستطع اضلال اليهود والنصارى اشتغلت باضلال المسلمين » ويؤكد هذا المؤرخ على أن البكتاشية هي امتداد للحركة القرمطية ، وان احد رجال هذه الحركة المسمى « علي الاعلى» هبط تكية الحاج بكتاش الولي في الاناضول وتلبسه او البسه عقيدته زورا وبهتانا ،

ماسبق ليس الا عينة من تفاسير جاءت لاحقة للتصفية التي حلت بالبكتاشية في القرن ١٩ في تركيا . ان ذلك الذي يمكن تسميته بالتطعيم النظري ، الذي جاء البكتاشية من الخارج لا يحتاج الى رد . لقد كان هذا مجرد نموذج لما حدث آنذاك في اوساط الطوائف المتمردة . ولن

كاتب المقال الدكتور موفاكي ترلي بنفسه تصوير دراويش البكتاشية ، وفي هذه الصورة يحتج احدهم على تصويره ٠

يكون من المتاح هنا تتبع خطوط هذا التطعيم النظرى من الخارج ، وانما سنحاول فقط — فى انتظار فرصة خرى — ان نتابع ماطرا على جناح الحركة البكتاشية من تطورات ، لدى اقتحامها لــوسط بشرى جديد ونقصد الوسط الالبانى فى البلقان ٠

البكتاشية انتقلت الى البلقان ، بعد انتقال الاسلام واستقراره فى هذه المنطقة من العالم ٠ ولكى نستطيع أن نتفهم النمو اللاحق للبكتاشية هنا ، علينا أن ناخذ فى عين الاعتبار جملة من الظروف التى احاطت بدخول الاسلام الى البلقان٠ فالاسلام الذى تغلغل هنا لم يكن نقيا ، بل مجملا ومشوبا بترسبات طارئة ، علقت به خلال مسيرته الى البلقان ٠ كذلك فان الاسلام فتح البلقان دينا ودولة واستوطنه دينا ودولة ٠ وهذه المسافة بين دين — ودولة كانت مصونة ٠ فالمركز كان يرى فى كل معارضة للــدولة هى رفض لدين الدولة المعلن ٠ وهذا الموقف ستجد البكتاشية نفسها فيه حين تتحول الى حركة معارضــــة ٠ واخيرا ، فان الاسلام تغلغل فى منطقة حبلى بالالام والصراعات، منطقة تبحث عن مهـــدى يفك لها آلامها ٠ وجاء الاسلام ليحمل معه شحنة من عالم آخر ، زرعت الشك فيما هو سائد ، وساهمت فى ابراز موجة جديدة الى السطح ٠

هــذه الموجة جــاءت تحت ضغط التماســات والاحتكاكات بين تيارات تمثل شتى الشيع والنحل وتحولت ،كامتداد لهذا الوسط او كانقلاب عليه، الى تربة صالحة لانعاش ايديولوجية تصالحية ، تستند الى ما هو سائد وترفض ما هو سائد ٠ فى مثل هذا يشار الى حــركة مصطفى بركليجى ١٤١٥ ، تلك التى كادت ان تسيطر على البلقان، والتى اراد منها صاحبها نبذ التشيع بين الناس، والغاء الملكية الفردية ، واشـــاعة كل ما يحيط بالانسان ما عدا النساء ٠ كذلك تجدر الاشارة الى حركة راهب كوستور فى القرن ١٧ ، اى فى القــرن الذى بدأ فيه انتعاش البكتاشـــية فى البلقان ٠ لقد نادى هذا الراهب بدين تصالحى بين الاسلام والمسيحية ، يعتمد على خليط منتخب ومتجانس من الديانتين ٠ الا ان هذه الدعـــوة جوبهت برفض الطرفين ، اللذين حاول توحيدهما٠ فقد كفرته الكنيســـة من ناحيتها وطـــردته من حظيرتها ، كما ان السلطة التركية لم تتقاعس عن مقاومته وملاحقته ٠

هذه الظروف تتيـــح لنا أن نتفهـــم كيف أن البكتاشية ، حين انتقلت الى البلقان ، وجــدت وسطا مهيئا للاحتفال بها ٠

لقد انتشرت البكتاشـــــية فى البانيا كما لم تنتشر فى اى مكان فى البلقان او فى العالم ٠ ويرتبط دخول البكتاشية الى البانيا بشــخصية غريبة هى سرسم على ديديا S.A. Ledja الالبانى الذى عاش فى نهاية القرن ١٥ وحتى منتصف القرن ١٦ ٠ وتشير المعلومات الى انه كان وزيرا للسلطان ســـليمان القانونى (١٥٢٠ — ١٥٦٦) الا انه انسحب من البلاط فى لحظة زهد، واعتنق البكتاشـــــية ليعيش بعدها كدرويش فى تكية الحاج بكتاش الولى ٠ وفى عام ١٥٥٠ أصبح الشيخ الاكبر فى هذه التـكية قبل أن يتوفى فى عام ١٥٦٩ ، وقد اوصى بكل ثروته لبناء تكية فى مسقط رأسه الالبانى فى تيتوفا Titova

الا ان هذه البكتاشية ، التي تسربت الى البانيا في منتصف القرن ١٦ ، كانت مجرد امتداد للبكتاشية في طورها التركي ، الذي تبدى منذ القرن ١٣ في الاقاليم المتاخمة للحدود في الاناضول ، حيث تعايشت هناك الوثنية والمسيحية بالاضافة الى دخول الاسلام اللاحق . وقد بقيت البكتاشية مادة خام لفترة من الزمن في البانيا ، اذ انها لم تتعد التلويح بالثار الشيعي لعلي بن ابي طالب وذريته ، وبالمقابل خلت تعاليمها من أية ميول ضد المسيحيين او ضد الاديان الاخرى ، مما ادى الى أن تكون التكايا البكتاشية مفتوحة لكل انسان .

اضافة الى ذلك ، قامت البكتاشية بتفسير العبادات والتكاليف الشرعية على طريقتها الغاصة . فقد احلت العضو من تادية التكاليف الشرعية من صلاة وصوم وغيرها ، كما حللت له شرب الخمر وغيره من المحرمات . وفي مقابل هذا اقامت البكتاشية تكاليفها ومؤسستها الخاصة بها ، التكية ، التي خلت من وجود القبلة . فاجتماعات الذكر والتذكير للمراتب المختلفة ، التي تنوب عن الصلاة ، كانت تتخذ شكل الدائرة ، بحيث يقابل كل انسان وجه انسان آخر . وفي هذا يحتج البكتاشيون على الاتجاه الى قبلة معينة « اذ ليس لك افضل من ان تقابل او توجه ذاتك نحو انسان آخر » . وعلى ما يبدو ، لقد شجعت هذه الامور بالاضافة الى مناداة البكتاشية بوحدة الوجود ، على دخول قطاع من المسلمين ، ذلك الذي بقيت فيه رواسب المسيحية حيث وجدوا في البكتاشية حلا نوعيا يمكنهم من الجمع بين مسيحيتهم السابقة واسلامهم المعلن .

مع هذا بقيت البكتاشية مجرد اتجاه اخواني لم يقترب بعد من السلطة ومشاكلها . الا ان البكتاشية سرعان ما ستشهد تطورا حاسما في العقد الثالث من القرن ١٩ ، ذلك الذي شهدت فيه البكتاشية تحولا حاسما في اتجاهين : سقوطا في تركيا وانبعاثا في البانيا .

ويرتبط انبعاث البكتاشية في هذه المرحلة بوجه الباني بارز هو البابا كمال الدين شميمي Babaj Qemaludin Shemimi ، ويذكر عنه انه كان استاذا في مدرسة سنية قبل أن يتحول للبكتاشية . وقد عاش لفترة في تكية العاج بكتاش ثم عاد مع رفيق له الى مدينة كرويا Kruja الالبانية ، حيث اقاما هناك تكية للتبشير وقد تجولا بعدها طولا وعرضا في البانيا للتبشير بالبكتاشية ، قبل أن يحالفه الحظ في البانيا الجنوبية . حين اعلن علي باشا تبلانا A. P. Tepelana بكتاشيته على يد كمال الدين .

ويمكن ان يؤخذ اعتناق علي باشا للبكتاشية على كونه يشكل انعطافا ذا مغزى بالنسبة للبكتاشية في تطورها اللاحق الايديولوجي والتنظيمي . فمن المعروف ان علي باشا كان قد نجح ، على غرار معاصره محمد علي باشا في مصر ، في توطيد ادارة محلية تعترف بسلطته في البانيا الجنوبية والوسطى ، ومن ثم دخل في صراع مع السلطة التركية لانتزاع اعتراف من اسطنبول بالكيان الالباني . وربما يكون علي باشا قد وجد في البكتاشية ، التي تنادي بالثار الشيعي من السلطة التركية ، احتياطا له يمكنه من أن يعلن حربا قومية ودينية في آن واحد ضد اسطنبول . ومن هنا يمكن اعتبار علي باشا اول من استثمر البكتاشية في خدمة الميل القومي الالباني الذي يهدف الى الانفصال عن تركيا . ومن الطبيعي حينئذ ان تشهد البكتاشية تفتحها الالباني في عهد علي باشا ، اذ نجد ان التكايا البكتاشية اخذت من حينها تغطي المدن الالبانية هنا وهناك في البانيا الجنوبية اولا ، ومن ثم صعودا نحو الوسط والشمال . وقد هدف هذا الانتشار اذن الى تشكيل قاعدة شعبية مناهضة للسلطة التركية .

الا ان علي باشا هزم اخيرا في ١٨٢٢ امام الجيوش التركية التي احاطت به من كل جانب ، وقد اعقب هزيمة علي باشا قيام السلطان التركي باجراء تصفية عنيفة للبكتاشية . وعلى حين أن تصفية البكتاشية جاءت قاصمة في تركيا ، تمكنت البكتاشية في البانيا من ان تنقذ نفسها باللجوء الى الجبال ، قبل ان تعود ثانية مستفيدة من ضعف السلطة التركية .

لقد ادى بطش السلطة التركية بالبكتاشية في البانيا الى صدع عميق بين ال[illegible] اذ ان تكفير السلطة التركية للبكت[illegible] واعتراضها على انتساب البكتاشية للدين [illegible]

للدولة وبالتالى مقاومتها للبكتاشية اينما كانت، دفع بالبكتاشية الى ان تجد نفسها فى المعارضة ، بل وفى زعامة المعارضة ، التى استعادت من حينها زمام المبادرة للمقاومة الطويلة للوجود التركى . لقد ادى هذا ايضا الى ان تشهد البكتاشية تفتحا البانيا،بحيث تتميز به تماما عنالبكتاشية التركية. وقد جاء هذا التحول فى لحظة اخذ فيها الحس القومى الالبانى يطغى على كل شىء ، مع وضوح خطر تقسيم وابتلاع الاراضى الالبانية .

لقد انتج هذا الشعور بالخطر جيلا جديدا من البكتاشيين ، الذين ارتبطت مصالحهم اكثر فاكثر بحركة الاستقلال القومى ، وبالتالى ارادوا للبكتاشية ان تاخذ قلبا وقالبا البانيين ، كى تتمكن من قيادة حركة الاستقلال القومى . ومن هذا الجيل يمكن الاشارة الى الاخوة فراشرىFrasheri (نعيم ـ سامى ـ عبدل) .

لقد عمل نعيم فراشرى (١٨٤٦ ـ ١٩٠٠)كثيرا على اقناع الآباءالبكتاشيين فى أن الالبانيين بحاجة الى شيخ اكبر البانى يتلقى منه الآباء تعاليمهم، لا ان يذهبوا الى تكية الحاج بكتاش التركية لكى ينالوا من هناك التوجيهات والتعليمات . كذلك فان ن . فراشرى ساهم فى اعطاء الايديولوجية البكتاشية امتدادا اجتماعيا ، يتناول ما هو معلق من المشاكل الاجتماعية ، بحيث يسمح بتحول البكتاشية الى ايديولوجية معاصرة لوقتها ، الى ايديولوجية الثورة البرجوازية القومية .

اما عبدل فراشرى Abdul Frasheri فقد حاول من ناحية اخرى ان يضمن للبكتاشية وجودا فى زعامة الانتفاضة المسلحة التى كانت على وشكان تنطلق مع عام ١٨٧٨ . وقد ادى اقتراب انعقاد مؤتمر برلين حينئذ الى تعاظم الخوف من ابتلاع جديد للاراضى الالبانية ،ولذلك عقد زعماء الحركة القومية تحالف بريزرن Lidhja E Prizrenit فى ١٠ يونيو (حزيران) ١٨٧٨ لدرء خطر التقسيم . وقد زار ع . فراشرى بعد انفضاض جلسة ١٠ حزيران عددا من التكايا البارزة ،وتمكن بمساعدة بابا علوش من استمالة غالبية الآباء البكتاشية الى ايديولوجية معاصرة لوقتها ، الى الانضمام للانتفاضة المسلحة .

وقد ساهم ايضا سامى فراشرى (١٨٥٠ـ١٩٠٣) بدوره فى تحويل البكتاشية عن سكتها الضيقة ، وبالتالىفى تعبئتها بمادة ايديولوجية جديدة ، تمثل فى روحها تطلعات البرجوازية الالبانية الناهضة .ويبدوهذا فى كتابس . فراشرىالشهير « البانيا :ماذا كانت وما هى اليوم وكيف ستكون؟» ١٨٩٧ ، الذى اراده س. فراشرى أن يكون برنامج عمل لحركة الاستقلال القومى . ففى هذا الكتاب تبدو بكتاشية سامى الالبانية التى امتصت منها الان الروح الدينية ، فى الفصل المتعلق بتنظيم الاديان فى البانيا المقبلة .فىهذا الفصل يستعرض س . فراشرى تنظيم الاديان ، حيث ينتهى الى أن يربطها بوزارة المعارف أو العدل ، ويضيف س . فراشرى فى موضع آخر أن رؤساء الاديان فى البانيا ، اى المفتى الاكبر للمسلمين والبطريرك للارثوذوكسيين ورئيس الاساقفة للكاثوليكيين « سيكونون موضع احترام ، ولكن لن يتدخلوا الا فى امور العقيدة » .

لقد كدنا نغفل هنا ان هذا التطور الايديولوجى للبكتاشية الالبانية ، جاء موازيا لتطور آخر لحق البكتاشية ، فى امتدادها الالبانى ، من الناحية التنظيمية ، فالبكتاشية ، فى طورها التركى ، لم تكن اكثر من اخوانية ، على حين ان البكتاشية ، فى تفتحها الالبانى ، ستتحول الى حزب سياسىله تطلعاته فى سبيل سلطة ودولة خاصة به . ولقد كان من الطبيعى أن تتخذ البكتاشية هنا طابع الحزب المراتبى ، الذى تتدرج فيه رتبة العضو ودرجته تبعا لاقدميته ونسبة ولائه والتزامه . وقد اتخذ تدرج المراتب هنا الشكل التالى : عاشق ـ محب ـ درويش ـ مجرد (متفرغ فى التعبير الحزبى الحديث) ـ بابا ـ خليفة ـ مساعد الشيخ الاكبر ـ الشيخ الاكبر .

ولقد دخلت البكتاشية هنا بعد اكتمال تطورها الاولى ، فى معركة اخرى لتوضيح ذاتها ، الا وهى معركة اللغة والابجدية . لقد اتخذت البكتاشية منذ البدء موقفا صارما فيما يتعلق بالتمسك باللغة الالبانية وعدم استبدالها بالتركية . كذلك فان البكتاشية ساهمت بدورها فى معركة اختيار الابجدية الالبانية . والمثير أن الآباء البكتاشيين رحبوا لفترة بالابجدية العربية ، الا انهم عادوا

وانقلبوا عليها وطالبوا عوضا عن ذلك بالابجدية اللاتينية ، وبقوا متمسكين باصرار على ذلك الى ان سادت الابجدية اللاتينية، وقد تم هذا طبعابعد التطور الايديولوجي الذي لحق البكتاشية هنا والذي رأيناه سابقا ٠

وعلى نطاق اخر ، تمكنت البكتاشية أن تزيد درجة نفوذها بعد قيامها بالتعاون مع حركة « تركيا الفتاة »، فيإتجاه قلب السلطان عبدالحميد الثاني ٠ وقد كان هذا التعاون مرشحا للبروز وذلك للتقارب بين الحركتين ، ولا سيما أن بعض زعماء « تركيا الفتاة » (طلعت باشا ـ احمد رضا ٠٠) كانوا ينتمون الى البكتاشية ٠

ولكن مع هذا الانتصار الذي حققه الطرفان في ثورة ١٩٠٨ ، فان البكتاشية ستجد نفسها مقصرة عن الوصول الى الامساك بالسلطة واستخدامها لصالحها ٠وفي جملة ظروف لاحقة عصفت بالبانيا، اندفعت كافة القوى السياسية الالبانية ، ومن جملتها البكتاشية ، الى ان تصيغ تحالفا سريعا اعلنت بواسطته استقلال البانيا في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٢ ، ذلك الذي بقي معلقا الى ان اعترفت به الدول الكبرى في ١٣ يوليو (تموز) ١٩١٣ ٠

ومع أن الدستور المؤقت لم يتناول صراحةوضع البكتاشية في البانيا ، الا ان الخط الدستوريالذي نتج عن مؤتمر لوشني Lushnje ١٩٢٠ اعترف بالبكتاشية كطائفة مستقلة ٠ وقد سن حينئذ هذا المؤتمر تقليدا يقضي بانشاء مجلس اعلى يحمل مهام رئاسة الدولة ، وقد نص هذا التقليد على انتخاب اربعة اعضاء يمثلون الطوائف الاربعة المعترف بها في البانيا وقتئذ : الطائفة الاسلامية ، البكتاشية ، الكاثوليكية ، الارثوذكسية ٠ والاحصائية الوحيدة التي في ايدينا تشير الى ان عدد البكتاشيين ، غداة هذا الاعتراف ، وصل الى ٣٠٠ الف ٠ اى ما يعادل ٢٥٪ من سكان البانيا في ذلك الوقت ٠ ■■

محمد موفاكو
استاذ في فرع الاستشراق
جامعة برشتنا ـ يوجوسلافيا

■ الاحتفاظ بالزوج في هذه الايام وظيفة تستغرق من المرأة كل وقتها !

« هيدا هوبر »

■ ما اشبه هذا الرجل الذي ملأه الغرور بالديك الذي ظن ان الشمس لم تشرق هذا الصباح الا لكي تسمع صياحه !

« جورج اليوت »

■ رجل واحد يحمل رأسا فوق كتفيه ، افضل من مائة رجل بلا رءوس !

« الملكة اليزابيث الاولى »

■ قبل الزواج يقضي الرجل ليلته ساهرا يفكر في شيء قالته خطيبته ، وبعد الزواج يغلبه النعاس قبل ان تنتهي زوجته مما تريد ان تقول له !

« هيلين رولاند »

■ الحب فن ، مثل كل الفنون الاخرى ، في حاجة الى خبرة ٠

« ليدي كارولين لامب »

الاستعمار الثقافي

علال الفاسي

ارتبطت هموم علال الفاسي بكل هموم قومه العامة في المغرب منذ شبابه الباكر ،فكان فيهم شاعرا واديبا وناقدا . ثم صار مصلحا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا . وكان له الاف من خيرة المريدين والانصار المخلصين ، نهجوا نهجه وقادوا حركة الاصلاح معه وبعده وهو كاحرص الزعماء على الاسلام والعروبة ،كما انه من اشد الداعين الى حرية الفكر ، لاعتقاده ـ اسلاميا ـ ان العقل اهل لهداية الانسان في شتى وجهات الحياة (توفي سنة ١٩٧٥) .

يعرف المستعمرون كما يعرف غيرهم ان القوة لا دوام لها ، وان التحكم في الشعوب واستغلال خيراتها لا يؤثر شيئا اذا احتفظت الامة بكيانها المعنوى ووجدانها الخاص . والامم لا تتكون الا من الافراد وبقدر ما يحتفظ اشخاص الجماعة بخصائصهم الاعتقادية ومميزاتهم الثقافية بقدر ما تسلم الامة من الفناء ولو طال امد استعمارها واشتد بها مكر اعدائها .

يعرف المستعمرون كل هذا ويقدرونه، ولذلك يبذلون كل ما يستطيعون من جهة لانتهاز فرصة احتلالهم لبلاد ما للعمل على اقرار نفوذهم الروحي وسيطرتهم الثقافية ، فهم لا يفتأون ينشرون لغتهم ويبشرون بدياناتهم ويدعون لحضارتهم ويبثون اساليب حياتهم وأشكال تقاليدهم عساهم ان يخلقوا من البلاد المستعمرة امة على صورة بلادهم ويجعلون من افرادها اشخاصا مماثلين في الفكر وفي الاتجاه لما عليه المستعمرون .

وقد نجح الاستعمار البريطاني في خلق امم كثيرة على غرار بريطانيا ثقافة ولغة ودينا وذهنية ، وبذلك استطاع الانجليز ان يحفظوا مركزهم المعنوى في كثير من مستعمراتهم السابقة التي أصبحت تعتز بتبعيتها السكسونية، ولو عادت الانكليز وطالبت باستقلالها عنهم ، ولم ينجح الانكليز في ارلندا فقد احتفظت بلغتها وثقافتها الخاصة بها ولذلك فهي لم تقبل السير في فلك الانجليز على الرغم مما جره لها ذلك من عزلة ومن عناء .

ان الاستعمار الثقافي يرمي الى محو الثقافة المحلية اولا بالقضاء على الدين او تأويله بالاساليب التي تتفق مع رغبة الاستعمار ، وبالقضاء على

الفكر القومي المستقل عن كل اعتبـــار خارج عن مصـلحة الوطن ومصلحة الجماعات التي تعيش فيه • واحلال الثقافة الاجنبية محل ذلك كله لجعـل الشعب المفتوح ذا صبغة تستمد كل روائها واثرها من عناصر الحياة التي يختارها المستعمر ويريدها • فاشكال الحكم ومواد التشريع واجراءات القانون والتشريعات ومظاهر الرسميات والالبســـة وكل شيء يجب ان يكون صورة طبق الاصل لما هو قائم في الوطن الوالد كما يقولون • وكل ذلك يقوم على اساس ان مقاييس السمو يجب ان تصبح في نظر الشعب المستعمَر هي ما قام به المستعمرون في بلادهم وما اختاروه لانفسهم • وان المأساة عميقة ، انها غرس الاعتقاد بقوة المســتعمر وتركيز مبدأ امتيـــازه علينا • انها محو لانسانيتنا وتحقيق لانسانية الدولة المستعمرة •

واذا نحن نظرنا للبلاد العربية بهذا الاعتبـــار يمكننا ان نقـــول ان الاستعمار الثقافي نجح الى حد كبير في تحقيق اهداف الدولة الاســتعمارية في بلادنا • فبرامجنا الثقافية ، وقوانيننا ، واساليب حياتنا ، كل ذلك على غرار ما رأيناه عند المستعمرين • اخذناه جميعـــا دون بحث ولا تمحيص ، تقديسا منا للغالب وقوته • وظهرت آثار ذلك كله في افكارنا وفي اتجاهاتنا، ففي سياستنا الخارجية لا نستطيع ان نفكر ولو في خلواتنا بحياة مستقلة تماما عن اطار ما يسمونه « العالم الحر » اي عالم الانكليز والاميركان • ولو رجعنا لانفسنا لقلنا اي فرق بالنسبة الينا بين عالم يقوم على هذه الحضارة الفرنسية التي استعمرتنا ؟ الم تكن الديمقراطية في بلادنا غرسا للاحتلال الاوروبي ؟ ولو استعمرت بلادنا « لا قدر الله » دولة فاشية او شيوعية اما كنا نصبح بعد عشرات السنين متأثرين في افكارنا بمظاهر الاشتراكية او النازية ؟ لم لا نعتبر الجميع بالنسبة الينا سواء ؟ وفي حياتنا الداخلية لم نعد نستطيع التفكير في موضوع ما ، الا بناء على أصول جاء بها اليمين او اليسار الاوروبي، ولن تسمع منا الا ان الشعوب المتمدينة تفعل كذا او كذا ،لقد تنازلنا عن كل تفكير حر ، وكل نظر صحيح ، ولم نعد نعتبر الاشياء الا بمقياس الغرب ، وهكذا وقعنا في استعمار ثقافي عبَّد روحانيتنا وقضى على كياننا •

لا تحسبوا انني من الجامدين الذين يرفضون الاقتبـاس من الغرب او يريدون العودة الى حياة الغاب ، ولكنني من الذين لا يريدون تجديد الجمود من الذين لا يريدون ان نعبِّد أنفسنا لثقافة اجنبية عنا مطبوعة بطابع الدول التي استعمرتنا ، اريد ان نكون من العرب الذين اقتبسوا من كل العالم ثم صهروا ما اقتبسوه وبلوروه في هذه الحضارة العربية الاسلامية التي ورثناها، يجب ان نعرف اننا مجموعة شعوب خاصة ، لها ماضيها المجيد ، ومثلها العليا، ومبادئها في الفكر ، وطرائقها في النظر ، واساليبها في الحيـــاة ، وانه لا يصح لها ان تتنازل عن كل ذلك ، لتستحل عوضا عنه مثل المستعمر وطرائقه وأساليبه ، والا قضينا على انفسنا بالفناء المعنوي ، والتبعية الفكرية وذلك شر من تبعية الاجسام •

ان في مقدمة مثلنا العليا هذه الروح الاخـوية التي تربط بين مسلم

الشرق ومعلم الغرب ، والتي تجعل من الذى ينطق العربية عربيا ولو كان من اصل حبشى ، وذلك ما يعنى الابتعاد عن كل الاقليميات او السلاليات • فلو اخلصنا لمثلنا الاعلى ، أكنا نجد صعوبة فى تحقيق وحدة هذه الدول العربية اولا ضمن ولايات عربية متحدة كمقدمة لوحدة اسلامية كبرى ؟ لو اخلصنا لمثلنا ما كنا نسمح لانفسنا بالتفكير الوطنى الضعيف الذى يجعل مصلحتنا الخاصة اسمى من مصلحة العرب اجمعين واحرى من مصلحة جميع المسلمين ؟ واذا كنا لا نخلص فمن اين جاءنا الفكر المحدود في الوطن المحدود• اليس ذلك من أثر الثقافة الغربية التى وجهتنا نحو الخطأ الذى سارت فيه اوروبا • نعم ايها الاخوان ان اوروبا استمرت متحدة الف عام كامل تحت قيادة البابا ، حتى اذا تكون الاصلاح البروتستانتي ونشأت القوميات الضيقة — تفرقت اوروبا دولا وجماعات ، واصبحت تتحارب فيما بينها ويتكتل بعضها ضد بعض ، وذلك ما يريد الفكر الغربى المتسرب الينا، ان يخلقه فينا، يريد ان يوسع اسباب الفرقة بيننا حتى نتحارب فيما بيننا تماما كما يفعل الاوروبيون، لان ثقافتهم تريد ان تجعل منا رسما على صورتهم •

وان أهم طابع امتازت فيه طرائقنا فى الحياة هو حب العدل وتقديسه الى اعلى درجات القدس ، ولكننا اليوم نعتبر العدل شيئا شكليا ، فالاجراء والحيل هى وحدها التى تهيمن علينا ، لان ذلك ما تعلمناه من اساليب الغرب القانونية ، واخلاقنا كانت تقوم على الصدق والوفاء اما اليوم فقد علمتنا اساليب الغرب ان كل ما ليس بقانون فليس بخلق •

فالاستعمار الثقافى اذن اخطر علينا من كل استعمار ولن نتحرر منه الا اذا صممنا العزم على العودة لانفسنا وهدم كل ما بثه المستعمر فى اعماقنا وفى اوطاننا والا اذا قبلنا ان نمتحن كل شيء تعودناه ، ثم البداية فى البناء من جديد •

ان اليوم الذى تفكر فيه الامة العربية تفكيرا عربيا يقوم على العقل الصحيح وحده دون تقليد ولا اقتداء للاجنبى هو اليوم الذى نتحرر فيه نهائيا من ربقة الاستعمار •

علال الفاسى

قصة قصيرة

مصـــرى

بقلم : زينب صـادق

■ قالت لى عاملة التليفون : « أن هناك رجلا يريد محادثتى .. » اسم الرجل من بلدى . احمل له رسائل وهدية . الاهل يبحثون دائما عن مسافر الى بلد الغائب يعرفونه ليحملوه رسائل وهدية .. اعتذرت للرجل عن عدم اتصالى به مباشرة عند وصولى . وقال : « انه يقدر انشغال الفرد عندما يصل الى بلد غريبة » .عزمنى على تناول الشاى معه واسرته وتمضية نزهة الاحد المسائية معهم .قال : «انه سيحضر بسيارته لاذهب معه » . سالنى : «ان كان معى مصريون اخرون؟»

قلت : « اربعة » .قال : « يمكننى ان اصحب معى فردا واحدا » .

وجدت زميلتى تصفف شعرها . سالتها ما اذا كانت تريد ان تذهب معى فى نزهة الاحد المسائية مع مصرى واسرته . هللت للفكـرة وقالت بفرحة طفولية : « اننا لا بد سنذهب مع ابن بلدنا الى ملهى ليلى ونرقص ونقضى على هذا الملل الطويل المسمى بالليل الاوروبى » .

فى الموعد نزلت وزميلتى لننتظر الرجل بجوار باب المسكن الذى ننزله . سالنا احد زملائنـا الثلاثة : اين نحن ذاهبتان ؟! قالت زميلتى بثقة « اننا ذاهبتان مع صديق مـن بلدنا لنزهة يوم الاحد المسائية » .قالتها بمعنى أننالسنا فى حاجة الى صحبتهم . فهم يتركوننا كثيرا لمصاحبة بنات اوروبا ولم نعد نهتم بخروجهم .

قال زميلنا : « انه يتمنى لنا سهرة مخيفة ..»

جاء الرجل فى موعده تماما . وكانت سيارته كبيرة مما جعلنى اتعجب انه لم يدع سـوى اثنين . ابتسمت ، انها العادات الاوروبية .

جلست فى المقعد الامامى بجانبه . وجلست زميلتى فى المقعد الخلفى ..

اسمر . شعره مجعد اسود تتخلله شعيرات بيضاء .متوسط القامة .ملامحه مصرية . قال : « انه يسكن فى ضاحية بعيدة الى حد ما » . قال: «ان معظم الاوروبيين يفضلون السكن فى الضواحى بعيدا عن ضوضاء المدينة . والرجل الاوروبى يعتقد انه كلما بعد مكان عمله عن مكان مسكنه يكون هذا مريحا لاعصابه وافضل لصحته ».. وبدا الرجل يحكى لنا تاريخ حياته . ربما ليسلينا فى الطريق الطويل ، وربما ليتحدث فقط بلغتنا . او ليقول لنا انه بالرغم من اغترابه وتقليده الرجل الاوروبى فى اختيار مسكنه البعيد عن المدينة فهو مصرى .

وكنت اعرف شيئا من خلفية حياته التى بدا يحكيها لنا .

كان زعيما وطنيا . وافلت باعجوبة مـن السجن فى عهد الملكية .. وقرر اهله ان يرسلوه الى الخارج ليكمل تعليمه بعيدا عن المظاهرات والشغب والسجن وتضييع المستقبل .

كان الولد الوحيد بين خمس بنات فلم يرض الاهل ان يضيع مستقبل الولد . انتهى مـن دراسته الجامعية وعاد بعد الثورة سعيـدا بتحقيق اماله الوطنية . لكن حكومة الثورة وجدت وطنيته متطرفة . وافلت باعجوبة ثانية مـن السجن وعاد الى اوروبا ليكمل دراسته العليا .

ثم عمل . احب . تزوج . وانجب اربعة . ابنين وبنتين . كان قد قرر مع زوجته ان ينجبا اثنين فقط . ابنا وبنتا . في المرة الاولى انجبا ابنين في بطن واحد . وقالت الزوجة : « انها تريد بنتا » فانجبت بنتين معا .

ضحك . وضحكنا .

قال الرجل بشيء من الحزن «انه لم يعد يجازف ويفكر في العودة الى بلدنا . ماذا لو منعوه من الخروج . ماذا لو انتهزوا فرصة عودته وسجنوه. ماذا لو حرم من اطفاله . واصبح يكتفي بسماع اخبار بلده من بعيد . ومن ابناء وبنات مثلنا عندما نذهب للدراسة او العمل او السياحة » . وتهدج صوته وهو يقول . « وحشتني بلدي » .

قالت زميلتي ـ « وهل انت هربت من السجن مثلا فتخاف ان يعيدوك اليه ؟!»

استعاد حيوية صوته وقال لها :

ـ فرق كبير بين كلمة هربت وافلت . هربت تستعمل اذا كنت فعلا مسجونا ودبر هربي باى طريقة .

افلت: معناها انه كانت هناك نية لاعتقالي وشعرت بها فافلت منها .. وقد استعملت كلمة افلت في حديثي .. الا تعرفين اللغة العربية ..

قالت زميلتي ، ويبدو انها تضايقت فايقظت عقلها لترد عليه :

ـ اذا كانت هناك كما تقول نية لاعتقالك وشعرت بها فكيف استطعت السفر ! وفي مثل هذه الحالات توضع اسماء من يريدون اعتقالهم في قائمة سوداء توزع على المطارات والموانىء البحرية وايضا مصلحة الجوازات .

ضحك الرجل بعصبية وقال :

ـ في هذه الحالة اكون قد هربت فعلا .

ثم نظر في ساعته وقال : اننا سنتاخر عن موعد الشاى وستغضب زوجتي . سالته زميلتي « لماذا لا يسرع » . فقال : « ان قوانين المرور تحدد السرعة في كل طريق وهو لا بد ان يسير تبعا لها .. »

وقد لاحظت كيف يحترمون القوانين في هذه البلاد ، لكن يبدو ان الرجل الغريب يحرص على تنفيذها اكثر مما يحرصون هم .. وكانت المسافة طويلة فعلا الى ان وصلنا الى ضاحية اشبه بالقرية .

صعدنا الى منزله . دخلنا خلفه الى شقته وخلعنا معاطفنا لنعلقها بجانب الباب على

الطريقة الاوروبية • وظهرت زوجته الاجنبية وهي تقول موجهة الكلام اليه بلغة بلدها :

ـ مصري ••لقد تاخرت ••واعتقد انك سرحت وانت تقود السيارة او كنت تحكي لهما تاريخ حياتك •

تقدمت منا تسلم علينا • قلنا اسمينا حتى نعفي الرجل من عملية التذكر • جلسنا في حجرة المعيشة خلف مائدة صغيرة معدة باكواب الشاي واطباق الحلوى • وجاء الولدان والبنتان • ملامحهم مثل امهم اوروبية • تحدثنا، زميلتي وانا عن بلدنا • والزوجة من حين لاخر تملأ لنا الشاي وتقدم الحلوى وتسال « مصري » أن يشرح لها ما نقوله او تساله ان يقوم ليحضر لنا مزيدا من الماء الساخن للشاي • وقد رايت تصرف الرجل الاوروبي في بيته لكن « مصري » يفعل اكثر مما يفعله الاوروبي !

قال ـ « زوجتي تناديني بالمصري • واختصارا تقول •• مصري • واشتهرت هنا باسم مصري • لا احد يعرف اسمي الحقيقي من أهل الضاحية ». وابتسم بشيء من العصبية وقال :

ـ « زوجتي احبت مصر من حكاياتي عنها •ومن الصور • ومن احاديث الاصدقاء ابناء بلدي الذين يحضرون هنا •• مثلكما » •

قالت الزوجة ـ « اعرف مصري منذ خمسة عشر عاما • ومنذ ذلك التاريخ وهو يعدني بزيارة مصر • لكن دائما تصادفنا اشياء تعطلنا • اولا عدم امكانية السفر المادية • ثم جاء الابنان • وقال مصري انه يريد بنتا • ثم جاءت البنتان • وعادت مرة اخرى عدم امكانية السفر المادية ••» تبادلت مع زميلتي نظرة • ووقف « مصري » معلنا عن بداية نزهة الاحد •• ارتدينا معاطفنا وتعجبت مع زميلتي • لماذا الاطفال سيخرجون معنا ؟!

في جو رمادي قاتم نزلنا في طريق مثل الزراعة في قرى ريفنا سرنا • الترعة نصف جافة والارض عطشى • والعائلات في البلدة يسيرون مثلنا في الطريق المقفر • يصحبون الاطفال والكلاب ويحيون بعضهم بعضا ، منظرهم ذكرني بمنظر الاجانب وهم يتركون بلدنا قبل حرب « ٦٧ » • انقبضت نفسي لهذه الذكرى • كان منظر الاجانب وهم يغادرون بلدنا يثير تساؤلي ويقبض قلبي •كانهم كانوا يقولون لنا : « لتهدم بيوتكم على رءوسكم • مالنا ومالكم •• اردتم التحدي •• فموتوا وحدكم » • خيل الي ان سكان القرية في هذا الجو الرمادي القاتم اشباح ، وجوههم بيضاء ، ابتساماتهم باردة • والمصري شبح اسمر اللون يتحدث بلغتهم • يتصرف مثلهم• اطفاله مثل اطفالهم لا يعرفون كلمة عربية • ومع ذلك فهو شاذ وسطهم •

همست زميلتي لي ـ يا خبر اسود •• هل هذه نزهة الاحد ؟!

همست لها ـ لا يبدو في المكان شيء مما كنا نتوقع •

همست لي ـ دعوة زميلنا علينا اصابتنا •

ابتسمت • ووقفت أتامل المنظر •

مثل صورة من الصور الكلاسيكية القديمة • الجو قاتم •• ساكن • والزرع صامت •

تخيلت نفسي بطلة في احدى الروايات الكلاسيكية ، خرجت بفستانها الطويل في هذا المكان لتقابل حبيبها تختبيء خلف الاعشاب عندما تسمع صوتا • وياتي حبيبها من بعيد مناديا اسمها• وفي حركة راقصة رشيقة تجري اليه ويحتضنها•• وعندما بدات أتخيل الحبيب الذي يشاركني هذه « اللقطة » ناداني مصري لالحق بهم • لارى « جراج » سيارته الذي صنعه بيديه • قال ان اهل البلدة صنعوا « جراجات » سياراتهم بايديهم وهو لم يشذ عنهم فصنع « جراج »سيارته ايضا• مررنا امام « جراج » مفتوح في داخلهقارب بخاري ورجل وزوجة يعملان • وقف « مصري » يشرح لنا ماذا يفعل الرجل كاننا في متحف وهو يحكي قصة كل قطعة الرية •

ـ « هذا الرجل يقوم بصناعة قارب بخاري كل شتاء ويبيعه في اول الصيف ويعيش من ثمن بيعه ويصنع غيره وهكذا •• وزوجته تساعده كما ترون •• »

نظرت حولي في هذا الجو الرمادي • قرية بعيدة عن البحر والبحيرات ورجل يصنع فيها قاربا • شكل القارب غريب وهو مكان السيارة في « الجراج » • شكل المصري غريب مثل القارب •• ليس في مكانه •

امام الجراج كانت طفلة في عربة اطفال ملتفة

بغطاء من الصوف . قالت لى الطفلة وهى تشير الى ما يصنعه ابوها :
ـ هذا قارب .
ابتسمت لها .
قالت ـ هذا قارب ابى ..
قلت ـ هذا جميل ..

ابتسمت الطفلة . واخترق صوتها الرقيق هذا الصمت القاتم ليبدده فى نغمة فرحة وهى تشير الى عروسة فى يدها .
ـ هذه عروسة .
ابتسمت لها .
قالت ـ هذه عروستى انا ..
قلت ـ انا اعمل فى مصنع عرائس .
قالت ـ عندك عرائس كثيرة ؟
ـ نعم .. هل احضر لك واحدة ..

قالت وهى تحتضن عروستها ـ هذه عروستى انا ..

ربت على راسها .كانت النغمة الحلوة الوحيدة وسط قتامة وضباب هذه القرية . التفت الى اطفال المصرى ..كانوا يستمعون الى حديثنا ولم يشتركوا . ولم يبتسموا .

احتوانى شعور مبهم بالاستمتاع بكل ما يحيطنى بالرغم من قتامته .

قال مصرى ـ « عائلات البلده يخرجونهكذا فى نزهة الاحد بعد تناول القهوة والشاى والحلوى . اما الشبان والفتيات فيذهبون الى الحانة ليشربوا ويرقصوا ويحلموا بالمستقبل » .

كانت نبرات صوته حزينة قاتمة عندما تحدث ، ولاول مرة الاحظ تجاعيد وجهه .

قلت سارحة كانى احدث نفسى :
ـ وانت يا مصرى ما هى احلامك ؟

التفت الى كانه فوجىء بسؤالى . وقال :
ـ احلامى لم تتحقق تماما كما اردتها ..احلامى كانت فى بلدى ..

لم ابتسم هذه الابتسامة العصبية وقال :
ـ وهل يوجد انسان تتحقق احلامه تماما ؟!
همست لى زميلتى ـ ليتنا نذهب الى الحانة ..

نظر الرجل فى ساعته وقال انه سيوصلنا كما جاء بنا . وقالت زميلتى ان المسافة بعيدة وقد قطعها مرتين واننا سنعود فى « المترو » .وافقت على كلامها ولم يعترض المصرى . اخذت الزوجة الاطفال بعد ان سلموا علينا وسارت الى المنزل. وجاء « مصرى » معنا الى محطة « المترو » .

قال ـ اشكر لكم هذه الزيارة والهدية التى حملتموها لى من اهلى وقبلوا ارض مصر نيابة عنى ..

قالت زميلتى ـ « الذى يريد انيقبل شيئا ياتى اليه ويفعل هذا بنفسه » .

قال ـ «طبعا سافعل هذا يوما.. هل تشكين فى مصريتى ؟!»

وعندما جلست امام زميلتى فى « المترو »

قالت ـ« كاذب ..كيف يشتاق الى بلدنا وهو قد اصبح مثلهم تماما .ليس مثل اهل هذهالبلاد بل مثل اهل هذه القرية .. »

لم ارد ان اتحدث واتناقش معها ، واقول انه لم يصبح مثل اهل هذه البلاد وفى الوقت نفسه لم يعد مصريا . لم ارد ان ادافع عنه ولا ان اوافق على رأيها . صمت .. نظرت خلال زجاج نافذة « المترو » الى الاضواء التى تنير الطريق مثل الطريق الزراعى .. اضواؤه باهتة من رطوبة الجو الساكن البارد .

صورة اخرى من الصور الكلاسيكية القديمة . تخيلت نفسى بطلة احدى الروايات الكلاسيكية القديمة خرجت فى عربة يجرها حصانان لتقابل حبيبها الذى ينتظرها بشوق وقلق . فى هذا الطريق الزراعى ذى الاضواء الضبابية الباهتة يلمح الحبيب العربة ويفرح انها جاءت . ويصعد ليجلس بجانبها ويمول لها عن قرار مفاجىء... انيهربا معا . نفرح للقرار ويغيبان فى قبلة .

وعندما بدات اتخيل الحبيب الذى يشاركنىهذه « اللقطة » .

قالت زميلتى ـ« لا تقولىلزملائنا عنخيبة املنا فى نزهة الاحد.. لابد انتتخيل حكايات جميلة..»
ابتسمت وانا اقول :
ـ « كلمانتخيلت حكاياتقديمة كلاسيكيةلا تصلح ان احكيها » .

نظرت الى بدهشة متسائلة ..وكان من الصعب ان احكى .

قلت ـ « تشغلنى حياة « مصرى »..

زينب صادق

مسابقة العربي

بدوى الجبل من هو ؟

* مسابقة هذا العدد تشتمل على ثمانية اسئلة متنوعة ٠٠ تنقلك من العلم والاقتصاد الى الجغرافية والشعر ٠٠ والمطلوب منك معرفة الاجابات الصحيحة على كل الاسئلة ٠٠ ومعظم الاجابات يمكنك انتجدها بين سطور المقالات التىنشرت فى اعداد العربى خلال عام ١٩٧٦ ٠

١ ـ نتيجة استغلال مياه نهر الفولجا ، تناقصت المياه بكميات كبيرة فى بحر او بحيرة يتقاسمها الاتحاد السوفيتى وايران ٠٠ وينوى الروس تفجير نحو ٢٥٠ قنبلة نووية لتحويل مياه بعض الانهار عن مجراها الطبيعى لتصب فى ذلك البحر المغلق واسمه :

البحر الاسود ـ بحر قزوين ـ البحر الميت ٠

٢ ـ تاج محل فى خطر ٠٠ هذا ما اعلنته مجموعة من خبراء علم البيئة العالميين٠٠ وهذا الاثر التاريخى الذى يعتبر من عجائب الدنيا ، بنى من المرمر الناصع البياض بدقة تجعلك تحسبه من صنع الجن لا الانس ٠٠ ومأساة هذا الاثر ان ما بين ١٠ و ٤٠ ميكروجرام من ثانى اكسيد الكبريت تترسب سنويا على مرمره الناصع نتيجة للدخان ومخلفات المصانع التى انتشرت قرب تاج محل الذى اقامه الامبراطور شاهجهان لزوجته الملقبة :

نورجهان ـ ممتاز محل ـ شهرزاد ٠

٣ ـ بدوى الجبل لقب اطلقه صاحب جريدة «الف باء» الدمشقية على شاعرمفلق اصبح وزيرا ٠٠ وقد عاش شاعرنا انضر سنوات حياته فى تشرد واغتراب وتساؤل متى الاياب ٠٠ وهو يوقع قصائده ومقالاته حتى اليوم باسم بدوى الجبل الذى اشتهر به وعرف به ، وكاد الناس ينسون اسمه الحقيقى :

سليمان العيسى ـ محمد سليمان الاحمد ـ محمد عبده عزام ٠

٤ ـ اكبر السدود المائية فى السعودية ، اقيم فى مضيق بين جبلين وملتقى لخمسة اودية جبلية ،والبحيرة التى ستتكون عند السد تبلغ سعة مخزونها ٧١ مليون متر مكعب من الماء ، وهكذا زادت مساحة الارض المروية ريا دائما بحوالى ٨ الاف هكتار ٠٠ وهذا السد الذى انتهى العمل فيه عام ١٩٧٠ هو :

سد الظهران ـ سد الهفوف ـ سد جيزان ٠

٥ ـ من العشرين الف نوع من النحل الموجود على الارض امكن ترويض اربعة انواع منها على نطاق واسع ، وكل هذه الانواع تعيش فى مستعمرات وفق نظام اجتماعى معقد يعتمد على التباين الطبقى : الملكة والشغالات والذكور ٠٠ والملكة عبارة عن ماكينة ٠٠ ترى ماذا تنتج هذه الماكينة :

عسل ـ شمع ـ بيض ٠

و٧ أسئلة أخرى وجوائز مائة دينار

٦ ـ نعم ، كان رجلا مؤمنا عميق الايمان ومسلما حريصا على التزام الفضائل ما تيسر ذلك ٠٠ ولكنه كان اولا وقبل كل شيء رجل دنيا : يحب الحياة ويطلب المال والجاه والنساء ٠٠ اما الذى يميزه فهو شوقه العظيم الى المجهول ٠٠ يريد أن يرى كل شيء ويجرب كل شيء ٠٠ انه ماركو بولو العربى ٠٠ رحلاته استمرت ٢٨ سنة و ٤ شهور ، قطع خلالها نحو ٧٥ الف ميل ٠٠

فمن هو هذا الرحالة العربى الشهير الذى توفى عام ١٣٦٩ ؟

٧ ـ جاليليو جاليلى احد عظماء الطليعة العلمية ، عندما اقترب اجله ، كان قد تحول الى هيكل انسان،ومع ذلك بقى يناضل مع غوامض الكون حتى آخر لحظةفى حياته ، بعد ان خلد اسمه بصنعه :

الميكروسكوب ـ التلسكوب ـ البوصلة ٠

٨ ـ مؤسسة عربية تضم ١٤ دولة عربية توفر الضمان والتعويض والتامين لرءوس الاموال العربية ضد المخاطر غير التجارية ، اى ضد المصادرة والتاميم وفرض الحراسة ، ونزع الملكية والاستيلاء الجبرى ٠٠ وتضمن المؤسسة كذلك للمستثمر العربى امواله حتى فى حالة الثورات والاعمال الحربية او العسكرية ٠٠

وهذه المؤسسة العربية الفريدة من نوعها فى عالم معاصر اسمها :

- **الصندوق العربى للانماء الاقتصادى و الاجتماعى ٠**
- **صندوق النقد العربى ٠**
- **مؤسسة ضمان الاستثمارات العربية ٠**

شروط المسابقة

١ ـ أن يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور فى ذيل هذه الصفحة ٠
٢ ـ اكتب على الورقة اسمك وعنوانك الكامل بخط واضح ٠
٣ ـ ضع اجابتك فى مغلف مغلق واكتب عليه العنوان الآتى :
● مجلة العربى ـ صندوق البريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢٠ » ٠
٤ ـ آخر موعد موصول الاجابة الينا فى الكويت اول مايو (ايار ١٩٧٧ ٠

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون ١٠٠ دينار كيتى على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ٠ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ٠ الجائزة الثالثة ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ٠٠ وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع ٠
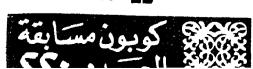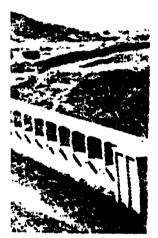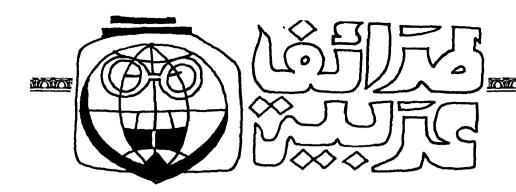
كلميه

● حكى أن عائشة بنت طلحة غضبت على زوجها مصعب بن الزبير يوما، فاشتد ذلك عليه وشكا امره الى خاصته ، فقال له أشعب : « ما هى جائزتى عندك ان هى رضيت عليك ؟ » قال مصعب : « اعطيك عشرة الاف درهم » . واتى اشعب الى عائشة وقال : « تفضلى بكلام الامير ،فقد استشفع بى عندك ، واجزل لى العطية ان انت كلمته » . قالت : « لا سبيل الى ذلك يا اشعب ، اذهب من حيث اتيت » . وانتهرته فقال :« جعلت فداك كلميه حتى اقبض عشرة آلاف درهم ، ثم ارجعى الى ما عودك الله من سوء الخلق » . فضحكت عائشة وقامت من توها وصالحته .

مكذوب عليك

حكى ان عبد الله بن رواحة ـ شاعر النبى عليه السلام ـ ابتاع جارية رومية وكتم ذلك على امـرأته ، ولكن بعض اصحابه ابلغها بخبر زواجه ، فالتمست كونه عندها وأخبرت بذلك ، فلما جاءها فى ذلك اليوم قالت له : « يا ابن رواحة بلغنى انك ابتعت جارية وتزوجتـها ،وانك السـاعة خرجت من عندها ، وما احسبك الان الا جنبا ؟ » قال : « لا ،أننى لم افعل ذلك ، وان الوشـاة يحاولون التفريق بيننا » . قالت : « سوف اختبرك الآن اقرأ بعض آيات من القرآن ، فسكت هنيهة ، ثم قال وهو يوهمها ان هذا من القرآن وهو ليس من القرآن بشىء » :

« شـهدت بان وعد الله حق
وان النـار مثوى الكافرينا
وان العـرش فوق المـاء طاف
وفوق العـرش رب العالمينـا
وتحمله ملائـكة شـداد
ملائـكة الالـه مقربينا »

فقالت : « اما اذ قد قرأت لى ما تيسر لك فقد علمت انك مكذوب عليك » .

صيام الليل !

● دخل احد الحمـقى على الخليفة هارون الرشيد فى احدى الليالى وهو ياكل، فقال له الرشيد : « هل لك فى العشاء ؟ » فاجابه : « انى صائم يا أمير المؤمنين » . فسأله الرشيد : « امواصـل انت ؟ » اى انه يصوم يومه وليلته حتى يمسى ،فقال: « لا ، ولكنى وجدت صيام الليل اسـهل من صيام النهار » .

الوسيلة الى الاشراف

● حكى أن مروان بن الحكم قال لابن ابى عتيق : « انى والله مشغوف ببغلة للحسن بن على ، وانى خجل أن أسأله أن يهبها لى » فقال له ابن ابى عتيق : « فان دفعها اليك، اتقضى لى حوائجى ؟ » وكان مروان يومئذ أميرا على المدينة ، فلما اجتمع الناس عنده فى العشية أخذ ابن ابى عتيق يذكر مآثر قريش ومفاخرها وامسك عن ذكر مآثر الحسن بن على ،فلامه مروان بن الحكم ، وقال : أما تذكر أولية ابى محمد ، وهو سيد شباب اهل الجنة ، وله فى هذا ما ليس لاحد ». فقال ابن ابى عتيق :« انما كنا فى ذكر الاشراف ،ولو كنا فى ذكر الانبياء لقدمنا أبا محمد أى الحسن » فلما خرج الحسن يركب البغلة تبعه ابن ابى عتيق فقال له الحسن وهو يبتسم : الك حاجة ؟ قال :نعم ، ذكرت البغلة ؟ فنزل الحسن ودفعها اليه .

رسول امين

● كان ابو السائب المخزومى كثير الطرب وله فكاهات مذكورة واخبار مشهورة ، وكان اشراف المدينة يقدمونه ويعظمونه لشرف منصبه وحلاوة طربه ، قيل أن سليمة المشاوبية كانت تعشق افلح مولى الزهريين ، فأتاها يوما ابو السائب فقال : « حدثينى ، هل اتاك من حبيبك رسول ؟ » قالت : « لا » . قال : « فهل قلت فى ذلك شعرا ؟ » قالت : « نعم » ،ثم انشدته :

الا ليت لى نحو الحبيب مبلغا ... يبلغه التسليم ثم يقول
سليمة نضو ما ترجى حياتها ... من الشوق والشوق الشديد تقول
تعالج احزانا وتبكى صبابة ... وانت لما تلقاه منك جهول

(نضو = هزيلة)

فقال ابو السائب : « انا والله رسولك اليه » ، فحفظ الشعر ، وتوجه نحو افلح فى يوم صائف شديد الحر ، فلقيه رجل من الانصار فقال : « يا ابا السائب ، من أين اقبلت ؟ » قال : « من عند سليمة المشاوبية » قال : « والى اين تريد ؟ » قال : « اريد افلح مولى الزهريين ابلغه رسالتها » . قال :« افى مثل هذا الوقت؟» قال : « اليك يا ابن اخى ، فان الجنة حفت بالمكاره ، وما عبد الله الا بالصبر على ما ترى » .

بار بأمه

● قيل للامام على بن الحسين المعروف بزين العابدين رضى الله عنه : « انك من ابر الناس بامك، فلماذا لا تاكل معها فى صحفة واحدة ؟ » فقال : « انى اخاف والله ان تسبق يدى يدها الى ما تسبق عيناها اليه فاكون قد عققتها » .

الفوسفات

سلاح عربي جديد في المستقبل

الطاقة سلاح هذا العصر والغذاء سلاح الغد القريب

بقلم : زياد محمود ابو غنيمة

في العالم العربي نصف فوسفات العالم ،وتلك ثروة ضخمة يهدرها العرب للأسف البالغ ٠٠ يصدرونه خاما ويستوردونه مخصبات بستة أضعاف الثمن للطن الواحد ، بينما بأيدينا ان نصنعه ، ونوفر للتربة الزراعية أهم عناصر اخصابها ، ولشعوبنا كل ما تحتاجه من غذاء ٠

■ يورد البروفسور يوجين بفليدر،في الكتاب الوثائقي « موارد الارض » Earth resources أحصائية طريفة لتطور الزيادة في عدد سكان العالم فيقول :

« ان عدد سكان العالم في العصر الحجري قبل ثمانية الاف عام تقريبا لم يكد يتجاوز مليونا ونصف المليون ، وفي بداية العصر البرونزي اصبح خمسة ملايين ، وفي السنة الاولى لميلاد المسيح عليه السلام ، كان عدد سكان العالم قد بلغ حوالي مئتين وخمسين مليونا ، وبعد ألف وسبعمائة عام تقريبا تضاعف عدد سكان العالم ، فاصبح حوالي خمسمائة مليون ، ثم عاد فتضاعف مرة أخرى ، ولكن بعد مئة وخمسة وخمسين عاما ، فاصبح عام ١٨٤٨ حوالي الف مليون » ٠

وتشير الاحصائيات المعتمدة الى ان عدد سكان العالم يكاد يبلغ الان حوالي ثلاثة الاف وستمائة مليون ٠

أما الغد ٠٠

اما الغد ، ولا يعلم الغيب الا الله ، فان تقديرات خبراء الامم المتحدة تقدر عدد سكان العالم في نهاية هذا القرن ، بحوالي ستة الاف وخمسمائة مليون ، ذلك مجرد تقدير ، الله وحده أعلم بمدى صوابه ، أو خطئه ٠

والانسان ، منذ ان يبدأ رحلة الحياة بارادة الله في رحم أمه علقة لا بد له من الغذاء يتداركه من جسم أمه ، فاذا أذن الله له برؤية النور ، نزل من بطن أمه وهو يصرخ صرخات ، لا اخالها ، لو تترجم الى كلمات الا أنها تعني ٠٠ غذائي ٠٠ غذائي ٠٠ غذائي ٠

وكوكبنا الذي فوقه نعيش،ومن موارده نقتات، تكاد المياه تشغل معظم سطحه ، ان حوالي ٧١ بالمئة من مساحة كوكبنا تغمرها المياه ، انهارا ، وبحارا ، ومحيطات ، فلا يبقى من مساحته أرضا يابسة الا ٢٩ بالمئة فقط ، يقدرها المتخصصون بمئة وخمسين مليون كيلومتر مربع ، نصفها سهول قطبية جرداء ، وغابات ، وجبال ، وقمم تكسوها الثلوج على مدار الايام ، وانها على حالها هذا ، كجيش مجرد من السلاح ، لايؤمل منه تحقيق رجاء ٠

اما ما تبقى من ارض صالحة للاستغلال ، فلا يكاد يزيد عن ٧٥ مليون كيلو متر مربع ، نصفها

تشغله المراعى ، فلا يبقى من ارض كوكبنا مـا يصلح للزراعة الا حوالى ٥ر٣٧ مليون كيلومتر مربع ، مطلوب منها أن تواجه خطر المجاعة الذى يتهدد البلايين المتزايدة من الافواه الفاغرة •

ليس العجز فى موارد الكون

أن الذين يرفعون أصواتهم محذرين من كارثة مجاعة تهدد الانسانية ، يخطئون، اذ ينسبون الخطر الى عجز موارد الكون عن الوفاء بما تستقيم به حياة البلايين المتزايدة من الافواه من غذاء •

أن كوكبنا ، بسمائه ، وارضه ، وبما فيه من ماء ، وهـواء ، وتربة ، وما يتفـرع عن هـذه المقومات الحياتية الاساسية من مقومات أخرى ، يكتنز ما كان يكفى ، وما سيظل يكفى ، كل خلق الله •

الارض هى الخطوة الاولى

ان الامر المنطقى يفرض أن تكون الارض هى الخطوة الاولى فى منطلق رحلة البحث عن الغذاء،

والارض أو على الاصح ، تربة الارض ، تكاد تنوء اليوم وهى تحاول ان تفى بمقومات الحياة من غذاء للبلايين المتزايدة من الافواه ، ليس لانها غير قادرة على ذلك ، وانمـا لان هنـاك قصورا فى استغلالها ، باعظم انتاج ، ولكى نفعل ذلك ، لا بد من انتهاج سبيلين متوازيين فى اعادة تقييم طرق استغلال تربة ارض كوكبنا •

● اتجاه ، نحو اسـتصلاح مزيد من الارض البور الجرداء •

● واتجاه ، نحو زيادة مـردود انتاج الارض المستغلة حاليا •

ولا بد لنجاح هذا الاتجاه ،وذاك من التوسل بكل معطيات العلم والتقنية التى يسرها الله ، لا لنقهر بها الطبيعة ، والارض جزء منها ، كما يظن البعض جهلا بل لنحتال بها فى استغلال موارد الكون الطيعة لليد التى تمتد اليها بالجهد الجسمانى ، حرثا وسـقاية ، ورعاية ، ثم ، بمعطيـات العلم والتقنية فى هذا المجـال وفى مقدمتها ، المخصبات اى الاسمدة ، طبيعية كانت او صناعية •

لماذا المخصّبات

انك لو دققت الفكر فى عملية زراعة الارض، واستنباتها ، لاذهلك أن تجدها أقرب ما تكون الى عملية الحمل التى تمارسها الانثى •

ان تربة الارض هى الرحم الذى يحتضن بذرة النبات كما تشكل عناصر الازوت ، والفوسفور ، والبوتاسيوم .N. P. K العمود الفقرى لوجبة الغذاء التى تقدمها التربة للنبات ، ترفدها عناصر اخرى تتفاوت اهمية وحاجة من نبات لآخر ، ومن تربة لاخرى ، وهى الكلسيوم ، والمغنيزيوم والكبريت ، والحديد ، والمنغنيز ، والنحاس ، والزنك ، والبورون ، والموليبدنيوم ، والكلور •

والهواء والماء مبذولان باستمرار ، وتجدد ، لا يخشى معه عليهما نفاد ، اما الغذاء، غذاء انسان ، أو نبات ، أو حيوان فهو بقدر معلوم ، لا يتجدد تلقائيا كالهواء والماء ، وانما يتجدد بالسعى ، والجهد ، للكشف عن موارده ، واستغلالها •

وكما أن المرأة القوية البنية، المنتظمة التغذية، تكون اقدر على انجاب نسل قوى ، كذلك التربة القوية البنية ، المنتظمة التغذية ، تكون اقوى على استنبات ثمرات قوية ، يانعة ، باكبر مردود ، فاذا كان نصيب التربة من عناصر غذائها التى ذكرناها ناقصا ، ضعيفا ، كان نسلها من النبات ضعيفا ، هزيلا •

من هنا تبرز اهمية المخصبات ، انها ترفد التربة الضعيفة بالمقويات التى تعيد نسبة تواجد عناصر غذائها الى ما يجب ان تكون عليه من وفرة ، وقوة ، ضمانا لمردود من النبات اقوى ، وأجزى •

اليوم •• والغد

قرأت فى العربى « العدد ٢٠٠ تموز ١٩٧٥ ، جمادى الثانية ١٣٩٥» مقالا للدكتور عبدالوهاب علام يعالج فيه مشكلة الغذاء ،كتب فيه :« انه اذا كانت السيادة فى هذا العقد لأزمة الطاقة ، فان ازمة الغذاء ستسود العقد القادم» ،ثم يخلص الى القول : « ان الغذاء سيكون سلاح المستقبل القريب ، الذى قد يوفر لمالكه التحكم فى العالم باسره بوجه عام ، وفى الدول الفقيرة والنامية بشكل خاص » •

ذلك كلام لا يعتريه شك، فلئن كانت الطاقة، والنفط مادتها الاساسية ، سلاح عصرنا هذا ، فان الغذاء ، والمخصبات بعض مادته الاساسية ، سيكون سلاح غدنا القريب •

والمخصبات الاصطناعية انواع رئيسية ثلاثة ، مخصبات آزوتية او نيتروجينية قوامها عنصر الازوت « النيتروجين » ، ومخصبات بوتاسية قوامها عنصر البوتاسيوم ، ومخصبات فوسفاتية قوامها عنصر الفوسفور •

المخصبات الفوسفاتية

تشغل المخصبات الفوسفاتية مكانا مرموقا فى عالم المخصبات ، ويزداد الطلب عليها بل الالحاح فى طلبها يوما بعد يوم •

ولا تكون المخصبات الفوسفاتية بغير خامات الفوسفات ، انها مادتها الاساسية ، فهى ، اذن، تكتسب اهمية متزايدة ، كمادة رئيسية ، لا غنى عنها ، يتسلح بها الانسان فى معركته من اجل المزيد من انتاج الغذاء للبلايين من الافواه المتزايدة ، لحظة بعد لحظة •

فاذا كان الغذاء سيكون سلاح الغد القريب ، فان خامات الفوسفات ستكون بعض ذخيرة هذا السلاح •

فى وطننا العربى نصف فوسفات العالم

ووطننا العربى الذى يكتنز اضخم مدخرات النفط فى العالم ، كذلك فانه يكتنز حوالى خمسين بليون طن مترى من خامات الفوسفات ، والبليون فى لغة الارقام يساوى ألف مليون •

ان هذه المدخرات العربية منخامات الفوسفات تكاد تشكل نصف ما تم اكتشافه من مدخرات الفوسفات فى العالم كله •

وينبغى ، أن نشير بسرور وتفاؤل ، الى ان معظم الدول العربية ، قد بدأت فعلا فى تنفيذ برامج جديدة ، بايد عربية ، لتحديث الدراسات السابقة وتركيزها من جهة ، والقيام بدراسات جديدة بهدف التوسع فى عمليات التنقيب عن خامات الفوسفات العربى من جهة اخرى •
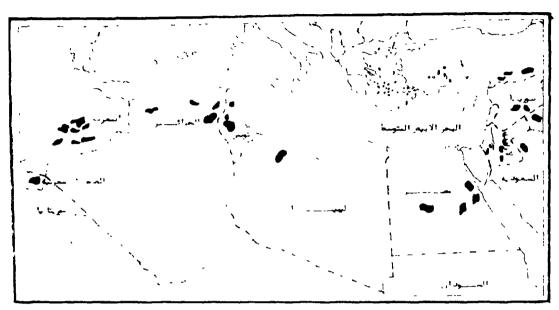
وحدة الوطن العربى

فى عام ١٩٧٤ ، انعقد فى جدة فى المملكة العربيه السعودية الموتمر العربى الثانى للثروة المعدنيه ، وكان طبيعيا ، ان يستاثر خامات الفوسفات العربى بقسط كبير من اهتمام الموتمر والموتمرين ٠

واذ يلقى المرء نظرة سريعه على الجزء الخاص بمدخرات الفوسفات العربى فى المجلد الذى اصدره المؤتمرون بعد ارفضاض موتمرهم ، يكاد يذهله ان يرى ان خامات الفوسفات العربى تنتشر على شكل حزام متناسق ينتظم عشرات المكامن الفوسفاتية ، ابتداء من موريتانيا فى اقصى المغرب العربى ، وحتى العراق وسوريا فى اقصى المشرق العربى ٠

أرأيت الى انتشار اللغة العربية فوق كل الارض العربية ، بدولها العشرين ٠٠ ؟

أن خامات الفوسفات العربى ، تكاد تنتشر تحت كل الارض العربية ، كانتشار اللغة العربية فوقها ٠

فاذا كانت اللغة العربية احدى مظاهر الحضارة التى تؤكد وحدة الوطن العربى ... من حق خامات الفوسفات العربى ... تكون احدى المظاهر الجغرافية ... التى تؤكد ايضا ، وحدة الوطن العربى

الحزام العربى لخامات الفوسفات

يبدأ الحزام العربى لمكامن خامات الفوسفات من عدة مواقع فى سلسلة جبال ... المتوغله داخل موريتانيا ، ليتجه من هناك نحو المغرب . حيث يتركز خامات الفوسفات فى عدة مكامن اهمها مكامن اولاد عبدون Aulad abdon .ومسكالا Meskela . وغنتور Gantour ، وابن جرير . والصحراء المغربيه ٠

ومن المغرب العربى ، يتقدم الحزام باتجاه الجزائر . حيث يتركز خامات الفوسفات فى عدة مكامن اهمها مزايطة Mosaitah ، وكويف Kuwaif ، فجبل عنق Jabal onck ، الذى يمتد باتجاه وسط تونس وجنوبها ليغطى منطقة تمتد

اكثر من ثمانين كيلومترا ، تتركز فيها عدة مكامن لخامات الفوسفات اهمها المندرة El mondara ، ورديف Redeyf ومتلوى Metlaoui وشرقا في قفصة ، وشمالا في القصرين ، وقلعة جردة ، وسى نصر الله .

ثم يتجه الحزام نحو ليبيا ، حيث تشير الدراسات الى وجود خامات للفوسفات في جنوب غربي مصراته ، وشرقي مزيده .

ومن ليبيا ، يتجه الحزام نحو مصر ، حيث تغطى خامات الفوسفات مناطق واسعة اهمها ابو طرطور ، والواحتان الداخلة والخارجة ، ومنطقة فوسفات وادى النيل الممتدة من المحاميد حتى ابو حمد ، فمناطق البحر الاحمر ، التى تمتد من سفاجة فالحويطات فالحمراوين فالقصير .

ومن مصر ، يتجه الحزام نحو الصومال ،حيث تتركز خامات الفوسفات في مكامن منطقة مودو ـ مودو على بعد ٣٥ كم شمال غرب بثراكايا .

ومن الصومال ، يتجه الحزام ، قاطعا البحر الاحمر ، الى السعودية ، حيث تتركز خامات الفوسفات في المنطقة الشمالية للسعودية في عدة مكامن اهمها طريف والجوف وسكاكا .

ومن السعودية يمتد الحزام نحو الاردن ، وفلسطين ، ليغطى في الاردن مساحات شاسعة من المناطق ابتداء من الشيدية فمرورا بالحسا وحتى الرصيفة قرب العاصمة عمان ، ويغطى في فلسطين مساحات كبيرة من صحراء النقب .

ويواصل الحزام اتجاهه نحو سوريا ، حيث تتركز خامات الفوسفات في عدة مكامن اهمها التدمرية ، ومكمن الشرقية ، ومكمن خنيفيس .

ومن سوريا ، يتشعب الحزام باتجاه العراق ولبنان ، حيث تتركز خامات الفوسفات في العراق بمكمن عكاشات في منطقة الرطبة بالصحراء الغربية ، وفي لبنان حيث اكتشفت بعض خامات الفوسفات في المناطق المجاورة لسوريا شرقا .

وتشير دراسات جيولوجية الى ان الحزام العربي لخامات الفوسفات يواصل اتجاهه من العراق نحو مناطق الخليج العربي ، حيث توجد بعض الدلائل على وجود خامات للفوسفات هناك .

وطننا العربي الاول تصديرا ، والثاني انتاجا

ان وطننا العربي ، انتج عام ١٩٧٤ ، قرابة الثلاثين مليونا من الاطنان المترية من خامات الفوسفات ، فهو اذن ، يستأثر بالمرتبة الثانية في مجال الانتاج ، بعد الولايات المتحدة الامريكية ، التى بلغ انتاجها حوالى ٤١ مليونا ، وقد صدر من خامات الفوسفات التى انتجها ، في عام ١٩٧٤ ، مايزيد على ٢٦ مليونا من الاطنان المترية ، فهو اذن ، يستأثر بالمرتبة الاولى في مجال التصدير لخامات الفوسفات ، بين مناطق العالم الاخرى المنتجة لها .

ان الدولة الاولى انتاجا واعنى الولايات المتحدة الامريكية ، هى الدولة الاولى استهلاكا ، اى تصنيعا ، لخامات الفوسفات التى تنتجها ، تليها في ذلك ، الدولة الثالثة انتاجا ، واعنى الاتحاد السوفياتي .

.. والاخير ، تصنيعا لخامات الفوسفات

وننظر في استهلاك الوطن العربي من خامات الفوسفات التى ينتجها فتصفعنا حقيقة مؤلمة .

ان وطننا العربي لا يستغل ، اى لا يصنع ، من خامات فوسفاته التى ينتجها ، الا النزر اليسير ، اما الجزء الاكبر من انتاجه ، فيهدره ،تصديرا ،لدول وشعوب في انحاء شتى من العالم ، تصنعه ، وتستخرج منه مخصبات ،تزيد بها عطاء تربتها ، فتزداد ،من بعد ، هيمنتها على سلاح الغد القريب ، الغذاء .

ويذهلك ان تعلم ، ايها العربي ، ان وطننا العربي وهو الاول في تصدير خامات الفوسفات، يستورد ما يحتاجه من مخصبات فوسفاتية ،من نفس تلك الدول، باسعار باهظة ،يكاد يزيد ثمن الطن الواحد منها ، عن ثمن ستة اطنان نبيعها لها من خامات فوسفاتنا .

لقد اجهدتني الحيلة ، ان اجد مبررا ، يتستر به العرب في اهدارهم لثروة ضخمة من خامات فوسفاتهم يصدرونها بثمن بخس ، ثم يعودون ، ليستوردوا نفس تلك الخامات ،مصنعة ،باضعاف الثمن الذى تقاضوه .

ان لم تكن الاستكانة سبب ذلك ، فهو الجهل، وان لم يكونا معا ، فهو قصر النظر ، وانبهام الرؤية .

وهل يشبع البطون الا الغذاء ..

ان أمم العالم اليوم تخوض سباقا ،شرسا ،نحو المستقبل الافضل ، وليس افضل من مستقبل تكون فيه البطون شبعانة ، وليس أسوأ من مستقبل ، تكون فيه البطون خاوية .

هيهات ، هيهات ، هيهات ..

ان المعدة الخاوية ، لا يخمد سورة جوعها ، الا الغذاء .

فاذا شبعت المعدة ،رست قاعدة المستقبل الافضل، ومضت العقول ، من بعد ، ترسي اركان المستقبل الافضل الاخرى ، ثقافة ،وحضارة ، وعقيدة ، وفنا، الخ .

أما المعدة الغاوية ، فهي تكبل العقل ، عقل صاحبها ، ان يفكر بغيرها ، فلا يكون اذ ذاك لصاحب المعدة الخاوية حاضر يرضاه ،بله أن يكون له مستقبل افضل يرتجيه ؟

انه ، من هنا ، كان الغالب ، وكان المغلوب ، والغالب ، دوما ، هو صاحب المعدة الشبعانة ، والمغلوب ، ابدا ، هو صاحب المعدة الخاوية ، والماضي ، والحاضر ، خير شاهد ، على ما أقول.

فلنكن غالبين لا مغلوبين ..

ان أمة العرب ، تخوض منذ عقود ،معركة وجود. والعرب ،يفرحهم ،انهم يتزايدون عددا ،يوما، بعد يوم .

واعداء العرب ،يفرحهم ،كذلك،ان يتزايد العرب افواها ومعدا خاوية ، يوما بعد يوم .

ونحن نرى ، في تزايد اعدادنا، سورا يحمينا، من نوائب الايام ونكباتها ، وذلك قال حسن حثنا عليه رسولنا عليه الصلاة والسلام » .

ولكن ازدياد عددنا كثرة ، ينبغي ان يسايره ، باتجاه مواز ، ازدياد في انتاج الغذاء الذي يشبع هذه الافواه ، والا ، كانت الطامة الكبرى ، وتحقق فينا حلم اعدائنا ،ان نصبح امة من اصحاب المعد الغاوية ، فترتعش الايدي ان تضغط على زناد ، فتكون الهزيمة ، ونصبح امة من المغلوبين .

لا تهدروا هذه الثروة

ولكي لا يحدث هذا ، اندفع ، عبر العربي . اناشد كل المسئولين في كل بقعة تنتج الفوسفات في وطننا العربي ، ان يتواثبوا ، لاجتماع سريع، يضعون فيه خطة مدروسة ، موحدة ، تهدف الى الحد من اهدار خامات الفوسفات العربي بثمن بخس ، وانتهاج سياسة جديدة ، عمادها ، ان يتم تصنيع خامات الفوسفات العربي كلها ، أو على الاقل ، معظمها ، واستغلال ناتج هذه السياسة التصنيعية من مخصبات فوسفاتية ، في اثراء عطاء تربتنا من الغذاء . ليجد كل فم عربي جديد حظه من الغذاء وفيرا ، كافيا ، شافيا ، باذن الله .

ثم ، لا باس ، اذا فاضت حاجة التربة العربية عن شيء من هذه المخصبات ، أن نصدرها ، لدول وشعوب اخرى،باثمان مجزية ،وبشكل يخدم قضايا امتنا ، ومعركتها المصيرية ، فتكون بيدنا سلاحا جديدا ، يرفد سلاح نفطنا العربي .

ولا يقولن قائل : ذلك هدف تنوء دون تحقيقه امكانات امتنا ، ذلك كلام هراء ، هراء .

المال لا ينقصنا ، والعقول والكفاءات العربية تملأ الاصقاع ،ولا صعوبة في استقطابها ،والتقنية أو أن شئت قل : الفن الصناعي ، معروض في سوق الدنيا لكل من يدفع الثمن ،واننا لاقدر الامم على دفع ذلك الثمن .

وبعد

فقد اردت بهذه الصفحات ان اشد انتباه العرب، مواطنين ، ومسئولين ، الى ثروة ضخمة تكتنزها ارض وطنهم العربي من خامات الفوسفات .

واردت ان اشد انتباه المسئولين المباشرين عن هذه الثروة العربية الضخمة ، الى ضخامة مسئوليتهم ، أمام الله الذي وهبهم هذه الثروة ، ان يستغلوها حيث يجب ان تستغل ، سلاحا اخر ، يرفد سلاح النفط ، في معركة هذه الامة ، عقيدة، ووطنا .

الا ، قد بلغت ، اللهم ، فاشهد . ■■

الاردن ـ زياد أبو غنيمة

السعادة

كيف نصنعها ونتعم معها بالحياة !

بقلم : منير نصيف

■ ما السعادة ؟

متى نشعر أننا سعداء ، وما الذى يبعث بهذا الشعور الى نفوسنا ؟

سؤال بسيط نتوقف عنده كثيرا ، ثم لا نلبث أن نحس بعجزنا عن العثور على اجابة محددة له!

فالسعادة نفسها كلمة غير محددة المعالم ..وهي في الوقت نفسه — شعور نسبي . نختلف كثيرا في تعريفه..وفي شرح أسبابه ودوافعه..فانت اليوم سعيد.. ولكنك لاتعرف لماذا انت سعيد . انك تشعر بميل شديد الى الخروج عن نزمتك المألوف . تريد أن تضحك .. تريد أن تداعب كل من تلقاه فى طريقك الى عملك فى الصباح او فى عودتك الى بيتك .. وقد يلازمك هذا الشعور عدة ساعات .وربما عدة أيام وقد يفارقك وتفارقه قبل أن تعب بهذا المذاق الحلو للحياة ..

ما الذي حدث ؟ لماذا انت سعيد اليوم على غير عادتك ؟ ماذا رأيت ؟ بماذا شعرت .انت تقفز من فراشك نشيطا لترتدى ملابسك وتستعد للذهاب الى عملك ؟ لا أحد يدرى ، ولا حتى انت نفسك لأنك قلما توقفت لتسأل نفسك . فى غمرة هذه السعادة الجارفة التى نحس بها ، لماذا انا سعيد ؟ لانك لو فعلت ، فربما وجدت نفسك تعود مرة اخرى نفس الرجل العابس الذى مل الحياة وزتابتها ..من أجل هذا يطلق المرء رجلا كان أم امرأة لأحاسيسه العنان . فهو يضحك ، وربما ارتفع صوته بالغناء أو الصفير ، وهو يستعيد تلك الالحان الجميلة التى طالما طرب لها وملأت قلبه وصدره فى يوم قريبا كان أم بعيدا !

كيف نسعد بحياتنا ؟

ويحاول العلماء ، وهم لا يكفون عن محاولاتهم فى سبر أغوار النفس البشرية ، والتوغل بعلمهم الى اعماقها . للتعرف على الاسباب التى تتحكم فى سلوكنا وتحولنا الى اناس سعداء ..

فنحن نعرف لماذا نشعر بالقلق والسأم والارتباك!فهذه كلها ردود فعل لاحداث صادفتنا فى حياتنا اليومية أو نتيجة لعلاقتنا بالناس وتصرفاتهم .. ولكننا لا نعرف كيف نسعد انفسنا ..

ولا بد لنا هنا من وقفة نضع معها خطا فاصلا وعريضا بين المزاج وبين الاسباب الحقيقية التى تتحكم فى مشاعر الانسان واحاسيسه ومواقفه وسلوكه فى الحياة ؟ ويرى علماء النفس ان المرء يستطيع أن يجد طريقه الى السعادة التى ينشدها فى حياته ، اذا عرف مقدما ما الذى يسعى اليه وينشده ، ثم كيف يعمل فى سبيل بلوغ هذا الهدف! ولقد كان هذا هو رأى البروفسور ماسلاو احد كبار

الغريزة المتاصلة فى النفس البشرية ٠٠ كم تمنوا ان يروا بيت جارتهم من الداخــل ٠٠ ترى ماذا سيجدون فيه ، وماذا اعدت لهم فى هذه المناسبة السعيدة .

اصالة وعبقرية

وكانت المفاجاة ، عندما وقفوا جميعا فى وسط القاعة الصغيرة يتمنون لسيدة البيت وزوجها عيدا سعيدا ٠٠ كانت عيونهم فى جولة دائمة لا تهدأ محورها سيدة البيت ، ومجالها كل شىء يحيط بها فى كل ركن فى كل مكان ٠٠ واذهلهم ما رأوا ٠٠ لقد كان كل شىء ينم عن ذوق رقيق ٠٠ هل يمكن ان تكون هى وحدها قد صنعت هذا كله؟ الفستان الجميل الذى وضعت جسمها فيه ٠٠ اللوحات الرائعة التى تزين الجدران ٠٠ الاوانى النحاسية والفضية التى وضعتها صاحبتها فى رشاقة حيث يجب ان تكون! كانت اصالتها وعبقريتها وقدرتها على الابتكار محور حديث المدعوين فى تلك الليلة ٠٠ ودعتهم الى المادبة التى حفلت باطباق الطعام الشهى ٠٠ وحدث ما يحدث دائما امام كل طعام لذيذ ٠٠ لقد بدأ الحديث يخف ٠٠ وتركزت الانظار على الوان الاطعمة التى ازدحمت بها المائدة الطويلة !

أما الرجال ، فقد أكلوا واستمتعوا بكل طبق قدمته لهم مضيفتهم ٠٠ ولكن قصتهم مع الطعــام اللذيذ ، ومع جارتهم الطيبة ، ومع زوجاتهم لم تنته ٠٠ فقد كان لها بقية اثناء الحفل ، وبعد ان عادوا الى بيوتهم ٠٠ « اننا لم نتذوق طبقا واحدا شهيا من تلك الاطبــاق التى امتلأت بها مائدة جارتهم منذ زواجنا ! » قالوها فى صدق وصراحة اثارت غيرة الزوجات ولـو أنهن حاولن ان يخفين الحرج الذى احسسن به وراء ابتسامة رقيقة !

عمل ٠٠ وعمل !

اما هى ، صاحبة الحفل ، فلم تسكرها المجاملة، فقد قالت فى تواضع وبساطة : « لا تنسوا اننى زوجة متفرغة لبيتى ٠٠ وربما كان هذا هو السبب الذى جعلنى اقتنع بان صنع طبق من الحســاء اللذيذ ، قد لا يقل نفعا عن رســم لوحة جميلة ازين بها جدار البيت ! »

يقول البروفسور ماسلاو انه لم يلتق يوما حياته برجل سعيد او بامرأة سعيدة ،الا واكتشف ان وراء هذه السعادة التزاما كاملا بعمل او هدف تستهدف صالح ونفع المجتمع ٠٠ ان مثـل هؤلاء السعداء يحملون رسالة فى الحياة ، والسعادة الحقيقية بالنسبة لهم ، هى مزيج من العمــل والشعور بالواجب فى الوقت نفسه ٠٠ ان شعور المرء بان لديه عمــلا لا بد له ان يؤديه يقــود الى الاحساس بقيمته ونفعه ٠٠ وهذا الاحساس هو السعادة بعينها !

ثم يتحدث البروفسور ماسلاو بعد هذا عن موقف من الحياة بكل ما تحمله من اسرار ومفاجات ٠٠ ويقول أن السعداء بيننــا هم هؤلاء الذين عودوا انفسهم على العيش مع المجهول دون أن ينتابهم ذلك الشعور الذى يسيطر على الكثيرين منا ٠٠ الشعور بالخوف او بالخطر الذى يتهدد حياتهم فى الغد ، قبل أن يجىء ! وبعض هؤلاء الســعداء يميلون بطبعهم الى كشف هذا المجهول ويرفضون تقبل الحقائق الثابتة .

البحث عن المجهول

وفى محاولة كريستوفر كولومبوس فى البحث عن المجهول اصدق تعبير عما ذهب اليه ماسلاو فى معرض شرحه لنظرياته ٠٠ لقد اجمع معظم العلماء الذين عاصروه على أن الارض مسطحة ٠٠ وكان من الممكن أن ياخذ كولومبوس برأيهم ، طالما انه لا يجد امامه رأيا آخر يمكن أن يستند اليه فى رفض نظريتهم الخاطئة ٠٠ لقد كان يميـل الى الاعتقاد بعكس ما ذهبوا اليه ٠٠ ان الارض فى رأيه كرة هائلة وليست ارضا مبســوطة ، كما ارادوا أن يصوروها له ٠٠ وركب البحر ٠٠ وانطلق فى رحلته الطويلة بقــاربه الشراعى الكبير مع مجموعة من اصدقائه الذين عرفوا البحر واسراره ٠٠ وكانت وجهته جزر الهند الشرقية ولكنه انطلق فى اتجاه الغرب ٠٠ فى الطريق المضــاد تماما ، وفى رأسه هذا الخط الدائرى الذى لا بد ان يصل به فى النهاية الى الجزر القابعة فى الشرق ٠٠ اليست هذه هى ابعاد الكرة ٠٠ تبدأ من نقطــة وتدور حولها فلا تلبث ان تجد نفسك وقد عدت اليها ٠٠ لا بد ان يصل الى هدفـه اذن ! وثار أصدقاؤه البحارة عليه، وكادوا يفتكون به بعد ان

طالت غيبتهم عن الارض التى يبحثون عنها واستبد بهم الجوع والعطش .. اما هو فقد كان واثقا من انه سيصل، ووصل، ولكن الى جزر اخرى بعيدة عن الشرق .. وما زالت تحمل اسم جزر الهند التى تصور انه قد وصل اليها فعلا ، ولكن فى الغرب بدلا من الشرق !

السعادة الحقة !

وعندما يكون الحديث عن السعادة التى ينشدها الناس فى حياتهم .. نرى المجال قد اتسع لترديد العديد من الاسباب التى لا تمت الى السعادة الحقة بصلة .. فتسمع من يقول انها فى المال .. وتسمع من يؤكد انها فى النجاح والشـهرة والجاه .. ولكن الواقع يقول غير هذا ، فكم من أثرياء تمنوا ان يقدموا كل ثرواتهم مقابل أن يعيشوا لحظـة واحدة فى سعادة .. وكم من اناس بلغوا القمة، فتمنوا لو انهم عادوا الى السفح مرة اخـرى ليذوقوا طعم السعادة !

يرى ماسلاو أن السعادة ليست فى شىء من هذا كله .. وانما هى فى اشياء ابعد واعمق من هذه القشور بكثير .. انها شعور داخلى يملأ النفس، فتجعل صاحبها يفلسف الحياة بطريقته الخاصة ، فهو مثلا لا ينظر الى حياته بمنظار وردى ، او ، بمنظار آخر حالك السـواد .. انه يرى كل ما حوله ،كما هو حتى لو كان يختلف تماما عما اراده لنفسه من آمال واحلام .. انه لا يشكو من شىء ، وانما يتقبل كل شىء على علاته ، ثم يحاول بعد هذا أن يجعل منه ما يريد .. وهناك اشياء ثابتة لا تتغير .. فهو مثلا لا يستطيع أن يغير من طبيعة الماء لانه ماء ولا يمكن ان يتحول الى عسـل .. وهو لا يستطيع أن يغير من صلابة الصـخور .. لانها صـلبة لا يمكن ان تلين بين يديه .. ولا يستطيع بعد ذلك أن يفعل شيئا ازاء منافسه الذى فاز بجدارة فى اختبار صعب للفوز بمنصب كبير جديد ! فهم كما ذكرنا اناس يتقبلون الحياة بكل حقائقها الثابتة ، ولـكنهم يقفون معترضين على بعض نظرياتها التى قد يرون فيها رأيا مخالفا !.

زوجة لرجل ناجح !

وهو يختتم حديثه معنا بقصة الزوجة الشـابة التى جاءته يوما تشكو اهتمام زوجها العالم بعمله، اكثر من اهتمامه بها ! وقال ماسلاو :

« اذا تعلمت ياسيدتى ان تتخلصى من شعورك بخيبة الامل فى زوجك ، فقد عرفت كيف تسعدين نفسك ، وتسعدينه ! »

ـ كيف ؟

ـ اذا تاخر عن موعد الغداء مثلا .. لا تحاولى أن تذكـريه بالمواعيـد ، وكيف يجب عليه أن يحترمها !

« واذا ترك الحفل الذى دعيتما اليه وخيرك بين الانصراف معه الى معمله لان هناك عملا هاما لم يتمه بعد ، وبين البقاء مع اصدقائك حتى ينتهى الحفل ! اذهبى معه وثقى انه فى حاجة اليـك لكى تقفى بجانبه ! لان عمل زوجك اهم من اى حفل ، واهم من كل هؤلاء الاصدقاء ! »

« واذا قضى عطلة نهاية الاسـبوع التى كنت تنتظرينها ، بين تجاربه واختباراته فى معمله ، فلا تتورى وتلعنى حظك العاثر ،لانك سوف تضطرين الى الغاء رحلتك الى الريف ، التى قضيت كل ايام الاسبوع ترتيبـن لها ! اذهبى معه وعاونيه حتى يشعر انه لا يقف وحده ..وان عمله هذا من اجلك انت ايضا .. ومن اجل اسرته » ..

« تعلمى كيف تكتسبين القـدرة على احترام وتقدير عمله ، فالمشاركة هى السعادة بعينها ! »

معنى الحياة

ان بعض الناس يجدون السـعادة فى ابسط الاشياء .. فاللحظات القصيرة التى يقضونها فى قراءة الصحيفة فى الصـباح ، او فى المشى فى حديقة البيت وسط الزهور ،او فى زيارة الاصدقاء، والحديث معهم ، او فى الوقـوف عند الغـروب وتامل الشمس وهى تغـوص فى الافق .. هـذه الاشياء الصغيرة تملأ نفوسـهم وصدورهم غبطة وسرورا لانها تذكرهم دائما ببهجة الحياة !

ان بعض اسباب السـعادة نصنعها بايدينا .. وبعضها قائم وموجود من حولنا .. والفـرق بين هذه وتلك هو نفس الفرق بين عملنا فى الحياة وبين فهمنا لمعنى وصور الحياة .. ■■

منير نصيف

بقلم : الدكتور عدنان الدوري

« هوة سحيقة تفصل بين عالم الفضيلة والعيش الكريم وبين عالم الرذيلة والعيش الحرام »

■ قبل سنوات عديدة كان التلفزيون الامريكي يعرض حلقات تلفزيونية (سبعة وثلاثين) متتابعة تحت عنوان « الجريمة لا تجدي نفعا » Crime does not pay تتناول كل حلقة حياة احد المجرمين المعروفين في عالم الجريمة السفلي The Underworld حيث تنتهي حياته اما بالاعدام بالكرسي الكهربائي او بالقتل اثناء مطاردته او بالسجن مدى الحياة .

كنت يومها طالبا (ادرس للدكتوراه في علم الجريمة) واقوم ببحث علمي ميداني على مجموعة من السجناء في سجن واشنطن العاصمة D.C Reformatory بضاحية لورتون بولاية فرجينيا . وقد قرر الاستاذ دونالد كلمر Clemmer . المدير العام لمصلحة سجون العاصمة انذاك . ان يعرض بعض حلقات هذا المسلسل التلفزيوني على جماعة مختارة من السجناء المحترفين في السجن المذكور . وقد كلفت انذاك كباحث اجتماعي ان اقوم برصد ردود فعل السجناء الذين كانوا يشاهدون هذه الحلقات التلفزيونية وتسجيل انطباعاتهم الشخصية بعد نهاية عرض كل حلقة بهدف مناقشتهم في جدوى الجريمة أو عدم جدواها .

والى هنا كانت هذه الفكرة علمية رائدة وكان الهدف اصلاحيا لا غبار عليه . اذ كان القصد ان

اهل السجن وفي عالم الاجرام بثلاثة حروف هي Pro أى « المحترفون » فمن هؤلاء المحترفون وكيف ومتى تصبح الجريمة حرفة او مهنة او وسيلة من وسائل العيش ؟

الاحتراف Professionalization يعني التخصص بعمل معين بشكل مهنة او حرفة بهدف كسب معاش دائم • وهذا يعتمد على بعض عناصر اساسية ابرزها توفر بعض الخبرة العملية والمهارة الفنية الى جانب بعض القيم والمتعارفات المهنية المتصلة باسلوب العمل في اطار المهنة • ومن هنا قد تصبح الجريمة مهنة احيانا اذا توفرت فيها عناصر تكوين المهنة ،ويصبح المجرم محترفا اذا اتخذ من مهنة الجريمة عملا دائما واسلوبا من اساليب العيش •

احتراف الجريمة

والواقع ان موضوع احتراف الجريمة بدأ ينال اهتمام علماء الجريمة منذ عام ١٩٣٧ حين طلع « ادوين سدرلاند Sutherland » ، استاذ علم الجريمة السابق بجامعة شيكاغو ، بدراسته الرائدة حول « اللص المحترف The Professional Thief ويظهر ان دراسة ظاهرة الجريمة كمهنة او حرفة تعكس النظرة الاجتماعية المعاصرة لمفهوم الجريمة بوصف انها « نظام سلوكي Behaviour System بشكل وحدة متكاملة من الافعال والعادات والقيم والتقاليد والعلاقات الاجتماعية ، الامر الذي يخرج الجريمة من اطارها التقليدي كسلوك فردي لتصبح سلوكا جمعيا يقوم على روح التضامن الجمعي ، وبهدف تحقيق اسباب الانتماء و لنقول الى عالم الجريمة السفلي • ومن خلال مثل هذا الاطار الاجتماعي برزت بعض انواع الحرف لتصبح حقولا علمية جديدة لدراسة موضوع احتراف الجريمة •

السرقة مهنة قديمة

على ان هذا القول لا يعني بحال من الاحوال ان احتراف الجريمة ظاهرة جديدة عرف بها هذا العصر دون غيره بل ان مهنة السرقة من الظواهر الاجتماعية القديمة التي عرفتها مجتمعات قديمة ذكرها الكثير من المؤرخين لتاريخ الحديث ففي كتاب ظهر في عام ١٩٣٨ للكسب الانجليزي « توماس رايت

يرى المجرمون باعينهم النهاية الواقعية السيئة التي تنتظر من يحترف الجريمة او يتخذها اسلوبا للحياة • ولكن الغريب في الامر ان جاءت نتيجة هذه التجربة الفريدة من نوعها مخيبة لآمال المخططين لها ،حيث ظهر ان ردود فعل المجرمين الذين شاهدوا هذه الحلقات لم تتعرض الى موضوع جدوى الجريمة او عدم جدواها بقدر ما اتاحت الفرصة لمناقشة وتحليل اوجه النقص والتقصير في اسلوب ارتكاب الجريمة وتنفيذ تفاصيلها وكيفية مواجهة الاخطاء في المستقبل ، وكان لسان حال كل منهم يقول بانه لو اتيحت له مثل تلك الفرصة لتصرف بشكل اكثر حكمة وتبصرا وباسلوب اكثر دقة وتنظيما ،ولذلك فقد ضاعت العبرة المقصودة من وراء هذه التجربة وضاعت معها الاهداف المنشودة في عملية الاصلاح والتقويم •

هذه الفئة المختارة من المجرمين يطلق عليهم علماء الجريمة مصطلح « المجرمون المحترفون Professional Criminals » ويختصرون هذا اللقب بلغة

حين يقول المجرم المحترف :

«« الجريمة مهنتي »»

اسلوب العيش الحرام في عالم الشر والرذيلة

بقلم : الدكتور عدنان الدوري

« هوة سحيقة تفصل بين عالـم الفضيلة والعيش الكريم وبين عالم الرذيلة والعيش الحرام »

■ منذ سنوات عديدة كان التليفزيون الامريكي يعرض حلقات تليفزيونية (سبه وثائقيه) مثيرة تحت عنوان « الجريمة لا تجدى نفعا » Crime does not pay تتناول كل حلقة حياة احد المجرمين المعروفين في عالم الجريمة السفلي The Underworld حيث تنتهي حياته اما بالاعدام بالكرسي الكهربائي او بالقتل اثناء مطاردته او بالسجن مدى الحياة .

كنت يومها طالبا (ادرس للدكتوراه في علم الجريمة) واقوم ببحث علمي ميداني على مجموعة من السجناء في سجن واشنطن العاصمة D.C Reformatory بضاحية لورتون بولاية فرجينيا . وقد قرر الاستاذ دونالد كلمر Clemmer . المدير العام لمصلحة سجون العاصمة آنذاك ، ان يعرض بعض حلقات هذا المسلسل التليفزيوني على جماعة مختارة من السجناء المحترفين في السجن المذكور . وقد كلفت انذاك كباحث اجتماعي ان اقوم برصد ردود فعل السجناء الذين كانوا يشاهدون هذه الحلقات التليفزيونية وتسجيل انطباعاتهم الشخصية بعد نهاية عرض كل حلقة بهدف مناقشتهم في جدوى الجريمة أو عدم جدواها .

والى هنا كانت هذه الفكرة علمية رائدة وكان الهدف اصلاحيا لا غبار عليه ، اذ كان القصد ان

اهل السجن وفي عالم الاجرام بثلاثة حروف هي Pro أي « المحترفون » فمن هؤلاء المحترفون وكيف ومتى تصبح الجريمة حرفة او مهنة او وسيلة من وسائل العيش ؟

الاحتراف Professionalization يعني التخصص بعمل معين بشكل مهنة او حرفة بهدف كسب معاش دائم • وهذا يعتمد على بعض عناصر اساسية ابرزها توفر بعض الخبرة العملية والمهارة الفنية الى جانب بعض القيم والمتعارفات المهنية المتصلة باسلوب العمل في اطار المهنة • ومن هنا قد تصبح الجريمة مهنة احيانا اذا توفرت فيها عناصر تكوين المهنة .ويصبح المجرم محترفا اذا اتخذ من مهنة الجريمة عملا دائما واسلوبا من اساليب العيش •

احتراف الجريمة

والواقع ان موضوع احتراف الجريمة بدأ ينال اهتمام علماء الجريمة منذ عام ١٩٣٧ حين طلع « ادوين سذرلاند Sutherland » ، استاذ علم الجريمة السابق بجامعة شيكاغو ، بدراسته الرائدة حول « اللص المحترف The Professional Thief ويظهر ان دراسة ظاهرة الجريمة كمهنة او حرفة تعكس النظرة الاجتماعية المعاصرة لمفهوم الجريمة بوصف انها « نظام سلوكي Behaviour System بشكل وحدة متكاملة من الافعال والعادات والقيم والتقاليد والعلاقات الاجتماعية ، الامر الذي يخرج الجريمة من اطارها التقليدي كسلوك فردي لتصبح سلوكا جمعيا يقوم على روح التضامن الجمعي ، وبهدف تحقيق اسباب الانتماء و القبول في عالم الجريمة السفلي • ومن خلال مثل هذا الاطار الاجتماعي برزت بعض انواع الجرائم لتصبح حقولا علمية جديدة لدراسة موضوع احتراف الجريمة •

السرقة مهنة قديمة

على ان هذا القول لا يعني بحال من الاحوال ان احتراف الجريمة ظاهرة جديدة ينفرد بها هذا العصر دون غيره بل ان مهنة السرقة من الظواهر الاجتماعية القديمة التي عرفتها مجتمعات قديمة ذكرها الكثير من المؤرخين لتاريخ الجريمة ففي كتاب ظهر في عام ١٨٣٨ للكاتب الانجليزي « توماس وايت

يرى المجرمون باعينهم النهاية الواقعية السيئة التي تنتظر من يحترف الجريمة او يتخذها اسلوبا للحياة • ولكن الغريب في الامر أن جاءت نتيجة هذه التجربة الفريدة من نوعها مخيبة لآمال المخططين لها ،حيث ظهر ان ردود فعل المجرمين الذين شاهدوا هذه الحلقات لم تتعرض الى موضوع جدوى الجريمة او عدم جدواها بقدر ما اتاحت الفرصة لمناقشة وتحليل اوجه النقص والتقصير في اسلوب ارتكاب الجريمة وتنفيذ تفاصيلها وكيفية مواجهة الاخطاء في المستقبل ، وكان لسان حال كل منهم يقول بانه لو اتيحت له مثل تلك الفرصة لتصرف بشكل اكثر حكمة وتبصرا وباسلوب اكثر دقة وتنظيما .ولذلك فقد ضاعت العبرة المقصودة من وراء هذه التجربة وضاعت معها الاهداف المنشودة في عملية الاصلاح والتقويم •

هذه الفئة المختارة من المجرمين يطلق عليهم علماء الجريمة مصطلح المجرمون المحترفون Professional Criminals ، ويختصرون هذا اللقب بلغة

Wright » بعنوان « الملكة اليزابيث وعصرها » يحدثنا هذا الكاتب ان مدرسة لتدريب النشالين وجدت في مدينة لندن منذ عام ١٥٨٥ ، وكان المتدربون يستخدمون بعض الدمى البشرية وقد علقت عليها اجراس خاصة تستخدم لتنبيه السارق في حالة ارتكابه أي خطأ فني في عملية النشل . كما يذكر كاتب انجليزي آخر هو «فرانك آيدلوت Aydelott » في كتاب له بعنوان «المحتالون والمتسكعون في عصر اليزابيث» صدر عام ١٩١٣ ان حرفة السرقة في انجلترا ترجع في تاريخها الى عام ١٦٠٠ حيث كان لاصحاب هذه الحرفة تقاليد مهنية معروفة ولغة خاصة واساليب فنية دقيقة وشعور جماعي بالتضامن والولاء . والواقع ان علم الاجرام المعاصر يزخر اليوم بالعديد من الكتب والدراسات العلمية التي عالجت موضوع الاجرام المحترف، كما وهناك العديد من القصص والروايات والاعمال الادبية الرائعة التي تناولت حياة الجريمة والمجرمين بشكل او بآخر .ولكن ماهي ابرز الانماط الاجرامية الشائعة في حقول الجريمة المحترفة والتي تشكل التخصصات الاجرامية المعاصرة بوجه عام ؟ ويمكن ايجازها على النحو التالي :

١ ـ السرقة بالسطو على المنازل وسرقة المخازن وسرقة العمارات السكنية ، وهذه تنصب على النقود وعلى البضائع على السواء ، وهي تشتمل على تخصصات فرعية معينة كالتخصص بسرقة النفق وسرقة المخازن التجارية وسرقة الخزانات الحديدية بانواعها واساليبها المختلفة ، وغالبا ما ترتكب هذه السرقات من خلال تنظيم جماعي وتوزيع العمل بين اشخاص مجموعة معينة .

٢ ـ سرقة ارصفة الموانيء ومستودعات ومحطات السكك الحديدية وسيارات شحن ونقل البضائع وغالبا ما ترتكب هذه السرقات من خلال مجموعات منظمة .

٣ ـ سرقة معروضات المخازن Shoplifting وهذه جرائم يرتكبها المحترفون بشكل انفرادي في الغالب .

٤ ـ السرقة بالنشل Pickpockets وهذه تشتمل على تخصصات فرعية متعددة وتقوم على درجة كبيرة من التنظيم وتوزيع الاعمال والاختصاصات . وتنفذ هذه الجرائم من قبل مجموعات يتولى كل شخص من افراد المجموعة عملا معينا بالذات تنتهي مهمته بعد القيام به . ففي عملية نشل الاشخاص يقوم احد افراد المجموعة بتحديد مكان النقود لدى الضحية ، ويقوم شخص آخر بتوجيه انتباه الضحية نحو وجهه أخرى تفقده عنصر اليقظة والانتباه ، ويقوم آخر بعملية نشل النقود وتسليمها الى شخص آخر وهذا بدوره يقوم بتسليمها الى شخص آخر كما يقوم شخص آخر بمهمة الوقاية والحماية في حالة التعرض لخطر القبض . وقد يبرز التخصص الفني الدقيق في عملية النشل حيث نجد من يتخصص بسرقة الجيوب الداخلية العليا وآخر في الجيوب الداخلية السفلى أو في الجيوب الصغيرة الظاهرة ، وهناك من يتخصص بقطع الملابس بآلة حادة ، وهناك من يتخصص في سرقة السكارى أو سرقة رواد المسارح والملاهي الليلية ، ومنهم من يتخصص في سرقة رواد وسائل النقل العامة ، ومنهم من يستخدم منديلا أو صحيفة لاخفاء حركة يديه اثناء قيامه بعملية النشل الى غير ذلك من الوسائل والاساليب الاخرى .

٥ ـ سرقة السيارات اومحتوياتها وغالبا مايكون ذلك من قبل جماعات متخصصة يسهم كل فرد في المجموعة بدور محدد في العملية المطلوبة .

٦ ـ السرقة بالتهديد باستخدام العنف او القوة كسرقة المصارف والمتاجر أو السلب في الطريق العام وغالبا ما يتم تنفيذ هذه السرقات من خلال مجموعات ذات تنظيم خاص .

٧ ـ التزوير وتصريف الشيكات المسروقة بانواعها المختلفة ، وغالبا ما ترتكب هذه الجرائم من قبل تنظيمات اجرامية صغيرة او كبيرة وباسلوب دقيق يجمع بين الدقة الفنية وتوزيع الاختصاصات والعمل في بعض المدن والاقطار .

٨ ـ النصب والاحتيال Confedence Games وتعتبر هذه الجرائم من اقدم الانماط الاجرامية المحترفة في تاريخ المجتمعات البشرية ، وتتم هذه الجرائم باساليب فنية دقيقة ومهارات شخصية واستعدادات شخصية معينة ، وقد تختلف هذه الاعمال باختلاف المناطق الحضرية .

٩ ـ المجرم الذي يشكل غطاء السرقة The Fence وهو الذي يقوم باخفاء الاموال المسروقة وتهيئة المكان والزمان المناسبين للتصرف فيها ، ولعل مثل

هذا الشخص يشكل اطار المنفعة المادية لجريمة السرقة اذ تنعدم مثل هذه المنفعة بدون ايجاد الوسائل للافادة من المواد المسروقة ٠

تلك هى بعض الانماط الاجرامية الشائعة فى عالم الاجرام المحترف ، وقد يضيف بعضهم انماطا اجرامية أخرى كالقتل المحترف والخطف المحترف بهدف الحصول على فدية مالية كبيرة ، ولكن مثل هذه الانماط بدأت تفقد اهميتها بعد اختفاء الكثير من انماط الاجرام المنظم الذى يقوم على العنف ، اذ لا شك ان القاتل المحترف غالبا ما تنتهى حياته الاجرامية لدى اول تجريم او ادانة يتعرض لها فى حياته الاجرامية حيث ان عقاب جريمة القتل قد يكون الاعدام أو السجن مدى الحياة ٠

شخصية المجرم المحترف

والان،ما هى الخطوط العامة التى ترسم شخصية المجرم المحترف وكيف تتبلور عناصر هذه الشخصية الاجرامية المحترفة ؟؟

الواقع ان هناك كثيرا من الآراء والفرضيات التى عالجت هذا الموضوع ، وسنحاول هنا ان نبرز اهم السمات المشتركة التى ذكرها بعض الباحثين الذين تناولوا تحليل شخصية المجرم المحترف من خلال دراساتهم الميدانية المختلفة وذلك بصورة موجزة على النحو التالى :

١ ـ شعور المجرم المحترف بالتميز والعلو على طبقة المجرمين الهواة او اولئك الذين يفتقرون الى عناصر الخبرة والمهارة وقواعد العمل،كما ويحتقر المجرم المحترف أولئك الذين يعمدون الى العنف والعدوان أو ارتكاب جرائم الايذاء البدنى،ولذلك لا يستخدم المجرم المحترف العنف الا عند الضرورة القصوى وبحد ادنى ٠

٢ ـ قبول حكم القانون كجزء لا يتجزأ من مخاطر المهنة ، فالحبس لدى المجرم المحترف واقع مؤلم تفرضه مخاطر المهنة ، ولذلك فان المجرم المحترف يكون سجينا نموذجيا فى المؤسسات العقابية، فهو يشعر بالقبول والرضى ودفع ضريبة المهنة بحد ادنى من المتاعب والمشكلات السلوكية التى تطيل فترة غيابه عن عمله ٠

٣ ـ يتميز المجرم المحترف بالانفراد بتخصص واحد فى حقل واحد من حقول الاجرام ، وقلما ينتقل المجرم المحترف من جريمة الى اخرى لانذلك من شان الهواة وحدهم ، ولذلك فهو يفخر دائما باسلوبه ومهارته المهنية ولا يتردد فى وصف نفسه ومهنته بقدر كبير من الفن والمهارة ، وقد تبرز مهارة احدهم فى خبرة معينة حيث تشيع منزلته فى مجتمع الاجرام السفلى ٠

٤ ـ ولعل ابرز ما تتميز به الشخصية الاجرامية المحترفة هو ما يؤكده الباحثون منوجود ذلك الاطار المعنوى الذى يربط حياة المجرم المحترف بنظرة اجرامية، غايتها تبرير العمل الاجرامى بشكل يحقق لصاحبه بعض التوافق النفسى والوجدانى مع حياة الجريمة ٠ فقد لا يجد المجرم المحترف فى عمله الاجرامى اكثر مما يلمسه فى المجتمع التقليدى من ممارسات لا اخلاقية تحت ستار العمل المشروع حين يكون الهدف كسب المال بطريق استغلال الآخرين ٠ فالمجرم المحترف يفترض سوء القصد وفساد الطوية فى كل شخص ، ولذلك فان المعيار الذى يميز بين العمل الاجرامى وغير الاجرامى هو فى قدرة الشخص على تضليل العدالة والعيش على هامش القانون،والقدرة على تجنب الوقوع فى قبضة القانون ٠ونظرة كهذه تضع المجرم المحترف فى صراع مستمر مع العالم التقليدى ، فهو لا يحترم من قوانين هذا العالم الا بالقدر الذى لا يتعارض مع نشاطه الاجرامى ، وفيما عدا ذلك يريد الخير كل الخير للمجتمع الذى يعيش عليه لانه كلما زادت رفاهية هذا المجتمع زادت منافعه وتضاعف استغلاله٠ فهو يعتقد بان هناك طائفة من الاشخاص لا مفر من استغلالهم وان الكثير من الضحايا يستحقون مثل هذا الاستغلال بشكل او بآخر ٠

٥ ـ والمجرم المحترف ينتمى الى عالم الجريمة السفلى ، لانه العالم الذى يحقق له بعض اسباب الامن والطمانينة والتقدير والحب والقبول ،ولذلك فهو يخلص لجماعته بكل اسباب الطاعة والولاء والامانة ٠ وهكذا يعيش المجرم المحترف فى اطارين اخلاقيين متناقضين يكون فى احدهما منتميا ومتوافقا وفى الآخر لا منتميا متمردا ٠ وقد لا ينعزل المجرم

ولدفيهما الطفلان باطراف قصيرة ومشوهة. وكان كلا الطفلين فاقدين لعظام الساقين وكذلك للاصابع .. وهذا تشويه غريب جدا بل يعتبر في حكم الشواذ .. ولا يعرف له مثيل باستثناء ما نسب الى الثاليدومايد من اثار على الاجنة قبل حين .. والسبب في كلتا الحالتين هو اللولب الذى لجأت اليه الام بقصد منع الحمل ..

هذا واللوالب ، كما هو معروف ، لا تضمن عدم الحمل ضمانا تاما . ويقدرون نسبة من يحملن بالرغم من اللوالب ١:٥ ، أضف الى ان الحمل في مثل هذه الحالات مصيره في الغالب الاسقاط Miscarriage . هذا اذا لم يكن حملا Ectopic أى في قناة فالوى خارج الرحم، او كان حملا قصير الاجل. لذلك ينصح الاطباء بازالة اللولب في مثل هذه الحالات باسرع وقت ممكن .

وجدير بالذكر أن هذه هي المرة الاولى اتى ينسب فيها الى اللوالب تشويه في الاجنة والمواليد على غرار ما احدثه الثاليدومايد .

الابادة والانقراض في اسرائيل

● انقرض في اسرائيل ، وفي غضون ال ٣٠ سنة الماضية ٠٫١٪ من نباتاتها . وقد جاء ذلك نتيجة للتنمية السريعة التي أخضعت لها الارض ، وللجهود الناجحة والمتزايدة لاستغلال الموارد الطبيعية . والنسبة المذكورة تغطى ٢٦ صنفا من النباتات كانت موجودة في فلسطين قبل الاستعمار الصهيوني ولا وجود لها في الوقت الحاضر .

واهتم بالامر الدكتور D.Dafn ، والدكتور M.Agami ، وهما استاذان في الجامعة العبرية ، فطالبا بضرورة العمل على وقف موجة الانقراض هذه ، ووجوب حماية البيئة حماية فعالة في المستقبل .

وقد كتب الاستاذان مقالا في مجلة Biological Conservation عددا فيه اصناف النباتات المنقرضة .. واغلب هذه النباتات كانت تنمو في البحيرات والمستنقعات وعلى ضفاف الانهار .. وقد تم انقراضها تبعا لاعمال الاستصلاح التي قامت بها اسرائيل ..

من تلك الاعمال اعمال تجفيف المستنقعات بمافيها بحيرة الحولة، ومشاريع الرى الواسعة النطاق والتحكم بالغدران والينابيع .. اضف الى ذلك أن تلوث الماء في نهرين اثنين على الاقل قد تسبب بانقراض بعض تلك النباتات .

آفاق جديدة

● الدكتور لستر ساكس Lester sacks طبيب امريكي من اطباء الاسرة في مدينة لوس انجلس . وقد درس فن الوخز بالابر في الولايات المتحدة وفي لندن . وبلغ من تمرسه في هذا الفن أن ابتدع طريقة جديدة في الوخز تضمن الى حد كبير معالجة البدانة والادمان على التدخين والكحول ، وكذلك الادمان على تعاطى الادوية .

وقوام الطريقة الجديدة الثقوب التي يحدثها الدكتور ساكس في اذن المدمن او البدين وذلك بواسطة جهاز خاص صنعه لهذا الغرض . ويتم الوخز بالقرب من مواقع الوخز الحساسة المعروفة لدى الخبير بفن وخز الابر .. وتبقى الابرة الجراحية حيث يضعها الطبيب في الاذن لمدة ما بحيث يلجأ المريض الى تحريكها في كل مرة يشعر فيها بالدافع الى

فى فن الوخز بالابر ..

الخمر او السيجارة او الاسراف فـى الاكل ..

أما كيف تعطى هذه الطريقة اثرهـا فالدكتور ساكس نفسه لا يعرف ذلك .. فاثرها العلاجى مجهول ، كأثر الوخـز بالابر العلاجى عامة .. وهو مجهول كما لا يخفى . الا أن نتائج الطريقة الجديدة معروفة . ويمكن ايجازها على النحـو التالى :

البدانة : ٧٥٪ من الذين عولجوا بهذه الطريقة فقدوا نحو ٤٠ ـ ٥٠٪ مـن وزنهم .. ونصف هؤلاء حافظوا علـى وزنهم الجديد حتى بعد اقتلاع الابـر من اذانهم ..

التدخين : ٦٠٪ لم يعودوا يدخنـون سوى ٤ ـ ٥ سجاير فى اليوم وقد بلـغ تدخينهم من قبل حوالى ٤٠ سـيجارة يوميا .. والكثيرون منهم تخلوا عـن التدخين نهائيا .

الكحـول : ٤٠٪ مـن ١٥٠ مدمـن حدوا من شربهم الخمرة بمعدل النصـف ثم لحق بهم ٣٠٪ بعد ستة شهور مـن اجراء التجربة .

الصلة بين الخمر وفقدان الرجولة

● كشفت التجارب العلمية التى اجريت مؤخرا عن صلة مباشرة ووثيقة بين الكحول و بين فقدان الرجولة . و نخص بالذكر من هذه الدراسات تلك التى قام بها فريق من علماء مدرسة جبل سيناء الطبية .. وهى مؤسسة فى نيويورك ، اشتهرت بأبحاثها وتجاربها العلمية والطبية ..

اختار هؤلاء العلماء لتجاربهم احدعشر رجلا من المدمنين على الخمر .. اثنان منهم من المدمنين المزمنين Chronic Alcoholics والتسعة الآخرون من المدمنين الاجتماعيـين Social Drinkers واستغرقت التجربة شهرا كامـلا ، سمـح اثناءه للجميع بتناول كميـات كبيرة من الكحول بمعدل ٢٢٠ جرام كحول خالص يوميا

وفى غضون يـوم او يومين من بداية ذلك الشهر نقصت كمية هرمون الرجولة Testosterones الموجود فى الدم فى رجال الفئتين جميعا ... واستمر النقصان حتى لم يبق من هذا الهرمـون فى دمهم سوى ٣٠ ـ ٥٠٪ من الكمية الأصلية ...

ولم تقف الأضرار عند هذا الحد ... فقد اثبتت الفحوص بعد ذلك نقصانا فى افـراز هـرمون التستسترون مـن قبـل الخصيتين .. هذا الى جانب ما تعرضت له الغدة النخامية من قصور ، وقد نقصت افرازاتها التى تحتاج اليها الخصيتان . وقد ظهرت هذه الاعراض الاخيرة فى فئة المدمنين المزمنين بخاصة .

ويشير العلماء الى اثر الكحول السام على الخصيتين . ويرجحون ان هذا الأثر هو الذى سبب الكثير من التغيرات التى ذكرنا .. على الأقـل فى فئـة المدمنين المزمنين .. ويؤكـد العلماء كذلـك ان التلف الذى تحدثه الخمرة فى الكبد هو المسئول عن احداث بقية تلك الثغرات .

إلى ولدي..

■ أنا قادمٌ لك ، يا بنـى ... وحق طُهرك لا تـم

لا تحرمنَّ أباك من ... فمك الشهيِّ اذا ابتسم

حَلواك تلك أضمُّها ... في لهفة بيديّ ضم

أسعى اليك ، وكلُّ خا ... فقة بجنبي تضطرم

فلعلني ألقى صبا ... حك يملأ الدنيا نغم

فأطيرَ من فرحي وأنـ ... سى الهمَّ ، أنسى كلَّ هم

فلكم تعبتُ ، وكم شقيـ ... تُ ، وكم شبعت من الالم !

وعلى نِداك الحُلوِ تر ... تاحُ الجِراحُ وتلتئم

***

عوَّدتي حبّاً حلمـ ... ـت به ، وكم عزَّ الحُلُم

قضّيتُ عمري أبتغيـ ... ـه ، ولم أصِبْ إلا الندم

كم ذقتُ فيه من العذا ... ب ، وكم صرت ، وكم ، وكم

وتبعتُه ، حتى يئسـ ... ـتُ ، وقلتُ: إن الحبَّ وَهْم

***

ثم استمعتُ إليك تد ... عوني ، وتلثغُ في الكَلِم

فسمعت أقدر ناثرٍ ... وسمعت أبلغَ من نظم

جاوزت ما نطق اللسا ... ن ، وخفت ما كتب القلم

وسكتَّ عن عيٍ . ولـ ... كن كل ما تبغي فُهِم

عيناك أفصحُ في الحديـ ... ث المشتهى من كل فم

والحبُ عندك آيةٌ ... من صنع وهاب النعَم

فيه من الرحمن : من ... فردوسه الأعلى نَسَم

كم من لقاءٍ منك . أحـ ... ـيا من حياتي ما انعدم

أحييت لي قلبا إلى الـ ... أشواق والنجوى نَهِم

ألقاك بين يديَّ ، أشـ ... رب من لَماك ، وألتهم

وأطيل ضمَّك ، لست أشـ ... بع منك ، من شفتيك لثم

قُبُــلاً تفيض بما يُــــذا ق ، وما يُحَسّ ، وما يُتَم

***

وتروح تحكــى لى حكــا يات النهــار المنصــــرم

وتعثُــرُ الكلمــات فــى فمك الشــهى المبتَـــسم

نغَمٌ على سمعى ، أتـــد رى ، يا حياتى ، ما النّغم ؟

شىء تدور لــه الــرؤو س ، وتستريح ، وتنسجم

وتَهمّ ، لا تقوى خُطــا ك على المسير المنتظــم

وتروح تعثــر بالأثــا ث ، تحيد عنه ، وتصطدم

وفرشتُ قلبى كــى تسيـــ ـــر تدوسُ فيـه بالقدم

أقسمتُ أنك لــو فعلـــ ـــتَ لما وجدتُ به ألم

***

قرِّب إلىَّ ، بنىَّ ، حنْـــ ـــوَ رُضاب مَبْسمك الشهى

واســكبْ على ظمــئى إلى عينيــك من شفتيــك رىّ

واغسلْ جراحــاتِ السنيــ ـــن ، وقسوةَ الزمن العتىّ

أنا ، يــا بنىَّ عــلى الجــرا ح طويتُ هذا القلب طــىّ

الناس كم خدَعوا ، وكــم غدَروا ، وكم كذبوا عــلىّ

حتى الوفاءُ بذاتــــــه فارتـــدّ نكرانــاً إلىّ

إن الـــذى قدَّمتُــــــهُ ورفعــتُ موضعَه الدنــىّ

جحَدَ الجميـل ، وراح عن عينىَّ ، إلى طرْفٍ خفـــىّ

أسعى اليه - وكيف أبـــ ـــلغه - وموضعه قصــىّ ؟

فرِحٌ بما يلقى . وهـــل يدرى الخــلى عن الشجىّ ؟

لمــا تسلق عـــــودَه وافاه معْدِنه الــــردىّ

حاولت أكرهُه ، فلـــم أفلحْ ، وأسقط فى يـــدىّ

إنى أحب الناس ، يـــا ولدى ، ولو حقدوا علىّ ■■

محمد التهامى

قرحة المعدة والاثنى عشر المشكلة والحل !

بقلم : الدكتور محمد ابو شوك

■ ليس غريبا ان يتمنى انسان اليوم ، لو انه عاش بالأمس قبل ان تظهر وتترعرع المدنية الحديثة ، وما جلبت معها من امراض جديدة اوزيادة فى نسبة الأمراض التى كان يعانى منها • فبقدر ما تعطى من اسباب الرفاهية والبذخ نراها تسلب من الانسان اعز ما يملك وهو صحته • وها هى ذى الأمراض التى يسببها التوتر العصبى ، او يساعد على ظهورها واستفحال امرها تزداد يوما بعد يوم • وتطالعنا الاحصائيات العالمية كل يوم عن مدى انتشار هذه الامراض •

وقرحة المعدة والاثنى عشر من هذه الامراض ، بل انها تحتل مركز الصدارة فيها •

لماذا تحدث قرحة المعدة والاثنى عشر ؟

نحن نعلم ان المعدة والاثنى عشر مبطنة من الداخل بغشاء مخاطى ، من خصائص خلاياه انها لا تتأثر بالمادة الحمضية والخمائر التى تفرزها ما دامت هذه الخلايا صحيحة وسليمة • اما اذا ضعفت هذه الخلايا بان قلت نسبة الدم الذاهبة اليها كما يحدث فى امراض انسداد الشرايين او تصلبها ، او تعرضت لاصابات اثرت على فعاليتها ، او وجود مواد داخل الجسم ، تسبب نقصا فى حيويتها ، كل هذا يجعلها تقف عاجزة امام الحامض والخمائر فتتآكل وربما يكون هذا التآكل سطحيا وسريعا مما يسبب التقرحات الحادة ، او يزداد بمرور الوقت عمقا واتساعا فيكون القرحة المزمنة ، وهناك من يعتقد انه اذا زادت نسبة الحامض فى المعدة او الاثنى عشر سبب ذلك ضعفا فى النشاط المخاطى ونتج عن ذلك حدوث تقرحات بالمعدة والاثنى عشر •

وهناك عوامل عدة تساعد على حدوث القرحة فى المعدة والاثنى عشر منها :

اولا : العوامل النفسية ، ولها ــ كما اسلفت ــ اثر كبير فى احداث القرحة ، وهناك اعتقاد بان كثرة الحامض الذى يفرز مع الاضطرابات النفسية هو السبب فى اشعال فتيل القرحة ، والبعض يعتقد ــ بعد دراسات ــ ان ذلك يساعد على اتساع القرحة وتعمقها ، وتحولها الى حالة مزمنة •

ثانيا : يعتقد البعض ايضا ان العامل الوراثى له دخل فى حدوث قرحة المعدة والاثنى عشر ، فهناك عائلات تزداد نسبة حدوث القرحة بها ولعل ذلك يرجع الى وجود نقص فى المواد التى تقى الغشاء المخاطى وهذا يجعلها عرضة للتقرح • ولقد وجد ان نسبة قرحة الاثنى عشر تزداد بين هؤلاء الذين تكون فصيلة دمهم فصيلة (O) اى صفر •

ثالثا : تاثير بعض هرمونات الجسم ، تلاحظ زيادة نسبة حدوث القرحة بين الرجال على ما هى فى النساء وهى نسبة تتراوح بين ١ : ٤ الى ١ : ١٠ ، هذه الزيادة حدت بالكثير من العلماء ان يفكروا فى ان هرمون الاستروجين Estrogen
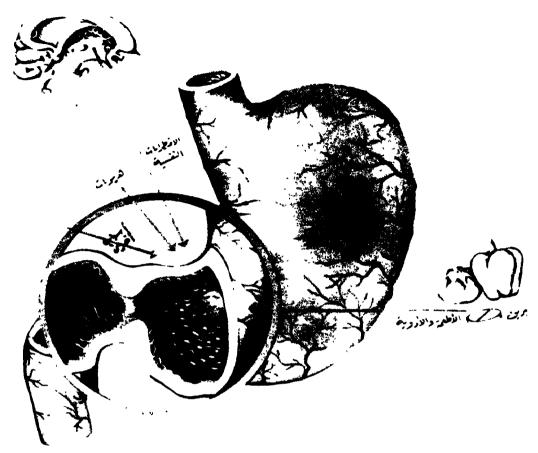
لا بد ان له علاقة فى وقاية الغشاء المخاطى من التقرح ، ويعزز ذلك القول تقارب النسبة بين الرجال والنساء فى سن الياس عندما تقل نسبة هذا الهرمون فى الدم ٠٠ ولقد وجد كذلك ان الهرمون الذى تفرزه الغدة الكظرية التى فوق الكلى والمعروف باسم جلوكوكورتيكيد Glucocorticoid

اذا زاد فى الجسم زادت نسبة افراز الحامض وبالتالى سبب تقرحا فى الغشاء المخاطى ، والمرضى الذين يستعملون هذا الهرمون او اى مشتق من مشتقات الكورتيزون معرضون لتقرحات بالمعدة والاثنى عشر ٠ وتختلف الآراء فى ذلك من ان هذا الهرمون يظهر ويساعد على اتساع قرحة تكون موجودة قبل تعاطى الهرمون أو زيادته فى الجسم ٠ ومما يؤكد هذه الظاهرة وتاثير هذا الهرمون ان المرضى الذين يعانون من نقص فى هذا الهرمون فى مرض اديسون Addison او فى مرض الغدة النخامية التى تؤثر على الغدة الكظرية بالتالى ، نجد ان نسبة افراز الحامض تقل وبالتالى لا تحدث لهم اى تقرحات ، وكذلك لوحظ ان نسبة المرض تزداد فى المرضى الذين يعانون من ورم او زيادة فى افراز الغدة بجوار الدرقية والتى يتسبب عنها زيادة نسبة الكلسيوم فى الدم والذى بالتالى يرفع من افراز هرمون الجاسترين Gastrin الذى يزيد افراز الحامض ٠

رابعا : وجود أمراض تساعد على حدوث القرحة : واهمها مرض تشمع الكبد أو تليف الكبد ، والتهاب المفاصل الشبه روماتيزمى ، مرض تمدد الرئتين والتهاب البنكرياس المزمن ، ويرجع ذلك الى انه فى حالة تليف الكبد لا تقوى خلاياه على درء خطر مادة الهستامين Histamin على الخلايا التى تفرز الحامض ، وبالتالى تزداد كمية الحامض التى تفرز ويتعرض الغشاء المخاطى للخطر ٠ وفى حالة تمدد الرئتين فان الغشاء المخاطى يحتقن وتقل نسبة اوكسجين الدم الذاهبة اليه ، فيكون ضعيفا امام الحامض وبالتالى تتآكل خلاياه وتكون القرحة٠ وفى حالة التهاب البنكرياس المزمن فان الخمائر التى تفرز من البنكرياس تقل وهى قلوية ، وبذلك تترك المجال فسيحا للحامض يعبث بخلايا الغشاء المخاطى المبطن للاثنى عشر وتكون القرحة ٠٠ وما زالت الاسباب التى تؤدى الى زيادة نسبة القرحة فى أمراض الشبه روماتيزمية

مجهولة الا ان الاحصائيات تذكر هذه الظاهرة .

خامسا : دور بعض العقاقير والاطعمة في حدوث القرحة او المساعدة على ظهورها وانتشارها : مما لا شك فيه ان هناك بعض العقاقير التي تزيد في حدوث قرحة المعدة ويتصدر هذه العقاقير الاسبرين ومستحضراته ، ومركبات الكورتيزون ، ومركبات الفينوبارتودين والاندوسيد ، والكولشيسين ، وبعض العقاقير الاخرى وكذلك وجد ان الاطعمة التي تحتوي على كميات كبيرة من التوابل والمشروبات الروحية والتدخين والمياه الغازية ، والقهوة ، والشاي المركز ، كلها تساهم في حدوث القرحة المساعدة على حدوثها .

أعراض قرحة الاثنى عشر

تتميز أعراض قرحة الاثنى عشر بأنها ـ في بادئ الامر ـ تظهر في بعض الاوقات وتختفي في بعضها ، بل تزداد في شهور معدودة من السنة وتختفي أو تقل في البعض الاخر ، ثم انه ما تلبث ان تقل فترات اختفاء الاعراض ، وتتقارب حتى تصبح المريض يشكو معظم الاوقات من هذه الاعراض . ولقد وجد انه في حوالي ٢٠٪ من الحالات تأتي المريض مضاعفات قرحة الاثنى عشر كالنزيف منها أو الانثقاب دون ان يكون قد اشتكى من اعراض تذكر .

وكذلك بعض المرضى بالقرحة لا تظهر عليهم أية أعراض للمرض مع انه يوجد تقرحات بالاثنى عشر .

وأهم عرض يشكو منه المريض هو الالم في منطقة أعلى البطن ـ هذا الالم يوصف بأوصاف عدة ـ تكون تارة على هيئة « حرقة » أو تقلص شديد ، أو الشعور بعدم الراحة بعد تناول الطعام . أو ألم شديد عند الجوع . وهذا الالم سرعان ما يزول بتعاطي الطعام ، أو تعاطي أية مادة قلوية ، كبيكربونات الصودا مثلا . ويبدأ ظهور الالم بعد تناول الطعام بساعتين أو ساعتين ونصف الساعة ويزداد في الليل وربما أيقظ الالم المريض من نومه . والسبب الرئيسي لحدوث مثل هذا الالم هو تعرض القرحة لكميات كبيرة من الحامض الذي تفرزه المعدة .

على انه في بعض الحالات تظهر أعراض اخرى غير الالم ، كالاحساس بالحموضة ، أعلى البطن ، وصعودها الى أعلى الى ان تصل الى الفم ، وربما صحب ذلك غثيان أو الشعور بالقيء ، وفي بعض الحالات الاخرى يحس المريض وكأن سائلا يخرج من أعلى البطن الى فمه وتزداد هذه الاعراض اذا كانت القرحة مصحوبة بضعف في العضلات التي تسد فتحة المريء في المعدة فتكون في معظم الاحوال مفتوحة وتلقي الحامض والسوائل من المعدة فتندفع الى الصدر حتى تصل الفم .

وفي بعض الحالات تأتي المريض أعراض القرحة كحالات انسداد فتحة البواب وما ينتج ذلك من أعراض ، أو انثقاب القرحة وخروج محتويات المعدة الى البريتون وما يتبع ذلك من أعراض اخرى ، أو النزف من القرحة على هيئة قيء مادة بنية او خروج مادة مثل « القار » الزفت من فتحة الشرج .

وفي صغار السن تكون الاعراض مختلفة في الحدة ، وربما حصر صغير السن شكواه في حالة انثقاب للقرحة أو نزف منها ، بل ان الالم الذي يشكو منه في بعض الحالات يزداد بتعاطي الطعام عكس ما يشكو منه كبير السن .

على انه اذا اصيب الجزء العلوي من الاثنى عشر بقرحة ، او كانت القرحة عند فتحة البواب ، تميزت الاعراض هنا بالغثيان والقيء وفقدان الشهية ونقص في الوزن وتقلصات شديدة بعد تعاطي الطعام مباشرة ، وهي أعراض لا نراها في قرحة الجزء الاول من الاثنى عشر . اذ انه من الملاحظ في هذه القرحة ان وزن المريض يزداد نظرا لتعاطيه كميات كبيرة من الطعام للتغلب على الالم الذي يعاني منه .

واذا حدث التصاق في القرحة مع البنكرياس الذي يوجد خلف المعدة نجد ان المريض يشكو من الام شديدة في أعلى البطن وينتشر هذا الالم الى ظهره ، ويستمر هذا الالم لفترات طويلة .

ومن هذه الاعراض التي أوضحتها ، وما تظهره الاشعة اللازمة ، يمكن للطبيب ان يشخص قرحة الاثنى عشر .

العــــلاج

ويعتمد العـلاج في قرحة الاثنى عشر على ركيزتين قويتـين حتى ينجـح ، ويكون له الاثر الفعال ، والا اضطر المريض في النهاية الى ان يسلم أمره للتدخل الجراحي .

ووجد ان متوسط مدة العلاج والتقيد به لا بد وان يستمر على الاقل شهرين الى ثلاثة شهور • وهناك الاحتمال على ان تنشط القرحةبعد التوقف عن العلاج خصوصا اذا اندفع المريض الى ما كان عليه من طعام يزيد من نسبة الحامض أو استئنافه التدخين بكميات كبيرة ، أو تعاطى المشروبات الروحية والغازية بكميات تؤثر على القرحة • واذا حدث وان نشطت القرحة لا بد ان يعود المريض الى ما كان عليه من علاج لمدة شهرين أو ثلاثة حسب حالته •

ويستانف العلاج كذلك اذا أحس المريض بان حالته العصبية ليست على ما يرام ، أو انه من الممكن ان يتعرض لان تنشط القرحة مرة ثانية وفي هذه الحالة يكرر العلاج لمدة اسبوعين أو ثلاثة حسب شعوره بحالته •

والبعض يرى انه لا بد من استعمال العقاقير التي تؤثر على العصب الحائر ، لفترات طويلة جدا اذ ان هذا يقلل من حدوث نكسة ، ونشاط في القرحة • والبعض لا يحبذ استعمالها لهذه الفترات لما لها من مضاعفات جانبية •

والعلاج الناجع للقرحة في الاثنى عشر يعتمد اعتمادا كليا على مدى تعاون المريض وتقيده بالعلاج ، واستشارته لطبيبه عندما يعن له أمر من الامور يؤثر على هذا العلاج • وكم من مريض اهمل فيهذا وكانت النتيجة انتعرض للمضاعفات، أو ان العلاج الدوائي لم يجد معه نفعا ، وحينئذ يكون لا ملجأ الا اجراء العمليات الجراحية له •

العلاج الجراحي

وهذا العلاج يوصف لقلة من الحالات ، ونلجأ اليه في حالات وجود مضاعفات فيالقرحة ،كانفجار القرحة وانثقابها ، او عندما يحدث منها نزف شديد لا يمكن التغلب عليه بالعلاج الدوائي ، او في حالات ما اذا سببت القرحة انسدادا في اول جزء من الاثنى عشر نتج عنه تضخم في المعدة ، وتوقف الغذاء عن سيره الطبيعي ، وكذلك عندما تفشلجميع الوسائلالدوائية ،ووجد ان المريضمن الصنف الذى عاد لا يتحمل دواء ،وحالته النفسية في تدهور مستمر ، ولو ان هذا الصنف من المرضى يخشى عليهم من ان تجرى لهم العملية الجراحية لما لنفسيتهم من تاثير علىنتائج التدخل الجراحي•

وما زال الجراحون يحاولون لايجاد العملية المثالية حتى لا يتكرر حدوث القرحة، والتي مازال احتمال تكرارها يتراوح بين ٣ ـ ٨٪ وتبلغ نسبة الوفاةمناجراء العملية ١ ـ٣٪فيالمراكز المخصصةفي اجراء هذهالعمليات،كما انه مازالت هناكمضاعفات تنتج من اجراء العملية اهمها الاسهال ، وما يتبع ذلك من مضاعفات نقص الغذاء الذى يصل الى خلايا الجسم ،والاحساس بالهزال والضعف الشديد بعد تناول الطعام وتكرار القيء من آن الى آخر• هذا علاوة على مايحدث في هذه العملية كاى عملية اخرى ، من نزف وصدمة ، والتهابات مع التصاقات داخل البطن •

من هذايظهر جليا انالجوء الىالتدخلالجراحي في حالة قرحة الاثنى عشر صعب ، صعب على المريض من جهة ، وصعب على الجراح من جهة اخرى ، لذا كان الحذر ومحاولة الابتعاد عن اجراء العملية الا عند الحاجة القصوى •

قرحة المعدة

وهي اقل حدوثا من قرحة الاثنى عشر بنسبة ١ : ٤ • وتكثر في الرجال عنها في النساء بنسبة ٣ر٥ : ١ ويمكن ان تصيب الاشخاص في اى سن لكن نسبة الاصابة تزداد ما بين سن الخامسة والأربعين والخامسة والخمسين بزيادة عشر سنوات عن قرحة الاثنى عشر • ولقد وجد ان ٢٠ ٪ من المصابين بقرحة المعدة مصابون كذلك او اصيبوا بقرحة الاثنى عشر •

واعراض قرحة المعدة تختلف عنها في قرحة الاثنى عشر ، اذ ان هناك عددا ليس بالقليل يعاني من قرحة المعدة ،ولا يحس باى عرض ،وتكتشف القرحة مصادفة او ان المريض يحضر للمستشفىوهو يعاني من مضاعفات قرحة المعدة ، وفي هذه الحالة اما من نزف شديد، او انفجار ، او انثقاب فيالقرحة، وتظهر الاعراض في بعض الحالات على هيئة سوء هضم او انتفاخ في اعلى البطن ، او الشعور بالقيء بعد تناول الطعام ، او حرقان في اعلى البطن، او تقلصات يحسها المريضمن آن الىآخر• وليس من طبيعة قرحة المعدة ان تحدث الما اثناء الليل كما هو الحال في قرحة الاثنى عشر ، ولكن هذه الاعراض تستمر لفترات طويلة ولا تاخذ شكلا

خاصا ، وهى تاتى على فترات وتنقطع كلية فى فترات اخرى • على انه فى حالات عدة تكون شكوى المريض واضحة وهى الشعور بالغثيان والميل الى القىء وفقدان الشهية ، والقىء من آن الى آخر •

وللتاكد من وجود قرحة بالمعدة ، لا بد ان تفحص بواسطة المنظار الخاص بها ، وعمل الاشعة الملونه الخاصة ، وفى كثير من الاحيان تؤخذ عينات منها للتاكد من انها من النوع العميد ، اذ ان بعض هذه التمرحات تكون من النوع السرطانى . أو تتحول بمرور الوقت الى هذا النوع ، لذلك يمكن معرفة ذلك فى وقت مبكر حتى يمكن للجراح المعالج ان يسلك الطريق الخاص بكل عمليه . اعنى اذا كانت القرحة حميدة أو خبيثة •

على ان هنـاك من الاسـباب ما يوحى الى الطبيب الفاحص ما يمكنه ان يفرق بين القرحه الحميدة والاخرى الخبيثة ، اذ ان الاشعة الملونه يمكنها ذلك فى ٨٠ ــ ٨٥٪ من الحالات، والفحص بالمنظار يوحى بذلك فى ٨٠ ــ ٩٠٪ من الحالات ، ثم فوق ذلك فحص العينة التى تؤخذ من المعد، ، ووجود خلايا سرطانية بها، ثم قياس كمية الحامض الذى تفرزه المعدة،اذ انه فى بعض الحالات يكون الحامض قليلا أو ينعدم وجوده ، ثم بعد ذلك يأتى دور العلاج ومدى استجابة القرحة له •• فى القرحة الحميدة يقل حجم واتساع القرحة ، بعد العلاج باسبوعين أو ثلاثة ، بينما لا يلاحظ ذلك فى القرحة السرطانية اى الخبيثة •

العـــلاج

والعلاج هنا لا يختلف كثيرا عنه فى قرحة الاثنى عشر من اتباع الطريقة الخاصة فى تناول الطعام ، مع الابتعاد عن كل الاطعمة التى تهيج القرحه . وتزيد من افراز الحامض المعدى • ثم تعـاطى الادوية التى تقلل من تاثير الحامض ، الا انه فى حالة قرحة المعدة لا تعطى الادوية التى تؤثر على العصب الحائر كالاستزانيل أو البروبانثين ، أو البلادونا ومشتقاتها •• اذ ان ذلك يؤخر فى ان تفرغ المعدة ما بها مما يجعل مدة تعرض القرحة للحامض طويلة وبالتالى لا يساعد على التئامها، بل انه فى بعض الحالات تزيد هذه المركبات من افراز هرمون الجاسترين Gastrin الذى يساعد على افراز الحامض •

وفى حالة قرحة المعدة لا بد ان يقضى المريض اسبوعين أو ثلاثة على الاقل بالمستشفى • اذ ان ذلك يساعد على التئام القرحة سريعا • وفوق ذلك لا بد ان تجرى للمريض الفحوصات الدقيقة التى شرحتها آنفا للتاكد من ان القرحه حميدة او خبيثة •• ولا يفوتنى هنا ان انوه بـان المركبات المستخلصة من « العرقسوس » لها تاثير على التئام قرحة المعدة وقرحة الاثنى عشر، وهناك بعض المراكز تستعمل هذه المركبات على نطـاق واسع •

ويمكن استعمال هذه المركبات ، على ان تلاحظ المضاعفات التى تحدث منها كحدوث تورم فى الجسم وفقدان ملح البوتاسيوم بكميات كبيرة ، والتى لا بد ان تضاف الى العلاج •

العلاج الجراحى

ويكون التدخل الجراحى عند حدوث مضاعفات فى القرحة من نزف شديد فيها أو انفجارها ، أو حدوث انسداد فى مجرى المعدة ، وعدم تحسن حالة القرحـة بعد العـلاج الدائم والمنتظم لمدة ستة اسابيع اذ ان ذلك يعنى ان القرحة ربما لا تكون حميدة ، والاسراع فى اجراء العملية يساعد على عدم انتشارها اذا كانت سرطانية ، وتترك نوعية العملية للجراح المختص • اذ ان كل مريض يحتاج الى عملية خاصة تتلائم وحالته ، وتقيـه من المضاعفات التى تحدث واهمها عودة ظهور القرحة مرة ثانية •

ولا يفوتنى فى ختام هذا المقال ان انوه باهمية الدور الذى يقوم به مريض القـرحة وحرصـه الشديد على اتباع النظـام الخاص بالعلاج ، وحسن استماعه لنصائح طبيبه حتى يقى نفسـه حدوث المضاعفات الخطيرة التى تحدث ، او خوف انهيار العلاج الدوائى ، والاسـتعانة الحتمية بالتدخل الجراحـى الذى يحاول كل من المريض والطبيب تلافيه ، وما أسوأها من حالة ان يصاب جاهل وعنيد بقرحة المعدة او الاثنى عشر ، فلا يستجيب لامر طبيبه ، ولا يحس بمسئولية تجـاه نفسه • ■■

الكويت ــ د • محمد أبو شوك

فشلت الحبوب فى منع الحمل
وكانت الجراحة سبيلا الى تحديد النسل...

● قرأنا فى بعض الصحف ان الصين تقوم بحملة واسعة لتحديد النسل عن طريق الجراحة ـ فهل هذا صحيح ؟ وما هى هذه العمليات الجراحية التى تجريها ؟

ـ الحملة التى تسألنا عنها حملة هامة وعلى جانب كبير من الخطورة .. فهى فريدة فى العالم وقد بلغت من الاتساع واظهرت من التحدى فى معالجة مشكلة تكاثر السكان ما يجعلها اقرب الى الثورات الاجتماعية منها الى الحملات . فهى اذن جديرة بكل اهتمام . فهى تستهدف تحديد النسل وتعمل على اعقام الذكور وتعطيل قدرتهم على الانجاب، لا بواسطة حبوب منع الحمل أو اللوالب، أو ما الى ذلك من وسائط وانما بالجراحة .. بعمليات الاعقام الجراحية التى يجرونها على أوسع نطاق ممكن .. بيد أن الدولة التى قامت وما زالت تقوم بهذه الحملة ليست الصين ، وانما هى الهند .

فالهند مزدحمة بالسكان وتعانى من تكاثرهم بما ينذر باقتراب الكارثة .. كارثة انفجار السكان .. فقد بلغ تعداد الهنود وفق آخر الاحصاءات ٦٢٠ مليون نسمه .. ولم يزد عددهم قبل ٢٥ عاما على ٣٥٠ مليون نسمة ، وسيتضاعف حتى يبلغ ١٠٠٠ ـ ١٢٠٠ مليون فى مطلع القرن الواحد والعشرين. ويتكاثر الهنود بنحو ٣٥٠٠٠ نسمة كل يوم .. اوما يزيد على مليون نسمه كل شهر ..وحسبك ان الزيادة السنوية فى عدد سكان الهند تعادل مجموع سكان قارة استراليا كلهم : ١٣ مليون نسمة !

ولعل النسبة المئوية لهذه الزيادة أكثر دلالة على الخطورة من مقدارها . فهى تبلغ ٢ر١٪ أو ٢١ فى الالف سنويا .. وهذا المبلغ هو صافى رصيد المواليد (٣٥ فى الالف) بعد طرح الوفيات (١٤ فى الالف) .

بقى أن نذكر أن ثلاثة ارباع سكان الهند يعيشون فى الارياف .. حيث تجسدت روح الهند، كما قال المهاتما غاندى.. فهم موزعون على القرى البالغ عددها نحو ٥٦٠٠٠٠ قرية .

لا عجب اذن ان فشلت الحكومة الهندية فى مساعيها الاولى لتحديد النسل . وقد قامت بتلك المساعى عن طريق المجالس العائلية التى انتشرت فى طول البلاد وعرضها ... والتى سلكت سبيل النصح والارشاد .. نصح الاباء والامهات باستعمال احدى وسائط منع الحمل المعروفة ، حيثما اقتضت كثرة الاولاد ذلك . وظلت الامور على هذا الحال ، حتى شهر ابريل الماضى ، حين اختارت حكومة دلهى عملية الاعقام الجراحية سبيلا لتحديد النسل بدلا من وسائط منع الحمل العادية ، وقررت اللجوء الى القوانين والمضى فى اجراء تلك العملية على أوسع نطاق ممكن . وهكذا كانت العملية بل قل الثورة الاجتماعية التى سبقت الاشارة اليها ، وظهرت المخيمات والمراكز الطبية فى شتى انحاء البلاد واصبحت عملية الاعقام الجنسى فى متناول الجميع .

سابق قدرته على الانجاب ٠٠ وذلك في دقائق معدودة ايضا ٠٠

ومهما يكن من امر هذه العملية فانها ، كما لا تخفى ، تتنافى والتقاليد وتتعارض والمعتقدات وتنفر منها الذكور والاناث على حد سواء ٠ فاجراؤها على نطاق واسع مهمة عسيرة جدا وتتطلب جهودا جبارة ، لاسيما وان القوانين الخاصة بها قوانين تشجيعية غير الزامية ، تنص على منح المكافآت ولا تنص على انزال العقوبات ٠٠ وقد بلغت تلك المكافآت ١٥٠ روبية (= ٧٠ر٨ جنيه). اذا كان الرجل الذي يجرى العملية أبا لولدين او اقل . ومائة روبية اذا كان عدد الاولاد ثلاثة ، وسبعين روبية اذا بلغ عددهم اربعة او يزيد ٠

من هنا يتجلى الدور الخطير الذي قام به سنجاي غاندي ، ابن رئيسة الوزراء الثاني (٣٠ سنة) فسنجاي هذا هو رئيس اتحاد الشباب وقد اضطلع هو ورفاقه باعباء تطبيق تلك القوانين التشجيعية. والعمل من اجل تعميم عمليات الاعقام الجنسية ٠٠ ويشيد المسؤولون بجهود سنجاي ويؤكدون انه حقق لحملة تحديد النسل نجاحا باهرا لم يكن في الحسبان ٠ وهم يجمعون بعد ذلك على ان ابن رئيسة وزراء الهند مفطور على القيادة والزعامة.

وتفيد اخر التقارير ان مجموع ما اجروه من عمليات اعقام خلال سنة ١٩٧٦ بلغ ٧ ملايين عملية ٠ وهو رقم كبير جدا ويفيد التصور . اذا هو صح أصلا ان حملة تحديد النسل في الهند تعتمد على الضغط الى حد كبير ٠

ى٠ز

والظاهر أن هذه العملية في غاية البساطة ، بدليل أن اجراءها لا يستغرق سوى دقائق معدودة. فهي تتم ، كما تقول اهل الخبرة ، بقطع انبوبة رفيعة في جسم الرجل تسمى الاسهر Vas deferens ٠٠ هي انبوبة الحيوانات المنوية ٠٠ التي تنتقل هذه الحيوانات بواسطتها لتصب في السائل المنوي ٠ فقطع الانبوبة اذن يحول دون وصول تلك الحيوانات الى المني، ويحول بالتالي دون وصولها الى الزوجة وتلقيح البويضة.

والظاهر ايضا أن عملية الاعقام هذه لا تنال من قوة الرجل الجنسية ولا من لذته ٠٠ فهي تعطل قدرته على الانجاب فحسب ٠٠ وتعطلها موقتا ٠٠ بدليل ان في وسع الرجل اجراء عملية معاكسة ، تعاد فيها وصل الانبوبة الرفيعة ، فيسترد الرجل

النفط لم يعد السلعة الوحيدة التي تصدرها الكويت

● كما نعرف ان النفط هو السلعة الوحيدة التي تصدرها الكويت ٠٠ فما هي السلعة الرئيسية التي تستوردها الكويت ٠ وهل يمكنكم تزويدنا بفكرة سريعة عن حركة التجارة الخارجية للكويت ٠٠ ما هي اهم الدول التي تستورد منها والتي تصدر اليها ٠

احمد السرغيني
دمشق ــ سوريا

ــ سؤالك في الواقع هو مجموعة اسئلة ٠٠ واما قولك ان النفط هو السلعة الوحيدة التي تصدرها الكويت فصحته ان النفط هو السلعة الرئيسية التي تصدرها الكويت ، ولكنها ليست الوحيدة كما ستوضحه لك :

في عام ١٩٧٥ انخفضت قيمة صادرات الكويت الى ٢٦٦٣ مليون دينار كويتي ، بعد ان كانت قد وصلت الى ٣٢١٥ مليون دينار خلال عام ١٩٧٤٠

ويرجع السبب في هذا الانخفاض الكبير في قيمة الصادرات الى سياسة الكويت النفطية التي تعمل

علــى تحـديــد وتخفيض كميات انتــاج النفط ، للمحافظة على ثروة البلاد من جهة ، ومواجهـة ضغوط ومناورات الدول الكبرى المستوردة لهذه المادة ..

وقد بلغت قيمة صادرات نفط الكويت ومشتقاته ٢٤٩٢ مليون دينار خلال عام ١٩٧٥ اى ما نسبته ٥ر٩٣٪ من مجموع صادرات البلاد ..

والى جانب النفط صدرت الكويت مصنوعات محلية اخرى مختلفة مثل اليوريا ، وغاز الامونياك والابنية الجاهزة ، وسلفات النشادر ، والانابيب المعدنية، والصودا الكاوية، والروبيان (الجمبرى) والدهانات والحديد الخردة ..

اما اهم الدول التى تم التصدير اليها ،فكانت بالترتيب التالى والقيمة بملايين الدنانير : اليابان : ٦٧٩ ـ فرنسا : ١٥١ ـ البرازيل : ١٣٠ـ تايوان : ١١٩ـ ايطاليا : ٨٦ـ ايرلندا : ٨٠ ـ سنغافـوره : ٦٤ ـ استراليـــا : ٥٦ ـ الفلبين : ٤٦ .

اما واردات الكويت فبلغت قيمتها ٦٩٣ مليون دينار خلال عام ١٩٧٥ اى بزيادة ٥٢٪ عن قيمة الواردات عام ١٩٧٤ والتى لم تتجاوز قيمتها٤٥٥ مليون دينار ..

وتحتل وسائل النقل المختلفة ولوازمها ،المرتبة الاولى من حيث الكم النقدى لواردات الكويت ، فقد استوردت البلاد من وسائل النقل هذه وقطع غيارها خلال عام ١٩٧٥ ما يقارب ١٤٥ مليون دينار .

واحتلت المواد والالات الانشائية المركز الثانى بين الواردات ، اذ بلغ مجموع ما استورد منها نحو ١١١ مليون دينار .

والمرتبة الثالثة فى الواردات احتلتها المواد الغذائية ، التى استورد منها ما قيمته ١٠٧ مليون دينار ..

اما اهم الدول التى استوردت منها الكويت فى عام ١٩٧٥ فكانت بالترتيب التالى ، والقيمة بملايين الدنانير الولايات المتحدة ١٢٥ ـ اليابان ١١٢ ـ المانيا الغربية ٧٩ ـ بريطانيا ٧١ ـ ايطاليا٣١ ـ فرنسا ٢٣ ـ اسبانيا٢٠ ـ الهند ١٥ـ لبنان ١٥ ـ هولندا ١٤ ـ الصين ١٤ ـ تايوان١٢

س . ز

السيد جمال الدين الافغانى

● سمعت محاضرة موضوعهاجمال الدين الافغانى واثره فى الاصلاح ، تلتها اسئلة ، منها سؤال عما اذاكان هذا المصلح افغانيا او ايرانيا ، فلم اسمع قولا يستريح اليه الرأى ، فما الصواب فى اصله ؟

احمد القاضى ـ ديترويت / امريكا

ـ من اوضح الادلة على عظمة انسان انتتنازعه اكثر من امة ، لتعده كل بين مفاخرها ، وكثير من العظماء قد وقع التنازع فى قوميتهم ومنهم هذا المصلح العملاق السيد جمال الدين الذى يتنازعه الافغانيون والايرانيون ، مما يثير البلبلة فى انتسابه .

ونحرص هنا على تقرير ان العظماء امثال « السيد » ابطال انسانيون او عالميون اولا ، ثم هم من وطن خاص او ملة معينة او عصر محدود ، لانهم باعمالهم المجيدة فوق كل انتماء ، اذ يؤدون خدماتهم الانسانية للعالم كله من حيث يريدون ويقدرون ، ومن حيث لا ارادة ولا تقدير لمايعلمون ويعملون ، ولــو قصروا خدماتهــم علــى وطــن او ملة او عصر دون سواه ، اذ سرعان ما ينتشر فضلهم فيناله كثير بعدهم وان جهلوا مصدرمواسم صاحبه ، وفى ذلك يستوى كل العظماء ايا كان المجال الذى نشطوا فيه ، من انبياء وفلاسفة وشعراء وعلماء وادباء ومكتشفين ، فهم انسانيون اولا ، وان كانوا من هذا الوطن او الملة او العصر، كانما وقعت عليهم القرعة هنا او هناك ، فهم اهل انتماء معين فى الظاهر لكنهم ينتمون الىالانسانية كلها فى تاريخها وان نسيت منهم الاسماء ،فلا احد ولا طائفة ولا عصر اولى بهم من سواه الا بمقدار تقديره لشخصياتهم وفضلهم العام . وهذا التصحيح لازم التوضيح قبل كل كلام وبعده ، والجهل به او الغفلة عنه تضر ولا تفيد .

ونلتفت الان الى الجواب المستطاع ، فنشير الى ان السيد ليس من بيت خامل فى وطنه فيكون انتسابه عرضة للاختلاف عليه ، بل كان منبيت معروف ومعظم فى منطقته داخل حدود افغان حتى الان ، وهى منطقة « كنز » احدى مناطق كابل ،

هل هو من اصل ايراني ؟

ويستفاد من اقواله عن نفسه واقوال مريديه الذين عاشروه وسمعوا منه انه السيد جمال الدين بن السيد صفر ، ويمتد نسبهم الى السيد محمدبن على الترمذى الذى يعد من كبار المحدثين والفقهاء والصوفية المشهورين ، ومن ثم يرتفع نسبه الى الحسين بن على ، سبط النبى عليه السلام ،ومن هنا لقب السيد فى اسمه واسماء آبائه لانهم من آل البيت ، وعشيرته فى منطقة كنز من ابرز العشائر الافغانية واعلاها مكانة ، تستمد ذلك من اسباب ثلاثة : نسبها الشريف ، وكثرتها مع القوة ، وتمكنها من السيادة فترة على بعض مناطق الافغان على العرش فى مطلع القرن التاسع عشر، هذه المنطقة قبل مولد جمال الدين بنحو ثلاثين سنة ، وكان ذلك خلال الفتن والحروب بين امراء الافغان على العرش فى مطلع القرن التاسع عشر، وقد ضاع استقلالها على يد دوست محمد خان الذى كان من اقوى القواد وانشطهم فى تلك الحروب ...

ومعروف ان السيد ولد فى هذا البيت الافغانى النسيب ، وتعلم دروسه هناك فى صباه ، وان كان قد اتم علومه الاسلامية والعربية ومعارفه العصرية متنقلا بين افغان وايران حتى بلغ الثامنة عشرة ، ولكى يزداد من العلوم العصريه كانت الهند مفتوحة امامه الى جواره يحتلها الانجليز ،وينشطون امكر نشاطهم فى نشر الفتن بين امراء افغان ليتمكنوا من ضمها الى امبراطوريتهم التى كانت « لاتغيب عنها الشمس » ولما عاد من الحج سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٧ م) خوض بكل طموحه وهمته ، وحمية طبعه وعنفوان شبابه فى غمرات الفتن القائمة بين امراء افغان ، وكلهم راغب فى التسلط على عرشها ، ويستوقف النظر هنا انضمامه الى محمد اعظم (وهو اخو دوست محمد خان الذى اضاع على عشيرة جمال الدين استقلالها) وبفضل ما كان لجمال الدين من جاه بيته وعشيرته الى جانب نبوغه بواه هذا الامير منصب الصدارة فى حكومته ، حتى اذا انهزم هذا الامير هجر السيد موطنه الى الهند فرحبت به ، ولكنه رحل الى مصر. وكل ذلك يؤيد افغانيته ، وصدق نسبته المشهورة « الافغانى » .

جمال الدين
الافغانى

اما نسبته الى ايران (او بلاد العجم . كماكانت تسمى يومئذ) فمصدرها احتكاكه بسياستها . واشتراكه فى تولى وزارتها ، واقوال بعض تلاميذه انه ولد فى اقليم همذان بفارس او ولد فى افغان ولكن من ابوين فارسيين ، ثم ادعاء حكومه العجم انه من رعاياها ، فعندما ذهب السيد الى مصر اقام فيها فعلم كثيرا من النجباء بين اهلها وغير اهلها ، وعلى راسهم خليفته الاكبر محمد عبده ثم نفى منها فترة بين البلاد الاوروبية حتى استقر فى روسيا وتجول فى بلادها وكان كثير الرحله فى البلاد الاسلامية والاوروبية لدراسة احوال شعوبها ، حتى يتمكن من مهمته وهى انهاض البلاد الاسلامية والربط بينها ثقافيا وحضاريا. ثم رحل الى بلاد الالمان ، وفى ميونيخ لقيه ناصر الدين (شاه العجم) ، وطلب منه العودة الى طهران ليوليه الوزارة ،وقيل ان هذه هى المرة الثانية التى يلى فيها الوزارة هناك ، وقدانتهى امره هناك بالخروج منها الى البصرة مغضوبا عليه مهانا ، مما جعله ينقم على الشاه ويندد بسياسته، وشرع السيد يتجول فى البلدان وهو يندد بسياسة الشاه ، ويحرض على قتله لا مجرد خلعه ،لتفريطه مع الاجانب فى سياسة بلاده ، وهذا حمل حكومة الشاه على التفكير فى المطالبة بتسليمه اليها حيث يكون ، بحجة انه من رعاياها ، حتى تتمكن منه . وقد سئل السيد نفسه عقب طرده هذا ، حين وصل الى البصرة : « أأفغانى هو ام ايرانى؟» فامتعض من السؤال واجاب ، بل انا افغانى ، ولكن حكومة الشاه تلفق نسبتى الى ايران ، لكى يتسنى لها المطالبة بتسليمى اليها اذ بدا لها ذلك.

وكل هذا وهذا يجعلنا نرجح – ان لم نقطع بانه افغانى الموطن والمولد والنشأة والتعلم والمنصب ، وان يكن تولى الوزارة يوما فى ايران ، فقد كان تولى بعض الناس اى منصب حكومى فى غير بلده امرا شائعا مقبولا يومذاك بين المسلمين ، والامثلة على ذلك غير قليلة .

(م.خ.ت)

قصة من

الأدب الافريقى المعاصر

الصّداق

بقلم الروائية الافريقية مينى ستين

ترجمة : حسين القبانى

■ جلست الحسناء كيزوبتي منحنية على نفسها، مطرقة الرأس . فبدا جسدها الاسود المستدير كثمرة ضخمة من ثمار التوت الناضج . كانت ساكنة .. مشدودة الاعصاب وكأن الاحساس

إن مينى ستين راوية قصص أكثر منها شاعرة .. إنها تؤلف قصصها وترويها فى النوادى للكبار والصغار .. والجميع يعجبون ويطربون لما تقصه عليهم بصوتها الجميل وإلقائها البديع . وقد قامت برحلة الى أوروبا وأمريكا وروت قصصها فى محطات أجهزة الاذاعة . وهذه احدى القصص التى روتها وتلقفتها بالترجمة مجلة « قصص عالمية » . والهدف التى تسعى اليه مينى ستين هو اقامة الدليل على سوء نوايا الاستعمار الابيض ومحاولاته الابقاء على الرجل الافريقى فى غيابات الجهل والتأخر حتى لا يطالب بحقه فى الحياة . وقد وقعت أحداث هذه القصة فى أحد نجوع نياسالاند بأفريقيا الجنوبية .

بالمذلة والعار يموج فى اعماق نفسها ويرغمها على الاطراق برأسها أمام الجميع . وكان ثمة قمر حفيض يرسل أشعته الشاحبة من سماء قريبة ذهبية السمق . وفى منتصف دائرة جلس القرفصاء شيوخ القبيلة جنبا الى جنب . وقد ران عليهم جو من الشعور بالاهمية بما استمدوه من المناسبة أو من ارتداء كل منهم جلد ماعز يغطى به نصف جسمه الاسفل .

وانبعث من النار شرر يرسل فى الجو شررا . وتكسرت أعواد الحطب المشتعل وهى تزداد اشتعالا وتزيد من دائرة الضوء حولها . وكانت النار قد أوقدت فى حفرة وسط نصف الدائرة التى جلس فيها شيوخ القبيلة . وكان ثمة صف من شبان النجع واقفين فى مواجهة نصف الدائرة .. وبالاشارة من أصبع الماكولو ــ ساحر النجع ــ تحرك هؤلاء الشبان بأجسامهم السوداء اللامعة . وراحوا يسيرون ببطء حول النار . ولما أتموا الدورة الاولى حولها . حفر الساحر خطا على جذع شجرة قريبة .. وكان على الشبان ــ أثناء دورانهم حول النار ــ أن يقفزوا فوق جذع شجرة ملقى على العشب الاصفر .. وفى الدورة الثانية ازدادت سرعتهم فتحول الى جرى خفيف .. وكان

على كل منهم ان يتجنب التعثر في جذع الشجرة الملقى بجوار حفرة النار .. وكان أهل النجع جميعا قد احتشدوا وراء هذا المشهد في دائرة كبيرة ، يرقبون ما يجرى في صمت ورهبة ويركزون انظارهم على الشبان ، الذين بلغ عددهم خمسة عشر شابا .

وظل الشبان يدورون . وفي كل دورة تزداد سرعتهم ، ويزداد حرص كل منهم على القفز فوق الجذع بلا تعثر .. لان الشاب الذى يتعثر في الجذع سيكون هو الأثم الجانى الذى اعتدى على كيزويني الحسناء ومرغ شرف أبيها في التراب!

والماكولو - الساحر - يرفع عقيرته ببعض الترانيم وهو يضرب فرقعة كبيرة باخرى في نغم رتيب . وكلما فرغ الشبان من دورة حول النار سجلها بخط على جذع الشجرة القريب منه .

وكان الساحر رجلا عجوزا طويل القامة نحيل الجسم يضع على كتفيه جلد اسد ، وبجانبه رمح طويل ، وعلى رأسه قلنسوة ترتفع منها ريشات من ديك برى . وكان شاباني والد الحسناء كيزويني قد هرع اليه قبل هذه المراسم بثلاثة ايام يشكو اليه ما لحقه من عار . قال له مولولا:

- ان كيزويني ابنة زوجتى الثانية جلبت على العار بسبب علاقتها بشاب لا أعرفه رغم انها مخطوبة لموليتوى الشاب الذى عاد أخيرا من عمله في مناجم الماس .

- وهل دفع لك الشاب صداق ابنتك يا شاباني ؟

- نعم .. دفع لى ثورين جميلين اصبحت ازهو بهما في النجع كله .. فهذه أول مرة أمتلك فيها ثورين جميلين !

فنقر الماكولو الساحر بأصابعه المعروفة على صندوق خشبى بجواره ثم قال بصوت مهيب :

- ان هذا أمر خطير ، فالتقاليد تحتم عليك ان تعيد الثورين الى خاطب ابنتك اذا قرر فسخ الخطبة .

- نعم . نعم ... انني اعرف هذا .. ولهذا جئت اليك .

وهنا قال الساحر : ولكن اذا عرفنا الأثم الجانى فربما استطاع موليتوى أن يظهر تفوقه عليه ويهزمه في معركة حرة وبذلك يسترد شرفه ويقبل الاستمرار في اجراءات الزواج من ابنتك.

ـ لقد جلدت كيزوينى جلدا شديدا حتى سالت الدماء من جسدها ٠٠ ولكنها رفضت باصرار ان تذكر اسم الشاب الذى تبادله الحب ٠ ولهذا جئت اليك يا ماكولو لتتصل بارواح اجدادها حتى يكشفوا لنا عن شخصية ذلك الآثم المجهول ٠

فقطب الساحر ما بين حاجبيه وقال وهو يتناول كيس القواقع التى تكتشف له الغيب :

ـ ان المراسم فى هذه الحالة معروفة ٠٠ ولكنها تحتاج الى مال يا بنى ٠

ـ أنا أعرف يا أبى ٠

ـ ان الارواح تطالب بكيس كامل من القمح ٠٠

ـ كيس كامل يا أبى !

فقال الساحر بحدة :

ـ أهو كثير على الارواح يا شابانى !

وارتعد شابانى قائلا :

ـ لا لا ٠٠ مطلقا ٠٠ لسوف أحضر لـك مقدم الاتعاب غدا عند شروق الشمس !

وكان شابانى يرقب الشبان الدائرين حول النار ويتذكر ما حدث ، لقد قال ذات ليلة وهو جالس مع زوجاته يتناول عشاء من القمح المهروس،

ـ كيزوينى ٠٠ لقد جاءنى خاطب لك يا ابنتى٠

واطرقت الفتاة برأسها ولم تجب ٠٠ وعاد هو يقول :

ـ ولسوف يتم الزواج عندما تنضج زراعة الشعير ٠

وشعرت كيزوينى بجفاف حلقها ، وكانت تدرك ان الشعير سوف ينضج خلال اسابيع معدودة ٠

وانتظر أبوها ان تسأله عن اسم الخاطب ولكنها ظلت صامتة ٠ كانت تعرف انه لا جدوى من السؤال ٠ وكان حبيبها شتيكانا شابا فى اولى مراحل الشباب ، فلم تتح له فرصة ادخار المال اللازم لشراء ثور أو ثورين ليقدمهما صداقا لها٠ ومن ثم لم يكن يهمها اسم الخاطب الذى تقدم لها ٠٠ لان كل الذى تهفو اليه ان تتزوج من حبيبها ٠

وكان قلبها مثقلا بالحزن وهى تمضى بعنزاتها فى اليوم التالى الى المكان الخفى الذى اعتادت ان تلتقى فيه بحبيبها شـتيكانا بين التلال ، ولما تلاقيا ، ظلا صامتين برهة ، بينما كانت شمس الاصيل ترسل أشعتها الحامية وتغلف كل شيء حولهما بضوء باهر ٠ وأخبرته بما حدث ٠ واختلط الخوف بالغضب فى نبرات حديثه وهو يقول :

ـ ان خاطبك هو موليتوى ٠٠ كان دائما يفخر بانه سيخطبك عندما تحين له الفرصة ،انه يشبه الضبع حين يضحك ٠

وقالت كيزوينى لنفسها وهى ترنو الى شتيكانا « كم يبدو جميلا فى غضبه »

واردف شتيكانا قائلا :

ـ كما أن حلمات أذنيه مقرطمة كآذان النسوة ٠

ـ انه ليس من اختيارى ٠

ـ ولكن فى مقدوره أن يقدم الصداق المطلوب٠ انه يمتلك مالا ٠

فردت قائلة بسرعة :

ـ ان أبى هو الذى سيأخذ الصداق ٠٠ لا أنا٠

وكشر شتيكانا عن اسنانه التى لمعت فى وجهه الابنوسى ، وانطلق فى عبارات ينفس بها عـــن ضيقه وتمرده واحزانه وآلام قلبه ٠

وقالت هى لنفسها : « لماذا يجلدنى بلسانه ولا ذنب لى فيما حدث » ، يمكننا أن نهرب ٠٠

ـ الى أين ؟

ـ الى المدينة !

وهزت كيزوينى رأسها وقالت فى شيء مـــن الخوف والرهبة :

ـ لا ٠٠ لا أستطيع الحياة هناك ٠٠ يقولون ان علينا أن نحبس أقدامنا فى قوالب من الجلد ، وأن نغطى أجسامنا بالاقمشة والبطاطين ٠٠

فقال محاولا اغراءها : ولكن فيها أيضا كثيرا من العقود الملونة ٠٠ الغرز البراق الملون ٠٠ انك تتمنين دائما أن تظفرى بعقد من الغـرز الملون ٠٠ سوف اشترى لك عقدا هناك ٠

فشردت عيناها بنظرات حالمة وقالت : يمكنك أن تشتريه لى وتأتى به الى هنا ٠٠

.واسقط فى يد شتيكانا ٠٠ وهز كتفيه قائلا : لم يبق لنا من أمل الا فى الثبات عندما يطلبوننا للدوران حول النار عشر مرات لمعرفة الجانى ٠

ولمعت عيناها وهى تقول : بل الزوج الحبيب يا شتيكانا ••

وكانت الام اول من ادرك حالة كيزوينى عندما ظهرت عليها اعراض الحمل ، ولذلك قالت لها ذات ليلة وهى تضع الاوانى الفخارية أمام كوخها: هل نسيت ابنتى ان شرف الفتاة هو اعظم ما تعتز به فى حياتها ؟

وكانت الام امرأة متخمة متهدلة الصدر كبيرة البطن • وقد اردفت قائلة وهى تكظم غيظها :

– ألا تشعرين بالعار فى النجع ؟ لقد بدأوا يتقولون باننا لم نحسن تربيتك ، وتمنت الفتاة ان تلقى بنفسها فى احضان امها وتفضى اليها بذات نفسها ، وتخبرها بأن أهل النجع قوم غاشمون ظالمون • ولكنها لم تستطع • ووثبت امها واقفة وقالت فى اهتياج : أى رجل يمكن ان يقدم صداقا من الثيران لفتاة فاقدة الشرف ؟

واقبل والدها فى تلك اللحظة • وان كيزوينى لتتذكر – وهى جالسة مطرقة الرأس ما نالها من عذاب على يدى والدها •• تتذكر الاهيب السياط المصنوعة من جلود البقر وهى تنهال على جسدها حتى انبثقت الدماء من مواضع كثيرة من ظهرها وجانبيها • ولـــكنها صمدت للتعذيب وابت ان تذكر اسم الحبيب الذى خفق له قلبها واصبحت امنيتها الوحيدة فى الحياة ان تعيش معه زوجة •

واختلست النظرات الى الشبان الخمسة عشر الدائرين حول النار ، كل منهم يحاول جاهدا الا يتعثر فى جذع الشجرة • والتقت نظراتها فى لمحة خاطفة بنظرات شتيكانا ، وكان الشاب يصر على أسنانه ويمضى مع اقرانه فى عزم وتصميم •• لشدما فزعت كيزوينى حين علمت أن اباها قرر اجراء مراسم الدوران حول النار لمعرفة الجانى•• كانت تخشى ان تنكشف الحقيقة ويقع حبيبهـــا شتيكانا ضحية بين يدى الخاطب الثائر موليتوى •

وكان رجال النجع المتفرجون على هذه المراسم ينظرون فى رهبة وخشوع لما يجرى • كان كل منهم يعلم أن له ولدا بين هؤلاء الشبان •• واذا لم يكن ابنه فهو ابن أخيه او ابن اخته •• وقال احدهم :

– ان هذا كله ناتج من ترك البنـــات يعملن فى الحقول وفى المراعى •

وقال العجوز زيمبو : لعل الجانى غير موجود بين هؤلاء الخمسة عشر •

ثم أردف قائلا : ولعل ان يكون الجانى شابا من النجع المجاور •

وقال ثالث : ترى هل سيتزوج موليتوى الفتاة اذا لم يظهر الجانى •

وقال زيمبو : لسوف نضحك عاليا اذا خسر شابانى الثورين •• انه لم يكف لحظة عن التفاخر والزهو منذ حصل عليهما •

وقال الراعى أمالاندى : ما قيمة البنات اذا لم يستطع الآباء انيحصلوا على الثراء من زواجهن•

وكان موليتوى لا يحول عينيه عن كيزوينى • وكان باعتباره صاحب الحق ، جالسا فى مواجهتها على يسار الساحر ، اما الوالد شابانى فكان جالسا على يمينه • ولم يكن موليتوى يدرى فى تلك اللحظات هل هو يكره الفتاة ام يزداد حبا لها ، كان يفكر فى السنوات التى قضاها عاملا فـــى مناجم الذهب،وفى اشواقه الدائمة نحو فتياتنجعه وفى الصداق المناسب للزواج من اجمل فتاة فى هذا النجع • ولما استطاع اخيرا أن يدخر ثمن ثورين كبيرين ، عاد الى النجع يحمل بعض الهدايا من البطاطين والاقمشة الملونة • وما كاد أن يرى كيزوينى وهى عائدة من الجدول تحمل جرة الماء على راسها حتى ادرك انها الزوجة المنشودة •• ولم يتوان عن الذهاب الى ابيها ليخطبها •

ولكنه لم يلبث ان فوجىء بان كيزوينى تحب شابا غيره ، وانها فقدت طهارتها •

وراح يتامـل الشبان الخمســة عشر بنظـرات محمومة يفكر فيما سيفعله بالجانى ؟ هل يبصق على وجهه بعد ان يضربه ضربا عنيفا ، هـــل يقتله •• هل يحتقره ويترك كيزوينى له بعد ان يسترد الثورين اللذين دفعهما صداقا لها ؟

ولكن •• لماذا لم تكشف الارواح عن الجانى ؟ ان الدورة التاسعة قد بدات • ولم يبق بعدها

غير دورة واحدة ؟ فهل تتم الدورات العشرة دون ان يعرف من هو الجاني ؟ !

هل قررت الارواح ان تحميه ؟ !

ولكن لا ·· ان موليتوى لن يخدع بسهولة ·· انه قادر على أن يظفر بحمه حتى لو أرادت الارواح أن تحمي غريمه !

وراح يحدق النظر في وجوه الشبان الخمسة عشر وهم يقومون بالدورة التاسعة في اعياء وخوف · وفجاه لمح نظرة متبادله بين شتيكانا وكيزويني ·· اذن فهو شتيكانا بلا أدنى شك ·· ان وجهه المضطرب ينم عن حقيقة ما يحاول اخفاءه ·· وقرر موليتوى ان يفعل شيئا ليكشف أمره ·

وتناول حجرا مسنونا كان بالقرب من يده ·· وانتظر في تحفز حتى يصبح شتيكانا بالقرب منه عند الدورة ·· وأحس ان الارواح تساعده عندما مرت غيمه صغيرة على وجه القمر في اللحظـــة المناسبة ، وقذف بالحجر الى ساق شتيكانا وهو يقترب من جذع الشجرة ·

وصاح الجميع عندما سقط شاب أمام جذع الشجرة ·

ـ الجاني ·· الجاني ·· لقد كشفت الارواح أمره ·

وتنهد الساحر في عمق وارتياح ·· كان يخشى أن تنتهي الدورات دون ان يظهر الجاني ، فيتضاءل نفوذه بين أهالي النجع · ولكن ·· حمدا لارواح الاجداد لقد كشفت أخيرا عن الجاني ·

ونهض الشاب المتعثر من سقطته بين سكون الجميع ·· وكان شابا قمحيا طويل الاذنين قريب الشبه من العنزة · وكانت الدماء تنثال من ساقه المصابة بالحجر المسنون · وكان الشاب يسمـــى بيجوانا · وكان يبدو ذاهلا شارد النظرات وهو ينهض من سقطته ·

وتنهد شتيكانا بارتياح ·· كان يدور فـــي الحلقة وراء بيجوانا مباشرة وهكذا اخطأ موليتوى في التصويب فاصاب بالحجر الشاب الذى يسبقه ·

وارتفعت عن الجميع عبارات متضاربة ·· ا من المعقول ان تسـلم كيزويني الحسناء نف الى شاب قمحي دميم مثل بيجوانا ·· انه ا أبله ·· ولكن ·· من يدرى ان المرأة غامض ·· وان ما تظنه عنزا قد يغدو أسدا

ولكن ·· لا ·· ان الجميع يعرفون كيف ح بيجوانا كثيرا ان يلفت اليه أنظار الحس كيزويني ، ولكنها كانت تصده دائما ·· رحمة ·· ولما تقدم لخطبتها رفضه أبوها··وك رفضته هي ·· نعم ·· انه ليس الجاني اطلاق لا شك ان الارواح أرادت أن تخفى سر الج لسبب ما ··

وانصت الساحر الى هذه الاقوال المتضارب ثم اصدر في النهاية حكمه ، فقال في وقار :

ـ موليتوى ·· يا بنى ·· لقد أرادت الار أن تقدم لنا علامة ·· انها تقرر بانه لا ي هناك جان ولا آثم ·· ومن حقك الان أن اجراءات الزواج أو تسترد الثورين ·

وران السكون على الجميع في انتظار ا موليتوى ·· وكان الشاب يتمنى لو استطاع يستمر في اجراءات الزواج ، ولكنه كان ي ان أهالي النجع سينظرون اليه باحتقار دائما ومن ثم هز كتفيه وقال : انني انسحب واط بالثورين ··

ورقص قلب كيزويني ·· ورفعت رأسها أ ونهضت واقفة في اعتداد · حقا لسوف يغ أبوها لضياع الثورين منه · ولكنه سوف ير أن يقبل شتيكانا زوجا لها عندما يتقدم لخطبته ولن يسأله حسب التقاليد عن السبب الذى يج يتقدم للزواج منها ·· ولن يطلب منه أ أن يقدم ثورين صداقا ، وانما سيقبل ما يق له حتى لو كان كيسا من القمح ·

وسيعرف أهالي النجع الحقيقة عندما يت شتيكانا للزواج منها ، ولكنهم سيبتسمون ويه رءوسهم في رضى لان ارواح أجـدادهم أبت ان تجمع بين الحبيبين في كوخ واحد حتى لو الزوج لا يملك الصداق الكبير · ■

ترجمة : حسين القباني

نحن هنا منذ البداية
لذلك يمكننا
ان نقدم لكم
افضل الخدمات
في عالم متطور، تعرف على بنك الكويت الوطني فتثق با
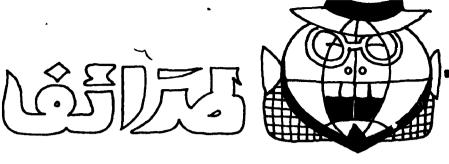
وسام فوق صدور الرجال !

● جورج صاند (١٨٠٤-١٨٧٦) الكاتبة والمؤلفة الفرنسية، التي حملت اسم الرجال ، حتى تجد اعمالها طريقها الى النور ، بعد ان فشلت تماما في ان تقنع اصحاب الصحف ودور النشر ،ان المرأة ايضا تستطيع ان تكتب ، كانت صديقة للموسيقار العالمي « شوبان » ·· وكانا يلتقيان خلال زياراته القصيرة احيانا ، الطويلة احيانا ، لباريس · وكانت تحكي له متاعبها ، وكان يحكي لها مشاكله مع الحياة ·· وكانت جورج صاند او ارماندين لوسيل اورور ، وهذا هو اسمها الحقيقي ، تجد راحة كبرى ، وهي تجلس الى صديقها الفنان وتروى له آخر انباء المتاعب التي تصادفها مع الرجال ، وهي تحاول ان تشق طريقها بقلمها الى دور النشر والصحف ··

وفي احدى الامسيات ، دعا شوبان صديقته ارماندين الىحفلاقيم تكريما له في الاكاديمية الفرنسية للفنون ·· وصفق الجمهور طويلا ، عندما وقف الموسيقار الكبير واتجه الى البيانو ليعزف احدى مقطوعاته التي اوصلته الى المجد ·· ووقف رئيس الاكاديمية يقدم شوبان للمدعوين بقوله : « هذا هو شاعر الموسيقى ! »

وما كاد الموسيقار ينتهي من العزف حتى دوى التصفيق مرة اخرى ·· وانحنى شوبان بقامته يرد التحية ، واتجه الى السلم الخشبي استعدادا للنزول ، ولكنه ما لبث ان توقف وكأنه تذكر شيئا ·· وفجأة مد ذراعه مشيرا الى حيثكانت تجلس ارماندين، ودعاها الى الصعود الى المسرح ·

وجاءت الفتاة في اضطراب واضح وقد كست حمرة الخجل وجهها ، وهي لا تدرى ، ماذا ينوى ان يصنع بها ، امام هذا الجمهور الكبير !

وتكلم شوبان ·· قال : لقد قال عني صديقي أنني « شاعر الموسيقى » ·· اسمحوا لي ان اقدم لكم « موسيقى الشاعر » ·· نعم لقد كانت هذه الفتاة التي تحاول ان تشق طريقها باظافرها هي ملهمتي ! انني ادعو كل سيدة في هذا الحفلان تقرأ ما كتبته ارماندين!

كارليل ومثله العليا !

● توماس كارليل (١٧٩٥ - ١٨٨١) ، الكاتب الاديب الاسكتلندى، كان يقدس المبادىء والمثل ، وقد انعكست شخصيته في معظم كتبه ومؤلفاته،واشهرها«الثورة الفرنسية»، « الماضي والحاضر » وغيرهما ·· ولكن كانت له فلسفة خاصة في الحياة ومثلها ·· وكأنه يتشكك في نفسهوفي قناعته !

قال يوما : « انه شيء يدعو الى

توماس كارليل

أجنبية

ومضت سنوات وسنوات ، قرأ فيها السيدات والرجال على السواء كل اعمالها ولكن باسم رجل ، وعندما اكتشفوا ان جورج هو ارماندين ، اقاموا لها تمثالا ٠٠ وكتب اليها صديقها القديم شوبان يقول : « انتماؤك الينا كان وساما فوق صدر كل رجل ! »

شوبان

الاسف ٠٠ ولكنه الحقيقة بعينها ! وهى حقيقة مؤلمة محزنة معا ، عندما نجد فى كل مرة نتحدث فيها عن هدف نبيل وبطلاقة مقنعة تثير اعجاب المستمعين ، اننا انفسنا قلما سعينا الى هذا الهدف فى حياتنا الخاصة ، رغم كل الحماس الذى كنا نتحدث به امام الناس من اجل حملهم على بلوغه ٠٠ ولكن هذه هى طبيعة البشر !

« ولعل اصدقنا هو ما سعى الى هدفه النبيل اولا ، ثم نقل تجربته الى الناس ليستفيدوا منها ويفيدوا ، فلنبدأ بانفسنا اذن قبل ان ندعو غيرنا الى الى ان يحذو حذونا ! » ٠

النضوج عند جيفرسون !

● توماس جيفرسون (١٧٤٣ - ١٨٢٦) الذى شارك فى الثورة الأمريكية ، وتولى رئاسة الولايات المتحدة ، ووضع وثيقة الاستقلال عن الامبراطورية الام ، كان يؤمن بان النضوج السياسى وراء كل انتصار تحققه الامم فى مسيرتها عبر التاريخ!

قالوا له : « وكيف تنضج الشعوب ؟ »

قال جيفرسون : « عندما يقف المرء يتأمل نفسه فى المرآة ، ثم يفاجأ بانه لم يعد يرى تلك الصورة التى تعود على رؤيتها ٠٠ وانما وجد فى مرآته عشرات من الصور التى تمر به فى حياته كل يوم ٠٠ فينسى نفسه وينصرف بكليته الى تلك الاحداث التى يعيشها !

« وعندما تتحول المرآة التى طالما طالع فيها وجهه كل صباح الى نافذة مفتوحة يطل من خلالها على الدنيا الواسعة من حوله ٠٠ عندئذ فقط يدرك الرجل انه قد كبر ونضج !

« وهكذا السياسة ٠٠ انها المراهقة والنضوج ٠٠ او المرآة والنافذة ٠٠ والمراهق ينظر الى نفسه ، أما الرجل الناضج فينظر الى كل ماحوله وما يحيط به من تفاصيل ٠٠ وما الشعوب ٠٠ أليست هى مجموعات من البشر ٠٠ فاذا تحولت كل المرايا من حولهم الى نوافذ مفتوحة ٠٠ فقد نضج افرادها ! »

استطلاع الكويت

المدارس المتحركة آخر صيحة فى التعليم

طالبتان بالزى الشعبى بينما طلائع الجيل الجديد « حصة » (لهو برىء) (تحت) والى اليسار ثلاث طالبات فى مختبر للطبيعة .

استطلاع : **يوسف الشهاب**

تصوير : **اوسكار مترى**

من واحدة فقط الى ٣٥٤ مدرسة

■ الفصول المتحركة هي آخر ما ادخلته الكويت من وسائل التعليم الحديث • لقد اصبح التلاميذ هم الذين يذهبون الى المدرس وليس العكس كما هو معروف • ورغم ان التجربة ما زالت موضع الاختبار ـ وفي نطاق محدود ـ فان الهدف منها استخدام كافة الوسائل التعليمية الحديثة المتوفرة بالمدارس ، والتي يصعب نقلها من فصل الى آخر • فضلا عن اتاحة الفرصة لاستيعاب عدد اكبر من التلاميذ •

ويقول الاستاذ حسن زغلول ناظر ثانوية الدعية ـ احدى مدرستين تطبقان النظام الجديد ـ المدرسة صممت اساسا لاستيعاب الف طالب ، وفي ظل النظام الجديد استطعنا ان نستوعب ١٣٦٩ طالب •كذلك فان هذه التجربة تقضي على الملل والضيق الذى قد يواجهه الطالب من خلال بقائه بالفصل طوال فترة الدوام المدرسي •

ومن نتائج تطبيق التجربة قال ناظر الدعية ان لكل تجربة جديدة ثغرات ، منها مثلا ـ في حالتنا هذه ـ المشقة التي يتحملها الطالب عندما ينقل كتبه بين فصل وآخر ، وقصر الوقت اللازم لتنقل الطالب بين فصله والفصل الاخر ـ وثمة جهد يبذل الان للقضاء على هذه الثغرات بعد دراستها ووضع الحلول المناسبة لها ، استعدادا للعام الدراسي الجديد الذى سيطبق فيه نظام الفصلين الدراسيين لاول مرة في المرحلة الثانوية•

وكانت الكويت قد اتجهت ـ في محاولة تطوير التعليم بها ـ الى تكليف المعلمات بالتدريس في المرحلة الابتدائية ، بعد ان كان التدريس بهذه المرحلة مقصورا على الرجال وحدهم • ويصف السيد يعقوب غنيم وكيل وزارة التربية هذه الخطوة ـ التي ما زالت تحت التجربة ولم تعمم بعد ـ بانها « اتباع للاسلوب العصرى في رعاية التلاميذ في هذه المرحلة » • وحتى الان ـ كما يؤكد الوكيل ـ فان التجربة ناجحة الامر الذى يفتح الباب للتوسع فيها مستقبلا •

تعزز هذا الرأى ناظرة مدرسة الضاحية النموذجية السيدة انيسه عبد الصمد، التي تقول:

ان التجربة تعطى الطفل في المرحلة الابتدائية نوعا من النظام والدقة والتنظيم في حياته • فالمدرسة تختلف عن المدرس في اهتمامها بشكل اكثر من حيث الدقة واسلوب الحياة المدرسية والترتيب في الادوات الدراسية، هذا الشيء الذى تهتم به المدرسة ينعكس على الطالب في داخل المدرسة ، ثم ان المناخ المدرسي عندما تكسوه روح المودة والعطف من المدرسات الى التلاميذ الصغار •

وتؤكد الناظرة « ان هذه التجربة نجحت عندنا ولله الحمد بفضل التعاون الجاد والطاعة من التلاميذ لمدرساتهم » •

علم البلاد ، يرفع كل صباح في مدارس الكويت ، فيقف الجميع احتراما له ، الصورة لصفوف من المرشدات يتأهبن لرفع العلم •

تهتم مدارس الكويت بالمناهج العلمية ، لخلق جيل علمي ، وهذه الصورة لاربع طالبات في مختبر الكيمياء ، وقد ذهبت كل واحدة منهن تقوم بدورها في خطوات التجربة •

رحلة التعليم

ورحلة التعليم في الكويت لها قصة طويلة •

فتقول كتب التاريخ انه في عهد المغفور له الشيخ مبارك الصباح شيدت اول مدرسة في البلاد وكان ذلك عام ١٩١٢ عندما قام ثلاثة من الكويتيين هم المرحوم الشيخ يوسف بن عيسى ، والمرحوم الشيخ ناصر المبارك والمرحوم ياسين الطبطبائي بالحث على تاسيس المدرسة المباركية، ورغبوا الجمهور في الانفاق عليها ، فاسست في بداية امرها على انقاض بيت كبير ، وكانت ميزانيتها على المؤسسين لها ــ وجمع لتلك المدرسة ما يزيد على ثمانين روبية من المحسنين الذين شعروا بقيمة التعليم وضرورة تشجيعه ــ واقتصر التعليم في هذه المدرسة بعد افتتاحها في ١٣٢٠هـ، على القرآن الكريم واللغة العربية والحساب ، ثم
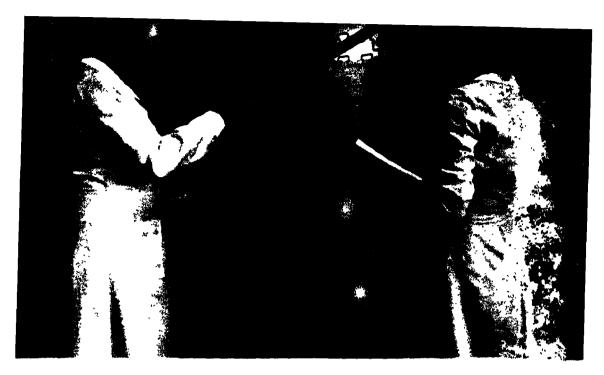
ثروة الكويت البترولية من أهم المواد الدراسية في المدارس ، الصورة لعدد من الطالبات امام شكل نموذجي لمراحل اكتشاف البترول ، وامامهن مدرستهن تقوم بالشرح ٠

▲

ـخلت وزارة التربية مختبرات اللغة في عدد
ن مدارسها سعيا وراء اتباع كل حديث فى
يدان التعليم ، الصورة لطالبـــات فى مختبر
للغة الانجليزية ـ والى اليســـار فصل من
صـول التجـــربة النموذجية فى مدرســـة
الضاحية، وقد وقفت المدرسة تشرح للصغار.

●●

لتليفزيون التعليمى ـ وسيلة من الوســـائل
لحديثة التى ادخلتها التربية فى مدارسها ـ
لصورة لفصل يتابع برامج التعليم فى التليفزيون

كان تكوين اول مجلس للمعارف بالكويت من ١٢ عضوا هم : الشيخ يوسف بن عيسى ، احمد خالد المشاري ، يوسف الحميضي ، عبدالله الصقر ، مشاري الحسن،سلطان الكليب،سليمان العدساني، نصف اليوسف ، محمد الغانم ، يوسف العدساني، مشعان الخضير وابراهيم النصف ، وكان دور هذا المجلس تنظيم التعليم في البلاد ، وخطت الكويت اول خطواتها للتمكن للنهضة التعليمية،فاستقدمت اول بعثة من فلسطين لتنظيم المدارس وزادت الرغبة في استيفاد المعلمين والمعلمات اللازمين للمدارس من انحاء الوطن العربي •

وبدأ موكب التعليم بالمدارس يخطو مع الزمن في البلاد ،فاسست في عام ١٣٤٠هـ الموافق١٩٢١م المدرسة الاحمدية ، وسميت باسم حاكم البلاد انذاك ، المغفور له الشيخ احمد الجابر ، وكان بناؤها على نفقة عدد من وجهاء الكويت منهم الحاج حمد الصقر ، الشيخ يوسف بن عيسى ، الحاج احمد الحميضي ،الحاج احمد الفهد الخالد، السيد عبد الرحمن النقيب ،الحاج مشعان الخضير، والحاج مرزوق الداود ، والاديب سلطان الكليب الذي كان له الدور الكبير في جمع التبرعات والترغيب لها ، وقدمت المدرسة الاحمدية للكويت نتاجا جيدا من جيل الكويت المتعلم في ذلك العصر •

وكان طبيعيا ان يكون لليتامى وابناء الفقراء ، نصيب في التعليم وسط ظروف قاسية كانت تعيشها الكويت ، وانطلاقا من ذلك تاسست عام ١٩٢٤ م مدرسة لهؤلاء الاطفال سميت مدرسة السعادة •

١٠ مدرسين ٠٠ و ١٥٠ طالب

وشكت الكويت كثيرا من قلة العاملين في سلك التدريس في المدارس الثلاث السابقة ولم يكن هناك غير عشرة مدرسين من ابناء الرعيل الاول للكويت ، يقومون بتدريس مائة وخمسين طالبا ،

واستمر هذا الحال حتى عام ١٩٤٠ م حيث ادرك المسئولون ضرورة اصلاح اساليب التعليم وتوسيع دائرة « المعارف » آنذاك ، وبشكل يتناسب مع حاجة البلاد وطموحاتها ، فكانت الخطوة الاولى فى هذا السبيل باحضار اساتذة من ذوى الكفاءات العربية لتساهم فى تعليم ابناء الكويت .

وزاد اهتمام الدولة بالتعليم مع مرور الزمن، وشعرت بضرورة اقامة المدارس فى المدن والقرى جنبا الى جنب لياخذ كل مواطن حقه من التعليم والرعاية ، وكان بالكويت عام ١٩٣٧/١٩٣٦ م مدرستان ـ يبلغ عدد الطلاب بها ٦٠٠ طالب وعدد مدرسيها ٢٦ مدرسا ، اما فى عام ١٩٤٧/١٩٤٦م فقد بلغ عدد المدارس الابتدائية ١٢ مدرسة ، وواحدة للمرحلة الثانوية واخرى مهنية ويبلغ

من أهداف التجربة النموذجية رعاية الاطفال وتعويدهم على النظافة والدقة ، ليشعر الطفل خلال مرحلته الابتدائية بعطف الامومة فى المدرسة ايضا ، والصورة لمدرسة تداعب طفلا وتمده بالرعاية والحنان فى هذه التجربة الجديدة .

●●

زودت فصول المدارس بكل ما هو حديث وضرورى للتعليم ، فاقبل جيل الكويت ينهل من ينابيع المعرفة ، وهذه الصورة لاحد فصول الطالبات وقد وقفت طالبة ارتدت الحجاب لتجيب وتستفيد .

عدد الطلاب فى كافة هذه المدارس ٣١٠٠ طالب و ٩٨٥ طالبة ، واستمرت عملية الزيادة فى مدارس الدولة مع زيادة الاقبال عليها من جانب الابناء حتى عام ١٩٥٦/٥٥م حيث وصل عددها الى ٥٦ مدرسة منها ٣٢ مدرسة للبنين و ... مدرسة للبنات بالاضافة الى اربع مدارس فى الخارج ـ وجميع ابنية هذه المدارس ملك للدولة شيدت على احدث طراز ووفق الاساليب الهندسية الحديثة تمشيا مع متطلبات المناخ التعليمى .

اربع مراحل للتعليم

وفى الكويت اربع مراحل للتعليم يطوفها الطالب قبل الجامعة وهى : رياض الاطفال وهى مرحلة اعداد الطفل وتعويده على الحياة المدرسية ، ولا يقبل فى هذه المرحلة الا من بلغ من العمر خمس سنوات ، ومدة الدراسة فى هذه المرحلة ثلاث سنوات،وفى آخر احصائية اصدرتها وزارة التربية للعام الدراسى ١٩٧٧/٧٦ م بلغ عدد الرياض فيها ٥٦ روضة فيها ٦١٠ فصول ،ومجموع الاطفال فيها ١٤٥٤٤ من الجنسين بينهم ٧٥٩٩ طالب و٦٩٤٥ طالبة ، ويقوم على تعليم كل هؤلاء ١٩١ من المدرسات ،ثم المرحلة الابتدائية ومدة الدراسة فيها اربع سنوات .ويبلغ عدد مدارس الدولة الان من هذه المرحلة ١٣٥ مدرسة للجنسين تشتمل على ٣٢٣٣ فصل دراسى ، اما عدد الطالبات والطلبة فيها فيبلغ ١٠٥٧١٤ ، منهم ٥٦٣٣٠ من الطلاب و٤٩٣٨٤ من البنات .

ويتولى التدريس ٦٢٣٤ من المدرسات والمدرسين. اما المرحلة المتوسطة ففى البلاد الان ١١٣ مدرسة يبلغ عدد طالباتها وطلبتها ٧٧٢٤٩ يتوزعون على ٢٥٦٤ فصل ويزيد عدد الطلاب عن الطالبات بـ ٨٢٧٠ طالب ، ويقوم بتدريس هذا العدد ٥٢٣١ مدرسة ومدرس ، بينهم ٢٦٨٢ من المدرسين و٢٥٤٩ من المدرسات .

ثم المرحلة الثانوية التى يجتازها الطالب الى الجامعة ، ويبلغ عدد المدارس من هذه المرحلة ٥٠ مدرسة تضم ١٢٧٥ فصل ، وعدد الطالبات فى المدارس الثانوية ١٨ الفا فى حين يبلغ عدد الطلاب ١٩٥٦٨ تلميذ واسرة التدريس بالثانوية تبلغ ٣٦١٣ من المدرسات والمدرسين .

يوسف الشهاب

دكتاتور الأدب الانجليزي

Dr. SAMUEL JOHNSON

بقلم : جمال الكناني

ولد فى بيت امتلأ بالكتب ٠٠ وعشق الادب ، ووضع اول قاموس فى اللغة الانجليزية ٠٠ قال في تعريفه « للقرصان » بانه لص بحار ، ولص كتاب ٠٠ قال يرد على مديح لأعماله ، بعد ان اصبح اسمه على كل لسان : « لو ان اهتمامك بمؤلفاتي جاء مبكرا لكان عملا طيبا ٠٠ ولكنه جاءني بعد ان اصبحت من الشهرة ما يجعلنى فى غنى عنه !! »

■ من غير المحتمل ان نجد من بين من حاموا حول الادب الانجليزى ولو من بعيد ، شخصا واحدا لا يعرف شكسبير او لم يسمع او يقرا او يتمثل بقول للدكتور جونسون ٠٠ فصمويل جونسون لاشك عملاق بجسمه وادبه وحديثه ودعابته ونقده وقاموسه٠٠وهو عملاق فى كل ناد اسمه اواشترك فيه ٠٠ فهو بغير منازع اشهر محدث عرفه الادب الانجليزى ٠٠ وهو الذى يقول : ليس من واجب

كان معلماً متغطرساً
لم ينج من لسانه
عدو أو صديق

GM
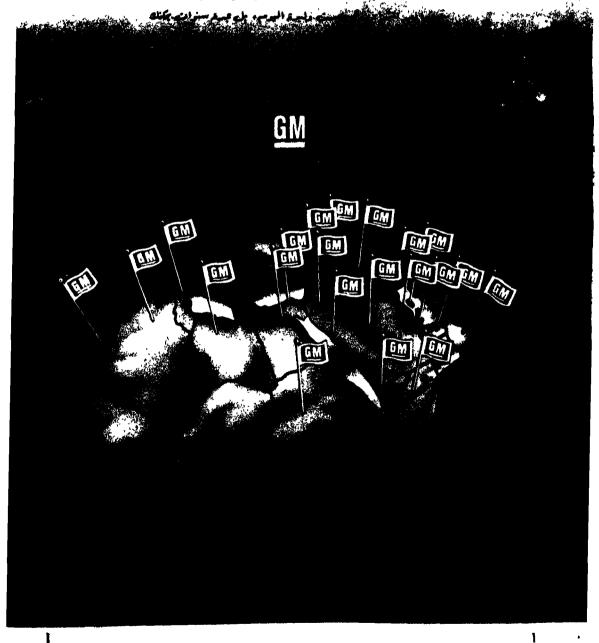
المحدث ان يخلق عالما افضل لان طبيعة الحوار والجدل تتيح للمحدث ان يبالغ ويغالط ويحاج ، حتى لقد يضطر احيانا ان ينتصر للخطأ !!

صفته

وانت ، على الرغم مما في الدكتور جونسون من خصائص وخصال غريبة ، اذا واجهته لاتملك الا ان تعترف انك تقف امام عبقرى لانظير له ، يتميز بطلاقة سحبانية وحكمة لقمانية ، فهو يتخير من الكلمات اوضحها وادقها وارشقها واقواها ، ينطقها جميعا بصوت ضخم بطيء النبرات متزن الاداء غنى التعابير دسم الخيال ، يحكم كلامـه منطق سليم ، ويبدعه خيال خصب ، ويغنيه بحر كامل من المعرفة والمعلومات العامة ·· وصفه صفيه وصديقه بوزويل Boswell ، فقال « هو كمناخ جزر الهند الغربية ، ساطعة شمسه ، نامية خضرته ، غزيرة اعشابه ، حلوة فاكهته ، الا ان حرارة هذا المناخ تولد احيانا رعدا وبرقا وزلازل مزعجة» ··· ذلك لان الدكتور جونسون كان يستعمل في جدله كل انواع الاسلحة اللفظية ، فاذا فشل ، لجا الى شيء من القحة والهجوم العنيف ·· وفي ذلك قال الشاعر الانجليزى جولد سميث Coldsmith ، لو انه ـ اى جونسون ـ استطاع ان ينطق صغار السمك لتكلمت بلغة كبار الحيتان ·· فجونسون لم يكن معلما فحسب بل كان معلما متغطرسا يفرض رايه على غيره ، ولم ينج من لسانه عدو او صديق·· واستطاع بوزويل Boswell ، ان يعلل ذلك تعليلا منطقيا بعد ان عرف جونسون حق المعرفة فقال « ان هجوم جونسون على اصدقائه انما يرجع الى قلق دفين في نفسه هو، فهو يمشى وفي جوفه شعور بعصيان مسلح ، وما تفجراته هذه الا مدافع تطلق طلبا للنجدة » ····

مرضه طفلا وصبيا

ولد صمويل جونسون عام ١٧٠٩ في بيت ابيه وكان وراقا ، وادركت الاسرة ان الوليد مصاب بسل غدد الرقبة وهو مرض كان يعرف اذ ذاك باسم « شر الملك » The King's Evil ، وهـو الخنازيرية ، وكان الناس تعارفوا انه لا يبرأ الا بلمسة ملكية ، فحملت الام ابنها وهو في الثالثة، في عام ١٧١٢ ، الى لندن وهناك شملته الملكة آن Ann، بعطفها ولمست عنقه بانامها ·· ولكن المرض كان عنيدا عناد جونسون نفسه ، فلم يشف المريض من دائه ، ولم يابه بسل [illegible] الملكة آن، بل ما ان بلغ صمويل سن١٢ حتى ظهرت عليه اعراض اول نوبة من نوبات المرض النفسى او العصبى الذى لازمه حياته ، وهو الشعور بالانقباض Depression ، وكان اذ ذاك يعـ[illegible] باسم « الملاخوليا » Melancholy وقد عاوده هذا المرض بشدة عام ١٧٦٤ حتى بلغ به الـ[illegible] مبلغه فقال : انى اضحى باى طرف من اطـرافى يبتره الجراح لو انى استطيع ان استعيد مرحي»··

في مدرسته الثانوية ، ثم جامعة اكسفورد

تلقى جونسون تعليمه الثانوى في احدى مدارس « الاجرومية »Grammar، حيث تعلم اللاتينيـة واليونانية ، ثم خدم فترة في دكان ابيه ، التحق بعدها بكلية بمبروك Pembroke، بجامعة اكسفورد·· ولكنه لم يتم تعليمه فيها نظرا لفقره ·· وقد تحدث الدكتور ادامز Adams ، احد زملائه فـى اكسفورد وصديقه الوفى فيما بعد ، فوصفه ايام دراسته بانه كان محبوبا مدللا من كل من كانوا حوله ·· وانه كان مرحا طروبا قضى في الجامعة اسعد ايام حياته ·· على ان جونسون عارض ذلك في عنف وقال:« كنت مجنونا نزاعا الى القسوة·· كنت فقيرا فحاولت ان اشق طريقى مستعينا بمـا اعرف من ادب اللغة وما املك من روح دعابـة ولذا تجاهلت كل قوة وانكرت كل سلطة » ··

مؤلفاته

ويعز على الخيال ان يتصور مخلوقا آخر غـير الدكتور جونسـون يستطيـع بمفرده خـلال ايـام حياته ان يؤلف قاموسا اعتبر مرجعا لمدة قـرن كامل ، ثم يصدر مؤلفا عن شكسبير يعتبر مرجعا من مراجع النقد ، ولعله اول من قال عن شكسبير « انـه كان احرص علـى ان يسر اكثر منـه على ان يعلم ، حتى بدا وكانه يكتب بغير هـدف اخلاقى ·· فهو يتنقل بشخصياته ، غير مكترث ، بين الخطأ والصواب ، ثم يصرفهم بعد ذلك غـير آبه ، ويترك ما يخلفون وراءهم من مثل لتعمل بمحض الصدف » ·· ويؤرخ فوق ذلك لعدد مـن فحول الشعراء منهم ملتون ، ويصدر الصحف ،

ويحرر المقالات ، ويزين النوادي بطريف حديثه وحلو حواره وطلي فكاهته ..

قاموسه

على ان اسم جونسون قد اقترن اكثر ما اقترن بقاموسه الذي جمع فيه ٤٠٫٠٠٠ كلمة وفسر فيه مختلف المعاني لكل كلمة من هذه الكلمات .. وقال في ذلك « عكفت على عملي هذا وقرات لكتابنا ، اقتبست من كتاباتهم ما يفسر كلمة او تعبيرا .. »

وقال في مقدمة هذا القاموس .. « لعله مما يشبع حب الاستطلاع عند البعض ان يعلموا ان هذا القاموس الانجليزي قد كتب باقل عون من العلماء ، وبغير رعاية من العظماء .. وانه لم يكتب في ظروف تفرغ وئير هادىء او حماية اكاديمية .. ولكن كتب وسط المقلقات والمنغصات، في الحزن والمرض » .

ولا يفوتنا في هذا الصدد ان نشير الى بعض ما اشتهر به هذا القاموس من تفاسير غلبت عليها طبيعة جونسون ، وصبغها تحيزه .. فلقد عرف الناس عنه مثلا انه لا يمالىء اهل اسكتلندا ، فلما عرضت له كلمة Oats ـ الشوفان ـ عرفها بانها حب تاكله الخيل في انجلترا ، وهو قوام حياة الناس في اسكتلندا .. على ان جونسون نفسه كاد يذهب ضحية تحيزه وتزمته في تعاريفه التي اودعها قاموسه اذ انه كان قد فسر كلمة Pension (معاش ـ مرتب تقاعد) بانها اجر يعطى لاجير حكومي لقاء خيانة الاجير لوطنه .. ففي عام ١٧٦٢ وقع ما ليس في الحسبان وراى الملك ان يمنح الدكتور جونسون معاشا او راتب تقاعد Pension ، قدره (٣٠٠) جنيه في السنة.. وحار جونسون واسقط في يده .. فهو من ناحية فقير معدم ، ومن ناحية قد سجل معنى هذا الراتب في قاموسه!..وبادر صديقه رينولدز Reynolds الى نجدته اذ انه ساند اللورد بيوت Lord Bute ممثل الملك لما اكد لجونسون ان المنحة لا يقصد بها ما قد يفعل جونسون مستقبلا لخدمة الحكومة ولكنها جزاء على ما قدم للادب فعلا من خدمات .. وشكر جونسون صديقه كما شكر اللورد بيوت فقد خلصاه من ورطة عار كان يمكن ان يلحقه بسبب قاموسه !! ولا غرو ان جونسون هو صاحب القول

جيمس بوزويل

المأثور « اذا لم يكون الانسان صداقات جديدة ، وهو يقطع رحلة الحياة ، فسرعان ما يجد نفسه وحيدا ، وعلى المرء يا سيدي ان يحتفظ بصداقاته في حالة طيبة من الاصلاح والصيانة ! »

صديق عمره بوزويل

والحديث عن جونسون لا يجوز الا اذا تضمن اشارة الى صداقته لرفيق عمره بوزويل Boswell الذي قابله بطريق الصدفة في دكان كتبي يوم ١٦ مايو١٧٦٣ في حي كوفنتجاردن Covent Garden وهو حي سوق الخضر والفاكهة في لندن ، فكان هذا اللقاء العارض صداقة تعتبر من اشهر الصلات التي سجلها التاريخ بين اديبين .

كان بوزويل ، وهو الابن الاكبر للورد اوكنلك Lord Auchinlech احد قضاة اسكتلندا قد نزل الى لندن ينهل من علمها ويعب من ملذاتها ونعيمها، وفي عزمه ان يتعرف على عدد من مشاهير الادباء اولا ، وان يصبح هو نفسه مؤلفا مشهورا .. وكان بوزويل قد قرا ما كتب جونسون في صحيفة رامبلر Rambler ، وقرر في نفسه ان يتصل بجونسون .. وقد رحب جونسون بهذه الصداقة

الجديدة واطمان الى ما لمس فى بوزويل من رقة واخلاص ، فكانا يلتقيان بعد ذلك فى اشهر نوادى لندن ويخرجان معا للنزهة على ضفاف نهرها الجميل • وسعد كل منهما بصداقة الاخر ، وكان بوزويل دائم الدفاع عن جونسون والاعجاب بكل ما يعمل ، ولعله وجد ما يروى ظماه ، لما علم ان صديقه جونسون ـ وكان مريضا ـ صمد لهجوم اربعة من قطاع الطرق ، هاجموه ليلا فانهال عليهم ضربا بهراوته الضخمة واحتمل ما كالوا له من ضربات حتى وصلت النجدة •• والمعروف ان بوزويل اتخذ من هذه الواقعة مادة لحديثه اياما واسابيع ••

زواجه

وتاريخ الادب سجل كذلك لرحلة قام بها الدكتور جونسون فى صحبة بوزويل الى الجزر الواقعة فى الشمال الغربى لاسكتلندا •• وحديث هذه القصة ممتع طويل لا يتسع المقام لسرده ، بقى ان نشير فى ايجاز الى زواج الدكتور جونسون من « تيتى Tetty » وهى اليزابث بورتر Elizabeth porter فى خريف عام ١٧٣٥ •• وكانت تيتى هذه ارملة واما لاطفال ثلاثة ، بل كانت تصلح اما لجونسون نفسه اذ انها تكبره سنا بعشرين سنة •• ومع ذلك قال جونسون عن هذا الزواج انه كان زواج حب متبادل •• على انه لم يعقب منها خلفا •• بل ولقد قيل ان تيتى هجرت مضجعه بعد فترة قصيرة من الزواج ولزم كل منهما غرفة نوم خاصة به •

ولد جونسون كما قلنا فى بيت مليء بالكتب •• فقد كان ابوه وراقا والف هو الكتب ليكسب قوت يومه ، وقرا الكتب بنهم ـ رغم عشاه ـ ليوسع افق معرفته ، وقال فى آخر ايامه عن الكتب انها لا تعلمنا غير فن الحياة •• ثم عرف القرصان بقوله : هو لص البحار ، أو اى لص.وخاصة الكتبى او الناشر الذى يستولى على كتب غيره ••

وسيظل اسم الدكتور جونسون مقترنا بقاموسه الذى ما ان صدر حتى اعلن اللورد تشستر فيلد Chesterfield «ان جونسون هو الدكتاتور المطلق الذى يتربع على عرش اللغة الانجليزية» •• فما كان من جونسون الا ان رد عليه بخطاب يعتبر آية من آيات النثر الانجليزى جاء فيه :

« لو ان ما اعرت مؤلفاتى من اهتمام جاء مبكرا ، لاتسم عملك بالطيبة ، ولكنك مطلت الى ان اصبحت لا آبه به ولا استطيع ان انمتع به ، وسوفت حتى احتوتنى وحدة تعجزنى عن ان اسر بمدحك الى احد ، وحتى اصبحت من الشهرة ما يجعلنى فى غنى عنه » • ■■

جمال كنانى

■ اذا أكلت لتعيش فانت انسان •• ولكن اذا كنت تعيش لتأكل فانت خنزير !

« اليزا اكتون »

■ السلطة لا تعنى شيئا،الا اذا اقترنت بثقة الشعب فى صاحب السلطان •

« كاترين العظمى »

■ انه يشتغل بالسياسة •• وقد امضى اجمل سنى عمره محاولا ان يجعل من هذا العالم الذى نعيش فيه مكانا آمنا للاغبياء!!

« تانسى بويد »

طبيب الأسرة

الربو الشعبي

● مضى على اكثر من ثلاث سنوات اعاني من سعال شـديد . وبعد ان راجعت عدة اطباء تبين لى انى مصاب بمرض الربو الشعبى . فما هى اسباب هذا المرض . وما علاجه ؟

ــ الربو الشعبى مرض يصيب الشعيبات الهوائية التى تحتوى على عضلات مهمتها التحكم فى دخول وخروج الهواء من والى الحويصلات الهوائية ٠٠ وفى حالة مرض الربو الشعبى تتعرض هذه العضلات وما يبطنها من غشـاء مخاطى الى انقباض شديد بها ، مع احتقان الغشاء المخاطى مما يصعب على الهـواء ان يخرج من الحويصلات بسـهولة ٠٠ فيتجمع بداخلها ٠٠ ويضطر المصاب ان يبذل جهدا شديدا، وبكافة الطرق ، ليخرج هذا الهواء المحجوز او المحتبس داخل الرئة ٠٠٠ مستعملا كل عضلات صدره ٠٠ ويجلس الجلسة التى تمكنه من التغلب على خروج الهـواء ويسعل سعالا شديدا ، لعل ذلك يمكنه من ان يخرج بعض البصاق المتجمع داخل الشعيبات ٠٠ فتنفتح قليلا ليتمكن الهوا من الخروج ٠

وهناك اسباب عدة تجعـل العضلا تنقبض ويحتقن الغشـاء المخاطى المبط لهذه الشـعيبات الهوائية . واهم تلك الاسباب هى . الحساسية ٠٠ فقد يشـ الانسان رائحة تهيج الغشاء المخاطى وتجع العضلات تنقبض . وذلك باندفاع مـا الهستامين فى الدم نتيجة لهذه الحساس ٠٠ والحساسية قد يكون مصدرها تناو طعام مثل البيض او السمك او اللبن ا بعض انواع الفاكهة ، كالمانجو مثلا ، ا الحساسية من الاتربة او من تغيرات الجو او الحسـاسـية من تعاطى بعض انوا الادوية مثل الاسـبرين او بالحقن مث البنسلين ٠

وسبب آخر هام هو التهاب الشعيبات الهوائية بواسطة ميكروب او فيروس يأتى من اعلى الجهـــاز التنفسى عندما يصاب الانســـان مثلا بزكام فسرعان ما ينتشر ويؤثر على كل الجهاز التنفسى بما فى ذلك الشعيبات الهوائية ، ومن ثم تحدث نوبة الربو ٠

وقد تعترى الشخص اضطرابات نفسية تؤدى الى مثل هذه النـــوبات ٠٠ فلقد لوحظ ان اى اضطراب فى الحالة النفسية، كالمعاملة السيئة مثلا للطفل ، او معاملة الزوج للزوجة بقسوة . او فشل فى عمل من الاعمال ،او صدمة نفسية او عاطفية، كلها تسبب نوبات ربو شديدة ٠

من هنا يتضح ان تعدد الاسباب يقف عقبة كأداء فى طرق العلاج ، فلا بد من التوصل الى السبب ثم العلاج ٠٠ وحتى نتوصـــل الى ذلك فلا بد من علاجـات مختلفة لهذا المرض ، هذه العلاجات التى لا تعد ولا تحصى للتغلب على الحساسية او مساعدة العضلات على الارتخـاء ، او التخفيف من احتقان الغشاء المخاطى ، او تحسين حالة المريض النفسية ٠٠وغير ذلك من الادوية والتى تفيد فى بعض الاحيان او لا تفيـــد ٠٠ وهذا كله يعتمد على استجابة المريض لها ٠٠ وهل وفق الطبيب فى معرفة السبب واصابة الهدف للتغلب عليه ٠

النحافة ٠٠ هل هى مرض؟

● ولدت نحيفا ٠٠ هكذا قالت لى أمى ٠٠ وبلغت مبلغ الشباب ، وما زلت نحيفا ٠٠ رغم اننى لا أشكو من مرض ظاهر ٠٠هل من سبب لنحافتى؟

ــ النحافة فى حالات كثيرة تكون وراثية ٠٠ وما دام الجســم سليما ، واعضاؤه تعمل بانتظام فلا خوف على النحيف ٠٠

وكم فحصت نحيفين لا يزيد وزن الواحد منهم عن ٣٥ ــ ٤٠ كيلو جراما ٠٠ ومنهم من جاوز السبعين من العمر ، دون ان اجد بهم امراضا تذكر ٠٠ ويتمتعون بصحة جيدة اللهم الا بعض انحرافات فى صحتهم العـــامة من آن الى آخر كأى شـــخص آخر ٠٠

والنحافة ترجع الى عدة اسباب ،اهمها ان الجسم ليس بمقدوره ان يختزن المواد الدهنية ، فلا يزداد الوزن ، وتحرق معظم الاغذية التى يتعاطاها نشخص ٠٠ رغم انه يأكل بكميات كبيرة ٠٠اكثر من الذين يعانون من السمنة المفرطة ٠٠٠ ويلاحظ كذلك انه فى بعض الاشخاص النحيفين يزداد الوزن بعد الزواج مثــلا ٠٠ وذلك يرجع الى تغير فى هرمــونات الجسم ٠٠ وتـــكيفها للوضع الجـديد ٠٠ على ان الواجب يقضى بأن يفحص النحيف جسمه ٠٠ فلعل هناك مرضا مختفيا يمكن علاجه ٠٠ فيتغلب بالتالى على نحافته ٠

ويجب على من يلاحظ نقصانا مطرد، فى وزنه ان يراجع الطبيب ليقوم بفحصه

فحصا دقيقا ·· فهنـاك من الامـراض العديدة ما يكون سببا فى نقص الوزن·· مثل انعدام الشهية للأكل لاسباب نفسية او مرضية ، مثل مرض البول السكرى ، وتسمم الغدة الدرقية ··وامراض الجهاز الهضمى المختـلفة بما فى ذلك امراض الكبد · وكذلك امراض الجهـاز البولى والتنفسى ·· والامراض الخبيثة ·· فكل هذه الامراض تجعـل المريض والطبيب يفكران فى نقصان الوزن والنحافة الطارئة ·· مما يستدعى الفحص الشامل الدقيق، بما فى ذلك عمل التحاليل اللازمة والاشعة المختلفة حتى نصل الى اصل المرض وعلاجه ان امكن وبالتالى علاج النحافة ·

ركوب السيارة والدوار

لاحظت مؤخرا ، اننى اصاب بدوار كلما ركبت وسيلة من وسائل النقـل الحديثة ·· فما السبب يا ترى ·· وهل هى ظاهرة مرضية ؟

ــ الدوار عنـد ركوب السـيارة او القطار ، او المركب فى البحر او الطائرة يرجع سببه الى اضطراب فى القنـوات شبه الدائرية داخـل الاذن الداخلية ·· ويلاحظ ذلك فى الشباب كثيرا ، فى حين ان الاطفال او المسنين لا يعانون من هذه الظاهرة ·· ولقد وجد ان حركة السائل داخل هذه القنوات تتأثر بالحركة المتغيرة، كصعود السيارةوهبوطها او كثرة انحناءات الطريق ، او هياج موج البحر عند ركوب السفن ، او المطبات الهوائية فى الطائرة·

وعنـــدما يحدث ذلك ، تتأثر حركة العينين فلا تستقر على وضع مما يجعـل الصور المرئيـة متذبذبة كذلك ، ويتأثر الجهـاز العصبى الـلاارادى ، فيعـرق الشخص ، ويقل نبضه ، ثم تتأثر المعـدة ويحدثالغثيان والقىء فى بعض الحالات·

ويزداد هذا التأثر مع الارهـاق ، او الاضطرابات النفسية ، على ان هذا يقل حدوثه تدريجيا بمرور الـوقت وبتعـود الشخص ــ كما هو الحال فى البحـارة الجدد ، او سـائقى السـيارات ــ واذا استمرت الحالة لفترة طويلة ، فيستحسن ان تؤخذ اقراص درامامين Dramamine او افومين Avomine على اننا نلاحظ انه فى بعض الحالات يكفى مجـرد اغماض العينين او وضع نظارات سوداء لتقليل حدوث مثل هذا الدوار ·

وكذلك تعاطى كميات قليلة منالطعام تكون سهلة الهضـم ·· واهمها المـواد النشوية او السكرية يســاعد على عدم حدوث مثل هذا الغثيان ·

WHO'S RUNNING AMERICA?

INSTITUTIONAL LEADERSHIP IN THE UNITED STATES

كتاب يكشف حقائق
مجتمع الصفوة
الذى يفرز القادة
فى أمريكا .

THOMAS R. DYE

من الذى يحكم امريكا

تلخيص وعرض : سلامة احمد سلامة

■ لاسباب عديدة ، سيظل نظام الحكم فى امريكا ، ليس بمعناه الدستورى ، ولكن بما يحتويه من عناصر القوة المؤثرة ، ومصادر النفوذ السياسى التى تشارك من قريب او بعيد فى صنع القرار وتوجيهه ايا كان ، من الامور التى تثير الاهتمام فى العالم كله ، بحكم الحيز الذى تشغله امريكا اقتصاديا وسياسيا وحضاريا فى عالمنا اليوم .

وربما بدا للكثيرين ان « الواجهة السياسية » لعملية صنع القرار فى ظاهرها ، مقصورة على هذه المجموعة من كبار المسئولين فى الحكومة الامريكية المنتخبة تحت اسم اى رئيس من الرؤساء او فى اجهزتها التنفيذية والتشريعية والقضائية ممثلة فى الوكالات التابعة للحكومة الفيدرالية ، او فى الكونجرس بمجلسيه : النواب والشيوخ ، او فى المحكمة الامريكية العليا ..

غير ان علماء السياسة والباحثين لا يكتفون بالوقوف عند هذه « الواجهة السياسية » الظاهرة

للعيان ، بل ذهب عدد من الدراسات والكتب التى ظهرت خلال الاعوام الاخيرة ، الى محاولة كشف القناع عن حقيقة القوى التى تحكم امريكا ، والقيادات الظاهرة والخفية فيها ، ومصادر قوتها واشكال سيطرتها على المجتمع الامريكى ،والوسائل التى تصل بها الى تشكيل الاجهزة الحاكمة وتحريكها فى الاتجاه الذى تريد والى اى حد تتعارض او تتساند او تتركز هذه القوى .

وآخر هذه الكتب واحدثها هو كتاب « من الذى يحكم امريكا » ، الذى قام بدراساته وتحليلاته جيل من شباب الباحثين واساتذة الجامعة . واكثر ما يميز هذا الكتاب عن غيره انه لم يخرج نتيجة منحة قدمت له من جهة عامة او خاصة ، ولم تنفق على اصداره مؤسسة من المؤسسات العلمية او شبه العلمية ، ولكنه يوشك أن يكون جهدا علميا خاصا .. حاول ان يسمى الاشياء بمسمياتها ، وان يسمي الاشخاص باسمائهم،وهو مايجعله مختلفا عن كتب اخرى شبيهة فى هذا المجال. ولئن كان هذا الكتاب قد ظهر قبل ان تتضح معالم التغيير الاخير فى الرياسة الامريكية ـ بفوز كارتر بمنصب الرياسة ـ الا انه يلقى ضوءا قويا على كثير من العوامل المحركة وراءه .

دور الصفوة ..

والاساس النظرى الذى يستند اليه هذا الكتاب هو انه فى كل المجتمعات .. المتقدمة والمتاخرة ، الشمولية والديمقراطية ،الراسمالية والاشتراكية، يوجد اشخاص قليلون او معدودون هم الذين يمارسون السلطة باوسع معانيها ، يتساوى فى ذلك ان تكون ممارسة السلطة باسم الشعب او فى غيبة عنه ، وهذه المجموعة المحدودة التى تشكل حياة الناس وتقرر مصائرهم ، هى « الصفوة » التى تمثل وظيفة ما فى النظام الاجتماعى تنبع عن حاجة تقتضيها الضرورة . ومن لم فان السلطة او النفوذ هنا ، لا ينسب الى اشخاص بعينهم ، بل ينسب الى تنظيم اجتماعى او بمعنى أصح الى قدرة شخص ما على السيطرة على تجمع ما من خلال تبوئه لدور محدد فى هذا التنظيم . فالصفوة بهذا التعريف . مجموعة من الناس يملكون القدرة ـ من خلال التنظيمات القائمة او المؤسسات المشروعة ـ على التوجيه والادارة ، ووضع البرامج والسياسات والسيطرة على المنشات والمؤسسات الكبرى فى الدولة .

وقد قيل من قبل الكثير عن هؤلاء الذين يحتلون قمم السلطة فى المجتمع الامريكى ،وتحدث الكثيرون عن « الطبقة الحاكمة » و « المؤسسة الليبرالية » و « المركب العسكرى الصناعى » و « الاغنياء وما فوق الاغنياء » وما الى ذلك من تعبيرات تشير الى هذه المجموعات باعتبارها هى التى تملك النفوذ والقوة . ولكن هذه التعبيرات لا تستند الى تعريف دقيق لمعنى النفوذ والقوة . لان النفوذ أمر لايمكن لمسه او حصره بل هو تعبير شديد المراوغة . غير ان التعريف الذى يمكن التعامل من خلاله لتحديد معنى السلطة او النفوذ او القوة يمكن أن نجده فى « هؤلاء الاشخاص الذين يحتلون مراكز القمة على رأس المؤسسات الكبرى فى بناء المجتمع الامريكى » . لانهم هم الذين يملكون تقرير كل شىء : عن الحرب والسلام ، عن الاجور والاسعار، عن الاستهلاك والاستثمار ، عن العمالة والانتاج، عن القانون والنظام ، عن الضرائب والخدمات ، عن العلم والتعليم ، عن الصحة والمرض ، عن الحياة ووقت الفراغ ..وذلك كله من خلال سلطتهم فى التوجيه والادارة ، ووضع البرامج والسياسات، وتحديد الانشطة المختلفة فى المؤسسات والوزارات والتعليم والقوانين وكافة هذه الاوجه.

ومن بين اكثر من ٢٠٠ مليون مواطن امريكى يوجد نحو من ٥٠٠٠ شخص يحتلون قمم السلطة فى اعلى المناصب على رأس هذه الاجهزة والمؤسسات .. فى البنوك والشركات الضخمة وشركات التامين وشبكات الاذاعة والتليفزيون والصحف والجامعات والمؤسسات الخيرية والمدنية ، والبيت الابيض والكونجرس والجهاز البيروقراطى فى الحكومة الفيدرالية وفى المؤسسة العسكرية والشركات القانونية التى تضم كبار المحامين ..

وفى مجتمع معقد كامريكا يصبح السؤال المطروح بحثا عن مصادر النفوذ والقوة هو : من هم هؤلاء الاشخاص ؟ .. كيف وصلوا الى قمم السلطة ، وما مدى حجم هذه السلطة وماذا يصنعون بها ؟ ..هل هذه السلطة مركزة او مشتتة ؟ وما علاقات اصحابها بعضهم ببعض ، هل هى علاقة تصارع او تعاون ؟

وتتوزع السلطة فى المجتمع الامريكى بين ثلاثة قطاعات مختلفة ، تنحصر فى عدد محدود من المؤسسات الضخمة التىتتركز فيها الاغلبية الغالبة من موارد الثروة • هذه القطاعات هى : قطاع الشركات والمؤسسات • وقطاع الحكومة • وقطاع الرأى العام •

فى قطاع الشركات والمؤسسات : تتركز القوة الصناعية فى امريكا بين يدى ١٠٠ مؤسسة عملاقة تسيطر على اكثر من نصف مجموع الارصدة الصناعية ،وذلك منبين ٢٠٠ الف شركة ومؤسسة صناعية • واكبر خمس مؤسسات عملاقة من هذه المائة ، لانها تملك وحدها ١٠٪ من مجموعالارصدة الصناعية الامريكية هى : اكسون (ستاندرد اويل ـ نيوجيرسى) ، وجنرال موتورز ، وتكساكو ، وفورد موتورز ، وجالف اويل •

وفى مجال النقل والمواصلات والخدمات :يزداد التركيز بصورة اشد ، اكثر من نصف الارصدة فى هذا المجال تملكه ٣٣ مؤسسة ، تقف على راسها شركة التليفون والتلغراف الامريكية • AT

وفى عالم المال يسيطر ٥٠بنكا كبيرا (من ١٣٠٠) على نصف مجموع الارصدة المالية فى امريكا ،يقف على راسها : بنك امريكا ، فيرست ناشيونالسيتى، تشيز مانهاتن •

وفى شركات التامين : ثلثا الارصدة التامينية فى أيدى ١٨ شركة (من ١٧٩٠) بينها شركتان هما متروبوليتان وبرودنيتال تملكان اكثر من ٢٥٪ •

والذين يسيطرون على هذه الامبراطوريات الضخمة للصناعة والمال والتامين ينحصر عددهمفى ٣٥٧٢ شخص فقط ، يحتلون مناصب رؤساء مجالس الادارة والمديرين • هم الذين يقررون ماذا يجرى انتاجه ، وكيف ، وحجم الانتاج وتكلفته ، وعدد العاملين فيه واجورهم • وكيف توزع السلع والخدمات • واى انواع التكنولوجيا يجب تطبيقها وتطويرها • وحجم المكاسب والارباح • وحجم القروض واسعار الفائدة ••• وما يسمى بنفوذ حاملى الاسهم فى هذه المؤسسات هو مجرد وهم قانونى ،لان حملة الاسهم لايوجهون هذه السياسات ولا يملكون تغيير المديرين والرؤساء وكل ما فى وسعهم ان يفعلوه هو ان يبيعوا اسهمهم اذا لم يعجبهم الحال • بل ان هؤلاء الرؤساء والمديرين هم الذين يختارون من يخلفهم فى مناصبهم •

ومن الامثلة على بعض الشخصيات التى تتولى رياسة هذ، المؤسسات : دافيد روكفلر ، وريتشارد كنج ميللون ، اموری هیوتون ، هنری فورد ، ايلمود باترسون ••

اما فى قطاع الحكومة : فان اصحاب النفوذ والسلطة هم هؤلاء الذين يحتلون مراكز قيادية فى الاجهزة البيروقراطية المدنية والعسكرية للحكومة• ويبلغ عددهم ٢٨٦ شخص ، يضمون فيما بينهم الرئيس الامريكىونائبه والوزراء ووكلاء الوزارات ومساعديهم ، ومستشارى البيت الابيض ورؤساء اللجان فى الكونجرس وكبار اعضاء حزب الاقلية فى اللجان المختلفة بالكونجرس ، ورئيسا الاغلبية والاقلية للحزبين الديمقراطى والجمهورى • وقضاة المحكمة العليا التسعة ، واعضاء مجلس الاحتياط الفيدرالى ،واعضاء مجلس المستشارين الاقتصاديين يضاف اليهم اعضاء الجهاز العسكرى ـ كبار المسئولين المدنيينفى وزارة الدفاعوكبار الجنرالات والادميرالات ورئيس هيئة الاركان المشتركة والقواد ونوابهم فى اسلحة الطيران والبحرية والجيش •

وتكتسب الدوائر الحكومية نفوذها من حجم الانفاق الذى يصل الى ثلث مجمل الانتاج القومى الامريكى • يحظى فيه الانفاق العسكرى بنسبة تصل الى ٩٪ . ومن هنا فان المركب العسكرى الصناعى الذى كثر الحديث عنه لايحظى بذلك النفوذ الضخم الذى ينسب له عادة • ويبدو ذلك ـ حقيقة بسيطة ، هى أنال ١٠٠ مؤسسة الكبرى فى امريكا التى اشرنا اليها، لا تعتمد فى عقودها العسكرية الا على ١٠٪ من مبيعاتها او دخلها •

أما كبار الموظفين فى الجهاز البيروقراطى الحكومى ، فان اهميتهم تنبع من أن الرؤساء لابد ان يعتمدوا فى ادارة دفة الحكم على مجموعة من « الرجال الجادين » • ذلك أن مهارة المرشح للرياسة فى جمع الاصوات الانتخابية لا تعنى بالضرورة قدرته على الحكم • ويتم تجنيد كبار هؤلاء الموظفين من دوائر الصناعة او البنوك (مثل جورج شولتز وزير الخزانة) او من رجال الجامعات (كيسنجر وشليزنجر) او من شركات القانون (دالاس ، روجرز ، سيروس فانس)

او من الجهاز الادارى ذاته (اليوت ريتشاردسون ـ جوزيف سيسكو) ٠

ثم يأتى بعد ذلك هؤلاء الذين يسهمون ماليا فى الحملات الانتخابية ، وهم فى العادة يمثلون رباطا قويا بين مراكز الثراء فى المؤسسات الضخمة وبين النظام السياسى ٠٠ وثلث المساهمين ماليا فى الحملات الانتخابية رؤساء ومديرون لمؤسسات وبنوك وشركات كبرى ، والثلث الاخر من الاسر الغنية الوارثة التى تساهم عادة فى المؤسسات الاقتصادية ، والثلث الاخير من أفراد ذوى دخول كبيرة فى الطبقات العالية الدخل من الطبقة الوسطى ٠

● وقطاع الرأى العام هو القطاع الثالث ، الذى تمثل الصفوة فيه بافراد يحتلون المراكز العليا فى اجهزة الاعلام من تليفزيون واذاعة وصحافة ، وفى الشركات القانونية الكبرى ، وفى المؤسسات الخيرية الرئيسية ، وعدد محدود من الجامعات المشهورة ، ثم بعض الهيئات والجمعيات المدنية والثقافية ٠ ويبلغ مجموع الاشخاص الذين يحتلون المناصب الرئيسية فيها ١٥٥٨ شخص٠

والذين يسيطرون على شبكات التليفزيون الثلاث الرئيسية فى امريكا: ABC, NBC, CBS يعدون من اقوى الناس نفوذا فى البلاد ٠ حيث يعتبر التليفزيون المصدر الرئيسى للمعلومات بالنسبة للاغلبية العظمى من الشعب ٠ يتلاعبون من خلال نهر متدفق من المعلومات على عواطف الناس ومشاعرهم ، ويملكون تركيز الانتباه على موضوع او مشكلة او تجاهلها ٠ وقد نجح التليفزيون ـ بعد أن كشف الوجه الحقيقى للحرب فى فيتنام ـ فى اخراج ليندون جونسون من البيت الابيض ، وساعد ايضا مع الصحافة فى اخراج نيكسون بفضيحة ووترجيت ٠ يضاف الى هذه الشبكات الثلاث ، صحف : نيويورك تايمز ، ومجموعة مجلة التايم ، ومجموعة واشنطن بوست ونيوزويك، ثم وكالتا الانباء الرئيسيتان اشوشيتدبرس ، ويونايتدبرس و١٠ مجموعات لصحف يغطى توزيعها ثلث مجموع توزيع الصحف الامريكية ٠ ويقف على رأس هذه المجموعة من اجهزة الاعلام والصحافة ٢١٣ رئيس ومدير ٠

وتاتى بعد ذلك ١٢ جامعة وكلية تسيطر على ٥٤٪ من جميع المنح الدراسية التى تقدم فى مجال التعليم العالى ٠ وتحتل من حيث سمعتها مركزا مرموقا ،ويبلغ مجموع رؤساء هذه الجامعات وامنائها ٦٥٦ شخص ٠

اما المؤسسات الخيرية مثل مؤسسة فورد فونديشن ، برووكفلر فونديشن ، فان نفوذها يكمن فى قدرتها على توجيه كثير من مصادر الثروة الخاصة والمنح المقدمة من الشركات للانفاق على ابحاث ونشاطات موجهة سياسيا ٠ ويبلغ عدد هذه المؤسسات ١٢ مؤسسة تملك ٤٠٪ من الارصدة ٠ ومجموع رؤسائها والمهيمنين عليها ١٢١ شخص ٠ ويلاحظ ان رؤساء هذه المؤسسات وامناءها ـ شانها فى ذلك شان الجامعات السابق ذكرها ـ يحتلون مراكز رئيسية فى الشركات والمؤسسات الاقتصادية والصناعية التى تقوم بالتمويل ٠ وهؤلاء الاشخاص انفسهم يتكررون مرة اخرى فى مناصب الاشراف والتوجيه فى مجالس ادارات المتاحف الكبرى ، وجماعات التخطيط السياسى المعروفة : مثل مجلس العلاقات الخارجية، ومعهد بروكنجز ولجنة التنمية الاقتصادية ٠ وهى جماعات ـ كما سنرى ـ تمارس نفوذا هائلا فى عمليات التجديد والتخطيط السياسى والاقتصادى٠

وينضوى تحت هذا النوع من الاجهزة الصانعة للرأى العام شركات المحامين الكبرى ولا يزيد عددها على ٣٠ مكتبا او شركة تتركز فى واشنطن ونيويورك تضم ١٧٦ شخص من عمالقة المحامين والقانونيين الذين يعدون من الشخصيات العامة، ويكسبون نفوذهم من تمثيلهم القانونى لكبرى المؤسسات والشركات الامريكية ٠ وكثيرا ما يعهد اليهم بمهام قومية ، مثل سيروس فانس الذى مثل الولايات المتحدة فى محادثات فيتنام فى باريس ٠ وسوف نجد ان معظمهم من خريجى احدى هذه الجامعات المشهورة التى اشرنا اليها : هارفارد ، ييل ، شيكاغو ، ستانفورد ، كولومبيا ، كورنيل ، برنستون ٠٠ الخ ٠

مدى التداخل بين القيادات

من مجموع هذه الشخصيات ، التى تجلس على

القمة في المناصب العليا لهذه الاجهزة والمؤسسات في القطاعات الثلاث ، تتكون الصفوة الحاكمة في امريكا • وتكشف الدراسات التي اجريت عن هذه الشخصيات ، ان تكوين الصفوة الحاكمة في امريكا لا يتخذ شكلا هرميا ، تتدرج فيه القيادات من القمة الى القاعدة ، اي ان الـ ٥٤١٦ شخص الذين يجلسون في القمة لا ينحصرون في عـــدد اقل يمثل قمة عليا واحدة • كما ان البنـــاء لا يتخذ في الوقت ذاته شكلا تتعدد فيه قمـــم القيادة ، كل قمة تمثل قطاعا مختلفا للحيـــاة ، مع تداخل محدود او معدوم في السلطة عبـر قنوات منفصلة • ولكنه خليط من الصـيغتين • فهذه الالاف الخمسة من المناصب القيادية يشغلها ٤٠٠٠ شخص تقريبا ، مما يدل على وجود تركيز بدرجة ما في السلطه • اي ان هناك ما يقربمن ٢٠٪ من هؤلاء الاشخاص يحتلون منصبين او أكثر • وبعضهم يصل عدد المناصب التي يشغلها الى سبعة مناصب، وهؤلاء يعدون منالشخصيات العامة الواسعة النفوذ ، مثـــل داڤيد روكفلـر رئيس مجلس ادارة بنك تشيز مانهـــاتن ومدير امبراطورية روكفلر الواسعة النطـــاق التي تسيطر على عدد من شركات البترول والبنوك والتامين والخطوط الجوية والعقول الالكترونية وصناعات الحـديد والصلب • والذي يمتد نفوذه بحكم المؤسسات الخيرية والثقافية والهبات والمنح الدراسية والجامعية التي يقدمها ، الى مجالات التعليم والقانون والثقافة واجهزة الحكومة • وقد وصف هذا الرجل بانه الوحيد الذي يعتبر منصب الرياسة الامريكية بالنسبة له هبوطا الى اسفل •

واذا اردنا ان نضرب مثالا اخر بواحدة من الشخصيات التي برزت أخيرا في منصب رسمي وهو سيروس ڤانس الذي اختير وزيرا للخارجية في حكومة الرئيس كارتر •• فقد كان يشغل منصب الشريك الـرئيسي في واحـــد من أكبر مكاتب المحامين «سمبسون ثاشر وبارتليت» ، ويشـغل مع ذلك منصب المدير في عدد من الشركات : بـان امريكان ، اتينا للتامين على الحياة ، ا• ب• م للعقول الالكترونية ، وهو عضو بمجلس العلاقات الخارجية • والصليب الاحمر الامريكي ومؤسسة روكفلر ، واحد امناء جامعة شيكاغو •

ويلاحظ ان معظم الشخصيات التي شـــغلت منصب وزير الخارجية في الآونة الاخيرة ، جاءت من مجموعة روكفلر •• دالاس ، دين راسـك ، كيسنجر •

وقد لا يحدث التداخل في شغل المناصب العليا في الحكومة والمؤسسة العسكرية • ولكن التداخل يكون على اشده في المؤسسات التعليمية والثقافية والخيرية والشركات الصناعية والمالية والاقتصادية، والى جانب مجموعة روكفلر توجد مجموعـــات مماثلة تشع نفوذها على كثير مـن أوجه الحيـاة الامريكية ، مثل مجموعة فورد ودى بونت وميللون، وان بقى احطرها شانا مجموعة روكفلر •

واذا كانت الاراء قد اختلفت كثيرا حول امكانية الرجل الامريكي العادي في الصعود الى القمة• حيث تؤكد بعض الاراء ان الاغلبية العظمى من المناصب القيادية يتم اختيارهـا من الطبقـات العليا ومن اصحاب الدخول العليا مـن الطبقة الوسطى ، التي تتقارب في قيمها ومبادئها وثرائها وتعليمها وعضويتها لنوادي الصفوة • تذهب اراء اخرى الى ان المجتمع الامريكي هو مجتمع الفرص المفتوحة المتساوية ، اذا توفر للشخص من المواهب والمهارات والخبرة القدر الكافي •

غير ان الدراسة التحليلية التي اجريت على الذين يحتلون بالفعل هذه المناصب على مـر فترة معقولة من السنوات ، تثبت ان القادمين من اسفل السلم الاجتماعي لا تزيد نسبتهم فـي المناصب القيادية عن ٣ ٪ ، وعلى العمـوم فان الصفة الغالبة على هؤلاء الذين يحتلون القمة ، انهم من طبقات ثرية ، من سكان المدن ،تخرجوا في جامعات خـاصة مشهورة ، مـن اصـل انجلو ساكسوني ، ومن البروتستنت البيض طبعا •

والطريف ان المراة الامريكية رغم كل ما تثيره حولها من ضجة لا تمثل غير ٣٪ من المناصب الهامة في الادارة العليا ، وذلك على الرغم من ان ٤٠٪ من النساء الامريكيات يزاولن مهنة ما •

وتزداد النسبة هبوطا للصاعدين من القمة من بين السود ، حيث لا يزيد عددهم فى الخمسة آلاف منصب قيادى عن اصابع اليد الواحدة • وقد وصلوا اليها من خلال تدرجهم فى مناصب حكومية•

الصراع والاجماع فى القمة

قد تختلف الاراء ايضا حول مدى واهمية الصراع والخلاف فى الرأى بين القيادات ،باعتبارها سمة مميزة للديمقراطية ، تجعل السياسات اكثر استجابة لمطالب القاعدة العريضة من الجماهير ، وتجعل للجماهير تاثيرها فى ترجيح كفة سياسة على اخرى باختيارها لمجموعة القيادات الاكثر حدبا واقترابا من مصالحها • غير ان الثابت ـ من خلال فحص شامل لمواقف الصفوة الحاكمة فى امريكا وممارساتها السياسية ـ ان هناك اطارا واسعا من الاجماع بين القيادات ، يدور حول مجموعة من القيم الاساسية والاهداف التى لا خلاف عليها والتى تتمثل فيما يطلق عليه اسم « المؤسسة الليبرالية » • اما الخلاف فيما عدا ذلك • فهو على الاساليب والوسائل •

وتشير الاستطلاعات التى اجريت بين القيادات وشاغلى المناصب العليا بغض النظر عن انتماءاتهم الى أى من الحزبين الديمقراطى أو الجمهورى ، الى الاجماع على السياسات التالية :

تحسين العلاقات مع الدول الشيوعية • الحد من الالتزامات والتورطات العسكرية الامريكية فى الخارج • القضاء على المظالم الاجتماعية والتفرقة العنصرية • مضاعفة الجهود المبذولة فى حماية البيئة من التلوث • المساواة فى الاجر بين الرجل والمراة • تاييد نظام الاقتصاد الحر واعتبار الربح حافزا اساسيا ، مع الاستعداد لانفاق جزء من ارباح المؤسسات على برامج الاصلاح الاجتماعية • مزيد من التعاون العالمى فى مجالات التبادل التجارى والتكنولوجى •

اما الخلاف فينحصر فى عدد قليل من القضايا المحدودة الاثر ، والتى تنصب على الوسائل كما اسلفنا مثل :

العلاوة الممنوحة لشركات البترول تعويضا لها عن استنزاف البترول • سيطرة الاجهزة الفيدرالية أم سيطرة الاجهزة المحلية على المشروعات والبرامج الاجتماعية • الى أى مدى يجب ان تصل ضرائب الدخل • الاجراءات الخاصة بمكافحة التضخم والركود الاقتصادى والحد من البطالة •

غير ان هناك من الدلائل ما يشير الى انقسام فى الصفوة الحاكمة من نوع آخر •• انقسام يفصل بين الصفوة الغنية القادمة من الجنوب والغرب• الذين يطلق عليهم أوصاف «الكاوبويز» او « الاغنياء الجدد » او « أبناء حزام الشمس » (أى الولايات الجنوبية) ، وبين هؤلاء القادمين من الاسر الغنية الكبيرة فى الشرق والشمال او ما يطلق عليهم اسم « اليانكيز » أبناء المؤسسة الشرقية الليبرالية •

الطائفة الاولى من الصفوة حصلت على ثروتها بعد الحرب العالمية الثانية من عمليات البحث عن البترول ومن صناعات الفضاء وما اقترن بها من الصناعات الحربية والعقول الالكترونية ، والثروة العقارية •• وكلهم أبناء الولايات الجنوبية الممتدة من كاليفورنيا الى تكساس الى فلوريدا •• ومعظمهم رجال من صنع انفسهم ، حصلوا على ثرواتهم وصعدوا الى القمة بكدهم وعرقهم • يؤمنون بالفردية والمنافسة والخشونة فى المعاملة ، وتنعكس هذه الصفات على آرائهم السياسية •

اما الطائفة الثانية من « اليانكيز » ابناء المؤسسة الشرقية ، فقد تمتعوا بالثروة والنفوذ عبر اجيال عديدة ، أو تسلقوا الى مراكز القيادة ببطء وتدريجيا ، ليشغلوا معظم المراكز الهامة فى المكاتب القانونية الكبرى والشركات والمؤسسات والبنوك • وهم ـ فى ظنهم ـ اكثر مدنية واحساسا بالمسئولية المدنية والحريات المدنية • وينظرون الى « الكاوبويز » القادمين من الجنوب باعتبارهم ثلة من المغامرين والمقامرين والمضاربين•

وما زال « اليانكيز » يحتلون جانبا كبيرا من

قمم السلطة والنفوذ فى امريكا • وعندما وصل الى منصب الرياسة الامريكيةرئيسان ذوى روابط قوية بالكاوبويز من أبناء الجنوب ، وهما جونسون ثم نيكسون ، تحالفت قوى المؤسسة الشرقية الليبرالية لاخراجهما من السلطة عنوة• وفى كلتا الحالتين لعب هؤلاء الذين يحتلون منهم مواقع السلطة فى أجهزة الاعلام والصحافة والتليفزيون دورا هاما فى اخراج جونسون بسبب حرب فيتنام ، وفى الحالة نيكسون بسبب فضيحة ووترجيت • مما يؤكد تزايد أهمية الظاهرة الاعلامية فى بناء الصفوة الحاكمة فى أمريكا •

والخلاصة التى تنتهى اليها هذه الدراسة عن الصفوة الحاكمة فى امريكا ، تتمثل فى « تصور » او « نموذج » لعملية صنع السياسات او صنع القرارات فى امريكا يختلف عن التصور السائد فى كثير من الاذهان • فالرئيس الامريكى والاجهزة المحيطة به منمستشارين وكونجرس واجهزة قضائية وحكومية • او ما يطلق عليه وصف « صانعى السياسة عن قرب » • ليسوا فى واقع الامر هم الذين يصنعون السياسات او يقررونها • ولكنهم رغم نشاطهم الظاهر للعيان مجرد نافذة امامية او « واجهة سياسية » لا تمثل غير المرحلة الاخيرة من عملية معقدة ، تتشكل فى ثناياها تفاصيل السياسات القوية الامريكية •

ان كل تجديد او انعطاف او تغيير فىالسياسة الامريكية يبدو للعين الخارجية وكانه قد حدث فجاة فىمكاتب البيت الابيض او دهاليز الكونجرس، يبدأ فى حقيقة الامر من المنابع الاصلية الاولى التى تمول الابحاث والخطط والدراسات • وتمويل هذه الدراسات ياتى ـ كما اسلفنا ـ منالمؤسسات والشركات الكبرى التى توجه اموالا مخصصة لبحوث معينة الىالمؤسسات العامة والجامعات ومجموعات التخطيط السياسية •

ويلاحظ هنا مرة اخرى ان كبار المسئولين فى هذه المؤسسات والشركات ، يجلسون كاعضاء فى جماعات التخطيط والبحث والجامعاتيحددون كيف، وفى اى الوجوه ، وعلى اى الدراسات تنفق هذه الاموال (مثل مجلس العلاقات الخارجية ، معهد او مؤسسة بروكنجز ـ لجنة التنمية الاقتصادية ـ مؤسسة راند للابحاث ـ معهد هادسون ••) •

كما يلاحظ ايضا ان جماعات البحث والتخطيط هذه تضم دائما شخصيات كبرى تتربع فى قمم السلطة ، تمثل الحكومة والشركات والمؤسسات الصناعية والبنوك والصحافة ورجال القانون ، للتوصل الى تصور جماعى حول المشكلة المطروحة ايا كانت والخطط اللازمة لحلها • وحينئذ ، فانه فضلا عن اشتراك اجهزة الاعلام بممثلين عنها فى مرحلة التخطيط والدراسة ، فانها تتولى بعد ذلك المرحلة التالية •• مرحلة اعداد الراى العام داخل امريكا وخارجها للتغيير المطلوب احداثه • ثم تاتى بعد ذلك مرحلة اللجان الخاصة التى يشكلها الرئيس او التى يتم تشكيها علىمستوى الحكومة او الكونجرس بمثابة دعم اضافى • او بمثابة لمسة جمالية ، لتقرر وتؤكد مرة اخرى ما انتهت معاهد الابحاث ومجموعات التخطيط من قبل الى تاكيده • وتظهر امام هذه اللجان عادة عينات نمطية من المجتمع الامريكى تدلى بآرائها وشهاداتها ••ممثلون من العمال ، وعن السود ، وعن الطلبة ، وعن المراة •• الخ تعبىء كلها التاييد الجماهيرى اللازم للسياسات الجديدة ، منعكسة كلها علىشاشات التليفزيون وفىتعليقات الصحف•

وياتى دور « صانعى السياسة عن قرب » فى المرحلة النهائية ، لوضع هذه السياسات فى صورتها التشريعية •• وفى صورة قوانين وقرارات ولوائح • تبدو فيها المناقشة والمنافسة والمساومة، والاغراء والتهديد،والهجوم والدفاع،لتؤكد صيغة « التعدد » فى النظرية السياسية الامريكية • ولكن هذا كله يحدث بعد ان يكون جدول اعمال السياسة الجديدة قد استقر ، وتحددت ملامح التغييرات الاساسية فيها • ولا يعنى هذا انالمرحلة النهائية من « صنع السياسة عن قرب » مرحلة غير هامة ، ولكنها تميل فى اغلب الاحوال الى التركيز على « الوسائل » وليس على «الاهداف»•

■■

سلامة احمد سلامة
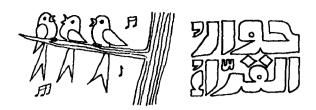
علماء العرب والسرطان

● نشرت مجلة «العربى» - عدد ديسمبر/٧٦ - فى باب « انباء الطب والعلم » : « ان مركز الأبحاث الميكروبيولوجية فى بورتون بانجلترا يقوم بابحاث عن استخدام انزيمى الجلوتامينيز والاسبارجينيز وتاثيرهما على نمو السرطانات تحت اشراف ف٠هـ٠ويد ٠٠ »وانه ليشرفنى اناذكر ان مثل هذه الأبحاث كانت قد اجريت بادىء ذى بدء فى الولايات المتحدة الامريكية بكلية طب سان فرانسيسكو تحت اشراف ، الدكتور دافيد جرينبرج بالاشتراك مع اثنين من الباحثين العرب المصريين٠٠ وكنت انا واحدا من هذا الفريق ، واستطعنا تحضير انزيم يقوم بعمل كلا الانزيمين من بكتريا خاصة امكن تحضيرها ٠٠ فى الوقت الذى كان فيه عدد من الباحثين يعمل فى هذا المجال ، واستطاعوا تحضير الانزيم من مصادر مختلفة ٠٠ وقد نشرت جميع هذه البحوث فى المجلات المتخصصة مثل مجلة Cancer Research .

ذلك يؤكد ان علماء العرب لهم باع فى مجال البحوث العلمية يقف جنبا الى جنب مع علماء العالم بل اننا سبقناهم فى هذا المجال بحوالى احد عشر عاما ، عندما تهيأت لنا الظروف والامكانيات والمناخ العلمى المناسب ٠

د ٠ محمد فريد الأسمر

استاذ الكيمياء الحيوية/كلية طب عين شمس - القاهرة

العرب وليس غيرهم

● اثناء عملى المدرسى فى الريف اليمنى ، كنت القى درسا فى العلوم حول مرض الجدرى وطريقة التطعيم ضده وادوارد جنر مكتشف الطعم، عندئذ قيل لى ان الاهالى يختزنون كميات من جراثيم الجدرى فى زجاجات وعلب صغيرة ٠٠ واستوضحت الأمر ، فاخبرنى طبيب شعبى ، وهم كثر فى البوادى والارياف العربية ، انه يتم الحصول على تلك الجراثيم من صديد وقيح الأشخاص المصابين بالمرض مباشرة ، ثم يحفظونه ويطعمون به ابناءهم واقاربهم فى حالة عدم ظهور وباء الجدرى٠ وقد افاد هذا الشخص وهو يبلغ نحو التسعين من العمر « ان هذه الطريقة متعارف عليها من عهد اجداد اجدادنا » ٠

انه لمن العيب ان نعلم ابناءنا كيف ينسون الاعتزاز بحضارتهم ، وانى اناشد المهتمين والمتخصصين فى هذا المجال البحث والاستقصاء للحقائق ، لعلهم ينسبون هذا الاكتشاف للعرب وليس لادوارد جنر ٠

عبد الرحمن عمر بفلح

سيئون/اليمن الديمقراطى

« هؤلاء الدكاترة »

● اضافة الى ما كتبه فهمى هويدى تحت عنوان « هؤلاء الدكاترة » ، اقول ان بعض الجامعات الامريكية الغت شهادة الدكتوراه فى فروع معينة٠ مثل العمارة مثلا ٠ لان التجربة العملية تفيد فيها اكثر من البحث الاكاديمى ٠ هذا فقط لعلم اللاهثين وراء اللقب ٠

مروان عبد القادر

نيوجيرسى - الولايات المتحدة الامريكية
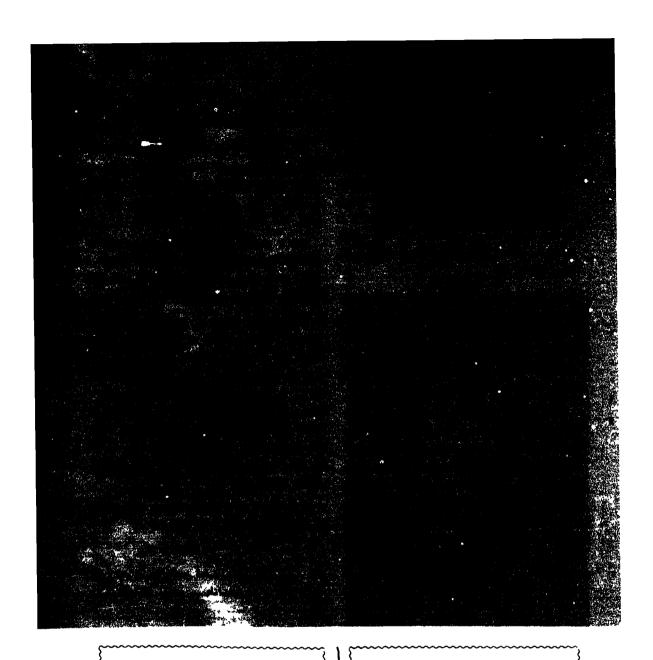
شمس الله وشمس العرب

● اخطاتم في مسابقة العدد ٢١٠،عندما ذكرتم اسم كتاب بعنوان « شمس الله تسطع على الغرب»للمستشرقة الالمانية المعروفة زيجريد هونكة· ان الترجمة الحقيقية لاسم الكتاب هي « شمس العرب تسطع على الغرب » ولكن الذين ترجموا اسمه اسقطوا اسم العرب لغرض في نفوسهم لا يخفى عليكم ·

نزار سكر/دمشق

اعجاز القرآن

● اقترح ان تخصص مجلة « العربي » صفحة او صفحتين للبحث في موضوع اعجاز القرآن ·· ولا يخفى عليكم ان القرآن الكريم يحوي بين دفتيه الكثير من اسرار الكون التي تعد سبقا للقرآن في بعض الامور والظواهر العلمية للكون والحياة ·

سيف الدين اشقر
اللاذقية ـ سوريا

نزهة العقل الذكي

العاب سريعة :

خمسة من واحد

● هل تستطيع تقسيم المربع المرسوم الى خمسة اجزاء ، بحيث تحصل في النهاية بعد اعادة ترتيب هذه الاجزاء ، على شكل يضم خمسة مربعات متساوية المساحة .

اثنان في واحدة
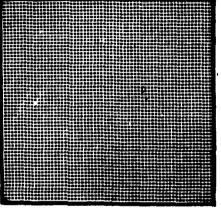
● اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، ستجد في (٨) افقيا اسم عالم طب وكيمياء عربي شهير ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم غازي شهير في التاريخ .

الكلمات الافقية :

(١) دولة افريقية ـ من افراد مملكة الحيوانات الاولية .

(٢) الاسم القديم لفرنسا ـ تسويف .

(٣) غير طاهر ـ تخمنون ـ نصف كلمة (رماح) .

(٤) كبير آلهة آشور ـ شاعر انجليزي حارب في صفوف اليونان ضد الاتراك .

(٥) لذنا ـ اشتبك معنا في القتال .

(٦) مخلوقات سفلية ـ تساوي ـ ترسلك .

(٧) تجدها في (همس) ـ عاصمة عربية ـ اغراض .

(٨) عالم طب وكيمياء عربي شهير .

(٩) نداء شائع ـ من اجزاء الجهاز الهضمي محمود العقاد .

(١٠) مؤتمر وضع فيه الحلفاء سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي ـ يلعب .

(١١) فرد ـ اخمدها ـ نصف كلمة(اجوع).

(١٢) لفظة ضيق ـ في الغيمة ـ رسام فلمنكي شهير من القرن السابع عشر .

(١٣) عشق الذات ـ نجحت ـ نصف كلمة (راجت) .

(١٤) يشرب ـ من اعمال الكاتب نجيب محفوظ .

(١٥) من اشهر اعمال تشارلز ديكينز ـ عاشق .
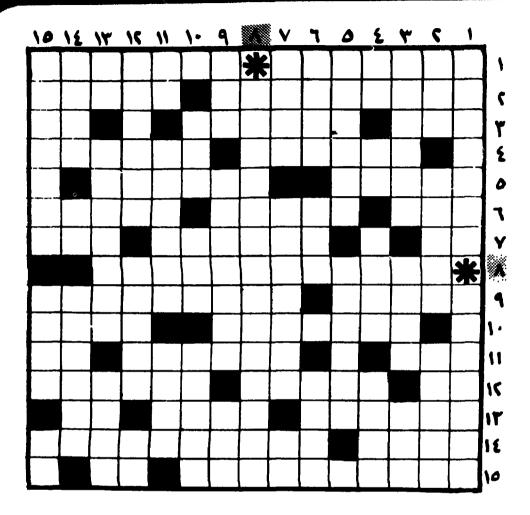
الكلمات الرأسية :

(١) فيلسوف اسلامى شهير ظهر فى غرناطة ـ دولة أوروبية على حوض البحر الابيض.

(٢) من احوال الماء ـ شاركه همومه ـ من الثمار .

(٣) من الزهور العطرية ـ من الاسماء الحسنى ـ حدث .

(٤) رغب ـ حرف نصب ـ فى البداية ـ انجد .

(٥) قاطعات ـ معرض يقام كل سنتين .

(٦) يكفر ـ كلمة (عكا) مبعثرة ـ منحت .

(٧) أصير ـ الاعلام ـ نصف كلمة (يوسف).

(٨) غازى شهير فى التاريخ .

(٩) نداء شائع ـ من اجزاء الجهاز الهضمى ـ من ادوات الفلاح .

(١٠) نتفوق ـ أغراض ـ عطلت .

(١١) قادم ـ قطعة ملابس ترتديها المرأة فى وسطها ـ تجدها فى كلمة (تقوله) .

(١٢) خط استحكام عسكرى دفاعى شهير فى الحرب العالمية الثانية ـ موسيقار عربى عاش فى الاندلس فى القرن الهجرى الثانى ـ حرفان متشابهان .

(١٣) نصف كلمة (يجيب) ـ رسام شهير من عصر النهضة الايطالى ـ يختبر .

(١٤) من دول القارة الامريكية ـ جواهر ـ جرح كرامتى .

(١٥) فى أعلى الاجسام ـ تختصر ـ نظير .

● من التاريخ

برج هانوى

● هذه اللعبة قادمة من الشرق الاقصى ، حيث الرصيد الكبير من الصبر والحكمة • ويقال أن هذا الشكل من اللعبة ، تبسيط شديد للعبة الاصلية التى يمثلها فى بنارس بالهند ، « برج براهما » •

يمكنك أن تعد نموذجا لهذه اللعبة ، يتكون من لوحة أفقية ، مثبت بها ثلاثة أعمدة رأسية ، وعلى أحد هذه الاعمدة ، توجد خمسة أقراص مثقوبة ، متناقصة فى قطرها ، وبحيث يكون القرص الاسفل هو الاكبر ، ويليه القرص الذى يصغره مباشرة ، حتى تصل الى القرص الاصغر على القمة •

المطلوب نقل هذه الاقراص المثقوبة من هذا العمود الى عمود آخر ،وبحيث يبقى للاقراص ترتيبها الاول • هذا بشرط : أن تحرك قرصا واحدا فى كل مرة ، وبحيث لا يستقر أى قرص فوق قرص أصغر منه ، فى أى مرحلة من مراحل نقلها •

على سبيل التوضيح : نفرض أن عدد الاقراص ثلاثة فقط ، وليس خمسة ، أكبرها رقم ١ ، ثم رقم ٢ ، وأصغرها رقم ٣ • وأن الاعمدة هى أ ، ب ، ج ، وأن الاقراص حول العمود أ • يكون الحل على الوجه التالى :

٣ الى ج ـ ٢ الى ب ـ ٣ الى ب ـ ١ الى ج ـ ٣ الى أ ـ ٢ الى ج ـ ٣ الى ج • وهذا يعنى أن اقتصار اللعبة على أقراص ثلاثة يقتضى ٧ حركات •

والان ، حاول مع الاقراص الخمسة ، لنرى بعد كم حركة ستتمكن من نقل الاقراص كلها من العمود أ الى عمود آخر بنفس الترتيب ، مع التزام الشروط الموضحة •

ملوحظة : هناك قاعدة تفيد فى تسهيل الحل • اذا افترضنا أن الاعمدة أ ، ب ، ج ، تصنع رءوس مثلث ، وكانت الحركة الاولى للقرص رقم ٥ العلوى فى اتجاه عقارب الساعة ، احرص على أن تكون حركة الاقراص ذات الارقام الفردية فى اتجاه عقارب الساعة، وحركة الاقراص ذات الارقام الزوجية ضد حركة عقارب الساعة ، وذلك فى كل حركة تقوم بها •
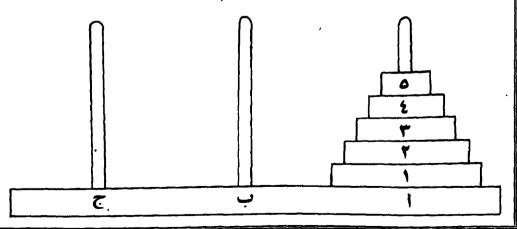
اللعب بالحروف :

عش النحل

الكلمات ذات الستة الحروف التى نعطى معانيها فيما يلى ،توضع حروفها فى الخلايا المحيطة بالارقام المناظرة ،وفى اتجاه عقارب الساعة (كما هو موضح بالسهم) • والحرف الاول من الكلمة الاولى ، يوضع فى الخلية المشار اليها بالزهرة •

(١) من الخلفاء الراشدين •

(٢) قطر عربى •

(٣) جزيرة شهيرة فى المحيط الهادى الجنوبى •

(٤) كاتب مسرحى روسى شهير راحل •

(٥) من امارات الخليج •

(٦) من انواع الخط العربى •

(٧) اباغته •

(٨) اسالكم •

(٩) لقب مؤلفة رواية « جاين اير » •

(١٠) تجاوز الحد •

(١١) اوراق رسمية معتمدة •

(١٢) البالغ •

(١٣) شهر ميلادى •

(١٤) الحفل الريفى •

(١٥) تندمون •

(١٦) قربته •

(١٧) ملبى •

(١٨) من اشهر اعمال طه حسين •

(١٩) تتكون منها الكلمة •

(٢٠) عاصمة البانيا •

(٢١) نعبره •

(٢٢) احلامه •

(٢٣) من الحرفيين •

(٢٤) اللغة •
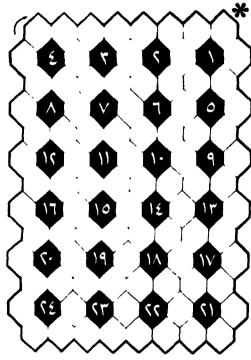
● النجمة والسهم ●

● ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة،بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى يوجد بها السهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لشاعر عربى راحل ، ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم،ورتبها لتصنع لقب ذلك الشاعر •

الكلمات الافقية :

(١) عاصمة دولة آسيوية ذات تاريخ •
(٢) طائر مفرد •
(٣) انثى •
(٤) عاصمة بوليفيا •
(٥) متدفق •
(٦) صفة ـ حرف نفي الاستقبال •

الكلمات الرأسية :

(١) آلات ايقاع •
(٢) حرف استفهام ـ رجاء •
(٣) قادة سفن •
(٤) من الاحجار الكريمة •
(٥) ينمحى •
(٦) حرفان متشابهان ـ من الحبوب •
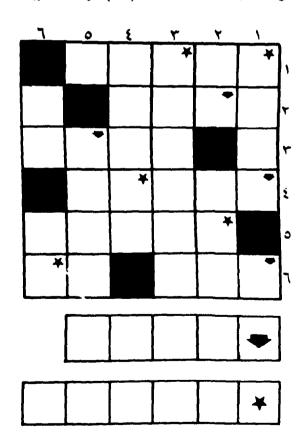
حاول ان تعرف ؟

من ملاحظة العلاقة التي بين الاشكال فى كل صف من الصفوف الافقيـة الثلاثة ، حاول أن تعرف أيا مـن الاشكال ذات الارقام يجب أن يحـل محل علامة الاستفهام ٠
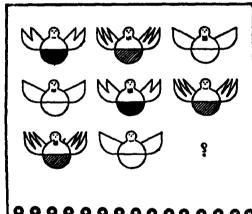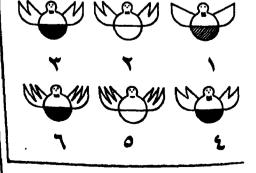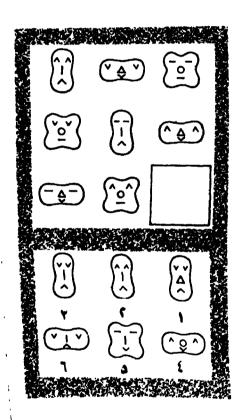
● من ملاحظة العلاقة بين الاشكال فى الصفوف الافقية الثلاثة ، حاول ان تعرف اى الاشكـال ذات الارقام ، يجب ان يحتل المربع الفارغ ٠ يمين الصف الثالث ٠

● للعقل فقط ●

استاذ نبيه يسأل
من هو نائب رئيس الجمعية

● قال رئيس الجمعية لضيفه الصحفى « ان جمعيتنا ، اشبه بالاجتماع العائلى ، فاعضاؤها خمسة فقط وكلهم من الاسرة ، وقد وزعت علينا المناصب القيادية فى مجلس الادارة،ما عدا احدنا الذى لم تبق له اية وظيفة •

الاستاذ داود هو والد زوجتى • والسيدبسام هو زوج شقيقتى • كما ان نائب رئيس الجمعية ينوى ان يتزوج ابنة عمى • وزوجة السيد منير هى شقيقة سكرتير الجمعية • وارجو ان تقبل العشاء معنا اليوم ، لنتحدث عن نشاط الجمعية واهدافها•سيكون معنا على العشاء امين الصندوق والسيد منير والسيد بسام » •

قبل الصحفى الدعوة ، واستفاد كثيرا من لقاء العشاء ذلك • وفى اليوم التالى ، أصر ثلاثة من أعضاء النادى على دعوته لتناول الغداء معهم • وكان من بينهم السيد سامى الذى التقى به لاول مرة ، ثم السيد جلال والسيد بسام •

هل يمكنك ان تحدد اسم الشخص الذى يشغل وظيفة نائب رئيس الجمعية •

« الحل »

(١) الرئيس ليس هو داود او بسام او منير ، كما انه ليس سامى (الذى كان حاضرا العشاء • اذا فالرئيس هو جلال •

(٢) امين الصندوق ليس هو منير او بسام ، وليس جلال ، ولا سامى (الذى كان حاضرا العشاء) • وعلى ذلك فامين الصندوق هو داود •

(٣) منير ليس امين الصندوق ، ولا الرئيس ، ولا السكرتير (فهو متزوج من اخت السكرتير) ، ولا نائب الرئيس (فنائب الرئيس لم يتزوج بعد) اذا فهو الذى بلا وظيفة •

(٤) بسام متزوج فهو ليس نائب رئيس الجمعية ، ويكون هو السكرتير •

(٥) يبقى ان سامى هو نائب رئيس الجمعية•

الحلول

برج هانوى

فى حالة الاقراص الخمسة يكون عدد الحركات المطلوبة ٣١ حركة ، على الوجه التالى :

٥ الى ب ـ ٤ الى ج ـ ٥ الى ج ـ ٣ الى ب ـ ٥ الى ا ـ ٤ الى ب ـ ٥ الى ب ـ ٢ الى ج ـ ٥ الى ج ـ ٤ الى ا ـ ٥ الى ا ـ ٣ الى ج ـ ٥ الى ب ـ ٤ الى ج ـ ٥ الى ج ـ ١ الى ب ـ ٥ الى ا ـ ٤ الى ب ـ ٥ الى ب ـ ٣ الى ا ـ ٥ الى ج ـ ٤ الى ا ـ ٥ الى ا ـ ٢ الى ب ـ ٥ الى ب ـ ٤ الى ج ـ ٥ الى ج ـ ٣ الى ب ـ ٥ الى ا ـ ٤ الى ب ـ ٥ الى ب •

عش النحل :

الحل كما هو مبين بالشكل •

اثنتان في واحدة :

(٨) افقيا : ابو بكر الرازى • حجة الطب فى أوروبا حتى القرن السابع عشر الميلادى ، واعظم اطباء القرون الوسطى • وضع اكثر من ٢٢٠ مؤلف فى الطب والكيمياء ، اشهرها « سر الاسرار»فى الكيمياء ، و«الحاوى»و«المنصورى» فى الطب •

(٨) راسيا : اسكندر المقدونى • تلميذ ارسطو ، خلف اباه فيليب وصمم على فتح امبراطورية الفرس ، فانتصر عليهم فى ابسوس ، واستولى بعد ذلك على صور ومصر واسس الاسكندرية عام ٣٣٢ ق•م• ، ويعتبر من اعظم الغزاة واشجعهم •

حاول أن تعرف :

الشكل المطلوب هو رقم ٣ (عندنا ثلاثة اشكالا للوجه ، وثلاثة انواع للانوف ، والعواجب والافواه • وكل شكل من هذه الاشكال لا يتكرر فى صف واحد) •

حاول أن تعرف

الشكل المطلوب هو رقم (٣) : عدد الاجنحة ٢ ، النصف الاسفل أسود ، تحت الراس خطان •

شاعر عربى راحل :

خليل مطـران •
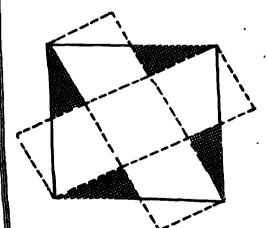
الظهار : اوجاع الظهر

المؤلف · الدكتور راجى عباس التكريتى
الناشر . مكتبة المثنى / بغداد ·

● هذا الكتاب (٣٥٠) صفحة من القطع الكبير ، تناول فيه مؤلفه «الظهار» اى « اوجاع الظهر » على اختلاف انواعها واسبابها ، وبسط القول فى كل منها قليلا ، بحيث جعل فهمها قريبا الى القارىء العام ، وقد شجعه على اظهاره – كما قال فى المقدمة – انتشار هذه الاوجاع التى تقلق المرضى ، وتحير الاطباء فى تشخيصها وعلاجها · وكان يريد اولا اخراج فكرته فى كراسة ، ولكنه وجد – انقاذا للمرضى والاطباء من حيرتهم – انيتناول الموضوع ببعض التفصيل ، ليرشد بملاحظاته المريض والطبيب ، فجاء كتابه مستوعبا لكل جزء فى الظهر ، فوضحه ووضح ما يطرا له من امراض ، مع بيان اسباب كل مرض واعراضه ، وقد ذكر فى هوامش كتابه كل مراجعه الاختصاصية وهى كثيرة ·

صفحات من التطور التاريخى لتعليم الفتاة فى الكويت

تاليف : مريم عبد الملك الصالح
الناشر : مكتبة دار الفكر – الكويت ·

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث موضوعا لم يطرق من قبل وهو التطور التاريخى لتعليم الفتاة بالكويت ، وصاحبة هذه الدراسة مارست التعليم منذ بدايته هنا ، فهى المعلمة الكويتية الاولى ، وهذه الصفحات تصور فى امانة حالة التعليم التى كانت سائدة فى الكويت قبل عصر النهضة ·

والمؤلفة تروى بصدق وامانة ودقة – تطور تعليم الفتاة فى الكويت قبل عام ١٩٥٠ وهى الفترة التى عاشتها وعاصرتها متعلمة ومعلمة ،

وقد قسمت المؤلفة كتابهاقسمين رئيسيين اولهما تعليم الفتاة حتى عام ١٩٣٨م وهو يتناول التعليم القديم الذى كانت تمارسه « المطوعة » ثم تطور قليلا الى « الملاية » ، وقد اعطتنا المؤلفة صورا لما كانت تمارسه كل من المطوعة والملاية ونظام التعليم عندهما ثم حالة الدارسات وزيهن وطرق تلقيهن الدروس عن المطوعة والملاية وحفلات الختام والموالد وغيرها واسماء المطوعات والملايات ·

اما القسم الثانى من الكتاب فيتناول التعليم الحديث اى منذ عام ١٩٣٨ حتى عام ١٩٥٠ وتدرجه وتطوره وشروط الانتساب اليه ودور الدولة فى تدعيمه وتقويته .

تلقيح فهوم اهل الاثر فى عيون التاريخ والسير

تاليف : الامام عبد الرحمن بن الجوزى
الناشر : مكتبة الاداب – الجماميز – القاهرة·

● هذا الكتاب فى نحو ٨٠٠ صفحة ، وهو اشبه بموسوعة اسلامية مختصرة فى سيرة النبى عليه السلام وسير صحابته وتابعيه وخلفائه من الراشدين والامويين والعباسيين حتى الخليفة الناصر لدين الله المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، قبل سقوط بغداد فى يد التتار بثلاثين سنة · ومما يمتاز به هذا الكتاب انه يذكر الرجال والنساء الذين عرفوا باسمائهم وحدها دون اسماء آبائهم معها ، والصحابة الذين اشتهر كل منهم بنسبته الى ابيه او قريبه دون معرفة اسمه او كنيته ، وقوائم باسماء رواة الحديث الذين نقل عنهم البخارى ومسلم واصحاب غزوة بدر ، ومن نزلوا من الصحابة فى البلاد المفتوحة ، لكل طائفة منهم قائمة على حدة وقوائم بطبقات اهل الاخبار والقصص والتفسير سواء كان من الصحابة والصحابيات وغيرهم · ولم يفته بيان خلقهم وخلقهم وصفاتهم وصورهم وكناهم والبارز من اعمالهم ، ثم هو يتكلم عن القابهم وانسابهم واولادهم وازواجهم وتاريخ مولدهم ووفاتهم ·ثم يذكر الاحاديث التى تدور عليها ابواب الفقه وعدد الاحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

■■

من المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول مارس ١٩٧٧

٩٠

لكل عالم هفوة

تأليف : الكسندر استروفسكي

ترجمة وتقديم : د. فوزي عطية محمد

مراجعة : د. [illegible]

وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ
الوقت
بدقة
WEST END WATCH Co
W
EVERBRIGHT
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
UNIVERSE
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة - دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ - تلفون ٤٣٣٥٨٥

شاحنات كرايزلر
تفهم لسانكم كل الفهم

لايوجد من هو أدرى بشؤونكم منّا . ولامَن هو أقدر على سدّ إحتياجاتكم بغاية الإتقان والدقّة ..
وذلك بفضل الخبرة الشاملة التي اكتسبناها في صناعة الشاحنات على الصعيد العالمي .
الشاحنات التي نصنعها في مختلف أنحاء العالم .. في الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وإسبانيا ، واليابان ،
يسلّم العالم كله بروعة تصميمها وإتقان هندستها .
شاحنات مصنوعة من أجود المواد ومختبرة في أقسى الأحوال التي يمكن مجابهتها في أي بقعة من بقاع العالم . من سيارات التوزيع الخفيفة إلى الشاحنات الجبارة .. ومن الباصات الصغيرة إلى سيارات السفر الفخمة التي تطوي الأميال على الطرقات المديدة .
اختاروا من مجموعتنا الهائلة ما يناسب احتياجاتكم بشكل مثالي .

عزيزي القارئ

● كان شهر مارس هو شهر المطبعة بغير منازع . طوال الشهر كانت عيوننا عليها ، وقلوبنا مع العاملين فيها ، وآمالنا معلقة على نتيجة السباق الذى يجرى داخلها . ذلك أننا تلقينا خلال الشهور الاخيرة عديدا من البرقيات والخطابات وشركات التوزيع التى تطلب المزيد من اعداد «العربى» فى مشرق وطننا العربى ومغربه ، وتلقينا شكاوى من أن اعداد العربى تباع فى السوق السوداء ، وتختفى فور وصولها . وزاد على ذلك أننا تلقينا خطابات اخرى من بعض الدول الاوروبية والولايات الامريكية تطلب كميات متفاوتة من اعداد العربى لتوزيعها .

ورغم أن سعادتنا كانت غامرة بما تلقينا من رسائل وعرض، وحتى بما تلقيناه من شكاوى ، الا أن ألمنا كان شديدا لاننا لسنا فى موقف يسمح لنا بتلبية كل هذه الطلبات والرغبات .

لقد كان المطلوب زيادة عدد النسخ المطبوعة من المجلة ،وكانت المشكلة التى تحول دون تحقيق هذا المطلب هى ان المطبعة مثقلة بأعباء جسيمة ، ومسئولة عن طباعة مواد لا حصر لها لجهات كثيرة فى الكويت،وكلها ارتباطات لها اهميتها .ومن الطبيعى ازاء هذا كله ، وبعد أن وصلت المطبعة الى حالة التشبع ، ان تعتذر عن بذل اى جهد جديد ، ايا كانت مبرراته وضروراته .

ورغم هذا كله لم نفقد الامل . جرت اتصالات فى اتجاهات مختلفة ، كان هدفها توضيح الموقف للمسئولين عن المطبعة ، ووضع الحقيقة أمامهم . ولم تستغرق مناقشاتنا طويلا حتى اسفرت عن اتفاق لزيادة المطبوع من المجلة بنسبة ٢٠٪ ابتداء من شهر ابريل .. وكان ذلك يعنى ان تتحمل المطبعة والعاملون فيها عبئا اضافيا ، كانوا فى غنى عنه . لكنهم مع ذلك التزموا بالاتفاق ، وبذلوا فوق طاقتهم حتى تكون العربى فى ايدى اكبر عدد يطلبها من القراء ، فى اليوم الاول من الشهر .

واذا كان هذا الهدف قد تحقق فى اول ابريل ، استجابة لرغبة الوف القراء فى داخل الوطن العربى وفى خارجه ، فالفضل الحقيقى فى ذلك لايرجع الينا . ولكن اصحاب الفضل هم اولئك الجنود المجهولون . الذين ادوا واجبهم بامانة واخلاص،وهو مايشجعنا على ان نطلب منهم فى المستقبل .. المزيد ! ■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اجتماع وفلسفة :

طب وعلوم :

استطلاعات :

ادب وتراث :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 221 APRIL 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر

صورة الغلاف :

● على صفحات هذا العدد رحلة مع فنان مصري عربي هو عبدالغني ابو العينين الذي يسجل بريشته وبتصميماته الديكورية العديد من ملامح الحياة المصرية ، الشعبية بوجه خاص • وصورة الغلاف تمثل احدى اللوحات التي رسمها الفنان لاهل النوبة جنوبي اسوان ، قبل ان تغطيها مياه السد العالي •

(انظر ص ١١٦)

شخصيات :

شعر :

كتب :

قصص :

فنون :

ركن الاسرة والمرأة :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا • سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش • الاردن ١٠٠ فلس • السعودية ريالان سعوديان • السودان ١٠ قروش • ج•م•ع ١٠ قروش • تونس ٢٥٠ مليما • الجزائر ٢ر٥ دينار • المغرب ٢ر٥ درهم • اليمن ٢ر٥ ريال • ليبيا ١٥٠ درهما • جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس •

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها . ص • ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان •

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر •

نحو.. نظرية أمن

جبهات الهجوم علينا

● لست احب ان يظن القارىء العزيز ، انني انظر الى المستقبل العربي نظرة قاتمة ، وانني لذلك احب ان اطلع عليه اول كل شهر بحديث ملؤه التحذير والنذر ٠

كلا ٠ انني على العكس متفائل بالمستقبل العربي ٠ متفائل باليقظة الشاملة في الضمير العربي العام ٠ متفائل بالتطلعات العربية حتى وان كانت متعجلة٠متفائل بالامكانيات المتاحة للامة العربية ماديا وبشريا ، مهما شابها من فوضى او سوء استعمال او اهدار ٠

واذا كنت أميل الى جانب التحذير ، فانه لهذا السبب ذاته ٠ فلوكانت الامة العربية كمية مهملة ، او كانت ارضها عاقر ، او عقلها غافل ٠٠ او خالية من التطلعات ٠٠ اذن لما اهتم بها في العالم أحد ، ولما تربص بها عدو ، ولا احاطت بها اطماع ٠

ولكن بقدر امكانيات الامة العربية الواسعة ، وبقدر طموحاتها المشروعة،وبقدر ما لها من سابق تاريخ يثبت قدرتها على النمو والقوة والابداع،بقدر ما علينا أن نتصور المخاوف التي تثيرها هذه الامور لدى الآخرين ٠ وما يمكن أن ترتبه هذه المخاوف والتوقعات لديهم من سياسات ٠٠

بقلم : أحمد بهاء الدين

عربية شاملة

تتزايد .. ونحن لا نتحرك بالسرعة الكافية

من اجل ذلك فانني لست احب أن ينام المواطن العربي علـــى حرير من الرضا عن النفس ، والاطمئنان الى المستقبل ٠

اننا مازلنا نعيش في عالم لا تسوده السلوكية الاخلاقية ، ولا قواعد القانون الدولي ٠ ولا مبادىء العدالة الانسانية ٠ نحن نعيش في عالم سيظل زمنا طويلا تحكمه شريعة الغاب ، والظفر والناب ٠

واذا كانت بعض العلاقات الدولية تبدو اكثر « تشذيبا » مما مضى ، فهذا مظهر فقط ٠ وتغير في الاساليب لاغير ٠ الاساليب غير المباشرة اليوم اخطر مائة مرة من الاساليب المباشرة٠ المواجهات المباشرة كانت على الاقل ظاهرة للعيان ، اما اليوم فاسلحة الفتك بدولة ما او بمجتمع ما ، ليست فقط محصورة في الاسلحة والجيـوش ، ولكن لهـا اسلحة اخرى ما خفي منها هو الاعظم٠ ابتداء من افساد الذمم والضمائر على مستويات عالمية ٠ الى تاليب عناصر الفتنة والتخريب بأيد مجهولة خفية ٠ الى الايقاع بين الاخوة والجيران ٠ الى اثارة الحروب المحلية التي يستفيد منها طرف ثالث بعيد ٠ دون ان تتلوث يداه ٠

ورجوعا الى ما سبق أن قلته في هذه الصفحات ، واكرره ، من أن ثمة حربا صليبية شاملة ـ بالمعنى الحديث ـ تشن حاليا على العالم

والاستراتيجية تفترض ربط اجزاء العالم العربي بشتى انواع المواصلات ، ليس بالطائرات وحدها ، ولكن بالطرق البرية والسكك الحديدية ، حتي تترابط شرايين الوطن العربي ترابطا ينعكس على صحته في حالات السلم والخطر على السواء ...

وهكـذا ...

وهذا يجرنا الى زاوية اخرى من زوايا الهجمة الشاملة المتنوعة المصادر والاغراض ، على الامة العربية ..

تلك هي الهجمة ، او الهجمات ، من الداخل ...

انني من اشد الرافضين لفكرة القاء اللوم دائما على الغير ، وبالتالى اعفاء انفسنا من المسئولية ..

ولكن هذا لايجب أن يقودنا الى سذاجة تجعلنا ننكر أن ثمة أيد اجنبية كثيرة تتحرك بشتى الوسائل المعقدة ، لاحداث انواع من الصراعات الداخلية في بلادنا ...

.. والا ، فكيف تقبل عقولنا ان نجد في هذه الظروف بالذات جيوشا عربية تواجه جيوشا عربية ... على حدود بين اقطار شقيقة ... في اكثر من مكان من الوطن العربي ؟

.. وكيف تقبل عقولنا توالي الفتن ، باشكال شتى ، من حروب اهلية الى درجات اقل ، في سلسلة من الاقطار العربية في هذه الظروف نفسها ؟

... وكيف تستريح ضمائرنا ، ونحن نرى ما نرى ، اى ان ما هو أشد هولا قد يكون كامنا في طريقنا ، وان لم يتبين لنا ذلك بعد ؟ ...

ان خطة اسرائيل في التوسع تقوم في الدرجة الاولى على اساس تمزيق الكيان العربي من الداخل ..

والاساليب المؤدية لذلك كثيرة جدا ، وليست مباشرة بالطبع ، ولكن لها مسارب خفية تصل الى استخدام بعض العرب ضد بعضهم وهم لا يعرفون ..

ولاسرائيل حلفاء اقوياء في هذا المجال ، في القارات الخمس !

فمتى تقف الحرب الاهلية العربية نهائيا ؟

والا فكيف يمكن ، قبل ذلك ، الحديث جديا ، عن نظرية امن عربية جديدة ؟

●●

احمد بهاء الدين

حينما يصبح التلفزيون عالمياً

بقلم : الدكتور على الراعى

■ فى زحمة الاخبار الكثيرة التى تطرق اذاننا واسماعنا على مدار الساعةضاع خبر صغير طريف اذاعه تليفزيون الكويت فى احدى امسيات شهر يناير الماضى ٠

يظهر الخبر صورة جهاز استقبال تليفزيونى صغير فى حجم الكف أو اصغر ، يعمل بالبطارية العادية، توصلت الى انتاجه احدى الشركات البريطانيةبعد سنوات من البحوث والتجارب ، فحققت بهذا حلما طالما راود الكثيرين : تليفزيونا متنقلا،يعملمستقلا عن مصادر الكهرباء ، او بطاريات السيارات الثقيلة الوزن ٠

ليس هذا نبا عاديا من انباء«النوفوتيه»،ولكنه بشير بتطور كبير ومثير فى عالم الاذاعة المرئية ، سوف يكون بمثابة الفصل الثانى من الثورة الكبرى التى استحدثها ظهور راديو الترانزيستور فى حياة الملايين ٠

ولنتصور معا ما يمكن ان يحدث لو انتقلت برامج التليفزيون الى الاماكن النائية ، فاصبح فى امكان الملايين فى الحقل والشارع والسيارة والسوق والواحات الصحراوية والجزر البحرية النائية ان يلتقطوا برامج المحطات التى تبث فى اماكن تواجدهم ٠

اى امل للملايين يمكن ان يحمله هذا الابتكار الهام ؟ برامج محو الامية التى كانت حتى الان تبث لمن لديهم كهرباء فقط فلا تصل ابدا الى اكثر الناس احتياجا لها ، يمكن من الان فصاعدا ان توجه للملايين الصامتة عبر تليفزيون البطارية الصغيرة ٠ الاخبار المصورة والبرامج العلمية والثقافية ، والتمثيليات والمسرحيات والاحداث الرياضية الهامة يمكن الان ان تصل الى الجميع بسهولة ٠ الاحتكار الثقافى الذى كانت تتمتع به العواصم والمدن الكبيرة سينهار من اساسه ، مع كل مرحلة من مراحل انتاج هذا الجهاز الجديد الفريد ٠فلا ريب أن ثمنه المرتفع سوف ينخفض مع زيادة الانتاج ، وشاشته الصغيرة قد تكبر شيئا ما بحيث تصبح مشاهدة البرامج اقل انهاكا للعين ٠ فاذا اضيف لهذا كله امكانية انتاج اجهزة من هذا النوع تستقبل الاذاعات الملونة ، فقد كملت القصة فصولا ، واصبح كل ما فى العاصمة الكبرى من متاع فكرى وفنى واجتماعى فى جيوب الملايين ٠

اهذا تطور للخير ام لعكسه ؟

إلى الذين يرفضون..

قائلين..

حسبنا ما وجدنا

بقلم : الدكتور محمد احمد خلف الله

■ هذه احدى المقولات التى سجلها القرآن الكريم عن المشركين من أهل مكة .

لقد كانـوا حين يدعوهم محمد عليه الصلاة والسلام الى اعتناق دعوته الجديدة ـ الدعـوة الاسلامية ـ ويطالبهم بممارسـة الحياة علـى أساس مما تشتمل عليه من معتقدات دينية ومبادىء اخلاقية وقيم اجتماعية ومعايير سلوكية ، يتبينون فى الحال أنه انما يدعوهم الى احداث تغييرات جذرية فى الآراء والمعتقدات وفى التقاليد والعادات وفى القيم الاخلاقية والمعايير السلوكية ، التى توارثوها عن الآباء والاجداد ، ومضوا فى حياتهم اليومية وحياتهم العامة على أساس منها . ومن هنا راحوا يقولون له هذه المقولات التى سجلها القرآن الكريم عنهم .

قالوا له : هذا ما وجدنا عليه آباءنا .

وقالوا له : انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون .

وقالوا له : حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا .

وقالوا له غير ذلك مما يؤكد معارضتهم لـه وثباتهم على ما توارثوه عن الآباء والاجداد من آراء ومعتقدات .

والقرآن الكريم لم يسجـل ذلك عن مشركى قريش وحدهم ، وانما سجله أيضا عن الاقوام الذين سبقوهم ممن بعث الله فيهم أنبياء وأرسل اليهم مرسلين . يدعونهم الى جديد يحسن أن تمارس الحياة اليومية والحياة العامة على أساس منه .

لقد سجـل القـرآن الكريم عن هـذه الاقوام المقولات التالية :

قالوا : اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا .

قالوا : يا صالح ، لقد كنت فينا مرجوا قبل هذا ، اتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟

قالوا : يا شعيب ، أصلاتك تامرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل فى اموالنا ما نشاء ؟

وهذا الحرص من القرآن الكريم علـى تسجيل هذه المواقف من المشركين المكيين ومن سبقهم انما يدل دلالة قاطعة على أن القرآن الكريم انما يستهدف ابراز ظاهرة اجتماعية هى أنه عند كل حركة من
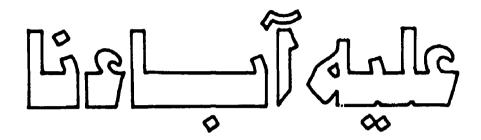
حركات التجديد تبقى هناك فئات ثابتة على القديم ولا ترغب فى تغييره ، ولا ترضى عنه بديلا ٠

هذه الفئة هى فئة المتخلفين المتمثلة فى الذين بقوا على يهوديتهم عند نبوة عيسى عليه السلام٠ وفى الذين بقوا على يهوديتهم وعلى مسيحيتهم بعد بعثة محمد عليه الصلاة والسلام ٠

وكان الناس قديما يسمون هذه الفئات المتخلفة بالتقليديين ، ويسميهم الناس اليوم بالرجعيين ٠

مع التغيير والتجديد

والقرآن الكريم لا يرضى عن مواقف التخلف هذه – اى لا يرضى عن التقليدية والرجعية ، وانما يرضى للناس تمثل الجديد والايمان به وممارسة الحياة على اساس منه ٠

وعدم رضاء القرآن الكريم عن هذه المواقف يتبين لنا من ذلك الحوار الذى اراد القرآن الكريم لمحمد عليه الصلاة والسلام أن يقيمه مع المشركين من اهل مكة بتوجيه من القرآن ذاته ٠وهذا الحوار يعتمد على اساسين من الفكر الاجتماعى لا يزال معمولا بهما حتى الآن ٠

ويتمثل الاساس الاول فى القيام بعمليات تقييم للقديم او للموروثات الثقافية لبيان مدى قدرتها على دفع الناس الى ممارسة الحياة على أساس سليم ٠

وعمليات التقييم هذهتستند الىالمعايير المستمدة من المنطق العقلى أو من الهداية الدينية٠ فالقديم الذى لا يستمد مقوماته من الحقائق العلمية التى هى نتاج عقلى ، أو من الحقائق الدينية التى هى هداية دينية لا يحرص عليه ابدا ويجب تغييره–أى استبداله بغيره ٠

ودليل هذا أن القرآن الكريم قد طلب الىمحمد عليه الصلاة والسلام أن يواجه المشركين بهذه المقولة الموضوعة فى اسلوب الاستفهام الانكارى٠

أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون؟

اى هل من المنطق فى اى شىء أن يمضوا فى الحياة على اساس مما توارثوه عن الاسلاف حتى ولو كان هؤلاء الاسلاف يمارسون حياتهم على اساس منالقيم غير المستمدة منالعلم ومن الدين٠

ان هذا لايليق بالانسان فىاية حالة منالحالات٠

ان قبول الجديد فى مثل هذا الموقف هو المنطق العقلى ، او هو المنطق الدينى ٠

أما الاساسالثانى فيتمثل فىعملية تقييمالجديد لبيان مدى امتيازه عن القديم ٠ وكونه اقدر منه

فى دفع الناس الى ممارسة الحياة بأساليب افضل واكمل .

والقرآن الكريم هو الذى يدلنا على هذا حين يطلب الىمحمد عليه الصلاة والسلام ان يرد على المشركين من أهل مكة مقولتهم بقوله تعالى : اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم .

ان هذه الفقرة تشير الى أن الجديد فيه فضل هداية . وانه من هنا يكون الايمان به ، وممارسة الحياة على اساس منه .

فالقديم لا يستبقى لانه قديم ، والجديد لايقبل لانه جديد ، وانما يستبقى كل منهم لما فيه من مصلحة ونفع للعباد .

والقديم قد يعتز به من حيث انه تراث ، ومن حيث انه من معالم الحضارة التى يفخر بها الانسان ويعدها من الامجاد ، وليس يلزم أبدا أن تمارس الحياة على اساس منه بعد أن انتهى ذلك الدور الذى كان يلعبه فى الحياة .. انه ان يلتزم به فى مثل هذه الحالة يصبح عقبة فى سبيل الحياة ويدفع بالانسان الى ذلك الموقف الذى لا يحمد ـ موقف التقليديين او موقف الرجعيين .

أسباب النصر

والحوار الذى سجله القرآن الكريم فيما بين المشركين منأهل مكه من جانب ومحمد عليه الصلاة والسلام او القرآن الكريم ذاته من الجانب الاخر كان لا بد من ان ينتهى او يبلغ غايته .

وانتهاء الحوار يكون فى العادة بانصراف المتحاورين كل فى سبيله مع ثباته على ما هو عليه ومن غير تراجع عنه ، او يكون بتسليم احد المتحاورين بوجهة نظر الاخر ـ الامر الذى يتحقق معه بلوغ الحوار غايته .

وما حدث فى امر محمد عليه الصلاة والسلامع المشركين هو انتصاره عليهم بدخولهم فى الاسلام، وممارستهم حياتهم اليومية وحياتهم العامة على اساس من مبادئه الدينية وقيمه الاخلاقية ومعاييره السلوكية .

وهذا النصر الذى حققه محمد عليه الصلاة والسلام فى هذا الميدان كانت له عوامله الثقافية والاجتماعية المتمثلة فى عدم قدرة الناس جميعا على ان يحدثوا التغييرات الجذرية فى ميادينالآراء والمعتقدات ، والتقاليد والعادات ، والقيم الاجتماعية والمعايير السلوكية ، فى وقت واحد وبمقادير متساوية .

ان التفاوت هناهو الظاهرة الثقافية او الظاهرة الاجتماعية. فقد يقبل بعض الناس علىالتغييرات ويعرض الاخرون عنها ، والذين يقبلون والذين يعرضون يتفاوتون فيما بينهم فى المدى الذى يذهبون اليه فى التغيير او يقفون عنده فى الثبات على القديم .

والقرآن الكريم يمضى على ان انتصار الجديد على القديم هو الظاهرة الدينية . فالنصر دائما للانبياء ومن صدقهم وآمن بما جاءوا به من معتقدات ومبادىء وقيم .

انا لننصر رسلناوالذين آمنوا فىالحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد .

وهذا التاكيد بالنصر من القرآن الكريم انما يقوم على اساس ان المولى سبحانه وتعالى لايبعث الانبياء ولا يرسل المرسلين الا على فترات يكون فيها الاعداد النفسى للانصراف عن القديم قد تم، ويكون فيها الاستشراف لتقبل الجديد قد وجد . والذى يؤكد هذا من أمر محمد عليه الصلاة والسلام ان المشركين من اهل مكة كانوا يتطلعون الى أن يبعث الله فيهم نبيا او يرسل رسولا . كما كان البعض منهم قد تخلص مما عليه قومه من آراء ومعتقدات ومن تقاليد وعادات .

كانوا يتطلعون الىان يبعث الله فيهم نبيا رسولا وذلك هو قوله تعالى: واقسموا باللهجهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم .

كان البعض منهم قد انصرفوا عنالقديم واخذوا يبحثون عن آراء ومعتقدات أخرى يحددون بها حياتهم بممارستهم الحياة على اساس منهاـ وهم جماعة المتحنفين الذين كانمنهم محمد عليهالصلاة والسلام .

جاء فى القرآن الكريم ، قل اننى هدانى ربى الى دين قيم ملة ابيكم ابراهيم حنيفا هو الذى سماكم المسلمين .

مراكز القوى فى مكة

وقبول أهل المدينة للديانة الجديدة فى سهولة ويسر انما يرجع الىان تهيئة الجو النفسىلاحداث

تغييرات جذرية كان قد تم بفضل وجود الاديـان السماوية بصورة واضحة فـي المدينة ، وبفضل تاثيرها على المجتمع المدني • اما في مكة فلم يكن الامر كذلك ، وانما كان على العكس من ذلك •

لقد كان في مكة من مراكز القوى ما لم يكن في المدينة •

كانت مكة هي المدينة المقدسة وفيهـا الكعبة التي يحج اليها الناس ، وهي المركـز الرئيسي لعبادة الاوثان •

وكان في مكة الاغنياء المترفون الذين كانـوا يقولون فيما حكى القرآن عنهم ، نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين •

وكان اهل مكة على هذا الاساس اكثر رفضا للتجديد باحداث التغييرات الجذرية مناهل المدينة ـ لكن هذا الرفض لم يستمر الا حين •

لقد قبل أهل مكة الجديد بعد تلك الانتصارات الباهرة التي حققها محمد عليه الصلاة والسلام ـوبخاصة فتح مكة ذاته •

لقد كان فتح مكة هو الايذان باعتناق العرب جميعا لهذا الذيجاء به محمد عليه الصلاةوالسلام من جديد •

لقد توقف العرب حين توقف اهل مكة ، واقبل العرب جميعا حين اقبل اهل مكة ، وسجل القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى : اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا •

والعقبات التي قامت في سبيل الدعوة الجديدة تتمثل في نوعين من الناس من المشركين •

النوع الاول همرجال الدين الذينكانوا يحرصون الحرص كله على أن تبقى مقاليد الامـور فـي ايديهم باعتبارهم اقدر الناس علـى الاتصـال بالالهة والتعرف على رغباتها • انهم لا يقبلون ان يفقدوا مكانتهم هذه بين الناس •

اما النوع الثاني فهم الاغنياء الاقوياء الاشداء الذين تطالبهم الدعوة الجديـدة بالتنـازل عـن امتيازاتهم التي لا تتفق والعدل السماوي •

انهم الاخرون يرفضون من اجل الابقاء على مكانتهم الاجتماعية • وامتيازاتهم في الحياة • غير أن ذلك كله لم يثبت امام الجـديد الذي ما وجد الا من اجل هداية الناس الى الحقوالعدل والخير العام •

وصدق الله العظيم حينوجه محمدا عليه الصلاة والسلامالى أنيقول للرجعيين التقليديين المتمسكين بالقديم : اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليـه اباءكم •

ان الواجب ان نهتدي بهدى القرآن في موقفنا الحالي من التنمية الواجبة •

ان هدى الله هو الهدى •

والسلام • ■■

القاهرة محمد احمد خلف الله

■ الحـــرب أول ما تـــكون فتيـــة
تســـــعى بزينتهـــا لـــكل جهـــول

حتى اذا اسـتعرت ، وشـــب ضرامها
عادت عجـــوزا ، غـــير ذات خليـــل

شمطـــاء ، جزت رأسها ، وتنكـــرت
مـــكروهة للشـــــم والتقبيـــل

(عمرو بن معد يكرب الزبيدي)

العقل البشري والعقل الالكترونى

بقلم : الدكتور فؤاد زكريا

■ كان خيال الادباء والفنانين يسبق كشوف العلماء على مدى عصور التاريخ • وليس فيهذا ما يدعو الى العجب . اذ أن الاديب او الفنان لا يصور في عمله حلم يقظة فحسب . وانما يعبر عن أمان بشرية عزيزة . ويلخص ما يتوق الانسان في قرارة نفسه الى تحقيقه • وحين تحدثت الاساطير والاعمال الادبية والفنية عن تلك الاجنحة التي يحلق بها الانسان كالطيور . او عن البساط السحرى الذى يتنقل به عبر السماء من بلد الى اخر . كانت في واقع الامر تضع الهدف امام علماء المستقبل . وترسم لهم الطريق الذى كان الانسان يتوقع منهم انيسلكوه •

ولقد كان الانسان منذ أقدم العصور يحلم بظهور الات تعفيه من الجهد وتحل محله في المهام الشاقة وحين كان يسرف في احلامه . كان يتخيل نوعا من الانسانالصناعى . لا مجرد اله صماء . تكون له عبدا مطيعا •

وكانت لهذا التصور مظاهر متعدده . فالقصص الشعبى كان يتحدث عن المارد أو العفريت الذى يظهر من القمقم . او بعد لمس « خاتم سليمان » . او « خاتم الملك » .ليحقق للانسان اصعب امانيه وابعدها منالا • وهذا القصص متفائل . وتفاؤله امر طبيعي لانه خيال مبني على الاعتقاد بالسحر . وعالم السحر ليسفيه حقائق صلبة تقاوم الاماني والرغبات . ولايقففي وجهه شيء . ومن هنا كان كل شيء فيه ممكنا •

اما المظهر الاخر فهو احدث عهدا . وفيه يرتكز الخيال على اساس من العلم والواقع الاجتماعي، ولذا كان في معظم حالاته اميل الى التشاؤم • فقد انبهر الانسان بالالة الى حد انه بدأ يتصور

بخياله انواعا منها تنقلب على الانسان وتتمرد عليه ، حتى تسيطر فى النهاية على العالم وتقضى على عصر الانسان • واخذ الادباء وبعض المفكرين يبدون فزعا حقيقيا من ذلك العصر المحتمل ، الذى يسيطر فيه على العالم حديد جامد ، وتختفى فيه سيطرة الانسان عندما تقهره الات ذات قوة جبارة، فتضيع القيم الانسانية ، ويختفى الحب والجمال ، ويسود نظام رتيب صارم لايعرف الرحمة ولا العطف•

ثم سار الخيال خطوة اخرى فى هذا الاتجاه، فتصور هذه الالة على هيئة انسان يتدخل العلم فى صنعه .ولكنه يضفى عليه قوة تفوق قوة البشر بكثير ، فيتمرد هذا الانسان العلمى او الالى على صانعه ، ويهدم كل شىء ببطشه وجبروته • وكانت قصة « فرانكنشتين » ، التى اخرجت منها – منذ الثلاثينيات – افلام سينمائية كثيرة ، من اوضح امثلة ذلك الفزع الذى يتملك البشر من تطور قدرات الانسان وتقدمها الى الحد الذى يجعلها تنافسه هو ذاته وتسحقه آخر الامر •

ومنذ فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ،اصبح هذا الحلم حقيقة واقعة . وان كان الواقع – كما يحدث دائما – قد اختلف عن الخيال الممهد له اختلافا غير قليل • وكان رائد هذا التطور الحاسم عالما نمساويا كبيرا هو « نوربرت فينر Norbert Wiener » ، الذى وضع اسس علم جديد هو « السيبرنطيقا Cybernetics » • وكانت الفكرة الاساسية فى هذا العلم هى دراسة الوظائف التى يقوم بها الجهاز العصبى للانسان ، والتى تتيح للانسان ان يعدل افعاله ويعيد توجيهها وفقا للمواقف المختلفة ، ويكون جهازا متكاملا يقوم باصدار الاوامر لنفسه وتنفيذ هذه الاوامر واختبار نتائجها فى الوقت ذاته، وعلى اساس هذه الدراسات يمكن تطبيق المبادىء المستخلصة منها على الالات، فتكون نتيجة ذلك ظهور نوع جديد كل الجدة من الالات •

ذلك لان الالات التى كانت تستخدم حتى ذلك الحين كانت فى حاجة دائمة الى اشراف الانسان وتوجيهه• فهى قد ظلت طوال هذا الوقت تمثل طرفا واحدا فى علاقة ثنائية لا يمكن ان تنفصم ، هى « الالة – الانسان » • اما الكشف الجديد فقد انتج نوعا جديدا من الالات ، هى تلك التى تصحح مسارها بنفسها ، وتعطى لنفسها ما يلزم من التعليمات والتوجيهات ، وتتبادل مع نفسها الاوامر والتنفيذ، كما يحدث للانسان حين يشعر بالعطش مثلا ، فيأمر العقل العضلات بالتحرك نحو الماء ، ويصحح مساره اذا لم يجد الماء فى موضعه ، ويعطى لنفسه الامر بالاكتفاء اذا احس بان ظمأه قد ارتوى •

هذا النوع الجديد من الالات ، الذى يتميز عن كل الانواع السابقة بانه تخلص من ثنائية « الالة – الانسان » وجعل الالة مكتفية بنفسها اكتفاء شبه تام فى اداء عملها هو الذى اتاح ،لاول مرة فى تاريخ البشرية،استخدام الآلات استخداما ذهنيا او عقليا ، بعد ان كانت تقتصر على توفير الجهد البدنى والعضلى للانسان ، فهى تقوم بدلا منه بكثير من العمليات التى لم يكن احد يتصور ان من الممكن اداءها الا بواسطة العقل البشرى وحده • وهكذا ظهرت العقول الالكترونية ، التى تعد انقلابا حاسما فى تاريخ العلم والتكنولوجيا •

وتؤدى العقول الالكترونية وظيفتين متميزتين .وان كانتا مترابطتين فيما بينهما :

فهى من جهة تغنى العقل الانسانى عن القيام بعمليات كثيرة مجهدة او طويلة • فاذا لم يكن الانسان قادرا على ان يحسب بالسرعة والدقة الواجبة ، واذا لم يكن وقته وجهده يسمح له بان يتابع المعلومات المتوافرة بالفعل ،فان فى استطاعة العقل الالكترونى أن يساعده مساعدة هائلة فى هذا الصدد • وهنا تكون مهمة ذلك العقل هى أن يكمل قدرات موجودة بالفعل ، ولكن على نطاق اضيق ، فى العقل البشرى • ولكن فى استطاعة العقل الالكترونى القيام بعمليات يعجز العقل البشرى عن ادائها بقواه الخاصة ، كاصدار احكام فى مواقف شديدة التعقيد ، او القيام بحسابات فيها متغيرات كثيرة تفوق طاقة اى ذهن بشرى ،كما هى الحال فى الحسابات المتعلقة بتوجيه سفينة فضائية الى المريخ ، حيث المسافات هائلة ،وحيث ينبغى عمل حساب حركة الارض ، بنوعيها ،وحركة المريخ ، والكواكب الواقعة بينهما ، وجاذبية كل منها ، وغير ذلك من العوامل المعقدة •

وفى وسعنا ان نشبه هذا التطور الذى طرأ على تكنولوجيا العقول الالكترونية بالتطور الذى طرأ على الالات المادية العادية •فهذه الالات كانت

في البداية تستهدف توفير طاقة الانسان الجسمية، والاقلال من مجهوده ، وزيادة سرعة الافعال التي يقوم بها عادة ببطء ، اى انها كانت تكمل قدرات موجودة بالفعل ، ولكن على نطاق ضيق ، لدى الانسان • وفي مرحلة تالية اصبحت تتولى عن الانسان اعمالا يستحيل عليه القيام بها : فتمكنه مثلا من التخلص من الجاذبية الارضية ، وهي عملية تستحيل اصلا على الجسم البشرى •

ولكن هل اخترع الانسان العقل الالكتروني ليكون نسخة مطابقة لعقله • مع مزيد من القدرة والفعالية ؟ ان الكثيرين ، وخاصة منذوى النزعات الادبية ، يتصورون هذا ، ومن هنا كان خوفهم وتشاؤمهم • فما دامت العقول الالكترونية مشابهة للعقول البشرية ،ولكنها اقوى منها بمراحل، فسوف ياتي الوقت الذى ينسحق فيه الانسان تحت اقدام الالات الجبارة • ولقد لاحظ بعض العلماء ان فئة من العقول الالكترونية المتقدمة تبدى في سلوكها نوعا من « التلقائية » ، ولا تتصرف وفقا للبرنامج الموضوع لها بالضبط ،ووجدوا في ذلك بادرة لتمرد هذه العقول على صانعيها • واثير في هذا الصدد سؤال هام هو : اذا كان المبدأ الذى قامت على اساسه هذه العقول هو دراسة الجهاز العصبي للانسان (وضمنه المخ) ومعرفة الطريقة التي تحدث بها الافعال وردود الافعال داخل هذا الجهاز المعقد ، واذا كانت اشباه الموصلات (الترانزستورات) التي تصنع منها هذه العقول تزداد صغرا ودقة يوما بعد يوم ،وتؤدى في الوقت نفسه اضعاف العمليات التي كانت تقوم بها نظائرها الاكبر حجما فيما مضى ، اليس لنا ان نتوقع مجيء يوم تصنع فيه عقول الكترونية فيها اشباه موصلات اقرب ، في حجمها ونوع العمليات التي تقوم بها ، الى خلايا المخ البشرى ؟

وعندئذ الن تقوم هذه العقول بتصرفات تلقائية مشابهة لتلك التي يقوم بها الانسان ؟

على أن هذا التساؤل يفترض مقدما ان الانسان يريد ان يصنع عقولا الكترونية محاكية له ، وهذا افتراض غير صحيح ، ومن المشكوك فيه جدا أن ينفق الانسان جهده وماله في سبيل غاية كهذه • فكل ما يريده الانسان من العقول الالكترونية هو أن تساعده في القيام بالاعمال المعقدة ، وان تقدم اليه خدمات فعالة ، في الميدان الذهني ، لا يستطيع ذهنه القيام بها ، او تستغرق منه وقتا وطاقة لا حدود لهما اذا اراد ان يتولاها بنفسه•

وعلى سبيل المثال فان ذاكرة الانسان ، مهما كانت قوتها ، محدودة النطاق ، وقدرتها على الاستيعاب والاختزان تقف عند حدود لا تتعداها• ومن هنا فان العقول الالكترونية تسدى الى العلم خدمة كبرى اذ تقدم الى الانسان « ذاكرة صناعية » ، تستوعب من المعلومات ما لا تستوعبه الوف العقول البشرية مجتمعة ، وتقدمها الى الباحث كلما احتاج اليها في ثوان معدودات ،مع ترتيبها وتصنيفها بحيث لا تقدم منها الا مايتعلق بالموضوع الذى يريد بحثه •

والعامل الذى جعل من الضرورى الاستعانة بمثل هذه « الذاكرة الصناعية » ، هو ذلك التضخم الهائل في كمية المعلومات التي اصبح من الضرورى استيعابها في العصر الحاضر • فعصرنا هذا ليس فقط عصر « الانفجار السكاني » ، بل هو ايضا عصر « الانفجار المعرفي » او « انفجار المعلومات » كما يسميه الكثيرون • وكمية المعلومات التي تتراكم تتزايد بمعدل تتضاعف سرعته على الدوام ،وبدرجة يعجز عن استيعابها اى عقل بشرى ،حتى لو اقتصر على ميدان ضيق من ميادين التخصص • ويرى الباحثون أن كمية المعلومات المتوافرة تتضاعف ، في العصر الحاضر ، في فترة تتراوح بين عشر سنوات وخمس عشرة سنة ، وستظل هذه الفترة تتناقص بالتدريج كلما زاد التقدم العلمي • وقد اصبح عدد الكتب والمجلات العلمية التي يفترض في المتخصص ان يكون قد اطلع عليها ،من الضخامة بحيث يعترف الجميع بان الوسائل التقليدية ، كالقراءة الدائمة ، لاتكفي الا لاستيعاب قدر ضئيل جدا منها ،فضلا عن الصعوبات التي يواجهها الباحث في تحديد اماكن الابحاث التي تهمه في ميدانه الخاص • كل هذه العمليات يؤديها بدلا منا العقل الالكتروني ،ويقدم المعلومات المطلوبة ، دون غيرها، بكفاءة ودقة بالغة ، فيعفي العالم من مواجهة تلك التلال الهائلة من الابحاث التي كان يتعين عليه ، فيما مضى ، ان يبحث بينها عما يريد ، ويضمن له بذلك الا يضيع وقته سدى ، والا يكرر بحثا سبق ان قام به غيره في مكان ما •

واذن فالعقول الالكترونية لا « تكرر » العمليات التي يقوم بها العقل البشرى ، بل « تكملها » ،

وذلك عن طريق توسيع نطاق القـدرات الموجودة بالفعل فى عقولنا ، وعن طريق اعطاء هذه العقول قدرات جديدة ٠ومهما ارتقت هذه العقول الصناعية، فستظل على الـدوام ادوات يستخدمها الانسـان ولن تكون نسخة مكررة منه ٠

ومن جهة اخرى فان تلك العقول تشترك مع كل آلة يصنعها الانسان فى صفة اساسية ، هى انها لا تؤدى عددا كبيرا من الوظائف التى تسير فـى شتى الاتجاهات ، بـل تؤدى عملية واحـدة ، او مجموعة مترابطة من العمليات ، وان كانت تؤديها على نحو يفوق اداء الانسان لها الى حد هائل ٠ ولو افترضنا وجود « آلة شاملة » ، تقـوم بكل شىء يستطيع الانسان القيام به ، لما استطاعت ان تتفوق على الانسان نظرا الى تعدد اختصاصاتها وتعقد تكوينها ٠ واقصى ما يمكنها القيام به هو ان تحاكى الانسان محاكاة شوهاء ٠ ولا شك ان لدينا من البشر اعدادا كافية ، بل اعدادا فائضة تجعلنا فى غير حاجة الى صنع الات تحاكيه !ولذلك فان العقل الالكترونى سيظل دائما مختلفا عن العقل البشرى فى انه يتخصص فـى عمليات معينـة ، يؤديها على نحو شديد الاتقان ، فيوسع بذلك من نطاق قدرات الانسان الى ابعد حد ٠

واخيرا ، فمن الخطأ الاعتقاد بان هذه العقول الالكترونية ، مهما تطورت ، ستدخل فى « حرب » مع الانسان ، وتسعى الى سحقه والسيطرة على العالم بدلا منه ، لان هذه كلها عيوب بشرية ترجع الى ظروف اجتماعية محددة ، ومن الممكن التغلب عليها اذا تغيرت هذه الظروف ٠ ولذلك فانا لا نرى معنى لقيام الانسان بعملية « اسقاط » لشـروره الحالية على الالات التى يخترعها ، سوى ان هذا الاسقاط من عمل ضمير مثقل بالشعور بالذنب ٠

★ ★ ★

وهنا يتعين علينا ان نجيب عن السؤال الحاسم الذى أثاره ، لاول مرة فى تاريخ البشرية ، وجود نوع آخر من العقل البشرى ، له قـدرات تتجاوز قدراتنا ،فى نواح معينة ، الى حد يفوق الوصف ٠ فهل سيظل العقل الالكترونى ، فى المدى البعيد ، ينفع الانسان ، ام انه سيلحق به اضرارا ربما تكشف بعضها الان ، وربما لن تظهر على حقيقتها الا فى المستقبل ؟

من المعروف أن نواتج العلم والتكنولوجيـا ، التى بدت فى اول امرها عظيمة الفائدة ، والتى اقبل عليها الانسان تحدوه آمال عريضة فـى أن يسيطر بواسطتها على الطبيعة وعلى ظروف حياته بافضل صورة ممكنة ، قد انقلبت عليه فيما بعد ، وظهرت لها ـ بعد طول استخدامها ـ اضرار لم تكن تخطر على بال ٠ وحسبنا ان نشير ، بايجاز شديد ، الى مشكلات البيئة التـى اصبحت تحتل مكان الصدارة فى اهتمام كثير من الدول المتقدمة٠ فهذه المشكلات لم تتولد الا نتيجة للتقدم الهائل فى التكنولوجيا ٠ وقد كانت فـى البداية بمثابة « الاعراض الجانبية »التى تنتاب المريض اذا تعاطى دواء معينا ، والتى لا يابه لها المريض كثيرا لان كل ما يحرص عليه هو الشفاء ، ولانه يعلم جيدا ان هذا الدواء الذى يتعاطاه فعال فى هذه الناحية٠ ولكن قد ياتى وقت تستفحل فيه هـذه الاعراض الجانبية ، وتهدد بظهور امراض اخـرى قد تكون أخطر من المرض الاصلى ذاته ٠ وهذا بالضبط ما حدث فى مجال البيئة فى العقدين الاخيرين : اذ ان التكنولوجيا الشديدة التقدم ، التى كفلت للانسان فى البلاد الصناعية حياة استهلاكية مترفة، فظهرت لهـا « اعراض جانبية » بعضهـا شديد الفتك ، كتلوث الغلاف الجوى والانهار والمحيطات والمحاصيل الزراعيـة ، وازدياد الضجيـج والتوتر العصبى ، وارتفاع نسبة الاشعاعات الضارة ، وانعدام الجمال من البيئة ،الى آخر هذه الاعراض التى اخذ ضررها يستفحل حتـى اصبح البعض يتمنى لو لـم تكن التكنولوجيا قد تقدمت الى الحد الذى يجلب كل هذه الاضرار ٠

ومثل هذا يمكن أن يقال عن العقل الالكترونى٠ فالبعض يرى أن هذا العقل المساعد للانسان يمكن أن يلحق بملكاتنا العقلية اضـرارا وخيمة ، اذ يعودنا على التكاسل والاعتماد على « الالة » فى كثير من العمليات العقلية ٠ ووجهة نظـر هؤلاء المعترضين هى ان الباحث كان قبل عصر العقول الالكترونية يعتمد على عقله فى كل شىء ، وكان يجرى به كل ما يحتاج اليه مـن عمليات ذهنية ٠ وصحيح انه اذا كان يستغرق منه وقتا طويلا.ولكنه

كان تدريبا مفيدا للذهن وشحذا لقواه وارهافا لذكائه • اما حين تترك هذه العمليات للعقل الالكتروني ، فمن الممكن ان يعلو الصدأ عقولنا ، او على الاقل ان تعتاد « الترف » في العمليات العقلية ، وتنسى تلك المشقة وذلك العناء الذي انتج سلسلة طويلة من العباقرة ، ابتداء من نيوتن حتى اينشتين •

هذا الاعتراض مشابه للاعتراض المألوف على وسائل المواصلات الحديثة • فالسيارة الخاصة ، مثلا ، قد عودت الانسان الراحة ، واعفت الانسان من الجهد الذي يبذله في قطع المسافات الطويلة ، ولكن الفائدة الكبيرة التي جنيناها قد ادت في احيان غير قليلة الى اضرار لا يستهان بها ، تتمثل في تلك المجموعة من الامراض ، الناجمة عن عدم تدريب الجسم البشري بالاستعمال • وليس من المستغرب ان نجد الاطباء ينصحون كثيرا من اصحاب السيارات الخاصة بالسير على اقدامهم مسافات طويلة ، اي بان يتركوا التكنولوجيا الحديثة جانبا – الى حين – ويعودوا الى عهد ماقبل التكنولوجيا ، حتى يتجنبوا الاضرار الناجمة عن وسائل الراحة الحديثة • وبالمثل يعتقد البعض ان حلول التكنولوجيا محل الانسان في الامور الذهنية يعود الانسان الكسل العقلي ، ويجعله عاجزا عن القيام بكثير من العمليات التي كان اجداده يقومون بها في سهولة ويسر ، لان اذهانهم كانت في حالة تدريب مستمر •

ولكن ، ما هو نوع التدريب الذي تعفينا منه العقول "الالكترونية"؟ انها في الواقع تعفينا من القيام بالعمليات « الالية » • وهنا يكمن الرد الحاسم على الاعتراض السابق • فهذه العقول هي ، قبل كل شيء « حاسبات » Computers • وصحيح انها اعقد كثيرا ، واقدر كثيرا ، من الالات الحاسبة العادية ، ولكن نوع العمليات التي تقوم بها يدخل حتى الان ، في نطاق العمليات الالية ، مهما كان تعقيدها • وقد استخدمت تعبير « حتى الان » لكي أترك مجالا للاحتمال الذي يأخذه البعض مأخذ الجدية ، واعني به ظهور « اجيال » من العقول الالكترونية تكون لديها القدرة على نوع من التصرف المستقل ، او من السلوك التلقائي • ولكننا حتى الوقت الراهن لا ناخذ من العقول الالكترونية الا ما اعددناها من اجله ، ولا بد لنا من «تغذيتها» بالمعلومات والبيانات حتى تقوم بالعمليات المطلوبة منها •

ولو نظرنا الى المسالة من وجهة نظر العالم ، لوجدنا أن هذا العالم يرحب كثيرا بوجود جهاز يتولى عنه عمليات حفظ المعلومات وتبويبها واستعادتها بالطريقة المناسبة • وفي البلاد التي لا تستعين بالعقول الالكترونية ، يضيع جزء كبير ، وربما الجزء الاكبر من وقت الباحث وجهده في مثل هذه العمليات الالية . فهو يفتش عن المراجع ، ويقرؤها ، ويلخصها ، ويرتب ما استمده منها ، ثم ينتقي فيما بعد ما يريد الاستعانة به منها ، وفقا لنوع البحث الذي يقوم به • ولقد كانت البلاد المتقدمة تتبع ، قبل عصر العقول الالكترونية ، نظاما وسطا ، اذ تكون للباحث او الاستاذ الجامعي « سكرتيرة » متخصصة يصل مجهودها الى حد البحث في المراجع عن اي موضوع يطلبه منها الباحث ، وتقديمه اليه جاهزا ، بحيث لا يكون امام الباحث الا القيام بعملية « التاليف » الابداعي • كما عرف تاريخ الفن حالات مماثلة ، كان فيها الفنان الكبير – منذ عصر النهضة الاوروبية – يستعين بعدد من التلاميذ في « ورشة » فنية ، ويضع لهم التصميم الابداعي العام ، ويترك لهم ملء التفاصيل الصغيرة التي لا يصح ان يبدد طاقته فيها •

على أن العمليات الالية تؤدى ، في الميدان العلمي ، بكفاءة تامة عن طريق العقل الالكتروني • ولا شك أن العالم المتخصص لو اتيح له أن يوفر كل الوقت والطاقة التي كان يبذلها في تلك العمليات ، لامكنه أن يتفرغ للتفكير الابداعي الى حد لم يكن متاحا على الاطلاق للاجيال السابقة من العلماء • فالمبدأ المطبق هنا هو مبدأ حماية العقل البشري القادر على انجازات ضخمة ، من تبديد طاقته الخلاقة في امور يمكن انجازها عن طريق جهاز آلي •

ومن ناحية اخرى فان البحوث العلمية اصبحت في وقتنا الحالي تقتضي من الجهد الذهني ، ومن تركيز الملكات العقلية ، قدرا يفوق بكثير ما كان يحتاج اليه العالم فيما مضى • فالباحث يحتاج الى استيعاب كمية ضخمة من المعلومات ، ومتابعة مرهقة للابحاث الاخرى التي يتزايد عددها يوما بعد يوم ، والقدرة على كشف المجالات الجديدة التي يمكن

ان تكون ميدانا لبحث لم يقم به احد من قبل • وطريقة البحث ذاتها تزداد تعقيدا على الدوام ، لان العلم يتوغل الى مستويات اعمق واعقد كلما تقدم الى الامام • ومن هنا اصبح العقل البشرى فى حاجة الى مزيد من المرونة ، والى قدر متزايد من الطاقة •وفى مثل هذه الظروفتكون الاستعانة، بالعقول الالكترونية امرا لا مفر منه لكى تتاح لعقل العالم القدرة على مواجهة مايقوم به منتفكير مرهق ، وما يتصدى له منظواهر متزايدة التعقيد•

★ ★ ★

بقى امامنا ، قبل أن نختم هذا المقال ، سؤال أخير ، له عندنا اهمية خاصة • فما الذى ينبغىأن يكون عليه موقفنا ، فى العالم العربى ، من هذه القوة الجديدة التى اكتسبتها العقول البشرية فى البلاد المتقدمة بفضل العقول الالكترونية ؟

لقد اصبح من المعايير التىيقاس بها تقدم اى بلد، فى عالمنا المعاصر ، عدد العقول الالكترونية التى يستخدمها ، ونوعها • وليس هذا راجعا الى ان استخدام هذه العقول الجديدة دليل على «العصرية» فحسب ، بل ان السبب الحقيقى هو أن التوسع فى استخدامها يعنى أن العقول البشرية ، فى هــذه البلاد ، تستثمر طاقاتها على افضل وجه ، وتنتج فى مختلف الميادين انتاجا ابداعيا متفوقا • اى ان هذا المعيار ، وان بدا فى ظاهره متعلقا « بعــدد الالات» ،هو فى حقيقته معيار انسانى ،لانهيستهدف فى النهاية أن يعرف مدى استثمار بلــد معيــن لامكانات العقول البشرية فيه •

وحين نتوصل الى استخدام العقول الالكترونية على نطاق واسع ، وهو أمر لا مفر من حدوثهعاجلا أو اجلا (وكلما عجلنا به كـان ذلك افضـل) ـ حينئذ سيكون لزاما علينا ان نهيىء عقولأجيالنا الجديدة لعصر العقل الالكترونى ، ونربى فيهــا الصفات اللازمة لمواجهة هذا العصر بنجاح • وهذا أمر لا يتحقق الا باعادة النظر فى نظمنا التعليمية من اساسها • ذلك لان نظمنا الحالية لن تتلاءمع هذا العصر ،ولو ظللنا متشــبثين بها لما تمكنت العقول الصناعية من أن تحدث فى عقولنا الطبيعية اى تغيير ، ولما افدنا شيئا من هذا التطور الرائع فى قدرات الانسان •

فنظمنا التعليمية تقوم كلها على تدريب ملكة واحدة للعقل البشرى ، هى ملكة الذاكرة.اذ اننا نطلب الى التلاميذ ان « يحفظوا » المعلومات ، ونختـ قدرتهم على الحفظ قبل أية قدرة اخرى • ومنذ اولى مراحل التعليم الابتدائى حتى آخر مراحل التعليم الجامعى ، يرتكز النظام التعليمى باكمله على قدرة الطالب على الاستيعاب . والمتفوقون فى نظرنا هم اصحاب الذاكرة الاقـوى ، او اصحـاب القدرة على ملء ذاكرتهم بالمعلومات واستعادة هذه المعلومات حرفيا كلما طلب اليهم ذلك • وهذهكلها معايير للتفوق ينبغى أن تختفى نهائيا فى عصر العقل الالكترونى •

ولو شئنا الدقة لقلنا اننا لم نكن فى حاجة الى الانتظار حتى عصر العقول الالكترونية من اجل تغيير هذه النظم • ففى اعتقادى انه منذ وقت ظهور الطباعة ، اعنى منذ خمسة قرون ، اصبح من المنطقى أن تتغير نظم التعليم على نحو يؤدى الى الاستغناء عن ابداء كل هذا الاهتمام بالقدرة على حفظ المعلومات • فهذه القدرة كانت مطلوبة فى عصر المخطوطات ، اعنى فى العصر الذى لم يكن يوجد فيه من الكتاب الواحد سوى نسخة او عدد قليل من النسخ المكتوبة باليد ، والتى يصعب الوصول اليها ، ومن هنا كان من الطبيعى أنيكون مقياس العلم هــو قــدرة الشخص على اختزان المعلومات فى ذهنه • ولكن منذ اللحظة التى اصبح من الممكن فيها صنع عدد كبير من نسخ الكتاب الواحـد ، ونشرها على نطــاق واسع ، اخذت الذاكرة تخلى مكانها لملكات اخرى ، لان الكتب ـ وماصحبها من مراجع وقواميسـهى ذاكرة البشر، وهى فىمتناول ايدينا كلماشئنا ان نكتسب علما•

ولكننا فى العالم العربى ، لم ندرك دلالةهذا التحول الحاسم فى طريقة نشر العلم ، وظل المثل الاعلى للانجاز التعليمى فى نظرنا هو ان يكون عقل المتعلم مجموعة كتب متحركه ، وضاعـت خمسة قرون كان العالم العربى قبلها هو السباق الى المعرفة ، واصبح فى نهايتها متخلفا عـن ركب التقدم ، وذلك لاسباب من أهمها اننا لم نعرف كيف نستثمر عقولنا البشرية على أفضل نحو •

على أنه اذا كانتفرصة اصلاح نظمنا التعليمية

قد ضاعت ، منذ عهد بعيد ، عند التحول من عصر الكلمة المحفوظة الى عصر الكلمة المطبوعة ،فان ضياع هذه الفرصة مرة اخرى عند الانتقال الى عصر العقول الالكترونية سيكون كارثة بحق. ذلك لان هذه العقول الالية ، كما قلنا من قبل، تقوم بعمل « ذاكرة صناعية » اكمل واوسع نطاقا الى حد هائل من ذاكرة الانسان • وهنا تصبح ملكة الذاكرة من اقل الملكات الذهنية أهمية • وفي مقابل ذلك فان ماقلناه من قبل عن توفير هذه العقول لطاقتنا الذهنية واعفائها لها من العمليات الالية لكي تتفرغ للاعمال الابداعية ، يوحي لنا بنوع الملكات التي لابد ان تحتل مكان الصدارة في العصر الالكتروني : فلكي يواجه اي مجتمع مشكلات هذا العصر بنجاح ، يتعين عليه أن يربي في اجياله الجديدة ملكات الابداع والابتكار ، والقدرة على الجمع والتركيب والتاليف،وعلى مواجهة المواقف الجديدة والظروف غير المتوقعة • وهذا يحتاج الى تغيير شامل في الفلسفة التي تبنى عليها نظمنا التعليمية ،بحيث تتخلى عن السعي الى تنمية ملكة التذكروالحفظ، وتركز جهودها على رعاية القدرات الخلاقة في عقل الانسان •

فهل فكرنا ، نحن العرب ، في هذا التغيير الحاسم ، الذي يحتمه عصر العقول الالكترونية ، في طريقتنا في تربية الاجيال الجديدة بحيث تصبح قادرة على معايشة زمانها والوصول بامتها الى مستوى البلاد العصرية ،ام ان هذه الفرصة ستضيع بدورها ، وسنظل في عصر الصواريخ والعقول الالكترونية نعلم ابناءنا كيف يكررون المعلومات حتى يحفظوها عن ظهر قلب، ونختبرهم على طريقة « قل ما تعرفه عن •• » ؟ هل سنتعهد في عقول ابنائنا ملكات عقيمة كالتذكر والاستعادة ، ام ملكات خلاقة كالذكاء وحسن التصرف ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال هي التي ستحدد جانبا هاما من مصير امتنا في القرن المقبل ،وهي التي ستقرر ان كنا سنعرف كيف نتخذ من العقل الالكتروني اداة لخدمة العقل البشري وزيادة قدراته، ام اننا سنفقد القدرة على استخدام العقلين معا• ■■

فؤاد زكريا

■ الناس من يلق خيرا قائلون له   مايشتهي ، ولأم المخطيء الهبل

(بشار بن برد)

■ لا يصلح النفس ، ان كانت مدابرة ،
الا التنقل من حال الى حال

(ابو العتاهية)

■ الايمان لا يعار ، واليقين لا يستعار ، ولا بد من اقتناع شخصي يستند اليه ، لانه لا أحد يحيا او يموت بدلا من غيره •

(مكس مولر)

■ اذا كنت في حاجة مرسلا   فارسل حكيما ، ولا توصه
وان سُر أمر عليك التوى   فشاور حكميا ، ولا تعصه

(الزبير بن عبد المطلب ، عم النبي)

● نتيجة مسابقة العدد ٢١٨ ●

"أرواد" جزيـــرة ســـورية

■ قامت مسابقة العدد ٢١٨ على اسئلةحول الجزر العربية فى وطننا العـربى الكبير والتى يجهل المواطن العربى الكثيرمنها لانها بقيت مجهولة لم تستغل سياحيا او تجاريا ، كمـا أن اجهـزة الاعـلام تجاهلتها كلية فصارت هذه الجزر نسيا منسيا ، ومع ذلك استطاع القراء الـذين اشتركوا بالمسابقة أن يجيبوا على الاسئلة اجابات لا بأس بها وان يتعرفوا على تلك الجزر العربية ·

ونوردفيما يلى نموذجا للاجابةالصحيحةثم اسماء من فازوا بالمسابقة .

١ ـ تقع جزيرة مصيرة فى بحر العرب ·

٢ ـ الجزيرة التى تقـع جنـوب استراليا هى تسمانيا ·

٣ ـ الجمهورية التى قامت فى المحيط الهندى والتى عاصمتها فيكتوريا هى جزيرة سيشل ·

٤ ـ الجزيرة التى كان يطلق عليها قديما اسم الجزيرة الطويلة والتى تقع عند مدخل مضيق هرمز هى جزيرة قشم ·

٥ ـ تنتمى جزر البليار الى اسبانيا وجزيرة كورسيكـا الى فرنسا ، وكـريت الى اليـونان وسردينيا الى ايطاليا ، أما الجزيرة المستقلة فهى جزيرة مالطة ·

٦ ـ الجزيرة التى تقابل ميناء اللاذقية السورى هى جزيرة ارواد ·

٧ ـ الدولة العربية التى تتكون اراضيها من مجموعة جزر هى دولة البحرين ·

٨ ـ الجزر السياحية التى تقع شرق مدينة صفاقس التونسية هى جزر قرقنة ·

٩ ـ اكبر جزيرة فى العالم بعد استراليا هى جرينلند ·

١٠ ـ الجـزيرة التى تـواجه الكـويت والتى اشتهرت باثارها الاغريقية القديمة هى جزيـرة فيلكا ·

١١ ـ الاسم الذى اطلق على جزيرة فرموزا و ٨٧ جزيرة محيطة بها هو تايوان ·

١٢ ـ الجمهورية التى تتكون من اربع جزر عند مدخل مضيق موزمبيق هى جمهورية جزر القمر ·

الفائزون بالمسابقة

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بهـا حميد رشيد ياسين ـ بغداد / العراق ·

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :نائل صبحى درويش الطريقى ـ عمان / الاردن ·

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها :حسن جعفر محمد صالح ـ الخرطوم / السودان ·

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ اسماعيل بغدادى ـ صور / لبنان ·

٢ ـ محمد احمد محسن المقداد ـ صنعاء/اليمن·

٣ ـ روضه راغب طاهر محمود ـ الجابريـة / الكويت ·

٤ ـ احمد حسن العوامى ـ المنطقة الشرقية / السعودية ·

٥ ـ زهير موسى ـ دمشق / سورية ·

٦ ـ الزين على ـ باتنة / الجزائر ·

٧ ـ حسين محمد جندية ـ القاهرة / مصر ·

٨ ـ محمود اسماعيل هلال ـ مسقط / عمان ·

■■

بقلم :
مكرم محمد احمد

تحقيق المخطوطات مهمة شاقة وكل ما حقق حتى الان ١٠٠ الف مخطوط من مليون مخطوط في كل انحاء العالم ·

مخطوط عربي قديم في علم النبات ·

■ ما بين الفترة والاخرى ، يثور في أدمغة مثقفينا العرب ، ذاك السؤال الدهري العويص اين الاصالـة ؟ اين التزييف ؟ اين الحقيقـة في أعماق انساننا . وما الذي ندركه ونعيه من هذه الاعماق وما الذي ما زالت تعتم عنه حتى الان أنوار افكارنا .

غير أن المشكلة على خطورتها ، كثيرا ما كانت تغور بكل أبعادها ـ تحت وطأة نقاشنا البيزنطي ـ فراغا حلزونيا كدوامة . وتعاودنا سهولة الرغبة في التصنيف ، وننقسم بحماس الكلمات الـى مجددين وتقليديين . مجـددون يرفضون القديم باكمله بالرغم من انهم قد لا يعرفون عنـه الكثير . وتقليديون تجمدت قدراتهم عن اخصاب هذا القديم أو احياء جوهره .. ويعجز عقلاؤنا عن ان يصلوا بين النقيضين همزة الوفاق . وتبقى المشكلة قائمة لكنها في الاغلب محصورة فـي حوار مثقفين ـ وربما يكون نتاجها الاجتماعـي الوحيـد ، اثراء جديدا لفن الكـلاموجيا ـ هـذا الفن الذي يبدو اننا قـد اصبحنا ننشده لذاته .

ومع ذلك فان السؤال الذي قد يبدو في بعض الفترات شاغل المثقفين وحدهم يكتسب في فترات اخرى لاحقـة ، خطورة أعم . وربما خلال المحـن الكبرى أو الاختبارات الصعبة ان السؤال الذي كان يمثل مجرد حيرة مثقفين قلقين أكثر ممـا ينبغي ، يصبح عندئذ تساؤل الجميع . تساؤل كل فرد وتساؤل الامة باكملها وتتجاوز المشكلة اطارها المعهود ، لا تصبح عندئذ مجرد تباين عقلي لاجتهادات مثقفين منقسمين على أنفسهم ، يعيشون في أبراج من قش او ابراج من عاج وانما تصبح المشكلة حيرة الامة باكملها بحثا عن العصرية المستلبة .. ونعود . نعود ، نفتش في ذواتنا ، ننبش في التاريخ ، في الكتب الصفراء ، في المخطوطات المضيعة ، في الاغاني القديمة ، في العادات الصغيرة بل وحتى في حكايات الجدات بحثا عن الاصالة .

أعتقد اننا قد جربنا جميعا شيئا من مرارة تلك الحيرة ، في أعقاب ما تكشفت عنه نكسة حزيران

ولكن هل يمكن أن نكون موجودين هذا الوجود الكثيف تاريخيا ، الممتد جغرافيا ومع ذلك يضيع داخلنا الانسان . ويلتبس علينا فهم الذات . هل يمكن بالفعل أن تخفى عن الانسان حقيقته الى هذا الحد المريب ؟! .. نعم يمكن ! عندمايزور التاريخ ، وتضيع الاجتهادات العاقلة فـي زخم الهـوس الديمـوجـاجي الجمعي ، او عندما تعبر خيل التتار الغازية جسر المخطوطات الغارقة في نهر دجلة ! او تقـع قبضة الحكـم في يد ضعاف يرون أمنهم فـي اغتيال الثقـافة . .. واخيرا عندما يحاصر الانسان هذا الحصار الكثيف من أجهزة الاعلام تصوغه على هوى أصحاب المفاتيح .

ذات يوم ـ والرواية لسارتر ـ اقترب بـول فاليري من النافذة سئما . وسأل وبصره تائه في شفافيـة لوح زجاج ـ هل من وسيلة لاخفـاء الانسان ، كان أندريه جيد حاضرا واجاب الرجل بكل الايجاز « جميع الوسائل صالحة في الجزائر» . كان الاحتلال الفرنسـي يمارس عملية استـلاب واسعة للذات الجزائرية ، يسعى من خلال مشروع مبرمج الى محو الشخصية الثقافية للامة . وفي كل أفريقيا كان المستعمر يسعى الى استلاب لغة السكان الوطنيين وعاداتهم وتراثهم حتى في الفن والمآكل والملبس ، ليعطيهم عوضا عنها حاجاتـه هو التي يطمئن اليها ، وفي مصر اقام النظـام الاستعمـاري مع دخـول البريطانيين ـ بالقصـد وبالعناية ـ نظامين للتعليم نظام مستحدث اقامه دانلوب المفتش الانجليزي لنظارة المعارف ، ونظام آخر هو النظام الذي كان قائما قبل مجيئهم ـ في أروقة الازهر وتحت ظلال عمده ، نظامان ، متعارضان، نظام جديد يفتقد جذور الماضي وتراثه وتقتصر فلسفته عند حدود تعزيز ادارة البلاد موظفين مطيعين ، ثم نظام قديم يضرب جذوره في العمق ولكن عصور الركود وتآمر المستعمر افقداه كل قدرة على مواجهة مطالب العصر ـ وما زالت مصر تعاني حتى الان من هذه الازدواجية غـير المبررة في نظامها التعليمي، والان تعاود اسرائيل نفس المحاولة في الارض العربية المحتلة ، تزور الشخصية التاريخية للقدس القديمة ، تحول بين
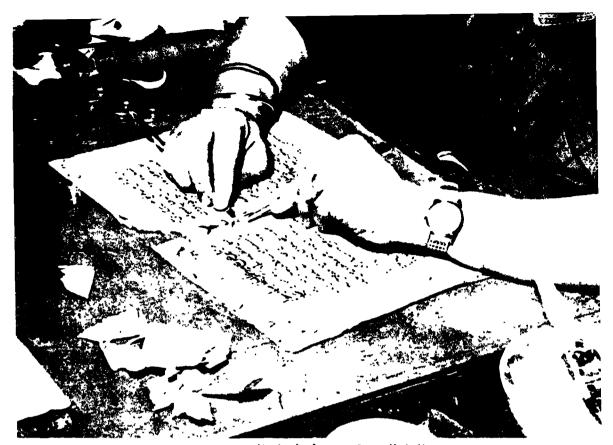
ترميم المخطوطات مهمة ضرورية لحفظ التراث.

السكان العرب وبين ثقافاتهم الوطنية ، تمسخ هذه الثقافات ، تزورها ، تغير مناهج الدراسة، تدلس شواهد التاريخ ، لكي تفصم كل عرى يمكن أن تصل بين السكان العرب وهويتهم الحقيقية .

.. معنى الكلام ، ان المستعمر يعي ويدرك أن نجاحه وطول أمده واستمرار نفوذه ، انما يرتهن بمقدار ما يستطيع تغييره من قيم الامة وثقافتها ، ان المستعمر لا يستولي على الاملاك الوطنية فحسب ، انه يقوم في نفس الوقت بعملية منظمة لنهب وتجريد القيم الثقافية للامة ، يحاول تغريب ذاتها من الداخل ، يسعى لاجتثاث اصالتها .. فاذا لم يستطع فعلى الاقل ان يبقي على هذه الثقافة الوطنية للامة في حاله احتضار مستمرة .. الوسائل في ذلك كثيرة تتدرج من بربرية الغزاة الطغاة الذين يدمرون الثقافة بالعنف وبالحريق وبالاغتيال ـ اينما حلوا ـ الى الخطط العصرية الذكية المرسومة بجهد خبراء ومتخصصين وعلماء في الهندسات النفسية للجموع ..وتتحول الثقافة الوطنية بفعل ذاك الغزو البربري او تلك المؤامرة المتحضرة الى ثقافة جامدة مغلقة على نفسها بعد ان كانت في الماضي حية ومتفتحة ، تصبح كاوراق قديمة ضاع اوانها .

وليس صدفة أن الثقافة العربية بل والثقافة الاسلامية في جوهرها الحقيقي ـ بل وثقافة المشرق كله قد تعرضت جميعا مع اكتمال ملامح العصر الاستعماري الى عمليات تغريب وتشويه مستمرة ـ ولربما كانت الثقافة العربية هي اكثر الثقافات معاناة ـ ابتداء من حرائق تيمور لنك لمكتبات بغداد ومخطوطاتها الى حريق المسجد الاقصى .

ان عالمنا العربي الراهن . مواجه الان ليس بفعل التحدي الاسرائيلي وحده .وانما ايضا بفعل تحديات أخرى مصاحبة بضرورة الاجابة الواعية على هذا السؤال العويص ، اين الاصالة ، اين

التزييف ٠٠ غير أن استخلاص الشخصية الثقافية للامة واعادة بنائها عملية لا تتم فجاة ، على النحو الذى يمكن أن يتم خلالـه العثور على خبيئة قيمة خلال حفريات أثرية قديمة ، انها لا تتم من خلال الارتداد التلقائى الى كل قديم ، وانما الاصالة جهد تعصله الامة وتبلغـه خلال عملية تنوير شاملة لا تتوقف فقط عند مجرد البحث عن التراث القديم ، بل تمتد الى مناقشة هذا التراث وفرزه ٠

ومن هنايكتسب السؤالمسئولية اكبر وتخصيصا أدق ، ليصبح اى قديم نرث واى قديم نهجر، اى تجديد نقبل واى مستـورد نخاف ، ايهما يعنى المزيج الصحيح والاضافة البنائة وايهما يمثـل التلقيح الكاذب ، الذى يعنى فى حقيقته النفى التدريجى لعقيقة الانسان ٠

وبدون ذلك يلتبس المعنى الحقيقى للاصالـة بنوع من آلية الارتداد والنكوص الى كل قديم والتى تبدو اعراضها واضحة على الامة خلال أزماتها المصيرية وآلية النكوص والارتداد الى كل قديم لا تمثل فىالحقيقة سوى الارتداد السلبى لعيرة الانسان وعجزه أزاء الواقع المتصادم ٠

ليس من سبيل اذن اذا كنا نريد أن نقبض على اصالتنا المضيعة او التى نظن انها مضيعة سوى أن نفتش فىتراثنا ، ان نبحث فىمخطوطاتنا المبعثرة فى ارجاء العالم كله وان تتبع عمليـة التفتيش المستمرة عملية فرز واعية لهذا التراث٠

مخطوطاتنا القديمة مبعثرة فى كل أرجاء العالم والخبراء يقدرون عدد المخطوطات العربية التى لم تتم دراساتها بعد باكثر من مليون مخطوط ، فى استانبول ½ مليون مخطوط نزحهـا الولاة العثمانيون من عواصم العالم العربى والاسلامى أيام الخلافة ، فى شمال افريقيا ٢٠٠ الف مخطوط ما زالت تحتفـظ بها مكتبـات القيروان وفاس القديمة ، فى مصر وقبل خمسة اعوام فقط كان للصدفة وحدها فضل الكشف عن كنز من ٤ آلاف مخطوط ظلت لاكثر من ٦٠٠ عام حبيسة قبو مظلم فى اطلال المدرسة المتبولية فى دمياط ، ثم تبع ذلك الكشف عن ثروة مخطوطية قيمة كانت مهملة منذ مئات السنين فى أحدى حجرات الجامع الاحمدى بطنطا والتقديرات تقول أن فى مصر ٨٠ الف مخطوط لم تتم دراستها بعد ، فى موريتانيا ١٠٠ الف مخطوط ، فى الجامع الكبير بصنعاء عثـرت احدى البعثات المصرية التى زارت اليمن بعـد سقوط الامام على أكداس من المخطوطات القيمة القديمة ، كانت تشكل الجزء الاكبر من مكتبـة الجامع الكبير ، فى تريم قرية صغيرة من قرى حضرموت ـ كانت يوما ما منارة اشعاع تضاهى الازهر ، وتقوم بنفس دوره فى شرق آسيا ـ ترقد هناك ثروة مخطوطية هائلة ، ونسبة لا باس بها من هذه المخطوطات ما زالت فى حوزة أسرة الكاف ، احدى اسرات حضرموت العريقة ٠٠ فى الاتحاد السوفيتى ٨٠ الف مخطوط ورثتها روسيا القيصرية عندما مدت نفوذها الىالممالك الاسلامية وسطـاسيا بمراكزهاالعلمية الذائعةالصيت.طشقند وسمرقند وبخارى ٠ ومن أجل هذه المخطوطـات استقدم الاتحاد السوفيتى عام ١٨١٠ الشيخ محمد عياد الطنطاوى أول أستاذ للغة العربية فى جامعة بطرسبورج « لينتجراد » والذى عمل فى دراسة هذه المخطوطات حتى وافاه الاجل عام ١٨٦١ تاركا هناك مخطوطا فريدا عن رحلته من طنطا الى الاتحـاد السوفيتى ٠ ولقد افادت دراسة هـذه المخطوطات السوفييت وزادت منمعارفهم الجغرافية عن وسط اسيا والقوقاز ، وقد يكون من المفيد ان نعرف أن من أوائل المخطوطات التى ترجمت الى الروسية « القانون » فى الطب لابن سينـا والاثار الباقية للبيرونى وارشادات البحرية لاحمد ابن ماجد البحار العربى الذى رافق فاسكوداجاما فى رحلته الاولى الى الهند ٠

تلك هى الكنوز التى بقيت من حضارة ظلت تتزعم العالم ٥ قرون متصلة فى القوة والنظام وبساطة الملك والتشريع الانسانى الرحيم ، حضارة سخية تلقت عنهـا اوروبا علـوم الطـب والفلسفة والفلك والكيمياء والرياضة فضلا عن

فى معهد المخطوطات الشرقية فى لينتجراد،حيث يوجد ٨٠ الف مخطوط عربى ورثتها روسيا القيصرية بعد سيطرتها على وسط آسيا الاسلامية ٠

فنون عديدة كفنون الطعام والشراب وصنع العقاقير والادوية ٠ والنسيج والورق وتجليد الكتب ، وطرق الحديد وصهر الزجاج وتنسيق الحدائق ٠٠ ومن خلال تلك المعرفه الواسعة التى غطت كل مناحى الحياة دخلت اوروبا عصر النهضة الذى شكل الركيزة الاساسية لعصر الانقلاب الصناعى ٠

هذا الانتشار الجغرافى لتلك الثروة المخطوطية الهائلة يكشف بالفعل عن عمق التاثير الذى احدثاه التقافتان الاسلامية والعربية فى الفكر الانسانى المعاصر ٠ ومثلما شهدت نهاية القرن التاسع عشر نمو حركة البعثات من مصر والبلاد العربية الى باريس ثم لندن طلبا للمعرفة وسعيا للتحديث شهد القرن الثانى عشر حركة نشيطة من البعثات التى كانت تضم ابناء ملوك وامراء اوروبا الى مراكز الثقافة العربية الزاهرة ايامها ٠٠ وفى مقدمتها قرطبة واشبيلية ٠

● المخطوطات العربية

٠٠ كان المتاجرون وادعياء الدين وخصوم المعرفة العلمية وانصار الجمود يطاردون العلم والمعرفة هناك ، وكانوا يشكون ـ مثلما يشكو اليوم البعض منا ـ كانوا يشكون من شبابهم الذى لم يعد يعرف علما ولا ادبا غير علوم العرب وادابهم والذين يقبلون بنهم على دراسة المعارف العربية ٠٠ ولقد أستطاع هؤلاء ان ينقلوا الى اوروبا ثمار الثقافة العربيه وكنوزها. نقلوا « النجوم الزاهرة » لابن البيطار الذى يعتبر اشمل مخطوط طبى ، ونقلوا مخطوطات ابراهيم أبو مروان بن زهر ـ المعروف فى العالم الاوروبى باسم افن زور وتحليلاته الطبية فى الناسور ودرن الامعاء والشلل البلعومى ونقلوا موسوعة (التعريف) التى كتبها كبير جراحى العالم الاسلامى أبو المحاسن والتى ظلت حتى عهد قريب لا يصل الى مائة عام المرجع الأعلى فى الجراحة ونقلوا « رسالة الاسطرلاب » التى كتبها الزرقانى والتى يقول عنها ول ديورانت فى كتابه تاريخ الحضارة انها زادت معارف اوروبا فى الفلك الى الضعف وثبتت الاعتقاد بكروية الارض ونقلوا « معجم البلدان » لياقوت الحموى والذى شمل أكمل المعلومات الجغرافية فى ذلك الوقت والذى حوى مجموعة من الخرائط لم يكن هناك أتم ولا اوسع ولا اكثر تفصيلا منها حتى ذلك العصر ٠ كما نقلوا مخطوطات حسن المراكش فى الرياضة والتى تضمنت جداول غاية فى الدقة فى حساب الزوايا ورسائل الطوسى فى حساب المثلثات ، ونقلوا ميزان الحكم لابى الفتح ـ عالم الطبيعة الذى استطاع فى هذا الوقت المبكر ان يصل الى قوانين الرفع وحساب الكثافة النوعية لكثير من المواد الصلبة والسائلة ، ٠٠ نقلوا كل هذه الكنوز من قرطبة الاسلامية وحدها التى بقيت حتى القرن الثانى عشر أعظم مركز علمى فى العالم ٠

سألت محدثى :

ربما تضىء الان دراسة بعض المخطوطات جوانب كثيرة من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

لعصور الازدهار السالفة وربما تكون اكثر من مفيدة فى تحقيق وقائع التاريخ والمجتمع ، ولكنى لست على يقين من ان المخطوطات الاخرى المتعلقة بعلوم الطبيعة والكيمياء والفلك والطب يمكن ان تشكل فى عصرنا الراهن اية فائدة حقيقية.. ان احدا لا ينكر الاثار الضخمة لهذا التراث العلمى على حضارة الغرب وتفكيره ، ولكن حضارة الغرب قد تجاوزت الآن ذاك التراث .. والعلم فى النهاية نسق متكامل علينا ان ناخذه بالمستحدث منه لا ان نعود الى بدايات فات اوانها .. ما حاجتنا اذن الى ان نلوى الأعناق نحو معارف تقادمت فى مخطوطات يعود احدثها الى ٥ قرون مضت ؟ !

رد قائلا : ان قضيتنا الاولى اننا لا نعرف بعد كنه هذه المخطوطات ومانشر وحقق من مجموع الثروة المخطوطية العربية لا يزيد حتى الآن عن ١٠٠ الف مخطوط من مليون مخطوط . وهكذا فان الجزء الأكبر من تراثنا مازال سرا مغلقا يصعب ان نحكم عليه هذا الحكم المسبق ، اننا ايضا ومع التقدير لكل الجهود التى تبذل فى هذا المجال لم نستطع حتى الآن ان نستكمل الفهرسة الكاملة لتلك المخطوطات المبعثرة فى كل ارجاء العالم ، ومازال فهرست ابن النديم الوراق العربى الذى حصر اهم المخطوطات العربية على عصره فى القرن الرابع الهجرى هو اكمل فهارس المخطوطات القديمة حتى الآن . وليس لدينا بعد فهرست ابن النديم سوى فهرست آخر متواضع « كشف الظنون » الذى كتبه فى زمن متاخر نسبيا حاجى خليفة التركى الاصل ، ثم جاء بروكلمان المستشرق الالمانى المعروف فانشا فهرسا ثالثا لعدد من المخطوطات التى تابعها .. ولكننا مازلنا حتى الآن نفتقد الفهرست الكامل .. ثم ان القضية ليست فقط فى المعارف العلمية التى تحويها هذه المخطوطات وانما فى الطريق الذى ادى الى هذه المعارف التى اتسمت بالرغم من اوانها المبكر بالعلمية والتجريبية قبل ان ياتى هيوم الفيلسوف الانجليزى بمذهبه التجريبى بـ ٤ قرون على الاقل . القضية فى المناخ الذى ادى الى هذا الازدهار والقيم الثقافية التى سادت تلك المجتمعات ومكنتها من انجاز هذه الثروة الضخمة .

ان علينا ان نعرف بعد ذلك كله انه لم يزل لهذا التراث اهميته القصوى فى التعرف على ذواتنا فالمخطوطات العربية مازالت تمثل جهدنا الاكبر وعمرنا الطويل على طريق المعرفة لسبب بسيط وهو ان المطبعة العربية دخلت عالمنا العربى متاخرة ٤ قرون كاملة عن اوروبا ، عندما جاءت الى مصر لأول مرة مع الحملة الفرنسية .. وحتى مطبعة الحملة الفرنسية ظلت مشغولة باوراق الحملة واوامر صارى عسكر ، واذا جاز لنا ان نؤرخ لأول مطبعة نقلت وسائل حفظ المعرفة العربية من المخطوط الى الكتاب بشكله العصرى الذى نعرفه فلعلها تكون مطبعة الطوبجية التى انشاها محمد على فى طره .. هناك عصور باكملها ليس غير المخطوط وحده يستطيع ان يضىء جوانبها ومن هنا تتضاعف اهمية المخطوطات العربية .

واخيرا فان هذا الجهد الذى مازال البعض منا يتشكك فى جدواه حتى الآن قد سبقتنا اليه مراكز علمية كثيرة ، بدات نشاطها مع حركة الاستشراق التى نشطت اول ما نشطت فى المانيا كجزء عندما كان يتقاسم فيه النفوذ كل من بريطانيا وفرنسا ، وبالرغم من ذلك فلقد كان هناك مستشرقون عظام ادوا خدمات جليلة الى التراث العربى ، وكان هناك ايضا الكثيرون الذين لم يكونوا فى الحقيقة سوى سماسرة يجوبون البلاد العربية من اجل نزح مخطوطاتها الثمينة والنادرة . ومع تزايد اهتمام اوروبا بالمشرق زادت عملية نزح وتهريب المخطوطات الى الخارج عن طريق تجارة سرية روجت لها عصابات دولية خطيرة كان مجال نشاطها شمال افريقيا ومصر والعراق ، عصابات نافست فى خطورتها عصابات القناصل الاجانب التى استباحت الاثار المصرية واعلنت فيها النهب والتخريب حتى تمكنت من نقل اثمنها بينما نواطير مصر غافلة نائمة .

يبقى بعد ذلك سؤال اخير : لماذا ظلت الثقافة العربية لـ ٥ قرون متصلة ، اكمل الثقافات واشملها ، قبل ان يلحق بها الدمار بسبب جحافل الغزاة ويصيبها الركود بسبب تآمر المستعمر ..

ان الاجابة على هذا السؤال تكشف فى الحقيقة عن درس بالغ الاهمية بالنسبة لقضية التراث والاصالة .

والواقع ان الثقافة العربية ظلت طوال ذلك الامد على ازدهارها لانها رفضت الجمود والانغلاق ، لقد كانت الثقافة العربية الوريث العقيقى بل الوحيد لكنوز الثقافة اليونانية • وقد استطاع المثقفون العرب فى ظل حكام مستنيرين ان يزاوجوا مزاوجة خلاقة بين الثقافتين ، مزاوجة كان من ثمارها الاولى نشاة علم الكلام الذى كانت له اثاره الخطيرة على اعلاء مكانة العقل فى التفكير الاسلامى •

والواقع الى حد كبير ايضا ان المعرفة تنهض باستنارة الحكام وتذوى بطغيانهم وجمودهم ، •• وعندما كانت قرطبة الاسلامية جامعة العالم كله حتى القرن الثانى عشر كان واليها الحكم ابن عبد الرحمن يبعث الرسل لشراء المخطوطات من كل الاقطار حتى انه بعث بالف دينار من الذهب الى أبى الفرج الاصفهانى ليرسل اليه المخطوط الاول من كتاب الاغانى •• وكان الخليفة المامون هو الذى يشرف بنفسه على مكتبة بغداد الشهيرة التى انفق عليها أكثر من مليون جنيه • ويحكى لنا أبو عبدالله ياقوت الجغرافى الاسلامى الاشهر انه عندما سافر الى مرو ـ فى خراسان قبل أن يدمر التتار مكتباتها العافلة يحكى لنا ياقوت انه وجد فيها ١٠ مكتبات يرعاها الوالى ، وكانت احداها تحتوى على ١٢ الف مجلد ـ وفى تلك المكتبة قضى أبو عبد الله ياقوت ٣ سنوات يقرأ مخطوطاتها الجغرافية قبل ان يتم كتاب معجم البلدان ، وكان المنصور والمتوكل يرسلان الرسل الى القسطنطينية بحثا عن مخطوطات اليونان القديمة وبهذه الطريقة وصل كتاب اقليدس فى الهندسة الى ايدى العرب •

ومن هنا يمكن لنا ان نقول انه ليس يكفى لكى نقبض على اصالتنا ان نستدير الى القديم، ان الاصالة جوهر تحصله الامة وتبلغه خلال عملية تنوير شاملة لا تتوقف فقط عند مجرد البحث عن التراث بل تمتد الى مناقشة هذا التراث فى جو تتلاشى فيه هراوات غير المستنيرين، فى جو يدع ألف زهرة تتفتح ، فى حوار مفتوح لا يغلقه الارهاب أو الهوس الديموجاجى • ■■

مكرم محمد احمد

أغير كنيتى فى اليوم مرتين • !

● قدم الخليفة المهدى المدينة بعد أداء فريضة الحج لزيارة قبر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحدث أن خرج فى ليلة الى مسجد الرسول مستخفيا ليصلى، فبينما هو كذلك اذ جاء مدنى فقام الى جانبه يصلى ، فلما قضى صلاته قال للمدنى : « أجاء هنا خليفتكم » فقال المدنى : «نعم ، فعل الله به وفعل وأراحنا منه »، وجعل يدعو على المهدى وانصرف، ثم خرج المهدى الى فسطاطه فلقى الربيع، فقال : « يا ربيع جلس الى جانبى البارحة مدنى فما ترك دعاء الا ودعا به على » فقال : « أتعرفه ؟ » قال : « نعم ،اذا رأيته ! » ثم ركب المهدى للرحيل واجتمع أهل المدينة يودعونه ، فوقعت عينه على الرجل ، فقال للربيع : « ألا ترى الرجل الذى صفته كذا وكذا ! »قال : «نعم» • قال : « هو ذاك صاحبى الذى رويت لك قصته » ، فأمر به الربيع فأخذ ، ومثل أمام المهدى ، فقال له المهدى : « يا هذا هل أسأت اليك قط ؟»قال : «لا» ، قال : « فهل لك مظلمة تطالبنى بها » • قال : «لا» قال : « فما دعاؤك على ، حين صليت الى جانبى ؟» فقال المدنى : « فديتك ، والله ، وعتقى ما أملك ، وامرأتى طالق ، ان لم أكن أغير كنيتى فى اليوم مرتين وثلاثا »فضحك المهدى وأحسن صلته •

نظـــرة على الميـــناء والبـــحر
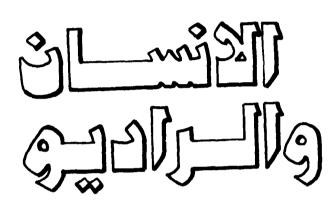
بقلم : عباس أحمد

هذه المقالة تحاول أن تشرح بلغةعلمية ولكن غير تقنية بعض الرموز التى نراها على لوحة وميناء تشغيل جهاز الاستقبال الاذاعى مثل الـ FM وال AM الخ .. والتى نادرا ما نفكر فيها أو نحاول فهمها على الرغم من الفة استعمالنا لها .

كذلك تحكى لنا قصة اعظم اكتشاف ظهر فى العصر الحديث، وهو الراديو، وكيف يمكن لهذه النعمة الباهرة ، أن تنقلب الى طاقة مدمرة .

وتطمح هذه المقالة أخيرا ـ الى ازالة تراب الاعتياد والالفة عن عالم الراديو لنرى بعض جوانبه العلمية ، اغرب من الخيال واقرب الى الشعر ولعلنا أن نتدبر أمره ، ونتجه به الاتجاه الصحيح .

صندوق الراديو السحرى للموسيقى

فى سنة ١٩٥١ ـ وكنت قد التحقت بالعمل باذاعة القاهرة منذ سنة ونصف ـ كلفت باذاعة « اوبريت » من مسرح احدى المطربات الشهيرات فى ذلك الوقت . وبين الفصل الاول والثانى ـ بعد ان نقلت الارسال الى الاستديو لتقديم نشرة الاخبار ـ ذهبت الى المطربة ـ لمعرفة مزيد من المعلومات عن « الاوبريت » ... وفوجئت بها غاضبة لانى نوهت فى تقديمى لحفلها الغنائى بصغر مسرحها ، مع انى اوردت ذلك فى سياق المديح لا التجريح .

وتذكرت تعجبى أن ذلك التنويه لم يات الا فى

تقديمى للحفل ، حينما كانت واقفة بين الكواليس تهم بالدخول الى خشبة المسرح .

فكيف استمعت الى كلامى لآخر حرف ؟

وكان بين يديها علبة صغيرة أنيقة - ظننتها فى أول الامر حقيبة يدها ، لكنها لم تلبث ان أدارت فيها زرا لامعا ... فانسابت الينا نشرة الاخبار ، وكانت هذه اول مرة ارى فيها « الترانزستور ».

لقد أصبح هذا الصندوق الصغير الذى نسميه «الراديو» شيئا مالوفا، نحمله فى جيوبنا، ونذهب به الى الفراش ، وفى ليالى الشتاء الباردة ندسه معنا تحت اللحاف . لقد ذهب عنه « السحر » ، الذى وصف به حين سمى أول مرة ، كان اسمه الكامل « صندوق الراديو السحرى للموسيقى » . اطلقه عليه فى مطالع هذا القرن احد الصناع المهرة العاملين باللاسلكى . ولم تكن الاذاعة بمعناها المعروف - قد وجدت لان المستمعين ، كانوا أفرادا، مهما كثروا لا يكونون جمهورا ، وكان اغلبهم من عمال اللاسلكى انفسهم ، الذين يقومون بصناعة اجهزة الاستقبال الخاصة بهم ، وباصدقائهم من هواة المستمعين . وكانت الرخصة التى صدرت بانشاء أول اذاعة فى العالم سنة ١٩١٦ باسم محطة ال KDKA فى بتسبورج بالولايات المتحدة الامريكية . وان كان الباحثون يشكون فى أن هذه المحطة - كانت اذاعة بمعناها المتواضع عليه الان.

ولقد سقطت عن هذا الاسم أيضا كلمة «صندوق» لانه بالفعل كان صندوقا فى حجم سحارة الكتب ، وكان الاستماع اليه بالسماعات لان مكبرات الصوت لم تكن قد اخترعت بعد .

يقول «اسبينول » فى كتابه التعليمى الشيق « انتاج برامج الراديو » .

(اما الاستديوهات فهى حجرات المكاتب غطيت جدرانها بالستائر الكثيفة لمنع الاصوات الخارجية ، ولم يكن هناك شيء من لوحات المزج،ولا ميكروفونات مغناطيسية ، ولا لاقطات الصوت الكهربائية . « Pick-ups » ، وليس هناك بالتاكيد تسجيل للشرائط ، وكان لا بد ان نرج الميكروفونات قبل استعمالها كما نرج زجاجة الدواء ...) .

ماركونى

لاحظوا أن كل هذه الاشياء ، أصبح أولادنا يتناولونها ويستعملونها الان بمهارات معقولة وشائعة فى حياتنا اليومية . نحن نلعب بال FM (تت) وال AM (تس) ونلعب بالموجة القصيرة والمتوسطة ، ونسجل على شرائط مغناطيسية ونضبط العيون الالكترونية للحصول على خواص صوتية أحسن . كل هذه العمليات أصبحت فى عاداتنا وآليات حركتنا ، دون أن يخطر على بالنا ، ان نسال ، ما هذا الذى نقوم به ؟ .

لم يعد الراديو اذن ساحرا ، ولا صندوقا ، وكذلك ، لم تعد الموسيقى هى أهم المواد التى يذيعها ،اذ سرعان ما برهن على أنه مجال الاتصال الجماهيرى الاول (بين الصحافة والتليفزيون ووسائل الاتصال الاخرى) فى نقل الاخبار .. اولا باول، أو حتى وقت حدوثها . وهذا لا يسلب الراديو انه الاول أيضا فى اذاعة الموسيقى وفى القاء الشعر، المهم ان الموسيقى - لم تعد وحدها خير مواده المذاعة. وسقطت بالتالى من اسمه الرباعى حيث لم يبق منه الا كلمة « راديو » .

والراديو من الناحية الدارجة - يطلق فعلا على جهاز الاستقبال الاذاعى ويطلق ايضا على مبنى

الاذاعة ككل . ولكنه يعني من الناحية التقنية البحتة، نظاما للاتصال لا يحتاج الى وسط مادي. ويستخدم امواجا كهرومغنطيسية ذوات ترددات تتراوح بين ١٠ كيلو سيكل و ٣٠ مليون كيلو سيكل في الثانية .

ان هذا الانسان ـ الذي نراه دائما يمشي وسط الزحام ـ ويحمل الراديو قرب اذنه ... مفتوحا على الموسيقى أو مباريات الكرة .. انما يحمل جهاز اتصال بالعالم يدخل بواسطته في نظام محكم لحركة الموجات الراديوية . انه يمارس شيئا لم يمارسه انسان قط قبل القرن العشرين . انسمعه يمد فعلا عبر العالم ، وصوته أيضا .. بل أن سمعه يمد عبر الكون . وصوته كذلك . ولكن كيف حدث هذا ؟ ! .

محاولة لرؤية عالم غير مرئي

كان القرن التاسع عشر قرن اختراعات عظيم ـ فالقاطرة البخارية والتلغراف والتليفون والتصوير الآلي والصور المتحركة والسيارة والطائرة والراديو ـ واعجوبة الصورة ـ (الخاصة بالتليفزيون) .. كل ذلك كانت له بوادره وارهاصاته في ذلك القرن . ولقد اصبحت أسماء العلماء ماركوني وفولتا ووات وامبير وموريس وهيرتز الخ الخ .. من كلمات اللغة المعتادة في اى ورشة صغيرة من ورش الراديو .

ولاواخر ذلك القرن ـ ظلت أسرع وسيلة وأبعدها للاتصال هي التلغراف والتليفون السلكيان. الاسلاك مغطاة بالعوازل لصيانتها تمتد في باطن الارض وعبر الانهار والبحار والمحيطات ... آلاف الاطنان من الاسلاك ... تمتد فوق اعمدتها الخشبية لتكون شبكة كثيفة فوق امريكا وأوروبا.. ومراكز المستعمرات ... الثورة الصناعية في اوروبا وحركتها الاستعمارية تفتح لها الاسواق البعيدة في الهند ومصر. الاتصال البعيد السريع المؤثر، ضرورة من ضرورات العصر .وكان العالم الامريكي صامويل موريس سنة ١٨٣٥ ـ قد استطاع ان يصل الى استخدام النبضات الكهربائية لاقامة نظام الاشارات التلغرافية المعروفة (النقطة والشرطة)، يرسلها عبر الاسلاك ، بما تفرضه على الاتصال من حدود وتكلفة باهظة ، وفي أواخر القرن ، كان العلماء عاكفين على تحقيق حلم غريب ، هو نقل الاشارة الصوتية عبر الهواء . كتب السير وليم كروكس ، معلقا في سنة ١٨٩٢ خلال صحيفته نصف الشهرية اللندنية . على تجارب فارادي وهيرتز يقول :

(ها هنا ... يتكشف امامنا عالم جديد مدهش.. هذه الامكانة الغريبة المحيرة لتلغراف بلا سلك ، وبلا أعمدة ، وبلا « كابلات » ، وبلا كل التكاليف الباهظة التي نتحملها الان .. ان هذا لم يعد مجرد حلم لفيلسوف جانح الخيال) .

واستطاع ماركوني فعلا ان يبرهن عمليا ـ في سنة ١٨٩٦ ـ على أن هذه الامكانة حقيقة ... وكان ذلك امام هيئة من العلماء ورجال الاسطول. ولا بد ان كان من بين الاعضاء من يتحفظ أو يحقد على ماركوني هذا العالم الشاب الذي ما يزال في ميعة الشباب (٢٢ سنه) ولكنه واصل جهده الخارق وتمكن في سنة ١٨٩٨ ـ من أن يرسل الاشارة الصوتية عبر الهواء مسافة ٨٦ ميلا .وفي ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠١ ، أرسل اشارة بحرف S (س) عبر فضاء الاطلنطي .

ان الراديو ـ بحق ـ هو ثمرة اكتشاف السماء. ان عالمنا ... ليس فقط عالم الارض ... لان الكون من حولنا ـ مليء أيضا بالخدمات والطاقة.. التي يمكن تسخيرها لخدمة الانسان. ولعلنا نذكر ان من خواص الموجة الراديوية ، انها ليست في حاجة الى وسيط تنتقل خلاله ، وان ترددها هائل يصل الى ٣٠ كيلو سيكل في الثانية ، ان هذه الموجات كامنة حولنا، منذ الازل ، ومن بينها موجة ، اسمها « الموجة الحاملة » هي المختصة بحمل الاشارة الصوتية او الموجة الكهربائية الصادرة من الميكروفون والتي تحتوى على كل الكلام أو الموسيقى أو الاصوات .

وبسرعة الضوء (نحو ١٨٦ الف ميل في الثانية) تجرى الموجة الحاملة بما تحمل وتذهب في كل الاتجاهات . لتصل الينا في في أجهزة الاستقبال حيث تفض الرسالة ـ وتتحول مرة اخرى ... الى ما كانت عليه امام الميكروفون .

واذا فتحنا القواميس العلمية ـ لنعرف بالضبط ماذا تعني الموجة الحاملة ، وجدنا أنها موجة كهرومغنطيسية غير مضمنة ، تستخدمها محطات

الارسال للراديو والتليفزيون علىتردد خاص بها• لاحظوا كلمة « غير مضمنة » كان هذه الموجة قد اعدت خصيصا منذ الازل ، لكى تتضمن شيئا • وهذا هو الواقع فعلا • انها هى التى تتضمن الاشارة الصوتية او البصرية ، وتجعل الراديو والتليفزيون ممكنين ـ ان عملية التحميل او التضمين هذه ـ التى يقوم بها المهندسون فى محطات الارسال ،تعتبر من اعجب واغرب العمليات الالكترونية التى لولاها لما قامت الاذاعة • انها تسمى « التعديل » Modulation والتى نجدها مختصرة فى حرف M (ت) على لوحات اجهزة الاستقبال • ان عملية التعديل تعنى تحميل موجة خصيصة موجة اخرى • لان الموجة العاملة تتعدل او تغير شكلها على حسب الموجة الصوتية الكهربائية •

ويقول الباحثون لتقريب الموضوع الى تصورنا ان الموجة العاملة « تتزوج » او تنحت نفسها فوق « الموجة الاخرى » او كان الموجة العاملة مظروف ينطوى حول خطابه « ويحرزه » •

كذلك فان الموجة العاملة ـ كاى موجة اخرى لها تردد Frecquency عرفنا مقداره من قبل،ونراه مختصرا على لوحة الراديو بحرف « F » (ت) ، ولها ايضا سعة Amplitude وتختصر كذلك فى حرف A (س) • وهىتعنى قوة الموجة او عزمها • ان فى الموجة ذبذبات وفيها ايضا قوة خاصة بها • وكلنا نعرف بالتجربة ان الاستماع للموسيقى على الـ FM» (تت) حيث تحدث عمليةالتعديل اصلا علىالخصائص الترددية للموجة •• خير من الاستماع اليها على الـ AM (تس) حيث تحدث عملية التعديل اصلا على خصائص قوة الموجة او سعتها • والتعديل فى التردد بالنسبة للموسيقى خصوصا الاوركسترالية منها ـ يعنى اننا نحاول بقدر الامكان ان لا تفلت منا رنةقوس او صدى طبلة فىآخر الاوركسترا•• وذلكبملاءمة ترددات‌الموجة لتشمل كل الترددات ـ مهما دقت ورقت ـ الصادرة من الاوركسترا •

ان موسيقانا اذن ـ وكلماتنا واصوات حياتنا داخل البيوت وخارجها ، لا تلبث بعد صدورها ، ان تدخل فى عالم آخر • انها لا تذهب هباء ولا تتبدد ، بل تهز الهواء من حولنا فى ذبذبات محسوبة تماما على اساس ما فى اصواتنا منعلو وانخفاض وخصائص مميزة كثيرة ـ وهى هنا تسرى بسرعة معقولة (١١٠٠ قدم فى الثانية)• نستطيع ان ندركها عمليا ••• حينما نقفبصدد جبل ، او قرب بئر ، ونناوى على شىء •• فيرتد الينا الصوت فى وقت محسوس • والصوت الطبيعى ـ مهما ارتفع حتى صار رعدا او انفجارا هائلاـ فانه محدود القوة فىالانتشار ـ فاكبر الانفجارات او الرعود تظل اصواتا محلية قاصرة على الاماكن القريبة التى حدثت فيها •

ولكن هذه الذبذبات التى تحدثها الاصوات فى الهواء اذا صادفت ميكروفونا ، فان الحال يتغير تماما • انها تهز فيه غشاء معدنيا رقيقا معاطا بمجال كهرومغنيطى، فتتحول بنفس خصائصها الى موجات كهربائية •ان هذا الغشاء يشبه طبلة الاذن التى نستقبل بها الذبذبات الهوائية التى تحدثها الاصوات فنسمعها • ولكن الميكروفون هنا لايسمع• انه يقوم فقط بتحويل الذبذبات الهوائية المساوية للصوت الىموجات كهربائية حافظة للصوتايضا • وتمضى هذه الموجات الصوتية الكهربائية ـ فى المعتاد ـ خلال اسلاك ، تحت ظروف خاصة من العناية والتقوية الى محطات الارسال ، حيث تحتويها الموجات العاملة ، وتنطلق بها فى كل اتجاه بسرعة الضوء ، عبر آلاف الاميال ، وعبر العوائق مهما كانت فى الارض او فى الجو ،لتصل بها الى اجهزة الاستقبال الصغيرة بين ايدينا • ان صوتك وانت فى الكويت ـ اصبح اقرب الى اذنى •• مما لو كنت معى فى بيتى بالقاهرة •• ولكن فى الحجرة الاخرى ••••ولقد ذكر لى بعض تلامذتى ـ الذين يقطنون قرب الجامعة ـ انهم يسمعون دائما دقات ساعة الجامعة فى الراديو ، قبل ان يتهادى اليهم صوتها الطبيعى من خلال النافذة •

ان يوم ١٢ ديسمبر سنة ١٩٠١ سيظل يوما مشهودا فى تاريخ الاكتشافات العلمية الحديثة ـ فلقد مهد لانطلاق الصوت من عقاله ومن محليته ، فاصبح من الممكن تحريكه بسرعة الضوء •واصبح من الممكن ايضا تحريكه خلال الفراغ•••••بعدان

كاد الصوت لا يسرى بالضرورة الا خلال وسط مادى (الهواء أو الماء أو الجوامد) .

واننا فى الحقيقة لنجنى ثمرة هذه المعجزة العلمية الفذة . فى كل مرة نمد فيها يدنا ونفتح الراديو لنستمع الى صوت بعيد . ولكن هذا الاكتشاف العلمى العظيم - مهما كان - لا تكمل قيمته الا بما يحمله ذلك الصوت البعيد من قيم . أن الراديو يدخل كمصدر اساسى فى حياة الانسان الحديث - للأخبار والترفيه ، ثم التفسير وتكوين الرأى والاتجاه . انه يأتى بعد الصحافة المحدودة الانتشار بطبيعتها - وبالمقارنة به - ليتخطى عوائق الزمان والمكان وايضا عوائق أميه القراءة والكتابة . ومن هنا يأتى خطره .

راديو الاتصال وراديو الانفصال

لقد استغلت الاشارة اللاسلكية فى الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) . استغلالا واسعا . وخرج رجل الشارع فى اوروبا عقب الحرب محطم الوجدان كسير القلب ، وكانت التجارب الاذاعية تمضى قدما فى الولايات المتحدة الامريكية حتى بلغت شكل اذاعة ما سنة ١٩١٦ كما ذكرنا . ولم تلبث ان تعالت الصيحات فى أوروبا مطالبة بمزيد من الديمقراطية للمشاركة فى الحكم ، وبمزيد من معرفة الاخبار التى كانت الصحف ما تزال هى وسيلتها الاولى ، والتى لايطلع عليها بطبيعة الحال الا الفئات القليلة التى تعرف القراءة والكتابة. كان الناس يريدون أن يعرفوا ماذا تفعل حكوماتهم وماذا تدبر ، حتى لا يجدوا انفسهم مساقين مرة أخرى الى القتال ومعارك لا يعرفون أهدافها وكنهها ، وكان كثير منهم قد انتزع من أرضه أو من ورشته الى ميدان القتال فى بلاد لا يعرف عنها حتى مجرد جغرافيتها . واين هى من وطنه الاصلى .

واننا لاننسى قصة الكاتب العظيم «ستيفانزفيج» عن الاسير الروسى الذى التقط من البحر قرب الشواطىء الفرنسية . وهو بين الحياة والموت . وظل بعد أن تماثلت قواه يحاول الهرب ، ويجرى فى الشوارع فى اتجاه الشرق، ظنا منه أنه سرعان ما . «روسيا» وطنه ، عبر البحيرة التى يمكنه اجتي سباحة . وكان آلاف من عمال اللاسلكى ا خاضوا الحرب قد سرحوا ، وبدأوا يطالبون با فى مجالات تخصصاتهم .. وأصبح انشاء الاذا حاجة ملحة اقتصاديا وسياسيا فى نفس الوقت وبالفعل فى سنة ١٩٢٠ كانت الاذاعة قد ب فى كثير من دول العالم الصناعية .

ان هذه النشأة «للراديو» واضحة المعالم والسم انه طاقة ضخمة لتدعيم الاتصال بين البشر . ا وجد الراديو اصلا - من الناحية الاجتماعية تحقيقا لمطلب الديمقراطية والحرية والسا والمنفعة ... وكان رجل الشارع يطالب به لي فقط ليستمع ، وانما ايضا ليسمعه الاخرون وبذلك يشارك فى تقرير مصيره .

ولكن يبدو أن النشأة الصالحة ليست عاصم مطلقا من الانحراف .. أو يجب علينا بالاحرى أ نقول أن طاقة الراديو . بين أيدينا - ان وجهناه للخير اتجهت ، وان وجهناها للشر اتجهت ايضا . ذلك أنه حينما قامت الحرب العالمية الثانية كان الراديو ضالعا فيها بكل ما اوتى من قوة الشباب واليفاعة . وقد تمثل هذا الاستغلال السلبى لطاقة الراديو فى اذاعة هتلر - التى اصبحت نموذجا للراديو الاسود ... راديو الانفصال والتسلط والسيطرة .

لقد حدث ذلك - ويحدث الان فى كثير من اذاعات العالم - نتيجة لان تنظيم حركة الموجة العاملة فى الاتصال يقتضى وجود مركز لهذا التنظيم - هو محطة الاذاعة . والمفروض ان محطة الاذاعة بمهندسيها ومذيعيها ومخرجيها ورجال ادارتها الخ ... هم الذين يهيئون أحسن الظروف للاتصال .. أى لاتصال الناس - والافكار بالتالى - بعضهم ببعض ، ومن هنا فقط تصبح الموجة العاملة - موجة عاملة مع طبيعتها من حيث انها تذهب وتجيء ، وتنتشر فى كل الاتجاهات الجغرافية على السواء الشرق والغرب والشمال والجنوب .

ولكن يحدث فى بعض الاحيان ان رجال محطة الاذاعة لا يقومون بذلك الدور ، وانما يقومون

فقط بتوظيف الموجة العاملة لحسابهم الخاص أو لحساب من يسيطرون عليهم.

ان الراديو الهتلرى قام بذلك • اصبحت الموجة العامدة فيه تسرى فى اتجاه واحد .. من فلسفة هتلر ونظامه الى الشباب الالمانى • اصبح الترفيه (الموسيقى والاغانى والتمثيليات الخ ...) والاخبار والتفسير أو الاتجاه ، كلها تتدفق من مصدر واحد لتكون رويدا رويدا ، وجدانا خاصا متجانسا ذا عقيدة واحدة ، التكامل فيها ينبع من توحدها وتفردها ، لا من تصارعها وجدليتها مع العقائد الاخرى •

انطاقةالراديو اذنيمكنأنتكونللسيطرةوالتسلط يقول هادامو فسكى أحد مساعدى هتلر الاذاعيين (اننا محصورون فى نطاق طاقة تتميز بقوة خارقة .. لا تقف دونها حدود المدن ولا تصدها الابواب المغلقة • انها قوة تقفز عبر الانهار والجبال والبحار ، وهى قادرة على اخضاع الشعوب تحت سيطرة روح قوية واحدة) •

ولا مفر من مواجهة الواقع • ان الاذاعات فى كل انحاء العالم بنظمها الثلاث الاساسية التجارى والحكومى وشبه الحكومى (أى التى تديرها هيئات لها استقلال ذاتى ، وتعتمد فى انفاقها على تمويل المستمعين لها) انما تمثل النظام السياسى والاجتماعى لدولها •

ولكن صمام الامان ، ياتى فى الحقيقة من مقدار ماتتيحه كل اذاعة من التغذية الارتدادية Feed back لما تقدمه من برامجها•فليس من مهمة الاذاعة ان ترسل برنامجها فحسب ، ولكن يجب أيضا أن تعرف رد فعله لدى المستمع ، وتطور عملها دائما على هدا الاساس • ان هذه الاحالة المتبادلة المستمرة•• بينالمرسل (الاذاعة) والملتقى (المستمع) هى التى تضمن المحافظة على محطة الاذاعة ... فى علاقة متنامية وفعالة مع مجتمعها ... ان المتلقى يصبح هنا • ـ هو أيضا المرسل • ويصبح الراديو مجال اتصال حقيقى بين الناس •

لقد اصبحت وسائل الاتصال الجماهيرية (الراديو والتليفزيون والسينما والصحافة) هى مصادرنا للترفيه والاخبار والتفسير او تكوين قوة الاتجاه • ان خطورتها من غير شك انها تسهم اسهاما اساسيا فيتكوين وجدان الانسان المعاصر • وكنا فى العصور القديمة والوسطى والحديثة الى أوائل القرن العشرين ـ نستقى هذه العناصر المكونة لوجداننا ـ بشكل مباشر • نتلقى الحكايات من اجدادنا وأمهاتنا ، ونتلقى الاغانى والتمثيل من فرق الممثلين الجوالين ، ونتلقى الاخبار من السوق ، ياتى الينا بها جندى عائد من ميدان القتال او تاجر قادم من بلاد بعيدة •

وها هنا صلة حية متدفقة•مليئة بكل التفاصيل الانسانية من القوة والضعف والحنان والسخرية والتلقائية والصدق والخيال والاصالة • ان ردود افعالنا وتغذيتنا الارتدادية المباشرةلمصادر الترفيه والاخبار والتفسير ، وهم معنا وجها لوجه ـ هى التى تكون الشكل الانسانى للاتصال •

يقول دالاس سميث فيبحثه القيم ملاحظات على نظرية الاتصالات ضمنكتاب علم اجتماع الاتصالات (انه كلما قل امكان التغذية الارتدادية ، كلما قل بنفس النسبة عنصر الانسانية فى الاتصالات)•

وعلينا اذن لكى نعوض ـ عنصر الانسانية فى المواجهة المباشرة ـ الذى فعدناه بتوسط وسائل الاتصال بيننا وبين مصادر تكوين وجداننا ـ أن نعنى عناية خاصة بفتح كل السبل امام التغذية الارتدادية • ان دراسة المستمعين دراسة علمية، وابتكار قوالب البرامج الملائمة لهم ولظروفهم المعيشية ، وجذبهم هم انفسهم لمخاطبة بعضهم البعض .. والاكثار من البرامج التى يشارك الجمهور فى بنائها .. ودراسة رسائلهم دراسة جادة ، وتوعيتهم المستمرة بقيمة هذا الصندوق الصغير (الراديو) وخطره .. ان هذا كله .. هو بعض ما تصبح به الاذاعة اداعة انسانية ، يتعادل فيها الارسال والاستقبال بنفس القيمة •

■■

عباس أحمد

الاسلام والحضار

■ الاسلام دين انساني عام ، أو دين عالمي كما نقول في اصطلاح العصر الحديث ، يخاطب الأمم جميعا فلا يفرق بين أمة وأمة بفارق الجنس أو اللون أو اللغة ، فكل انسان في جوانب الارض أهل لان يأوى الى هذه الاخوة الانسانية حيث شاء وحين يشاء .

« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا » .

« وأرسلناك للناس رسولا وكفي بالله شهيدا » .

هكذا أعلنها القرآن الكريم دعوة عامة منذ ألف وأربعمائة سنة ، وهكذا أعلنها النبي عليه السلام وخلفاؤه الراشدون وتابعوهم الابرار في صدر الاسلام ، ولم يمض ربع قرن من التاريخ الهجرى حتى قامت بينات الواقع على حقيقة هذه الدعوة الانسانية الاسلامية ، فدان بالدين الجديد أناس من جميع الاقوام والسلالات ، ولم تنقض على الهجرة ثلاثة قرون حتى كان في عداد المسلمين ساميون وآريون وحاميون وطورانيون ، عرب وفرس وترك وهنديون وصينيون وأفريقيون من السود والاثيوبيين .

هذه هي البينة العلمية الواقعية على « عمومية » الدين ، وهي بينة ينفرد بها الاسلام بين الأديان الكتابية وغير الكتابية ، وينبغي أن ننظر اليها من وجهتها الصحيحة لنعرف حقا انها مزية قد انفرد بها الاسلام .

ان دينا من الاديان الاخرى لم يكسب أمة ذات كتاب عريقة في الحضارة ، وانما كانت الاديان مقصورة على العصبية القومية أو على تحويل الوثنيين الذين درجوا على عبادة الاصنام وما يشبه الاصنام من رموز القوى الطبيعية .

فالموسوية قصرت دعوتها على العبريين أو اليهود ، ولما قام المكابيون ليكرهوا قبائل البادية على قبول الشعائر اليهودية كانت هذه القبائل وثنية مغرقة في الجهالة ، وكان المكابيون يؤمنون بالاله «يهوا» ملكا تجب له الطاعة على رعاياه ، وكانوا من أجل هذا يسمون أمراءهم رؤساء كهان ولا يسمحون لهم بلقب الملك وشاراته ومراسمه ، فاكراه القبائل على قبول سلطان« يهوا » انما كان عندهم بمثابة الخضوع السياسى الذى يلزم الاجانب والغرباء كما يلزم أبناء الأمة وأهل السلالة .

والبرهمية ظلت ديانة قومية عنصرية حتى خرجت منها النحلة البوذية ، فنجحت في تحويل الوثنيين اليها في الصين واليابان ، ولم تحول اليها قط أمة ذات كتاب .

والمسيحية حولت اليها الرومان وغيرهم من الغربيين أو الشرقيين ، ولكنهم كانوا جميعا من الوثنيين الذين وقفوا عند خطوات الدين الاولى ، ولم يجاوزوها الى عقائد أهل الكتاب .

الانسانية

للاستاذ عباس محمود العقاد

اما الاسلام فقد حول اليه، على خلاف ذلك، أعرق الامم فى الحضارة وفى الايمان بالعقيدة الكتابية ، فأسلمت فارس وأسلمت مصر، وهما على التحقيق أعرق أمم العالم يومئذ فى تاريخ الحضارة ، وأولاهما كانت تؤمن بالله واليوم الآخر والحساب والعقاب وغلبة الخير على الشر وخلود الروح ، وثانيتهما كانت تدين بالمسيحية وتحمل لواءها فى العالم القديم ٠

هذه المزية ينفرد بها الاسلام بين جميع الديانات ، وهى آية العالمية والصلاح لدعوة الامم جمعاء ، سواء منها الامم المعرقة فى الحضارة والدين أو الامم التى لم تبلغ بعد مبلغ الارتقاء فى التحضر والاعتقاد ٠

ان هذه الحقيقة خليقة أن تذكر على الخصوص فى عصرنا الحديث ، لاننا سمعنا فيه أناسا من المبشرين يعترفون بغلبة الدعوة الاسلامية فى أواسط القارة الافريقية ويسلمون انها نجحت حيث لم ينجحوا ، وشاعت بغير تبشير حيث يخفقون بعد التبشير سنوات ، ولكنهم يعتذرون لانفسهم بعذر يقبلونه ولا يقبله الواقع: وهو موافقة الاسلام للقبائل المتأخرة بطبيعته وانه قريب المأخذ عند « البدائيين » من سلالات القارة السوداء ! وليس أصلح لتفنيد هذا العذر من تلك الحقائق التى اثبتها التاريخ او من تلك المزية التى انفرد بها الاسلام بين الاديان ، فدخلت فى دعوته أعرق الامم حضارة بعد خلاصها من الوثنية الاولى عدة قرون ، ولم يحصل ذلك قط فى تاريخ دين ٠

وتزداد هذه الحقائق ثبوتا ووضوحا كلما رجعنا الى تاريخ الدعوة الاسلامية بين البلاد الآسيوية ، فانها لم تعتمد على القتال ولم تعتمد على التبشير بقدر اعتمادها على القدوة الحسنة والامثلة العملية ، فلا تذكر الوقائع الحربية الى جانب العدد الذى دان بالاسلام من أهل الهند والصين والملايا ، وعدتهم نحو مائتى مليون ، وكل ما يرويه التاريخ عن القتال بين المسلمين وغيرهم فى تلك الارجاء فانما حدث بعد ان أصبح المسلمون معدودين بالملايين وانما هو فى جميع الاحوال قتال سياسة وليس بقتال اكراه على الدين ٠

ان الوقائع العلمية هى الشهادة للاسلام بالصبغة الانسانية العالمية ، ولا حاجة بالدين الى شهادة أخرى متى ثبت له من تاريخه الاول انه يضم اليه شعوبا من جميع السلالات والعقائد ، ومن جميع الاطوار فى الحضارة والمعيشة البدائية ، وان كتابه يخاطب الناس كافة ، ويوجه الرسالة الى كل سامع ٠

هذه الخاصة الانسانية باقية فى صميم الاسلام يواجه بها الحضارة العصرية كما واجه بها حضارات العصور الاولى ، وهى التى صبغت تلك الحضارات بالصبغة الاسلامية . وهى التى جعلت تاريخ العالم من القرن السادس للميلاد الى القرن الخامس عشر تاريخ الفكر الاسلامى والآداب

الاسلامية ، ولم ينفصل التاريخان بعد ذلك لأن الاسلام فقد « خاصته » التى لازمته عدة قرون، ولكنهما انفصلا لان المسلمين تخلفوا عن الركب ، وأصبحوا « غير مسلمين » الا باللقب والعنوان ٠

يقول المؤرخ « توينبى » ان المسلمين يواجهون حضارة العصر بنزعتين متناقضتين : احداهما يسميها النزعة الهيرودية وينسبها الى هيرود ملك اليهود الذى قابل حضارة الرومان بمشابهة الرومان فى السكن والملبس والمعيشة ، والأخرى نزعة الغلاة وينسبها الى نساك اسرائيل الذين كانوا يصرون على القديم وينكرون كل مخالفة للعادات والموروثات ٠

ولو أراد الاستاذ « توينبى » أن يتوسع فى الامثلة لعمم القــول على الطبيعة الانسانية فى مواجهة كل حديث ومقابلة كل تغيير ٠

فالهوادة والتشدد طبيعتان فى النفس البشرية تبرزان فى كـل عصر وتتقابلان أو تتناقضان أمام كل دعوة ، وقد ظهرت هــاتان الطبيعتان فى طوائف المسلمين منذ الصدر الاول للاسلام ، فكــان منهم أبــو ذر الغفارى المتقشف المتنسك كما كان منهم الصحابة الذين اقبلوا على معيشة الحضــر واليسار ، وقال المسعودى عن بعضهم « ان الثمن الواحد من متروك الزبير بلغ بعد وفاته خمسين الف دينار ، وانه خلف الف فرس والف أمة ، وان غلة طلحة من العراق بلغت الف دينار كل يوم،وان عبدالرحمن بن عوف كان على مربطه الف فرس وله الف بعير وعشرة آلاف من الغنم،وان منهم من بنى دورا بالحجاز والشام والاسكندرية » الى آخر ما روى من أخبار تغلب فيها المبالغة على التقدير الصحيح ٠

ونحن فى العصر الحاضر نعرف الرخصة والهوادة كما نعرف الشدة والصرامة ، ونواجه الحضارة الاوروبية بالنزعتين معا أو نتوسط بينهما تارة مع المحافظة وتارة مــع التجديد ، ومن لم يتوسط منا تشبث بالمحــافظة حتى الجمود أو اندفع مع التجديد حتى أصبح كالمنبت عن الطريق ، وأحسب هذه النزعات جميعا كانت على اختلافها الذى نشهده اليوم فى تاريخ كل دعــوة ومواجهة كل تغيير ، فهى طبيعة الناس لا تتبدل ولا تختلف مع الازمنة بغير الصور والاشكال ، وحسبنا أن نرى فى الاسلام متسعا لها مع الحضارة العصرية كما اتسع لها مع الحضارات الأولى ، فانما يغنى المسلمين من الاسلام ان يظل كما كان عقيدة انسانية عامة . وان يكون الانسان مسلما حقا حين يتشــدد ومسلما حقا حين يترخص ، فلا يقطعه الاسلام عن زمنه ولا عن مزية من مزايا حضارته ومعارفه وصناعاته ، ولا يكون المسلم الحق غريبا مع حضارة الغرب الحديث وهو لم يكن غريبا مع حضارة الفراعنة والفرس والروم ٠

لقد كان الاسلام عقيدة « انسانية » ودعوة عالمية يوم تقطعت الاسباب بين الأمم وتمزقت الانساب بين بنى آدم وحواء ، فاليوم ، والدعوة الانسانية على كل لسان ، خليق بالاسلام أن يجعلها فى كل قلب وأن ينفذ بها الى كل ضمير ٠

■■

عباس محمود العقاد

ذكريات مع الشاعر :

علي محمود طه

"المهندس"
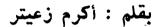
قلت للشاعر جميل الزهاوى : هل يخلف علي محمود طه شاعرنا احمدشوقي؟ فقال : وما يدريك لعله يفوقه على الرغم من تحامل طه حسين عليه .

■ فى خريف سنة ١٩٣٣ ، ذات يوم ، لقيت الاديب الفلسطيني الكبير الاستاذ خليل السكاكيني فى شارع (باب الخليل) فى القدس واعلمته انني أهم بالسفر الى دمشق وبغداد لرثاء فيصل ابن الحسين فى أربعينه باسم استقلاليي فلسطين فقال : « هلم الى مقهى (الصعاليك) » وذلك ما كان يطلقه على مقهاه الاثير ، وسالني ونحن فى الطريق الى المقهى : « هل قرات مجلة الرسالة؟ هل قرات رثاء الشاعر علي محمود طه فيصلا ؟

» ولم نكد نجلس ويبادر صاحب المقهى الى احضار (نارجيلة) الاستاذ حتى اخذ السكاكيني يتلو من الرسالة :

تألق كالبرقة الخاطفة
وجلجل كالرعدة القاصفة

مبين من الحق فى صوته
صدى البطش والرحمة الهاتفة

يطير على صهوات السحا
ب ويمشي على اللجة الراجفة

وبنشوة الماخوذ بالنظم الرائع يتلوه صوتحنون جذاب سمعته يشدو بوقع النعي :

ومصطبحين هوت كأسهم
حطاما على الشفة الراشفة

افاقــوا على حلــم رائــع
كــأن بهم فــــزع الآزفــة

يردون بالشــك ســوت اليقيــ
ن وتصــدقه الاعــين الــذارفة

واتم صاحبنا تلاوة القصيدة ، وقد حمدت له ان لفت نظرى الى هذا الشاعر الموهوب ، ورحت اتتبع ما ينظم ، وارتله معجبا ٠

وحدث فى صيف ١٩٣٥ ان اقيم فىبغداد حفل تابينى لشاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمى، وكنت فى الحضور ، حريصا على الاستماع الى الشاعر جميل صدقى الزهاوى الذى كنت القاهفى بغداد فى مقهاه الاثير (امين) وقد جاء يتوكا على عصاه ، فى جسم متهافت ، يصارع العلل ويناجز الأدواء ، وقد رافقه فتيان حرصا ، حين شرع يلقى قصيدته على ان يمسكا بذراعيه امساك الشفيق الذى يحاذر ان تجمع العاطفه بالشاعر المترجرج ، فيحاول ان ينهض وهــو لا يقوى على الوقوف، فيصيب جسمه الذىترافدت عليه الاسقام اذى شديد ٠٠ وبصوته المتهدج القى الزهــاوى قصيدته وقد انهاها صارخا :

يابلبل الشعراء ما لــك صــامتا
مــن بعــد تغــريد لــك مشجن

قد سرت قبلى للردى مستعجلا
ولعلنى بــك لاحــق ولعلنى !

وردد : ولعلنى بك لاحق ولعلنى ٠٠ وهنــا احسست ان شاعرنا ينعى نفسه ، فحرصت فىاليوم التالى على زيارته مودعا ، وكنــت مزمعــا على مغادرة بغداد الى فلسطين ٠٠ ولا اتحدث الان عن تلك الزيارة الوداعية الاخيرة المفاضة ، ولكننى اذكر فيها قوله : « ٠٠ واغلب الظن ان علىمحمود طه المهندس سيخلف شوقى ٠٠ انه يعجبنى ٠٠ » فقلت فى دهشة : « ايخلف شوقى ؟ » فــال : « وما يدريك لعله يفوقه على الرغم من تحامل طه حسين عليه ٠٠ »

اللقاء الاول

واشتهيت بعد ذلك ان القى على محمود طــه لاخبره براى الزهاوى فيه، ولكن تطاوحت بىالنوى بعد الثورة الفلسطينية الكبرى ٠٠ الى ان كان لقاؤنا الاول خريف سنة ١٩٤٦ فى القاهرة ٠٠ وأفضنا فى الحديث ٠٠ وقلت له : « اعلمت ان الشاعر جميل صدقى الزهاوى يرى انك ستخلف شوقى؟ ذلك ما سمعته باذنىمنه !» فاستنار وجهه وتطلقبشرا واستزادنى القول فىتفصيل ما اجملت ٠٠ورايتنى وقد اوتفع التكلف بيننا اساله : «هل تدعى اسرتك « المهندس » ؟ قال : « كلا ٠٠ اننى مهندس حرفة » ٠٠فقلت : « ان ذلك لا يسوغ ان يكونتوقيعك علىمحمود طه المهندس٠٠حسبالشاعر الكبير اسمه ! » فقال مبتسما : « اليس فى الشعر هندسة ؟ كان بول فاليرى يقول : اننى اهندس الشعر حين انظمه !» فقلت : «اننى يا صديقىأرى فى (المقطم) احيانا قصائد لشاعر يوقع مع اسمه « الكيميائى » ! فاعرض عن قراءة شعره ٠ » قال: « ولكن الشاعر بشعره لا بلقبه ! » فاجبت : « هل تجد مسوغا لشوقى انيوقع :« احمد شوقى المحامى» ولحافظ ابراهيم « مدير دار الكتب » ولخليل مطران « مستشار الفرقة القومية ؟ » وهنا اوما الى بيده « كفى ٠٠ كفى يا صديقى لن ترى « المهندس » فى توقيعى بعد اليوم ٠٠ ثم ماذا ؟ « هات ماعندك » ! « قلت : « اناحمد شوقى الذى (انزل المتنبى عنعرشه) ، كما يقول استاذنا فارس الخورى ، لم يكن شاعرا مصريا فحسب ، بل شاعر العرب والاسلام ،نظم فى سوريةثلاث قصائد خالدات ورثى زعيمها فوزى الغزى ، ومجد بطل طرابلسـ برقة الشهيد عمر المختار ٠٠ رثى ابا الثورة العربية الحسين بن على ، رثى زعيم مسلمىالهند مولانا محمد على حين دفن فى جوار الاقصى ، وناهيك بما نظم عن قضايا الاسلام روعة وابداعا٠٠ انه لم يتبوا مكانته لمحض ابداعه ولكن لانه كما قال هو ٠

كان شعرى الغناء فى فرح الشر
ق وكان العــزاء فى أحــزانه »

وهنا رايته ينبسط الى ويقول : « شوقى ٠٠ شوقى ٠٠ من كشوقى فى شعراء العربية ، انه الذى قلت فيه :

الهم الشعر اصفريه فرقا
في فم الدهر كوثرا ومدامة

سلسبيل من حكمة وبيان
فجر الله منهما الهامه

على انني ياصاحبي رليت فيصلا الاول وغنيت بشعري كفاح المجاهدين في فلسطين والمغرب ودوت صيحتي في ذكرى تصريح بلفور المشئوم في العام المنصرم ، وحييت مفتي فلسطين الاكبر حين ظهوره في مصر ..وهل قرات قصيدتي في استقبال الملك عبدالعزيز آل سعود في القاهرة مطلع هذه السنة ؟ وقد قلت فيها عن الجامعة العربية :

وليس لها من قوة غير ألسن
واقلام كتاب وسحر بيان

وماذا يفيد الرأى لا سيف عنده
وماذا يصيب القول يوم طعان ؟

على البأس فابنوا ركنها وتأهبوا
بمستقبل من حولها متفاني

قلت : « طابت انفاسك .. ومع ذلك مزيدا من هذه الروائع .. » وتواعدنا اللقاء في مقهى الاميركيين اصيل اليوم التالي .. وهناك استنشدته المطرب المرنح من شعره ، واهدى الي « الملاح التائه » و « ارواح واشباح » و « اغنية الرياح الاربع » وقد زهيت بما كتب في عبارات التقدمة... وتوثقت بيننا آصرة اخاء ..

في ذكرى ميسلون

وعدت الى دمشق ، ولم تكد تمضي ايام حتى تلقيت منه رسالة يومىء فيها الى تاثير اجتماعاتنا في نفسه .. وارفقها بقصيدة عن بطل ميسلون يوسف العظمة قدمها تحية الشعر الى دمشق المستقلة ، وقد اختتمها بقوله :

يا يوسف العظمات غرسك لم يضع
وجناه اخلد من نتاج قرائح

قم لحظة وانظر دمشق وقل لها :
عاد الكمي مع النفير الصادح

● الشاعر علي محمود طه

ودعاك يا بنت العروبة فانهضي
واستقبلي الفجر الجديد وصافحي

ونشرت القصيدة في الصحف الشامية وكتبت اليه عن تاثيرها في مشاعر الناس ..

وكان همي حين اعتمرت القاهرة في مطلع سنة ١٩٤٧ ان القى الصديق الشاعر، فعدته، في مسكنه بشارع سليمان باشا وكان يشكو « اللمباجو » .. واشدت ثانية بقصيدته في ميسلون .. ثم قلت : « .. وقريبا تحتفل سورية بالذكرى الاولى لعيد الجلاء فما الراى في قصيدة للمهرجان ؟ قال : « قد لا اقوى على الشخوص الى دمشق فهل تفضل على بالقائها انت ؟ » فقلت : « حبا وكرامة » قال : « اذن تاخذها معك حين تعود الى دمشق » .. ثم قال : « غدا يقام في الاوبرا حفل تابين للامير شكيب ارسلان وساتحامل على نفسي فالقي فيه قصيدي .. » .. ورافقته الى الحفل وتلا قصيده ووصف الامير شكيب :

شيخ يدب على عصاه وقلبه
متوثب الآمال والآلام

يطوى الثمانين الوضاء مليئة
بمواكب للذكريات ضخام

وجلائل للمأثرات مواثل
وجحافل للحادثات جسام

وعاد من الحفل الى سريره ، وحين ازمعت العودة الى دمشق هتفت به اساله عن صحته ،وعن قصيدته في الجلاء فاجاب انها في الاعداد فاذا ابل من مرضه القاها بنفسه في المهرجان في السابع عشر من نيسان ، والا ارسلها الي لاتلوها باسمه، وشاع في دمشق اعتزام الشاعر تحية سورية بقصيدة يتلوها بنفسه ولكن حدث قبل الموعد المنشود ، وفي ايام شم النسيم ، ان فجعت مصر بوفاة الزعيم الوفدي صبري باشا ابو علم، وكان موضع تجلة شاعرنا الوفدي فابرق الي يعتذر عن تخلفه عن الحضور ثم شفع برقيته بقصيدة حملها الي رسول وفيها يقول مخاطبا دمشق :

هنأت باسمك تحت الشمس احرارا
يندى هواك على هاماتهم غارا

دمشق يا بلد الاحرار أى فتى
لم يمتشق فيك سيفا أو يخض نارا

لولا مصاب دهى الوادى فشب به
نارا وهاج النسيم العذب اعصارا

وروع الامة الغلباء فى رجل
شدته قوسا وسلت منه بتارا

لولاه كان اليك البرق راحلتى
اطوى به الجو آفاقا واقطارا

وفي مطلع ايار تلقيت من الشاعر رسالة تحية وشوق يقول فيها : « ... اشكرالله على نعمائه بعد ابلالى من المرض الذى احتجزنى فى مسكنى زهاء الثلاثة اشهر وها انذا اخرج الى الحياة بهذه القصيدة التى اردت بل احببت ان تشاركنى فى قراءتها انت والمعجبون ببطلنا العظيم فوزى القاوقجى .. وارجو ان يكون قد وفق شاعرها الى تصوير هذه الشخصية الكريمة ..» وعنوان القصيدة « عودة المحارب » حيا بها الشاعر القائد الثائر العائد الى وطنه ومما قال فيها :

وبايع فى شبيبته المنايا
فعادت منه وادرأت حمامه

ووثب الخيل افراس الامانى
الى خطر تعشقه ورامه

يصف البيض والسمر العوالى
ويرقب فى فم الدهر ابتسامه

واعتمرت بيت القاوقجى احمل اليه القصيدة فحدث عن نشوته ولا حرج.. وكنت مزمعا الشخوص الى القاهرة فى طريقى الى اميركا اللاتينية للدعوة الى قضية فلسطين واستنهاض همم المغتربين لمظاهرتها فحملت للشاعر جواب الثائر .. وفيه يقول : « .. ففى كل بيت روح معركة او صدى حق ناقم او صورة نضال باسل ، وهذا الشعر العبقرى اجدر به ان يدخر ليوم الفصل .. يوم المعركة الكبرى لانقاذ فلسطين كلها .. يومئذ يقول شاعرنا الكبير ما يشاء .. » وساعة وصولى الى القاهرة هرعت الى الشاعر وسلمته الجواب .. فنشر فى البلاغ الاسبوعى وفى الرسالة ..

وظللنا نتساقى كئوس المودة المحض ونتبادل الرسائل .. حتى قضى نحبه فى نهاية صيف ١٩٤٩ ففقد الادب الشاعر ، وفقدت الصديق الاثير . رحمه الله .

بيروت ـ اكرم زعيتر

قلن .. فى « الحب والزواج » !

- ليس هناك ثروة فى الدنيا تعادل « ثروة الحب » .

« مارى كوريللى »

- « الزواج » ، اجمل تذكار للحب !

- الحب « مطلب » و «رغبة» ، والزواج « غزو واخضاع » ، والطلاق « تحقيق واستجواب » !!

« هيلين رولاند »

- بعد أن رايت وجوه صديقاتى العابسة فى الزواج ، قررت أن استبدل الموسيقى والضحك بالرجل الذى كان من المحتمل أن يصبح زوجا لى !

« الزا ماكسويل »

فى عصر سقوط الكلمة !

لنعترف : لقد انتهى العصر الذهبى للكلمة · لم تعد الكلمة كافية لاستيعاب تطورات العصر ومتغيراته · فقد تجاوزها الواقع وفرغها من مضمونها ·لم تعد ايضا وسيلة للتعبير عن الحقيقة ، ولكنها صارت فى اغلب الاحوال قناعا يدارى الحقيقة ويزيفها · لم تعد سهما ينطلق فيفجر موقفا او يحسمه ،بل تحولت الى سلاح طيع ومستانس · لقد كسرت شوكتها وقلمت اظافرها ، واصبح توظيفها سهلا مثل حيوانات السيرك !

تعالوا نستعرض حياتنا ومعتقداتنا،ونختار منها اى موقف،دينى او سياسى او اقتصادى او اجتماعى ، ونسال : كم من المعانى يخطر ببالنا اذا عبرنا عن هذا الموقف بكلمة · وهل تستطيع الكلمة الان ان تقوم بدور الموصل الجيد بين مايرتبط بها فى اعماقنا ، وبين ماهو حادث فعلا ؟

ان كلمة مسلم كانت تعنى شيئا واحدا منذ ١٤ قرنا · كانت تعنى ذلك الانسان الذى يؤمن بان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، ويفهم القران كما انزل وكما قدمه النبى للبشرية ، بسلوكه وشروحه ومواقفه ·

الآن اختلف معنى الكلمة · لم تعد تعنى كلمة مسلم نفس الموقف الواحد المباشروالقاطع، بعد أن تعددت المذاهب والملل ، ورفعت راية الاسلام فوق معتقدات واجتهادات لا اول لها ولا آخر · خصوصا فى تلك المناطق الاسيوية التى وصل اليها الاسلام متاخرا ، فاختلط بمعتقدات محلية كثيرة ، من بوذية الى هندوكية ومزدكية ، وحتى مسيحية · وما تردده طوائف القاديانية والاسماعيلية والبهائية والبهرة · ذلك كله يؤكد ان هناك الكثير مما هو منسوب للاسلام الان ، غريب عن ذلك الاسلام الذى عرفته البشرية منذ ١٤ قرنا ·

ولا نريد ان نقلب كل صفحات الماضى ، والحاضر ، لندلل على تعدد واختلاف الفرق والجماعات التى تحمل اسم الاسلام ،بالحق او بالباطل ، الامر الذى لم يعد كافيا معه ان نستخدم كلمة مسلم وحدها ، بل ينبغى ان نسال ايضا : مسلم كيف ؟

ثم تعالوا نقف امام بعض الكلمات المتداولة فى حياتنا ، والتى تفجر الكثير من المعارك السياسية والفكرية بغير مبرر . مثلا : الديمقراطية ، اليمين ، اليسار ، الاشتراكية ، الراسمالية .. ماذا تعنى هذه الكلمات الان ؟ لقد صار كل منها بمثابة ثوب فضفاض يتسع للعديد من الاراء والاتجاهات والمواقف ، الحقيقية والمزيفة ، المتقاربة والمتضاربة .

هل هناك حكم الان على وجه الارض لايقول انه يمارس الديمقراطية ؟ نحن نعرف ديمقراطية اثينا ، ونذكر الديمقراطيات المباشرة فى المقاطعات السويسرية القديمة،ولا تزال كلمة الشورى ترتبط فى اذهاننا بالعديد من الصور الباهرة والمضيئة فى المراحل الاولى من التاريخ الاسلامى .. نعرف هذا كله عن الماضى وندرك ان الكلمة وقتئذ كانت تشير الى واقع محدد وواضح الملامح . ولكننا نتوه الان ونصاب بالعجز التام عن الفهم امام ديمقراطيات هذا العصر .. الم يكن هتلر يتمسح فى الديمقراطية ويراس حزبا يحمل اسم « الوطنى الاشتراكى » ؟

اليمين واليسار . يتراوح اليمين بين حكم العصابات وحكم المحافظين ، والمسافة شاسعة بين الحكمين . اما اليسار فرايته مرفوعة فوق الف اتجاه والف مذهب ، حتى لم يعد هناك مفكر واحد قادر على أن يشير باصبعه الى فريق محدد ويقول هذا هو اليسار . واذا تابعنا الاتهامات التى يتبادلها الشيوعيون فيما بينهم ، الصينيون والسوفيت مثلا ، ثم اذا تاملنا ما يقوله الذين ينتمون الى اليسار الجديد ، الذين يحكمون « بتكفير » كل صور اليسار التى نعرفها ، من يمين اليسار الى يسار الوسط الى يسار اليسار ، ويتهمونهم بخيانة الانسان والعصر .. اذا قرانا ما يقوله هؤلاء جميعا ، فاننا سنصاب بالدوار والدهشة فى آن واحد .

وهى نفس الدهشة التى نشعر بها ونحن نقرا ان الحزب الشيوعى الايطالى اقر تجميد الاجور منذ اسابيع ، ووقف بذلك ضد مطالب البروليتاريا فى ايطاليا ، بعد ان اصبح شريكا فى السلطة الامر الذى فجر موجة هائلة من السخط فى اوساط النقابات العمالية والشباب ، وخرجت صحفهم تسال : اذا كان هذا هو موقف احدى فرق اليسار ، فهل يختلف فى شىء عن موقف احزاب اليمين ؟

نفس الشىء يقال عن الاشتراكية والراسمالية . لقد صارت كل من الكلمتين تعنى خطوطا عامة وعريضة . لكن أيا منها لم تعد تعنى موقفا مباشرا ، قاطعا وواضحا . لم تعد الاشتراكية تعنى على طول الخط ـ مثلا ـ الملكية العامة للدولة ، ولم تعد الراسمالية تعنى على طول الخط الحرية الكاملة لراس المال . اصبح هناك قدر من انسحاب الدولة فى المجتمعات الاشتراكية ، والتركيز على ملكية وسائل الانتاج فقط . وعلى الجانب الآخر اصبحت هناك اتجاهات متزايدة الى تدخل الدولة فى حركة راس المال.

وصارت هناك اشتراكية فابية ، واشتراكية علمية (ماركسية) ، واشتراكية اسلامية واشتراكية تنبع من « الواقع الخاص » لدول العالم الثالث . ولم تعد الماركسية تعنى عند البعض قوانين حتمية لحركة المجتمع ، ولكنها اصبحت منهجا فى التفكير والتحليل .. وهكذا.

لقد حدث تطور فكرى وحضارى هائل طرح احتياجات واجتهادات وتساؤلات بلا حصر ، لم يعد يكفي معها ان تعبر الكلمة عن موقف • ولم نستطع نحن ان نتابع حركة التطور،فظلت الكلمات ترتبط في اذهاننا بحقائق وقوانين طرات عليها متغيرات كثيره ، بينما نحن مستغرقون في تامل عالمنا وقيمنا القديمة •• وبما •

ايضا تغيرت خريطة الصراع • فلم يعد الصراع العالمى الان يدور بين مذاهب ومبادىء واديان كما كان حتى منتصف القرن العشرين ، لكنه يدور حول المصالح القومية اولا واخيرا • الامر الذى ينبغى الا نستغرب معه صدام الصين مع الاتحاد السوفيتي ، وهما ينتميان عقائديا الى معسكر واحد • وتعاون الصين مع عدوها التقليدى امريكا •وتعاون بعض الدول الاسلامية مع اسرائيل •• الى آخر تلك الشواهد •

ثم ان هناك التطور الهائل في وسائل الاتصال والاعلام ، وتقدم فنون التاثير على عقول الناس • حتى اصبح في مقدور اجهزة الاعلام ان تقنع الناس بان الابيض اسود والعكس، وان الملاك شيطان والعكس •ورأينا وسمعنا كيف تمارس اجهزة الاعلام عملية تزوير الحقائق وتطويعها لخدمة مخططات موضوعة • سياسية او غير سياسية • وكيف تمضي محاولات انتهاك الكلمة وتوظيفها لخدمة الاقوى او الاغنى •

●

في البدء كانت الكلمة،هذا صحيح • كانت حقائق الحياة محدودة ، وكان فكر الانسان محدودا ، وكانت البشرية في طفولتها الاولى • وعندنا ــ العرب ــ كانت الكلمة تلعب دورا اخطر ،حتى لم يجد ابو العلاء المعرى غير الشعراء وصناع الكلمة ليصور بهم اهل الجنة واهل الجحيم ، وملأ ابن شهيد وادى الجن في (التوابع والزوابع) بالشعراء والكتاب •

لزمن طويل عشنا حضارة الكلمة ، ولا مفر امامنا ، بعد كل التطور الذى اصاب حياة الانسان وفكره،وبعد الانتهاكات المستمرة لحرمة الكلمة،ليس امامنا الا ان نتجاوز عن الكلمة لنرصد الموقف ونتابعه •

لا بد ان ننتقل من حضارة الكلمة الى حضارة الاداء ، كما يقول استاذنا الدكتور زكى نجيب محمود •

دعك مما يقال ويسجل على اللافتات وفى المذكرات والعرائض والمواثيق ، فذلك لن يقودك الى الحقيقة باى حال • لقد صار « الموقف » هو مفتاح تلك الحقيقة •

دعنى اتعرف على موقفك ، وبعد ذلك ــ فقط ــ استطيع ان اقول لك من انت ، وما هى هويتك • وليكن معيار المفاضلة هو المواقف ذاتها ، وليس حلو الكلام وبليغ العبارة •

هل تجنينا على الكلمة وظلمناها ؟

ربما ، ذلك ان جانبا من المشكلة لا يكمن في الكلمة ذاتها ، ولكنه في الذين يستخدمونها ، في الذين يؤجرونها مفروشة لكل من يملك مالا او سلطة •

العيب فينا ، لا بد ايضا ان نعترف •

فهمي هويدى
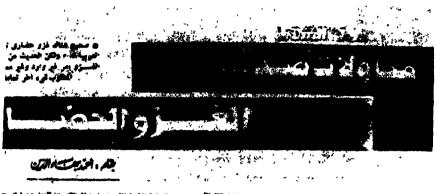
بقلم : جلال احمد امين

■ في حديث الشهر للأستاذ احمد بهاء الدين الذى نشر في عدد فبراير ١٩٧٧ من مجلة العربي، حمل الكاتب بشدة على القائلين بضرورة تصدى العرب للغزو الحضارى الغربي ومحاولة وقفه ، وقال ان المطلوب ليس هو « صد » هذا الغزو وانما « مواجهته والتعامل معه » •

وفيما يلي بعض الاسباب التى اعتقد أنها تبرر محاولة « صد » هجوم الاستاذ احمد بهاء الدين على موقف اعتقد في سلامته •

١ ـ يقول الكاتب ان « الغزو الحضارى ـ وفي صورة مخففة ، التأثير الحضارى ، أمر عرفته الانسانية خلال عصورها المختلفة » • مريدا بذلك أن يشير الى ان تفاعل الحضارات وتأثر بعضها ببعض أمر طبيعي وحتمي ، واذا كان هذا قد حدث دائما في الماضى فلا جدوى من محاولة منعه في الحاضر •

ومن المناسب هنا أن نميز بين الغزو والخضوع من حضارة لاخرى وبين مجرد التأثر ، وان ننسب ما يحدث الان للحضارة والثقافة العربية الى النوع الاول • فالمشاهد والذى لا يمكن انكاره ان العرب يتنازلون يوما بعد يوم وتحت تأثير « انفتاحهم » الذى لا ضابط له على المجتمعات والحضارة الغربية ، عن كثير من عاداتهم وقيمهم ومميزاتهم الخاصة تحت الضغط المادى والقهر النفسى وحدهما دون ان يكون لهذا مبرر يرجع الى ان القيم والعادات الحديثة أكثر مناسبة لظروف حياتهم أو الى الاقتناع الحر بان هذه العادات تمثل مرحلة « اعلى » من مراحل التطور • فلننظر مثلا الى ما يحدث للموسيقى

نعم
لابد من صد ..
الغزو الحضاري

العربية المعاصرة تحت تاثير التقليد الاعمى للموسيقى الغربية ومحاولة « تطعيم » موسيقانا بالجمل الموسيقية الغربية المقتبسة تحت شعار المعاصرة والتقدم . أو فلننظر الى ما تعانى منه اللغة العربية من اهمال وعبث بقواعدها نتيجة لفقدان ثقتنا بانفسنا ، الى حد ان اصبح من دواعى الفخر لبعض شبابنا اعلان ضعف معرفتهم بقواعدها .

وقل مثل ذلك على تضحيتنا باسلوبنا الخاص فى المعمار والماكل والملبس دون أى مبرر لذلك من ظروف بلادنا الجوية او الاقتصادية .

هناك اذن فارق جوهرى بين التاثر المقترن باحترام النفس وبين الخضوع الناتج عن مجرد الافتتان بالقوة المادية او محاولة المغلوب تقليد الغالب أيا كانت درجة التفوق الحقيقية للغالب او المغلوب .

٢ ـ يشير الكاتب بحق الى ان عصر ازدهار الحضارة العربية كان فى نفس الوقت « اعظم عصور الترجمة فى الفلسفة والعلوم والاداب عن الحضارات الاخرى » مريدا بذلك الاشارة الى ان ازدهار حضارة من الحضارات لا يعنى بالضرورة انغلاقها بل قد يقترن بانفتاحها على غيرها من الحضارات . وهنا ايضا علينا ان نميز بين ترجمة وترجمة وبين انفتاح واخر . فكثير مما بذل من جهد لترجمة الاعمال الفلسفية اليونانية كان الباعث الاساسى اليه هو تدعيم العقيدة الاسلامية وليس اضعافها وذلك بالرد على حجج وآراء تتعارض مع الاسلام او تختلف معه . وكانت الترجمة تقترن أو لا تلبث أن يضاف اليها من الشرح والرد ما ينتهى باغناء العقيدة والفكر الاسلامى لا افقاره . وكل هذه مرده ان المترجم كان ينظر الى الحضارة التى يترجم عنها نظرة الواثق من تفوقه عليها . فاين هذا من موقف المترجم العربى المعاصر الذى لا يميز بين الغث والسمين ، والذى تشله عقدة النقص عن اية محاولة للرد على الخصوم ، او

الذى يلجا فى احسن الاحوال الى اتخاذ موقف المعتذر معاولا بيان ان لديه مثل ما لدى الغرب، وان فى الاسلام«اشتراكية»ودعوة الى «الحرية» تماما كما فى الفكر الغربي ، وان العرب ليسوا اقل « تقدمية » عن غيرهم ••• الخ ، دون انيخطر ببال الناقل عن الغرب ، سواء كان مترجما او مؤلفا ، ان من الممكن انيكون لدى العرب من مقومات الابداع ما يسمح لهم بتقديم مساهمة جديدة تماما لا يمكن تصنيفها تحت اى مذهب من هذه المذاهب • فاذا لم يكن هذا الذى نحن فيه خضوعا لغزو ثقافى حضارى يتعين صده ، فماذا يكون ؟

قد يوافق الاستاذ احمد بهاء الدين على كل هذا ويقول مع ذلك انالعيب ليس فى الاتصال بحضارة الغرب او فى الانفتاح الكامل عليها وانما هو فى الموقف النفسى للعربى المعاصر ، الذى يجعله يقلد حيث يجب الابداع وينهار حيث يجب ان يصمد • ولكن السؤال هو : كيف يمكن ان نحمى العربى المعاصر من مزيد من الانهيار النفسى والانقياد لحضارة طاغية الا بنوع من انواع الانغلاق ؟ كيف يمكن ان نامل ان يتخلص العربى من « عقدة الخواجة » فى الوقت الذى تنهال عليه وسائل الاعلام من صحافة واذاعة وتليفزيون فى كل ساعة من ساعات النهار ملقنة اياه مفاتن السلع الغربية وان السبيل الوحيد للحياة الهانئة هى فى تقليد النمط الغربي للحياة ؟ كيف يمكن ذلك ومفهوم التنمية والتقدم الذى يطرح علينا صباحا ومساء لايخرج عن انيكون تكرارا للمفهوم الغربى للتقدم؟

ان الدعوة الى الانفتاح قد تكون مفهومة ومرغوبا فيه فى ظروف مجتمع لم يفقد ثقته بنفسه ولم يفقد قدرته على الابداع ونجح بالفعل فى ارساء اسس تقدمه الاقتصادى المستقل • فى مثل هذه الظروف يكون مزيد من الاحتكاك بحضارات قوية شاحذا لمزيد من التقدم• اما اذا كان المجتمع يمر بفترة شبيهة بتلك التى يمر بها المجتمع العربى اليوم ، من اعتلال الصحة وفقدان الثقة فلا علاج الا باغلاق الكثير من النوافذ والابواب •

٣ ــ فاذا لم يكنهذا « الغزو الحضارى »مرغوبا به فهل صحيح ان صده مستحيل ؟

يؤكد الاستاذ أحمد بهاء الدين ذلك بقوله أن الحضارة الحديثة تهجم علينا « بطائرات لا بد أن نركبها وبضائع لا بد أننشتريها ،وأفلام لا بد أن نراها ••• فالهجوم الحضارى المعاصر هجوم ساحق ماحق تهب رياحه من كل اتجاه ، وتتسرب ذرات ترابه من خلال اكثر النوافذ والابواب اغلاقا واحكاما » •

اما انهجوم الحضارةالغربية علينا هو هجومضار لا هوادة فيه ، فهو امر لا شك فيه وان كان مؤسفا للغاية، لكن هذا لا يعنى على الاطلاق انه لم تعد لدينا حيلة لصده • فقد يفهم المرء توجيه مثل هذا القول الى بلاد ذات حضارات ضعيفة او موغلة فى القدم فلا تملك ما يمكن ان تنافس به الفكر الغربى ،اما لانها لم تنتج فى يوم منالايام حضارة زاهرةكالحضارة العربية،او لان ما انتجتهمنحضارة قد بعد به العهد الى الحد الذى لا تجد فيه الامة اجابة على ما تثيره اهم معضلات العصر الحديثمن أسئلة • ولكن الامة العربية ليست بهذه ولا تلك• فانهيار الامة العربية امام حضارة الغرب لا يرجع الى اكثر من مائتى عام ، ولا زالت القيم والعادات العربية متاصلة بقوة فيما لا يقل عن ثلاثة ارباع السكان ممن لم يعرفوا بعد سكنى المدن • ولا زال العرب على استعداد لاستعادة ثقتهم بانفسهم لدى عودة بعض الامل اليهم فى تغيير ظروفهم الى الافضل • ولعل هذا هو تفسير التخوف والشك المستمرين لدى السياسى او رجل الاعمال الغربى اذا ما جاء دور التعامل مع العرب وتفسير وصف الغربيين لنا باننا « لا يمكن التنبؤ بما يمكن ان نصنعه فى الغد » •

واذا كانت شعوب افريقيا تحاول هى نفسها صد الغزو الحضارى الغربي وحماية ثقافتها الخاصة، مع انجازاتها الحضارية المحدودة نسبيا ومع تفرق قبائلها ، ومع أن مثقفيها لا يزالون يكلمون بعضهم البعض (بل ويفكرون) بالانجليزية او الفرنسية،

فما اجدرنا نحن العرب بذلك بحضارتنا الخصبة وحيوية لغتنا ومع ما نتمتع به من درجة عالية من الانسجام بين افرادنا واقاليمنا ٠

٤ ـ ويلوم الاستاذ احمد بهاء الدين الداعين الى « صد الغزو الحضارى » بانهم يكتفون فى حديثهم بالعموميات دون ان يعولوا لنا « كيف ؟» واود ان اشير الى ان الذين ينبهون الىخطر الغزو الحضارى والاستسلام له يربحون نصف الجولة على الاقل اذا استطاعوا ان يشيعوا فى الناس منجديد الشك بان هذه الحضارة القادمة ليست بالضرورة اكثر تفوقا من حضارتهم ، وان القيم الغربية ليست بالضرورة اكثر دلالة على التقدم والرقى من قيمهم ٠واذا كانالانهزام امام الحضارة الغربية هو فى المقام الاول هزيمة نفسية فان اولى خطوات النجاح فى صد الغزو الحضارى لا بد ان تتجه الى محاولة استعادة ثقة الناس بانفسهم ٠ والمنطق هنا قد يكون اضعف الاسلحة ٠ فكما اننا لم نفقد ثقتنا بانفسنا لاسباب منطقية فاننا كذلك لن نستعيدها بالاسباب المنطقية وحدها ٠

ان اهم سلاح تستخدمه اليوم الشركات المسماة بمتعددة الجنسيات فىغزو اسواقنا ليس هو السلاح الاقتصادى او السياسى (وان كانت تستخدم هذين السلاحين ايضا) بل هو سلاح نفسى وثقافى ٠ انها تنجح فى اخضاع مستهلكينا لا لانها تستطيع الانتاج بنفقة اقل او لانها تقدم انتاجا اجود ولكن لانها دائبة الالحاح على ان منتجاتها هى دليل الرجل والمرأة والطفل الى الحياة العصرية ٠ انها تدرك تمام الادراك انها اذا ارادت انتبيع فعليها ان تهزمنا نفسيا اولا ٠ومن ثم فان السلاحالمضاد الذى يجب استخدامه ضدها ، اذا اردنا حماية استقلالنا الاقتصادى والسياسى ، يجب ان يكون فى الاساس سلاحا ثقافيا ايضا ٠

بل انى سوف اذهب الى حد القول بان مشكلة اسرائيل بالنسبة للبلاد العربية ليست فى نهاية الامر اقل ولا اكثر من مشكلة حضارية وثقافية ٠ فلا الاقتصاديون ولا السياسيون ولا العسكريون بقادرين وحدهم على تقديم الحجة الفاصلة ضد وجود اسرائيل كجزء مقتطع من الوطن العربى ٠ وليس الخطر الاساسى هو خطر غزو المنتجات او رؤوسالاموال الاسرائيلية لاقتصادياتنا .بل ولا هو احتلال جزء من الارض العربية قسرا دون حق بل ان الخطر الاساسى حضارى بالدرجة الاولى ، اذ يمثل الاستسلام لاسرائيل استسلاما فى مواجهة ثقافة وحضارة غازية ليست الا امتدادا لثقافة وحضارة الغرب ٠ ان احتلال آبار البترول فى سيناء مثلا قد يكون من الممكن تعويضه باكتشاف حقول بترول جديدة فى مناطق اخرى ، ولكن الذى لا يمكنتعويضه هو ما يمكن انتفقده البلاد العربية من سيطرتها على مصيرها واستقلال ارادتها وحرية الاختيار بين ما يلائمها ولا يلائمها ٠

٥ ـ اما عن السؤال كيف يمكن التصدى للغزو الحضارى ؟ فاعتقد اننا لن نستطيع الاجابة عليه الا اذا ميزنا ابتداء بين الجوانب الانسانية العامة فى الحضارة الغربية ،اى التى تمثل تقدما انسانيا لا شك فيه ، والجوانب التى لا تزيد عن ان تكون مجرد تعبير لثقافة خاصة ، هى الثقافة الاوروبية ثم الامريكية ، عن نفسها ٠ واغلب ظنى ان كثيرا مما نعتقد انه من مظاهر التقدم الانسانى فى الحضارة الغربية ليس اكثر من « تطبيقات »خاصة افرزتها ثقافة بعينها هى ثقافة المجتمع الاوروبى (او الامريكى) وليس لها صفة العمومية او الصلاحية الشاملة فى كل زمان ومكان ٠ فعلى سبيل المثال : ان اختراع الطائرة او السيارة ، الذى يشيع الظن بانه من مظاهر التقدم الانسانى بوجه عام ، يستند حقا الى تقدم علمى وتكنولوجى لا شك فى وجوب اعتباره كسبا انسانيا خالصا ، ولكن السؤال الذى يتعين طرحه هنا هو : الى اى مدى كان « تطبيق »هذا التقدم العلمىوالتكنولوجى ذلك التطبيق الخاص الذى أسفر عن اختراع الطائرة او السيارة ، متاثرا بقيم المجتمع الاوروبى وتطلعاته واهدافه المتميزة عن تطلعات غيره من المجتمعات ؟ أو بعبارة أخرى : الى أى مدى كان من الممكن (أو من المستحيل) لمجتمع آخر ذى ثقافة مغايرة، انيحقق نفسالتقدم العلمىأو التكنولوجى دون ان يؤدى به الى اختراع الطائرة او السيارة بل الى اختراعات اخرى قد تكون اكثر جدوى فى

نظره ؟فاذا كان هذا ممكنا فما هو انموذجه الضرورة في ان يؤدى قبولنا لما هو انساني في الحضارة الغربية التي تبنى ما هو خاص بها ومتميز ؟

ان هذا التمييز هو الجدير بان يدلنا على المعيار الواجب الاتباع فيما « ننفتح » عليه او نصد الابواب دونه • فنحن لا نغلق الباب امام نتاج العقل الانساني وتقدمه سواء كان مبدعه غربيا او شرقيا ، ولكننا نوصد الابواب امام منتجات يريد البائع الغربي او الشرقي بيعها لنا على انهـ ثمرات التقدم الانساني وهي ليست اكثر من افرازات طموحه الخاص او حتى ، في كثير من الاحيان ، اعراض امراضه الخاصة •

٦ ـ كذلك فانه في سبيل الاجابة على السؤال: كيف يكون تصدينا للحضارة الغازية (او كيف يكون « تعاملنا معها » اذا اراد الاستاذ بهاء) لعل من اول ما يتبادر الى الذهن هو ماذا علينا ان نصنع في ميدان التعليم •فاذا كان جيلنا قد اصيب بهذا المرض العضال ، وهو التخاذل النفسي ، فلعلنا نستطيع ان نفعل شيئا لانقاذ ابنائنا او احفادنا من نفس المرض • ولاضرب مثلا بما يحدث في تعليم الاقتصاد الذى اعرفه اكثر مما اعرف غيره ، ولا أشك في ان ما يصدق عليه يصدق على سواه• فمنذ نحو اربعين عاما ، قامت صفوة من اساتذتنا الاجلاء (من اوائلهم الدكتور عبد الحكيم الرفاعى طيب الله ثراه) مدفوعين باحترام العلم واحترام النفس في نفس الوقت ،بادخال المفاهيم والنظريات الاقتصادية الى بلادنا بلغة عربية سليمة ، وكان لدى هذه الصفوة درجة كافية من الالمام بحقيقة مشاكلنا واختلافها عن مشاكل الغرب ، منشأ هذه النظريات ، جعلتهم يمارسون حرية الاختيار بين ما يعرض علينا وما لا يعرض ، وكانت هناك محاولات جدية لتناول النظريات الاقتصادية الغربية تناولا نقديا • ولم يجد استاذ جليل كالمرحوم محمد بك صالح غضاضة في أن يكتب المقال تلو المقال ،في تحليل افكار ابن خلدون الاقتصادية (او « احيائها» كما يقال اليوم) وفي حث تلاميذه على المقارنة بينها وبين الفكر الغربي الحديث علما بان مساهمة العرب في علم الاقتصاد كانت من اقل مساهماتهم في العلوم الانسانية شانا •واذا كان هذا الجهد قد شابته في بعض الاحيان عاطفية مبالغ فيها فان القائمين به لم يكونوا ، على الاقل ، ينظرون الى التراث نظرتهم الى شيء ميت يحتاج الى احياء كما ننظر اليه اليوم •

اما الان فانت تقرأ المقال او الكتاب الاقتصادى عربي فتجد ان كثيرا مما تقرأ هو خليط مشوش من افكار ترجمت ترجمة سيئة وقد لا تكون لها اية علاقة بما يجرى في مجتمعنا ، وترى المترجم او المؤلف الاقتصادى العربي (وقد كاد يزول الفرق بينهما) يحرص على ان يقرن كل كلمة عربية بمقابلها الاجنبي حتى حينما تكون الكلمة العربية كافية تماما ، وكأنه يعلن امام قارئه المسكين والضعيف في اللغات الاجنبية ، « انني استطيع ان اقرأ ما لا تستطيع ». فاذا تطرق الاقتصادي العربي الى موضوع التنمية نجده ينقل دون تردد ما اطلقه الغرب علينا من اوصاف املتها عليه نظرته المتعصبة والضيقة : فنحن بلاد « متاخرة » حينا ، «ومتخلفة» حينا « ونامية » حينا ثالثا ، على حسب ما يرى الكاتب الغربي في وقت من الاوقات من دواعى اللياقة والادب • وهدفنا يحدد بانه هو اللحاق بمستوى المعيشة في الولايات المتحدة ، لان هذا هو ما يراه الكاتب في الولايات المتحدة مناسبا، ونتهم بالقدرية (والمقصود هو الايمان بالله) ، وباذلال المرأة (اى الى التمسك بعفة المرأة وبقوة الروابط العائلية) على زعم انّ التنمية (اى اللحاق بمستوى الحياة الامريكية) تتطلب عكس ذلك ••• الخ •

ودون ان اترك ميدان التعليم ، هل يرضى واحد منا، ممن لديهم اى تقدير لما كانت وما يمكن ان تقوم به مؤسسة كالازهر في المحافظة على تراثنا وسلامة لغتنا ،بما حدث له من « تطوير » مؤداه الاصرار على ان يدرس الطالب العلوم العصرية الى جانب اصول الفقه ،والاصرار على ان يكون عمداء كليات الازهر من حاملي الدكتوراه من الجامعات الاجنبية؟

فاذا لم يكن كل هذا غزوا حضاريا يتعين «صده» فماذا يكون ؟ وهل من الصعب حقا على القائمين بامر التعليم فينا ان يعيدوا النظر في مناهجه على نحو يسمح لنا باستعادة ذاكرتنا وباعادة تقييم ما نقرأ ونكتب ونلقن ؟ ■■

د • جلال احمد امين

اعداد : يوسف زعبلاوى

آخر ما ابتكروه

ن وسائل منع الحمل

● هذه وسيلة جديدة مبتكرة لمنع الحمل ٠٠ وقد أثارت من الاهتمام ما جعلها موضوع دراسة دولية . وموضع تجارب قام بها أحد مستوصفات رعاية الاسرة فى بريطانيا ٠

ولعل الوسيلة الجديدة أشبه بالموالب منها بالحبوب ، وأقرب الى الاجهاض منها الى منع الحمل بالمعنى الدقيق ٠ فهى اداة توضع داخل الرحم فى أعقاب الجماع، وفى غضون خمسة أيام من وقوعه ٠٠ والمقصود هنا ليس الحيلولة دون تلقيح البويضة وانما منع البويضة الملقحة عن الالتصاق بجدار الرحم ٠٠ فلا تلبث المرأة التى تضع هذه الاداة أن يأتيها الحيض ٠٠ دون أن تعرف ان كانت قد حملت أم لا ٠٠ أما ضرورة التقيد بشرط الايام الخمسة التى تعقب الجماع ، فمرده الى أن البويضة تكون أثناءها عائمة ، غير ثابتة ، ويسهل القضاء عليها ٠٠

وقد جربوا هذه الواسطة تجربة محدودة بمعدل امرأتين فى الاسبوع ٠٠ ولما أصابوا النجاح فيها عمدوا الى تجربتها على أوسع نطاق وذلك فى مستشفى مارى ستوبس M. Stobes فى لندن ٠

وتجدر الاشارة الى أن هذه الوسيلة الجديدة ليست الاولى التى تستهدف منع الحمل وتستعمل بعد الجماع، لا قبله ٠٠ فهناك حبوب الهرمونات المكثفة ٠٠ التى يلجأون اليها فى حالات الاغتصاب ٠٠ وهناك أيضا طريقة شفط الدم فى حالة تأخر الحيض ٠٠ الا أن الواسطة الجديدة تمتاز على ما سواها فى أنها بلا آثار جانبية ٠٠ هذا بالطبع اذا استعملت فى غضون الخمسة الايام التى تعقب الجماع ٠٠ أما اذا تأخر استعمالها عن ذلك فقد تسبب للمرأة نزيفا أثناء فترة الحيض ٠

جهاز لاسلكى جديد

يضمن النجدة السريعة للمسافرين

● لم يكد هذا الاختراع يظهر فى الولايات المتحدة الامريكية . وفى ولاية مساتشوستس بالذات ، قبل خمس سنوات، حتى انتشر فى عدد من الولايات ٠٠

وبخاصة فى فلوريدا والينوى ٠٠ وتمس الحاجة الى هذا الجهاز حيث طرق السفر الطويلة النائية التى قد يقطع فيها المسافر مئات الكيلومترات دون أن يصادف

أحدا ، والتي قد يتعرض فيها الى وعكة صحية أو تتعطل سيارته بسبب خلل فنى .. فيصبح عرضة للصوص وقطاع الطرق أو على الاقل للبرد والعطش ، ينتظر رحمة الله بمرور مسافر آخر قد يتوقف لنجدته وقد يمر به سريعا مر الكرام ..

ويعمل الجهاز الجديد لدى رفع غطائه وضغط ذراعه الى أسفل .. عندئذ تظهر أزراره الاربعة ، وقد خصص كل منها بنوع من الخدمات التي قد يحتاج اليها المسافر فى تلك الاماكن الموحشة .. فأحد هذه الازرار خاص بالخدمات الميكانيكية المتصلة بالسيارة ، والثانى خاص بشرطة النجدة .. والثالث متصل بالاسعاف الطبى .. أما الرابع فخاص بالغاء الطلبات .. ولا يحتاج المسافر الى أكثر من الضغط على الزر المناسب ليحصل على الخدمات المناسبة فى الوقت المناسب .. ويتم ذلك على النحو التالى :

يبدأ الجهاز بتوليد الكهرباء ، لدى الضغط على أحد أزراره .. ويعمل التيار الكهربائى المولد على تشغيل جهاز ارسال لاسلكى يعمل على موجة (F.M.) وما أسرع ما يطلق هذا الجهاز اللاسلكى المرسل اشاراته الى أحد مراكز النجدة ، وهى مراكز متنقلة على الطرق النائية ومجهزة بكل ما تتطلبه تلك الخدمات .. والاشارات واضحة بحد ذاتها ولا تحتاج الى تفسير .. فهى تدل لا على نوع الخدمة المطلوبة فحسب ، وانما على المكان الذى انطلقت منه أيضا . ولا تكاد تمضى

وخزوا الابر فيما تحت الركبة ....

فخففوا آلام المعدة أو قضوا عليهـــا

● يبدو ان الاوساط الطبية فى الغرب بدأت تولى الوخز بالابر ثقتها أو على الاقل اهتمامها ... فقد نشرت المجلة الطبية البريطانية فى عددها الصادر فى ٨ يناير ١٩٧٧ تقريرا عن التجارب التى اجراها قسم العلاج النفسى فى جامعة ادنبره والتى أثبتت صدق ما يدعيه اهل الصين فى ان الوخز بالابر فى نقاط معينة من جسم الانسان كفيل بتغيير الاحساس تغييرا جذريا فى اجزاء اخرى من ذلك الجسم بعيدة عن تلك النقاط الاولى . فقد وخزوا الابر فى اماكن محددة من الذراع والساق .. فأدى ذلك الى التخفيف كثيرا من الالام التى كانت تعانى منها المعدة ....

واليك فيما يلى التفاصيل ....

شملت التجارب ١٢ متطوعا تراوحت اعمارهم بين ١٨ ــ ٣٢ سنة .. وتأكد الاطباء من سلامة الحس فيهم جميعا قبل

ثلاثون دقيقة على الضغط على أحد تلك الازرار حتى تصل النجدة ٠

وقد شاع استعمال هذا الجهـاز فى الولايات المتحدة ، ولا عجب ٠ ففى ولاية مساتشوستس وحدهـا يوجـد منه ٨٥٨ جهاز حملت من طلبات النجدة ما بلغ بالمتوسط ٢٠٠ طلب فى اليوم الواحد ٠٠ ومع أن عدد هذه الاجهزة فى ولاية الينوى لم يزد على ١٦٥ جهاز ٠٠ الا أن عدد الطلبات التى أرسلتها هذه الاجهزة بلغ ٣٨٧٢ طلب فى غضون السنة الماضية ٠

وتجـدر الاشـارة الى أن أكثر تلك الطلبات كان متصلا بخدمات السيارات ، وان حوالى ١٠٪ منها استدعت شرطـة النجدة ٠

بقى أن نذكر أن ثمن جهاز النجدة الجديد هذا لا يجاوز ٢٠٠٠ دولار فى بلده ، وقد يقل عن ذلك كثيرا لاغراض التصدير ٠٠

ولو ذكرنا ما فى عالمنـا العربى من طرق طويلة وموحشة لحسبنا أن جهـاز الانقاذ هذا انما ابتكر خصيصا لصالـح المسافرين على طرقنا العربية ٠٠ ولعل المستقبل القريب كفيل باقبال السلطات المعنية فى بلادنا على اقتنائه ٠

آلـة جديـدة

ستروق للشيب والشباب

على السواء

● يبدو اننا نقف على ابواب ثورة جنسية بالغة الخطورة ٠٠ ومحور هـذه الثورة الة مبتكرة يتعاون على تطويرها عالم مختص فى الشئون الجنسية ، مـن كاليفورنيا ، وشركة بريطانية للصناعات الالكترونية ٠

اما وظيفة هذه الالة فهى تدريـب الرجل على بلوغ الذروة الجنسية فـى معزل عن القذف ٠٠ أى أن هذه الالة تعمل على الفصل بين القذف والارتواء الجنسى وقـد كانا فى نظر العلمـاء متلازمين ٠٠ بل قل عملية واحدة ٠٠٠ وهكذا يصبح تكرار اللذة فى متناول الرجل ، يحصل عليه ثلاثا او رباعا أو أكثر من ذلك دون أن يكلفه مزيدا من جهد وطاقة ٠

اما الفضل فى ابتكار هذه الالة فيعود الى طبيبة ، هى الدكتورة مينا روبنـز Dr. Mina Robbins ٠ وقد كشفت النقاب عن ابتكارها هذا فى المؤتمر الدولـى للشئون الجنسية الذى عقد فى منتريال ـ كندا ـ فى مطلع شهر نوفمبر الماضى ٠ وما لبثت الدكتورة مينا ان أثارت اهتمام الاطباء الحاضرين بحيث احاطوا بهـا وراحوا يمطرونها بالاسئلة عن آلتها ٠

وتجدر الاشـارة الى ان الدكتـورة روبنـز اتخذت مـن كتابـات ماسترز وجونسون Masters & Johnson الاساس النظرى لابحاثها ٠ والعالمـان المذكوران يعتبران رائـدين فى الابحاث الجنسية العملية ٠٠ وهما اللذان اكـدا منذ البدء ان ذروة اللذة الجنسية والقذف عمليتان فسيولوجيتان منفصلتان ٠

وتجدر الاشارة ايضا الى ان الالـة الجديدة معـدة للاستعمال المؤقت ٠٠٠ فالرجل يستعملها لفترة ما ، يكتسـب اثناءها التدريب أو المران المطلـوب ، ويتوقف عن استعمال الالة بعد ذلك ٠

وخز الابر فى اجسامهم وفى مواقع من الذراع والساق غير ذات موضـوع فى الطب الصينى ٠ ثم وخزوا ابرا أخرى فى موقعين من المواقع التى يحددها خبراء وخز الابر الصينيون ٠٠٠ فى الموقـع المسمى فى الصينية Ho — Ku ويقـع فى اليد فيمـا بين الابهـام والخنصر ، والموقع المسمى Tsu — San — Li ويقع تحت الركبة قليلا ٠٠٠٠ وحسبنا القول ان هذه التجارب اثبتت عمليا ما كان يدعيه اهل الصين دائما ٠٠٠ وهو ان وخز الابر تحت الركبة يؤثر على نحو مباشر فى منطقة المعدة فيحد مـن الامها أو يقضى عليها ٠

هذه الشموع ما الذي يشعلها لتضيء لنا الطريق؟

بقلم : منير نصيف

■ ما الذى يصنع العبقرية ؟ هل هناك عوامل معينة لها تاثيرها فى تكوين شخصية المفكر والعالم والمصلح فى اى مجال ؟

يقول المشتغلون بعلم النفس ان العبقرية تولد مع الصرخة الاولى للطفل وهو يستقبل الدنيا ٠٠ ولكن هناك ظروفا خاصة تسهم فى ظهور هذه المواهب الكامنة ٠٠ فالتجارب التى يمر بها الانسان خلال مراحل نموه ومعاركه مع الحياة وصورها واسرارها، تلعب دورا اساسيا فى تكوين شخصيته وتحديد اهدافه وتنمية مواهبه ٠٠

يقول رالف والدو ايمرسون ، « ان تجارب الحياة هى المدرسة الاولى ٠٠ والتجارب القاسية اكثر تاثيرا على النفس من التجارب السعيدة ٠٠ فالاولى تترك بصماتها عميقة فى نظرة الانسان الى الحياة ٠٠ ان الحرمان هو اعظم مدرسة تغذى الموهبة وتبلور العبقرية فى السنوات الاولى لحياة الطفل على الارض ، فهو الذى يدفعه الى التفكير والبحث والتساؤل عن الاسباب التى جعلته مختلفا عن بقية الاطفال من امثاله ٠٠ وهذا الحرمان قد ياتى فى مراحل متاخرة ، وهنا يكون اثره اشد وقعا واكثر ايلاما ٠٠ فالشعور باننا نفتقد شيئا هاما وحيويا فى حياتنا ٠٠ والاحساس باننا اقل من الاخرين او لسنا مثلهم ٠٠ هذا الشعور يخلق فينا رغبة قوية فى العمل وفى بذل مزيد من الجهد ٠ لتعويض هذا النقص !ومع العمل والكفاح والمثابرة يجد الانسان نفسه ؛ وتجد النفس اخيرا هذا المنفذ الذى كانت تبحث عنه للانطلاق الى آفاق جديدة ٠٠ وهكذا تولد الموهبة اذا لم تكن قد ولدت مع الطفل ومع صرخاته الاولى !

تشارلز ديكنز

من واقع التجربة مع الحياة

ثم يقول ايمرسون : « ولكن يجب الا نغفل مدرسة اخرى لها دورها ولها تاثيرها ايضا على شخصية المرء في اى مرحلة من مراحل حياته سواء جاءت مبكرة أم متاخرة .. هذه المدرسة تتمثل في الانسان الذى يؤمن بنا ويشجعنا ويدفعنا .. ولو ان هذا العامل الاخير لم يكن قائما في حياة كل رجل وامرأة دخلا التاريخ .. فكثيرا ما يصنع الانسان نفسه بنفسه وفي ظروف سيئة وتحديات اكبر منه ومن قدرته على مواجهتها !

ولعل ايمرسون الشاعر الفيلسوف الامريكى ، قد وصل الى هذه النتائج التى نقلها الينا في كتبه من واقع تجربته هو مع الحياة .. فقد مات ابوه قبل أن يتم الاسبوع الثالث من عمره .. وكان اصغر اخوته الخمس .. وعرف مرارة الفقر والحرمان في طفولته العاثرة .. اما ذلك الانسان الذى آمن به ودفعه وشجعه وامسك بيده وهو يخطو في خوف وتردد ، فقد كان ناظر المدرسة الصغيرة التى تلقى فيها علومه بمدينة بوسطن الامريكية بولاية ماساتشوستس !

شاعر في الثامنة

لقد سمع ناظر المدرسة ، الطفل رالف يقرض الشعر قبل ان يبلغ الثامنة ، فلما اتم تعليمه الثانوى امسك بيده ،وذهب به الى جامعة هارفارد، واصبح رالف ايمرسون طالبا في اقدم واول جامعة في الولايات المتحدة الامريكية .. وكان عمره في ذلك الوقت من عام ١٨١٧ لايتجاوز الرابعة عشرة!

ثم كانت الصدمة الثانية التي بقيت ذكراها تطارده طول حياته ، وكانها شبح يعذبه ويحرك قلمه وسلوكه وتصرفاته مع الناس .. فكان يجلس الى مكتبه بعد ان اصبح صحفيا ثم كاتبا، ويكتب ويكتب .. كان يخاطب ضميره احيانا .. وضمير المجتمع في اغلب الاحيان ..

مولد كاتب كبير

عند عودته الى بيت اسرته في مساء ذلك اليوم ولد تشارلز ديكنز الكاتب عندما علم ان والده قد دخل السجن لانه لم يستطع أن يسدد مبلغ اربعين جنيها دينا عليه !

وحاولت الام أن تعيش وحدها معتمدة على نفسها وجهدها في كسب قوت يومها .. ولكنها ما لبثت ان كفت عن محاولتها ، وذهبت لتعيش مع زوجها في سجنه !

وانقضت ثلاثة اشهر قبل أن يلتئم شمل الاسرة الصغيرة مرة اخرى .. فقد خرج ديكنز الاب من سجنه وذهب هو وزوجته ليعيشا مع ولديهما تشارلز وفاني .. ولكن الابن كان قد اختار طريقه .. لقد ترك البيت وخرج ليبدأ رحلته مع الحياة!

ولم تكن رحلة طويلة، ولكنها كانت شاقة مليئة بالعمل والكفاح .. وعندما بدأ الناس يقرءون لهذا الكاتب الكبير، احسوا انهم امام عمل غير عادي لانسان اعلن الحرب على هذا المجتمع في العصر الفيكتوري بكل مساوئه .. كانت كتاباته اشبه بمظاهرة سلمية ضخمة تنادي بالاصلاح ، سلاحها السخرية والعاطفة المتاججة .

ديكنز الانسان

كان ديكنز يزور السجون وملاجىء الايتام ثم يعود من زياراته ليجلس ويكتب عن حظائر الخنازير التي يعيش فيها هؤلاء الآدميون ! الى ان شهد يوما تنفيذ حكم الاعدام شنقا في احد الميادين العامة !

وكتب عن « مسرح القتل » الذي يشد هذا العدد الهائل من المتفرجين !وكانت صرخة حملتها صحيفة التايمز البريطانية في رسالة وقعها بامضائه .. واسكت الصحيفة بالصيحة القوية التي اطلقها الكاتب الشاب وبدأت اعنف حمله ما لبثت أن انتهت بالغاء تنفيذ عقوبة الاعدام في الميادين العامة !

حتى نساء الليل ،هؤلاء اللواتي يبعن اجسادهن، رفض ديكنز ان تكون هذه هي نهايتهن ، فقد اسس لهن بيتا ،جمع فيه كل امراة غير قادرة على الكسب الشريف ، وفي هذا البيت تعلمت النساء الزراعة والفلاحة ، واصبحن زوجات صالحات للمزارعين القادمين من المستعمرات !

مؤسسة عامة

كان ديكنز يتمنى أن يتزوج « ماريا » ، فينوس الصغيرة التي عرفها واحبها وهو شاب في السابعة عشرة من عمره .. ولكنه صدم عندما فضلت عليه شابا آخر بناء على نصيحة والدها .. وتزوج امراة غيرها انجبت له عشرة اطفال .. ثم طلقها لانه ضاق ذرعا بها، ولانه كان يؤمن، وهو ايمان كان يزداد قوة كلما تقدمت به السن، بانه لا يمكن ان يبقى منتميا الى اسرته الصغيرة فقط ، لانه ينتمي الى المجتمع الكبير كله من حوله .. فهو « مؤسسة عامة » !

وعندما استقبلته الملكة فيكتوريا في قصر باكنجهام بعد أن قرأت « دافيد كوبر فيلد » ،التي صور فيها جانبا من حياته ، قالت تخاطبه : « انت اعظم كاتب انجبته بريطانيا ! »

ومات ديكنز في نهاية يوم طويل من العمل وهو جالس امام مكتبه يضع اللمسات الاخيرة في قصته « ادوين دروود » .. في هذا المساء كان حول مادبة عشاء اقيمت تكريما له .. وفجاة سقط ديكنز ومات .. مات من الشهرة ، ودفن في كنيسة وستمنستر حيث يرقد عظماء بريطانيا وساستها الكبار وكتابها امثال تشارلز ديكنز ..

ما الذي صنع ديكنز ؟ الحرمان .. وحب الناس والحياة .. والضحك من الاعماق .. والسخرية من القدر ، ولقد احب ديكنز هذه الانفعالات الانسانية .. فاعطاها للناس في كل كتبه ومؤلفاته ! ■■

منير نصيف

ميثاق غير مكتوب في مجتمع
الحيوان

بقلم : دكتور عبد المحسن صالح

■ بدون فلسفة أو لف أو دوران ، تقدم لنا الحياة مفهومها للاشتراكية ممثلة في الحيوان ، لكن علينا أن نسارع ونقول بأن الحياة لم تستعن ببعض بنود اشتراكية الانسان لتطبقها على بعض مخلوقاتها في دنيا النبات والحيوان ، اذ ليس ما وضعه الانسان من نظريات ومبادىء واجتهادات بذات فائدة تذكر في عالم الحيوان ، فهناك فرق هائل بين اشتراكية حيوانية وانسانية، فالاولى نظام حياة من صنع اله حكيم ، والثانية من وضع بشر مجتهدين ، ولا وجه للمقارنة بين ما جاء به الله وما جاء به الانسان !

وقواعد الاشتراكية ونظمها بين المخلوقات قد ظهرت قبل أن يظهر الانسان على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين ، ولهذا فان اشتراكية الحيوان ذات جذور جد قديمة ، ولقد قامت على أساس ، وسارت بميثاق ، لكن « مواثيق »

الحيوانات غير مسجلة ، ولا مكتوبة ، ولامنطوقة، ومع ذلك فتطبيق بنودها بين أصحابها من بني الحيوان أكثر دقة وأعظم كفاءة مما قد يظن الانسان ٠٠ فما أكثر مواثيقه التي تنقض ، وعهوده التي لا تحترم !

لكن الامر مع الحيوان شيء اخر مختلف ، اذ ان نقض الميثاق «غير المكتوب »يشكل خطورة على استمرار حياة الانواع ، لكن الاشتراكيين من بني الحيوان قد عمروا على هذا الكوكب عشرات ومئات الملايين من السنين ، لان اشتراكيتهم طبيعية ٠٠ لا وضعية ، بمعنى انها محكومة بقانون طبيعي ، وسائرة على هدى ناموس شريعته : لا تفرقة ولا تدليس ولا استثناءات ولا خداع ٠٠ ومن هنا قد يظهر لنا الفرق بين القانون الطبيعي ، والقانون الوضعي ، فهذا الاخير قابل للتغيير والتبديل والضحك على « ذقون » البسطاء والعامة !

واشتراكية الحياة ـ ببساطة ـ هو تحالف أو مشاركة بين كائنين أو اكثر ، ولكل كائن منهم طريقة حياة تختلف عن طريقة حياة الاخرين، فقد يكون أحدهما على هيئة فيل عظيم ، والاخر على هيئة طائر صغير ، أو قد يكون أحد النوعين كابوريا أو سرطان بحر ، والاخر دودة لا حول لها ولا قوة ، اى أن الاشتراكية أوالمشاركة هنا ليست بين أفراد النوع الواحد كما هو الحال في الانسان ، بل نراها تتوزع بين كائنات لا تتشابه في المزاج ولا السلوك ولا طبيعة الحياة ، ومع ذلك ، فالتفاهم بينها قائم ،والود دائم ، والتعالي ممنوع ، والتفاخر بالحسب والنسب وقوة الجسد غير موجود !

ولا تظنوا بعد ذلك أن الاشتراكية الحيوانية مجموعة من المحفوظات والمذاهب والفلسفات والمتاهات ، بل هي افعال وسلوك وتجاوب وتفاهم من أجل رفاهية وحياة وامان الكائنين اللذين ارتضيا هذه الظاهرة البيولوجية المثيرة ٠٠ ثم ان كليهما يخاف على صاحبه ، فمبدأ اشتراكية الحياة عندهما ـ في أغلب الاحيان ـ هو مبدأ : خذ وهات ٠٠ أى بلغتنا نحن خذ حقك ، وأعطني حقي ٠٠ ولا تظلمني ، ولا أظلمك ٠٠ فرفاهيتي تعود عليك بالرفاهية ، وفقرك يزيد فقرى ، أو على قدر العمل ، ؟ن الجزاء ٠٠ الخ

« والاشتراكيون » في عالم الحيوان كثيرون ، وهم ـ في الواقع ـ يؤلفون صفحات مشرقة ومثيرة في قاموس الحياة الضخم البديع ، ونحن لانستطيع أن نقدم كل ما في هذا القاموس الهائل من صور هذا التعاون أو المشاركة بين بعض انواع من تلك الكائنات ، بل يكفي هنا فقط أن نلتقط ما نراه مناسبا في هذا المجال ٠

جهاز انذار حي !

لو أسعدك الحظ بالتجول فيالغابات الاستوائية الافريقية ، فقد تسمع من بعيد صرخة طائر ، ثم قد تتبع الصرخة صرخات ، وقد لا يجذب هذا الامر انتباهك ، ومع ذلك فهو بمثابة صفارة الانذار التي تلتقطها أذن الكركدن أو وحيد القرن ، فيبدأ في اتخاذ الاجراءات المناسبة ، لكي يحافظ على حياته من هذا الخطر القادم ٠

قصة الصيحة والاستعداد بسيطة للغاية ، لكنها مع ذلك توضح لنا سر تلك المعاهدة غير المكتوبة بين طائر وخرتيت ٠٠ فكلاهما قد أنس لصاحبه ، وكلاهما عرف ما له وما عليه، ولقد خرج الخرتيت من بطن أمه ، ولديه غريزة وحنين نحو هذا الطائر ، أو كانما قد وضعت له في ذاكرته معلومة تجعله يتقبل طائره قبولا حسنا ، فلا يخشاه ولا يطرده ، كما ان الطائر ـ واسمه نقار الخرتيت ـ قد يفقس من بيضته ، وهو يعرف ضالته ـ أى هذا الحيوان الشرس الضخم الجثة ، السميك الجلد والبشرة ، فالواقع أن عائلة هذا الطير قد استمرت في مشاركة فعلية لعائلة هذا الخرتيت من زمن يقدر بملايين السنين ، دون أن تخل أى من العائلتين بشروط الميثاق غير المكتوب !

فصيحة الطائر تحذر الخرتيت من اى خطر قادم ، ثم ان نظر الخرتيت ليس على ما يرام ، كما أنه لا يستطيع ان يكتشف عدوا ياتيه من خلفه ، اللهم الا اذا دار بجسمه الضخم دورة كاملة ، وهو لا يستطيع ان يقضي حياته في اللف والدوران ، حتى يتجنب الاعداء ، ولهذا كان الطير نعم المنذر ونعم الحارس ، فللنقار عينان حادتان تريان الافق البعيد ، كما أنه يستطيع ان يحط على أعالي الاشجار ، ويكتشف الميدان من مسافات بعيدة ، فاذا رصد انسانا

او أسدا او نمرا ، زعق على خرتيته بان البلاء قادم ، وعليه ان يستعد حتى لا تاتيه المصيبة بغتة ، فيروح فى خبر كان !

والطائر لا يفعل ذلك من اجل خاطر عيون الغرتيت الضيقة المنفرة ، ولا يقدم له خدمات مجانية لوجه الله ، فليست هذه واردة فى بنود الاشتراكية الحيوانية ، انما الوارد هو : خدمة بخدمة ٠٠ فالحياة أخذ وعطاء ٠٠ على الاقل بين افراد هذا المجتمع الحيواني !

اذن ٠٠ فلينزل الطير ضيفا آمنا على جسم الغرتيت ، وليتجول فوق ظهره ، وليدخل اذنه وليقفز على راسه ، وليتقدم نحو شفتيه ، وليمتط قرنه ٠٠ الخ ، اى كانما جسمه الضخم العظيم مباح كله لمنقار طائر النقار الصغير ، ولا بد للطائر من رزق ميسور ، فما أكثر انواع الحشرات التى تلتصق على بشرة هذا الحيوان الكبير ، وما أسرع تكاثرها ، وما أسعد الطائر بها ويطعمها ، وكانما هى مزرعته المفضلة التى تعطيه لحما طازجا لا يشقى فى الحصول عليه كشقاء البشر فى الطوابير !

اضف الى ذلك ان طائرنا هذا أكفأ عملا ، واعظم اداء ، واضمن نتيجة من كل ادارات مكافحة الحشرات التابعة لاية وزارة من الوزارات، فبدون مبيدات او حمامات أو تمشيط ، تكون على الطائر نظافة الغرتيت ،والنظافة صحة ،وهىمن الايمان ، ان كان للغراتيت ايمان على اية حال !٠

ولا تحسبن ان صيحة الخطر هذه شيء بسيط ، بل هى بالنسبة للحيوان وثيقة تامين على الحياة قد لاتقدر بثمن ، فحياة الغابة وعرة قاسية خطرة ، وصيحة واحدة قد تنقذ وقد تفقد ، فشعارهم فى غاباتهم « من لا ياخذ حذره ، فلا يلومن الا نفسه » !

ومن هنا يستتيع الغرتيت ايضا ان يغفو ويرتاح على حساب جهاز انذاره الحى ـ نعنى نقار الغرتيت ، وما اجمل ان يغفو المخلوق فى جو يشعر فيه بشيء من أمان ، وما اتعسه فى غير ذلك ٠

اذن فعناصر هذه الاشتراكية الغرتيتية ـ العصفورية هى : أمان فى الحياة ، مقابل طعام ونظافة وخلو من طفيليات ، وتلك بلا شك اهم لديها من المال والجاه والمناصب والعضوية فى اللجان وغير ذلك مما يصدع ادمغتنا دون ان نصل الى نتيجة تطور حياتنا ـ لا بعمل ولا بكلام !

سر صيحات الطيور

وليس الغرتيت ونقاره وحدهما اصحاب فكرة « خذ أمانا ، واعطنى طعاما » ، بل هنا فى الواقع اجناس من الحيوانات وطيور شتى ٠٠ وكل حيوان يعرف شريكه،ويحفظ صيحته،ويستلطف نقرته ، ويسعد بوجوده فى مجاله ، فهو العين الحارسة التى ترقب ارض معركة يتربص كل من فيها بمن فيها ، فمن غمضت عيناه ، انتقل الى رحمة مولاه !

فللافيال اجهزة تحذير او انذار مبكر تتمثل فى نوع آخر من الطيور ، والغريب انها اذا وقفت على ظهره كانت انظارها متجهة فى عكس اتجاه بصره ، فهو يرى امامه من ناحية ، وهى ترى له من الناحية الاخرى التى لايستطيع ان يراها ، فاذا رأى او رات ، بدا الحذر ، لمواجهة الخطر ٠

وللجاموس الوحشى الفائق القوة طائر وديع يشبه « أبا قردان » المصرى الذى يعيش على التقاطالديدانوالحشرات من الارض،ولهذااعتبروه عندنا صديق الفلاح ، واعتبروه عندهم صديق الجاموس ، ويبدو انهيستطعم ما يعيش علىجلد الجاموس أكثر مايستطعم مما يجمع من الارض، وابو قردان الجاموس ـ تمييزا له عن أبى قردان المصرى ـ يقف فى نوبة حراسة ، بينما فحل الجاموس قد راح فى اغفاءة ، فصفارة الانذار الحية موجودة على ظهره ، وهذا يدعو للامان والاطمئنان !

ويبدو ان الغزال الوحشى أيضا لم يخل من الحشرات ، فاستضاف على جسمه بعض الرفاق٠٠ نصف دستة منهم تكون حرسا خاصا ٠٠ بعضها مشغول بالحراسة ، والبعض الاخر يسعى على جلده ، باحثا عن رزقه ، والغزال لايظهر انفة ولا اعتراضا ، بل نراه يقف وقفة المعتز بشركاء الحياة فى السراء والضراء على السواء ٠

اذن ••فكثير من صيحات الطيور في الغابات، ليست في الواقع الا تنبيها لاصحاب هذا المذهب الاشتراكي العيواني من خطر قادم •

طبيب اسنان التمساح

ولننتقل الان من الاحراش والغابات الى شواطيء بعض الانهار والبحار ــ فعلى شاطيء مشمس يستلقي تمساح في استرخاء تام . وقد فتح فمه الواسع فتحة هائله لم نكن ندرى معناها ولا مغزاها . وفجأة ــ ونحن نرقب الامور بعذر بالغ ــ ينطلق من داخل فمه طائر صغير كالصاروخ وهو يملأ الدنيا صياحا وتغريدا عاليا متيرا . وفي الوقت ذاته يندفع التمساح الى الماء كسهم فارق ••فلم نعد نرى الطير ولا التمساح ••ترى ماهي العلاقه الغائمه بين تمساح مفترس .وبين طائر وديع يسكن داخل فمه المفتوح ؟

الواقع أن طائرنا هذا هو « طبيب الاسنان » الطبيعي للتمساح . أو اذا لم تعجبك هذه الملاحظة . فلتعتبره فرشاة الاسنان الحية او السواك الذى ياكل ماعلق باسنان التمساح من بقايا طعام بعد وجبة دسمة او غير دسمة . وطبيعي أن الزبون مهما كان متوحشا لايستطيع ان يخون طبيبه الصغير . ولا ان يمزح معه مزاحا تقيلا. فيبلعه مثلا بعد انتهاء المهمة . او يخنقه اذا لم يعجبه علاجه •• فلاشيء من هذا يحدث في عالم التماسيح والعصافير والجاموس . ولا يعرف هذه المتناقضات الا أصحاب العقول !

اذن . فهناك معاهدة مشتركة لتبادل المنفعة . فياخذ التمساح جلسة لتنظيف أسنانه . ويحصل الطائر على مافيها من طعام . وزيادة في رد الجميل . وحسن الاستقبال . فقد أخذ الطائر على نفسه عهدا . ان رأى شرا يحيق بالتمساح . أنذره بصيحة « مدروسة » •• ولقد رأنا الطائر الصغير من الداخل . فحسبنا شرا.وكان ماكان•• فطار هذا في الهواء . وغاص ذاك في الماء !

ثلاثي اشتراكي

ولنتوجه الان الى أحد شواطيء البحار . وبين الشعب المرجانية نتجول قليلا . فنرى منظرا عجيبا •• المنظر يتكون من تشكيلة فريدة •• سرطان بحر (كابوريا) يلبس صدفة كبيرة حلزونية . وبها يمشي ويتجول . وفوق الصدفة حيوان هلامي يعرف باسم شقائق النعمان . ومع هذا الثلاثي غير المتجانس دودة تبرز من مقدمة الصدفة . تراها معلقة فوق أرجل السرطان •• الكل ينعم بالاشتراكية والحياة •• عدا الصدفة بطبيعة الحال . فهي هيكل لكائن مات . ولا اشتراكية للاموات !

ترى •• ماقصة هؤلاء اذن ؟

هذا النوع من سرطانات البحار ذو صدفة رخوة لاتتحمل المزاح التقيل للكائنات البحرية الجائعة . ولهذا يبحث السرطان له عن درع أو بيت يقيه . فيجد صدفه مناسبة ماتت صاحبتها . وتركتها حاوية على عروشها . فيدخل فيها . ومع ذلك . فالامر لا يدعو للاطمئنان حتى داخل هذا السكن الصلب . فربما جاءته مصيبة وسحبته من أرجله . وأخرجته صاغرا . ليصبح لقمة شهية •• عندئذ قد يهديه تفكيره الى وضع أحد شقائق النعمان الملتصق على الصخور فوق محارته . أو قد يكون شقائق النعمان هذا ــ لحسن الحظ ــ قد سكن فوق القوقع المهجور قبل أن ياخذه السرطان سكنا . فلا يكلفه مشقة في فصله وتثبيته . ولا يحمله نصبا . وبهذه العناصر الثلاثة يتكون مجتمع اشتراكي بسيط بدون عقد ولا شعارات ولا أهواء •

فسرطان البحر هو الذى يصطاد اساسا . وعندما ياكل فريسته . تنساب منها بقايا طعام تذهب الى شقائق النعمان . فياكل من نفس مائدة صاحبه . أما الدودة الصغيرة . فتحصل ايضا على نصيب مقابل عمل متواضع . اذ تعلمنا هذه الكائنات انه بقدر العمل . يكون الاجر . صحيح أن الدودة تسكن وتنتقل وتحتمي مجانا . لكنها أيضا تقوم بعمل من أجل صالحها. ومن أجل الصالح العام . وعملها تنظيف البيت من بقايا الطعام . أى انها تكنسه . وتلقى بما كنست في بطنها . ونحمد على ذلك ربها !

وما فائدة شقائق النعمان اذن ؟

انه يحمل ترسانة صاروخية تتكون من أسلحة دقيقة كالابر ، وفي كل مادة ابرة سامة أو مهيجة ، فاذا اقترب كائن من هذا « الشلالى الاشتراكى » ، انطلق السلاح ، وفعل المباح ، فيرتدالعدو مذموما مدحورا ، أو قد يقع صيدا سهلا ، فيصبح رزقا مشتركا ، أضف الى ذلك ان شقائق النعمان هذا كسيح ، ووجوده مع السرطان يهيىء له سياحة مجانية من مكان الى مكان ، وقد يحل به المقام في بيئة غنية بالطعام، فياكل ما يناسبه ، وقد يشارك صاحبيه في لقمة عيش طالما اذلت بعض نفوس البشر !

رحلة مع براغيث الماء

لكن •• قف •• فما هذا الذى يجرى هناك بجوار صخرة تحت الماء ؟ •• هل هى سمكة مريضة أم مخدرة بحيث لا تقوى على الحركة ؟ الواقع انها سمكة اسمها « الـراس » ، وهى فى مهمة «اشتراكية»مع برغوثين من براغيث الماء الاشتراكية ، ونحن هنا لا نمزح ، لان البراغيث انواع : فهناك برغوث طفيلى ، ذو دخل طفيلى، فهو ياخذ الخير ، ويعطى الاذى ، وبراغيث البشر من هذا النوع ، لكن برغوث سمكة الـراس اشتراكى أبا عن جد ، فمذهبه هذا موجود منذ عشرات الملايين من السنين ، ولا يزال •• ومهمته مع السمكة ان يفيدها وتفيده •• فالبرغوث يقوم بدور«الماشطة» فى حمامات سلاطين زمان ، أو بدور «الكوافير» فى أيامنا العصرية ، والعملة المتداولة بينهما ليست مالا ولا استلطافا ، فما يفيد المال لمن لا يعرف قيمته ؟ •• وما يفيد الاستلطاف بين نوعين مختلفين تمام الاختلاف ، اللهم الا اذا استطعنا أن نستوعب ان هناك استلطافا بين انسان وبومة ، أو بين حمام وبطة ؟!

لا يجب علينا اذن ان نقيس معايير المخلوقات بمعاييرنا ، فما قد يسعدنا قد يشقى غيرنا ، وما قد يشقينا ، قد يسعد غيرنا ، فلقد جاء كل مخلوق لما هو له ميسر ، ولقد يسرت الحياة البرغوث للسمكة ، لا ليمتص دماءها ، بل ليدور حول راسها ، ويتمسح بعينيها ، ويتجول بين خياشيمها ، ويدغدغ زعانفها ، ويدلك بشرتها . وقد يجد جرحا أو قرحة فيعالجها ، وقد يتقابل مع طفيل يلتصق ببشرتها ، فيزيله وياكله •• وبالاختصار فان هذا البرغوث المائى بمثابة الممرض والطبيب والمدلك •• « والكوافير » اذا اردت ، وهو لا يزال يعتنى بالسمكة ، وهى لا تزال ترحب به ، وكانما هى بوجوده نشوانة . وبلمساته ولهانة ، حتى تخرج من تحت لمسه الدقيق نظيفة من غير سوء ، وكانما شعارها « النظافة من الايمان» •• و « درهم وقاية خير من قنطار علاج » !

وما هى أتعاب البرغوث الاشتراكى •• أو ما هو الثمن الذى حصل عليه لقاء هذا العمل الكبير ؟ لقد أكل وشبع وهو تحت حماية قوة سمكية أكبر وأعتى ، ثم أن على بشرة سمكة الراس افرازات وطفيليات ونسيج قديم يستحق الازالة ، او ربما فرح له فيها مداواة وتنظيف واستطعام ، ثم ان الحياة لم تترك مخلوقاتها تحت رحمة الاقدار ، بل طوعتها لتخدم بعضها بعضا ، ولولا هذه الخدمات التى تقوم فى الخفاء بين الكائنات ، لانتشرت بينها الامراض . ولوقعت فريسة أعداء أكبر وأعتى ، لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، بل لا زالت الحياة تسير فى طريقها بقوة هادرة دافقة لا تعرف المداهنة ولا الضعف ، فالضعيف تلقيه من على عاتقها غير آسفة ، وتنطلق بالاقوياء فى كل آن وحين !

تلك هى اذن لقطات سريعة ومختصرة من اشتراكية الحياة أو تلك المشاركة البيولوجية التى ارست قواعدها بين بعض مخلوقاتها ، وكلما تعمقنا فى أساسيات الخلق ، وجوهر الحياة ، كلماظهرت لنا ضحالةنظرياتنا ، وسطحيةافكارنا!

ويا اشتراكية الحيوان •• لقد ظلمناك •• اذ قارنا بينك وبين اشتراكية يدعيها الانسان، فانت تجسيد لفكرة وأسلوب حياة ، لكن ويا اشتراكية الحيوان •• لقد ظلمناك •• كلاما •• وما ارخص الكلام !

ومعذرة يا اشتراكية الحيوان •• ويا براغيث الاشتراكية أيضا ! ■■

الاسكندرية — د • عبد المحسن صالح
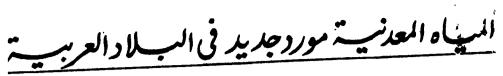
المياة المعدنية فى سورية

تفجرت ينابيعها قديماً وأخذوا بتعبئتها حديثاً

بقلم : يوسف زعبلاوى تصوير : اوسكار مترى

سهل الزبدانى الرحب كما يبدو من شرفات معامل التعبئة فى بقين
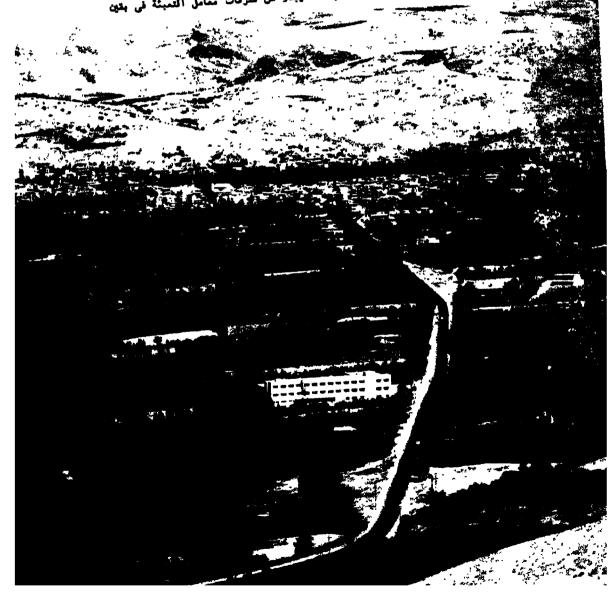
اكبر الشلالات التي تمر بها على طريق دمشق/
بيروت وانت في طريقك الى بقين ·· انه يقع في
الربوة ، وفي مقهى ابو شفيق ، اقدم مقاهيها ··
والمدهش في منطقة الغوطة الغربية (الربوة ــ دمر ــ
الهامة) انها تحتفظ ببرودتها المنعشة حتى في أحر
ايام السنة التي لا تفلت من حرارتها المصايف
المرتفعة بما فيها بلودان ···

هـذه هي عين بقين القديمة ··· تتدفق مياههـا
كالسبيل ، عند مدخل مطعم ومنتزه بقين الشهير ،
ويتجمع حولها الصغار والكبار لا لشربها فحسب،
وانما للعودة ببعضها الى البيت ، الى من مست
حاجتهم الى تلك المياه ·

بدأت المياه المعدنية تتفجر في أكثر من ارض عربية ، وبدأت الزجاجات المعبأة بها تسافر الى كل مكان • وهذه رحلة الى آخر بلد التفتت الى هذه الثروة ، سوريا، وحديث عن الجدال الدائر حول القيمة العلاجية للمياه المعدنية •

■ بدات المياه المعدنية تظهر في كل مكان من الارض العربية ، وبدات الزجاجات تحملها الى كل مكان ،بدات في الجزائر والمغرب وتونس ، حيث كان الاحتلال الفرنسي ، لان فرنسا اكثر الدول اهتماما وتقدما في صناعة هذه المياه ...

ثم ظهرت مياه « صحة » و « نعص » في لبنان

ثم مياه « جلفا » في الخليج .. في عجمان...

ثم ظهرت مياه معدنية في الشارقة ...

وفي مصر حديث عن تعبئة مياه«حلوان» ...

وسافرنا الى سوريا فاستطلعنا معامل تعبئة المياه المعدنية فيها وقد ظهرت هذه المعامل مؤخرا في « بقين » و « والدريكيش »

نبع بقين
بلغ ايجاره السنوى الاول ٢٥٠ ليرة سورية

وساقتنا الصدفة الى اوثق الناس صلة بنبع بقين .. الى الدكتور عبد الوهاب القنواتي .. احد مؤسسي جامعة دمشق ، وصاحب اول مصنع للادوية في سورية .. والدكتور عبد الوهاب مد الله في عمره . يبلغ الخامسة والثمانين ، ولكنه يتمتع بقدر من صفاء الذهن وقوة الذاكرة يغبطه عليه الكبار والصغار .. وقد اشتهر بخفة دمه ودعابته منذ صباه .. لقد زرنا العالم الجليل في بيته ورحنا نستمع اليه وهو يحدثنا ويقول « كان ذلك في سنة ١٩٢١ حين جاءني ابو اليسر عابدين وهو يقول « احزم امتعتك يادكتور .. فالدواب جاهزة والمؤن واللوازم حاضرة وكل شيء معد للرحلة رحلة بقين ! ..

« وابو اليسر كان احد طلابي القدامى ايام كنت ادرس الكيمياء في جامعة دمشق (وكان اسمها آنئذ : مدرسة الطب العثمانية) ، وقد اكمل تحصيله وتخرج طبيبا .. ولكنه انصرف الى تدريس الشريعة في كلية الطب ...

« واخذنا طريق دوما ، المتجه شمالا فغربا . ومررنا ببرزه فقرية التل فقرية منين ثم وادى حلبون فافره فالهريرة .. وعثرنا على الينابيع في اكثر هذه المواقع ووجدناها طيبة المذاق هاضمة لا سيما في أفره والهريرة ..

« ووصلنا اخيرا الى بقين ووجدنا فيها شجرة جوز كبيرة وارفة .. ووجدنا تحت ظلال تلك الشجرة نبع ماء .. ولم نكن نعرف عن ماء ذلك النبع شيئا .. الا اننا ما لبثنا أن اكتشفنا ان مياهه مدرة بنسبة ٢:١ فالمرء يدر بمقدار كاسين اذا هو شرب من ماء بقين كاسا واحدة فقط ..

« وحللت بعد ذلك ماء بقين تحليلا وافيا ونشرت هذا التحليل في صحيفة « المقتبس » اليومية التى كان يصدرها في دمشق في تلك الايام (١٩٢١) المرحوم محمد كرد علي .. ، وبلغ من اقبال الناس على شراء العدد الذى نشر فيه التحليل ان نفدت نسخه بسرعة .. مما اضطر اصحاب المقتبس الى اعادة طبع ذلك العدد ثلاث مرات ..

« واعقب اقبال الناس على شراء ذلك العدد اقبالهم على شرب مياه بقين نفسها .. فقد استطابوا مذاقها .. وسعوا الى فوائدها الصحية .. وطمعوا في منافعها العلاجية .. فراحوا يعبون من ماء ذلك النبع عبا ..

ومحدثنا الدكتور عبد الوهاب القنواتي .. له من العمر ٨٦ عاما ومن الاحفاد ٣٩ حفيدا .. وله ايضا اربعة من احفاد الأبناء .. واولاده الثمانية (٣ فتيات) كلهم دكاترة .. وقد درج على مكافاة كل من يحصل على الشهادة العليا من ابنائه بمكافآت ثلاث . سيارة وشقة وعروس ..
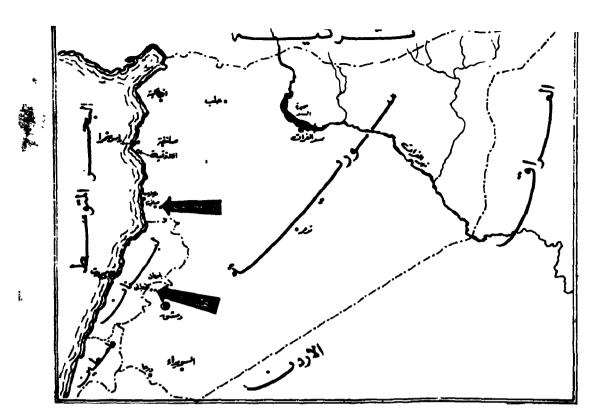
وهنا توقف الدكتور قنواتي عن الكلام ..واطرق قليلا ثم رفع راسه وهو يضحك .. ولما سالناه عن السبب ، قال :

« تذكرت الحفلة التي اقيمت في جامعة دمشق في تلك الاثناء .. سنة ١٩٢١ .. حقا لم يكن لها اى صلة بمياه بقين .. ولكني تذكرتها على كل حال . وقد اقيمت احتفالا بتنصيب الامير فيصل ابن الشريف حسين ، ملكا على سوريا .. ولما كنت من خطباء تلك الحفلة وكان الامير ينوى حضورها، عمدت الى اعداد تجربة كيماوية لطيفة اجريتها اثناء الاحتفال . فقد مددت اربعة انابيب من غرفة مجاورة الى قاعة الاحتفال والى منصة الخطباء بالذات .. ووضعت في الغرفة المجاورة وعند فوهات الانابيب من المواد ما من شانه أن يحدث تفاعلا كيماويا مصحوبا بشعلات تخرج من فوهات الانابيب الاخرى الموجودة في قاعة الاحتفال . ونجحت في جعل تلك الشعلات الاربع ملونة بالوان العلم العربي الاربعة ..

« وضغطت الزر في اللحظة التي بدات خطابي فيها واذا بالشعلات المضيئة الزاهية تخرج من فوهات الانابيب: بيضاء وخضراء وسوداء وحمراء..

« واظهر الملك فيصل اعجابه بالبادرة فسال أحدهم عن مرتبي الشهرى .. فلما عرف انه ١٥ ليرة ذهبية امر بمضاعفته ضعفين .. »

وختم الدكتور عبد الوهاب قنواتي حديثه بنوادر لطيفة ، وقد شمل بعضها اولاده الثمانية ، وكلهم دكاترة الى أن قال :

« ومن طريف ما اذكر عن شجرة الجوز التي اكتشفنا نبع بقين في ظلها .. انها سرعان ما اجرت بقصد اقامة مقهى او منتزه في ظلها والى جانب نبعها . وبلغت قيمة ايجار شجرة الجوز ونبعها في بادىء الامر ٢٥٠ ليرة سورية في السنة .. وقد تضاعفت بعد حين حتى بلغت ١٢٠٠ ليرة سورية..

وخرجنا من منزل الدكتور قنواتي وتوجهنا الى بقين .. ولكن لا عن طريق دوما فبرزه وانما عن طريق دمشق/بيروت ..

وما لبثنا أن وصلنا بقين .. فوجدنا النبع الغزير ووجدنا المقهى ، ولكننا لم نجد شجرة الجوز الوارفة ... ولا بد أن تكون قد توارت بين الاشجار التي بلغ من كثرتها وكثافتها أن حالت دون تسرب اشعة الشمس الى المقهى .

ولا ندرى ما مبلغ ايجار هذا المقهى العالي .. لا سيما بعد أن جددوا بناءه .. وتزيينه .. ولا نستغرب لو بلغ الف ضعف ما بلغه سنة ١٩٢١..

وتقع بقين في منطقة الزبداني المعروفة برحابتها وخيراتها . والشهيرة بمصايفها .. ففيها يقع مصيف بلودان المرتفع (١٥٠٠ متر) . الممتاز بطقسه المنعش الجاف . ومصيف الزبداني ، عاصمة

هذه هي غرفة التعبئة ، أهم الاقسام في معامل تعبئة المياه في بقين (وفي الدريكيش ايضا).
وبها ثلاث الات كلها مؤتمتة وتعمل تلقائيا.. الالة النافخة التي تراها في صدر الصورة..
هي كما ترى مستديرة الشكل تنفخ الهواء العقيم الى داخل القوارير ليعقمها .. وهي تعمل
حركة لولبية لطيفة لا يمل المرء مشاهدتها .. والة تعبئة الماء التي تراها في العمق ..وهي
مستديرة الشكل ايضا .. تصب الماء المعدني تلقائيا في القوارير المعقمة .. فلا تلبث هذه ،
وقد امتلأت بالماء ،واحكم اغلاقها بالسدادات ،ان تنتقل على الحزام الناقل الى قسم التغليف.
أما الالة الثالثة في غرفة التعبئة فهي آلة التغذية .. التي لا تراها في الصورة . وغرفة
التعبئة هذه تشبه غرفة العمليات في المستشفيات .. فهي معقمة بكل ما فيها ومن فيها ..
ودخولها محظور على غير العاملين فيها .

احد المهندسين الكيميائيين العاملين في مختبر معامل بقين ..بل قل مختبريها ..المختبر الجرثومي
والمختبر الكيميائي (والفيزيائي) ... وكلا المختبرين مجهزان باحدث الاجهزة ، وقد شملت
هذه جهاز الكشف عن الجراثيم B.O.D. ، والمرشحات الجرثومية ، والحواضن الكهربائية .
(الجرثومية ايضا) وشملت أجهزة المختبر الكيماوي الجهاز الخاص لقياس تركيز المركبات
والشوارد المعدنية Spectrophotometer وجهازا آخر مثله للفحوص الميدانية ، وهو اشبه
ما يكون بمختبر متنقل .. وشملت ايضا جهاز الامتصاص الذري Atomic Absorption ،
وغير ذلك . وقد لا يمضي زمن طويل حتى يصبح مختبر معامل بقين مختبر الدولة الاول .
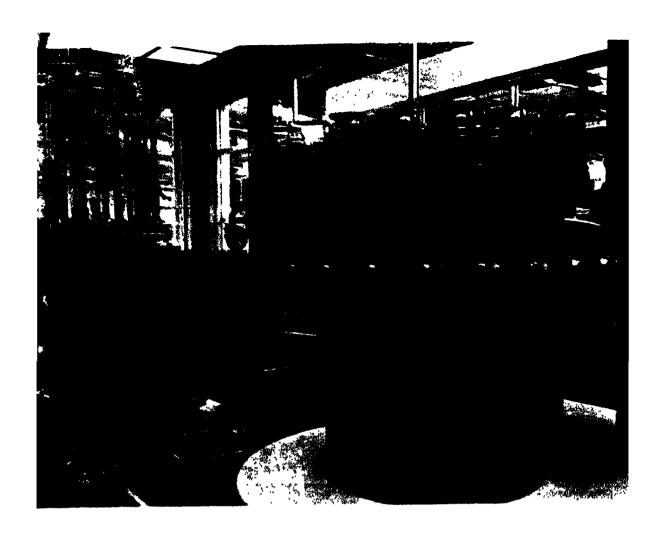
المنطقة (المحافظة) ذات الطقس المعتدل .. وفيها يقع المصيفان الشقيقان مصيف مضايا ومصيف بقين. وفي المنطقة نبعان غير نبع بقيـن .. نبـع بردى ونبع ابو زاد .. وهما رائعان من حيث جمال موقعهما ومناظرهما .. ومياههما طيبـة المذاق الا انها ليست معدنية كمياه نبع بقين .

نبع الدريكيش ومنطقتها السياحية المغمورة

وتوجهنا الى الدريكيش ومضينا في رحلة لطيفة قطعنا فيها نحوا من ٢٥٠ كيلو متر في حوالـى ساعتين ونصف الساعة .. قضينا اكثر من نصفها على اوتوستراد دمشق/حلب ..

ووصلنا الى الدريكيش .. وتوجهنا الى معمل تعبئة المياه المعدنية فيها .. فوجدنا مدير المعمل النقيب يوسف رجب في انتظارنا .. وهو مظلي قديم فقد احدى ذراعيه ، في احدى معارك حرب رمضان المباركة .

واول ما استرعى انتباهنا في بلدة الدريكيش تجمع الناس في احد مقاهيها ، ووقوف الكثيرين منهم خارج المقهى ينتظرون دورهم .. وما اسر ما عرفنا ان سبب هذا التجمع لم يكن عرسا ـ الاعراس .. او حفلة من الحفلات .. بل كا مياه الدريكيش المعدنية .. فهذا مقهى قديم يتدفق فيه ماء نبع الدريكيش القديم .. وقد در الناس على الاقبال عليه على نحو ما راينا منذ القديم ايضا ...

واصطحبنا النقيب في جولات في المنطقة،فعجبنا اشد العجب لكثرة مافيها من مواقع جميلة ومعالم ومناظر رائعة .. ولقلة ما يعرفه السوريون وغير السوريين عن هذه المنطقة المغمورة ..

ومنطقـة الدريكيش غنية ايضا بالينابيـع .. فحيثما ذهبت ترى عيون الماء اوعلى الاقل تسمع خريرها .. وقد عـدوا منها في موقع واحد فقط ٣٦٠ ينبوع .. ذلك هو جبل متى الذى لا يبعدعن البلدة سوى ١٢ كم ، والذى انبسطت قمته حتى كادت ان تصلح لانشاء المطارات والمنتزهات رغم ارتفاعها الذى لايقل عن ١٢٠٠ متر .

على اننا نذكر للسيد النقيب يوسف فضلاآخر غير تلك الجولات .. فقد جمعنابعدد منرجال الفكر والقلم في المنطقة ، كان في طليعتهم الاستاذ حامد الحسن ، اديب الدريكيش وشاعرها المعروف،الذى امتعنا باحاديثه وروى لنا فيما روى قصة اكتشاف فوائد مياه الدريكيش الصحيةوخصائصها العلاجية اذ قال :

« اكتشفت خصائص مياهنا سنة ١٩٢٧/١٩٢٨ ايام الانتداب،والفرنسيون هم الذيناكتشفوها... ومازلت اذكر المستشفى الذى اقاموه في الدريكيش وسموه « المدرسة » في بادىء الامـر .. وقـد استعملوه فعلا لاغراض التدريس طوال سنة .. ولكنهم اتخذوا منه بعدها مقـرا لادارتهم ..

غرفة متواضـعة في مظهرها طموحة فـي وظيفتها ... انها غرفة نبع المياه المعدنية الخاصة بمعامل بقين .. بل قل غرفة البئر او المضخة التى تضخ تلك المياه من مكمنها وترفعها الى سطح الارض ، ثم تدفعها الى المعامل .. وذلك عبر الانابيب.. *اماالمنطقة الواسعةالخالية التىتحيط* بهذه الغرفة فهي حرم النبع ..

تحليل شامل
للمياه المعدنية في بقين والدريكيش

	ماء بقين	ماء الدريكيش
الكلسيوم	٣٦ ملغرام/لتر	٣٤ ملغرام/لتر
الصوديوم	٥	٢
البوتاسيوم	١	١,٥٦
المغنزيوم	١٧	١١,٦٠
الحديد	٠,٠٢	٠,٠٥
البيكربونات	١٨٠	١٢٢
[illegible]	٨	٢٥
النترات	٥	٠,٨

	ماء الدريكيش	ماء بقين
الكربونات	٣ ملغرام/لتر	٦ ملغرام/لتر
الفسفات	١,٢٥	١٣
الكلورايد	١٥,٥	٧
[illegible]	٩,٣	١٥
[illegible]	٠,٨	١٦
[illegible]	١	٨
[illegible]	٦,٥	١٢
[illegible]	١,٣	٨,٦

اشتهر منتزه ومطعم بقين الحديث بروعة مناظره البعيدة والقريبة كهذا الشلال البديع الذى يكاد يتوسط السمع الذى يشغله المتزه ٠٠ واشتهر ايضا بالوان طعامه الشهية ٠٠ فتة الحمص وغيرها ٠٠٠ الا ان اكثر ما اشتهر به مياه بقين المعدنية التى تستقبل رواد المنتزه عند مدخله ٠٠

« غيران منافع مياه الدريكيش بقيت سرا محتكرا ٠٠ ولم يعرف بها احد من أهل المنطقة حتى تسنى لاحد الطلاب العرب ، وكان يدرس الطب فى فرنسا ، أن يكتشف ذلك السر ٠٠ فقدعثر فى بعض المراجع العلمية على تصنيف للمياه المعدنية المعروفة فى العالم ، وشمل هذا التصنيف فيما شمل ، مياه الدريكيش ٠٠٠ لا عجب اذن ان احتار الطالب العربى المذكور موضوع المياه المعدنية عامة ومياه الدريكيش بخاصة ، موضوعا لرسالته الجامعية٠

معامل التعبئة
عمادها الخبرات والكفاءات العربية

واول مالاحظناه فى معامل التعبئة فى كلا المنطقتين اعتمادهما الكلى على الخبرات والقدرات العربية وخلوهما من الخبراء الاجانب ٠٠ ولاحظنا ايضا ان الانتاج وسير العمل فى المعملين لم يتاثر تبعا لذلك ، لا من حيث المستوى ولا من حيث الكمية ٠٠ فالمهندسون والخبراء العرب هنا يؤدون واجبهم ويقومون باعمالهم على اكمل وجه ممكن ٠

ثم لاحظنا الشبه الكبير بل التطابق بين المعملين معمل بقين ومعمل الدريكيش ٠٠ فالبناء الخارجى فى كليهما واحد ٠٠ شكلا ولونا وحجما ٠٠ وهو عبارة عن هيكل معدنى استوردوه شبه جاهز ويشغل مساحة ٤٥٠٠ متر مربع ٠٠ وكذلك عدد المهندسين والعاملين ٠٠ فهو متقارب فى المعملين ويبلغ نحو ٩٠ عنصرا ٠٠ اما الانتاج فقد بلغ فى بقين نحو ٥٠٠٠ صندوق × ١٢ قارورة × ٥ر١ لتر يوميا ويوشك أن يبلغ مثل ذلك فى الدريكيش ٠٠٠ ومثل ذلك فى الاقسام ٠٠ فهى أربعة فى كل من المعملين : قسم صنع العبوات (وهى قوارير بلاستيكية ، كما هو معروف) وقسم تعبئة الماء وقسم التغليف ثم المخبر ٠

ولو أنت دققت النظر فى الاعمال التى تقوم بها هذه الاقسام لوجدتها واحدة فى المعملين ، ولوجدتها تهدف الى غايتين ٠٠ الاولى ، تعبئة القوارير بالماء المعدنى ٠٠ والغاية الثانية ،ضمان وصول ذلك الماء الى المستهلكين ماء نظيفا عقيما سائغا ٠٠ تماما كما هو فى مكمنه ٠٠ ولا يخفى ماتنطوى عليه هذه الغاية من خطورة ٠٠ فالماء المعدنى لا يفيد ، بل انه يضر اذا كان ملوثا ولم يكن ماء نظيفا عقيما ٠

والمخبر هو القسم المختص الذى يقوم بتلك الاعمال الكفيلة بتحقيق هذه الغاية الثانية ٠ واعماله هذه اما تحاليل واما اعمال تعقيم ٠٠ وتحاليله اما فيزيائية او كيماوية او تحاليل جرثومية ٠

ويجرى المهندسون المختصون هذه التحاليل الجرثومية على ماء النبع مرة فى اليوم ٠٠ ولكنهم

لوحة رائعة جمعت بين جمال المراة في اوجه وجمال الطبيعة في ذروته ·· فتيات دمشقيات يتنزهن في « الهامة » حيث يتفرع عن نهر بردى فروعه المختلفة : يزيد وطورو الخ ··

الدريكيش بلدة جميلة جدا ومصيف ممتاز · ولعل الحل المثالي لمشاكلها هو في اقامة جمعية تعاونية للاسكان فيها ··· على أن تعطى الاولوية في الانتساب الى هذه الجمعية لغير اهل الدريكيش من المواطنين ·

الفنادق السياحية منتشرة فى سورية ٠٠ وهى حديثة البناء والطراز ورحبة وتتوفر فيها أهم شروط الراحة ٠ والدولة هى التى قامت ببناء هذه الفنادق وانفقت فى سبيلها ما انفقت ٠٠ وقد كلفها فندق الدريكيش الذى نرى فى الصورة ـ حوالى نصف مليون ليرة سورية ٠٠ وذلك ايام الرخص وقبيل ظهور موجة الغلاء ٠

يجرونها على الماء المعبا فى القوارير ، والمعد للبيع او التصدير ، مرة كل ساعتين ٠٠وما لم تثبت هذه التحاليل الجرثومية المتواصلة ان الماء المعبا نظيف وعقيم ١٠٠٪ فان المخبر يحظر خروج انتاج ذلك اليوم من المعمل بل يامر باتلافه ٠٠ وقرار المخبر في هذا الصدد مطلق ونهائي ٠٠

على ان المخبر لا يكتفي باجراء التحاليل بل يقوم ايضا باعمال التعقيم ٠٠ فهو في حرب دائمة ضد الجراثيم الضارة ٠٠ يكافحها ويقضي عليها بشتى الوسائل وبخاصة بالمادة المعقمة الفعالة (الكلورامين ـ ت) ٠

وتشمل اعمال التعقيم اكثر ما تشمل غرفة التعبئة ٠٠ حيث تملأ العبوات بالماء المعدني وتغلق ٠٠ فهم يعقمون الات هذه الغرفة وارضهاوجدرانها ويعقمون جوها والعاملين فيها يوميا وباستمرار٠ لا غرابة اذن حظروا دخول هذه الغرفةعلى غير العاملين فيها ولا غرابة ان بدت لك هذه الغرفة وانت تنظر ايها من خارج زجاجها وكانها غرفة عمليات في احد المستشفيات ٠٠٠٠

وتشمل اعمال التعقيم ايضا خطوط الانابيب التي يتدفق فيها الماء المعدنى من النبع الى المعمل ٠٠ فهم يعقمون هذه الانابيب مرة في الاسبوع على الاقل ٠

وتجدر الاشارة هنا الى ان نبعي معامل التعبئة فـي بقين والدريكيش همـا غير النبعين القديمـين اللذين الف الناس الشرب من مائهما ٠٠٠ فنبع معامل التعبئةخاص بها وليس في مقدور احد ان يشرب منه فهو نبع جوفي وماؤه تضخ الى سطح الارض ضخـا ٠٠ فهو اشبه بالبئر منـه بالنبع بمفهومه القديم ٠٠ ثم انه يقع في مكان بعيد عن التجمع السكانـي بخلاف النبع القديم ٠٠ وقـد سيجوا المنطقة الواسعة التى تحيط بهـذا البئر وبغرفة مضخته . وحرمـوا دخولهـا على كـافة المخلوقات . حرصـا على وقايتها مـن كل اسباب التلوث ٠ فاصبحت تعرف بحرم النبع ٠

على ان ثمة فرقا واحدا بين نبع معمل الدريكيش ونبع معمل بقين ٠٠ فالاول يقع ضمن طبقة بازلتية بالغة العمق ٠٠ ومياهه مقطوفة من هذه الطبقة ٠٠ وذلكقبلمرورهابالطبقات الاخرى الكلسيةالتيتزيد من عسر الماء وقساوته ٠٠ لا غرابة اذن ان كانت

معامل الدريكيش لتعبئة المياه المعدنية ، كما تراها ، من الخارج ٠٠ ولا يفوتنا ان نذكر ان هذه المعامل تدفع أتاوة لبلدية الدريكيش تبلغ قرشين عن كل قارورة معباة بالماء وتخرج الى الاسواق ٠ وهي ضعف الاتاوة التي تدفعها معامل التعبئة فيبقين٠٠

هذه هى لجنة استثمار المياه المعدنية التى صدر القرار بتشكيلها فى الشهر الرابع من سنة ١٩٧٣٠٠
ونرى فى صدرها رئيسها سيادة اللواء الركن غازى ابو عقل والى يمينه اعضاؤها وهم
الدكتور محمد هوارى مدير المخابر فى مستشفى المواساة بدمشق ، سيادة العقيد سعيد حمامى مدير معامل ادوية الديماس فالمهندس اكرم شبيب المدير الفنى فالدكتور فارس شقير استاذ الجيولوجيا فى جامعة دمشق ٠ ثم يليه السيد محمد انور اديب زمو مدير معامل بقين ٠

مياه الدريكيش فريدة فى قلة قساوتها وهى لا تزيد على ١٠ درجات فرنسية ٠٠!

ولم يكن العثور على هذا المقطف الممتاز بالامر الهين ٠٠فقد اقتضى دراسات مكثفة وابحاثا ميدانية واسعة ٠٠ غطت منطقة بلغت مساحتها ١٥٠كيلو متر وشملت عددا كبيرا من الينابيع الجوفية المحتملة جاوزت ٤٠٠ نبع ٠٠ وتعاقبت التحاليل لمياه هذه الينابيع ، وتلاحمت التجارب ،حتى وقع الاختيار على النبع الحالى ٠ ومما يبعث على الاعتزاز حقا أن *المهندسين والخبراء الذين قاموا* بهذه الدراسات والابحاث ، كانوا كلهم عربا ، وقد عملوا تحت اشراف الدكتور فارس شقير ٠٠

لجنة استثمار المياه المعدنية جاز أن نسميها لجنة استثمار الكفاءات العربية

وشعرنا بالحاجة بعد ذلك للرجوع الى الخلفيات، وقد اطلعنا على المنجزات٠٠فالصورة التى حملناها عن المعملين ــ معمل بقين ومعمل الدريكيش ــ تبقى ناقصة مالم نلم بالجهود التى سبقت قيام المعملين٠

واجتمعنا بلجنة استثمار المياه المعدنية٠٠وهى الجهة المسئولة التى تولت اعمال انشاء المعملين وتشرف حاليا على سير العمل فيها ٠٠ واجتمعنا برئيسها اللواء غازى صبحى ابو عقل (وكان برتبة عميد حين اجتمعنا به) ٠

واتسع صدر السيد العميد لاسئلتنا ٠٠ وراح يحدثنا عن الخلفيات ، ويقول :

« التفكير فى استثمار المياه المعدنية فى سوريا قديم ٠٠ قدم عهد الاستقلال ٠٠ ولكن ظروفا مختلفة حالت دون تحقيق الفكرة ٠٠ حتى كانت السبعينات ٠٠

« ثم كانت نقطة البدء فى الملاحظة التى ابداها السيد رئيس الجمهورية حين قال : « لم لا تعبئون مياه بقين ، فتصبح فى متناول الجميع ، وتصدر الى اخواننا فى الخليج وغير الخليج ٠٠ »

وسارت الامور بعد ذلك فى سرعة كبيرة ٠٠ فشكلت لجنة استثمار المياه المعدنية فى شهر ابريل ١٩٧٣ ، واستكملت البحوث والدراسات فى غضون شهور قليلة ٠٠ ثم كانت اعمال البناء التى استغرقت سنة واحدة فقط ٠٠٠ (ديسمبر ١٩٧٤ــ ديسمبر ١٩٧٥) ، واعقبها اعمال تركيب الالات التى تمت فى غضون ثلاثة شهور ٠

وتابع اللواء حديثه قائلا :

« وقررنا الاعتماد على انفسنا وكفاياتنا ما امكن وعدم اللجوء الى الخبرات الاجنبية الا عند الضرورة ٠

وهكذا حصرنا تعاوننا بشركة ايفيان الفرنسية وقصرناه على الزيارتين السنويتين اللتين يقوم بهما احد خبراء هذه الشركة الى معاملنا ، وذلك لمراقبة الجودة والتاكد من ان الانتاج ما زال يحتفظ بمستواه ٠٠ وتنتهى مهمة هذا الخبير بوضع التقارير ٠٠ وقد كانت تقاريره حتى الان مرضية ٠٠

وسألنا عن التوسع المرتقب فى المعملين فرد العميد قائلا :

مدخل مغارة بمحصر (بيت العصر) ويظهر فيه النقيب يوسف رجب مدير معامل الدريكيش ..والمغا
واسعة وتحتضن نبعا غزيرا حولها الى بحيرة. لذلك كان التجول فيها وفي ظلمتها مغامرة ممتعة .

صافيتا ، اقرب المدن الى الدريكيش ، عدد سكانها يقارب ١٨ ـ ٢٠ الفا ٠٠ وقلعتها التي تبدو لك واضحة من بعيد قلعة صليبية ،واقام فيها صلاح الدين الايوبي اثناء قيامه بتطهير المنطقة ،وقد سماها « البرج الابيض » ٠

يستأثر نهر قيس بالقسط الاوفر من مواقع المنطقة الجميلة ٠٠٠ ولكن في منطقة الدريكيش مواقع اخرى عديدة لا تقل عن نهر قيس روعة ٠٠ وعيون الوادي ، وهي المصيف الجميل المعروف بكثرة ينابيعه ، لا تبعد عن الدريكيش الا كيلو مترات قليلة ٠٠٠

« لن يمضي زمن طويل حتى يبدا تشغيل الالات الجديدة الموجودة حاليا في قسم صنع القوارير البلاستيكية في كلا المعملين ـ معمل الدريكيش ومعمل بقين ٠٠ وبذلك ستتضاعف طاقة هذاالقسم وتتضاعف معه طاقة المعملين ككل ٠٠

« هذا فيما يتصل بتعبئة المياه المعدنية الا اننا ننوى اقامة صناعات اخرى ثلاث ملحقة بمعامل التعبئة ٠٠ صناعة المياه الغازية (الغازوز)في بقين وصناعة عصير الفاكهة في الدريكيش ٠٠ اما الصناعة الثالثة فهى صناعة غاز الفحم في الدريكيش ايضا ٠٠ وقد وصلت آلات هذه المصانع وتم تركيبها وستبدا الانتاج فيمستقبل قريب جدا٠

المياه المعدنية هل تشفي حقا وتغني عن اجراء العمليات الجراحية ؟

يعجب المرء لكثرة ما اطلقه السلف من اسماء على الناقة والفرس والسيف والكلا وبيت الشعر وغير ذلك مما اتصل بحياتهم من اشياء ٠٠ ولو وقفت هذه التسميات عند الالفاظ لما اثارت في النفس اى اعجاب ٠٠ ولكنها تتعدى صناعة اللسان وتقترب كثيرامن العلمبما تنطوى عليهمنتحديدات وتمييزات ٠٠ ويصدق هذا على الماء فيما يصدق عليه من اشياء ٠٠

يقول الثعالبي فيكتابه فقه اللغة وسرالعربية: « اذا كان الماء نتنا لا يشربه احد فهو آسن ٠٠٠ واذا اجتمعت فيه الملوحة والمرارة فهو اجاج ٠٠٠ واذا كان فيه شيء من العذوبة ويشربه الناسفهو شريب ٠٠ اما اذا كان دون ذلك في العذوبة ولا يشربه الناس الا عند الضرورة وقد تشربه البهائم فهو شروب ٠٠ واذا كان الماء عذبا فهو فرات ٠٠ واذا كان سهلا سائغا متسلسلا في الحلق منطيبه فهو سلسل وسلسال ٠٠٠ واذا جمع بين الصفاء والعذوبة والبرودة فهو زلال ٠٠ » وهذا قليل من كثير مما اورده الثعالبي في باب الماء ٠٠

وعلى كثرة ما اورد فاننا لم نعثر فيه على ذكر للماء المعدني ٠٠ هذا الماء الذى كثر الاقبال عليه في المدة الاخيرة والذى كثر الحديث لا عن فوائده الصحية فحسب وانما عن خصائصه العلاجية وقدرته على الشفاء من الامراض ايضا ٠٠٠

اما الفوائد الصحية فلا خلاف عليها ، الظاهر ، بدليل رواج المياه المعدنية المتزايد الاسواق ٠٠ فهى هاضمة ومدرة ٠٠ وفي الاحيان مضادة لحموضة المعدة ومفيدة في حالات احتقان الكبد والكليتين ٠٠ بيد الماء المعدني لا يعود بكل هذه الفوائد على كل يشربه ٠٠ فقد تشعر انت ببعضها ويشعر ببعضها الاخر ٠٠ وذلك تبعا للاجسام واخت حاجاتها ٠٠ بل انك قد لا تشعر بشيء من الفوائد ٠٠ وحسبك في تلك الحال انك تشرب نظيفا عقيما ٠٠ وذلك في وقت انتشر فيه التلا حتى اصاب الكثير من مياه الشرب العادية ٠٠ فا المعدني ماء شريب على كل حال ، والماء الشر لا يمكن ان يسبب ضررا ،كما يقول الخبير الفرنس نينار ٠٠٠٠ علما بانه قد يعود عليكببعض تل الفوائد ٠٠

★ ★ ★

وينسب الكثيرون الى المياه المعدنية خصائص علاجية مختلفة ٠٠٠ فهى تشفي ، كما يؤكدون مما قد يعاني منه الانسان من رمل وحصى ٠ وقد سمعنا قصصا كثيرة في هذا الصدد ٠ نذكر منها ، على سبيل المثال ، قصة الفتى (٨ سنوات) الذى كان يعاني من حصاة استقرت في كليته ٠ وقد روى لنا هذه القصة الدكتور قنواتي ، طبيب عائلة الفتى الذى نصحه بماء بقين ٠٠ وما لبث الفتى ان تخلص من تلك الحصاة ومن آلامها المبرحة ٠٠ ثم اخذ الدكتور لكلية الفتيصورة بالاشعة فوجدها سليمة وخالية تماما من كل شائبة ،ووجدهاتقوم بوظيفتها خير قيام ٠

وتجدر الاشارة الى سجل قيم قديم احتفظت به بلدية الدريكيش منذ مطلع الستينات ٠٠ ووجدنا في ذلك السجل مذكرات او اعترافات كثيرة خطها اصحابها بايديهم ، واكدوا فيها اثر مياهالدريكيش الحاسم في شفائهم ٠

ونخص بالذكر منهذه الاعترافات اعترافاللاستاذ بديع حقي ، احد كتاب العربي القدامى ، وسفير سوريا الحالي لدى دولة غانا ٠٠٠ وقد قال في اعترافه :

« لقيت الامرين من حصاة سببت لي مغصا كلويا

جانب من بلدة الدريكيش كما يبدو من شرفة الفندق السياحي ٠٠والبلدة صغيرة لا يزيد عدد سكانها على ١٢٠٠٠ نسمة ولا ترتفع اكثر من ٦٠٨ امتار فوق سطح البحر ٠٠ ولا تبعد اكثر من ٣٦ كم عن شواطىء وبلاجات مدينة طرطوس ٠٠ ومن ثم كان طقسها المعتدل جدا ٠٠ فالحرارة فيها لا تزيد على ٣٠ درجة في فصل الصيف والثلوج التي تكاد تكسو كل ما حولها في فصل البرد لا تمتد الى الدريكيش الا نادرا ٠

متصلا منذ امد بعيد ٠٠ وقد جئت الدريكيش فافادتني مياهها العذبة الطبية في انزال هذه الحصاة ٠٠٠ »

وعجبنا لتلك القصص ورحنا نتحرى حقيقة هذه الخصائص العلاجية التي ينسبونها الى المياه المعدنية٠٠الخ ٠٠ ولم يطل بنا البحثحتىاتضحت لنا بعض الحقائق وتجلت بعض المذاهب ٠٠ واول ما يذكر في ذلك اثر الماء نفسه ، وبمعزل عن املاحه ومحتوياته ، والقدرة على طرح الرمل والحصى انما يعزوها الكثيرون الى الماء من حيث هو ماء ٠٠ معدنيا كان ام غير معدني ٠

ثم ان الاملاح المعدنية التي تدخل في تركيب الماءالمعدنيبشكلاوباخر،واهمها الصوديوموالكلسيوم والحديد والمغنيزيوم ، ذات قيمة كبيرة لجسم الانسان ، كما هو المعروف ٠ فهي تولد فيه مناعة ضد الامراض وتعود عليه بفوائد كثيرة تفوق كل ما يعزى الى الفيتامينات ٠٠ ولعل الكثير من هذه الفيتامينات لا يفيد شيئا اذا اخذ بمعزل عنالاملاح المعدنية ٠

اضف الى ذلك ان ما تحتويه المياه المعدنية من تلك الاملاح انما تحتويه بالمقادير الملائمة والنسب المتوازية التي تتطلبها صحة الانسان ٠٠ ذلك ان املاح المياه المعدنية املاح طبيعية غير مصنعة ، دخلت في تركيب الماء بفعل الطبيعة على مر الدهور ٠٠فالماء المعدني ماء مطر رشحعبر الصخور الى باطن الارض ٠٠ واذاب في طريقه من املاح تلك الصخور ما اذاب ٠٠ ثم اكتسب المزيد منها وهو في حوضه الجوفي ، وعلى مضي الزمن ٠

الا ان بعض العلماء يعتقدون ان قدرة المياه المعدنية على الشفاء انما تكمن في المغنيزيوم فهو في نظرهم الحلقة المفقودة في عدد كبير من الامراض التي طالما حيرت الاطباء ، وقد كان موضع بحوث ودراسات كثيرة منذ مطلع الخمسينات زاد عددها على ٢٠٠ بحث ٠٠

وتذهب فئة اخرى الى ان سر المياه المعدنية انما يعزى لما قد تحتويه من الراديوم او غيره منالمواد المشعة بمقادير قليلة ٠ ويأخذ الدكتور قنواتي بهذا الرأي ، وقد ثبتت له صحته بفحص ماء بقين بواسطة جهاز خاص بالكشف عن المواد المشعة ، كانت احضرته معها احدى البعثات الامريكية ٠

ومهما يكن من امر فان قدرة الماء المعدني على الشفاء محدودة ٠٠ فثمة انواع من الحصى وهي الانواع الاوكسالية Oxallic ، تستعصي على المياه جميعا ولا سبيل الى التخلص منها الا بالجراحة ٠ ■■

يوسف زعبلاوي
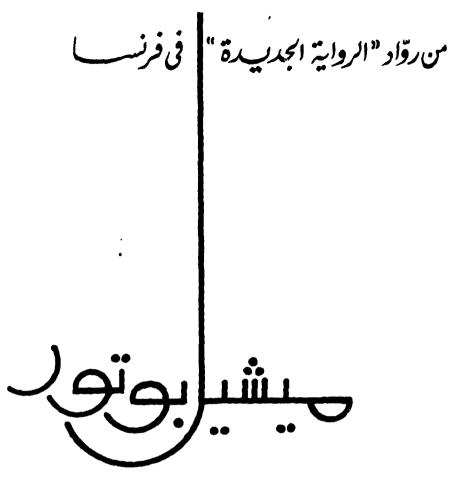
MICHEL BUTOR

بقلم: الدكتورة سامية أحمد أسعد

لسنوات طويلة، عاش القارىء العربى مع رواد الفكر والأدب الغربى فى القرن الماضى واوائل القرن الحالى، حتى حجبت اسماء الرواد جيلا جديدا ظهر بعدهم، لم يكتب عن هـؤلاء فى العالـم العربى، ولم تترجم اعمالهم ٠ وهذا واحد من ابـرز النجـوم الصاعـدة فى الادب الفرنـسى الحديث :

■ ولد ميشيل بوتور Michel Butor فى شمال فرنسا، فى ١٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٢٦ ٠وجاء به والده الى باريس وهو فى الثالثة ٠ وكان للاب ميول فنية واضحة ٠ ومن ثم، شب الابن على حب الفن وبحث القضايا الفنية ومع هذا، اخذ حظه من الثقافة التقليدية فى المدارس ٠ومما يذكر ان الاب كان مولعا بفن الحفر على الخشب٠ فعلم ابنه حب العمل المثابر الدقيق، الذى يفترض نوعا من الصراع مع المادة ذاتها ٠ ولقد مهدت هذه الفنون لبعض التغييرات التى ادخلها بوتور فى فن الرواية ٠ كما ان الابن كان مولعا بالعزف على الكمان منذ التاسعة ٠ ازاء كل هذا، هل

يمكن ان نقول ان بوتور كتب الرواية رغم انفه، بينما كان يود ان يكون رساما او موسيقارا ؟ الواقع انه ادرك ، وهو في الثامنة عشرة ، انه لا بد من اداء الامتحانات واختيار مهنة ما ٠فدرس الادب ، والفلسفة ، وتتلمذ على ايدي بعض كبار المفكرين انذاك امثال جاستون باشلار وجان وول٠ووجد عندهم ما كانت تصبو اليه نفسه عندما هجر فن الرسم ، وجد الحياة ، والفكر ، والتجربة ٠٠٠ وفي عام ١٩٥٠ ، عمل مدرسا للغة الفرنسية في مدينة المنيا ، في صعيد مصر ٠ وفي العام التالي، ذهب الى مانشستر ثم انتقل الى اليونان ، ومنها الى جنيف ٠ وكثيرا ما كان يطلب منه القاء بعض المحاضرات ٠ فكان يؤثر الحديث عن الرواية٠ ومن بعد ذلك ، كتب هو الرواية ، ووضع فيها كل ما تلقاه من علم وفن ، وكل متطلبات احلامه ، خاصة الدقة التي تتميز بها الرياضيات والموسيقى٠ ولكي نفهم بوتور الروائي ، يجب ان نقول شيئا عن الموضوعات التي كان يختارها عندما كان يطلب منه القاء بعض المحاضرات ٠ سواء تحدث عن جويس ، او كير كجارد ، او قصص الاطفال ،كان يحيا دائما عالما لا يتضح معناه مباشرة٠ فالقارىء لا يفهم جويس من اول قراءة لكتاباته ٠وكيركجارد حير النقاد والمفسرين ، اذ لا بد من البحث عن المعنى الحقيقي والعاطفي ، والرمزي ، والروحي، لمؤلفاته الاسطورية ٠

رؤية جديدة للواقع

يرى بوتور ان الرواية لوحة معقدة التركيب لا ينتهي المرء من فهم بنائها الغني ابدا ، وانها تطرح ذات القضايا التي يطرحها فن الرسم للرسام ٠ عندما يذكر الروائي واقعا معينا ، لا يستطيع ان يفعل ذلك دون شيء من المغالطة ٠ اذ يبقى دائما بعض الغموض ، هامش يفصل بين الحقيقة والرمز ٠ هذا الغموض هو ما كان يهمله الروائي التقليدي الذي يروي كل شيء بالتمام والكمال ، وكانه يفهمه فهما لا جدال فيه ٠ اما بوتور، فيهمل ما يمكن ان يقوله الروائي عن الواقع ، ليهتم بما لا يستطيع ذلك الروائي تثبيته في شكل مرئي ملموس ، اي بما يظل موضع بحث٠ والمقصود به هو مواجهة الانسان للواقع او مواجهته بالمعرفة عامة والعمل الفني خاصة، وهو لا ينظر الى الاشياء نظرة واضحة كاملة ، ولا يعمد الى التفسير، بل يولي كل اهتمامه لمحاولة التفسير، لعجزنا عن فهم الواقع ذاته ٠ وبوتور الذي ولد في عصر يئست فيه الرواية من نفسها ، لا يرى في الفن الروائي وصفا للواقع ، بل سلسلة من المعادلات الرمزية التي تحاول تعريف ذلك الواقع ٠ وبوتور الفيلسوف الفنان لا يتجه في الرواية ، الى مادتها او موضوعها ، بل الى رؤية الكاتب فيها ٠

والطريقة التي يبني بها بوتور رواياته لا تمليها النزعة الى الاصطناع ، بل تفرض نفسها على الكاتب فرضا ٠ لقد خاض الجيل الذي ينتمي اليه بوتور ، كما خاض بوتور نفسه ، تجربة واحدة ، جعلته يشعر بضرورة استبدال الرواية التقليدية السهلة البالية بشكل اخر اصعب واكثر تعقيدا ، شكل ينحو نحو الفنون المعاصرة الاخرى ، خاصة الفنون التشكيلية ، والموسيقى، والفكر الفلسفي، بل والعلمي ٠

وروايات بوتور اوضح واغنى مثال لتغيير الرؤية عند الروائيين الجدد ٠ وتتميز ثلاث منها، بالذات ، بموقعها بين الرواية التقليدية والرواية الجديدة ٠ فهي تحتفظ من حيث الشكل ، بالسرد والوصف ٠ ويستطيع القارىء أن يقراها كما يقرأ روايات فلوبير وبلزاك ، لانه يشعر ان الكاتب يعمد في آن واحد الى مزيد من الدقة والى الحركة البطيئة ٠ هذه الروايات الثلاث هي «ممر ميلانو » (١٩٥٤) ، و « البرنامج » (١٩٥٦)، و « التغيير » (١٩٥٧) ، وتظهر فيها نوايا تجدها، لكن بشكل اخر ، في مؤلفات الكاتب اللاحقة ٠٠٠

في هذه الروايات الثلاث ٠٠ موضوع حديثنا ــ يبدأ بوتور راويا لا يدخل القارىء في متاهات لا حصر لها ، وينتهي فنانا طليعيا ٠ وهو يعد واحدا من ادق الكتاب المحدثين الذين لا ينظرون الى الرواية على انها مجرد سرد يخضع للتقاليد السائدة ، بل يرون فيها شيئا اشبه بالقصيدة واداة للبحث ٠ ولا يعني هذا انه لا يهتم بتصوير واقع عصره الانساني ، والنفسي ، والاجتماعي ٠ فضلا عن انه واضح النوايا والاساليب ، ولا يحاول ان يبهر جمهور المتحذلقين بالابداع الزائف٠ وكما قلنا ، تمثل روايات بوتور نزعة عامة نشأت ثم تطورت تدريجا في القرن العشرين وتاكدت في السنوات الاخيرة ، الا وهي تلك التي تطلب من

الرواية ، لا أن تصف الواقــع كما كان يفعـل روائيو القرون الثلاثة السابقة ، وانما ان تعيد النظر فى طريقتنا المعتادة للنظر الى هذا الواقع. ومن ثم ، لا تحلله ، وانما تحلل تفسيرنا له •

عمارة « ممر ميلانو »

فى « ممر ميلانو » ، يصور بوتور حياة السكان فى احدى العمارات الباريسية ، فى فترة زمنيـة محددة من السادسة مساء الى آخر الليل • يصور لنا حياتهم ، والطريقة التى يلتقون بها احيانا ، وعندما يشرع المرء فى قراءة هذه الرواية ، لا يشعر بالغربة ، وانما يشعر انه يدخل ، شـيئا فشيئا ، فى عالم واقعى معقد ، وان بدا مالوفا• وتسير الرواية فى خطين ، التزم بهما الكاتب فى مؤلفاته اللاحقة : الاهتمـام بالواقع من ناحية ، وطريقة استكشافه ، وبنائه ، والايحـاء به ، من ناحية اخرى •

تعيش فى العمارة المطلة على ممر ميلانو جماعة من الناس يلتقون ، ويكادون يتلامسون ، لـكنهم لا يعرفون بعضهم بعضا • ويتعرف القارىء عليهم من خلال عمليات السرد المتوازية التى تكاد تحول الرواية الى « قطاعات جيولــوجية » من المجتمع الباريسى • ونحس ان الكاتب يهتم اهتماما خاصا بالقضايا التكنيكية التى تطرحها معالجة مثل هذا الموضوع • فى لقطات متتابعة ، نتعرف على الاسر التى تقطن العمارة : عائلة رالون المـكونة من ارملة وولديها ــ وهما من الرهبان ــ ، وعائلة مونيىالعديدة الافراد ، وعائلة فرتيجالبورجوازية• فيما عدا هؤلاء يسكن العمارة رجل غريب الاطوار، وعائلة من الرسامين ، لكل واحدة من هذه الخلايا الاسرية حياتها الخاصة واحداثها الخاصة المؤثرة فيها • تستقبل كل منها بعض الضيوف • ولكى يعطينا الكاتب احساسا حقا بالحياة الجماعية ، يبحث عن وسيلة للاتصال بين هذه الاسر او هذه الطوابق المختلفة فيتخيل ان آل فرتيج يحتفلــون بعيد ميلاد ابنتهم العشرين ، وانهم يدعون ، بهذه المناسبة ، آل مونيى وآل رالون • وهكـذا نشأ احساس بالحياة المعقدة المفعمة بالحركة ، كاننـا امام خلية نحل عامرة • يتمثـل فن بوتور عندئذ فى عملية المونتاج ، بحيث لا يبدو مشهدا أطول أو اقصر من اللازم ، وبحيث تتابع المشاهد دون ان

يفتر اهتمام القارىء او يفقـد عنصر والتشويق • وبالتالى ، يتحول انتباه القا مادة الرواية ليتركز على براعة الراوى البيريس : اذا بحثنا عن الشخصية الرئيـ هذه الرواية ، وجدنا انها الكاتب نفسه الرئيسى لكل الخيوط •

ويصور بوتور « الواقع الانسـانى » ه نفس المستوى الـذى كان يقف عنده بلزا رواياته ،اى انه يقدم لنا الشخصيات بكل م بها من تفاصيل وديكور : المظهر الخارجى، ا التاريخ الاسرى والاجتماعى ، البيئة ، الخ وفقا للتقاليد التى ارستها الرواية النف وكما كان يفعل بلزاك ، يجعل بوتور الشـ تواجه بعضها بعضا ، ويقدم لنا المعلومات ا بمسلكها والعلاقات بينها ، الخ •• كل شى فى رؤية المؤلف ، واقعى بحت : المادة ، الطر الاسلوب ، اللهم الا نقطة واحدة : بنـا الرؤية والهدف الـذى ترمى اليه • فالـ الواقعية او النفسية تستند الى الحكاية ، و الى تصوير مجتمع ما او نفسـية ما • او تطرحسؤالا يجعل شوق القارىء لا يخبـو لد واحدة ، حتى تاتى الاجابة عليه ، فى الغا ففى رواية بلـزاك « اوجينى جرنديه » ، يصور فيها الكاتبشخصية البخيل خليفة هربا يلح على القارىء سـؤال واحــد : هل ت اوجينى وتفلت من سيطرة ابيها ؟ لكننا لا شيئا كهذا فى « ممر ميلانو » عندما تقيم ا التى تقطن الطابق الرابع حفلة ، لا نتساءل اذا كان قريب الاسرة التى تقطن الطابق ا سيتمكن من الذهاب اليها ام لا • فاحداث الر لا تخضع للتكنيك الدرامى • حتى عندما ت الحفلة ، ويطرا حادث عنيف ــ جريمة قتل تم ضحيتها فتاة شابة ــ يطرا صدفة دون ان تمهد الاحداثالسابقةاو ترتبط به• لا تقوم هذه الرا اذن على القصة ، بل على وصف حفلة تقام عمارة من ستة طوابق • هنا يكمن عنصر الابا فى « ممر ميلانو » • واذ ينهج هذا النهج ،يد بوتور فى اثر روائيين مثل بروست وجول روم ويسعى الىتقديم صورةكاملة متكاملة لهذهالجما ومصيرها ، صورة تبين البشر وكانهم قطع تحر يد خفية علىلوحة الشطرنج ،وتخلف فينا احسا بانقانون الصدفةوحده هو الذىيحكم حياةالجماء

وكل شيء في « ممر ميلانو » يكاد يكون «تكونيا»، مثلما في لوحات عصر النهضة · تؤكـد هـذا الخواطر التي يتبادلها سكان الطابق الخامس ، وهم من الرسامين : « لا شك انكرايت ، في قاعات « اللوفر » المصرية ، هذه المقبرة الصغيرة المغطاة بالرسومات ··· انظر الى هذه الطيور التي تدير رءوسها هنا وهناك ، واجسام البحارة في المراكب المتتابعة ، وحاملات القرابين ··· ان فنان بني حسن ينقلنا من الراقصة الى المحارب ،بحركة واحدة مستمرة ·· لكن·· مزج اللحظات المتتابعة لمختلف المعارك ، جعل مجموعات الوجـوه تترابط ··· » وينتقل القارىء من طابق الى آخر ، ومن شخصية الى اخرى ، بحركة واحدة مستمرة · هنا ، تتضح العلاقة الوثيقة بين بناء الرواية وبناء اللوحة · وتدل كتابات بوتور عن الرسامين ـ مثل موندريان والكرافاج ـ على ان خياله قريب من خيالهم ·

فرنسي في لندن

وتسير رواية بوتـور الثانية « البرنامـج » (١٩٥٦) في نفس الاتجاه الذى سـارت فيهـا سابقتها · فهي خالية من الأحداث ، ظاهريا على الاقل · اذ انها وصف دقيق لما يدور في نفس جاك ريفيل ، موظف البنك الذى ذهب للتدرب لمدة عام في مدينة بليستون الانجليزية · الموضـوع اذن موضوع واقعي بحت ·تقوم بدور الراوى الشخصية الرئيسية ، جاك ريفيل · كل شيء في الرواية واضح وضوح النهار، لكن، شيئا فشيئا ،ودون أن يشعر المرء ، يتحول السرد والوصف من البساطة والواقعية الى لغز مبهم · ويفرض عليه ، شيئا فشيئـا ، احساس بـان الواقع هو اكثر الامـور غموضا بالنسبة للانسان ·

ما هو هذا الموضوع الواقعي ، بالضبط ؟ يصل فرنسي لا يعرف الا القليل من الانجليزية ، ليلا ، حاملا حقيبته ،الى مدينة انجليزية يسودها الصمت، والغموض ، مدينة غريبة هائلة · ويهيم على وجهه فيها ، ولا يجد فندقا ، فيعود ادراجه يائسا الى محطة القطار · وبعد ان يمضي الليل جالسا على احد المقاعد ، يواجه المدينة الغريبة التي سيمضي فيها عاما كاملا · وعندما يطلع النهار ، يذهب الى مقر عمله ، حيث يكدُّ تسعة من الموظفين المساكين ، طيلة ايام الاسبوع · وترسله الشركة الى فندق كئيب · هكذا تبدأ الرواية ، واقعية ، بطيئة ، بحياة يومية رتيبة ، خاليه من الاحداث ، يحياها البطل بين العمل وغرفته والمطعم ·ويصف بوتور كل شيء بمنتهى الدقة ، مما يجعل الواقع اكثر قسوة واثارة للقلق · وبطريقة ما ، يمكن ان نقول ان موضـوع الرواية يتمثل في الصراع بين الرجل والمدينة : « كنت احس ان في بليستون قوة معادية لي ··· » واذ يسـتولى على ريفيل شعور بالوحدة والملل ، يتملكه حب الاسـتطلاع في ساعات فراغه ، ويشعر بالرغبة في النفاذ الى قلب المدينة ، وفهمها ، والوقوف على اسرارها ، ان كان لها اسرار · وبالفعل ، تنفتح له ابواب هذه الاسرار ، ويتصدع العاجـز الزجاجي الذى كان يقف حائلا بينه وبين المدينة · وذلك عندما يتصادف ان يشترى رواية بوليسـيـة ، ويزور كاتدرائية المدينة · عنوان الرواية البوليسـيـة « جريمة بليستون » ، وهي تتحدث عن اخ قتـل اخاه في كاتدرائية بليستون ، تحت النافذة الملونة التي تصور قتل قابيل لهابيل ·· وتبدو الجريمة الخيالية وكانها تستعيد ذكرى الجريمة التاريخية· وتتحول المدينة فـي نظر ريفيل ، من الكآبة الـى الاثارة والغموض · ويسترشد البطل بالكتاب في جولاته · فيزور الاماكن التي عاش فيها كل من الضحية ، والقاتل ، والمخبر ، ويجلس على المائدة التي جلسوا حولها لتناول الطعام · هكذا تزدوج القصة ، قصة بوتور ، وقصة الرواية البوليسية ، ونشهد مجموعة من المصادفات التي تمتزج الى ان يغزو الخيال الواقع ، اى حياة ريفيل في بليستون· وتتحول المدينة ذات الجدران الكئيبة الـى غـاية مسحورة · ويتضح ان بوتور يخفي تحت الرواية الواقعية ، المتقنة ، الدقيقة ، رواية اسطورية · القصة اذن اشبه بمتاهة تطارد فيها الشخصيات بعضها بعضا · والمتاهة هنا تشمل كلا من الزمان والمكان · لان بوتور في هـذا السرد الدائرى ، لا يستعمل التكنيك المعتاد ، أى التسلسل الزمني للاحداث التي يعيشها ريفيل في بليستون ، على مدى عام كامل · بل لجا الى المذكـرات اليومية المكتوبة بلغة المتكلم · الا ان هذه المذكرات لا تبدأ الا بعد انقضاء الاحداث بعدة شهور، اى ان ريفيل ينقل الماضي ويعود اليه انطلاقا من الحاضر ·هكذا نعيش مع البطل في زمنـين متداخلين ، الحاضر يلقي الضوء على الماضي · والماضي يلقي الضوء

على الحاضر •وتستخدم « البرنامج » بناء الرواية البوليسية ،الذى يظهر بعدا جديدا داخل الرواية• فالمذنب ، فى الرواية البوليسية يكتشف حتما ويقتل • والسرد فيها لا يعكس سلسلة من الاحداث انعكاسا مستويا ، بل يعيد بناء الرواية ، بزمانها ومكانها • وهذا ما يعمد اليه بوتور فى روايته• فهو يرفض الحاضر ، الزمن التقليدى للرواية البوليسية ، ولا ينظر اليه الا من خلال الماضى ، وبالعكس • وهذا اقرب الى الواقع ، لان كل لحظة من الوعى مزيج من الماضى والحاضر • الرواية البوليسية تحمل على التقاء لحظتين من الزمان ، الجريمة وعقابها ، ونقل الاحساس بالارتباط الحتمى بينهما الى القارىء • ولا ننسى ان قصة الجريمة لا تظهر الا من خلال حياته الحالية فيها•

« التغيير » ب ١٦ لغة

اما « التغيير » التى نال عنها الكاتب جائزة رينودوه عام ١٩٥٧ ، فترجمت الى ست عشرة لغة اجنبية • قلنا ان بوتور يرى فى الرواية محاولة لتفسير الواقع المعقد •وهو واقع خارجى ،جماعى، موضوعى ، يصعب النفاذ اليه • ويتمثل كما رأينا، فى عمارة او مدينة ، او فصل مدرسى •مرة واحدة فقط ، حاول بوتور ان يطبق منهجه هذا على مجال آخر من مجالات استكشاف الرواية ، ما يمكن ان نسميه « واقع داخلى » فالتغيير ، ظاهريا ، مونولوج يتامل فيه البطل ماضيه ، وحاضره ، ومشروعاته المستقبلة، خلال الاربع والعشرين ساعة التى يقضيها فى القطار المسافر من باريس الى روما • تقوم هذه الرواية ،كسالفتيها •على وحدة المكان • والمكان هنا مكان مغلق ، احدى عربات السكك الحديدية ، لكنه مجرد اطار لحلم المسافر• والرحلة ، فى حد ذاتها ، شاشة تعكس المستويات المختلفة لحياة البطل • حتى ان احد النقاد قال ان تاملات ليون دلون ـ البطل ـ شكل من اشكال تصريف الافعال • وليون دلون رجل فى الاربعين يدير فى باريس مكتبا للآلات الكاتبة الايطالية • وهو متزوج من امراة بورجوازية رزق منها بثلاثة اطفال•وفى روما ، حيث الفرع الرئيسى للشركة، يتعرف على سيسيل ، التى تعمل سكرتيرة للملحق العسكرى الفرنسى، والتى تحن دائما الى باريس• وعندما تبدأ الرواية ،نرى ليون فى عربة من عربات الدرجة الثالثة ، لانه سافر هذه المرة على حسابه الخاص ، لكى يقنع سيسيل باللحاق به فى باريس ، بعد تطليقه لزوجته • وكما نراه اسير عربة القطار ، نصبح ، نحن القراء ، اسرى افكاره ووعيه ، خاصة أن الراوى يتحدث بلغة المخاطب• هذه الرحلة بالنسبة له ، زمان ضائع ، بين اللحظة التى قرر فيها ، وهو فى باريس ، هجر زوجته من اجل عشيقته، واللحظة التى يصل فيها الى روما• فى هذه الفترة ، يتم التحول او « التغيير » • ها هو ذا يرى وصوله الى روما • لكن هذا الغد المستقبل يوقظ ذكرى آخر لقاء بينه وبين سيسيل فى روما ، منذ اسبوع ، قبل اتخاذه القرار •وتفد صور اخرى : نزهتهما فى روما ، وفى باريس • وتوقظ صورة الزوجة ذكرى الرحلة التى قام بها معها ، فيما مضى ، فى روما ••• بينما ظن انه نسيها ! هكذا تلتقى روما التى زارها دلون مع سيسيل مع روما التى اكتشفها مع زوجته ، قبل ان يتسلل الملل الى حياتهما • وتختلط صور روما بصور باريس ، ويختلط البشر ، وتختلط الاماكن، حتى ان دلون يقول : « لا ينبغى التفكير فى هذه الرحلة الماضية مع سيسيل فى باريس ، لا ينبغى التفكير الا فى الغد وفى روما ••• » ويواصل دلون رحلته الرتيبة ، حتى تتداخل ذكريات ترجع الى فترات مختلفة من حياته •حول هذه الذكريات ، تتركز احداث هذه القصة العادية: الزوج ، والزوجة ، والعشيقة • وبالرغم من الانعكاسات المتعددة ،والازمنة المختلطة اوالمتجاورة، لا يضل القارىء السبيل ابدا • وفى هذه الصور، وهذه الذكريات ، تكمن « احداث الرواية » ، اذا جاز التعبير • فالراوى لا يفكر ، ولا يقارن بين زوجته وعشيقته ، بل يجعل احداث حياته الماضية تتفاعل ،وتختلط ،وشيئا فشيئا ، يتضح «الحل»• لقد تغير القرار الذى كان قد اتخذه فى باريس : « التخلى عن مشروعك بشكله الاصلى الذى كان يبدو لك واضحا متينا ، التخلى عن هذا الوجه المضىء لمستقبلك ••• حياة يملؤها الحب والسعادة فى باريس مع سيسيل » • ويدرك دلون انه لن يرى سيسيل غدا ، بل سيعود ادراجه الى باريس، والى زوجته • لكنه يشعر انه « ضاع فى غابة •• ولا يعرف الى اين يسير ، ولا يعثر على الطريق الذى قاده اليها » • وجدير بالذكر ان هذه التاملات ، محور الرواية ، لا تبنى رواية نفسية،

لان دلون لا يفكر ابدا فى الدافع الى افعاله او افعال الآخرين • ويتم التعبير عن كل شيء بالصور ـ ذكريات كانت ام مشروعات مستقبلة ـ والرؤى• لان دلون يحس بالمكان اكثر مما يحس الانسان • لقد احب روما التى زارها مع سيسيل ، وكانتاله نقطة الانطلاق الى الحلم والخيال • واذا انتقلت سيسيل الى باريس ، فقدت روما وفقدت سيسيل سحرها • والصراع ، فى الواقع ، صراع بين مدينتين ، روما وباريس ، أكثر منه صراع بين الاهواء والعواطف • ويبدو وجه كل من سيسيل والزوجة شاحبا الى جوار المدينتين اللتين ترمزان اليهما ، وتولدان سحر الذكرى والخيال •

فى الجيل الذى ظهرت فيه « الرواية الجديدة » باتجاهاتها المختلفة ، كان بوتور الفنان الذى عبر عن الرواية الروائية والجمالية للعالم ، التى تكونت لدى الانسان فى الفترة التالية لكل من اينشتين ، وبيكاسو ، وموندريان ، وجويس ، وباشلار ، الخ •••• كان الروائى الذى اهتم ببناء الرواية ، اولا وقبل كل شيء ، تماما كما كانت مسرحية بيرندللو « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » دراسة لطريقة تركيب المسرحية ، وكما كان فيلم فيلليني « ٨½ » قصة فيلمتجرى محاولة اخراجه تحت انظار المتفرج • لم يحاول بوتور معرفة الواقع ، بل عمد الى دراسة تلك المعرفة دراسة نقدية • ولم يخلق مادة روايته ، بل درس وجرب كل الاشكال التى يمكن ان تتخذها الرواية• اى انه فعل ما يفعله الفيلسوف عندما يحدثنا عن نظرية المعرفة بدلا منان يصف لنا العالم : «يوجد فى رواياتى تفكير فى الرواية ••• واعتبر الرواية اداة الوعى •• وكبار الكتاب المحدثين ينقدون انفسهم جيدا » • ورأى ان« الرواية هى المكان الفصل لدراسة الطريقة التى يبدو بها او يمكن ان يبدو بها الواقع ، لذا ، كانت مختبرا للسرد •••• » ■■

د • سامية احمد اسعد

الجامعة المستنصرية ـ بغداد

■ اذا أراد الله بامة خيرا جعل يقظتها على ايدى اعدائها •

(البشير الابراهيمى ، الجزائرى)

■ لكل حديث عندهن بشاشة وكل قتيل عندهن شهيد

(جميل بثينة)

■ الهوى يجعل أعقل الناس حمقى ، ويمنح الحكمة لاشدهم حماقة •

(لارشفوكو)

■ ومن ظن ممن يلاقى الحروب بان لا يصاب ـ فقد ظن عجزا

(الخنساء)

■ طالما لقيت ناسا يتنافسون فى المزاح والسخرية ، ولم ار منهم من ينافس غيره فى السبق الى الفضيلة •

(ديوجين ، الفيلسوف)

■ أيها المادح العباد ليعطى ان لله ما بأيدى العباد

(عمران بن حطان ، الخارجى)

السرطان

عدو البشرية رقم "١"

بقلم : الدكتور ابراهيم فهيم

**هذا الغـــول الذى وقف الطب عاجزا عن قهره !
هل يأتى اليوم الذى يتم فيه القضاء عليه بعد أن
قضى على المــلايين من البشر ٠**

■ ليس السرطان مرضا جديدا ، فهو معروف منذ القدم ، ولم تزد نسبة الاصابة به كثيرا عن ذى قبل ، ولكن وســائل التشـخيص الحديثة ، كالاشعة ومنظار المعدة ، ومنظار المثانة ، ومنظار الشعب الرئوية ، والتحليل الباثولوجى والتقدم الجراحى قد اظهر ان المرض شائع ، وتبلغ نسبة ضحاياه ١٠٪ من مجمـــوع وفيات الـــذين تزيد اعمارهم عن ٣٥ عاما ٠

وليس هناك سن معينة للاصابة بالسرطان ، ولكن توجد انواع تفضل اعمارا خاصة ٠ وبوجه عام ، تنتقى السركوما Sarcoma ضحاياها من بين الشباب ، وتنشب الكارسينوما Carcinoma اظفارها فى اجسام الكهول ٠

وتكثر اصابة الاناث بسرطان الثـدى والرحم والمبيض فى حين يصـاب الذكـور بنسبـة اكبر بسرطان القناة الهضمية ٠

وقد بحثت الدكتورة سـلاى Sley ، اثر الوراثة فى هذا المرض، واختارت الجرذان لاجراء تجاربها نظرا لصغر حجمها ، وسـهولة تشريحها وقصر اعمارها ، مما يمكن الباحث من مشاهدة سلالات عديدة منها ، وظهران من بين ٣٠٠٠٠ر٣٠ اصابة تجريبية فى الجرذان ، توجد ٤٠٠٠ اصابة فى الجيل الاول من نسلها ، وبمتابعة البحـوث لاجيال عديدة منها ، على ضـوء نظرية مندل ، ثبت بطريقة قاطعة انه ليس للوراثة اثر يذكر فى السرطان ٠٠٠ وكل ما هنالك انه توجد حالات مرضية وراثية يمكن تحولها الى سرطان ٠٠مثال ذلك تكون سرطان القولون على زوائده الوراثية٠

طفيل ناقل للمرض

وتدرجت البحوث عام ١٩١٧ ، وكان من نتائجها ثبوت امكان تطعيم حيوان بخلايا سرطانية مستاصلة من حيوان آخر ، مما يبعث على الظن بوجـــود ميكروب او طفيل ناقل للمرض ٠

ولقد وجد فيبجر Febiger مصادفة طفيـلا خيطى الشكل مصحوبا بسرطان المعدة فى الجرذان التى قام بتشريحها ٠٠ فتتبـــع هذا الطفيل ، واكتشـــف الحشرات التى يعيش فيـها وينتقل بوساطتها ، ولكن البحوث الاخيرة التى تتلخص فى اطعام الجرذان على الحشرات المحتـوية على

الطفيل المذكور لم تؤيد فيبجر فيما ذهب اليه ٠

اما الجهود المتواصلة التى بذلت فى الكشف عن ميكروب او فيروس فقد باءت بالفشل ، اذ ثبت ان الميكروبات العديدة التى يكتشفها الباحثون بين آونة واخرى ليست خاصة بالسرطان ولكنها دخيلة عليه ٠

وهناك نظرية اساسها ان نقص الفيتامينات فى آخر مراحله يهيج الاغشية المخاطية ، ويعتقد البعض ان سرطان المعدة قد ينشأ لهذا السبب ٠

ولوحظ منذ عهد غير بعيد ، ان حقن هرمونات المبيض تخفف آلام سرطان البروستاتا الى حد امكان الاستغناء عن حقن المورفين التى يحتاجها المريض لتسكين حدة الالم ، كما ان حقن هرمونات الخصية عندما تعطى لانثى فانها تزيل العوامل المهيئة لسرطان الثدى ، مما يدعو الى الاعتقاد بوجود علاقة ما بين منشأ السرطان واضطراب الهرمونات٠

بيولوجيــة الخلية

وقد عكف بعض العلماء على دراسة بيولوجية الخلية ، وكيفية نموها وتكاثرها ، فوجد ان هناك فارقا رئيسيا بين الخلية العادية والخلية السرطانية، فالاولى تنمو فى الوسط الهوائى Aerobic والاخرى تنمـو فـى الـوسط اللاهوائـى ولكـن تقـدم الابحاث فى هذا الفرع اثبت أن الخلية فـى حالة الانقسام السريع تستطيع ان تستعمل الطريقة اللاهوائية ، وظهر كذلك ان خلايا شبكية العين العادية تنمو بالطريقة اللاهوائية ايضا ٠

ووضع كوبنهايم Copenheim نظريـة تكون السرطان على بقايا خلايا جنينية ، ولكن ذلـك لايفسر طريقة نمو وانتشار مختلف انواع السرطان٠

ومتـى تعددت الاراء وكثرت النظـريات حول تاويل مرض معين ، فمعنى ذلك ان السبب الحقيقى لايزال مجهولا ٠

غير أن هناك عدة مشاهـدات تسترعى النظـر وتبعث على التفكير ٠٠ ففى منطقة كشمير يضع الاهالى وعاء فخاريا مملوء بالفحم المتقـد بـين الفخـذين للتدفئة ٠ وفى هذا الموضـع بالـذات يتعرضون دائما للاصابة بالسرطان ٠

وفى انجلترا يصاب عمال تنظيف المداخن باورام خبيثة فى مواضع ثابتة ٠ ويتعرض الذين يستعملون الغليون الفخارى فى التدخين لسرطان الشفـة ، ويلاحظ كثيرا ان الحصوات سواء كانت فى المرارة اوالكلى او المثانة تهيىء الطريق لتكوين السرطان فى هذه الاعضاء ٠

كما يصاب عمال مصانع صبغة ازرق الميثيلين Methylene blue بسرطان المثانة ، ويسبب كذلك التعرض غير المنتظم لاشعة اكس كثيرا من الاصابات السرطانية ٠ وينشأ سرطان اللسان عن اسنان تالفة او طقم معدنى غير ملائم ٠

ويتضح من كل ذلك ان التهيج المستمر للجلد او الاغشية قد يسبب سرطانا ، سواء كان العامل فى ذلك ميكانيكيا اوكيميائيا اوحراريا ٠

وقد تمكن العالمان اليابانيان « ياماجيوا » و « اشيكاوا » Yamajewa & Echikawa من تكوين اورام سرطانية فى الحيوانات باستعمال مركبات كيميائية اهمها الانثراسين والبنزابيرين Anthracene & Benzapyrine ٠

نشأة السرطان

وينشأ السرطان فى الاصل موضعيا ، ثم يتشعب بعدئذ ٠٠ ومن هـذا كانـت ضرورة التشخيص المبكر ٠ ليكون هناك محل للعلاج الجراحى ٠

ويتوقف اختيار الجراحة او الراديوم اوكليهما معا فى الحالات القابلة للعلاج على نوع السرطان ومدى انتشاره ٠

وقد اتبعت الدول الراقية نظام الفحص الجماعى كل ثلاثـة شهـور ، لاستئصال العوامل المهيئـة للسرطان فى الوقت المناسب ٠

وقد امكن بواسطة الفحص بالاشعة لمجموعات كبيرة من العمال معرفة سرطانات مبكرة فى الرئة واورام آمنة ، لو طال اهمالها لتحولت حتما الى اورام خبيثة ٠

وكثيرا ماتكون شكوى المريض فى المراحل المبكرة تافهة لا تتناسب والسبب الخطير لها ، كأن يشكو مريض سرطان المعدة بمجرد عسر هضم او انيميا او ان تكون الشكوى كحـة عاديـة ٠٠ والسبب سرطان فى الشعيبات الرئوية ٠

وقد يلحـظ المريض وجـود بواسـير ويسمى

لعلاجها ويتبين من الفحص ان البواسير ثانوية لسبب اولي خطير هو سرطان المستقيم ٠

وتضيف البلهارسيا المتوطنة في مصر وغيرها من البلدان في الشرق العربي عاملا مهينا هاما لتكون سرطان المثانة ٠

والى جانب مسكنات الالم والمقويات العامة ، يتوافر الان عدد من العقاقير ان لم تكن تمنح شفاء للسرطان ، فانها تهيىء تحسنا مؤقتا للاورام التي يتعذر استئصالها جراحيا ، وتستعصي على العلاج بالتعرض للاشعة ٠

ويعتمد البحث في هذا المجال ، على وجودفروق بين الخلايا العادية والخلايا السرطانية ، وبالاستفادةمن هذه الفروق ينبثق الامل في اكتشاف عقار يقتل الخلايا السرطانية ، ولايؤثر على خلايا الجسم العادية ٠

لا مقاومة للسرطان !

ويجب الا يغرب عن البال ، انالصعوبة الكبرى هي عدم وجود اية قوى دفاعية طبيعية فيالجسم ضد السرطان ، ففي حالات مبيدات الميكروب ومركبات السلفا ، يكفي ان يقضي العقار على ٦٠٪ من الميكروبات مثلا ، وتتكفل قوى الجسم الدفاعية الطبيعية بالباقي ، اما في ادويةالسرطان فانه لو قضى العقار على ٩ر٩٩٪ من الخلايا السرطانية ، فان اية خلية سرطانية تتخلفتكفي لعودة المرض من جديد ٠

ولا يمكننا اعطاء جرعات كبيرة بقصد ضمان القضاء على جميع الخلايا السرطانية ، فان ميكانيكية مفعول هذه العقاقير ان اعظم اثرها يقع على الخلايا وهي في ذروة انقسامها ٠ وهي تفيد من السرعة الفائقة التي تنقسم بها الخلايا السرطانية ، فتفتك بها وحدها ، ولكننا لو زدنا جرعة العقار ـ ضمانا لعدم تخلف خلايا سرطانية تتاثر وتضمحل خلايا النخاع العظمي التي هي مصنع كريات الدم الحمراء لانها اسرع خلايا الجسم انقساما ، لو زدنا اكثر تتاثر وتذوى خلايا الجسم العادية ٠

أمل جديد في الشفاء

ولئن عجز العلم للان في الكشف عن علاج حاسم للسرطان او التعرف على كنهه فالامل وطيد في ان الابحاث القائمة على قدم وساق في مختلف ارجاء العالم سيعقد الظفر لها يوما ، نرجو ان يكون قريبا وخاصة بعد اكتشاف عقاقير لها اثار فعالة في بعض انواع السرطان ، وان تكن معرضة للانتكاسات اذ ان القوى الدفاعية في الجسم لاتساعد هذه العقاقيرمطلقاـكما سبق ان اوضحناـ اذ تقف عاجزة امام المرض ، وعليه تعتبر هذه الادويةفتحا جديدا فيعالم الطبواهمها الكورتيزون والنيترومين Nitromin والتيم Tem والميليران Myleran اما دواء ميثو تريكسات Methotrexate فهو يشفي نهائيا الكوريو كارسينوما Chorio-Carcinoma لانه السرطان الوحيد الذى ينشا عن خلايا تتبقى من الجنين ، ولذا فهو دخيل على الجسم ، وهذا يفسر استجابته للدواء لدرجة تمام الشفاء ٠

وتلافي العوامل المهيئة للسرطان ، هو السلاح الوحيد الذى امكن العلم ان يزودنا به حتى اليوم لمحاربة هذا الداء الوبيل ٠ ويضاف الى ذلك تقدم الوعى الصحي ، والعمل على استقراء اسباب اى عارض غير طبيعي مهما كان تافها ، والسعي الى العلاج المبكر حثيثا ٠ ■■

القاهرة ـ ابراهيم فهيم

■ ولقد رأيت الشر بين القوم تبدؤه صغاره
فلو انهم يأسونه لتنهنهت عنهم كباره
(مسكين الدارمي)

■ ما أشد فطام الكبير ٠
(مالك بن دينار الاسدى)
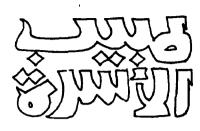
نقل الاعضاء من شخص لاخر

● **نقرأ عن عمليات نقل الاعضاء من شخص لآخر فما أهمية هذه العمليات وهل تجرى حاليا فى العالم العربى ؟**

ـ عمليات نقل الاعضاء تستعمل لنقل عضو سليم الى شخص مريض بسبب مرض هذا العضو عنده . مثال ذلك نقل الكلية من شخص سليم الى مريض مصاب بهبوط فى الكليتين ، وكذا نقل القلب الى مريض مصاب بهبوط فى القلب نتيجة لتصلب شرايين القلب وتعدد الجلطات فيه .

وفى الحقيقة أن أول عمليات نقل الاعضاء أجريت على قرنية العين وهى الجزء الشفاف من العين الذى يمر من خلاله الضوء . ففى بعض الحالات المرضية تفقد القرنية شفافيتها فيفقد الشخص البصر وفى هذه الحالة يمكن نقل جزء من قرنية سليمة بدلا من الجزء المعتم . وتؤخذ القرنية السليمة من عين توفى صاحبها حديثا ، وفى الخارج يتبرع الكثيرون بقرنيات عيونهم قبل الوفاة وتحفظ هذه القرنيات فى بنك العيون لنقلها للمحتاجين وعمليات نقل القرنية تجرى كثيرا فى العالم العربى .

ومن أكثر عمليات نقل الاعضاء انتشارا عملية نقل الكلية فتؤخذ كلية سليمة من شخص (يوجد للشخص العادى كليتان ويمكن أن يعيش الشخص حياة طبيعية بنصف كلية) الى شخص مصاب بتلف فى الكليتين . والمشكلة فى مثل هذه العمليات أن جسم الشخص المتلقى للكلية يعاملها كجسم غريب اذ أن تأثير نظام المناعة بالجسم قد يؤدى الى تلف أنسجة الكلية المنقولة ، لذا فانه يشترط لنجاح مثل هذه العمليات تشابه أنسجة الشخصين من الناحية المناعية . وهذا التشابه يكون موجودا فى التوائم ويكون موجودا بدرجة أقل فى الاقارب . لذا يجب قبل عمليات النقل هذه عمل بحوث على أنسجة عدد من الاقارب الراغبين فى التبرع والمريض لاختيار أقربهم تشابها لانسجة المريض . وفى نفس الوقت يعطى المريض الذى يتلقى الكلية علاجا لمدة طويلة بأدوية تضعف نظام المناعة بالجسم لكى لا يرفض جسم المريض الكلية مما يؤدى الى تلفها . وطبعا هذه الادوية المضعفة للمناعة لها تاثير سيىء على جسم المريض حيث أنها تقلل من مناعته ضد الامراض . وعمليات نقل الكلى أجريت فى بعض البلاد العربية . والمهم فى هذه العمليات هو المعامل التى تجرى فيها المقارنة بين أنسجة المتبرع والمتلقى .

وقد أجريت بعض العمليات لنقل القلب (يؤخذ القلب من شخص توفى حديثا فى حادث ويكون سليم القلب) فى جنوب أفريقيا بواسطة الدكتور برنار ولكن الغالبية العظمى من هذه الحالات لم يكتب لها النجاح وتوفى المريض بعد مدة قد تصل الى عام .

تضخم الغدة الدرقية

● انا سيدة في الثلاثين من العمر ، احسست بورم في منتصف الجزء الاسفل من رقبتي ، مع ضعف في شهيتي للطعام، وعندما راجعت الطبيب اخبرني باني مصابة بتضخم الغدة الدرقية التسممي .. فهل لي ان اعرف شيئا عن هذا المرض ؟

– الغدة الدرقية Thyroid gland هي غدة كبيرة من الغدد الصماء (أي أنها تفرز هرموناتها مباشرة في الدم) توجد في منتصف الجزء الامامي الاسفل من العنق .

وتضخم الغدة الدرقية التسممي أو مرض جريفز Thyrotoxicosis Graves' dis هو حالة ازدياد في نشاط هذه الغدة فتفرز كميات كبيرة من هرمون الغدة الدرقية .. وأسباب حالة ازدياد النشاط هذه غير معروفة على وجه الدقة حتى الان .. ونتيجة لذلك تتضخم محدثة ورما ملحوظا في منتصف الجزء الامامي الاسفل من العنق . ويحدث للمريض عدة أعراض منها جحوظ في العينين ، وهذا الجحوظ قد يكون شديدا .. كما يفقد المريض شهيته للطعام ويشعر بازدياد في دقات القلب ، وعصبية شديدة .. كذلك يلاحظ على المريض نقص في وزنه وعدم احتماله للجو الحار .
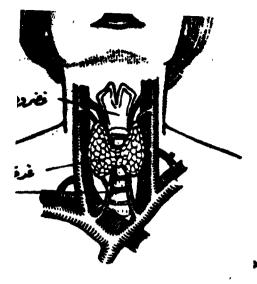
وتجرى للمريض بعض البحوث لمعرفة درجة نشاط الغدة الدرقية .. وفي الحالات البسيطة فانه يمكن العلاج بواسطة الادوية التي تحد من نشاط هذه الغدة .. وفي حالات أخرى يعالج المريض باعطائه مادة اليود المشع الذي يتجمع في الغدة الدرقية مما يحد من نشاطها .

أما في الحالات التي لا تستجيب للعلاج الطبي ، فتجرى عملية جراحية لازالة الجزء الاكبر من هذه الغدة المتضخمة مع ترك جزء صغير منها لكي يؤدي الوظائف الطبيعية لهذه الغدة ، ولا يخفى أن الغدة الدرقية هي الغدة المهيمنة على كل التفاعلات الحيوية في الجسم ، واذا ما أزيلت كلها ، فان هذا يؤدي الى هبوط شديد في التفاعلات الحيوية مما قد يؤثر على الحياة ذاتها .

طنين الاذن

● أعاني من طنين في الاذن ...ما سببه ؟

– طنين الاذن هو سماع أصوات في احدى الاذنين أو في الاذنين معا – وفي بعض الاحيان يكون هذا الطنين مستمرا وفي أحيان أخرى يكون متقطعا ويحدث من آن الى آخر ويكون مقلقا أثناء الليل، وربما أثر على السمع بدرجة كبيرة مما يسبب اضطرابا نفسيا وكآبة شديدة في بعض الحالات .

ولطنين الاذن أسباب عديدة ، فربما كان ذلك راجعا لوجود شمع في صماخ الاذن الخارجية ، او التهاب في قناة استاكيوس– أو التهاب في الاذن الوسطى .

وفي كبار السن يكون السبب راجعا الى قلة الدم الذي يغذي الاذن الداخلية كما يحدث في حالات فقر الدم الشديد ،

أو تصلب الشرايين أو ارتفاع ضغط الدم ـ وكذلك اذا حدث تكلس داخل أجزاء الاذن الداخلية • على أن هناك من الادوية ما يسبب طنينا فى الاذن مثل الاسبرين اذا أخذ بكميات كبيرة ومادة الكينين ومشتقاتها •

وهناك أسباب أخرى نادرة تصيب الجهاز العصبى بما فى ذلك العصب الثامن الذى يحمل حس السمع الى المخ • وأى اضطراب فى هذا الطريق يكون مصحوبا بنوع من الطنين يختلف من وقت الى آخر ، بل وفي بعض الاحيان يسبب هلوسة في السمع ـ أي يسمع المصاب أصواتا لا وجود لها • من ذلك يتضح أنه من الضرورى فحص المريض المصاب بطنين الاذن فحصا دقيقا ليعرف السبب ويعالجه •

الماء الابيض فى العين

● قال لى الطبيب ان عيني مصابة بالماء الابيض رغم أن الحالة مضى عليها ما يقرب من ثلاث سنوات ونصف ، انني لا أشكو من الم فيها وكل الذى أشكوه هو ضعف فى الابصار فقط ٠٠ فما سبب هذه الحالة ٠٠ وهل من علاج لها ؟

ـ فى منطقة البؤبؤ داخل العين توجد « عدسة العين » وقد تحدث بها « كاتركتا أو ما يسمى بالماء الابيض ، السداد » وقد يكون سبب ذلك :

١ ـ خلقيا ، اذ يولد الطفل بها وهذا بسبب مرض الام فى أثناء الاشهر الاولى من الحمل وخاصة مرضها بالحصبة الالمانية •

٢ ـ ونوع قد يتسبب كمضاعفات بعد اصابة العين ببعض الامراض • كقرحة فى قرنية العين وخاصة التى تسبب فتحة بها أو التهاب القزحية أو ارتفاع ضغط العين « الجلوكوما » أو بعد ضربة على العين أو بعد نزيف داخل العين أو باحدى مضاعفات بعض أمراض الجسم مثل مرض البول السكرى أو بعض أمراض الغدد •

٣ ـ نوع يصيب بعض الناس عند الكبر •

أعراضه :

لا يشكو المريض فى العادة من أى ألم ، بل يشعر بنقص تدريجى فى الابصار قد يصل الى حد لا يعدو أن يرى المريض خيال الشيء أمام عينيه • وقد يشكو المريض او أهله من وجود نقطة بيضاء فى منطقة البؤبؤ قد تكون كبيرة بحيث تملؤه كله ولا يرى من البؤبؤ غيرها ، وفى هذه الحالة تكون الرؤية ضعيفة جدا •

تشخيصه :

يتم بمعرفة الطبيب اخصائى العيون حيث يستطيع معرفة نوع العتمة وهل هى فى كل العدسة او أنها فى جزء منها وهل هى من النوع الثابت الذى لا يزيد مع الوقت ولا تؤثر على النظر الا بدرجة بسيطة •

علاجه :

١ ـ اذا كان هذا الماء لا يؤثر على النظر بدرجة كبيرة بحيث لا يعوق صاحبه عن مزاولة أعماله فيمكن ترك المريض على حاله ومساعدته بنظارة طبية اذا كانت تحسن النظر •

٢ ـ اذا كانت هذه العتمة كبيرة تؤثر على النظر بحيث تعوقه عن القيام باعماله فيمكن استخراجها بعملية جراحية بسيطة • وبعدها يستعمل المريض نظارتين احداهما للمسافات البعيدة والاخرى للقراءة • أما بالنسبة لحالة صاحب هذا السؤال فلم يوضح لنا ان كانت هذه النقطة نتجت بعد مرض بالعين أو ضربة عليها كما لم يذكر لنا عمره وهل تزيد مع الوقت أم لا • وهى ليست من النوع الخلقى حيث ان السائل يقول انها لم تنشأ الا منذ ثلاث سنوات ونصف معه ، فاذا كانت حالته من النوع الذى لا يزيد مع الوقت والرؤية بها متوسطة كما ذكر فيستحسن تركها بدون عملية • واذا ما زادت هذه العتمة واصبحت الرؤية ضعيفة جدا فيمكن استخراجها بعملية جراحية، ولكن لا يستطيع لبس نظارة طبية عادية بعد العملية لان العين الاخرى سليمة ولكنه يستطيع لبس عدسة لاصقة أو وضع عدسة مصنوعة من مادة خاصة داخل العين مكان العدسة المعتمة بعد استخراجها • ■

موقع الشطرنج في التراث الشعري العربي

بقلم : زهير أحمد القيسي

■ حفل تاريخ العرب بالمآثر الحضارية المنوعة من علم وادب وفن ، ومن فلسفة ورياضيات ، فصار ما حققوه في هذه المجالات جزءا اساسيا في بناء الحضارة الانسانية • ومن مآثرهم التي قل ما استثارت اهتمام العرب انفسهم ـ وان احتلت لدى علماء العالم ومؤرخيه موقعا متميزا ـ اسهامهم الفريد في الشطرنج الذي صار يقال له بحق انه هدية العرب الى العالم !

وللشطرنج اصل وتاريخ وتراث ، وما قيل عنه في اغلبه ماخوذ من كتابات العرب ، اذ ان اعظم مؤرخين للشطرنج في العالم وهما موراي البريطاني والفرباخ السوفياتي قد اعتمدا على كتب المؤلفين العرب حينما ارادا ان يحددا للشطرنج تاريخا ولاصوله جذورا ، ومن ذلك ما كتبه المسعودي في « مروج الذهب » « ومعادن الجوهر » مشيرا الى ان الدنيا لا تنال الا بالجد والعمل، قال : « ان ملوكا حكماء من ملوك الهند اخترعوا الصناعات ووضعوا اصول العلوم ، وكان اولهم البرهمن وثانيهم البهبود ،وفي ايامه اخترع النرد وثالثهم دبشليم ورابعهم بلهيت ، وله الف صصة بن داهر كتاب (طرق جنكا) وفيه جعل «الشاطورنجا» على صورة الآدميين وغيرهم من الحيوان وجعلهم درجات ومراتب على صور البروج » وحينما اعقبه شيرام الملك اراد مكافاة الحكيم صصة ، فطلب صصة طلبا « متواضعا » وهو ان توضع له حبة قمح على المربع الاول من الرقعة ثم تضاعف ! واستهان الملك بالطلب ، وعند التنفيذ تبين ان صصة قد طلب ما مقداره ١٨٤٤٦٧٤٤٠٧٣٧٠٩٥٥١٦١٥ حبة ، اي ما يعادل محصول الكرة الارضية من القمح لو زرعت جميعها بعد تجفيف بحارها وتسوية جبالها لمدة ٦٠٠٠ عام !

وهكذا فان منشا « الشاطور نجا » كان في

الهند ، وهكذا سميت باللغة السنسكريتية فى حدود المائة الميلادية الخامسة ومنها انتقل الى فارس ايام الملك اودشير ، وربما كان اصل اسم شاطور نجا هو (جاتورانكا) اى لعبة الحرب ، قال الزمخشرى : ان ملوك الهند كانوا حكماء لا يرون القتال وسفك الدماء فوضعوا الشطرنج ، وكانوا اذا تنازع ملكان فى كورة اصطف الجيشان وتقدم الملكان فلعبا فى موضع الحرب بالشطرنج فالغالب منهما استولى على ما وقع عليه النزاع فيه من غير قتال وسفك دماء ..

وابان الفتح الاسلامى لفارس ايام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عرف العرب الشطرنج ومارسوه ، فصار منذ ذاك جزءا من حياتهم الفكرية وما زال كذلك حتى اليوم ، فالفوا فيه الكتب وصنفوا فيه المصنفات ونظموا فيه القصائد، ووضعوا فيه المنصوبات والمسائل ، وسموه بلسانهم شطرنج ، وقالوا ان كسر الشين فيه اجود ليكون بوزن جردحل وهو الكبير الضخم من الابل .

وقد حفل ديوان الشعر العربى بمئات القصائد الشطرنجية ، مثل :

ولاعبتها الشطرنج خيلى ترادفت
ورخى عليها دار بالشاه بالعجل

وهو مما نحله المتاخرون من شعر لامرىء القيس :

ومنه ما هو للشاعر المعروف صفى الدين الحلى وفيه يقول :

قد مللنا فهات نلعب الشط
رنج كيما اريح قلبى وعينى

فصففنا الجيوش بيضا وسودا
واعتبرنا تقابل العسكرين

فابتدانى بدفعه بيدق الفر
زان من حرصه على نقطتين

فعقدت الفرزان مع بيدق الصد
ر وسقت الفيلين فى الطرفين

ثم ضايقته فلم يبق للشا
ه على رقعه سوى بيتين

ثم صحت : « اعتزل » فشاهك قد ما
ت بلا مرية وقد حل دينى ! »

ويصح اعتبار هذه الابيات دستا شطرنجيا كامل التفاصيل لا وجود لمثيل له فى ايما شعر من شعر الامم الاخرى بشهادة مؤرخ الحضارة العظم ويل ديورانت .

وفى النقائض الشعرية المشهورة بين جرير والفرزدق ، تبادل الشاعران الهجاء مستعملين تعابير شطرنجية ، قال الفرزدق :

ونحن اذا عدت تميم قديمها
وانت لدرمى بيدق فى البياذق

فرد عليه جرير بقوله :

سبعون والموصفاء مهر بناتنا
اذ مهر حمش مثل أجر البيدق

وقد استعمل العرب كلمة بيدق وبيذق لجندى الشطرنج معربا عن (بيداك) وهو جندى المشاة بالفارسية .

ومن جميل ما جاء على لسان الملك النعمان فى قصة الجارية « شركان » من روائع تراثنا الاصيل فى كتاب الف ليلة وليلة عن الشطرنج قوله :

حضرت شطرنج من أهوى فلاعبنى
بالبيض والسود لكن ليس يرضينى

كانما الشاه عند الرخ موضعه
وقد تفقد دستا بالفرازين

وهنا نجد تعابير شطرنجية واضحة ، فالشاه هو ملك الشطرنج ، والرخ هو القلعة ، وتسمى الطابية ، وهى عند الانكليز روك ، وينظر فيها الى الرخ وهو الطائر العربى الاسطورى ، ولمناعة هذا وسموق طيرانه فقد قيل للقلعة المنيعة(روك)، اما الفرازين فهى جمع (فرزان) او فرز ، وهو وزير الشطرنج اليوم ويسمى لدى الاوروبيين : (الملكة)

وقد سخر الشاعر محمد بن شرف القيروانى من بعض ابناء عصره ـ قبل الف عام من يومنا هذا ـ فقال :

خلت الرقاع من الرخا
خ وفرزنت فيها البيادق

وتسابقت عرج الحمير
ر فقلت من عدم السوابق

ويصور هذان البيتان بدقة قانونا من قوانين الشطرنج التى لا تزال قائمة متبعة ، وهى ان البيدق اذا وصل الى الصف الثامن من الرقعة مجتازا خطوط الاعداء دون ان يقتل ، فان من حقه ان يصبح فرزانا اى وزيرا !!

ومن جميع ما رصدناه من شعر العرب فى الشطرنج ـ وهو كثير خصب ـ ابيات قرأناها منسوبة الى الشاعر على بن الجهم ، وان نسبها البعض الى الخليفة العباسى المأمون ، وكان بذاته شطرنجيا متفوقا :

ارض مرقعة حمراء من أدم
ما بين الفين موصوفين بالكرم

تذاكرا الحرب فاحتالا لها حيلا
من غير أن يأثما فيها بسفك دم

وكان العرب يصنعون رقعة الشطرنج ذات المربعات السوداء والبيضاء من قطعة جلد او ادم، ويسمونها الجوارحية .

وينسب للمأمون أيضا هذان البيتان ، وفيهما مضمون فلسفى جليل :

انظر الى لاعب الشطرنج يجمعها
فغالبا ثم بعد الجمع يرميها

كالمرء يكدح للدنيا ويجمعها
حتى اذا مات خلاها وما فيها

ولكى نخرج عن دائرة استخدام الشطرنج كأداة تعبير فلسفية فى الشعر ، نأتى الى ابيات شاعر عابث محب للمرح والمتع الحسية هو السرى الرفاء الموصلى الشاعر المعروف :

وفتية زَهَرٌ الآداب بينهم
ابهى وانضر من زهر الرياحين

راحوا الى الراح مشى الرخ وانصرفوا
والراح تمشى بهم مشى الفرازين

وقد كنى بذلك عن ثبات اقدامهم صاحين ، فهم كالرخاخ ثباتا وعن اوبتهم مترنحين كالفرازين تذبذبا ، وهو معنى بديع لا يدانيه فى بداعته ولا عبثه غير قول الشاعر ابى بكر الصنو الحلبى المتوفى سنة ٣٣٤ للهجرة :

شربنا فى بغادين
على تلك الرياحين

فطورا بالهواوين
وطورا بالاجاجين

فلما ان مشى فينا
مشينا كالفرازين

وقد يتخذ الشاعر من الاصطلاحات مادة للنقد الاجتماعى كقوله :

اذا تلاقى الفيول وازدحمت
فكيف حال الرخاخ فى الوسط

وقد يتخذ منها مادة للسخرية من صعود نج[illegible] من لا همّ له من الناس :

يا بيدق الرخ فى أطراف رقعته
لقد تفرزنت لما قلت القطع

لان من قواعد الشطرنج قديما وحديثا ان بيدق الرخ فى طرف الرقعة أقل البيادق حظا فى الترقى والفرزنة ، لسهولة محاصرته وقطعه لضيق مجال تحركه !

وقد ادرك الزهو الخليفة العباسى ابن المعتز ذات يوم وكان شطرنجيا بارعا فخاطب رسيله ـ أى نده فى الشطرنج بقوله :

قل للشقى وقعت فى الفخ
أودت بشاهك ضربة الرخ

ثم اعتذر اليه عن وصفه بالشقى ، فاحسن الاعتذار .

وقد تتحكم كلمة شطرنج فى قافية شعر ما فتجنى على بلد بأسرها ، كما حدث لمدينة بوشنج التى ذكرها ياقوت الحموى فى معجم البلدان ، قال الشاعر ابو الفضل الهروى :

اذا سقى الله أرض منزلة
فلا سقى الله ارض بوشنج

كأنها فى اشتباك بقعتها
ـ أخربها الله ـ نطع شطرنج

ومما يصور الموقع الفريد الذى تبوأه الشطرنج فى تاريخ العرب ان شاعرا مثل (أبى الحسن

صاحب البريد) عندما اراد انيصف دارا للوزير الاديب المشهور الصاحب بن عباد ، فاستعمل اصطلاحا شطرنجيا يشى بمكانة هذا الفن فى مجتمع ذاك العهد ، قال مفتتحا قصيده :

دار على العز والتأييد مبناها
وللمكارم والعلياء مغناها

وقال مختتما اياه :

وهذه وزراء الملك قاطبة
بيادق لم ترل من بينها الشاها

وقد قال الشاعر الكبير أبو الحسن على بن الياس الامير فى دولة بنى سامان الاسلامية ـ مما رواه عنه الثعالبى فى تتمة اليتيمة ـ مفاخرا بنفسه وفروسيته وعزه ونعمته :

ان شئت تعلم فى الآداب منزلتى
وانى قد غذانى العرب والعجم

فالطرف والقوس والاوهاق تشهد لى
والسيف والطرس والشطرنج والقلم

فانظر كيف وضع الشطرنج مع السيف والقلم والقوس والطرس جنبا الى جنب تعرف اهمية اتقانهذا الفن النبيل فىحضارة العرب والمسلمين قديما .

ومن بدائع الشعر العربى ـ مما لم يسبق الى مثله فى الحسن والظرف ـ على حد قول صاحب يتيمة الدهر (القصيدة الشطرنجية) لشيخ شعراء العصر وواسطة عقد ندماء « الصاحب » قصيدة ابى القاسم عمر بن ابراهيم الواسانى العراقى ، وفيها كل ما يدل على حذقه بالشطرنج وتفوقه فى احسانها واللعب بها ، ومنها :

والتقى العسكران فى حومة النق
ـع أسود على أسود تحوم

فاختلطنا وجال فى الحرب فرزا
نى وقال الكمى من لا يخيم

ثم نادى شاهى برخيه كرا
ليس بعد الوقوف الا الهجوم

وكشفت الغراء عن وجه رخى
فعراه الحمام وهو مليم

ولشتان بين خيلى فى الغى
وخيل صراطها مستقيم

وقد وصف فيها الشاعر بدقة عجيبة ما يسمى اليوم فىعلم الشطرنجالحديث بالاشتباك وانتشار القطع وهجوم الرخ والكشف وتخبط الخيل عند محاصرتها وسيطرتها فى مجال حركتها وهو وصف حى دقيق، ومنه وأمثاله استنبط قانون الشطرنج العالمى المعترف به اليوم رسميا .

أما أخلد روائع الشطرنج فى الشعر العربى فهى دون شك ارجوزة ابن الهبارية المشهورة ، وهى ملحمة تاريخية فلسفية صور فيها الصراع التاريخى بين السلاجقة والبويهيين فى العراق ابان القرن الخامس الهجرى فهى وثيقة سياسية اصيلة فى اطار شطرنجى ، وابن الهبارية هو الشريف أبو يعلى محمد بنمحمد العباسى البغدادى الهاشمى صاحب كتاب (الصادح والباغم) المعروف ، ومن أرجوزته هذه قوله على لسان الفيلسوف الهندى وهو يحاج النردشيرى (أى صاحب النرد) الفارسى :

شطرنجنا لمثل هذا وضعا
أول فن فى العلوم اخترعا

وفضله باد بغير مين
ما أوضح الصبح لذى عينين

يا أيها الانسان كن فى الدنيا
كلاعب الشطرنج واسع المعنى

فان من رموزها لو يعتبر
لاعبها بأمرها ويفتكر

فالحين فى الاهمال والتجور
والحزم كل الحزم فى التحرز

انظر وفكر أبدا فى العاقبة
فانها عن العقول غائبة

ان اعتضاد الشاه بالفرزان
موعظة فى السر للسلطان

ليتقى فى الخطب بالوزير
مفوضا اليه فى الامور

لا تحقرن راجلا فى الفيلق
فربما غلبته بالبيدق

اضعفه ما استطعت ان ضعفه
يدنى وان طال مداه حتفه

وهى ارجوزة طويلة تنوف على ٢٠٠ بيت

وهي زاخرة بعلم الشطرنج ومفاهيمه من اهمال وتجوز وحزم وتحرز واعتضاد واتقاء وتفويض واصفاف وفداء ودفع وقائم وعقد وفتح و. د ..
فما اعظم تراث العرب في الشطرنج الذى حسبنا منه هذه الارجوزة وحدها .

ولعل أروع شهادة شعرية شطرنجية عربية هي تلك التى قالها الشاعر العربى الفيلسوف ابو العلاء المعرى مما اثنى به على احد الشطرنجيين مشبها اياه بابى بكر الصولى المؤرخ والاديب والكاتب والشطرنجي المعروف وخدين الخليفة العباسى الراضى بالله ، وهي أبيات لها دلالتها التى استخرج منها الباحثون ان ابا العلاء كان على عماه يحسن الشطرنج ، وليس ذلك بدعا ، فقد ذكر المؤرخون ان حماد البصرى من ابناء القرن التاسع الهجرى كان اعمى وله حذق بالشطرنج وقد ذهب الى الشام ونزل بالبادرائية ولعب بالشطرنج مع خمسة ابطال قدموا اليه من دمشق والقاهرة وحلب والحجاز فغلبهم جميعا وكلهم مبصر ، وهو ضرير !! قال المعرى في « سقط الزند » :

قل لترب الاداب في كل فن
وحليف الندى وحرب العذول

ايها اللاعب الذى فرس الشطـ
ـرنج همت في كفه بالصهيل

من يباريك والبيادق فى كفـ
ـك يغلبن كل رخ وفيل

تصرع الشاه في المجال ولو جا
ء مردى بالتاج والاكليل

لطف رأى يستأسر الملك الاعـ
ـظم بالواحد الصغير الذليل

انت فوق الصولى فى هذه الخلـ
ـة مزر في غيرها بالخليل

فما اروع هذه الابيات وما اعظم دلالتها على المكانة التى احتلها الشطرنج في الفكر العربى والحضارة العربية ولا تنضب جعبة الشعر العربى في الشطرنج فهى غزيرة خصبة معطاءة ، ومما رصدناه فيها وهو مما لم يسبقنا اليه سابق شرقيا كان او غربيا ، قديما او حديثا او معاصرا ، قول الشاعر مهيار الديلمى فى الشطرنج وهو مما نحا فيه منحى فلسفيا ورمى فيه مرمى سياسيا وعسكريا :

ومؤمر بين الرجال مقدم
في الارض وهو مدبر مأمور

باق يخاف الحتف وهو متى يمت
فله معاد عاجل ونشور

ويسير ماسار الجيوش امامه
ويقودها فيقيم وهو يسير

كثرت منازله وضاقت طرقه
فكأنه بمكانه مأسور

ولم يعدم الشطرنج من يتخذه من الشعراء مادة للغزل الحسى كالشاعر المعروف بالنور الاسعردى :

اعييت اذ لاعبت بالشطرنج من
اهوى فأيدى خده التوريدا

وغدا لفرط الفكر يضرب راحه
بتطاعه لما انثنى مجهودا

فطفقت انشده هناك معرضا
وجوانحى فيه تذوب صدودا

رفقا بهن فما خلقن حديدا
او ما تراها اعظما وجلودا !

كما لم يعدم من يلغز فيه ويمتحن ذكاء الناس به :

يا ذا النهى ما اسم له حالة
يحار فيها الذهن والفكر

له حروف خمسة انما
ثلاثة منها هى الشطر (١)

وغير نادر في شعرنا من يتخذ الشطرنج طريقا للسخرية كابى القاسم البغدادى :

---

(١) المعرى : : يقصد كلمة « شطرنج »فحروفها خمسة ، والثلاثة الاولى هي « شطر » .

يـا من اذا مـا جاءني زائرا
سعى برجليـه الـى الحتـف
امـا تـرى رخ يـدى جائـلا
وشـاه اذنيـك علـى الكشـف

وهناك شعراء اخرون يعبرون عن طموحهم بتعابير شطرنجية مثل القاضي الفاضل صاحب مدرسة النثر العربية المسماة باسمه :

يا عرصة الـذل في استيطان مولده
اراك فيمـا يصـد الفتـى كسـلانا
سر في طـلاب المعالي تمـل مـرتبة
كم بيـدق صـار ـ لما سـار ـ فـرزانا

ولا نريد ان نتعسف علي الشعر العربي في امور الشطرنج فنتغاضى عمن هجاه وهزأ منه كقول القائل :

تمرسـت بالشـطرنج حتى عرفتها
فان صح رايي فهي بالـوعة العقـل

ورغم قلة هذا الضرب من ضروب الشعرونذرته ونزارته فاننا لا نرد عليه الا بقولة ابن المعتز الخليفة الشاعر وهي ابيات سائرة ذائعة شائعة:

يـا عـائب الشطرنـج من جهلـه
وليـس فـي الشطرنـج مـن بـاس
في فهمهـا علـم وفـي لعبهـا
شغـل عـن الغيبـة للنـاس
وتشـغل الهـائم عن حـزنه
وصاحـب الكـاس عـن الكـاس
وصاحـب الحـرب بتدبيـره
يـزداد في الشـدة والبـاس
واهلهـا فـي حسـن تدبيرهـم
مـن خيـر اصحـاب وجـلاس

وبعد ، فاننا لم نتناول في هذا البحث غير جانب يسير من تراث العرب الادبي الغزير في الشطرنج وهو جانب الشعر او بعضه ، مما يعطي لهذا الفن موقعا حقيقيا فمينا بالاحترام بين صنوف العلوم والفنون العربية في تاريخنا الزاخر ٠٠ ولا عجب ـ اذن ـ ان يعترف علماء اجلاء مثل غوستاف لوبون وهونكة وبروكلمان بالعبقرية العربية في علم الشطرنج ويقرون ان هذا الفن ـ لولاهم ـ لما عرفه العالم باسره، بحيث صار له اليوم ابطال عالميون يحملون فيه درجات علمية عالية مثل (ماستر) و (جراند ماستر) و (انترناشنال جراند ماستر) اي استاذ ، واستاذ كبير ، واستاذ عالمي كبير ، وهي في وزنها العلمي تعادل درجة الدكتورية في علم الطب والفلسفة والطبيعة والاداب وغيرها من العلوم الحية ٠٠٠ فعسى ان يكون هذا المقال حافزا لنا لتطوير تراث امتنا العربية الشطرنجي كيما نرى اعلام شعوبنا العربية اليوم وهي ترف عاليا بين اعلام شعوب العالم في مباريات الشطرنج الدولية فنستعيد مجدا اصيلا ونحيي تراثا باذخا ونبعث مفاخر عظيمة ٠ ■■

بغداد ـ **زهير احمد القيسي**

■ اذا غامرت في شرف مروم — فلا تقنع بما دون النجـوم
فطعم المـوت في امر حقير — كطعم الموت في امر عظـيم
(المتنبي)

■ الامم المقاتلة تستعد للحرب في المدرسة ، كما تستعد لها في مصانع السلاح والذخيرة ٠
(برتراند راسل)

■ الف ريال لا تشترى ضحكة واحدة ٠
(مثل صيني)

من القصص التركى

كيف قبضوا.. على حمدى الفيل* ؟

للكاتب التركى الساخر : عزيز نسين

■ بعثت مديرية امن استانبول ببرقية عاجلة الى جميع مديريات الامن خارج المدينة هذا نصها :
« ٠٠ لقد تمكن المحتال الخطير ، ومن اصحاب السوابق المدعو حمدى الفيل من الهرب ، منتهزا فرصة استسلام اثنين من افراد شرطتنا لاغفاءة قصيرة ، نجمت عن سهرهما المتواصل طوال ثلاث ايام وثلاث ليال ، امضياها فى حراسة مبنى كوخ المراقبة الذى يتواجدان فيه ،بكل يقظة وانتباه٠٠،
« ٠٠ والمحتال الخطر ، ذو السوابق فى الخامسة والثلاثين من عمره ، فارع القامة ، وزنه ٢٠٠

---

* فازت هذه القصة بالجائزة الاولى ـ بالميدالية الذهبية ـ فى مسابقة دولية عامة للقصص الساخرة كانت قد اقيمت فى ايطاليا فى حينها ٠ (المترجم)

كيلو غرام ، له ضرس محشو فى فكه الاعلى، وثنية مكسوة ذهبا فى فكه الاسفل من الجهة اليسرى ، يرتدى ثيابا غامقة ذات خطوط ، ذو وجه مستدير، مكتنز ، وعينين فى لون القهوة ، اشقر اللون ، وقد تساقط شعر راسه الى حد ما •• •• »

» •• ولقد تبين لنا من التحقيقات والتعقيبات والتدقيقات ان حمدى الفيل قد لاذ بالفرار فعلا •• ففى حالة مروره على احد المخافر فى محافظتكم أو فى احد الاقضية التابعة لها ، وكذلك عند اتصاله باحد رجال الشرطة للسؤال عن الطريق ، او الاستفسار عن بعض العناوين، نرجو التفضل بابلاغه اننا مازلنا نترقب عودته بفارغ الصبر . ونامل منه ان لا يطيل من فترة انتظارنا له ، بل ان يبادر الى الحضور فى مديرية امن استانبول فى وقت مناسب ، خال من الزحام . بغية تسليم نفسه الينا •• » .

ملحوظة : صورة المحتال الخطر حمدى الفيل الشمسية. مرفقة .

فى معطة للقطار باحدى المحافظات . يجرى هذا الحوار بين اثنين من رجال الامن :

ـ رمضان ! •• ياخى !••
ذاك الرجل ! •• الذى يحتسى السحلب •• انه حمدى الفيل •••لا اشك فى ذلك ابدا !•

ـ هم م م!••• ثمة تشابه!••

هات صورته ! .. يبرز رمضان صورة شمسية ، ويناولها زميله .

ـ ... ليست له ! .. رمضان ! .. هذه صورتك انت ! ..

ـ التقطت لي في العيد الماضي .. كيف ؟..

ـ لطيفة ! .. ولكن كان عليك ان تبتسم قليلا.. انت ابحث لي عن صورة حمدى الفيل هذا !..

يخرج رمضان من جيبه طائفة من الصور الشمسية ثم ينثرها بين يديه ..

ـ هذه صورة ولدى ! .. هذه لقطة تذكارية لي عن ايام الجندية ! . هذه ... ؟ ؟ محمود ! ... هذه الصورة لمن .. ؟

ـ تلك ؟ .. ربما (على الدخان) مهـرب الحشيشة ! ..

ـ ... هذه صورة (صبحي) فأر الفنادق ... لقد اختلطت الصور ، بعضها ببعض ..

ـ رمضان ! .. انت اوجد لي صورة حمـدى الفيل ! ..

محمود ورمضان يتفحصان الصور معا بحثا عن صورة حمدى الفيل ..

ـ محمود ! .. اسرع .. هوذا الرجل قد فرغ من احتساء السحلب ، ولعله يتهيا الان للهرب ..

ـ انظر ! ... كيف يجيل عينيه فيما حوله ..

ـ وجدتها ! .. انها صورته على اية حال .. هو نفسه بالذات ! ..

يتقدمان الى الرجل الذى اشتبها في امره

ـ ايها المواطن ! .. هل لك ان تقـــف على قدميك لحظة ؟ ..

تنتقل نظراتهما بين الرجل والصورة غير مرة .

ـ آ ـ آه !! .. ويحك يارمضان ! .. الصورة لا تشبهه ! ..

ـ دع المفوض يراه كذلك ! .. ربما هو يشبهه بها ! ..

ـ ايها المواطن ؟ .. هيا ! .. امش ! ستاتي معنا الى المخفر ..

★★★

سوق عامة في محافظة اخرى .. اثنان من موظفي الامن يتحادثان ..

ـ شكرى ! .. اخي ! .. كم هو معيب ان نلهث منذ الصباح المبكر وراء هذا المدعو حمدى الفيل ثم نرجع بخفي حنين ؟

ـ ذاك الرجل ! .. قد يكون هو نفسه ..

ـ محتمل ! .. فلنسال ! ..

يتقدمان الى الرجل ..

ـ ايها السيد ! .. ماسمك ؟ ..

ـ مصطفى !

ـ يهمس احدهما في اذن الاخر :

ـ يقول مصطفى ! ..

اتراه قائلا حمدى ؟ .. انـه يكتـم اسـمه الحقيقي !

ـ ويزعمه انه يستطيع خداعنا

ـ ايها السيد ! .. هل ترافقنا قليلا ؟ ..

★★★

في مقهى باحدى المحافظات يدور هذا الحديث بين اثنين من رجال الامن :

ـ نهار امس ! .. قبضت على ثلاثة حمـدى الفيل .. ولكن المفوض لم يعجبه اى منهم ! ..

ـ يبدو ان مفوضنا هذا حنبلي اكثر من اللزوم .. ها .. ها .. ها ..

هس ! ! خفض من صوتك ! ذاك الرجل الذى يشرب الشاى ! اياك ان تثير شكوكه ... فقط !.. انظره بموخرة عينك ! ..

ـ قد والله انه هو نفسه ! .. هو بعينه ! ..

ـ في الاوراق التحقيقية ان حمدى الفيل ،ضخم الجثة ، بدين . وهذا ضئيل نحيل اشبه بهيكل عظمي ..

ـ ماله الهزال يا اخي ! .. اما تعلم كم هو منهك ، شاق ، ان يقضي المرء بياض نهاره وسواد ليله طريدا ، شاردا ، هائمـــا على وجهـه في البرارى والجبال ؟ .

ـ انت محق ! .. ولكن ياخي هذا كث الشعر فاحمه،وفي التقارير الرسمية،ان حمدى قد تساقط جانب من شعر رأسه ! ..

ـ ربما يضع (باروكة) على رأسه ! امعانا في اخفاء هويته ! ..

ـ صدقت ! .. لم وقوفنا اذن ؟ .. نقبض عليه ! ...

يقتربان من الرجل

ـ ماأسمك ؟ ..

ـ حمدى ! ..

يتبادلان بينهما نظرات ذات مغزى ، ثم يبتسمان ابتسامة تنم عن الرضا والاطمئنان .

ـ هلم الى المخفر ! ..

ـ لماذا ؟ .. ماذا جرى ؟ ..

ـ ستعلم ذلك فى المخفر ! ..

★★★

فى احدى المحافظات ، وعلى الطريق الاسفلت الذى لا يتعدى طوله فى العادة اكثر من كيلومترين خارج المدينة فى معظم مدن الاقاليم ، يستوقف اثنان من رجال الشرطة احد المارة :

ـ افتح فمك !! ..

ـ لا يوجد فى فمى شىء ! ..

ـ ولهذا السبب نفتحه ! ..

يفتح الرجل فاه ، فيتامل الاثنان معا اسنان الرجل ، ثم يقول احدهما للاخر :

ـ انظر فى الاوراق التى معك ! .. كم سنا تنقصه ؟ ..

ـ ثلاث ! .. وفى فكه الاعلى ضرس محشو ، وفى فكه الاسفل من الجهة اليسرى ثنية مكسوة ذهبا ! ..

يبدأ الشرطى فى تعداد اسنان الرجل .

ـ واحدة ... اثنتان ... ثلاث .. اربع .. خمس ... هيه !! .. لا تتحرك ! .. انك تشوش على ... واحدة .. اثنتان .. ثلاث .. اربع .. خمس ... اربع وعشرون .. له اربع وعشرون سنا ..

ـ اربع وعشرون ؟ .. انت يا هذا ! .. كم هو عدد اسنانك ؟ ..

اتعرف ذلك ؟

ـ انا اصلا اسنانى كلها صناعية .. وليس فى فمى حتى ولا سن واحدة حقيقية ، وقد تكسرت اربع منها عندما اكلت كوز ذرة ! ..

ـ هل فى الاوراق مايشير الى اسنان صناعية ؟ ..

ـ كلا ! .. لم يرد فى الاوراق شىء من ذلك ! ..

ـ انهم نسوا ذلك ! .. انه هو نفسه .. هو بالذات ! ..

ـ ايها السيد تعال معنا ! ..

ـ الى اين ؟

الى المخفر ! .. امش ! ..

★★★

اخذت مئات البرقيات تنهال كل يوم على مديرية امن استنابول من شتى مديريات الامن فى المحافظات ..

« جوابا عن برقيتكم المرقمة .. كذا .. والمؤرخة فى كذا :

لقد تم القبض على اربعة عشر حمدى الفيل ممن يرتدون ثيابا غامقة ذات خطوط ، وعلى ثمانية اخرين لهم ثنايا مكسوات ذهبا .. فيبلغ بذلك مجموع عدد المقبوض عليهم اربعة عشر حمدى الفيل .. نرجو اعلامنا اذا كان هذا المقدار كافيا فى حد ذاته ام انه ينبغى لنا مواصلة البحث ، او التوقف عنه ... مع الاحترام »

« ... جوابا عن برقيتكم السامية المرقمة .. كذا .. والمؤرخة فى كذا :

لقد تم القبض على (درزينتين) حمدى الفيل فى محافظتنا تتفاوت اوزانهم بين ١٨٠ و ٢٢٠ كيلو ، وذلك نظرا لعدم دقة الميزان القبانى الموجود لدينا ... وهم كلهم ذوو عيون فى لون القهوة الامر الذى لا يدع مجالا للشك فى انهم جميعا حمدى الفيل بالكمال والتمام .. وقد بدىء بتسفير حمدى الفيل هؤلاء فعلا .. واذا كان ثمة حمدى الفيل اخرون قد تواروا عن الانظار لحد الان ، فنحن جادون فى البحث عنهم وسوف نقوم بتسفيرهم تباعا .. نعرض ذلك مع الاحترام ... » .

البرقية التى بعثت بها مديرية امن استانبول الى مديريات الامن فى المحافظات الاخرى :

« .. بالنظر الى امتلاء جميع الاماكن الخالية المتوفرة لدينا ، فقد ارتؤى الاكتفاء بالعدد الموجود باليد من حمدى الفيل فى الوقت الحاضر ... نرجو عدم القاء القبض على اى حمدى الفيل اخرين ، والتوقف عن البحث عنهم حتى اشعار اخر .. مع الشكر .. » .

هامش : تم القبض على حمدى الفيل المار .

ترجمة : أحمد مصطفى الخطيب

الاعظمية ـ العراق

• من أدب المغرب

القرويون

وأثرهم في الحركة الأدبية

بقلم : الدكتور احمد عبدالرحمن عيسى

■ في مطلع هذا القرن كان شوقي وحافظ ومطران ، وسائر الرواد الاوائل من شعراء مصر وسوريا ولبنان والعراق . تتجاوب اصداؤهم في العالم العربي ، وتتلقف الآذان كل ما يهتفون به من قليل او كثير • وكان المغرب العربي (مراكش) دَوحا بغير بلابل ، او على الاصح كانت بلابله زُغبَ الحواصل ، تعيش على ما ينحدر اليها من ماء الشرق وثمره •

كان شعراء المغرب وادباؤه يعيشون في دنيا غير دنيا القرن العشرين ، ينظمون الشعر في الاطلال والدمن ، ويحدون الناقة ، ويمضغون الشيح والقيصوم ، ويمتحون من الآبار بدلاء المحاكاة والتقليد •

الصحافة في المغرب

وكانت الصحافة العربية في المغرب حينذاك ، لم تزل شيئا خفيف الوزن ، لا يعدو ان يكون بضع صفحات مصفوفة بالحروف العربية ، محلاة بقصائد من الشعر العباسي ، أو الانتاج الادبي في مصر والشام والعراق ، فمثلا جريدة «السعادة» التي تصدر مرتين في الاسبوع بالرباط ـ ورئيس تحريرها وديع كرم اللبناني ـ كانت تحاول أن تبعث وعيا أدبيا في المغرب بوسائل تشجيعية ، فتنتشر دعوة تقول فيها (عدد ٢٠ مايو ١٩١٤) :

« الى الادباء •• نرجو من الادباء الشعراء تشطير البيتين الآتيين ، وقد جعلنا للمجيد جائزة قدرها مائة فرنك ، والبيتان هما :

فان تسأليي كيف أنت ، فانني
جليد على ريب الزمان صليب
جهيد على الا ترى بي كآبة
فيشمت واش ، أو يساء حبيب

وينهض الشعراء المشطرون ، فتنشر الجريدة خمسة تشطيرات ، عثرت عليهافي اعدادها التالية ، ويبدو منها جميعا روح التمرين والتهجي • وهكذا بدأ الشعراء ، اما الكتاب فلم يكونوا قد ظهروا بعد ، اذ لم تكن الكتابة الادبية ذات موضوع ولا غرض في ذلك الوقت • وان كتب احدهم فانما كان ينحت شيئا يشبه مقامات الحريري في أعقد صورها اللغوية ، وقد خلا من روحها الفكاهية ، وملاحتها الشهية •

نعم لم يكن هناك أدب للحياة ، او في خدمة الحياة ، كما هو الآن ، وانما هي نزعات ذهنية ، وهوايات عشوائية ، وتجارب بدائية ، لم تستقر على مذهب او ترتسم لها شخصية • ولكن روح التطور التي حملها اليهم ادباء الشرق الحديث ،

★ انظر نبذة عن القرويين مجلة العربي/العدد ٢٠٧ ص ١٢٣

الشعـراء القـرويون رواد أوائل ظهـروا في طلائع هذا القرن ، وفتحـوا آفاقا جديدة في الشعـر المغربي ، ومهـدوا الطريق أمام الشعراء المحدثين .

وتتابع الاحداث الدامية على تراب المغرب، واتجاه المغاربة من جديد نحو الطرف الاخر من العالم العربي ـ هذه كلها فتحت الطريق لظهور مدرسة القرويين .

شعراء القرويين

اهتم شعراء القرويين بتقليد المشارقة، فلدوهم في نقل معركة الحياة الى جو القصيدة ، واتجهوا الى الموضوعية في الادب ، فاخذ الادب المغربي العصري يرى النور ويتنفس من هواء الناس . ومن هنا نهض شعراء القرويين . نهضوا ـ على قدر جهدهم ـ بارسال تلك النفثات التي صورت جوانب الحياة عندهم ، وعبرت عنها في اطار تقليدي بحت. فهؤلاءالشعراء يتناولونموضوعاتهم، وهم يدورون في فلك المحاكاة والتقليد . تقرأ لهم فكانك تفتح صفحة من ديوان البارودي او محمد عبد المطلب ـ ولكن شتان ما بين الجانبين ـ شعر عصري النزعة ، وان تحدث عن تعليم البنت المغربية ، أسير وان هتف بالحرية .

ولكن شعراء القرويين بالرغم من ذلك ، هم الرواد الاوائل للحركة الادبية في المغرب الحديث (مراكش) ، فقد لمسوا كثيرا من أدواء المجتمع المغربي وعلله ، وراحوا يعبرون عنها على قدر امكاناتهم العامة والخاصة .

نشأ شعراء القرويين في فاس وتلقوا العلم في جامعة القرويين الدينية بها ، ومن لم ينشأ منهم في فاس او لم يتعلم في جامعة القرويين ، فقد تقمص روح القرويين ، وانطبع بطابعها، ودار في فلكها ، وجرى مع نجومها .

وهؤلاء الشعراء القرويون ينقصهم التجويد في الاسلوب الشعري ، او بمعنى ادق : التنطس والتانق . تقرأ لهم وانت مستريح او كالمستريح. وسرعان ما تصدمك كلمة يراد بها تكميل الكلام على طريقة الناشئين من هواة الشعراء ، مع ان انفاس الشاعر منهم وتدفق احساسه وتمكنه من لغته ، كل ذلك يبدو لك واضحا وانت تتابعه ، حتى ليخيل اليك انه في امان من هذه الكبوة ، كبوة التكميل ، أو عدمالاحتفال بالتانق فيالتعبير.

قرات لشعراء القرويين فاعجبني منهم ما تشعر به في شعرهم من الاباء وقوة الشخصية واعـزاز الوطن والدين واللغة ، ويبدو ان هذا القبس من آثار الحركة السلفية ، حركة التجديد الديني على يد جمال الدين الافغاني ومحمد عبده ومحمد بن عبد الوهاب ، هؤلاء الائمة الافذاذ الذين تاثـر بهم القرويون أشد التاثر ، وكانوا أمناء في بث منهبهم السلفي في أعماق المغاربة وضمائرهم ، لا سيما المتفقهين منهم ، كما يبدو من ناحيـة أخرى تاثرهم بحركة الاصلاح التجديدي في تركيا.

تواكب شعراء القرويين في مسيرتهم ، فكانـوا كثرة كاثرة ، اذكر منهم ـ وهم الذين عشت معهم في أدبهم ـ هؤلاء الشعراء : محمد المهدي الحجوي، ومحمد أبو جندار ، ومحمد الناصري ، وأبو عبد الله محمد بن محمد السليماني ، ومحمد عـلال الفاسي ، وعبدالكريم سكيرج ، ومحمد القـري، ومحمد بن ابراهيم ، ومحمد المختار السوسي ، وعبد المالك البلغيثي ، وعبد الاحـد الكتاني ، وعبد الله جنون ، وعبد القادر حسن ، وعبـد

الرحمن حجي ، والحسن الداودي ، ومن لف لفهم ودار في فلكهم .

وشعراء القرويين متعصبون للثقافة العربية الاصيلة ، يعملون حملتهم دائما على شعراء المدرسة الحديثة وشعراء المدرسة التبعية وهم المغاربة الذين ينتجون ادبهم باللغة الفرنسية . ولو ذهبنا نتتبع هيامهم في اودية الشعر وخمائله لوجدناهم في كل واد وسامر .

تحدثوا في جمال الطبيعة ـ وجمالها في المغرب آسر فتان ـ وتحدثوا في الاصلاح الاجتماعي ، وتعليم البنت ، وقاوموا موجة الطرق الصوفية ـ « جماعة المتمشيخين » كما كان يسميهم المغفور له محمد الخامس ـ وسجلوا نفثاتهم في الوطنية والتحرير والمقاومة ، وامتد بهم الحنين الى مصر، وجمعية الشبان المسلمين بها ، والازهر ، ودار العلوم ، واندمجوا في حرب الجزائر كما كانوا يندمجون في حرب الريف ، وكتبوا اصدق الشعر في المنفى ، كما كتبوا ونظموا في التوسل برسول الله (صلوات الله عليه) ومجدوا اللغة العربية اعظم تمجيد .

الشاعر الحجوى

ولعل أبدع ما قرأت لهم في وصف جمال الطبيعة ما قاله الشاعر « محمد المهدي الحجوى » في قصيدته « وقفة على البحر » وفيها يمزج عاطفته بنظرات فلسفية عن الكون والحياة . جاء في تلك القصيدة :

سلاما ، وهل يُهدَى السلام إلى البحر
نعم . من وَلوع بالخيال وبالشعر
أناجي من الاكوان سرَّ شعورها
وأُنطِقه . والبحر من ذلك السر

وهي قصيدة رائعة يرقى بها الى الصف الاول بين شعراء القرويين ، وان كانت فيها هنات وقعت في بعض الابيات ، بعضها يرجع الى الوزن ، والآخر الى اللغة .

الشاعر محمد الناصرى

وللشاعر محمد الناصرى وقفة على شاطيء الخلد « وادي الرقراق » آية الطبيعة في الجمال السري اللماح . يقول الشاعر :

راق العشيُّ على أبي رقراق
ورقا ، ورقَّ بمائه الرقراق
وصفا الزمان ، وتم أنسُ جميعنا
وسقاك من خمر المسرة ساقي
والنهر ينساب انسياب الأَيْمِ في
لمعانه ، وصفائه البراق

الى آخر هذه القصيدة التى لم انفعل بها ، فان الشحنة العاطفية التي يلقىبها وادي الرقراق في الاحساسات والمشاعر ، لهي أشد وأعنف من أن يرتفع الى عالمها مثل هذا الشعر .

الشاعر السليماني

والربيع في المغرب اشبه ما يكون بالموشحات الاندلسية في عبقها واريجها العاطفي، جو روحاني هائم يدعو اليه الشاعر السليماني ابو عبد الله محمد فيقول فيه :

بزغ الصباح فقم بنا
نقضي أُوَيْقَات السرور
ودعت دواعي الانس في الـ
أرجاء باهرة السفور
وأتى الربيع مبشرا
وهو المقدَّم في الشهور
فالروض باكَرَه الحيا
والغُصنُ منظره نضير

والقصيدة سهلة ولكنها راكدة السطح خاوية الاعماق .

الصوفية والصوفيون

وكانت موجة الطرق الصوفية في المغرب ـ قبل اصلاحات المغفور له الملك محمد الخامس ـ موجة عنيفة جبارة ، فقد كثرت وتقاربت وتباعدت تلك الزوايا « التي يقبع فيها هؤلاء الفقراء » وقد لبسوا الصوف الخشن، وتقشفوا وجاهدوا انفسهم، وتعددت اسماؤهم ما بين العيساوية، والحمدوشية، والمليانية ، والرجالية ، والكتانية ، ولعب هؤلاء

الصوفية «الضعفاء» دوراخطيرا فيمعترك السياسة ايام الاستعمار ، فقد تحالف هذا الاستعمار مع اذنابه الرجعيين على ان يتخذوا من هؤلاء الصوفية «مخالب قطط» ، فقضوا اولا على اصحاب المذاهب الصحيحة منهم ، ثم عمدوا الى الدجالين فامدوهم بالمال والتاييد الادبى ، لكى يمكنوا لخرافاتهممن السيطرة على عقول العامة وسواد الشعب ، وقد وضعوا قيادته فى ايديهم •

هاجمهم شعراء القرويين ، وتناولوهم بالنقد اللاذع المر • يقول الشاعر محمد علال الفاسى :

وكنتُ أرى تحت العمائم حاجة
فما هى إلا أن يدوم المرتب

وما اشبه هذا بما ينسب الى الشيخ محمد عبده اذ يقول :

ولكن دينا قد أردت صلاحه
أحاذر أن تقضى عليه العمائم

والشاعر محمد المهدى الحجوى يوسعهم هجوما وتجريحا ، فيقول :

فرّقوا الدينَ ، وكانوا شيَعاً
كل تفريقٍ إلى الحشر يئول
فلذا « مسبحة » ينشرُها
مرشدا ، وهي خِناقٌ للعقول
ولذا « زاويةٌ » يدعو لها
ولهذا نغمات وطبول
حاربوهم بسلاح العلم ، لا
تتقوهم . حاربوا كل جَهول

والشاعر الفنان « عبد الكريم سكيرج » الذى برع فى الخط والتصوير الى جانب موهبته فى الشعر ، يحمل على هؤلاء المتصوفة فيقول :

ما في الزوايا خبايا بينهم وجدت
بل في الزوايا رزايا عند من عقلوا
تكاثرت في نواحي القطر وانتشرت
على اختلاف شيوخ عندهم «وصلوا»

الشعراء القرويون والمرأة

ثار شعراء القرويين على جهل «البنت»وحرمانها من مناهل الثقافة والعلم، واستجابوا لدعوة قاسم امين فى مصر ، فقد كانت بنات الكبار والاثرياء يتعلمن القرآن والدين فى البيت على يد الفقهاء المغاربة • واما بنات الشعب فكن يتعلمن الخياطة والتطريز والغزل والنسيج ، وكانت البنت لا تعد الا لتكون زوجة لا تقابل غير زوجها واولادها • قال عبد الكريم سكيرج على لسانها :

لو يعتني قومي بتربيتي ارتقت
رتبي التي عندي يتم كمالُها
أَوَ بالجَهالة ظنّ قومي عفتي ؟
والنّاس أقرب للخنا جُهّالُها

الشعراء القرويون والمجتمع

والاصلاح الاجتماعى هدف من أهداف هؤلاء الشعراء ، فقصيدة « الجمعية الخيرية » لشاعر الحمراء : محمد بن ابراهيم تعبير عن هذه النزعة الحديثة ، ولعلها صورة صادقة من حياة هذا الشاعر الذى اصطفاه البؤس المادى حتى جر عليه البؤس الادبى ، فلولا غلطتهالكبرى بارتمائه فى احضان الجلاوى « باشا مراكش » لفتح الشعب له ذراعيه ونادى له بامارة الشعر فى المغرب الحديث • ولعل فى حياته أوجها كثيرة من الشبه لحالة شاعر البؤس فى مصر « عبد الحميد الديب» وقد اشتهر من قصائده ، قصيدة « البرغوث » ، وقصيدة « المطعم البلدى » وهما من محفوظات المغاربة • يقول فى الجمعية الخيرية :

كيف المآل إذا تكون الحالُ
بالجوع تَقضِي نسوةٌ ورجال
هذا أبو الايتام خلفك سائلاً
وأبو اليتامى دأبه التسآل

ولوقال « ام الاتيام » لكان اصح من « ابو الايتام » ولكنه اسرع فقال :

آه لأرملة تقودُ صغارَها
والدمع من أجفانهم هطال
ظلت تطوف على الأكف بهم ، وما
أجداهم الإدبارُ والاقبال

وشاعر الحمراء وان لم يتناول شعره بالتجويد اللفظي ، فان فيضان العاطفة وشفافية الروح ورقة القلب التي عمرت بها هذه القصيدة ، كانت تصويرا لحالة صارخة في المجتمع حينذاك ، كما ان سلطان البديهة الفياضة والقريحة السخية كان يعجل هذا الشاعر عن ان يعود الى شعره بالتعديل ، ولعل بديهته في الشعر كانت امتدادا لبديهته في النكتة وسرعة الخاطر ، اذ كان في هذه الناحية مثل حافظ ابراهيم وعبد العزيز البشري واحمد نجيب الهلالي ، وله مساجلات في النكت الادبية مع فقيدة الفن ام كلثوم حينما زار مصر سنة ١٩٣٥ ٠

حنين القرويين الى مصر

وشعراء القرويين كان يطول حنينهم الى مصر ، وتعددت قصائدهم في هذا الحنين ٠

يقول شاعر الحمراء :

أحنُّ إلى مصر ، وما أنا من مصر
ولكن طيرَ القلب أعرفُ بالوكر
فلولا هواها عاصفٌ بحشاشتي
لما كنت في قُطر وأصبحت في قطر
لِيَ اللهُ ، يا مصر العزيزة عندما
أفارق مصراً ، تاركَ القلب في مصر

وللشاعر عبد الملك البلغيثي قصيدة عن مصر جاء فيها :

قومٌ بهم للدين أية نهضة
وبهم غدا لذوي الضلال صدودُ
قوم بهم يحيا السلامُ وأهله
وعليه تخفق بالفخار بنود

ويقول في رثاء الزعيم المصري «سعد زغلول» وهو يصور سطوته السياسية من قصيدة طويلة :

كنت الفصيح خطابُه ويراعُه
تَفْرِي الرءوس ، وما لديك حديد

والشاعر محمد المكي الناصري نظر الى الموضوع من زاوية اخرى اذ جاشت نفسه بأغنية جميلة يتغنى فيها بالمغرب، وهو في مصر، وقلبه في المغرب مقيم :

أنا في مصر ، وقلبي
ابدا ، ثَمَّ مقيمُ
أن يَهِمْ بالنيل قومٌ
فبوديانى أهيم
تلك أوطاني ، وهذا
وطن « المصرى » الكريمُ
كم يسليني صديقٌ
من بنى مصر حميم

الشعراء القرويون واللغة العربية

عاني شعراء القرويين مما يعاني منه الشعب المغربي من هجوم العجمة على اللغة العربية التي يقدسها ويعتبرها من صميم كيانه ٠ ولم تكن هذه العاطفة الذاتية لديهم الا تيارا متجدد الجريان ، ينتظم مشاعر الشعب عامة ، فقد لمست حنينهم الى اليوم الذي يعيدون فيه عروبة المغرب ، فالشعب هناك يريد التعريب القومي ، لا التعريب الاداري الذي لم يظفر منه الشعب هناك الا بالخيبة ، يقول الشاعر محمد المختار السوسي في اللغة العربية في قصيدة طويلة :

وأي لسان ارتضيه لنشرها
وألسننا صيغت من العجمات
تركنا بها كثْرا ثمينا ، فأقبلت
على غيْرِ الافكار مبتدرات

ويبدو تأثر هذا الشاعر بقصيدة حافظ ابراهيم الشهيرة في اللغة العربية ، وهي على نمطها في الغرض والوزن والقافية وصدق العاطفة ، ولكن قصيدة حافظ من الجوهر الصافي الرنان ، ويكفينا من الشاعر المغربي صدق العاطفة ٠

وهذا الصدى يتجاوب معه شعراء القرويين تجاوبا حقيقيا ، بل يتخذونه مذهبا يصدون به اندفاعات المتفرنسين ٠ نقرأ للشاعر محمد القري قصيدته « زفرة على اللغة العربية » وفيها يردد

انفاس حافظ ابراهيم أيضا :

هم خذلوك خذلان العـــــداة
وهم نبذوك نبـذا كالنـــواة

الشعراء القرويون والذود عن الحمى

اما صوت التحرير ، والتمرس بروح الكفاح ، والذود عن الحمى ، والغضبة المضرية ، وشكيمة الفروسية التى عرف بها المغاربة احفاد طارق بن زياد الصنهاجى الزناتى ، فقد حفل بها شعـر القرويين، سجلوا ذلك فى شعر التحرير والمقاومة، وفى حرب الريف ، وحرب الجزائر ، وفى المنفى السياسى الذى ابتلى بفريق منهم • يقول الحجوى فى قصيدته « اندفاعات » •

حرام على الحر الخضوعُ إلى الـرق
حرامٌ ، وأرض الله واسعة الطُّرْقِ
وأعظم آمال البـلاد رجالُهـا
وأصدقهم من قام يدعو إلى الوَفق
يقدس للاوطان كلَّ حقوقهـا
ويَفْدِى مناها بالتغرب والشنق

اما حرب الريف ، تلك المنطقة الشمالية من المغرب ، فقد كانت مسرحا لبطولة محمد بن عبد الكريم الخطابى فى ثورته على الاسبان ، وتوجيه ضربة قاصمة لهم سنة ١٩٢٥ وبخاصة معركـة « انوال » فقـد نال منهم حينذاك ما لم تستطع فرنسا ان تناله فى مواقعها البحرية معهم • هذه الحرب خلقت ابطالا تحدث عن كفاحهم شعـراء القرويين ، وان لم يرتفع الى مستوى المعركة منهم سوى الشاعر « ابو عبد الله محمد السليمانى » ولعل سر القوة التى تكمن فى قصيدة هذا الشاعر يرجع الى ان هذه الحرب جاءت امتدادا لنزعتـه التحررية ورسالته فى النضال الوطنى الذى افنى فيه زهـرة شبابه •

واتسعت نظرة القرويين الى معنى الوطن العربى الكبير فهتفوا بتحرير الجزائر كما هتفوا بتحرير المغرب ، يقول علال الفاسى :

بنى الجزائر هبوا من رُقاد كـــم
ولتستضيئوا بنور أزهرِ الشُّهُب

وكانت هـذه القصيدة قبـل ان تندلـع ثورة الجزائر على الفرنسيين « ثورة المليون شهيد »

شعر المنفى

وقد اصطلى شعراء القرويين بنيران العـدو المستعمر باعتبارهم من الرواد الاوائل للحركـة الاستقلالية • فظهر لهم ما يسمى « شعر المنفى » ولعل زعيمهم فى ذلك هو الشاعر محمد عـلال الفاسى فى قصائده من « الجابون » ، ومن شعر المنفى قصائد المختار السوسى من « الغ » ومـن «اغبالوا نكردوس» ، وقصائد عبد القادر حسن •

يقول علال الفاسى فى قصيدته « اطياف الربيع المغربى » وهو فى منفاه بالجابون سنة ١٩٣٨ :

أخلاى ، قد شطَّ المزارُ ، وإننى
بقيت بعيداً عنكـم متفـردا
اعيش غريبا في بلاد غريبـــة
على ، وما ابقى بها الدهر مسعـدا

وقد صهرت حياةالمنفى نفس علال الفاسى، فصدر عنه فى هذا الصدد ابلغ ما قالـه من الشعر ، حتى ليعتبر من معالم الادب المغربى الحديث • وفى المنفى يتوسل الشاعر عبد القـادر حسن بالرسول صلوات الله عليه فيقول من قصيدة :

ياسرَّ هذا الكون يانور الدجـــى
يا علـةَ الاضـمار والأظهـار
ارجو ، وأرجو ، لا حدود لمطلبى
وحماك أوسعُ ما يوْم السـارى

ولبعض الشعراء القرويين مجالات اخرى فى حب الحياة ، والاستمتاع بها كما يشاء الحى ان يحيا ، وهذا لا شك واد من اودية الشعراء حيث يهيمون•

هؤلاء هم شعراء القرويين ، رواد أوائل حملوا عصاهم السحرية على قدر طاقتهم ، فطرقوا بهـا الابواب التى فتحت للاجيـال الجديـدة مسارح الحركة الادبية • ■■

د • احمد عبد الرحمن عيسى
كلية اللغة العربية بالرياض

والمخطوطات في الجامعة العربية بالقاهرة وتقع في ١١٦ ورقة وانتهى من نسخها سنة ٧٢٥ هـ • والخط جيد والحروف غير منقوطة •

يقول السموال انه جمع في هذا الكتاب اصول صناعة الجبر والمقابلة وبرهن على ما لم يجد احدا برهن عليه ، وكمله باعمال مبتكرة واشكال مبتدعة غير ما كان في ايدى الناس من هذه الصناعة ، وعلل فيه ما زعم فيثاغورس انه ادركه بطريق الوحى ، وجاء به صفوا منزها من التمويهات والشوائب • ويقول لم نخلط كلامنا بكلام من تقدمنا ، وان كنا نسبنا الى اقدم من نقل ذلك عنه ، وقسمناه الى اربع مقالات : تنفرد كل واحدة منها بمعنى ، فمهدنا في المقالة الاولى الطريق الى التصرف في المجهولات بجميع الادوات الحسابية كما يتصرف الحاسب في المعلومات والتزمنا البراهين على جميع قضاياه ، وضمنّا المقالة الثانية من الاصول التى تنحل بها المسائل الجبرية ويستعان بها على اخراج المجهولات مما لا يخفى شرحه على من تقدمله الاطلاع على ما الف الناس في ذلك •

واستقصينا في المقالة الثالثة الكلام على حساب المقادير الصم ، والتصرف فيها بابواب الحساب حتى جعلنا المنطق والاصم عند متفهمها سيان، ثم ختمنا الكتاب بمقالة رابعة في تقاسيم المسائل، لنقف منها على نوعية كل مسالة ترد ، وما تصلح ان تسمى به ، ولا غناء لمتفهم عن علم عشر مقالات من كتاب الاصول لاقليدس •

يقول السموال ـ وقد اظهرت بعض كراريس هذا الكتاب عند فراغى من شطره، الرجل من مشايخ العلم والدين ، هو الامام ناصر الدين ابراهيم الباكوهى رحمه الله ، وكان من الراسخين في العلوم المعقولة والمنقولة فاستعظم امر الكتاب ، وذهب في الاعجاب به كل مذهب ، وسالني تفويض تسميته اليه ، فاجبته الى ذلك فسماه «الباهر» ، وعهد الى بصيانته لانه وجد قريحتي قد سمحت به على غرة الحداثة والسن تسعة عشر ، فبدات بمعاملته بوصيته ، واستدمت صيانته الى ان انتشر من تاليفاتى في هذه العلوم ما لا يتيسر لى احصاؤه كثرة • وكثر التشفع من الاخوان الى في ابرازه، وسرى من حبه قبل اخراجه ما يكفل اعزازه فاسعفت كرمهم عليه •

وتختص المقالة الاولى من الباهر في المقد[...] والضرب والقسمة والنسبة واستخراج الجذور و[...] خمسة ابواب الاول في مقدمات يحتاج اليها والثا[...] في الضرب وفيه فصلان الاول في ضرب العد[...] المفرد والثانى في ضرب العدد المركب والثا[...] في القسمة وفيه فصلان الاول في قسمة المقاد[...] المفردة والثانى في قسمة المقادير المركبة • والرا[...] في النسبة وفيه فصلان الاول في كيفية النسـ[...] والثانى في نسبة المقادير التى يعبر عنها ملفظ القسمة ، والخامس في الجذور الاول في استخرا[...] جذور الاعداد المعلومة الصورة المفردة ، والثان[...] في اخذ جذور الاعداد والمقادير المركبة المعلوم[...] الصورة كما تختص المقالة الثانية من الباهر في استخراج المجهولات وهى خمسة ابواب : الاول في ان صناعة الجبر والمقابلة جزء من صناعة التحليل والثانى في المسائل الست الجبرية ، ثلاث في المسائل المفردة الجبرية وثلاث اخرى في المسائل المقترنة والثالث في الاستقراء ، والرابع في براهين هندسية يستعان بها على استخراج المجهولات العددية والخامس في الباب الجامع المعروف بالخطائين فيما يعتقده قسطا بن لوقا في ذلك •

والمقالة الثالثة من الباهر في المقادير الصم وهى التى لا جذر لها وفيه جملتان الاولى في اربعة ابواب والثانية في ستة ابواب • ويختم المؤلف كتابه بالمقالة الرابعة وهى في تقسيم المسائل وهى في ثلاثة ابواب الاول في المسائل الواجبة والثانى في ذكر المسائل التى يقال لها الممكنة والثالث قول على المسائل الممتنعة •

وبعد : فهذا عرض موجز لكنه شامل لكتاب الباهر في الجبر ، وراينا ان نعرف المختصين به ، وان نشكر في الوقت نفسه القائمين على تحقيقه، كما نشكر وزارة التعليم العالى السورية التى قامت على نشره وان نعرف الاجيال الصاعدة بهذا التراث العلمى العربى ، وان نصحح بذلك تاريخنا العلمى ، حتى تعرف هذه الاجيال دور العلماء العرب في بناء النهضة العلمية العالمية ، والله ولى التوفيق •

■■

عبد الحليم منتصر
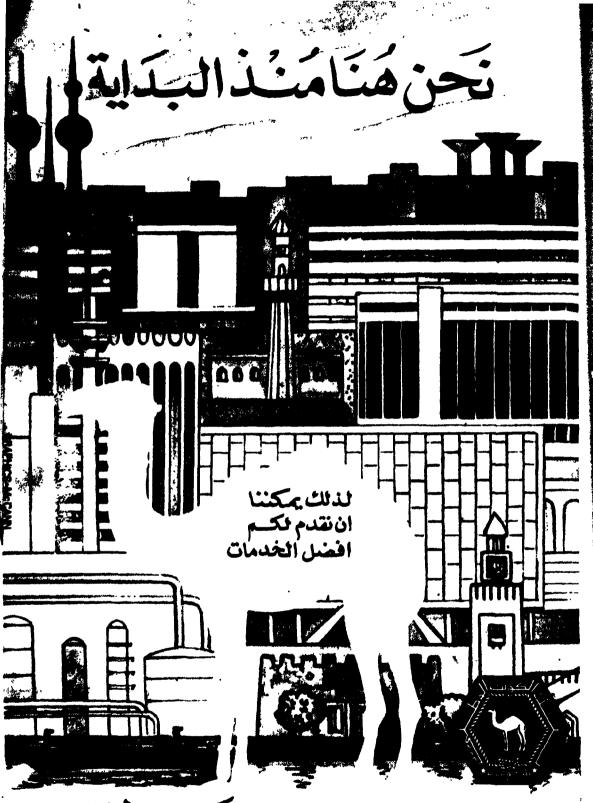
في عالمٍ متطوّر، تعرّف على بنك الكويت الوطني فتثق به

رحلة فنان عربي

ابو العينين..

بين الصحافة والمسرح والفن الشعبي

بقلم : راجي عنايت

■ اختار الاصعب .. لم يشأ ان يركن الى الاشكال التقليدية فى التعبير التى شب ليرى اساتذته وزملاءه يلتزمونها .. احس ان الاساليب التقليدية لم تعد تؤدى دورها المطلوب، وانه لا بد من الاعتماد على وسائل اتصال جديدة تحمل فنه الى جماهير اوسع .

كانت الصحافة من أول الميادين التى انطلق فيها ،ساعيا الى تحقيق الشكل الجميل الذى يصنع المادة فى اكمل صورها ، وآملا فى ان يرسخ فى وعى الجماهير ذوقا فنيا رفيعا . بذل جهدا فى ذلك الميدان لم يكن بالجهد الهين السهل ، بل جاء فى مواجهة استنكار من الوسط الصحفى الذى لم يكن يتصور علاقة بين الشكل والمضمون الصحفى وان مهمة تنسيق المجلة او الصحيفة من الامور الثانوية التى يمكن أن توكل الى عامل من عمال المطبعة . وعندما نجح فى مهمته، واصبح الاخراج الصحفى وظيفة معترفا بها ، تتفرغ لها هيئة كاملة فى كل مجلة وجريدة ، بدأ يتطلع من حوله الى مجال جديد للتحدى ... وكانت خطواته الرائدة فى مجال الديكور المسرحى ، منتزعا الحرفة من ايدى الاجانب الذين كانوا يحتكرونها، معطيا المثل على ما يحققه الفنان المصرى من اصالة فى هذا الميدان .

الا أن تفرده الحقيقى كان اساسا فى مجال

● شاقة ومرهقة رحلة الفنان المبدع فى عالمنـا العربى ٠ ومشكلته ليست فى معاناته الشخصية فقط ، ولكنها أيضا فى تلك الظروف التي تدفعه دائما لان يحـارب فى أكثر من جبهة ، ليشق طريقه ويثبت وجوده ٠ والفنان عبد الغنى أبو العينين واحد من هؤلاء الفنانين المحاربين ٠

الاهتمـام بالحـى والاكســوارات لا يقـل أهميـة عـن الرى الشعبى ذاته٠٠

الفن الشعبى ، وبخاصة مجـال تصـميم الازياء لرقصات فرق الفن الشعبى ٠ وهو منذ أن بدأ جهده فى ذلك المجـال ، صـمم عشرات الازياء المسرحية الشعبية ومازال حتي يومنا هذا يضيف كل عام جديدا على ما سبق أن قدمه ، فيحظى انتاجه باعجاب الجمهور والمختصين فى الداخل وفى جميع الدول الاوروبية والاسيوية والافريقية التى تزورها الفرقة القومية للفنون الشعبية ٠

وهو مع تصديه لهذه السلسـلة من التحديات تراه هادئا صامتا يسمع كثيرا ، وينطق القـل القليل ٠٠ انه الفنان عبد الغنى ابو العينين ٠٠ او ابو العينين كما يطلق عليه اصحابه وزملاؤه٠

الدجاج ٠٠ والبيانولا

ولد فى مستهل عام ١٩٢٩ لاب يعمـل مديرا للتفتيش بالمجالس الحســبية ، يستهلك عمله الرسمى أقل وقته ٠٠ ويمضى اغلب حياته متنقلا بين هواياته العديدة التى كان يلذ له أن يمارسها فى بيته الهادىء بحى مصر الجديدة الذى لم يكن على صورته الحالية من التعمير والازدحام التى نراه عليها اليوم ٠ تلك الهـوايات التى أثرت تأثيرا كبيرا على حياة فناننا ٠

وصبينا ما زال يذكر ساعات العذاب التى كان يعانيها كلما هم والده باجراء تجربة من تجارب

موكب شعبى قاهرى من أيام المماليك، ينطق بكل معالم هذه الحياة ، وتقاليدهـا التى ما زالت بصماتها باقية الى الان .

منظر ريفى من اعمال التصوير للفنان ابو العينين، تبدو فيه الطبيعة المصرية الفريدة فى معالمها ، والمتكررة فى ٤ آلاف قرية مصرية .

التصوير الفوتوغرافي ، فيجلسه جامدا على كرسي ، يحاول بآلة التصوير البدائية التي كانت لديه أن يحصل على افضل النتائج ·· وما زال يذكر ايضا فرحته التي تنسيه ساعات العذاب تلك ، عندما يقف مع والده في الحجرة الكاملة الاظلام الا من مصباح احمر ضعيف ، يرقب معالم الصورة وهي تتضح شيئا فشيئا داخل محلول الاظهار الكيميائي ··

كما يذكر صبينا الساعات الطويلة التي كان يقضيها مستمتعا وهو يراقب والده ، يعد ادوات كتابة الخط العربي ، وامشق الخطوط العربية بما فيها من نماذج جميلة ، استعدادا لكتابة لافتة فنية تتضمن حكمة من الحكم او آية قرآنية ·

وفي الساعات القليلة التي كان والده يذهب فيها الى عمله ، كان صبينا يمضي وقته في مراقبة الدجاج الذي تحتشد به « العشة » في ركن من اركان الحديقة الصغيرة التي تحيط « بالفيلا » الحجرية التي يسكنونها ·· وقد يفتر حماسه لمراقبة الدواجن فينطلق الى خارج « الفيلا » لاحقا بالفنان الشعبي الذي يحمل «البيانولا» على ظهره متخيرا انسب المواقع لتقديم عرضه ، حيث يتجمع الاطفال ، فينزل الالة المزوقة بالصور الاجنبية من فوق ظهره ويسندها على الحامل الذي لا يفارقه ثم يدير ذراع الالة لتنطلق الالحان الجميلة التي يصاحبها ايقاع دف تحمله ابنة الفنان ، وتتراقص به ، ثم تستخدمه بعد ذلك في جمع النقود من المشاهدين ·

وما ان ينفض السامر ،حتى يمضي صبينا باحثا عن دكان احد الحرفيين يتابع عمله بما فيه من مهارات تبدو كشيء من السحر في عين صبينا ·· نجار ·· او منجد ممن يعد الحشايا والوسائد ·· او سباك يصوغ الاوعية من رقائق الصفيح ·

هكذا مضت حياة الصبي عبد الغني حتى بلغ سن الدراسة فالتحق بمدرسة الزيتون الابتدائية التي كان يمضي اليها على قدميه ذهابا وايابا ·

التمرد على التصوير الفوتوغرافي

في المدرسة الابتدائية ، كانت احب المواد اليه، مادتي الرسم والاشغال اليدوية ، وكان هذا النشاط يستوعب ساعات الدرس كاملة ، ويمتد في كل اوقات فراغه بالمدرسة ، ثم يتصل بعد عودته الى البيت ·

وتابع والداه باعجاب نشاطه في تكبير صور الزعماء والقادة مستخدما اقلام الفحم الاسود ، ومعتمدا على نسخ المجلات المتراكمة في البيت والتي كان والده يحرص على شرائها وتجميعها·

وعندما انتقل الى المدرسة الثانوية كان من حسن طالعه ان مدرس الرسم في مدرسة مصر الجديدة الثانوية ، الفنان المزخرف الراحل محمد لبيب خريج مدرسة الفنون الجميلة العليا · وكان يقضي اغلب وقته في حجرة الرسم فتوطدت صداقته باستاذه ، وبدأ يتعرف على معالم الفن بشكل اكثر تحديدا ·· دراسة الفن وكيف تكون ·· جهد الفنان ·· انساط الفن ·· وصلاحيات الخلق الواسعة التي تتاح للفنان التشكيلي ·

هنا ·· تمرد في البيت على التصوير الفوتوغرافي ·· فلم يعد ذلك الصبي المطيع الذي يجلس على مدى الساعات امام عدسة والده ·بل ان تمرده اخذ شكلا اكثر جراة واحتجاجا ، فراح يرسم الشوارب والنظارات للصور الفوتوغرافية التي يعتز بها ابوه ، رغم ما يلقاه من عقوبة على مثل ذلك العمل ·

وفي المدرسة ، تفتح له مجال جديد مبهر ·· عالم المسرح ، ذلك العالم الذي بقي مؤثرا على خيال الفنان فارتبط به وانتج له عندما تهيأت الظروف المناسبة · اما في ذلك الوقت فقد كانت مشاركته بالتمثيل في الفرقة التي كان يدربها الاستاذ محمد يوسف والد الاذاعي الراحل عبدالوهاب يوسف صاحب الاعمال الاذاعية الناجحة· وبلغ من فرط حماس فتانا وحرصه على التجويد ان حظي باعجاب مدربه ، فكان يستعين به في اداء الادوار الصعبة بالمدارس الاخرى التي يشرف على تدريب فرقها التمثيلية ·

واخذت هواية التمثيل تستولي عليه ،مما دفعه الى تكوين فرقة تمثيلية وهو ما زال بعد طالبا في المدرسة الثانوية ··فرقة كاملة تقدم مسرحيات الفنان الراحل نجيب الريحاني على مسرح كازينو بمصر الجديدة ·

بين الزخرفة والسينما

وفي المساء بعد أن ينتهي من انجاز واجباته المدرسية كان الفتى ، يمضى الساعات الطوال مخرجا المجلات العديدة التي يحتفظ بها ابوه في (سحاحير) ضخمة ٠٠ مئات المجلات، يقلبها ويقرأ فيها ويتامل ما بها من صور ورسوم، وتشغلهطويلا العلاقات التي بين الكلام المطبوع وما يجاوره او يتخلله من خطوط وصور ورسوم ٠

ولكنه سرعان ما ينسى هذه الخواطر ، ويتوقف عن نشاطه المسرحي بكازينو مصر الجديدة ، عندما يلتحق بكلية الفنون الجميلة ،بتشجيع من استاذه محمد لبيب ٠ يتقدم الى امتحان القبول ضمن ٢٨٥ متقدم ، فينجح ٢٦ ، يكون هو من بينهم ٠

يمضى سنته الاعدادية بكلية الفنون الجميلة التي تسبق التخصصمبهورا بالوان التعبير المتباينة التي يدرسها، تارة يجرب التصوير وأخرى ينهمك في تجسيد تمثال من النحت وثالثة يغيب في لوحة زخرفية تاسره موسيقاها ٠٠ لا يكتفى بما يدور في مرسم السنة الاعدادية ، بل يروح يجوب باقى المراسم في اقسام التصوير والنحت والحفر والزخرفة والهندسة المعمارية ٠٠

وينتهي العام ،ويبدأ استعداده للامتحان بحماس شديد ، وفي يوم اختبار النحت ، وهو في الحافلة التي تنقله من مصر الجديدة الى وسط المدينة يقع حادث لهذه الحافلة فيصاب بجروح فيظهره وتتمزق ملابسه ، ويكون حزنه للتخلف عن الامتحان ، اقوى من آلامه التي يعاني منها ٠

وهكذا تضيع عليهفرصة اختبار النحت،ولا يظهر اسمه بين اسماء الناجحين ، الى أن يدخل الدور الثاني في مادة النحت رغم نجاحه بتفوق في المواد الاخرى ٠

ينسى فتانا هذه التجربة المريرة عندما يلتحق بالسنة الاولى من قسم الزخرفة بناء على تشجيع من استاذه بالمدرسة الثانوية الذي كان يرى ان موهبته الاولى تتضح في مجال الرسوم الزخرفية٠ وفي هذه السنة يلتقي بالاساتذة الذين كان يسمع عنهم من كبار الفنانين ٠٠ عبد السلام الشريف، مفيد جيد ، مظهر ، بيكار ، البابلي ، والحسين فوزي ٠

وكالعادة ، لا يحقق اشباعه الكامل بمجال واحد للتعبير ، فنراه يستغل فترات فراغه بالكلية ، ليتجه الى استديو مصر ، حيث يلتقي بصديق والده ، الاستاذ الفنان محمد خورشيد ، ليتابع مراحل انتاج فيلم « السبع افندي » وقد بهرته الديكورات الضخمة التي يقيمها العمال لتصوير المشاهد ، ثم يهدمونها فييوم لاحق لبناء الديكورات الجديدة ٠٠ ينتهز فرصة انشغال العمال ويروح يتامل التصميمات التي وضعها فنان الديكور ، معجبا بالطريقة التي تتحول بها هذه التصميمات الى انشاءات ضخمة عالية ٠

ولا يقتصر بقاؤه في الاستديو على اوقاتتشييد الديكور ، بل تدفعه هواية التمثيل القديمة الى حضور أيام التصوير متابعا ما يجرى من حوله ، شادية وقد اخذ الماكيير يضع لمساته على وجهها بين اللقطات ،الفنان الراحل سعيد ابو بكر وهو يطلق نكاته فيضحك لها الجميع ٠ وذات يوم ، يصور المخرج مشهدا لبائع العقاقير الشعبية في الريف ، وكان قد اختير لهذا الدور شاب من خريجي معهد التمثيل ٠ وحاول المخرج أن يحصل من الشاب على الاداء المطلوب دون جدوى ، فاستغنى عنه وصرفه٠

واخذ المخرج يتطلع حوله ، فرأى فتانا يرقب ما يجرى في فضول ، فطلب منه ان يتقدم لاداء هذا الدور ٠٠ وبلا تفكير اندفع يؤدى الدور بنجاح شهد به كل من حضر تصوير هذه اللقطة ٠

على أبواب الوعي

غير ان السينما والاستديوهات ، كانت نزوة من نزوات الشباب ، لم يكتب لها ان تستمر ٠ ففي ذلك الوقت ، عام ١٩٤٨ بدأت حرب فلسطين ، فاثارت اهتماما سياسيا لديه ولدى زملائه في الكلية ، واصبحت متابعة الصحف لمعرفة ما يجرى في انحاء العالم ضمن اهتماماتهم ٠ وقام ابو العينين بتصميم ملصق حائطي تحت شعار « ارض العرب للعرب » ، لقى اهتماما شديدا ، وقامت الكلية بطبعه وتعميمه ٠ وكانت لهذه التجربة اهمية خاصة اثرت على مستقبل الفنان ، اكدت له اهمية الوعي السياسي والاجتماعي لدى الفنان ، واظهرت له اهمية البحث عن وسائل اخرى غير اللوحة والتمثال يعتمد عليها الفنان في الوصول

رقصة « الدحية » ازياء شعبية من تصميم ابو العينين .

التصميم الاصلى لزى شعبى ـ رقصة من رقصات الفرقة القومية للفنون الشعبية .

رقصة « النزاوى » صمم ازياءها أبو العينين ايضا .

تصميم لديكور وازياء فصل « زينة النساء » من مسرحية حلاق بغداد لالفريد فرج .

جماهير اوسع وتكون قادرة على تعميق الذوق لدى هذه الجماهير .

واذا كان الاستديو السينمائى قد فقد بريقه عند فناننا ، فانه لم يفقد اهتمامه بالعمل المسرحى ، او يفقد متعته بالوقوف على تلك الخشبة امام الجماهير المرتقبة . فالى جانب الدراسة التى كان يجتازها بتفوق ونجاح ملموس،كان ينظم الحفلات ويشارك فى التمثيليات ويقدم المنوعات التى كانت تحظى باقبال الاساتذة قبل الطلبة .

وخلال سنوات الدراسة ، بدات صلته الاولى بالصحافة كمحترف ،فانضم الى جريدة النداء يرسم اعلاناتها ، ويشارك فى نفس الوقت زملاءه فى اصدار الاعداد الاولى من مجلة الغد .

وعندما ينهىدراسته بكلية الفنون الجميلة بتفوق تعرض عليه الكلية العمل كمعيد بها ، فيعتذر ، خاصة وان البعثات الخارجية التى كان يتيحها ذلك المنصب . توقفت فى ذلك الحين . لم يكن يستهويه العمل المحدود بين حوائط الكلية ، كان يريد أن يصلبفنه الى اوسع الجماهير لا أن يقصر نشاطه على عدد محدود من الطلبة والاساتذة .

عندما يتحقق الهدف

بدات حياته العملية كرسام بالمتحف الزراعى ، كنها لم تتصل لاكثر من شهرين،حيث تم تعيينه مدرسا بمدرسة مصر الجديدة النموذجية ، ورغم نجاحه فى ذلك العمل ، ورغم ان اللوحات العديدة الفخمة التى انجزها التلاميذ باشرافه ما زالت تشغل حوائط المدرسة ، فقد كان متاكدا من ان طريق حياته لا يمر فى هذا الاتجاه . وكان العزاء الوحيد فى تلك الفترة هو عمله كمسئول عن اخراج الصفحة الاجتماعية بجريدة المصرى . ثم اسفاره الى فينيسيا بايطاليا لحضور معرض البينالى العالمى .

وتحل اللحظةالحاسمة عندما تنقلهوزارة التربية والتعليم الى مدرسة الرمل الثانوية بالاسكندرية، فيقدم استقالته ، ويحترف العمل سكرتيرا لتحرير مجلة روز اليوسف ..

فى روز اليوسف ،تطول اقامة ابو العينين وتمتد حتى عام ١٩٦٢ ، فقد وجد اخيرا العمل الذى يحقق اهدافه القديمة ، والذى يستطيع عن طريقه ان يصل بفنه الى جمهور واسع.كانت روزاليوسف بالنسبة لابى العينين حياة كاملة ، تستوعب ساعات نهاره وليله ، ومن خلال روز اليوسف استطاع ابو العينين ان يحدث تغييرا جذريا فى الصحافة المصرية استطاع انيخرج روز اليوسففى ثوب جميل، وان يرسى بين الصحف والمجلات قواعد الاهتمام بالشكل الصحفى . الشكل الجميل الذى يكون فىخدمة المادة الصحفية . يؤكد طبيعتها ويسهل على القارئ متابعتها . واستطاع ابو العينين الى جانب ذلك، بحكم وظيفته ، ان يخلق داخل المجلة جوا اسريا يتحمس لعمله الذىبدأ يكسب حماس العاملين بها.

ولم يقتصر ابو العينين فى مهمة ترقية الذوق العام للجمهور على جهده فى اخراج روز اليوسف، بل اخذ يحرر باب « نصف حياتك فى المنزل »بمجلة صباح الخير التى تصدر عن الدار ، ساعيا الى تقديم افكار عملية لتجميل البيت المصرى .

وعندما اتت جهود ابو العينين ثمارها، ليسفقط فى روز اليوسف ، ولكن فى معظم الجرائد والمجلات المصرية ، فاصبح الاهتمام بالشكل الصحفى واخراج الصحيفة من المهام الاساسية التى يتخصص فيها اكثر من فنان ، عندما حدث ذلك ، بدأ يتطلع من حوله لتحقيق ذاته فى مجالات فنية اخرى .

فى عالم المسرح

كان الديكور المسرحى فى ذلك الوقت احتكارا فى يد مجموعة من الاجانب وبخاصة الايطاليين . وعندما اتيحت له فرصة المشاركة فى هذا الميدان، اثبت ابو العينين قدرة الفنان المصرى وتميزه بالاحساس المحلى الذى قد لايتوفر للفنان الاجنبى. فقام بتصميم ديكورات مسرحية « قهوة الملوك » للطفى الخولى ، ومسرحية « سيما اونطه » لنعمان عاشور ، ففتح بذلك بابا واسعا للفنانين المصريين فى هذا المجال .

وعندما عرض عليهبعد ذلك العملكمدير لمركز الفنون الشعبية التابع لوزارة الثقافة ، تردد ابو العينين طويلا .. فلم يكن من السهل عليه أن يهجر حياة الصحافة التى عاشها لفترة طويلة . ومن ناحية اخرى كان الفن الشعبى بقيمه الزخرفية

الاصيلة يستهويه ، وعمله كمدير لمركز الفنون الشعبية ، الذى يقوم بجمع وتصنيف ودراسة الفنون الشعبية ، سيتيح له ان يعيش فى عالم يهواه ..

ينتهى به الامر الى قبول المنصب ، ويشجعه على هذا القرار ، تكوين الفرقة القومية للفنون الشعبية فى ذلك الحين ، واسناد مهمة تصميم ازياء الرقصات الشعبية اليه • وقد تحمس لهذه المهمة الاخيرة اكثر من حماسه لوظيفته الاصلية ، حيث انها كانت تجمع بين اهتمامه بالفن الشعبى المصرى وبين هوايته القديمة للمسرح •

وهكذا مضى ابو العينين يصمم الازياء الخاصة بفرقة الفنون الشعبية عاما بعد عام ، ونجح فى ان ينتزع اعجاب الجماهير التى كانت تتزاحم على عروض الفرقة بالداخل والخارج ، واستطاع ان يصنع من الزى الشعبى بطلا يصفق له الجمهور•

وعندما يستقيل ابو العينين من عمله كمدير لمركز الفنون الشعبية ، راجعا الى ميدانه القديم، ميدان الصحافة ، ليعمل كمستشار فنى لدار التحرير التى تصدر جريدة الجمهورية وجريدة المساء بالاضافة الى عدد من المطبوعات الدورية الاخرى ،عندما يحدث هذا ،تبقى صلة ابو العينين بالفرقة القومية للفنون الشعبية ، فما زال حتى يومنا هذا يصمم ازياء الرقصات الشعبية لكل برنامج جديد •

ولعل سر نجاح الفنان ابو العينين فى هذا المجال ، يرجع بالاضافة الى موهبته ، الى فهم باصول هذه الحرفة ، لذا نراه لا يكتفى بوضع التصميمات ، بل يشرف بنفسه على التنفيذ ، حتى يضمن أن تظهر الازياء على المسرح متفقة لرؤيته الفنية ، ومن ناحية اخرى ، حتى يضمن ان تتوفر فى الزى الشعبى المسرحى الاشتراطات الضرورية التى تخدم ظروف العمل المسرحى وتسهل على الراقص اداء حركاته ، وتناسب ظروف الاضاءة الصناعية التى يظهر فيها الزى ، وقبل هذا وذاك ان يحتفظ الزى بعد تطويره بالروح الاساسية للزى الاصلى •

هكذا تمضى حياة الفنان عبد الغنى ابو العينين لتشبع ارهاصات الطفولة كلها ، فتصبح حياته مزيجا من مجموعات المجلات التى كان والده يحتفظ بها فى صناديقه الضخمة ، ومن لوحات الفحم للشخصيات العالمية ، ومن عرض عازف البيانولا الشعبى ، ومن مهارات الحرفيين الذين كان يمر على محالهم يتامل مراحل عملهم ، ومن حياة المسرح التى عاشها فى كازينو مصر الجديدة •

■■

راجى عنايت

■ لا يحسن الناس يوما أجر سادتهم
وانما يحسنون الاجر للخدم

(عباس محمود العقاد)

■ لا يغرنك المرتقى السهل ، اذا كان المنحدر وعرا •

(قاسم امين)

■ قد افعل الشيء لا ابغى به أملا ولا ابالى الورى ماذا يقولونا
همى ضميرى،فان ارضيته فعلى رأى العباد سلام المستخضينا

(ابراهيم عبد القادر المازنى)

■ شر ما يبتلى به الشبان تربيتهم على الفخر ، وخير من ذلك تربيتهم على الادب ، وتعويدهم على فعل ما يليق •

(زينون الرواقى)

هاي فاي فيليبس
معه تحيا الموسيقى في كل وقت

مع فيليبس يمكنك اليوم الاستماع الى موسيقى عذبة صافية بأنغامها العالية والخافتة واضحة كل الوضوح وكأنك أمام الفرقة الموسيقية. ذلك بفضل مكبرات للصوت هاي فاي الجديدة والفريدة التي تصحح نفسها بنفسها الكترونيا وتستمر باعطائك ذات النقاوة للحن الذي يستهويك سماعه. هذا الاختراع الجديد يدعى «موشينال فيدباك» وهو أساس لمجموعة فيليبس [illegible]

هذه، للحصول على الكمال في موسيقى الستيريو أو الكوادروفونيك. إنها نتيجة خبرة عالمية واسعة وجهود جبارة متواصلة. إنك تحصل دائما مع فيليبس على التقنية المتقدمة التي تستحق كل ثقة وعلى الخدمة الممتازة بعد البيع لكل قطعة من أجهزة ومعدات فيليبس مهما كانت.

أطلب من وكيل فيليبس المعتمد تجربة مجانية فهي أكبر برهان.

فيليبس الأفضل لكم دوما

دلائل قاطعة على ارتباطنا الوثيق بالعالم العربي

في قلب كل مركز من المراكز الهامة بالشرق الأوسط تدلّ
اللافتة التي يعرضها بائع جنرال موتورز في
واجهته على التزام مؤسسة جنرال موتورز القاطع والطويل
الأجل، بتزويد السيارات الجديدة الرائعة التي تنتجها كل عام
إن هذه الثقة المحلية في منتجات شركة واحدة، وفي إبداعها الهندسي المتقدم
الأنيق، وفي الخدمات ووفرة قطع الغيار التي تقدمها للزبائن
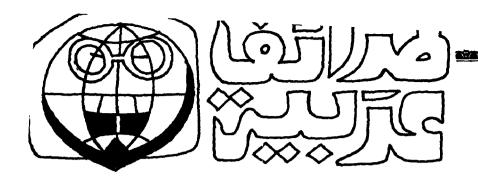
المنصور ونديمه أبو دلامة

● دخل الشاعر أبو دلامة على الخليفة العباسى المنصور، وكان أبو دلامة قد وضـ بين اصبعيه خرقة بيضاء ، فقال له المنصور : « ما خبرك يا أبا دلامة ؟ فقال : « ولدت لى البارحة صبية ، وقدقلت فيها ·

فما ولدتك مريم أم عيسى ولم يكفلك لقمان الحكيم
ولكن قد ولدت لأم سوء يقوم بأمرها بعل لئيم »

فضحك المنصور وقال : « والان ماتريد ، يا أبا دلامة ؟ » قال : « ملء هذه الخرقة دنانير ودراهم أستعين بها على تربيتها » · فقال المنصور : « املئوها دراهم » ففتحوها فاذا هى رداء رقيق كبير ، فلما ملئوه استوعب نحو عشرة آلاف درهم ·

سنن عبد المطلب

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان عبد المطلب سن فى الجاهلية خمس سنن أجراها الله له فى الاسلام : حرم نساء الآباء على الابناء ، فأنزل الله قوله « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » ووجد كنزا فأخرج منه الخمس، وتصدق به فأنزل الله قوله « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فان لله خمسه ·· الاية» ولما حفر زمزم سماها سقاية الحاج، فأنزل الله قوله « أجعلتم سقاية الحاج ، وعمارة المسجد الحرام ، كمن آمن بالله واليوم الاخر ؟ ·· الاية » وسن فى القتل مائة من الابل فأجرى الله عز وجل ذلك فى الاسلام ، ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسن فيهم عبد المطلب سبعة أشواط· فأجرى ذلك فى الاسلام ·

لم أمر بجهنم

● قال البحترى : كنت عند المتوكل يوما وكان بين يديه «عبادة» المضحك ، فامر به فالقى فى بعض البرك ايام الشتاء ، فابتل وكاد يموت بردا ، ثم اخرج من البركة ، وامر بكسوته ، وجعل فى ناحية من المجلس فقال المتوكل : « يا عبادة كيف انت ؟ » قال : « يا امير المؤمنين جئت من الاخرة » · فقال له : « كيف تركت اخى الواثق ؟ » قال : « لم امر بجهنم » ، فضحك المتوكل وامر له بصلة ·

لا تفلح أبدا

● قال رجل يوما للجماز الشاعر: « يا أبا عبد الله ، انا رجل جامد العين ، فلو مات ابى او اصيبت اسرتي بكاملها بنكبة ، ما بكيت ابدا، ولكنني اذا سمعت الصوت الفريح من الوجه المليح بكيت حتى يغمى علي ، فعلام يدل هذا ؟ » فقال : يدل على انك لا تفلح ابدا .

أقوى الناس

● مر رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوم يتسابقون في رفع حجر كبير فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : « نعرف بذلك أشدنا وأقوانا » . فقال صلى الله عليه وسلم : « الا أخبركم بأشدكم وأقواكم » . قالوا : « بلى يا رسول الله » . قال : « أشدكم وأقواكم الذى اذا رضى لم يدخله رضاه في اثم ولا باطل، واذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحق، واذا قدر لم يتعاط ما ليس بحق» .

عقاب الوالى

● حين كان أبو موسى الاشعرى ـ رضى الله عنه ـ واليا على الكوفة ، غضب على أحد السوقة من رعيته ، فجلده عشرين سوطا ، وحلق رأسه، فشكا الرجل الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة فقال عمر : « لان يكون الناس كلهم على صراحة هذا الرجل أحب الى من جميع ما أفاء الله على . » وكتب الى ابى موسى الاشعرى : « سلام عليك ،أما بعد ، فان فلانا أخبرنى بما كان منك فان كنت فعلت ذلك فى ملأ من الناس فأقعد له فى ملأ من الناس حتى يقتص منك ، وان كنت فعلت ذلك فى خلاء من الناس فأقعد له فى خلاء من الناس حتى يقتص منك » .

فلما قدم الرجل على أبى موسى قال له الناس : « أعف عن الامير . » فقال الرجل : « لا والله ، لا أدعه لاحد من الناس » فقعد أبو موسى كما قال عمر ، ليقتص منه الرجل ، فرفع رأسه الى السماء وقال : « اللهم اشهد انى قد عفوت عنه » .

أجرة الخليفة

● حينما ولى عمر بن الخطاب الخلافة استشار الصحابة رضى الله عنهم فى أجر عمله ، فقال له على بن أبى طالب : « لك غداء وعشاء » فأخذ عمر بذلك وعندما سئل عن حقه فى بيت المال قال : « ما أصلحنى وأصلح عيالى بالمعروف » . ففرضوا له حلة للشتاء وحلة للصيف .وراحلة للحج والعمرة ، ودابة يقضى بها حوائجه ويستخدمها فى جهاده .

ولما علم عمر يوما أن غلامه سقاه لبن ناقة من مال المسلمين الذى هو مال الله سبحانه وتعالى انزعج كثيرا وقال له :ويحك لقد سقيتنى نارا .
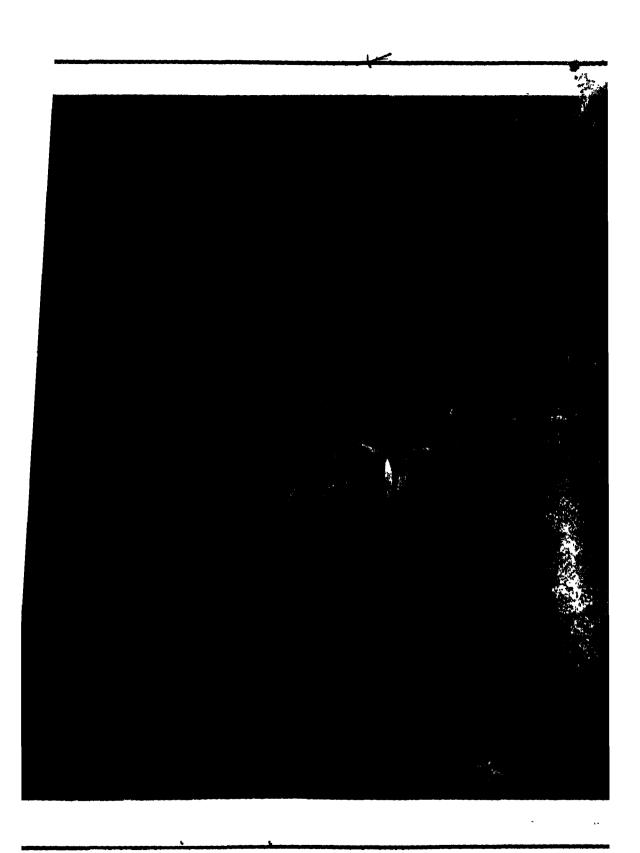
عائلة مهرج السيرك "لبيكاسو"

رسمها عام ١٩٠٥

■ « بابلوبيكاسو » الذى ولد عام ١٨٨١ وتوفى عام ١٩٧٣ ، هو ابن الرسام الاسبانى المغمور « دون جوزيه رويز » الذى كان مدرسا للرسم ٠٠ وكان الأب يرسم لوحات لأوانى الزهور والحيوانات الاليفة والفاكهة لكي يبيعها ويكمل بثمنها ما يفى بحاجات اسرته ٠٠ وكان بيكاسو يقول عن لوحات ابيه : « انها تصلح تماما لتزين حجرة الطعام٠ »

وعندما ظهرت مواهب بيكاسو وهو دون العاشرة من العمر اهتم به ابوه ، وراح يغريه بالرسم ويعلمه القواعد المدرسية والاكاديمية فى الفن لكى يبيع لوحات ابنه ويرفع بثمنها دخل الأسرة ٠

فى البداية اهتم الفنان الطفل بالطيور والحيوانات الاليفة ، وكانت عبقريته مبكرة ، وعندما بلغ الثالثة عشرة عشق مصارعة الثيران التى اشتهرت بها اسبانيا ، وكان اول رسم نفذه الفنان بفن الحفر « جرافيك » وقام بطبعه بنفسه يصور احد مشاهد مصارعة الثيران ٠٠ ولم يفطن الفنان الصغير الى ما تحدثه الطباعة من قلب للصورة ،فظهر المصارع وهويقاتل الثور بيسراه٠٠ فسماها بيكاسو لوحة « المصارع الاشول » ٠

كانت رسوم بيكاسو عن هذه الرياضة الاسبانية تجد رواجا شديدا ، فكان يقول ساخرا : « الناس يتصورون اننى ارسم هذه اللوحات بعد مشاهدتى حفل مصارعة الثيران ٠٠ والواقع اننى اقوم برسمها قبل الحفل لاشترى تذكرة الدخول ٠٠ »

وقد سافر بيكاسو لباريس واستقر بها عام ١٩٠٤ وعاش فى حى الفنانين « مونمارتر » ،وظهر حبه لحياة السيرك والحيوانات الاليفة من ذلك التاريخ ، فكان مرسمهفى« مونمارتر » يضم الكثير من الطيور الأليفة والملونة والقطط والكلاب والحيوانات المحنطة والجماجم والهياكل العظمية وكانه متحف للحيوان ، وكان يقول لاصدقائه : « كم اتمنى ان تكون عندى معزة حقيقية ونمر حى ٠٠ »

وذات صباح اكتشف بيكاسو ان سيرك « ميدرانو » قد نصب خيمته الكبيرة بالقرب من مرسمه ٠٠ فصار يذهب اليه كل يوم سواء فى ساعات العرض او فى خلال اوقات الراحة ، ليرسم الحيوانات والمدربين ولاعبى السيرك والمهرجين خلال تدريباتهم ، وكانت نتيجة هذا النشاطمجموعة شهيرة جدا من اللوحات التى لا تقل اهمية وشهرة عن اللوحات لتى رسمها الفنان الفرنسى « ديجا » عن راقصات الباليه خلال تدريباتهم والتى تسجل حركاتهم خلف الكواليس ٠

ولقد كانت شخصية « مهرج السيرك » اكثر الشخصيات التى انجذب اليها بيكاسو ، ورسمها عشرات المرات وفى مختلف الاوضاع والهيئات بما فى ذلك لوحة « عائلة مهرج السيرك » التى تصور رحيل العائلة خلال تنقل السيرك من مكان الى آخر ٠٠ وهنا يركز على الجانب الانسانى فى حياة المهرج الذى يسعد الاطفال والكبار ويقوم بدور هام عند ظهوره بين فقرات العرض فى حلبة السيرك مقلدا اللاعبين وناثرا البسمات والضحكات طوال فترة ظهوره ، مهما كانت التعقيدات والاحزان التى تثقل كاهله خارج حلبة العرض ٠ وقد قال عنه بيكاسو : « اننى لم اجد شخصية اكثر انسانية وفى نفس الوقت يطعن فيها الانسان مثل مهرج السيرك ٠٠ انه الشخص الذى تتجمع فيه بمعجزة اقسى المتناقضات » ٠

وقد بلغ تاثير شخصية مهرج السيرك على بيكاسو الى حد انه عندما ولدت زوجته « جاكلين » ابنه منها واراد ان يرسمه عندما بلغ الثالثة من العمر ، رسم بيكاسو ابنه فى ملابس مهرج السيرك بصورة طبيعية ليس فيها اى تحوير او تشويه،فلما سالوه عن سبب اتباعه هذا الاسلوب الذى كان قد هجره منذ زمن طويل ، أجاب : « انه ابنى ، وليس هناك من يستطيع ان يشوه ابنه بيديه ٠ » ■■

صبحى الشارونى

طرائف أجنبية
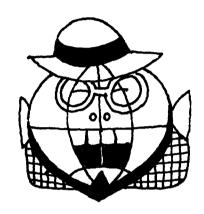
٠٠ بلا قلب !

● بيير كاردان الرجل الذى يتحكم فى ملابس المرأة وازيائها ويحرك باصابعه اكبر امبراطورية لتصميم ملابس النساء ، فى مبنى ضخم بشارع فوبورج سان اونوريه فى باريس ٠٠ عرف الحرمان فى طفولته عندما اضطر ابواه تحت وطأة الفقر الى النزوح من فينيسيا مسقط رأسه الى العاصمة الفرنسية بحثا عن العيش والرزق!

سألوه : « متى بدأ ولعك بتصميم ازياء النساء ؟

وروى كاردان الذى يعيش اليوم فى شقة انيقة تطل على نهر السين فى قلب باريس ، قصة هذه الهواية التى جعلت منه واحدا من اشهر الرجال فى العالم عند المرأة على الاقل ، قال :

لقد وصل شومان (١٨١٠ - ١٨٥٦) ، الى القمة عندما ا[illegible] واحدا من اشهر عازفى البيانو عصره ، ولكن الاصابع التى طالما ا[illegible] مشاعر الناس وجعلت قلوبهم تخ[illegible] بالحب ، ما لبثت أن احترقت ، و[illegible] شومان البيانو ، ولكنه لم يهجر الموسيقى !

قال عن هذه الفترة الحزينة [illegible] حياته القصيرة : « حاولت أن ا[illegible] وامضى فى الكتابة والتأليف ، و[illegible] اصابعى كانت تؤلمنى ، فلما عجـ[illegible] ٠٠ وقفت وراء الابواب اسـتـ[illegible] بالانغام العذبة ٠٠ ولكننى لم [illegible] على حبس دموعى فبكيت عندما سمـ[illegible]

« كنت فى الثامنة من عمرى عند[illegible] كنت اذهب الى المدرسة مع بنت الجير[illegible] التى كانت تصغرنى بعامين ، وكا[illegible] صديقتى الصغيرة لا تفترق لحظـ[illegible] واحدة عن « عروستها » التى اهد[illegible] اليها امها ! ٠

« وفى احد الايام سقطت العرو[illegible] فى الوحل واتسخ فستانها الجميل وجلست صديقتى على الرصيف تبكى وعدت الى بيتى مسرعا ، وفتحـ[illegible] دولاب ملابس امى واخذت احـ[illegible] فساتينها القديمة ، وحملت معى مقـ[illegible] وخيطا وابرة صغيرة ٠٠ وعلى الرصي[illegible] الذى كانت صديقتى ما زالت تجلس فوقه تبكى رحت اصنع لعروستها او[illegible] فستان ٠٠ لقد صممته وحكته بيدى [illegible] وانقضت سنوات طويلة قبل ا[illegible]

مـــع الألم !

يعزفون موسيقاى ! »

لقد اصيب شومان المسكين بانهيار عصبى وحاول أن يضع نهاية لحياته ولكنهم اسعفوه ولم يمت !

وعندما عاده الطبيب فى اليــوم التـــالى ، كان المســكين قد اصيب بالجنون ، وفى مستشفى الامـــراض العقلية التى شـــهدت نهاية حياته القصيرة بعد عامين فقط من محاولة انتحاره ، مر شومان بلحظات تأمــل فى الحياة وصل فيها الى القمة ·· ولكنها كانت لحظات قصيرة لم تتسع لاكثر من ترديد بضع كلمات نقلوها عنه وما زالت تعيش مع موسيقاه حتى اليوم قال : « عظيم هذا الانسان فى عمله وخلقه وابتكاره ·· ولكن إعظم منه هو الانسان الذى يعرف أن ساعته قد اقتربت ، فيجلس فى هدوء ينتظر لحظة الرحيل ! »

ورحل شومان عن عمر قصير لم يدم لاكثر من ستة واربعين عاما !

يتلقى كاردان دعوة من الكاتب الفرنسى الكبير جان كوكتــو لتصــميم ملابس الممثلات اللواتى سيظهرن فى قصته « الجمال والوحش » Beauty and the Beast ، التــى كـــان يجـــرى تصويرها للسينما فى عام ١٩٤٦ بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة !

انه ما زال حتــى اليــوم يحتفظ « بعروسة « صديقته الصغيــرة» اما صاحبتها ، فقد اختفت من حياتــه عندما علمت انه ليس لها مكان فــى قلبه وانه قرر ان يعيش حياته اعزب بلا زواج ، وهو اليوم فى الرابعــة والخمسين من عمره !

ان اسعد لحظات حياته هى تلك التى يقضيها مع تصميم جديد للمراة التى لم تستطع ان تقتحم حياته ابدا !

القناع

وطبيعة الانسان !

● جراهام جرين المؤلف القصصى والكاتب المسرحى المعـــروف ، كرس قلمه وفكره لتصوير الصراع بين الخير والشر ، وكان يؤمن بأن وجوه الناس ·· كل الناس ، ليست ســوى اقنعة زائفة تخفى وراءها حقيقة نفوسهم ! ثم يقول جرين :« نحن جميعا ممثلون ·· والحياة من حولنا مسرح كبير ، ولا يستطيع المرء أن يقف على خشبة هذا المسرح ، ويمشى عليهــا ويختلط بالممثلين ويواجـــه الجمهور ، الا اذا تقمص شخصية جديدة كل يوم وكل ساعة بحيث تناسب الظروف والمــكان والزمان التى يجد نفسه يعيش فيها !

ويقول جــرين : « ان اى تصرف يصدر عنا فى المجتمعات التى ننتمى اليها ، هو تصرف أبعد ما يكون عن طبيعتنا كبشر! لاننا اذا تركنا انفسنا على الطبيعة لفعلنـــا بالضبط نفس الشىء الذى يفعله الحيوان او الطفــل الصغير الذى ينطلق بسرعة ليخطف اى شىء ، وكل شىء تشـــتهيه نفســه ! فالطبيعة هى غضب وصراخ اذا سبقنا غيرنا الى شىء كنا نتوق لامتلاكه ، ورضا وارتياح لكل محاولة تصل بنا الى اى شىء نرغب فيه ونحلم به !

« هكذا تعلم الانسان كيف يدرب نفسه على التصرف بهذا الاسلوب الذى يناقض طبيعته ، حتى يســتطيع أن ينتمى الى « المجتمع الانسانى » ·· ولعل هذا هو الذى يميزه عن الحيوان ··وعن الطفل الصغير الذى لم يتدرب ولم يتعلم بعد ! »

قصة

قصيرة

البديل

بقلم ربيع ديب

■ منذ رآها لاول مرة وهو يتساءل ما الذي يجذبه اليها بالذات ٠٠ فقد اقتحمت حياته دون اية مفاجأة٠٠ومنذ اللحظة الاولى ادرك ان قاسما مشتركا حتى قبل ان يكتشف ذلك فعلا ـ يجمع بينهما ٠٠ ولذلك مضى اللقاء الاول ، منذ شهر ، وكأنه يلتقيها للمرة الالف : الوجه الصغير يكاد ان يكون مألوفا لديه ، واليد القلقة وهي تقبض بعصبية على المنديل ، وحبيبات العرق على الانف الصغير٠٠ كل ذلك يكاد ان يكون مألوفا ، وهو احس باستمرار ان حدثا ما سيحدث ٠٠ حدثا لابد على اية حال ان يحمل اليه نوعا من التورط والالم ٠٠ وفي كل يوم ـ خصوصا حين يلتقي بها ـ كان يشعر ان سدين قد ارتفعا : سد بينه وبينها ، وسد بينه وبين زوجته ٠٠ ولكنه اندفع في التجربة كالمحموم لا يستطيع دفعا لهذيانه ٠

كان الوجه مألوفا الى درجة لا تصدق ٠٠ وحين التقاها اليوم في السيارة بدت له وكأنها لاصقة باحشائه من الداخل ٠٠ والسيارة بانسيابها المتحشرج فوق الاسفلت طغت على خفقان القلب والصوت الواهن الحذر ، وهي الى جانبه تكاد تلتصق به ٠٠ وخلال الدقائق التي تلت تخلى دون ارادة منه عن العادة التي لازمته طيلة السنوات الثلاثين ٠ متابعة المرئيات بعينيه وهي تندفع الى الخلف وكأنها تنفلت من نوافذ السيارة ٠ وفي الطريق الى قلب المدينة جرى الحديث عاديا وعائليا وفي عينيها كان يقرأ الحيرة والالم وكأنها تترجم مشاعره٠٠ وحين لفظتهما السيارة على احد ارصفة المدينة فوجىء بنفسه يدعوها الى فنجان قهوة وبها تقبل الدعوة دون تردد ٠

اندفع امامها يرتقي السلم اللولبي الى الطابق العلوي من الكافتيريا ٠ ومع انه لم يجرب احساس الفارس فوق الجواد ، فقد خيل اليه انه يرتقي الدرجات على صهوة جواد ٠٠ كان مزهوا وسعيدا وقلقا٠٠اجتاز الرواق واهتدى الى طاولة بين انظار الفضوليين المنتشرين في الكافتيريا٠٠وهي استقرت قبالته وبدت عليها امارات التجلد ومغالبة الانفعال ٠٠ كانت تحاول ان توحي بالهدوء ٠٠وران الصمت لحظات ظنها ستطول، وراح يبحث عن مدخل للحديث كمراهق قليل التجارب ٠٠ وحين امتد الصمت داهمه الشعور بانه يسرق وبانه جبان ٠٠ يسرق لحظات سعادة كان يعتقد انها ـ رغم كل شيء ـ ملك للزوجة، ويخشى ان يعترف امامها بالسرقة٠٠

بدت له اليدان المتكومتان فوق الطاولة ملاذا ومهربا من الافكار التي اقتحمت هنيهة السعادة ٠٠ خيل اليه انه سيجرؤ على احتواء هاتين اليدين

بكفيه الغليظتين •• ولكنه استمر هناك يستند الى مسند المقعد الجلدى محافظا على المسافة بين الايدى الاربع •• وعلى الانف الصغير انبثقت ثلاث حبيبات من العرق صغيرة ومثيرة، والشفة الصغيرة ترتعش باحثة ، ربما ، عن كلمة مناسبة •• قال هو :

ـ فرصة سعيدة ••

ـ ••••

ـ اعتقد انني قلت ذلك ونحن في السيارة •• فرصة سعيدة ••

ـ••••

ظلت صامتة ، وهو احس عبارته فارغة من اى معنى • ولكن كان لا بد ان يفتتح الحديث • ان يعثر على موضوع يشحن به الوقت الممنوح ••ولا يدرى كيف داهمه الاعتقاد بالقدرة على الحديث اليها ساعات طويلة •• ولكن من اين يبدأ •• وفي الذهن صورة الزوجة والبيت ،والزواج غيرالشرعى الا من وثيقة زواج رسمية هى كل ما يشير الى الشرعية ••وثيقة تسقط الان كقطرات قهوة تسفح على ظاهر الطاولة وتندلق على الارض ••والايدى الاربع محمومة شيقة تسعى ، وهى لاصقة باطراف الطاولةفى جمودها اليائس ، لان تلتقى ••

واتى النادل بالقهوة ، ثم ابتعد دون ان يترك اى اثر فى النفس •• ووجد هو الفرصة لان يبتسم لها ، وان يستقبل ابتسامتها بفرح طفولى طارىء •• قال لنفسه ان عليه ترجمة مشاعره النامية مع

الزمن الى كلمات دالة وقاطعة وليحدث بعد ذلك ما يحدث . ففي الوجه الصغير المألوف بوادر رضا وتجاوب .. وما يعتم ان يحدث ذلك الشيء المورط والمؤلم .. ولا يدري كيف واتت يديه الشجاعة بحيث انزلقت فوق الطاولة واحتضنتا يديها دون ان تبدي اية حركة تنم عن رضا او نفور .

قال :

ـ أشعر أنني أعرفك منذ آلاف السنين ..

ـ....

ـ غالبا ما خطر لي ان اقول لك ذلك ..

وفي تلك اللحظة سحبت يديها .. وارتعشت اهدابها وكأنها تشرع في البكاء :

ـ أشعر انني اغتصب حقا من حقوق الغير ..

قالت هي .. ونظر هو الى خاتم الزواج في يده وكأنه يكتشف وجوده للمرة الاولى..ولكن كيف.. كيف يحدث ان يداهمها شعور مشابه.. أن تتبدى لها ـ كما تبدت له ـ فكرة السرقة والاغتصاب ؟.

سخر في سره من البلاهة القمينة بمراهق .. قال دون اقتناع :

ـ اننا لا نسرق أحدا ..

ـ ليكن لقاؤنا عاديا .. ارجوك ..

ـ ولكننا التقينا متفاهمين كما يبدو ..

ـ ولكن ..

ـ لعلنا قلنا أشياء كثيرة دون أن ندري ..

ـ ولكن ..

ـ هاتي يديك ..

ـ لا ..

وجذبت يديها الى الخلف .. بدت مذعورة .. وهو طارد اليدين .لهاربتين بأصابعه المشرعة الى الامام بتوسل :

ـ اريد ان اقول أشياء كثيرة اختزنتها منذ أن تعارفنا ..

ـ لا يمكن ذلك .. ارجوك ..

بدت قبيحة وهي تتوسل .. وانهمر الدمع في احشائه :

ـ تبدين كئيبة .. لنتصارح ..

ـ ستؤلمك الصراحة ..

ـ أرجو الا يكون ذلك ..

ـ قلت ستؤلمك .. ولنغادر الآن ..

ـ لن نغادر ..

ـ ارجوك ..

وقبضت بعصبية على محفظة يدها .. وهو حاول جاهدا جذب اليدين اليه .. ولكنه اكتشف ان من حوله اعينا فضولية غفل عنها ولم تغفل .. تراجع الى الخلف ولم يزايله الشعور بأن حدثا ماسيحدث قال :

ـ لا تؤلميني ..

وبدا صغيرا اكثر مما ينبغي .. وهي اهتز صدرها تحت وطأة بكاء خافت مفاجىء .

ـ لا تبك ارجوك.. لنتصارح.. هاتي يديك..

وعادت تجذب يديها الى الخلف .. خيل اليه ان عذابا ازليا يعصف بالصدر المهتز قبالته وان عليه محو العذاب .. ولكن اى عذاب هذا ؟.. قال :

ـ اشعر اننا متفاهمان .. وان رابطة معينة ستجمعنا ..

تقلصت عضلات وجهها ، وشفتها السفلى ارتعشت متألمة :

ـ ولكنني اشعر انك مجرد بديل ..

وصمتت .. كادت أن تحتوي وجهها بيديها لتجهش . ولكن كان في الكافتيريا فضوليون . وهو اهتز كيانه .. والصفعة كانت مؤلمة .. كيف يحدث أن يكون بديلا ؟ . كيف ؟ ..

نظر الى الوجه الصغير بغرابة . وفي داخله انهمرت الخيبة والهزيمة .. تلفت حواليه باحثا عن النادل ويده تبحث في جيبه عن ثمن القهوة..
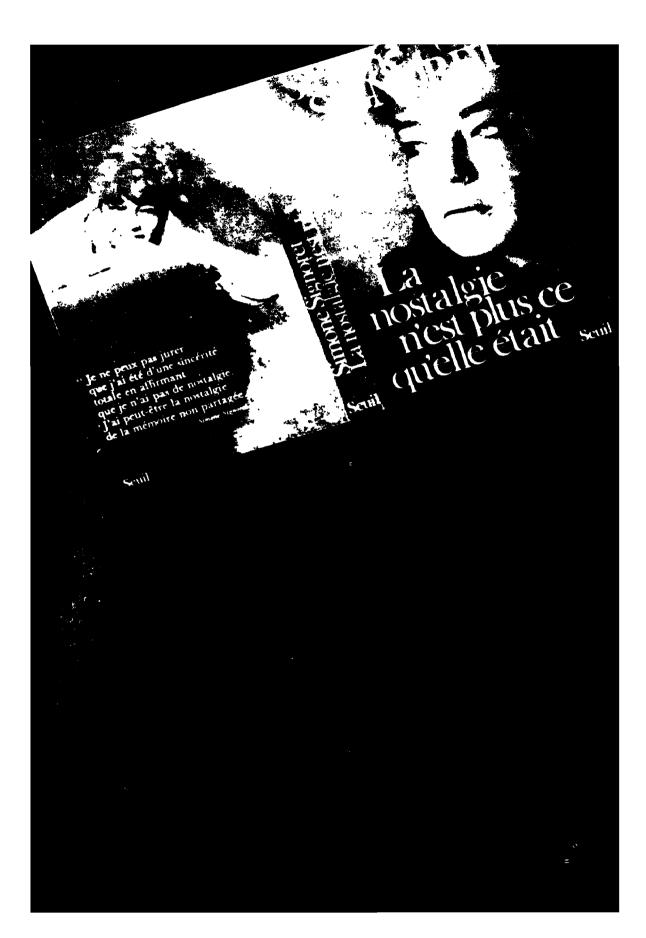
■■

شحيم ـ لبنان ـ ربيع ديب

من خروشوف ونيكسون ‥ عن الحب والواجب ‥ عن رسالة الفن ‥ عن الانتماء والوفاء ‥ وعن اشياء اخرى كثيرة من بينها قصتها هي وزوجها « ايف مونتان » مع مارلين مونرو وزوجها الاديب الشهير ارثر ميللر التي تبدا على ساحل المحيط الهادي في العشة رقم ٢١ بفندق بيفرلي هيلز بهوليوود عندما اكتشفت صاحبة الذكريات ان جارها في العشة رقم ١٩ هو « هوارد هيوز » اغنى رجل في العالم ، وان جارتها في العشة رقم ٢٠ هي الشقراء نجمة الاغراء مارلين مونرو اكثر نساء العالم شهرة وتالقا وتنتهي في ٥ من اغسطس سنة ١٩٦٢ بالخبر الذي اهتز له البرق ‥ انتحار النجمة الاعظم .

اما لماذا آثرت النجمة الانتحار وهي في القمة‥ لماذا فضلت الموت على الحياة ‥ فايسر الجواب على هذا السؤال هو ما قيل عن فشلها في اغراء « ايف مونتان » ! وليس من شك ان هذا الجواب غير مقنع ‥ ويخيل الي ان هناك جوابا اخر قد يكون فيما كتبته « سينوريه » عن علاقتها هي و « مونتان » بمارلين و « ميللر » وعن علاقة النجمة المنتحرة بالوسط السينمائي في هوليوود ‥ بالشركة التي احتكرت استغلال ما عندها من جمال وشعبية ‥ بالنظام الامريكي الذي لم ينس لها تعلقهـا « بارثر ميللر ، وقت الاضطهاد الماكرثي له ووقفتها الى جانبه في محنته .

وسينوريه في ذكرياتها تحدثنا عن « مارلين » لا بوصفها اسطورة او ملصق اعلاني وانما باعتبارها جارة وانسانة فنانة حملت الكثير من العذاب ‥ تقص علينا من انبائها ما يثير فينا الكثير من الرثاء لها والعطف عليها لانها تقصه بكثير من الصراحة ومن الحب .

ولنبدا من النهاية

تليفون الموت

في احدى امسيات شهر اغسطس سنة ١٩٦٢ تكلم « مونتان » من باريس مع « سينوريه » وكانت في مدينة تولوز تتناول العشاء مع « كلود بينوتو » و كوستا جافراس (مخرج فيلم « زد ») فلمـا انتهت المكالمة وعادت الى المائدة قالـت لهمـا باقتضاب « مارلين ماتت » .

« كنت حزينة ‥ ولم اكن مندهشة ‥ وبعد نصف ساعة اخطرني مدير الفندق بانه رفض نزول بعض الصحفيين من باريس في فندقه بعد ان سالوه عني واين اقيم ‥ وحتى اليـوم اكون الشكر لهـذا السيد ‥ فقد جنبني المشاركة في عودة حملـة الاعلام على نطاق عام حول مسالة تافهة زادت فيها الصحافة وعادت قبل ذلك بسنتين ‥ » .

ومن المؤسف حقا ان هذه الصحافة التي لم تهتم بنا نحن الاربعة « مارلين ، مونتان ، ميللر وانا » الا لتلبسنا ادوارا لم نستشر في ادائها ‥ في مسرحية لم نقراها ـ هذه الصحافة نفسها لم تحاول ان ترانا من الداخل نحن الاربعة سكان العشة رقم ٢٠ ورقم ٢١ ‥ كيف ، كنا نعيش معا لمدة اربعة شهور .

فلو كانت قد حاولت لما وجدت بيننا الشقراء التي تهوى تحطيم الاسر السعيدة ‥‥ ولا الفتى الوسيم « الفويط » ‥ ولا الفار الذي لا يعيش الا في المكتبات ‥ ولا الزوجة الرائعة التي صانت كرامتها ‥ هذه الصفات التي اسقطتها علينا فيما بعد ‥

ومن المؤسف ايضا ان « ارثر ميللر » الذي احمل له كل الود كتب بعد الموت مسرحية « السقوط » ‥

انا لست « نورمان ميللر » ‥ انا اريد ان اتكلم عن انسانة عرفتها ‥

ولعل اهم ما تكلمت به « سينوريه » عن هذه الانسانة التي عرفتها قبل ان ينطفيء نجمها بالانتحار ويكشف بعض الشيء عن الاسباب التي دفعت بها الى اختيار الانتحار هو هذه القصاصات من القصص التي احاول ان احكيها كما كتبتها صاحبة الذكريات .

واعود من النهاية الى البداية .

النجمة المعتزلة

لم يكن عند « مارلين » ذكريات طيبة عن مهنة التمثيل التي احترفتها فاحرقتها ‥ لم يكن عندها ما تقوله من حواديت المهنة ‥ الضحك المجنون مع الزملاء ‥ الاحضان المسموعة بعد مشهد احسّ المشتركان فيه باتقان ادائه ‥ كل هذا كان غريبا

مارلين مونرو

ارثر ميللر

عليها .. لم يكن عندها من لحظات السعادة كممثلة سوى بعض لقطات امام عدسة المصور الفوتوغرافى « افيدون » وهى تقلد جميع كواكب الثلاثينات متخذة اشكالا واوضاعا تجعل منها « مارلين ديترش» او « جريتا جاربو » أو «جين هارلو» وهكذا وهكذا.

ومن هذه اللقطات كانت تتحدث وهى تكاد تطير من السعادة ، كما يتحدث الممثلون عن اعز ما مر بهم من تجارب اثناء تصوير مشاهد لهم فى اهم ما لعبوا من افلام .

ومن ملاحظات صاحبة الذكريات عن « مارلين » انها لم تكن تغادر عشتها ابدا الا اذا ذهبت الى عملها بالاستديو فى الصباح الباكر « الخامسة والنصف » فاذا ما عادت اليها بعد انتهاء العمل لم تتحرك منها حتى فى ايام السبت والاحد .

لم تكن تخرج الا لاداء العمل الذى لم تحمل له كثيرا من الحب..لم تحبه كثيرا ، لان نفرا من الناس الذين مروا على حياتها نجح فى ان يزين لها انها تصلح لاى شىء فيما عدا شيئا واحدا ، هو ان تكون ممثلة .. وانها بدونهم او بدونهن لا تستطيع حتى ان تنطق عبارة « ستمطر » نطقا صحيحا .. والماساة انها صدقتهم وهذا كلفها ثروة طائلة .. كلفها حياتها.

وشىء اخر فى حياتها دفعت ثمنه غاليا هو انها بدات نجمة صغيرة فى مدينة انفقت اموالا طائلة لتصنع منها نجمة اعظم . وكان البعض يحبونها « مارلين » النجمة ، الناشئة الشقية اللعوب .. فلما تحولت الى نجم معبود كرهوها وقسوا عليها.. ولهذا فضلت ان تبتعد .. ان تعتزل الناس .

مارلين ضد الماكرثية

وهنا تقف « سينوريه وقفة قصيرة لتتكلم عن شىء اشد خطرا حدث «لمارلين» ومن اجل الكلام عنه « يجب ان ارجع الى الدردشة حول نار المدفاة الصناعية مع جارى كاتبنا وزوجها زميلى ارثر ميللر وهو يحكى كيف انتشلته مارلين من مستنقع الماكرثية سنة ١٩٥٥ .. كيف رافقته متخفية الى واشنطن حيث كان عليه ان يقف امام لجنة النشاط

والمتكلم من ؟ « مستر ميللر » من دبلن بايرلندا٠٠ وبعد الاسف على ايقاظهما رجاهما قائلا

« اذهبـا واطرقا ٠٠ مارلين وراء الباب حكت لي كل شيء ٠٠وهي لا تعرف كيف تتصرف ،و«كان ان خرجت وطرقت فوجدت بين ذراعي بنتا تنتحب وهي تردد «انا سيئة٠٠انا سيئة٠٠انا سيئة٠٠لن اكررها ٠٠ هذا وعد » وفي هذه الاثناء كان «مونتان» يربت برفق على شعرها وهو يقول « حسنا ٠٠ حسنا ٠٠ حاولي ان تحضري في الميعاد باكر صباحا ٠٠ » !! وهذه القصة

توقفت تماما عن حكايتها من بعد موتها ٠ او كنت لا احكيها الا لمن اعرف انهم لن يضحكوا لسماعها٠

والان اقول انى لم استطع ان اسالها متى قررت الا تنزل وتستقل العربة التى تنتظرها ، متى بدات تتغلف بالصمت ٠٠ بالموت الزائف بالغناء ٠

الاضراب ثم الموت

لن اعرف ابدا كم من الوقت بقيت جالسة يا حراك وراء الباب قبل ان تقرر قراءة رسالتنا التي كانت خيطا رفيعا مع الخارج ٠٠٠ خيطا لا بد انه ظنته مقطوعا طوال هذا اليوم طالما انها ظلت عاجزة بمفردها عن ان تصل ما بين طرفيه ٠

والشيء المحقـق بعد ذلـك ان هذا الخيط قد انقطع نهائيا منذ خمسة عشر عاما ٠٠ وقد كنت اتمنى الا اقف عند الموت ٠٠ بل ان اقف عند لحظة اخرى مـن سيرة النجمة الراحلة تفيض بالحياة ، لحظة ان توقفت هوليوود عن العمل ٠٠ ولماذا ؟

لان نجومها من جارى كوبر الى جريجورى بـك ومن اليـزابث الى مارلين مونرو اضربوا جميعـا وبلا استثناء ٠٠٠ ولكن الضرورات تبيح الوقوف عند موت النجمة ٠٠ ■■

مصطفى درويش

كتب وقراءات

تطوير الاعمال المصرفية بما يتفق والشريعة الاسلامية

تاليف الدكتور سامى حسن احمد حمود
الناشر . دار التراث ٢٢شارع الجمهورية/القاهرة٠

● استهدفت هذه الدراسة بيان الاسس النظرية والتطبيقية للعمل المصرفي اللاربوى بصورة تلائم المتطلبات والاحتياجات المعاصرة ، وهو أمل عزيز على نفوس الكثيرين ممن يتوقون لرؤية المؤسسات المصرفية اللاربوية وهي تقوم بدورها فـي سبيل التلاقي العادل بين راس المال والعمل ، بما يساعد على الاسهام في التنمية والبناء ٠

لقد واجهت الحياة الاسلامية ما يشبه التحدى ، وهو ذلك النوع المتطور من الاعمال المصرفية التى واكبت النهضة الاوروبية الحديثة ،مما خلق نوعا من التناقض فـي منجزات التنمية فـي معظم البـلاد الاسلامية ، واتهم المجتمع الاسلامي بانه مجتمـع تسيطر عليه السلبية،وتنقصه القدرة على التجارب والانطلاق في مجال الاخذ باسباب التقدم في هذه الحياة ٠

لذلك تطلـع الناس نحـو العلماء والمفكـرين الاسلاميين ، آملين ان يجدوا لديهم ما يخلصهم من الحيرة ، فراح نفر من هؤلاء العلماء يبدون آراءهم في هذه المعاملات المستجدة ، وقامت محاولات جادة لمعرفة المواطن التى تتعارض الاعمال المصرفية فيها مع الشريعة الاسلامية كخطوة اولى في سبيل تطويع هذه الاعمال ،والتوفيق بينها وبين الشريعة الغراء، وتلمس المسالك المختلفة لاخراج الفوائد وما في حكمها من نطاق الربا المحرم ، وذلك باعتبـار ان قضية الربا تشكل العقبة الكبرى التى حالت دون تقبل المجتمعات الاسلامية للاعمال المصرفية الحديثة برضا واطمئنان ٠

وقد شهدت الساحة العربية في عدد من الدول الاسلامية مولد مؤسسات مختلفة ،تجمع بينها وحدة الهدف في التخلص من اساليب التعامل المالـى

المبنى على النظام الربوى ،منها بنك ناصر الاجتماعى فى جمهورية مصر العربية وقد نصت المادة الثالثة من عقد تاسيسه على ان البنك لا يجوز ان يتعامل مع الغير بنظام الفائدة اخذا او عطاء ، وكذلك فى الاردن قامت مؤسسات مالية مهمتها ادارة وتنمية اموال الايتام بطريق استثمارها بالوسائل التى لا تتعارض مع الشريعة الاسلامية ، وكذلك فى دبى قام بنك دبى الاسلامى ونصت المادة الرابعة من نظامه الاساسى على ان يباشر البنك اعماله على غير اساس الربا وما هو فى حكمه ، واخيرا مشروع البنك الاسلامى للتنمية وقد اسهمت فيه ثلاث وعشرون دولة اسلامية ، وهو بنك دولى يهدف الى دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى لشعوب الدول الاعضاء ، والمجتمعات الاخرى وفقا لاحكام الشريعة الاسلامية •

جبابرة العقل البشرى

تاليف : كريم الشيخ اسماعيل آل كاشف الغطاء

الناشر : جامعة الامام كاشف الغطاء/النجف الاشرف/العراق •

● كتاب يقع فى جزئين يتناول بالدراسة والبحث تراجم وافية لمجموعة من العباقرة الذين خدموا البشرية ، وغيروا مجرى التاريخ البشرى، فهذه العقول الجبارة التى ابدعت وخلقت سعادة الانسان وقهرت شقاءه ، استطاعت ان تخترق كثيرا من الحجب والحواجز ، وتنفذ الى كثير مما كنا نعجز عن تعليله وتاويله ، وان مظاهر هذا النبوغ كانت اعمالا علمية راسخة فى الرياضيات والكيمياء والطبيعيات وعلم الحياة تجلت فى حياة هؤلاء العباقرة •

ولا شك ان كل اختراع او اكتشاف او تفكير علمى سليم هو تعبير عن النزوع الانسانى الابدى الى الاصلح ورغبة ملحة للوصول الى الكمال ،وان هؤلاء الذين خدموا البشرية وغيروا مجرى حياة الانسان لا شك انهم جبابرة العقل البشرى •

وقد قسم المؤلف كتابه الذى يتكون من جزئين الى ثلاثة فصول ، ففى الفصل الاول دراسة عن العلماء امثال ليوناردو دافنشى ، وجان هنرى فابر، والبرت ابراهام مايكلسون ، وسيجموند فرويد ، وجوستاف ايفل ، ولويس برايل • اما الفصل الثانى فدراسة للمخترعين امثال صموئيل موريس وماركونى ، وجورج وستنجهاوس ، والكسندر جراهام بل ، اما الفصل الثالث فيختص بدراسة المكتشفين امثال جاليليو جاليلى ، واسحاق نيوتن، والفرد نوبل ، وتشارلز جوديير •

جامع القرويين
المسجد والجامعة بمدينة فاس

تاليف : الدكتور عبد الهادى التازى

الناشر : دار الكتاب اللبنانى بيروت/لبنان •

● يقع هذا الكتاب فى ثلاثة مجلدات كبيرة يعطينا صورة للحياة العلمية والاجتماعية والحضارية العامة فى مدينة فاس بوجه خاص ، وفى المغرب بوجه عام ، وقد حاول المؤلف اظهار ما تبقى من هذه المظاهر الحضارية القديمة فى عصرنا الحديث،فربط الماضى بالحاضر وقدم لنا عملا كاملا لهذه المؤسسة الجامعية العلمية التى كانت ولا تزال مركز اشعاع علمى ودينى وسياسى فى بلاد المغرب الاسلامى •

لقد ظلت جامعة القرويين بعيدة عن التيارات العاتية التى غيرت من معالم عواصم المشرق بغداد ودمشق والقاهرة ، فاحتفظت من اجل ذلك بكل ملامحها ، فما تزال بها الى الآن آثار من عهد الادارسة الفاتحين ، وآثار من فترات تنافس الفاطميين والامويين ، وآثار من ايام الزناتيين ودولة المرابطين والموحدين •

فجامع القرويين يضم اقدم صومعة ثبتت حتى الآن ، وعلى التصميم نفسه الذى خط لها منذ احد عشر قرنا ، كما ضمت رفوف خزانتها العلمية ومكتبتها الاحمدية من عيون المخطوطات ونوادر الموضوعات ونفائس العلوم ، ما كان حديث المجالس فى وقتها ،وهى تبين مدى ازدهار الحركة الفكرية فى المغرب ، كما كان لعلماء المغرب طريق خاص بهم فى التاليف غير ما كان معروفا لزملائهم فى المشرق ،وهذه الناحية تصور الشخصية المغربية خير تصوير •

كما عدد المؤلف اسماء اولئك المشايخ من العلماء الذين عرفتهم فاس ، وحلق عليهم طلبة القرويين ، ومن هذه الشخصيات المغربية التى لمعت اسماؤها بالمشرق ابن عربى ، وابن بطوطة ، وابن خلدون ، والمقرى، ثم ذكر المؤلف الفضليات

من نساء فاس اللائي كن يقصدن الاروقة الخاصة للتعليم او التعلم .

وقد قسم المؤلف كتابه هذا الى ثلاثة ابواب على وفق الترتيب الزمني للعصور التي مر بها جامع القرويين ، وكل باب مقسم الى خمسة فصول ، وقد تضمن كل فصل عددا من الموضوعات الاساسية ، كما ذيل المؤلف كل باب من ابوابه الثلاثة بملحق يضم ترجمة مائتين وخمسين شخصية من اهم الشخصيات التي كانت لها صلة بالقرويين ، كما ضم الكتاب قسما للرسوم والوثائق والصور التوضيحية .

وقد اعتمد المؤلف في تاليفه هذا على عدة مراجع قديمة مغربية ، كما اعتمد كذلك على ما يسمى بالمغرب (بالحوالات الحبسية) اى حجج الوقف ، وهي تلك الاوراق التي تروى واردات القرويين والتزاماتها يضاف الى ذلك المخطوطات والنوادر المغربية ، وهو ما كتبه طلبة القرويين القدامى وممن هاجروا من تلك الديار تعطينا الصورة التاريخية والفكرية الصادقة عن معالم القرويين ثم ما كتبه بعض الاجانب من تاريخ فاس وجامعة القرويين .

عباقرة الفن
واعلام مدارس الفن المعاصر

تاليف : كريم الشيخ اسماعيل آل كاشف الغطاء

الناشر : جامعة الامام كاشف الغطاء/النجف الاشرف/العراق .

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة والبحث تاريخ فن النحت والرسم في الغرب حديثا ، فهو يترجم لطائفة من عباقرة الفن واعلام المدارس المعاصرة ورواد المذاهب الفنية الحديثة ، والواقع ان الفنان لا يستغني عن قوة روحية يستمد منها وعيه ويهتدي بهديها في تفكيره ويستضيء بنورها اثناء عملية الخلق والابداع ، كما انه يحتاج لحافز معنوي يمكنه من التامل في الحياة واستجلاء غوامضها وتمثيل الظواهر والمرئيات وما يكتنفها من غوامض واسرار ، وهذا الحافز يلتمسه الفنان عند الله في احساسه الديني او عند المراة او يستمد عناصره من اعتداده بنفسه وثقته بعبقريته وشدة احساسه بكبريائه الشخصية وهذه هي مصادر الوحي عند الفنانين ، ولا ريب انها جميعا وثيقة الاتصال بجوهر النفس والحياة ، فحب الله والاحساس الديني يدفع الى التطهر والسمو ، وحب المراة يكشف عن اسرار الجمال ، وحب النفس او الشعور بالكبرياء يدفع الى توكيد الشخصية البشرية وبسط سيادة العقل الانساني على الحياة .

السلوك المهني للاطباء

المؤلف : الدكتور عباس راجي التكريتي

الناشر : مكتبة المثنى / بغداد .

● كتاب في نحو خمسمائة صفحة من القطع الكبير ، يجدد فيه المؤلف تقليدا مالوفا في تراثنا العربي الاسلامي ، هو تاليف الرسائل والكتب لبيان « آداب » الطوائف على وفق ماتملي عليها حرفتها او وظيفتها الاجتماعية في معاملة الآخرين، ومن امثلة ذلك اداب الامراء ، او الفقهاء ، او العلماء ، او الصناع ، او الفرسان ، او المتعلمين، وفي تراثنا من ذلك ثروة وافرة .

وهذا الكتاب من هذا الطراز يبين ماينبغي ان يكون عليه سلوك الاطباء بمقتضى مهنتهم وهي « الطب » ومسئولياتهم تجاه انفسهم ، وتجاه كل من يتصل بعملهم في المجتمع بحكم «المهنة» . وقد جعله المؤلف خمسة وثلاثين فصلا ، في كل فصل السام على وفق موضوعاته الفرعية ،وقد تناول بايجاز في الفصول الثلاثة الاولى موضوع «الاخلاق» بعامة في الحضارات القديمة والحديثة، والفضيلة والرذيلة ، واخلاق الفرد واخلاق الطبيب ، ثم مضى في بقية الفصول يوضح الموضوع الخاص بكتابه ، فوضح مسئولية الطبيب ، واليمين الطبية ، ونواميس الطبيعة والحياة ، والقوانين الدينية والاخلاقية والوضعية، والقواعد العامة لمزاولة مهنة الطب ، والالتزامات العامة للطبيب ، واجور الاطباء ، وتاميم الطب ، واللجان الطبية،وعلاقات الطبيب والمريض ،واسرة الاطباء والعلاج العقاقيري والجراحي ، والاجهزة الطبية والقواعد الجراحية ، ومشكلات العقم والاسقاط والحمل المتاخر والولادة ، ومشاكل الجنس عند الرجل والمراة ، والامراض النفسية ، والتجارب الطبية على الانسان ، وعلاقات الطبيب باهله ، وبزملائه ، وبالسياسة والدعاية،وبالقانون والشرطة . ثم ختم المؤلف كتابه بذكر مصادره العربية (٧٠) والاجنبية (١٧) . ■■

حوار القراء

● رسالة الشهر ●

محنة اليهود الشرقيين في اسرائيل

انا شاب عربي فلسطيني من قرية تسمى طيرة بني صعب اعيش مع غيري تحت الاحتلال الاسرائيلي منذ عام ١٩٤٨ . ورغم ان عام ١٩٦٧ كان عام هزيمة لنا نحن العرب الا انه ايجابية واحدة لا تنكر ،وهذه الايجابيه هي لقاؤنا مع بقية اخواننا ابناء فلسطين جميعا . ورغم اننا اصبحنا في فلسطين تحت كابوس الاحتلال الاسرائيلي الا ان التواصل بيننا قد جدد العزم فينا على ان نفعل شيئا لخلخلة هذا الجسم الغريب : اسرائيل .

ولا اغالي اذا قلت ان تفكيك هذه الدولة ليس بالامر العسير .. والتفكيك الذي اعنيه لا دخل للسلاح فيه . انما هو تصحيح لوضع خاطيء غفلنا عنه نحن العرب سنوات طويلة . وهذا التفكيك يتم اذا نجحنا في حمل اليهود الذين اتوا من اقطار عربية للعودة الى مواطنهم .. والذي لفت نظري الى هذا الموضوع هو حنين هؤلاء اليهود للعودة فعلا . هذا الحنين الذي لمسته جياشا في صدور الآف ممن قابلتهم وتحدثت معهم .. وطبعا لا يجهر بهذا الحديث منهم جاهر .. ولكنهم يظهروه لمن يطمئنون اليه . والسبب في ذلك هو خطورة مثل هذه الهجرة المضادة ـ لو تمت على الكيان الاسرائيلي .

وانا ادعوكم لسماع نموذج من حديث جرى بيني وبين العديد من هؤلاء الشرقيين ، قال لي احدهم وهو يهودي من العراق : التمييز هنا في اسرائيل قائم بشكل واضح .. فسكان اسرائيل ـ كما تعلمون ينقسمون الى طائفتين او فئتين .. فهناك « الاشكناز » اي اليهود الذين قدموا من امريكا واوروبا .. وهناك « السفارديم » وهم اليهود الذين جاءوا من البلاد العربية ـ ونسبة السفارديم حوالى ٦٥٪ من سكان اسرائيل .. ويتابع محدثي فيقول : ان الاشكناز يعاملوننا وكاننا من كوكب اخر .. فنحن نعامل معاملة من الدرجة الثالثة .. ولم نكن نتصور اننا سنكون كالمنبوذين عندما زينت لنا الدعاية الاسرائيلية فضائل الهجرة الى فلسطين وترك البلد الذي عاملنا معامله سوء .. وبغداد لها في قلبي منزلة مقدسة .. ففيها ولدت وفيها ولد اولادي .

هناك لنا اصدقاء ولنا املاك .. كنا نعيش في بحبوحة نعمل في مختلف الحقول . اما هنا فلا توكل الينا الا الوظائف الدنيا التي يتأفف الاشكناز من العمل فيها . ليتني لم اطلق وراء هذا السراب الذي اسموه اسرائيل ، ليتني بقيت هناك .. في بغداد .

تكررت الاحاديث مع كثيرين من اليهود الشرقيين الذين التقيت معهم .. وان انس لا انس قصة يوسف اسحق اليهودي الذي اتى من ليبيا والذي يعمل جرسونا في المطعم الذي اتردد عليه كلما زرت يافا .. كان يحدثني همسا بهمومه .. «من اجل ان اكون جرسونا جئت الى هنا وتركت النعيم الذي كنت اعيش فيه هناك في بنغازي ايام كانت معي ثروة واملك عمارة من ثلاثة طوابق .. ليتها تعود تلك الايام الحلوة .. ليتني اعود لليبيا الحبيبة .

امام هذه الاحاديث الكثيرة التي سمعتها بدأت افكر في الامر جديا وعرفت ان هناك تشريعات

صدرت عن حكومات الدول العربية خلاصتها السماح لليهود الذين غادروا منذ عام ١٩٤٨ بالعودة ، ولكن هذه التشريعات لم تعرها اجهزة الاعلام فى العالم العربى الاهمية التى تستحقها ، وكان الواجب ان تصل هذه القرارات او القوانين الى اذن كل يهودى شرقى ٠٠ وقد عرفت ان بعض اليهود قد رحل عن اسرائيل سرا وعاد الى البلد الذى اتى منه ٠٠ لان القيود التى تفرضها السلطة الاسرائيلية هنا تمنع من نشر هذه الحقائق ٠

وانا اهيب باعلامنا العربى ان يركز على هذه القرارات والقوانين لتصل الى كل يهودى شرقى هنا ، فنفوسهم مهياة للرحيل عند اول فرصة ٠٠ ولكن علينا نحن العرب ان نزرع الاطمئنان فى هذه النفوس ونفسح لها المجال كى تعود الى المجتمع الذى اتت منه ٠

مخترع لغة الاسبرانتو

● ذكرتم فى باب انت تسال ونحن نجيب ـ العدد ٢١٨ من العربى ان مخترع لغة الاسبرانتو هو الدكتور زمنهوف ولما كنت من المهتمين بدراسة هذه اللغة ٠٠ واعتمادا على ما بين يدى من مصادر اسبرنتوية واهمها كتاب حياة زمنهوف لمؤلفه Edmond Privat المنشور من قبل دار النشر الاسبرنتوية المتحدة فى بريطانيا وكتاب آخر تحت عنوان « كيف نتعلم الاسبرانتو » لمؤلفه الدكتور نصيف اسحق ٠٠ فقد تبين لى من خلال مطالعاتى ان الدكتور زمنهوف مخترع الاسبرانتو هو بولندى الجنسية وليس روسيا حيث ولد فى ١٥ كانون الاول من عام ١٨٥٩ لابوين بولنديين فى مدينة بيالستوك من عائلة فقيرة فى حى كانت تعيش فيه جاليات من رعايا اوروبا الشرقية ٠٠ وكان والده يعمل مدرسا للغات فى نفس المدينة ٠٠ وما ان اكمل الطفل دراسته الابتدائية حتى انتقل والده الى العاصمة وارسو وفيها التحق زمنهوف بمدرسة ثانوية حيث ظهر هناك فى معرفة اللغات ٠٠ وعندها فكر فى لغة عالمية ٠٠ بيد ان والده رفض فكرته ومزق له كافة كتبه ٠٠ لرغبته فى ان يرى ولده طبيبا ٠٠ وفعلا ارسله الى موسكو ليدرس الطب فيها وكان ذلك عام ١٨٨٧ ٠

وفى موسكو جمع زمنهوف كل مايتعلق بلغة الاسبرانتو ونشره بين زملائه ٠٠ واخذ يعمم فكرته هذه ـ اللغة الجديدة ـ واصدر مع زملائه الذين امنوا بفكرته مجلة جامعية وكان يذيل افتتاحياته فيها بتوقيع D-ro EsPeranto اى الطبيب الامل ٠

عادل حموده هانى

العراق ٠

ابن بطوطة ولد فى طنجة

● فوجئت وانا اقرا مقال الدكتور حسين مؤنس عن ابن بطوطة فى العدد ٢١٣ من العربى بقوله: « ان ابن بطوطة انطلق فى رحلته من مدينة بنغازى التى هى مسقط راسه ٠٠ » وما دام ان المصدر الرئيسى لحياة ابن بطوطة هو كتابه (تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار) اذ يقول ابن بطوطة فى مقدمته (وكان خروجى من طنجة مسقط رأسى فى يوم الخميس الثانى من شهر رجب عام ٧٢٥ هـ الى بيت الله الحرام)

وقد لاحظت ان الدكتور حسين مؤنس قد ختم مقاله الذى نشره عن ابن بطوطة فى العدد ٢١٥ بتاكيد هذه الحقيقة ٠

محمد اية حمادى

الرباط ـ المغرب

كروية الأرض

● في معرض اجابتكم على سؤال حول تاريخ القول بكروية الارض ودورانها في عدد يوليو / ٧٦ ، لمست نقصا يمس النظرية الكوبرنيكية في المدة ما بين ارستاخوس وكوبرنيكوس ودليلي على ذلك ما يأتي :

١ ـ ان ارستاخوس ليس هو الذى اعلن النظرية القائلة بدوران الارض بل يرجع ذلك الى الفلكي سيلوكيدس (١٥٩ق٠م٠) وهو من اهل سلوقيا التي كانت قائمة على شاطىء دجلة (سلمان باك حاليا) ويذكر برتراندرسل في الجزء الاول من تاريخ الفلسفة الغربية ان الفلكي المذكور تلقى اقوالا مبهمة من ارستاخوس لا تدل دلالة قاطعة على تصور محدد لدوران الارض ٠

٢ ـ كذلك فان دوران الارض حول نفسها كان معروفا عند العرب وقد كان الجدل حوله دون ان تصلنا عنه تفاصيل كافية الا ان الجويني ـ امام الحرمين ـ قد اشار بصراحة في كتابه (الشامل في اصول الدين) الى ان هناك قوما زعموا ان الارض كرة متتابعة الدوران ٠٠ واعلن رفضه ـ على عادة رجال الدين ـ لهذه الفكرة قائلا ان لديه ادلة على بطلانها ،وذكر المستشرق الايطالي نللينو في كتابه (علم الفلك عند العرب) ان ابا سعيد السجزى صنع اصطرلابا صممه على اساس ان الشمس ثابتة والارض متحركة ٠٠ والى هذا اشار البيروني رغم توقفه في مسالة دوران الارض حول الشمس التي افترضها ابو سعيد السجزى ، يقول بدوران الارض حول نفسها ٠٠ وقد وردت حكاية تشير الى ذلك حدثت في مجلس السلطان مسعود ،وهو راعي البيروني ، الا أن السلطان ارتاع لقول البيروني بان الارض تدور فامره بالسكوت وعدم تكرار امثال هذه الاقاويل ٠

اذكر كل هذا اتماما للفائدة ٠

هادى العلوى

بكين ـ الصين الشعبية

● أنت تسأل ٠٠ ونحن نجيب ●

كم تبقى من : عمر النفط ٠٠ والغاز ٠٠ والفحم ؟

● يقولون أن النفط مصيره النضوب ٠٠ فالى أى حد يستطيع النفط الصمود أمام الاستهلاك العالمي ٠٠ وهل ستصاب الطاقة الاخرى مثل الفحم والغاز بالنضوب كذلك ؟؟

محمد اللمسي ـ تونس

ـ سيصبح النفط المتوفر أكثر ندرة عند نهاية الثمانينات أو اوائل التسعينات ، وسينضب كليا في الاعوام التي تلي ذلك !! فالخبراء يعتبرون ان النفط والغاز هما من أكثر مصادر الطاقة (التي لا تتجدد) قابلية للنضوب ٠

هذا ما تذكره منظمة الاقطار العربية المصدرة للنفط في نشرتها الشهرية، التي تتابع معلوماتها بقولها : « ومن المتوقع ان يستمر عمر احتياطي النفط الموجود اليوم في العالم ـ في ضوء الانتاج الحالي ـ لمدة تقل عن اربعين عاما ! » ٠ اما الغاز فسوف يستمر لفترة تتراوح بين ٣٩ و ٤٩ عاما اخرى ٠٠ بينما يتراوح عمر احتياطي الفحم ـ في ضوء الانتاج الحالي ـ بين ١٩٥ و ٢٨٦ عام٠

ان نضوب النفط ـ الذى يبدو حاليا نتيجة لاستعماله كمصدر للطاقة في الاقتصاد العالمي ، يمثل خطرا كبيرا على الاقطار النامية المصدرة للطاقة ٠٠ فالنفط ، ليس هو الوسيلة الطبيعية الرئيسية للانماء الاقتصادى والاجتماعي لهذه الاقطار فقط ، بل أنه يمثل أيضا مستقبلها من حيث ضرورته لدعم هذا الانماء ٠

من هذا يتضح أن استجابة الدول النامية ـ التي تصدر المواد الخام غير المتجددة ـ تمثل تضحية كبرى من جانب هذه الدول ، لاجل خدمة البشرية والاقتصاد العالمي ٠٠
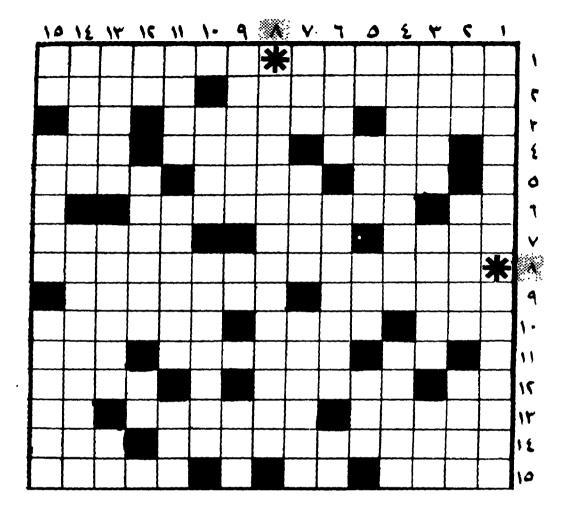
الكلمات الرأسية :

(١) ملك آشورى عظيم ـ شبه جزيرة آسيوية.
(٢) لواب ـ تعطل ـ عسانا .
(٣) صفة مكروهة ـ ينقبن ـ دس .
(٤) آخر ملوك روما القدماء ـ من انواع الخط العربى .
(٥) عظم ـ على شاطىء البحر ـ حشرات ـ ابصر بطرف العين .
(٦) قريب الوقوع ـ شكل هندسى منتظم ـ حرف نفى .
(٧) شبت ـ من الاسماك ـ نحات اغريقى صنع تمثال زيوس احد عجائب الدنيا السبع .
(٨) قائد من ابطال الفتوحات الاسلامية .
(٩) تزرع به النبتة ـ للتعريف ـ ترشد .
(١٠) سكنت حركتهن ـ فرنسى من اعظم علماء الفلك والرياضة فى القرن ١٨ .
(١١) له نفس الملامح ـ مذهب اسلامى بالسعودية ـ كلام خفيض .
(١٢) للتعريف ـ ظواهر جوية طبيعية ـ نصف كلمة (سائر) .
(١٣) من اعلام الموسيقيين الالمان ـ ساحة مكشوفة ـ مناص .
(١٤) من المجموعة الشمسية ـ يتخذونها عقيدة.
(١٥) نصف كلمة (ذكية) ـ ينافس ـ من الاحياء المائية .

من التــاريخ :
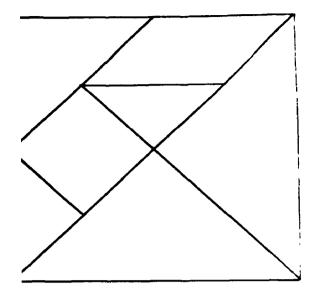
تانجرام ، أو المربع الصينى ، يعتبر من أقدم الالغاز التى يطلق عليها الالغاز الميكانيكية • عرفت فى الصين باســم « تشى تشياو تو » ، ومعناها (المشروع الذكى للقطع السبع) • وقد شاعت هذه اللعبة فى أوروبا عند مطلع القرن التاسع عشر ، ويقال انها كانت اللعبة المفضـلة عند نابليون فى منفاه •

ويمكن الحصول على اجزاء هذه اللعبة بقطع مربع مرسوم على ورق مقوى ، بالطريقة المبينة بالرسـم المرفق ، بحيث نحصل على القطع السبع اللازمة •

مطلوب منك أن تصنع من هذه القطع : (١) مثلث قائم الزاوية ومتساوى الساقين، (٢) مستطيل ، (٣) متــوازى أضلاع • وعليك فى كل مرة أن تســتخدم القطع السبع كلها •

وبالقطع السبع يمكنك أن تصنع فى كل مرة شكلا من الاشكال المرسومة مع هذا• بل يمكنك أن تبتكر اشكالا أخرى تتحدى بها من معك •
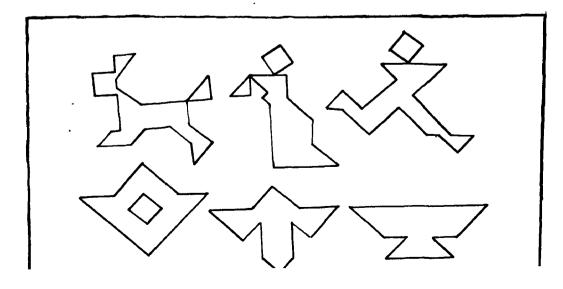
النجمة والسهم :

نجم كوميدى عالمى

ابدأ أولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ، بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات التى يوجد بها السهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الأول لنجم كوميدى عالمى • ثم انقل الحروف التى فى المربعات التى بها النجوم ورتبها لتصنع لقب ذلك النجم •

الكلمات الافقية :

(١) شاعر روسى كتب أوبرا « بوريس جوردينوف » •
(٢) نوع من الصخور •
(٣) مقام موسيقى ـ حصيف •
(٤) يقربه •
(٥) من معالم السمنة •
(٦) يبعثان على السام •

الكلمات الراسية :

(١) من العناصر الكيميائية •
(٢) من أجزاء الجهاز الدورى •
(٣) جذب ـ نتعب •
(٤) من الامراض الوبائية •
(٥) يهتمون •
(٦) وعسونة •

١ ٢ ٣
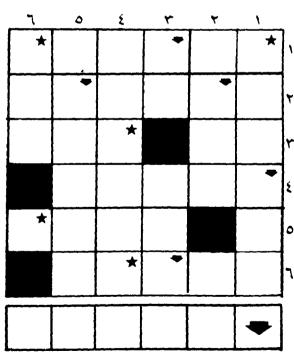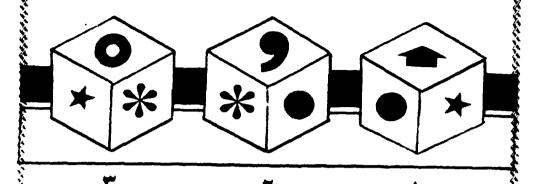
الوجوه الستة

عندنا ثلاث قطع من النرد (زهر الطاولة) ، العلامات التى على كل وجه من الوجوه الستة لكل واحد منها، متطابقة مع الآخرين (أو لنقل انه نرد واحد نراه من ثلاث زوايا مختلفة) والعلامات التى على كل نرد هى : السهم ـ الفصلة ـ الحلقة ـ النجمة ـ الدائرة ـ الزهرة ٠

قارن بين كل زوج من القطع الثلاث، وبهذا تستطيع ان تجيب على الاسئلة التالية حول الاوجه التى لا تراها من كل نرد :

(١) ما هو الرمز الذى يقابل رمز الزهرة ٠

(٢) ما هو الرمز الذى يقابل رمز الدائرة ٠

(٣) ما هو الرمز الذى يقابل رمز النجمة ٠

(٤) ما هو الرمز الذى على الوجه الاسفل للشكل رقم (١) ٠

(٥) ما هو الرمز الذى على الوجه السفلى للشكل رقم (٢) ٠

(٦) ما هو الرمز الذى على الوجه السفلى للشكل رقم (٣) ٠

ملحوظة : لاحظ اى رمز يظهر فى شكلين ، واستنتج الرموز التى فى الاوجه الملاصقة لهذا الوجه ٠ ثم من هذا ، استنتج الوجه الذى لا يلامس الوجه الذى يظهر عليه الرمز ، أى الوجه المقابل ٠

أستاذ نبيه يسأل :

من هو صاحب الغراب الفائز بالجائزة الثانية ؟

فى مسابقة لتربية الطيور ،جرت فى العام الماضى ، كان اعجب ما فى الموضــوع ، ان الذين فازوا بالجوائز الاولى والثانية ،يحملون نفس اسماء الطيور التى تقدمـوا بها الى المسابقة : وهم السيد غراب ، والسيد بلبل،والسيد هدهد ، والسيد حمام ، والسـيد صقر • وقد كسب كل منهم الجائزة الاولى فى تربية طائر لا يتطابق مع اسـمه ، كما كسب كل واحـد منهم الجائزة الثانية فى تربية طائر آخر ، وايضا لا يتطابق اسـم الطائر مع المتسابق •

والسيد صقر ، فاز بالجائزة الاولى فى تربية الحمام ، ثم بالجائزة الثانية فى تربية الهدهد • بينمـا كسب الجائزة الاولى فى تربية الغراب ، ذلك السـيد الذى له نفس اسم الطائر الذى كسب به الســيد بلبل الجائزة الثانية •

فمن صاحب الغــراب الذى فاز بالجائزة الثانية •

حركة واحدة فى كل مرة

المطلوب فى هذه اللعبة ان تتبادل القطـع البيضاء والسوداء مواقعها ، بحيث تصـبح القطع السوداء فى ٢ ، ٣ ، ٤ • والبيضاء فى ٥ ، ٦ ، ٧ • بحيث يكون تحريك القطع البيضاء والسوداء على التوالى ، بيضاء ثم سوداء ثم بيضاء وهـكذا • مسـموح لك بالحركة فقط الى المربع الخالى المجاور لاى قطعة ، وغير مسموح لك بالقفز فوق قطعة مجاورة • ويمكنك ان تحرك اى قطعة افقيا ورأسيا وقطريا (أى فى الاتجاه المائل) •

هل تستطيع ان تتم هذا فى سبع حركات فقط •••

مربع الأرقام السحرى

من اقدم الكتب المعروفة كتاب صيني يسمى « ييه كنج » ، ويرجع تاريخه الى ثلاثة آلاف سنة مضت ، والمربع السحرى للارقام هو احد موضوعات هذا الكتاب • وفي القرون الوسطى، اعتبر الاوروبيون هذا المربع السحرى اداة لاتقاء الحسد وطرد الارواح الشريرة •

هل تستطيع أن تصل الى سر المربع السحرى ، باعادة ترتيب الارقام من ١ الى ٩ داخل المربعات بحيث يكون مجموع الارقام ١٥ سواء في الصفوف الافقية او الاعمدة الرأسية ، او في الاتجاهين القطريين (من احد زوايا المربع الى الراس المقابل) •

٣	٢	١
٦	٥	٤
٩	٨	٧

الحلول

حل المربع السحرى

٨	١	٦
٣	٥	٧
٤	٩	٢

٦	٧	٢
١	٥	٩
٨	٣	٤

نجم كوميديا عالمي :

شارلي شابلن

الوجوه الستة :

من ملاحظة ٢ ، ٣ نجد ان الزهرة يجيء الى جوارها النجمة والحلقة والفصلة والدائرة • فلا بد أن الزهرة يقابلها السهم• وبنفس الطريقة يمكن اثبات أن الدائرة يقابلها الحلقة • وان النجمة يقابلها الفصلة وهكذا يمكننا ان نصل الى الاجابة على الاسئلة •

من هو صاحب الغراب الذى فاز بالجائزة الثانية

(١) المتسابق الذى حصل على الجائزة الاولى فى تربية الغراب ، لا يكون السيد غراب (لتطابق الاسم) ، ولا يكون السيد هدهد (لان السيد صقر قد حصل على الجائزة الثانية فى تربية الهدهد ، وعلى ذلك لا يمكن ان يكون السيد بلبل قد حصل على نفس الجائزة) ، ولا يكون السيد بلبل (والا يكون قد حصلعلى الجائزة الثانية فى تربية البلبل) ، ولا السيد صقر (فقد حصل على الجائزة الاولى فى تربية الحمام) • فالسيد حمام حصل على الجائزة الاولى فى تربية الغراب •

(٢) صاحب الغراب الذى فاز بالجائزة الثانية : ليس هو السيد صقر (لانه حصل على الجائزة الثانية فى تربيه الهدهد) ، ولا السيد بلبل (الذى حصل على الجائزة الثانية فى تربية الحمام) ، ولا السيدحمام (الذى حصل على الجائزة الاولى فى تربية الغراب) ، ولا السيد غراب (لتطابق الاسم) •

(٣) من هذا كله : يكون السيد هدهد هو صاحب الغراب الفائز بالجائزة الثانية •

حركة واحدة فى كل مرة

من بين الحلول العديدة لهذه اللعبة اليك هذا الحل :
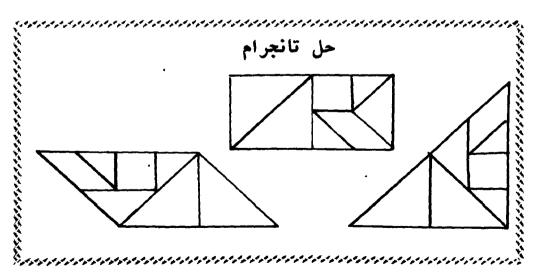
٢ الى ١ ، ٦ الى ٢ ، ٤ الى ٦، ٧ الى ٤ ، ٣ الى ٧ ، ٥ الى ٣ ، ١ الى ٥ •

حل تانجرام

مِنَ المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول ابريل ١٩٧٧

١/٩١

من الأعمال المختارة

جون ملنجتون سنج - ١

ظل الوادي • الراكبون إلى البحر • زفاف السمكري

تقديم : يونا ايلس فرمور

ترجمة : د. أحمد السيد النادي

مراجعة : د. عبد الله عبد الحافظ متولي

أمان بالإضافة إلى فائدة حسنة

مدة محددة طولها سنتان

يربح كل مبلغ بقيمة ١٠٠٠ جنيه استرليني أو اكثر ١٢¾٪ في السنة عن مدة محددة طولها سنتان في حساب وديعة زمنية. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون خصم أي ضريبة في المصدر بالمملكة المتحدة. ويدفع ١٢½٪ في السنة عن مدة محددة طولها سنة واحدة. تدفع ايضاً فوائد جذابة عن ٣ و ٤ و ٥ سنوات.

١٢¼٪ في السنة ودائع دخل شهري

يربح مبلغ ١٠٠٠ جنيه أو اكثر ١٢¼٪ في السنة عن مدة محددة طولها سنتان. وتدفع الفائدة شهرياً دون خصم اي ضريبة في المملكة المتحدة. تربح وديعة ذات دخل شهري مودعة لمدة سنة واحدة ١٢٪ في السنة. وتدفع ايضاً فوائد جذابة عن ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات.

لومبارد نورث سنترال هو عضو في مجموعة بنوك ناشيونال ويستمنستر، ولذلك يمكنك ان تفتح حساب وديعة بأمان تام لرأس مالك.

تفضل بارسال الكوبون للحصول على تفاصيل المجموعة الكاملة من حسابات الودائع التي نعرضها.

الفوائد المذكورة أعلاه صحيحة في موعد تحضير هذا الإعلان للنشر

Lombard North Central

Bankers

To: The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd, 17 Bruton Street, London W1A 3DH England.

الاسم: ____________

العنوان: ____________

____

M182

عضو في مجموعة بنوك ناشيونال ويستمنستر التي يزيد رأسمالها واحتياطيها على ٨٥٩,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني

Registered Office: Lombard House Curzon Street, London W1A 1EU England

عزيزى القارىء

● لا يزال عالمنا العربى يعانى فى داخلـه من مشكلة العـزلة الثقافية ، وهى تاخذ طابعا اكثر وضوحا فى علاقات دول المشرق والمغرب العربى • وللانصاف نقول انهم فى المغرب العربى يعرفون عنا ثقافيا اكثر مما نعرف نحن عنهم • وكتاب المشرق اسماؤهم محفوظة ومؤلفاتهم متداولة هناك ، بينما كتاب المغرب نادرا ما نجد لهم اعمالا فى مكتباتنا فى المشرق العربى ، باستثناء بعض انتاج الكتاب الجزائريين الذى وصل الينا مترجما عن الفرنسية !

ثمة اسباب تاريخية ادت الى ذلك ، فى مقدمتها حرص الاستعمار الفرنسى على اقامة هذا الجدار الحاجز بين المشرق والمغرب ، لكننا اذا طرحنا السؤال الآن فلن نجد مبررا لاستمرار تلك العزلة • وستشير كل أصابع الاتهام الينا فى مسئولية هذا الواقع المؤسف •

ان اقامة جسر ثقافى دائم بين المشرق والمغـرب ، هو مسئولـية أساسية لكل مؤسساتنا الثقافية ، لانه يعبر عن أبسط معـانى تعبير « الوطن العربى الواحد » ، الذى نرفعه شعارا فى كل مناسبة •

من هنا تنبع اهمية اقامة الاسابيع الثقافية بين الدول العربية ، وبينها المبادرة الكويتية الى اقامة اسبوع ثقافى فى تونس وآخـر فى القاهرة ، والمبادرة الجزائرية لاقامة اسبوع ثقافى فى الكويت •

ليتنا نكرر هذه اللقاءات الثقافية على مدار العام ، حتى لا يظـل اللقاء بين المشرق والمغرب مقصورا على فرق كرة القدم وحدها ! ■■

المحرر

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اسـلاميـات :

فلسفــة :

طب وعلوم :

استطلاعات :

أدب وتراث :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 222 MAY 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربى »

الاعـــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســـلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اى مادة تتلقاها للنشر

● من بقي من صقلية العربية والاسلامية ، بعد مضي حوالي ٩ قرون على انتهاء الحكم العربي في الجزيرة ؟ لقد ذهبت بعثة العربي الى صقلية تبحث عن اجابة لهذا السؤال ، وتتتبع الآثار والتأثيرات التي خلفها المسلمون والعرب هناك · وكانت الاجابة التي عثرت عليها هي ان كل آثار صقلية نورماندية الاصل والهوية ، لكنها تتحدث بلسان عربي فصيح !

(انظر الصفحات من ٧٨)

اقتصـــاد :

شخصيـات :

شعر وشعراء :

كتـب :

قصـص :

ركن الاسرة والمرأة :

فنـون :

متنوعـات :

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربي ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحريني ، العراق ١٢٠ فلسا · سوريا ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش · الاردن ١٠٠ فلس · السعودية ريالان سعوديان · السودان ١٠ قروش · ج·م·ع ١٠ قروش · تونس ٢٥٠ مليما · الجزائر ٢٫٥ دينار · المغرب ٢٫٥ درهم · اليمن ٢٫٥ ريال · ليبيا ١٥٠ درهما · جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس ·

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :
١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص · ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان ·
٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر ·

الأخلاق والسياسة

بقلم : أحمد بهاء الدين

مكيافيلى

● السياسة والاخلاق ؟ ...

الم يحسم هذا السؤال منذ اقدم العصور ؟ ...

هل هناك من نازع ـ او ينازع ـ فى ان الاخلاق فى السيا
هى « المصلحة » ؟

الم يحدثنا « ابن المقفع » عن هذه الامور ، سواء برموز
« كليلة ودمنة » أو بصراحة عباراته فى « الادب الكبير والادب الـ
قبل قرون وقرون ؟ ....

..الم يات بعد ذلك«مكيافيلى » فى كتابه « الامير » لكى
الـدس ، والمخاتلة او القسوة والتحايل ، كلهـا فـى ميدان الس
« فضائل » يجب انيتحلى بها الحاكم ، اذا اراد حقا ان يكونحاكما

الم يعرف القاموس السياسى الحديث ، وما زال يعرف ،
Raison D'etat ، واقرب ترجمة له « سبب يتصل بمصلحة ا
العليا » ، يقبل فى تفسير اى عمل يقدم عليه « رجل الدولة » و
« غير اخلاقى » بالمعنى السائد لكلمة اخلاق ؟

تم ٠٠ الا يزال الاغتيال ، والانقلاب ، والشراء بالمال ، من الاساليب التى تجرى ممارستها امام اعيننا الى الان ، فى عالم اليوم ، مبررة بالاهداف السياسية التى يراد تحقيقها ؟ ٠٠٠

●

٠٠ طبعا،لا شك أنه قد دخل « بعض التحسن » على علاقة الاخلاق بالسياسة ، عبر آلاف السنين من التقدم الانسانى ٠٠ بحكم تغير معنى « المصلحة »

٠٠ كانت « المصلحة » التى من اجلها تصبح التضحية بالاخلاق مسألة طبيعية ، مقبولة ، هى مصلحة « الحاكم » بالمعنى الفردى ٠

٠٠ ثم تطورت الامور فاصبحت « المصلحة » فى هذا المجال تعنى مصلحة « الدولة » اى الاطار الممثلة فيه الجماعة الانسانية ٠٠

٠٠ ثم تطورت الامور مرة اخرى فصارت « المصلحة » المقبولة فى هذا المجال هى مصلحة « الشعب » ٠

زخاروف

ولم تكن كل « نقلة » في هذا المجال تؤدى الى اختفاء ماكان قبلها تماما • كلا • فنحن اليوم مثلا نعيش في عالم واحد ، ولكن الشعوب او المجتمعات الانسانية ، تعيش في قرون مختلفة ، بل ومتباعدة جدا، من حيث نظم الحكم،والقيم السائدة،وحقوق المواطن ••الى آخره• وبالتالى « فالمصلحة » ـ بمعنى انصرافها الى مصلحة الفرد ، او الدولة ، او الشعب ، تعيش بتفسيراتها الثلاثة في عالم واحد ، وفي اقطار متجاورة •• استطاع العلم الحديث أن يختصر الزمن بينها جغرافيا ، فلا يبعد قطر عن قطر اكثر من ساعات بالطائرة ، ولكنه بحساب القيم السائدة تفصل بين القطرين عدة قرون !

●

ولكن ، ما هى مناسبة الحديث عن الاخلاق والسياسة ؟ •••

وهل هى مجرد محاولة لاعمال الفكر في بحث نظرى ؟ •••

كلا ! •••

ولكن الولايات المتحدة الامريكية ـ اقوى دولة فى العالم واكثرها تاثيرا في حياة عالم اليوم بخيرها وشرها ـ وصل الى مقعد الرئـاسة فيها ، فجاة وعلى غير توقع ، سياسي مجهول ، هو جيمي كارتر • جاء على موجة فحواها انه اخلاقي اكثر مما هو سياسي ، او هو سياسي غير « سياسي » • بل ولم يتردد احيانا خلال معركته الانتخابية من التلميح الى انه يتصرف بناء على رسالة نزلت عليه من السماء ، وان هناك علاقة خاصة بينه وبين الرب !

وبعد ان تولى جيمي كارتر الرئاسة بالفعـل ، اراد ان يثبت وبسرعة ، ان ما كان يقوله خلال الانتخابات لم يكن دعاية فقط • فلم يلبث ان قام بعدة تحركات وتصرفات وتصريحات ، تركت ردود فعل متباينة •••

استقبل في البيت الابيض « بوكوفسكي » احد المتمردين الروس، بعكس ما فعل جيرالد فورد حين رفض مقابلة « سولجينتسين » حتى لا يسيء الى سياسة التهدئة بين روسيا وامريكا •••

ثم ارسل خطابا شخصيا منه الى «زخاروف» العالم الذرى السوفيتي وزعيم المتمردين في الاتحاد السوفيتي ، بما يعنى تاييده فى نضاله ضد السلطة السوفيتية وقوانينها ...

وقد رد بريجينيف الرجل الاول في روسيا على ذلك ردا عنيفا في خطاب علني اعلن فيه ان روسيا لن تقبل اى نوع من التدخل في شئونها الداخلية . وانه ليس من حق دولة ان تعلم دولة اخرى كيف تدير امورها الداخلية .

وحين ذهب سيروس فانس وزير خارجية امريكا الجديد فى اول رحلة له الى موسكو ، واجهه بريجينيف بضرورة تسوية هذه القضية اولا . ولعلهم تعمدوا ان تتحطم مهمته الاولى تماما في موسكو، حتى يقضوا على الفكرة التى رددها كارتر من ان الروس لن يضحوا بفوائد الوفاق ونزع السلاح ، من اجل تصريحاته !

وحتى لايقال عن كارتر -وقد قيل طبعا- ان الامر ليس امر مبادىء واخلاقيات انسانية بقدر ما هو سلاح جديد من اسلحة الحرب الباردة ، تحدث عن بعض البلاد « المحسوبة » على امريكا . واعلنت حكومته ان مساعداتها الاقتصادية والعسكرية سوف تدخل فى اعتبارها من الان نوع النظام الداخلي ودرجة القمع والعدوان على حقوق الانسان في اى قطر . الامر الذى جعل بلادا مثل البرازيل والارجنتين ترفض اى مساعدة من امريكا . طالما هى مقرونة باحكام ليست امريكا هى الجهة التى تصدرها .

وذهب كارتر الى الامم المتحدة ليلقى خطابا تقليديا ، اعتاد ان يلقيه كل رئيس امريكي جديد . وفي هذا الخطاب اعلن عن مبدأ بالغ الاهمية . قال ما خلاصته : ان كل الدول الاعضاء فى الامم المتحدة قد وقعت على وثيقة اعلان حقوق الانسان . وانه من تلك اللحظة لا يعتبر انتهاك دولة ما لهذه الوثيقة فى بلادها امرا داخليا خاصا بها . بل انه امر يهم العالم كله .

●

مبدأ ، فيما اعتقد ، صحيح تماما ...

وحجته ، فيما ارى ، يجب ان تكون مقبولة فى عالم اليوم . والا، فما معنى المؤسسات الدولية ، والمواثيق الدولية ، والكلمات الواردة فيها . والخاصة بحقوق الانسان !

وذلك طبعا بشرط ان لا يكون « حقا يراد به باطل » ، كما يحدث كثيرا، فى عالم السياسة .

وبالتالى فان الاسئلة -ونحن امام وقائع حياة ولسنا في مجال بحث نظرى - تبقى كثيرة . وقد جاءت من العالم كله . ومن داخل امريكا ذاتها . حول كارتر . ودوافعه ..

هل هو ساذج ؟
هل هو صادق ؟
هل يستهدف مكاسب داخلية سياسية فحسب ؟
هل يستطيع ان يمضي الى آخر الشوط ؟

ثم .. هل هذه السياسة ، التي سماها الكاتب الامريكي جيمس رستون،ساخرا ، باسم « سياسة الفم المفتوح »،هي السياسة ا لتحقيق هذا الغرض ، اذا كان هذا الغرض جديا ؟ ..

طبعا . هناك سوابق في امريكا وغير امريكا للساسة المثاليـ كان « وودرو ويلسون » الرئيس الامريكي الذى دخل ببلاده الـ العالمية الاولى مثاليا ،حين اعتقد انها الحرب التيستكون آخر الحرو وحين دعا الى انشاء « عصبة الامم » . وحين وجد أن السياسة ا السياسة ، قرر عدم دخول امريكا في عصبة الامم .

وكان فرانكلين روزفلت ـ اعظم رؤساء امريكا ـ مثاليا ايضا

ومن الاسئلة التي ستبقي مثلا معلقة : لو كان انجاز صنع القـ الذرية قد تم في عهده ، هل كان يلقيها على هيروشيما ، قاتلا ما الف ، كما فعل ترومان ؟

دفاع ترومان ـ الاخلاقي ـ انه بقتل مائة الف نسمة ، اوا حربا لو استمرت لقتل فيها مليون ...

ولكن ، الم يكن ممكنا ، مثلا ، مجرد اخطار اليابان بالسلا الرهيب الجديد وانذارها باستخدامه ، لكي تستسلم كما فعلت ؟ و واردا أن يسلك روزفلت هذا الطريق ، لو انه لم يمت قبل انجـ القنبلة الذرية بقليل ؟

على اى حال . لقد مات روزفلت وهو مصمم على تاييد تصفـ المستعمرات القديمة ، ولكن بقي بعده تشرشل وغيره واستغرقت تصفـ الاستعمار ربع قرن زيادة ، ومات وهو يعمل لسياسة الوفاق بين الشر والغرب ، ولكن الحرب الباردة انطلقت بعده . ومات وهو يرفض اقام دولة اسرائيل في فلسطين لانه كان اقوى من اى فئة في بلاده ، وكا مدركا لمستقبل المنطقة العربية وخطورتها ، ولكن ترومان كسياسـ صغير آثر الرضوخ للقوى الانتخابية الداخلية،ولو خلق بذلك احدى اعقد مشكلات العالم ومآسيه .

.. ولعل هذا الاستطراد قد اخرجنا قليلا عن مجرى الحديث .

●

طبعا ، قضية احترام حقوق الانسان ، ليست قضية سهلة ، بل انها اعقد القضايا على الاطلاق . ولربما تحل معظم مشاكل البشرية ـ اذا امكن ذلك ـ قبل أن تحل هذه القضية . وقبل ان يحظى كل انسان ، في كل بلد ، وتحت كل نظام ، باحترام حقوقه .

ويلسون

لقد نزلت الاديان كلها ٠وجوهر رسالتها احترام حقوق الانسان٠

وقد زعمت الثورات والمذاهب والايدولوجيات كلها ،انها انماتريد احترام حقوق الانسان ٠

ومع ذلك ، فلو اردنا تلخيص تاريخ البشرية كله ، لوجدنا ان السمة الغالبة فيه ، هى عدم احترام حقوق الانسان ٠٠٠

وابسط الاسباب الداعية لذلك ،تصور كل مجتمع انسانى لما يرى انه احترام لحقوق الانسان ٠ ولما يرى انه حقوق الانسان ٠

ثقافة الغرب واوروبا السياسية كلها ، تقول ان اثينا كانت مهد الديمقراطية ، وأنها ما تزال النموذج الفذ الذى لا يتكرر ٠

ولكن اثينا ـ بساستها وفلاسفتها ـ لم يجدوا فى تقسيم الشعب الى احرار وعبيد ، وبالتالى قصر حقوق الانسان على الاحـرار دون العبيد ، لم يجدوا فى ذلك اى تعارض مع ديمقراطية اثينا ٠

والجاهلية ، قاومت دعوة الاسلام اعنف مقاومة ، بسبب ما يدعو اليه الاسلام ، وبدا لهم انه امر بالغ الغرابة والشذوذ ، وهو محاربة الرق ٠ لطول ما اعتاد المجتمع هذا الوضع ٠٠٠

روزفلت

فالمجتمع نفسه ، حتى بحكمائه وعقلائه ٠ فد يرى فكرة حقوق الانسان فى صورة نراها اليوم غريبة وبالغة الغرابة ٠٠٠

وقد احتاج الامر الـى دهور طويلة ، ورسالات مـن السماء ، وثورات على الارض،حتى تطور مفهوم حقوق الانسان ٠٠وايضا ليس لدى الجميع ٠٠٠

ثم ان هناك عنصرا اخـر ، داس حقوق الانسان عبـر التاريخ باقدامه ، وهو صراع الحياة العنيف ٠٠٠

كان فى البدء صراع أفراد ٠٠ ثم صار صراع قبائل ٠٠ ثم صار صراع شعوب وامم ٠٠ حتى صار الصراع دوليا ٠٠ فالحروب عالمية٠٠ والمذاهب المتصارعة ترى ان مجالها العالم كله ٠٠ والازمات المالية او الاقتصادية او حول السلع الاساسية ، ازمات عالمية ٠٠٠

وتحت هذه العناوين الواسعة بالطبع ، تندرج مئات الانواع من الصراع ، مما يعرفه الجميع ٠٠٠

صراع لا يعرف الرحمة ٠٠٠

وما يهمنا من هذا التاريخ هنا،هو مرة اخرى كيف أن اقسى المظالم كانت ترتكب باسم « حقوق الانسان » واحيانا باقتناع مـن المرتكبين انفسهم ٠٠

كان الشعب يستعمر شعوبا اخرى ، ويمتص ثرواتها ٠ وكـان الشعب الحاكم يرى فى رجله الذى يحقق له هـذا بطـلا ٠ كان بطلا بالنسبة له ٠ فهو يوفر له مستوى عال من المعيشة ، على حساب شعوب

اخرى ٠ وكان هذا مقبولا « اخلاقيا » لدى الشعوب المستفيدة ٠٠٠وك
المعترضون على هذا هم الشواذ ٠٠٠

كان الساسة ورجال الدولة يعرفون ما يفعلون ٠٠٠

فحين كان نابليون يحلم باحتلال مصر ،ثم بالقفز الى الهند الذ
يحكمها الانجليز، قال لخلصائه : «سنفاجئهم،لصوص يهاجمون لصوص
اقل منهم جراة ! » ويفوزون بالجائزة ٠٠٠

وكان هناك من المفكرين من يبررون هذا ويفلسفونه ٠ فاستعما
اوروبا لآسيا وافريقيا كلها ، عاش اجيالا يحمل اسم «عبء الرج
الابيض » ٠ وكان هذا مقبولا اخلاقيا ٠ فالانسان هو الرجل الابيض
اما استغلال الاسود والاسمر فكان امرا مقبولا ٠

ومعظم تماثيل « الابطال » و « العظماء » التى تملأ ميادين
اوروبا مثلا هى تماثيل غزاة ، او طغاة ، او مستعمرين ٠٠ ولكنهم
عند شعوبهم ابطال ٠٠٠

وكان المعترضون قليلون ٠٠

كانت انجلترا ، وهى اكبر امبراطورية ، تسمي وما تزال « ام
الديمقراطية فى العالم » ولكن برناردشو كان يقول : ان كلمة
الديمقراطية يتغير معناها بمجرد ان تترك الجزر البريطانية وتعبر
المحيط !

وهذا صحيح ٠ فالديمقراطية للانجليز ٠ تغذيها وتجعلها ممكنة
الموارد المستنزفة من شعوب اخرى ٠ ولكن كان هذا مقبولا اخلاقيا على
الاقل لدى « الشعوب الراقية » ! ٠٠٠

كانت انجلترا تفخر بثورتها التى ارست قواعد الديمقراطية ٠
وفرنسا تفخر بثورتها التى حققت شعارات الحرية والاخاء والمساواة ٠
ولكن ثورة من هذا النوع ، فى اى مستعمرة تابعة لهما ، كان لا بد من
قمعها فورا، وبكل عنف ٠

وكان لهذا المنطق كله صحافته ، وثقافته ، وكتابه ، وفلاسفته ٠

اما المسحوقون ، فلم يكن لهم شىء من هذا ٠ لم يكن لهم صوت
يسمع ٠ ولا فكر يقرع الآذان ٠ لانه لم يكن لهم مدافع ولا بوارج ولا
طائرات ٠٠٠٠

وقد تغير الكثير من هذا بحركات التحرر فى العالم التى ادت الى
استقلال كل شعب تقريبا ٠٠٠

وصار هناك برلمان عالمي اسمه الامم المتحدة ، يفترض ان لكل
شعب فيه له صوت كأى شعب آخر ، مهما كان لونه او عدده ،او قوته٠٠

ولكن هذا بالطبع ما زال بعيدا عن الواقع بكثير ٠ وان كان
المستضعفون فى الارض يكسبون كل يوم ارضا جديدة ٠

شـو

وكان طبيعيا بعد حقوق الشعوب ، ان تبدأ وتتسع معركة حقوق الافراد ، حقوق الانسان ٠

●

وحين نلقي نظرة على العالم ٠نجد ان كل شعب يحاول ان يخوض في بلده ، معركته الخاصة ، من اجل كسب حقه في حقوق الانسان٠٠٠ وان كان هذا الصراع ليس داخليا دائما ٠ فالقوى الخارجية ذات التاثير،ما زالت تتحالف معالقوى المحلية المتخلفة،لاطالة اجل استبدادها، اذا كان هذا يناسب تلك القوى الخارجية لسبب او لآخر ٠

وقد مر زمن ، قريب ،ساد فيه الصراع المذهبي واختلفت المذاهب بالتالي خلافا حادا حول تعريف حقوق الانسان ، او على الاقل على أولويات حقوق الانسان ٠

مذاهب تقول : الحرية فحسب ٠ وبعد ذلك فليتصارع الناس لياخذ كل ما يستطيع ٠

ومذاهب تقول : لقمة العيش اولا ٠ وحقوق الانسان الاجتماعية ٠٠٠ التحرر من الجوع ومن البطالة ومن عدم المساواة ٠٠ هى حقوق الانسان الاساسية ٠

ولكن التيار السائد ، والذى يتحول مع الزمن في تقديرى الى موجة عارمة فى كل مكان وتحت كل نظام هو : الخبز مع الحرية ،العدل مع الكرامة ، وبغير ذلك يظل حق الانسان ناقصا ٠

وفى هلسنكي ، منذ ما يقرب من سنة ، اجتمع اقطاب المعسكر الشرقي والمعسكر الغربى ٠ وفي محاولة معقدة لتكريس الامر الواقع الذى اسفرت عنه الحرب العالمية الثانية من تقسيم لاوروبا وتثبيت الاوضاع الدولية بينهما ، وقعا على معاهدة شملت بنودا سياسية كثيرة، ومن بينها نصوص عن حقوق الانسان ، كاساس لسياسة الوفاق ٠

وفى بلجراد ، بعد شهر ، يجتمعون مرة اخرى لمراجعة ما تم فى شان التزام كل طرف فى هذه المعاهدة ٠

●

وفجاة ، شن كارتر حملته دفاعا عن « المعترضين » فى الاتحاد السوفيتي ، وهاجم فى الوقت نفسه جوهر النظام السوفيتى ٠٠٠

وقد بدأ الامر ٠٠٠ اثناء حملته الانتخابية للفوز بالرئاسة ٠٠ وتفسير هذه الظاهرة قد يكمن فى امريكا نفسها ٠٠٠

ففى خلال الجيل الذى سبق وصول كارتر الى الحكم ، تعرضت امريكا ـ اقوى دول العالم ـ لامتحانات صعبة ، خرج منها الشعب الامريكي ، والضمير الامريكى ، مثخنا بالجراح ٠٠٠

لقد اغتيل رئيس للجمهورية (جونكنيدى) ٠ وخرج خليفته من الرئاسة (ليندونجونسون) تحتضغط نقمة عارمة منالشعب بسببحرب

كنيدى

فيتنام ٠وطرد رئيس ثالث (نيكسون) بتهم اعتداء على حقوق الانسان في امريكا وتجسس على الافـراد واخفاء جرائم ٠ وخـرج نائب رئيس (اجنيو) بتهمة رشوة صريحة٠واغتيل مرشح للرئاسة على وشك الانتصار (روبرت كنيدى) ٠واغتيل زعيم حركة تحرير السود (مارتن لوثر كنج) ٠

وصاحب هذا كله حرب فيتنام ٠ حين استخدمت امريكا قوتها العسكرية الهائلة في محاولة سحق شعب صغير فقير في فيتنام دون جدوى ومرة اخرى نجد في رواسب بعض النفوس ان ضرب «الصغر» وتدميرهم او «اعادتهم الى العصر الحجرى» كما قال قائد طيران امريكى ، امر مباح لانهم « صغر » فلم يكن متصورا ان فظائع حرب فيتنام يمكن ان تقع في بلد اوروبى مثلا ٠

وصاحب هذا كله كشف ادوار رهيبة للمخابرات الامريكية في تنفيذ انقلابات . واسقاط حكومات .واغتيال زعماء٠٠٠ ثم جاءت موجة الفضائح المالية ٠ وسيل اعترافات الشركـات الكبـرى برشوة اكبر الشخصيات من اليابان شرقا الى هولندا غربا ٠٠

وهذا كله وقع وارتكب في اكبـر « مجتمع مفتـوح » واصيب الضمير الامريكى بجرح دام عميق وصارت كلمة السياسة كلمة قذرة . وحقـوق الانسـان نكتـة ٠ وادرك كارتـر المـوجة . فخـرج من المجهول . رافعا راية الفضيلة ٠ وسخر الساسة منه . لكن الرأى العام اعطاه مقعد الرئاسة ٠

وكانت احد تعهداته التى ارضى بها المواطن العادى . هي الطهارة واحترام الانسان ،وحقوقه ، وحمل نفس الرسالة الى ماوراء الحدود٠٠

وفي بلاد المعسكر الشرقي جماعات من الرافضين ، او المطالبين بحريات اكثر ، بعد ان حققت تلك المجتمعات التقدم المادى المطلوب ، وصارت تجد أن من حقها ان تحظى بالقسم الاخر من حقوق الانسان وهو الحرية . فالتقط كارتـر ورقة تاييدهم . كسلاح يبـرر دعوته « التبشيرية » ويقلب معركة الدعـاية ضد المعسكر الاخر ، ويعطى الامريكى من جديد شعورا برسالة عالمية هي الدفاع عن حقوق الانسان ولو فى اماكن بعيدة ٠

●

ومهما كان الامر فيما يتعلق بدوافع كارتر ، او باساليبه ، بردود فعل المعسكر الاخر ٠

فالقضية في ذاتها ـ مجردة من اعتبارات الصراع الدولى ـ عادلة٠٠ تتحول الى قضية العصر ٠ والامتحان الحقيقى سيكون حين يتبين كانت مجرد سلاح جديد في الحرب الباردة ، او اذا كانت الدعوة ـ نعم ، فلمَ تثور امريكا لمنع مواطن في روسيا من السفر وتسكت اختفاء الآف فى تشيلى او فى غيرها !

سيلسون

ولم يرفع كارتر راية حق تقرير المصير . ويسكت على طرد اسرائيل للفلسطينيين من ديارهم واحتلال ارضهم بالقوة !

وهل حقوق الانسان مطلب يرفع شعاره حيث يلائمه هذا ، وينكسه حيث لا يلائمه احترام حقوق الانسان .

واذا كان لا بد ان تشغلنا امور انفسنا كما تشغلنا امور الانسانية . فان المواطن العربي في كل مكان من انحاء الوطن الكبير ، لديه الكثير مما يفتقده في حياته . ولديه الكثير من اسباب الشكوى في كثير من مجالات فقدان حقوق الانسان .

ولكن هنا ايضا . وصلت الشعوب العربية الى مرحلة من النضج ، صار لا بد معها ان يكون تاكيد حقوق الانسان فيها امرا اساسيا ، ولا مجال للتساهل فيه .

ان انعدام هذه الحقوق في اماكن ، وضعفها في اماكن ، هو علة العلل . واساس كل داء . وسبب كل بلاء في ظروفنا العربية الراهنة .

ولا بد ان يتحمل كل من تسمح له ظروفه ومكانته وثقافته جانبا من مسئولية تاكيد هذا المعنى . ونشره فيما حوله .

ان التعذيب الجسدى ، او السجن بدون قضاء ، او منع ابداء الرأى اذا كان سليما ، او رفض فكرة تبلور ارادة الشعب بأى صورة من الصور ، ان هذه كلها اشياء لا بد ان تزول .

ان زوالها اهم في معركة التقدم من استيراد احدث الالات واقامه احدث المباني ، فقد كان التقدم دائما رهنا بالانسان ، وشعوره بكرامته ، وبحريته العقلية . فهو ان عجز عن استخدام فكره وعن ممارسة كرامته . فقد عجز عن ممارسة ما يجعل الانسان انسانا .

ان حقوق الانسان التي رأت النور يوما مع مشرق الاسلام في هذه الارض ، لا بد ان يعود لها بريقها من جديد مهما كانت الفلسفات والادعاءات .

وبغير الاحترام الكامل الخالي من اى تحفظ لحقوق الانسان العربي لن نخترق الحلقة المفرغة من التخلف ومن الماسي ومن شتى انواع الاحباط التي تكاد تزهق روح الانسان العربي . مهما حاولت بعض الماديات من تغطية ذلك لبعض الوقت .

ان معركة حقوق الانسان على المستوى العالمي ستكون معركة اخر هذا القرن واول القرن القادم .

وعلينا ان نكون من المناضلين فيها ...

لانفسنا اولا .

وبعد ذلك لغيرنا ...

●●

احمد بهاء الدين

مواجهه مع عناصر الجمود

فى الفكر الاسلامى المعاصر

د . احمد كمال ابو المجد

■ يبدو ان الحوار المنظم بين اصحاب الافكار التى عاشت ازمانا طويلة فى تناقض شديد وسوء ظن متبادل قد اضحى سمة بارزة من سمات عصرنا ، ولعل ذلك من آثار ما ولدته التجربة الطويلة مع الصراع الساخن والمعارك المستمرة من اقتناع بعدم جدواها ، خصوصا فى عالم الفكر والاعتقاد ..

فمن حولنا حوارات عربية عديدة اسفرت عن لقاءات عند منتصف الطريق احيانا ، وعند مواقع بعض الاطراف احيانا اخرى .. وفى مواقع اخرى حددتها اطراف خارج دائرة الحوار احيانا ثالثة اخرى .. وقد شاركت فى هذا الحوار اطراف تبادلت الاتهام والخيانة والانحراف سنوات طويلة، وجعلت خصومة بعضها مع بعض جزءا ثابتا من اجزاء برنامجها المعلن ..

وفى اطار الفكر الاسلامى ، والحركات التى تنتمى اليه ، فان الحوار قائم على اشده بين تيارات عديدة متداخلة احيانا ، ومتناقضة احيانا اخرى ، تتوزع فكر المسلمين ومشاعرهم وولاءهم، وتشد كثيرين منهم الى معارك جانبية تشتد ضراوتها احيانا اكثر مما تشتد ضراوة الصراع بين التيار الاسلامى بروافده المختلفة ، وبين تيارات اخرى وحركات تنازعه وتناقضه فى اسسه الكبرى وقيمه العليا ...

وحسبنا هنا ـ قبل ان نبدأ المواجهة التى اعلناها فى عنوان هذا البحث ـ ان نلقى نظرة سريعة على اهم هذه التيارات المعاصرة ، وان كان بعضها قديما ضاربا بجذوره فى تاريخ الاسلام وحضارته :

(أ) فهناك تيار « محافظ » يفسر السلفية بانها التزام ما انتهى اليه الاولون من السلف من آراء ومواقف واحكام ، لاينكر جواز الاختيار بينها ، ولكنه يرى فى تجاوزها تجاوزا للاسلام، وابتداعا فيه ، وفتحا لابواب الهوى ، وتحكيما للعقول فى الشريعة وقد جاءت حاكمة للناس لا محكومة بعقولهم واهوائهم .

(ب) وهناك تيار صوفى ، يرى ان مشكلة المسلمين فى قلوبهم وليست فى عقولهم ، وان اقبال المسلمين على الدنيا وتزاحمهم مع الامم على ثمرات الارض هو اساس الفساد ، وهو

لذلك يدعو الى الايغال فى العبادة ، والى الزهد فى الدنيا كلها . ويهون كثيرا من قيمة العقل ، وينقل كثيرا من اتباعه من هذا العالم الذى تحكمه السنن وتضبط حركته النواميس الى عالم غامض تختلط فيه - ولو بحسن نية - الحدود الفاصلة بين آداب السلوك واخلاقيات الايمان ، وبين المنهج الغيبى الخالص الذى يضع اقدام اصحابه على طريق قد لايسلم من الخرافة وتلبيس الحقيقة بالوهم ..

(ج) وهناك فريق ثالث - لايزال يرفع راية الاسلام بيده - ولكنه مع ذلك يثور على اوضاع المسلمين كلها ، وينطلق الى ما يعتبره تحررا من قيود التراث كله ، واخذا بثمرات العقول كلها، ولايرى مخرجا من الواقع المرير الذى يعيشه اكثر المسلمين سوى ان نحذو حذو الغرب (والغرب هنا يشمل الغرب والشرق معا) فيما ياخذ وما يترك ، وفيما يقول وما يفعل .. وقد يجاوز هذا الفريق حدود الاسلام ومبادئه الاساسية وقيمه الكلية .. ويظـــل مع ذلك متمسحا بشـعاراته ومصطلحاته ...

(د) وهناك من وراء ذلك اخلاط من الحركات ترفع لواء العمل للاسلام ، منها ما يشغله ليلا ونهارا شعار « العودة لتطبيق الشريعة » « والحكم بما انزل الله » ومنهم من يجعل الوصول الى « الحكم » بمعنى الوصول الى السلطة السياسية والاستيـلاء عليها ، ويتصـور قيام « الحكومة المسلمة » بهذا المعنى الالى الساذج نهاية لمشاكل المسلمين ، وتحقيقا للمثل الاعلى فى العمل من اجل الاسلام .

ويتسع وقت كثير من هذه الحركات لكل ضروب المناورات السياسية والحزبية ، التى تقبل العمل الانقلابى احيانا - ولكنه قلما يتسع للاجابة العلمية المحددة عن وسيلة « الحكم بما انزل الله» وضرورة الاعداد لتطبيق الشريعـة قبـــل رفـع لوائها ... وقد يرى بعض هؤلاء ان يستولوا على السلطة اولا .. ثم يفكروا وينظروا ثانيا..

(هـ) ومن وراء اولئك جميعا اجيال ضخمة هائلة من الشباب - والكهول ايضا - مؤمنة بعقيدة الاسلام ، مبصرة لنظرته الكلية الى الحياة والخلق والانسان .. مدركة لدورها فى ترشيد حياتها وحياة الدنيا من حولها .. وفى تعمير الكون واستخدام العقل لتحقيق هذا التعمير .. ولكن هذه الاجيال تحاصرها المعاذير والسيوف المسلطة من هذه الفرق المتناحرة التى يترصد بعضها ببعض .. ويستولى عليها - فى احيان كثيرة - نوع من الحيرة والعجز عن تحديد الاتجاه فتبقى فى مكانها تتلفت باحثة ، او تخطو خطوة هنـــا وخطوة هناك دون ان تندفع بطاقتها الهائلة الى طريق مرسوم .

٧ قضايا للمناقشة

وقد اعتاد هذا القلم ان يغوض - مع اقلام كثيرة - فى الحوار الدائر بين هذه التيارات كلها ، ولكنه - هو الاخر - كان يغوض بحساب دقيق ، ويرفق مبالغ فيه ، وحرص على تجنب غضب اطراف تملك من اسلحة التخويف الفكرى صنوفا والوانا ورصيدا هائلا .

ولكن الاحساس المتزايد بشدة حاجة الدنيا من حولنا الى الاسلام بعقيدته الصافية . ونزعته الانسانية السمحة ، وما يقيم عليه حياة الفـرد والجماعة من توازن يبعث السكينة ، وانسجام مع الكون ونواميسه يقتلع كثيرا من اسباب الفصام والقلق وهما أخطر آفات العصر ، وافدح تبعات السرعة الهائلة التى تم بها اختراق الحاجز بين الحاضر والمستقبل بثورة صناعية تتزايد سرعتها بمتوالية هندسية رهيبة .. هذا الاحساس مقرونا برؤية تعاظم موجة تمرد الجيل الجديد من شباب الاسلام على استمرار هذه المعارك العقيمة بين اصحاب هذه التيارات ، ولهفته على أن يجد الطريق الذى يحفظ عليه قيمه الاسلامية العليا ، ويطلق فى نفس الوقت طاقاته وقدرته على العطاء والابداع ... هذان الامران معا .. وضعا حدا للصبر ، ونهاية للتردد .. وآذنا بمرحلة جديدة فى الحوار الاسلامى .. توضع فيها النقاط فوق الحروف ، ولايعبا فيها الكاتب بارهاب المرهبين ولمز اللامزين، ويرتفع فيها فوق صخب اولئك جميعا قول الله تعالى : « وتخشى الناس والله احق ان تخشاه »

والحروف التى اريد ان اضع فوقها النقاط بارزة واضحة فى هذه الحلقة الاولى من حلقات المواجهة، احرف سبعة ، تكتمل بها - فيما ارى - معالم تيار اسلامى هو الغالب فى صدور جيل باكمله

من التسباب ، تحدثه به نفسه . ويخافت به خشية الاتهام بالابتداع والضلال والخروج والمروق الى اخر هذه الصيحات التى يقذف بها فى وجهه سدنة فكر متخلف يحملون سعة الاسلام على ضيق افقهم ويحملون سماحته على ضيق صدورهم ويلوون وضوح مبادئه المستقيمة لتلاقى التواء مزاجهم وطبعهم.

اولا : ان اقامة احكام الاسلام فى عصرنا تحتاج الى اجتهاد عقلى كبير ، وللعقل سبيل الى ذلك لا يسع عاقلا انكاره ، فالنصوص ـ قرآنا وسنة ـ محدودة متناهية ، والحوادث متجددة غير متناهية.. وحركة الزمن سنة من سنن الله ، وحركة التشريع لملاقاة تلك الحركة أمر من أمر الله.. وخلود الاسلام وصلاحية شريعته لكل زمان ليست سرا ولا خرقا لنواميس الحياة تحار فيه الالباب .

وانما هو خلود مستمد من قدرة الشريعة على هذا التجاوب ، ومن اشتمالها على ادوات الحركة ومقومات التجدد .. وما فتح الباب للاجتهاد بالاجماع والقياس وطلب المصلحة ، واعتبار العرف ، الا هداية الى أبواب هذه الحركة ، ومدخلا لتحقيق المصالح ، ودرء المفاسد ، وتثبيت ما ينفع الناس . وباطل ما شغبوا به ، جدلا فاسدا ، ولعبا بالالفاظ ، من انه لا مدخل للعقل فى التشريع ، لان الحكم لله وحده ، وحق التشريع لا يملكه أحد سواه ، ودخولا فى طاعته ، واعترافا بحاكميته .. باطل ذلك بالعقل ، وبالنقل المتواتر ، وبما تدل عليه بداهات الامور .. باطل بالعقل لما قدمناه من تناهى النصوص وتجدد الحوادث .

وباطل بالنقل الثابت فى حديث معاذ حين ولاه النبى (ص) قضاء اليمن وساله عما يفعل اذا عرض له قضاء .. وافترض عليه السلام ان أمورا سوف تعرض لمعاذ فى اليمن لا يجد لها حلا فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله عليه السلام ، ولذلك أقره على اجتهاده اجتهادا لايقصر فيه وأعلن أن ذلك مسلك من رسول رسول الله يرضى عنه الله ورسوله ..

وباطل بما تواتر من اجتهاد النبى (ص) ، واجتهاد الصحابة .. اجتهادا فى التفسير حين يوجد النص ، وبحثا عن الحكم حين لا يسعف النص ..

والاجتهاد الذى نحتاج اليه اليوم ، ويحتاج اليه المسلمون . ليس اجتهادا فى الفروع وحدها .. وانما هو اجتهاد فى الاصول كذلك .. وكم من مسالة تواجه المسلمين اليوم فاذا بحثوها واعملوا الجهد طلبا لحكم الاسلام فيها أفضى بهم بحثهم الى وقفة مع الاصول .. فقد يكون سندها حديثا ضعيفا لا يعرفون ما يصنعون به .. وقد يكون مصدرها اجماعا سكوتيا يعارض حديثا ضعيفا .. أو قياسا ياخذ به فريق ويرده آخرون وليس ما تردده الكثرة الغالبة من المعاصرين من امتناع فى الاجتهاد فى الاصول الا التزاما بما لا يلزم ، وتقصيرا فى بذل الجهد بحثا عما ينفع الناس . وما قبلته هذه الكثرة من كلام الامام الشاطبى فى كتاب « الموافقات » من أن أصول الشريعة كلها قطعية (ومن ثم لا يسوغ الاجتهاد فى شانها) يحتاج الى وقفة تامل ومراجعة . لان الامر أخطر وأجل من ان نسلم فيه لفقيه مهما علا قدره . وقد استدرك على ذلك غير واحد من العلماء الثقاة كالامام الشوكانى . والقاضى أبو بكر الباقلانى ، وتابعهم فى هذا الاستدراك كثير من المحدثين والمعاصرين ..

التصوف والتراث

ثانيا : الاسلام نظام للحياة ، مبنى على ظواهرها ، محكوم بنواميسها ، مردودة أحكامه الى العلل المنضبطة التى تدركها العقول واحكامه تدور مع هذه العلل ، ولا تنفصل عنها . ولو انفصلت لذهبت الرحمة ، وسقط العدل ، واستحال التكليف .. وليس للاسلام باطن يستاثر به اقوام دون أقوام .. الا أن تكون تجربة روحية ذاتية من حق اصحابها ان يخوضوها وان يذوقوا ثمارها ـ فى صمت وتواضع ـ دون أن يشغبوا على جماهير المسلمين بحديث عنها كله رموز واشارات ، تضر ولا تنفع ، وتضل ولا تهدى ، وتهتز بها فى عقول المسلمين وضمائرهم الموازين .. والقول بغير هذا يتعارض مع توجيه الرسالة الاسلامية للناس كافة ، وتيسير القران للذكر ليعمل به الناس ، ومخاطبة لاولى الالباب .. ان التصوف جزء من تراث الاسلام ، وتاريخه وسيرة رجاله جزء من تاريخ الاسلام وحضارته .. نبه قلوبا

لامية ، وذكر كثيرا من عقول ناسية .. وادب كثيرا من اتباعه باداب الاسلام • وهو - حين يلتزم بالكتاب والسنة - رافد جليل من روافد العلم الاسلامي ، ولكنه يوشك أن يكون رافدا للقلة والخاصة الذين يحسنون الموازنة بين حقول العقل وحقوق القلب .. وبين عموم الشريعة وخصوص الوجد الذى يلقاه سالك على طريق معرفة الله بالقلب • ولكن الشطط فيه كثير .. والمزالق خطيرة وامتزاج الخرافة فيه بالحقيقة واقع لا معنى للمكابرة فيه .. وآثاره السلبية حين يصل الى العامة حقيقة تاريخية اخرى لا يليق بمنصف ان يشكك فيها .. والاسلام الذى ينبغي ان نقدمه للاجيال من شبابنا هو اسلام الحركة والقوة والصحو والاخذ بالاسباب .. الاسلام الحى الذى جسده النبى (ص) بسيرته واقواله .. والذى تابعه فيه الصحابة من امثال عمر رضى الله عنه ، والذى كان اذا تكلم اسمع، واذا مشى اسرع ، واذا ضرب فى الحق اوجع ، والذى كان الناسك حقا ..

ثالثا : ما يسميه كثير من الناس « بالتراث » ويدعون الى المحافظة عليه والالتزام به حرصا على الاصالة ، يحتاج الى ضبط وتحديد وبيان لمكوناته .. ووزن لموقعها من الاسلام وموقع الاسلام منها • فالتراث تعبير غامض يشير الى النتاج الحضارى للامة منذ اكتملت لها مقوماتها• وتراث الامة الاسلامية ، على تنوعه واختلافه باختلاف الزمان والمكان هو مزيج من أمرين : من روح الاسلام ومبادئه ونصوصه وتوجيهاته .. ومن امور لا تتناهى عددا من ظروف البيئة وخصائص الشعوب والامكنة وملابسات الحوادث .. والالتزام بهذا كله (بجملته تلك ، وبحالته تلك) التزام بما لا يلزم • وتوسيع - غير جائز لرقعة الاسلام باضافة ما ليس منه .. وتعبد بما لا قدسية له .. وتثبيت لما لا حاجة لاحد فى تثبيته ، ومن هنا القول مع القائلين اننا نحتاج الى فرز التراث من ناحية وتجاوزه من ناحية أخرى : نفرزه لنعرف ما يعد منه اسلاما ، وما يعد من عامة احوال الناس وظروف الزمان والمكان ..

ونتجاوزه لان من حق كل جيل - بل من واجبه - ان تكون له تجربته ، وان يثرى بها النصوص ويثريها بالنصوص،غير مقلد وهوقادر على الاجتهاد•

وحتى اذا انتقلنا من عموم لفظ التراث ، الى خصوص « الفقه » الذى يجمع احكام الاسلام فى العبادات والمعاملات فاننا نؤكد من جديد ضرورة التمييز بين الشريعة والفقه ، فالشريعة هى الجزء الثابت من احكام الاسلام ، الثابت فى النصوص القطعية فى ورودها ودلالتها،والفقه تفسير الرجال لهذا الجزء الثابت المستمد مباشرة من النصوص القطعية ، وقياساتهم عليه ، واجتهادهم فيما لا نص فيه ، وترجيحهم بين ما بدا تعارضه من الادلة ، وهو اجتهاد بشر ، يتفهمون ويختلفون • وقلما يجتمعون ، وخطؤهم وصوابهم ليس تشريعا ولكنه يعكس خط كل واحد منهم من المعرفة بالوقائع ، ومصادر الاحكام ، وقواعد التفسير ، واصول الترجيح كما يعكس ظروف الزمان والمكان .. ويعكس - بعد ذلك كله- رأيه ورؤيته للقيم والمصالح والاعتبارات .. وهو فى ذلك كله يرمز الى الجزء المتغير من تراث الاسلام .. وباطل قول من قال ان الاول لم يترك للاخر شيئا .. فقد ترك له عالما كاملا غير عالمه ، ودنيا غير دنياه .. وتجربة جديدة لا تغنى عنها تجربة قديمة • فتلك امة قد خلت .. ولا « تسالون عما كانوا يفعلون » •

والنصوص فى تطبيقها على الوقائع لا بد أن يحدد معناها لغة واصطلاحا وان يعرف سبب نزولها ، وظروف تطبيقها ، اذ هى لا تنفك عن ذلك كله أبدا..ومهما قال الاصوليون من ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فهذا ايضا لا يؤخذ بغير مناقشة .. فكم من فعل للنبى صلى الله عليه وسلم (وافعاله (ص) نوع من انواع السنن) جاء مرتبطا باطار موضوعى معين ، معالجا لظروف قائمة ثابتة وعارضة ، ومن هنا لا يستغنى مجتهد عن معرفة ذلك كله والتامل فيه•

والنبى (ص) بشهادة القرآن وحكمه الذى لا يرده كلام فلاسفة ولا متكلمين ، « بشر مثلنا يوحى اليه » • والوحى اليه (ص) هو جميع القرآن ، وبعض ما صدر عنه (ص) من قول او فعل او تقرير .. وليس كل ما صدر عنه من هذه الاحوال الثلاثة وحيا يوحى ، فهذا ايضا باطل بالعقل وباطل بالنقل .. فبشريته (ص) حاضرة

فى سيرته حضور نبوته .. وهو باطل بالنقل لقوله (ص) « انما انا بشر مثلكم ، فاذا امرتكم لشىء من رايى فانما انا بشر » وهو هو الحديث الذى تقول فيه رواية مسلم « انتم اعلم بشئون دنياكم » .. ومن الحق والانصاف لعلماء الاسلام ان نذكر كثيرا من الناسين ، انهم فرقوا ـ بعبارات مختلفة ـ بين ماهو تشريع من اقوال الرسول (ص) وافعاله وما هو دون ذلك ، ذاهبين تارة الى التفريق بين ما هو من العادات ، وما هو من العبادات ، وذاهبين تارة اخرى الى بيان ما فعله(ص) اجتهادا منه «تحقيقا لمصلحة جزئية يومئذ» وليس من الامور اللازمة لجميع الامة » . ولقد قسم الامام القرافى المالكى تصرفات النبى (ص) الى اربعة انواع : تصرفات بالرسالة ، واخرى بالفتيا ، وثالثة بالقضاء ، ورابعة بالامامة .

ومن هذا يتضح ان المجتهد لايستغنى ابدا عن معرفة مايحيط بالنص من ظروف وما استند اليه من وقائع ، وبغير هذه المعرفة يكون تطبيق النصوص على الوقائع الجديدة امرا محفوفا بالصعوبة البالغة واحتمال مجانبة الصواب .. ولقد جوّد غيرنا ممن يأخذون بالنظام المعروف بنظام السوابق القضائية كثيرا من ادوات هذا الفن ، مبينين انه لفهم حكم (قضائى) من الاحكام لابد من ضبط منطوقه ، وحيثياته ، وذلك بعد ضبط «الوقائع» التى اتصل بها ذلك المنطوق ... فاذا جدت قضية جديدة « اعملوا النظر اولا فى وقائعها وملابساتها وربما اكتشفوا فى تلك الوقائع مايميزها عن وقائع السابقة الاولى ، فخالفوا بينهما فى الحكم ، وتوقفوا عن اعمال السابقة ، واجتهدوا من جديد ... ولانرى باسا ولا اثما فى محاولة التعرف على ما وصلوا اليه فى ذلك وما صاغوه من معايير وضوابط .. الى جانب ماتوصل اليه علماؤنا فى هذا الميدان الدقيق .

ولافتة الحكم الاسلامى

رابعا : انه ان كان الاسلام نظاما شموليا يحكم وحدة مصدره ، وترابط قيمه واحكامه ، ويحكم وحدة الكيان الانسانى الذى يتعامل معه .. واذا كانت هذه الشمولية تجعل منه دينا ودولة، وعقيدة ونظاما كما يقال بحق .. فان هذا لايعنى بالضرورة انه فصل احكام بناء الدولة ودقائق نظام الاقتصاد .. ولن ينقص من هذه الشمولية بحال ان يكتفى بتقرير المبادىء الاساسية التى تتصل اتصالا مباشرا بالقيم العليا التى جاء لنشرها وتثبيتها بين الناس كقيم العدل والحرية والمساواة بين الناس ، وتقديم الغير والاحسان ، وافشاء الود والسلام ، وتعميق الروابط بين الانسان والانسان وتربية العقول وتحريضها على التامل فى الكون واستكشاف الجديد من خباياه ..

ولكنه لايشغل نفسه بتفاصيل يمكن ان تهتدى اليها العقول وهى تطلب مصالحها وتجتهد فى هذا الطلب ... او بجزئيات تتساوى ـ وان اختلفت ـ فى مدى ارتباطها بالمبادىء الاساسية والقيم العليا للاسلام . ومن هنا فان الدفاع الاعمى مثلا عن صورة من صور الحكم السياسى حملت يوما من الايام اسماء اسـلامية ورفعت لافتات « الحكم الاسلامى » انما يدخل فى باب التعصب ولا يدخل فى باب الاعتصام .. ذلك انه لا حكم اسلامى الا ما قام على الشورى ، وما اقام العدل وما ساوى بين الناس ، وما نصر الضعفاء، وقام بحقوق ذوى الحاجات .. حاكما بينهم ـ فى ذلك كله بما انزل الله ـ وعماد ما انزل الله «العدل» و « القسط » الذى قام عليـه امـر السماوات والارض ..

وليعلم هؤلاء كذلك ان التجربة الانسانية لا ترفض لمجرد انها تمت فى ارض غير اسلامية او تحت راية غير اسلامية .. وان هذا لايكفى وحده . لرميها رمية مسبقة قاطعة بانها تجربة « جاهلية » !! فالحق هو الحق ، والحكمة ضالة المؤمن ، والحضارات قيم ومبادىء من ناحية ونظم وادوات لخدمة هذه القيم والمبادىء من ناحية اخرى .. فاذا جوّد شعب من الشعوب نظاما واستحدث اداة اكبر كفاءة واعظم قدرة على خدمة الاهداف ،ففى وسع المسلمين ان ياخذوا بها، ماداموا يسخرونها فى النهاية لخدمة الحق والخير والهدى وسائر القيم التى كان بها الاسلام اسلاما . « ونعم المال الصالح للرجل الصالح » ، ومن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله.

خامسا : والاسلام لايضع اصحابه فى صراع مع الحياة ، والمسلم الحق لا يكره الناس والدنيا

، ولايقضي عمره في معركة وهمية مع قواها ونواميسها ، واني له ذلك وهي صنع الله الذي احسن كل شيء خلقه ثم هدى ، واني له ذلك وهي ـ دون الاخرة ـ دار العمل ، وارض الابتلاء .. ثم كيف يكون هذا موقف المسلم فيها ، وقد اسبغ الله عليه فيها نعمه ظاهرة وباطنة .. وخلق له مافيها جميعا ، ثم دعاه الى تعميرها... واحب منه ـ بين ذلك ـ ان يرى اثر نعمته عليه. وعلمه ان دعاء المسلمين الصالحين ان يقولوا « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة ثم ان هذه الدنيا قبل ذلك كله هي ارض النبوات ، ومهبط الرسالات ، وطريق الابرار والصالحين والشهداء والصديقين .

ثم لماذا ، والتزاما باى شريعة ، يعيش المسلم عمره فيها منغصا معقدا محزونا معسرا على نفسه وعلى الناس تملؤه الشكوك والريب والمخاوف والظن السيء بالنفس وبالناس وبالحياة كلها..

واين هذا السمت المريض النكير من سمت النبي (ص) الذي وصفته ام المؤمنين عائشة فقالت: « كان (ص) هينا لينا بساما ، وكان ارق الناس » واين هذا الموقف العدواني الحاقد الذي تضيق به صدور كثير من الشباب من حولنا من موقف النبي (ص) الذي كان من دعائه المأثور : اللهم انى اعوذ بك من الهم والحزن ..

ان موقف المسلم من الدنيا قضية هامة في ايامنا هذه .. وهي الباب الاول لما نراه من انحراف جماعات عديدة من الشباب .. فهم يبدأون بالعزلة وفي العزلة يلقنون كراهة الحياة ، وكراهة الناس ..ويقيمون في انفسهم حربا باردة مع مخالفيهم. وبعيدا عن نور المعرفة واشراقات السماحة تصدر الاتهامات السهلة بالتكفير على مخالفيهم .. وقد تتحول الحرب الباردة مع هؤلاء المخالفين الى حروب ساخنة .. تنطلق فيها فتنة مدمرة .. ان الموقف النفسي من الحياة هو المدخل لهذه المشكلة كلها وان كان ينطوي كذلك على عنصر فكري يتمثل في فساد التاويل للنصوص ، وهو فساد ظهر مثله في صدر الاسلام ووصفه الامام الجليل ابن القيم بقوله « من سوء فهمهم للقرآن .. ظنوا انه يوجب تكفير اهل الذنوب .. » « ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا فانه اول بدعة ظهرت في الاسلام ، فكفر اهلها المسلمين واستحلوا دماءهم واموالهم ..» ثم يقول: « وسموا دارهم دار هجرة ، وجعلوا دار المسلمين دار كفر وحرب » .

ومن العجيب المؤسف أن جماعات من حولنا تجمع مئات من الشباب على هذه الجهالات المدمرة ، وتستخدمهم وقودا للوثات في العقول او امراض في الصدور. والدول الاسلامية تكتفي بان تسلط عليهم اجهزة الامن والنظام تتعقب ثمر انحرافهم ، دون ان تعالج الامر في منبعه واصله بتصحيح الموقف النفسي للشباب المسلم من الدنيا التي تحيط به .

عن اليسار واليمين

سادسا : والمسلمون لا يملكون أن ينسحبوا من ساحة الصراع الاجتماعي والسياسي الدائر حولهم بين قوى القهر والاستغلال .. وقوى التقدم والعدل .. واذا كان اصحاب المذاهب المعاصرة قد اطلقوا عليه وصف الصراع بين اليمين واليسار فلا اظن المسلم المعاصر مضطرا الى اختيار واحد من هذه المصطلحات المعملة بما لا آخر له من خصائص هذه المذاهب وملابسات ذلك الصراع .. والاولى أن يظل الاسلام ، باسمه وسمته وصبغته « اسلاما » وكفى ..

ولكن لا بد من موقف في القضية نفسها ..

ومن عجب أن كثيرا من الكتاب المسلمين الذين تحرجوا من استعمال لفظ اليسار وقبول شيء مما يقول به دعاته .. لم يتحرجوا من استعمال لفظ اليمين والانضمام علانية الى اصحابه ..

ان المسالة ـ في تقديرنا ـ تحكمها حقيقتان :

الاولى : ان الاسلام ـ رغم كل محاولات التوفيق والتلفيق ـ لا يمكن أن يقبل تفسيرا ماديا ملحدا للحياة وللتاريخ ، كما انه يرفض تفسير الحياة كلها على اساس الصراع ، وان كان المسلم المنصف لا يملك انكار دور الصراع في دفع حركة الحياة .. كما لا يستطيع المسلم ان ينكر الصراع المنطقي بينه وبين اى نظام شمولي يحاول الحلول محله في تفسير الحياة وتنظيم علاقات الناس فيها.. ومن هنا كان الصراع التقليدي بين دعاة الاسلام

ودعاة الماركسية ، وهي مذهب واتجاه من مذاهب اليسار ..

الحقيقة الثانية : انه ، في الموضوع ، فان نصوص الاسلام تتظاهر على محاربة الاستغلال وتوكيد قيمة العدل الاجتماعي ، والاعلاء من قيمة العمل ،والثورة على كل الاوضاع ـ مهما استقرت اذا كانت تنطوي على الظلم والفساد ، واذا كانت تحرم العاملين ثمرات عملهم ، وتنحو بالمجتمع كله نحو زيادة غنى الاغنياء وفقر الفقراء ...

فالاسلام بهذا المعنى في قلب الجهود المتضافرة من اجل التقدم والعدل .. يصدر في موقفه هذا عن معركته الخالدة مع الظلم والطغيان ..ومعركته الخالدة الاخرى في استثمار ـ قوى الكون وتعمير الارض بما ينفع الناس ..

والحقيقتان السابقتان ينبغي أن تظلا متميزتين في عقل المسلم المعاصر وقلبه .. فلا يحمله رفضه للمادة الملحدة .. على ان يقف الى جانب خصومها حتى فيما يعارض روح الاسلام ومبادئه وجوهر دعوته كلها .. ولكن ذلك واقع ـ للاسف المر ـ في حياتنا المعاصرة ، حتى وقف كثير من المسلمين الى جانب الظالمين على حساب المظلومين ، والى جانب الامر الواقع ـ ولو كان ظلما وعدوانا ـ على حساب الجهاد من اجل التغيير ، والى جانب الجمود والمحافظة والتقليد .. على حساب الحركة التي امر بها الاسلام لنقل الناس ـ ما امكن ـ الى خير مما هم عليه في امورهم كلها ، : يقول ابن القيم رحمه الله : « والله تعالى بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكملتها ، وتعطيل المفاسد وتقليلها ، والنبي (ص) دعا الخلق بغاية الامكان ونقل كل شخص الى خير مما كان عليه بحسب الامكان » .

نحو تيار جديد

سابعا : والمواجهة التي بدأناها لا تقف عند حد الفكر وحده ، وانما تتناول كذلك الحركات والمؤسسات العاملة في حقل الاسلام أو باسم الاسلام .. فهذه الجماعات والمؤسسات لا يجوز أن تترك هكذا في هذا الشتات العجيب .. يحارب بعضها بعضا،بل يكاد ينقطع بعضها لمحاربة البعض، يشرد منها ما يشرد .. وينقطع من ينقطع،ويظلم ويقهر من يظلم ويقهر .. في عصر يتقارب فيه اصحاب النظر المتشابه والمصالح المتكاملة ليكونوا «تيارا» قويا قادرا على الصمود في معركة الاعاصير العملاقة والصدام المدمر بين المتنافسين ..

افلا يستحق الاسلام من هذه الجماعات والحركات والمؤسسات وقفة صدق ـ لله وللمسلمين ـ تطرح فيها هذه القضايا وامثالها .. بعيدا عن حمى تبادل الاتهام بالكفر والزيغ والضلال ..

والذين يجاهدون ـ كل على طريقته ـ حتى تكون الشريعة الاسلامية مصدرا رئيسيا ، او المصدر الرئيسي الوحيد للتشريع في بلاد المسلمين .. الا يجد هؤلاء حاجة ليجلسوا معا ويفكروا معا ، ويبحثوا معا تظلهم سماحة الاسلام ، وخصوبة حضارته ، ورحابة قاعدته الذهبية : « من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اجتهد فاخطأ فله اجر واحد » .

افلا تستحق كل هذه القضايا جدالا بالتي هي احسن بالكلمة الطيبة ، والاجتهاد الذي تحوطه الضمائر اليقظة والعقول المتفتحة ، والنفوس الجسورة القادرة على التجديد بما ينفع الناس ..

الا يعلم الذين يتخلون عن تبعات هذا الحوار ، والذين يشفقون على انفسهم من عواقب المواجهة والصدام مع عناصر التخلف والجمود والانحراف في كل فكر اسلامي معاصر .. الا يعلمون أن جيلا باكمله من شباب الامة العربية والاسلامية يقف على حافة هذه المواجهة ويريد ان يطرق ابوابها.. تحيط به الحيرة ويتملكه الاحساس بالضياع وسط افذاذ من العلماء والحكماء يتكلمون لغة غير لغته، ويناقشون مشاكل غير مشاكله ..

وبعد..فلم يكن ما سطرت هذه المرة مجرد دعوة الى الحوار ، ولكني اردت به ان يكون خطوة اولى على طريق المواجهة مع التخلف والجمود والعزلة.. مواجهة كان يسعني أن اجنب نفسي عواقبها .. ولكن السيل قد بلغ الزبى ،وبلغت كثير من القلوب الحناجر ، وضاقت ـ علم الله ـ اكثر الصدور .

الكويت ـ احمد كمال أبو المجد

بعدما تضاعف

سعره ٨ مرات

أزمة البن العالمية إلى أين؟

بقلم : يوسف زعبلاوى

■ كان البن موضع اهتمام كبير فى المدة الاخيرة، فقد ارتفعت اسعاره فجاة ، وكان ارتفاعها فاحشا لم يسبق له مثيل ٠ وشعر الكثيرون بحب الاستطلاع، وتساءلوا عن العوامل التى ادت الى ذلك الارتفاع المحموم ، وتساءلوا ايضا عما اذا كان ذلك الارتفاع سيستمر طويلا ٠٠ بحيث يضطرون الى الاقلاع عن شرب القهوة ، هذا المشروب المنعش الذى الفوا شربه صباح مساء ٠٠ لدى النهوض من النوم ، وبعد وجبات الطعام ٠٠ والذى بات مشروب الضيافة الاول لدى العرب اجمعين ٠

الغلاء الفاحش

بدات اسعار البن فى الارتفاع منذ مطلع السبعينات وفى سنة ١٩٧٢ بالذات ٠٠٠ شانها فى ذلك شان سائر السلع ٠٠٠ فقد اجتاحت الاسواق العالمية موجة غلاء وتضخم شملت كافة مواد الغذاء والبناء والخشب والورق والاقمشة الى اخر ما هنالك ،ودفعت اسعارها الى الارتفاع دون استثناء ٠٠٠

وفجاة وفى منتصف شهر يوليو ١٩٧٥ انطلقت اسعار البن تقفز وترتفع ارتفاعها المحموم ٠فقد بلغت فى ١٩٧٥/٧/١٥ وفى بورصة لندن بالذات ٥٠٠ جنيه استرلينى للطن الواحد ٠٠ ولكنها قفزت بين ليلة وضحاها حتى أصبحت ٨٥٥ جنيه للطن فى غضون أيام معدودة ، وفى ١٩٧٥/٧/٢٠ بالتحديد ٠ ومضت اسعار البن بعد ذلك تتصاعد حتى بلغت ٢٩٠٠ جنيه فى أواخر ١٩٧٦ ٠٠ ثم وثبت بعد ذلك الى ٤٠٠٠ جنيه فى نهاية شهر

فبراير الماضي ، ومعنى هذا انها تضاعفت ثمانية أضعاف اى ٨٠٠٪ فى غضون عشرين شهرا ٠ وهذا ارتفاع قياسي لم تبلغ مثله أسعار البن ، ولا حتى فى سنة ١٩٥٣ حين بلغ سعر البن ١٠٠٠ جنيه للطن ، بقيمة الجنيه آنذاك ، أى ما يقارب (٣٠٠٠) جنيه بقيمة الجنيه الحالية ٠

ولو وقف اسعار البن عند هذا الحد لهان الامر ٠٠ ولكن الدلائل تشير الى انها ستستمر فى الارتفاع وانها قد تبلغ ١٠ر٠٠٠ جنيه للطن الواحد فى مستقبل غير بعيد ٠ هذا بالطبع اذا لم تتخذ الاجراءات الكفيلة بالحد من الطلب على البن والحد من ارتفاع اسعاره ٠

الاسباب الظاهرة

واول ما يذكر من أسباب غلاء البن كوارث الطبيعة. وقد تلاحقت وجاءت على نحو من التوقيت يبعث على العجب ٠

ففى ليلتى ١٧ يوليو و ١٨ يوليوسنة ١٩٧٥ ضرب الصقيع مزارع البن فى البرازيل فقضى على ثلاثة ارباع محاصيلها ٠٠ اى ما يعادل ربع محاصيل البن العالمية بمجموعها ٠٠ وهكذا هبط انتاج البن البرازيلي من ٢٦و٤ مليون كيس فى سنة ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ الى ٦ر٤ مليون كيس سنة ١٩٧٥ ـ٧٦ ٠ لا عجب اذن ان قفزت اسعار البن البرازيلي فجاة من ٥٠٠ ـ ٨٥٥ جنيه الطن .كما سبق ان ذكرنا ٠

ثم كان الجفاف والفيضان فى كولمبيا ٠٠الدولة الثانية فى انتاج البن ٠٠ وقد حلت هذه الكارثة فى النصف الثانى من سنة ١٩٧٦ فذهبت بنحو
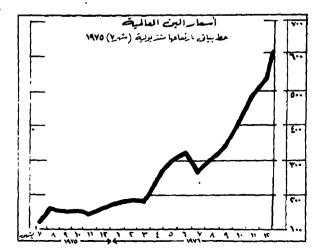
مليونى كيس منمحصول البن الكولمبي ٠٠واسهمت فى رفع اسعاره فى الاسواق العالمية ٠

وتبع ذلك الهزة الارضية التى ضربت جواتيمالا فى امريكا الوسطى فقضت على جانب من محصول البن فيها ٠٠ ، والبركان الذى ثار على حدود زائير وروانده فى افريقيا٠وقد تسبب هذا البركان بتلف ما لا يقل عن مليون كيس ٠٠ وادى الى مزيد من ارتفاع اسعار البن ٠

وتجدر الاشارة الى الحرب الاهلية فى انجولا والظروف الخاصة فى اوغندا ٠٠ وقد جاءتمواسم البن فىالقطرين ضعيفة تبعا لتلكالاحداث ، او ان شئت الكوارث البشرية ٠٠

وهكذا نقصت محاصيل البن العالمية من ٧٩مليون كيس سنة ٧٤ ـ ٧٥ الى ٦٢ مليون كيس سنة ٧٥ ـ ٧٦ ونقصت بالتالى كميات البن المتداولة فى اسواق التصدير والاستيراد من ٥٥ مليون كيس الى ٧ر٤٤ مليون كيس ٠

وغنى عن البيان ان هذا النقصان الذى تسببت به الكوارث محدود ولا تكاد تبلغ نسبته ٢٠٪ ٠٠ ولا يمكن أن يفسر ارتفاع اسعار البن بنسبة ٨٠٠٪ ٠٠ لابد اذن من وجود اسباب اخرى لغلاء البن الفاحش ٠

اسـباب اخـرى

البرازيل هى دولة البن الاولى بلا نزاع ٠٠ وهى الدولة التى تهيمن على اسواقه الدولية وتتحكمباسعاره العالمية،وذلكلتفوقها لا فىانتاجالبن فحسب ولكن فى تخزينه ايضا ٠ ويقدر البعض مخزون البن فى البرازيل بما يعادل محصولسنتين او يزيد ٠ فان قصر المحصول وحد من سيطرتها على الاسواق رجعت الى المخزون واستردتهيمنتها واتخذت ما يناسبها من الاجراءات ٠

وحسبك الضريبة التى فرضتها البرازيل على تصدير البن ٠٠ وقد بلغت فى باديء الامر ٤٠ دولارا على الكيس الواحد ثم تضاعفت حتى بلغت ١٠٠ دولار على كل كيس ٠٠ اى ما يزيد على دولار ونصف الدولار عنكلكيلوغرام!!وفيما كانت تؤكد السلطاتالبرازيليةالمعنيةان لا قصد لها من هذه الضريبة سوى الحفاظ على مخزون البن لصالح المستهلكين والحيلولة دون تسربه الى
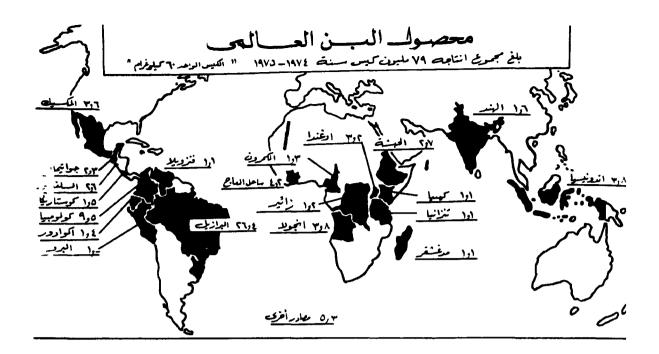
التجار الجشعين كانت اسعار البن تزداد ارتفاعا يوما بعد يوم بسبب تلك الضريبة بالذات .. وحذت حذو البرازيل سائر الدول ... وارتفعت ضريبة تصدير البن في الهند الى ١٣٠٠٠ روبية على الطن . .وكانت لا تجاوز ٣٠٠ روبية قبل حين :

أضف الى ذلك ان البرازيل لم تكشف النقاب عن كميات البن المخزونة لديها ... بل انها عمدت الى التكتم ... وراحت تشترى البن على نطاق واسع من مصادره المختلفة .. ولا يخفى ما يؤدى اليه هذا وذاك من تكهنات ومضاربات كفيلة بتزايد الطلب على البن ومضاعفة اسعاره ..

ومهما يكن من امر فان سنة ١٩٧٦ التى شهدت هبوط محصول البن في البرازيل الى الحضيض ، شهدت في الوقت نفسه ارتفاع دخل البرازيل من البن الى القمة .. فقد بلغ ٣٥٠٠ مليون دولار .. أى نحو اربعة اضعاف ما كان عليه سنة ١٩٧٤ ، حين بلغ المحصول ذروته . وسيبلغ هذا الدخل ٤٣٠٠ مليون دولار في السنة الحالية .

على ان لارتفاع أسعار البن اسبابا اخرى ثانية هي الاسباب النفسية او الوهمية ، ونذكر من هذه الاسباب على سبيل المثال الشائعة التى انتشرت عن تفشى مرض الصدا (Rust) في مزارع البن في كافة دول امريكا اللاتينية .. فقد ارتفعت اسعار البن ارتفاعا ملحوظا بسبب هذه الشائعة ولم تعد الى سابق عهدها حتى بعد أن ثبت للجميع شطط تلك الشائعة ...

كذلك انخفضت اسعار البن انخفاضا كبيرا (٥٠٠ جنيه للطن) عشية عيد رأس السنة الميلادية ، وذلك حين شاع خبر المقاطعة ، مقاطعة شرب القهوة،وقد قررتها آنذاك جمعيات المستهلكين في الولايات المتحدة ...

البن في الاسواق العالمية

من اطرف ما يذكر عن البن انه حديث العهد في الاسواق الدولية .. فقد تاخر دخوله الى هذه الاسواق حتى القرن السابع عشر . ومع ذلك فقد حقق البن من الاهمية والخطورة في القرنين الماضيين ما لم يحققه الشاى وغيره من المشروبات في قرون عديدة . فالبن ياتى في الطليعة بين سلع التجارة العالمية .. من حيث القيمة ، قيمة محاصيله ..

ويلاحظ في احصائية الخريطة ، وهي تمثل سنة الذروة ١٩٧٤-٧٥، ان انتاج البن موزع بين ثلاث قارات - امريكا (الوسطى والجنوبية) وافريقيا واسيا .. وان نصيب دول امريكا اللاتينية من مجموع الانتاج العالمي هو اكبر نصيب (نحو ٥٠ مليون كيس) ، وان حصة البرازيل من هذا المجموع هي حصة الاسد ٢٦ر٤ مليون كيس . ويلاحظ ايضا ان كولمبيا تحتل المرتبة

الثانية في انتاج البن في العالم ، ومع ذلك فان محصولها لم يجاوز ٥ر٩ مليون كيس ٠٠ اى اقل من نصف محصول البرازيل ٠

وافريقيا هي القارة الثانية من حيث انتاج البن في العالم ، وقد بلغ محصولها في الاحصائية نحو ٢٠ مليون كيس ٠ وساحل العاج هي الدولة الافريقية الاولى انتاجا للبن (٢ر٤ مليون كيس) تليها انجولا (٨ر٣ مليون كيس) ، فاوغندا (٢ر٣ مليون كيس) ٠

اما آسيا فلا يزيد مجموع محاصيلها منالبن على ٤ر٥ مليون كيس ٠٠ وهي كمية ضئيلة جداء كما لايخفى ، لاسيما وان آسيا كانت قارة البن الاولى قبل حين ، وتجدر الاشارة الى ان اسواق البن العالميةليستانتاجا وتصديرا فحسب وانماهي استيراد واستهلاك ايضا ٠ لذلك ادرجنا مع هذا الكلام احصائية البلاد المستوردة للبن ٠٠

وغني عن البيان ان امريكا الشمالية وبخاصة الولايات المتحدة هي الدولة الاولى من حيث استيراد البن ٠٠ وهي تحتل بين مستوردي البن مثل المرتبة التي تحتلها البرازيل بين منتجيه او تزيد ٠٠ وقد بلغت قيمة ما استوردته من البن ٧٥٠٠ مليون دولار خلال سنة ١٩٧٦ ـ ٧٧ ٠٠ لا عجب اذن ان كان في استطاعة الولايات المتحدة الامريكية ان تلعب دورا فعالا في ازمة البن العالمية ٠٠

زراعة البن
سبب آخر من اسباب غلائه

يرجع الكثيرون ان اسعار البنالمرتفعة ستواصل ارتفاعها حتى سنة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ ٠ ذلك ان

هكذا يقطفون ثمار البن ، لاحظ طول شجرة البن بالمقارنة مع طول قامة الانسان ٠

صقيع البرازيل سنة ١٩٧٥ لم يضرب ثمر البن فحسب بل اتلف اكثر من نصف شجره ايضا ٠٠ مما اضطر اهل البرازيل الى استبدال اشجار البن التالفة باخرى جديدة ٠٠ ولكن شجر البن لا يكتمل نموه بسرعة ، فهو يحتاج الى ثلاث سنوات على الاقل ليصبح شجرا مثمرا ٠٠ويحتاج الى سنتين اضافيتين ليعطي محصولا ذا قيمة تجارية ٠ لذلك كانت محاصيل البن المتوقعة في البرازيل ، مقدرة كالتالي :

١٩٧٦ ـ ٧٧	٦ ملايين كيس
١٩٧٧ ـ ٧٨	١٥ مليون كيس
١٩٧٨ ـ ٧٩	٢٠ مليون كيس
١٩٧٩ ـ ٨٠	٢٤ مليون كيس

ولذلك ايضا ستستمر اسعار البن في الارتفاع حتى سنة ١٩٧٩ ، نظرا لقلة العرض وزيادة الطلب ٠ هذا اذا لم تتعرض اشجاره في البرازيل او غيرها الى كوارث اخرى جديدة ، وعندئذ يتصاعف ارتفاع اسعاره ٠٠

وتجدر الاشارة الى ان اشجار البن او شجيراته ذات اوراق خضراء عميقة الخضرة ، وزهور بيضاء رائحتها زكية كالياسمين ، وثمار خضراء في البداية ، تصبح حمراء لدى نضجها في غضون ٧ ـ ٩ شهور ٠

وثمار البن هذه هي التي تهمنا ٠٠ فحب البن الذي نصنع منه القهوة يوجد في داخلها ،والثمرة الواحدة تحتوي في الغالب على حبتين ولكنها تحتوي احيانا على حبة واحدة ٠٠ وهذه حالات نادرة ترتفع فيها قيمة البن وتتضاعف اسعاره ٠

وتقطف ثمار البن باليد ٠٠ وكانت تترك في الماضي حتى تسقط على الارض تلقائيا او بهز الشجر برفق ٠ وتخمر الثمار بعد قطفها اما بالطريقة المبتلة او الطريقة الجافة ٠٠

والبن اصناف ، نذكر منها البن الطرى (Mild) والبن القاسي (Hard) والبن الطرى هو المفضل في الاسواق العالمية ٠

على ان للبن اصنافا رئيسية ثلاثة هي الارابيكا والروبستا وبن ليبريا ٠٠

واصناف الارابيكا هى الاجود .. وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى بلاد العرب ... بلادها التى انتقلت زراعتها منها الى سائر بلاد العالم. فقد كانت هذه الاصناف وقفا خالصا على اليمن.. زراعة وتجارة . منذ البداية وحتى القرن السابع عشر .

ولم تنتقل شجرة بن الارابيكا الى جزيرة سيلان الا سنة ١٦٥٨ ثم الى جزيرة جاوه وغيرها من اندونيسيا سنة ١٦٩٦ . ومضى عشر سنوات او يزيد قبل ان تنتقل شجرة البن الى دول امريكا اللاتينية .. والى البرازيل بالذات وقد انتقلت اليها سنة ١٧٢٧ .

لا عجب اذن ان كانت اصناف الارابيكا تزرع فى القارات الثلاث آسيا وافريقيا وامريكا .. الا انها اكثر انتشارا فى الاخيرة .

والارابيكا اصناف عديدة متفاوتة الجودة ..اشتهر منها ما تنتجه جامايكا فى منطقتها المعروفة بالجبل الازرق وماتنتجه البرازيل فى منطقة بارانا . الا ان الاصناف اليمنية كمخا والجمه .. مازالت فى القمة ..اذا وجدت..واشجار الارابيكا صغيرة نسبيا (١٥ قدما بالمتوسط) ويحرص الزراع على تهذيبها وتشذيبها لابقائها صغيرة ليسهل عليهم قطف ثمارها .

اما الروبستا ،وهى دون الارابيكا جودة فتستعمل فى صنع القهوة الفورية . وشجرة الروبستا اكبر حجما من شجرة الارابيكا وقد يبلغ طولها ٤٠ قدما . وهى شجرة افريقية صميمة وموطنها الاصلى الكونجو .

وياتى بن ليبريا فى المرتبة الدنيا من حيث الجودة .

على ان هذه الاصناف الثلاثة تتفق فى شىء واحد على الاقل .. ذلك هو بطء نموها وحاجتها الى ٣-٥ سنوات لكى تعطى محصولا تجاريا مجديا .فهى اذن تشترك فى العمل على اطالة امد ازمة البن العالمية وارتفاع اسعاره ..

البلاد المستوردة للبن
(الكميات مقدرة بالاكياس سنويا)

القارة الامريكية الشمالية والجنوبية
الولايات المتحدة
كندا
بقية دول امريكا
اوربا الغربية
المانيا الغربية
فرنسا
ايطاليا
السويد
هولندة
بريطانيا
بقية اوربا
اوربا الشرقية
افريقيا
آسيا
واستراليا

اثر القهوة فى الاجسام

القهوة مشروب عجيب حقا .. فهى لا تسمن ولا تغنى من جوع ، واثرها اللطيف المنبه ليس خيرا من اثر غيرها من المشروبات .. ومع ذلك فقد بلغ عدد الذين يتناولونها بمقادير تفوق ما يشربونه من غيرها من المشروبات ، نحو ١٥٠٠ مليون نسمة .. اى ثلث سكان العالم .. هذا بالرغم من ان البن لم يدخل الاسواق العالمية الا فى القرن السابع عشر .. فما سر القهوة اذن وما هى حقيقة اثرها ؟

القهوة مشروب منبه ومدر .. ويعزى اثرها للكافئين .. المركب الفعال بين محتوياتها .. على ان الكافئين هذا ليس وقفا على القهوة ، كما قد يوحى بذلك اسمه ... فهو يوجد فى الشاى والكاكاو والمتة والكوكاكولا بمقادير متفاوتة .

وتختلف نسبة الكافئين فى القهوة تبعا لانواعها المختلفة .. فهى تتراوح بين ٨ر - ٥ر١٪ فى اصناف الارابيكا وتبلغ ما بين ٦ر١ - ٥ر٢٪ فى اصناف الروبستا .

والكافئين مادة من اشباه القلويات Alkaloids .. تحدث هى وسائر القلويات الاخرى الموجودة فى القهوة ، اثارا فسيولوجية فى جسم الانسان .. فى جهازه العصبى ودورته الدموية .. ومن شانها ان تنشط الدماغ وتضيق الاوعية الدموية السطحية التى فى الجلد فتزيد الضغط الدموى الشريانى ..

ويوصف الكافئين ـ او القهوة ـ للذين يعانون من بعض الامراض .. الا ان الاسراف في شرب القهوة غالبا ما يزيد حموضة المعدة ويحدث توترا في الاعصاب واثارة في القلب ..

وتجدر الاشارة الى ان في القهوة محتويات اخرى غير الكافئين . ففيها الزيت الطيار وهو الذى يكسبها نكهتها الخاصة .. وفيها الزيت غير الطيار وهو الذى يسبب الزنخ الذى يصيب البن المحمص المطحون ، اذا طال الزمن عليه . وتحتوى القهوة فضلا عنذلك الجلوكوز والدكسترين والبروتين .

على ان للقهوة اثرا في النفوس غير اثرها في الاجسام .. لا سيما فينا نحن العرب .

فالقهوة مشروب عربي صميم وقد انتشرت في العالم العربي منذ اكثر من اربعة قرون . وما اسرع ما اصبحت القهوة مشروب العرب الشعبي، فضلا عن مشروب الضيافة فظهرت دور القهوة (المقاهي) ، في مكة المكرمة والقاهرة واستانبول وسائر المدن ..

ثمرة البن من الداخل

وتجدر الاشارة الى ان المتصوفين اقبلوا في القرن العاشر الهجرى على شرب القهوة نظرا لما لمسوه من اثرها في التنبيه والتنشيط وطرد النعاس .

وتجدر الاشارة ايضا الى ان القهوة تسببت بفتنة وقد افتى بتحريمها الفقهاء عدة مرات وذلك بسبب ما وجدوه من شبه بينها وبين الخمرة ، وبسبب ما شاع في دور القهوة من فساد ..

لم لا تقاطع القهوة .. !

لعل الدور الذى تستطيع ان تلعبه الولايات المتحدة الامريكية في ازمة البن العالمية لا يقل شانا عن دور البرازيل .. فبينما تستطيع هذه ان تتخذ من الاجراءات ما يكفل المزيد من ارتفاع اسعار البن ، وذلك لانها دولة البن الاولى انتاجا وتخزينا .. فان في مقدور الولايات المتحدة ان تسلك سبيلا يضمن الحد من علاء البن ، ما دامت هي دولة البن الاولى استيرادا واستهلاكا ..

ولقد اولت حكومة واشنطن ازمة البن الحالية اهتمامها منذ البداية . اذ شكل الكونجرس الامريكي لجنتين اثنتين لدراسة غلاء البن وتحديد اسبابه الحقيقية ، الاولى في اواخر سنة ١٩٧٥، والثانية في اواسط سنة ١٩٧٦ .

والظاهر ان الكونجرس لم يجد في تقريرى اللجنتين ما يبرر اتخاذه اى اجراء في هذا الصدد.

(ولا ندرى ان كانت اللجنة التى شكلها مجلس العموم البريطاني للغاية نفسها والتى سترفع تقريرها في شهر حزيران يونيو المقبل ، ستنجح حيث فشلت اللجنتان الامريكيتان) .

ومهما يكن من امر فان الامل في تخفيض اسعار البن لا يعلقونه على التقارير والدراسات وانما على ما عمدوا الى تنفيذه ، في مستهل هذه السنة من مقاطعة للقهوة واضراب عن شربها .

واول ما يذكر عن هذه المقاطعة انها عمل فردى (اختيارى) وليست اجراء حكوميا كما قد يظن البعض . فقد حثت جمعية شئون المستهلكين في

كان البن وقفا على اليمن ، تجارة ولربما زراعةايضا ، قبل القرن السابع عشر ٠٠ وكان على تجار اوروبا ـ اذا هم ارادوا استيراد البن ـ ان يسافروا الى اليمن ويتوجهوا الى احدى موانئه التى كانت تتعاطى تجارته ، وبخاصة مخا ٠٠واللوحة القيمة التى تراها فوق هذا الكلام انما تمثل بعض التجار الفرنسيين وهم يعقدون صفقاتالبن فى احدى موانىء اليمن ٠٠٠ هذا فى الأمس الذى مضى وانقضى٠٠اما اليوم فلاتجارة ولا تصديروقد استبدلوا البن بالقات ٠٠ فحلت النقمة محل النعمة !!

نيويورك على الاقلاع عن شرب القهوة او بالاقل على عدم الاسراف فيه ٠

وبادرت المسز جوجنهايمر مفوضة تلك الجمعية الى اعطاء القدوة ٠٠ اذ كانت تشرب ١٤ فنجانا من القهوة يوميا واصبحت تكتفى بفنجان واحد فقط ٠٠ وحذا حذوها الكثيرون من اعضاء الجمعية ٠

ومن طريف ما يذكر هنا ان الكثير منالشركات التجارية التىتستورد البن او التىتبيعهالىالاسواق الامريكية على نطاق واسع راحت تؤازر جمعية المستهلكين فى مساعيها لمقاطعة القهوة ٠ وقل مثل ذلك فى مطاعم نيويورك وغيرها ، وقد عمد الكثير منها الى حسم ١٠٪ او يزيد ، من قائمة حساب العميل الذى يمتنع عن شرب فنجان القهوة بعد الوجبة ، جريا على العادة ٠

وتشير التقديرات الى ان هذه المقاطعة قد حدت من استهلاك البن فى الولايات المتحدة بنسبة ٢٠٪ ٠ الا ان الاحصاءات التى تبين تاثير ذلك على استيراد البن لم تظهر بعد ٠

ولا نعرف متى تظهر ، فى منتصف السنة او فى آخرها ٠٠ واغلب الظن ان هذه الاحصاءات المرتقبة ستؤدى الى انخفاض فى اسعار البن ٠٠ وان كان من الصعب تقدير نسبة هذا الانخفاض او تحديد امده ٠٠٠ فان من المؤكد الا يكون كبيرا جذريا بحيث تعود اسعار البن الى سابق عهدها٠٠ فهذه العودة لا سبيل اليها الا بزيادة العرض وتكاثر كميات البن المعروضة فى الاسواق ٠

■■

التخلف وليس العروبة

مشغولون نحن جدا بقضية تغيير اللافتات والازياء • أحيانا ندعو الى التغيير ونلح عليه ، حتى نذهب الى حد ادانة الواقع وتعبئة جماهيرنا ضده • ثم تمتد يد التغيير فلا تتجاوز اللافتة والزى • لا تتجاوز الواجهة •

المضمون لا يهم • الوظيفة العقيقية لا تهم • الشكل هو الاهم ، اذا توفرت فيه مظاهر «الابهة» والعظمة . وصار براقا وجذابا ولافتا للانظار .فقد تحقق الغرض ، وتم المراد من رب العباد !

تعالوا نتلفت حولنا ، ونرصد محاولات التغيير التى جرت وما زالت تجرى فى وطننا الكبير ، لنستكتشف كيف والى أين تمضى هذه المحاولات •وتعالوا نتذكر حال مؤسساتنا المختلفة سياسية كانت أم دستورية . أم اقتصادية واجتماعية . كم حملت من أسماء ، وكم رفعت فوقها من لافتات . وكم غيرنا من هياكلها وأبنيتها ، ثم ماذا تغير فى جوهرها •• ماذا سنجد ؟

اذا تكلمنا عن القاعدة لا الاستثناء ، فسوف نتبين اننا نبدو أحيانا كما لو كنا « متالين » جدا ، عن غير قصد منا • ننشد التغيير لذاته ،التغيير للتغيير ، وليس للتطوير والتقدم ،لا سمح اللـه !

سوف نتبين اننا نحاول دائما ان نفرغ المضمون فى الشكل • لا نكتفى بالاسماء ، ولكن يجب ان يكون الاسم مقرونا بصفات متعددة ، حتى ينطق بكل شىء ، ثقة فى ان الواقع لن يعبر تماما عما ننشده . أو لن ينطق بشىء على الاطلاق ، نتحدث مثلا عن ثـورة فى الادارة • فنسميهـا الادارة العلمية ، ثم « نغير » مرة فتصبح الادارة العلمية الديمقراطية ، « ونغير » مرة ثالثة فتصبح الادارة العلمية الديمقراطية الاشتراكية ، وفى موجـة « تغيير » جديدة نعلن ان الثورة الحقيقية قد حان موعدها ، وان الادارة سوف تسلم الـى الجمـاهير ، وانهـا من الان فصـاعدا ستحمـل اسم الادارة العلمية الديمقراطية الاشتراكيـة الشعبية • وبعد هذا كله تظل مشكلة الادارة كما هى •• وهكذا !

سوف نتبين اننا نحاول ان نبدأ من الصفر ،بحجة اننا معلمون للبشرية وصناع للتاريخ واننا سبقنا الاولين والاخرين ، ثم بعد ذلك نهدم ابنية موجودة بالفعل ، ولا نقيم شيئا يذكر ، لاننا نلغى تجارب غيرنا •

سوف نكتشف اننا ـ فى أحيان أخرى ـ نسارع الى التغيير فى الشكل ، لمجرد ان نمتص طموح وحماس الراغبين فى تغيير المضمون •

ثم نتبين فى النهاية اننا نتعاطى مشروبا واحدا فى أوان متعددة . كما يقول المثل الانجليزى ، واننا نعدو كثيرا ولا نتقدم خطوة واحدة للامام !

***

البعض يقول ان هذه سمة عربية أصيلة ، وان العرب منذ قديم الزمان يعنيهم المظهر لا المخبر •
يقولون : انظروا كيف كان العرب يتسابقون فى الفصاحة والبلاغة ، وكيف كانوا يتفاخرون بالاصول والانساب • اليست هذه كلها مظـاهر وأشكال ؟

والشعر العربى القديم منذ عرفناه أليس فى حقيقته سباقا فى هندسة الالفاظ وتزويقها .

وضبطها على ايقاع وسجع معلوم · ألم يكنسوق عكاظ هو أول ساحة لاستعراض العضلات اللغوية عند العرب ·

ولماذا نذهب بعيدا ، فالفن العربى او الاسلامىدونغيره منالفنون الفرعونية والهندية واليونانية، الا يقوم اصلا على اشكال هندسيـة مجـردة ،خطوط ومربعات وزوايا ودوائر · ماذا تقول هذه الخطوط والاشكال ؟ ـ يسالون ثم يجيبون ـ هىتكوينات صماء ، قد تكون جميلة وفريدة فى ذاتها، لكنها لا تعبر عن شىء على الاطلاق · هى اشكالبغير مضمون ·

ملحوظة :

ينسى هؤلاء ان الكلام كان بضاعه رائجةفى العالم القديم . حتى عنـد الرومان واليونان · وينسون ايضا ان السببالاساسى فى لجوء الفنان العربى او المسلم الى التعبير عن نفسه بالخطوط والاشكالالهندسية هو شبهة التحريم التى الصقت بفن التصوير بالذات، استنادا الى حديثنبوى بهذا المعنى قصد به قطع الطريق على مظاهر الشرك والوثنية فى الايامالاولى للاسلام ·

***

هل هى سمة عربية فعلا ؟

الواقع يجيب بالنفى · وتعالوا مرة أخرى نمدأبصـارنا الى ما يجـرى فى بعض دول اسيا وافريقيا ، وعندئذ سنجد نفس المشكلة ·

فقد قرانا جميعـا منذ اسابيع انباء مولـد« امبراطورية » جديدة فى افريقيـا ، هى فى الحقيقة دولة متواضعة ما زالت تقف فى صفالدول النامية · ثم توالت الانباء تروى لنـا تفاصيـل عديدة عن الاستعـدادات التى تجـرىلتنصيب امبراطورها الاول ، من تاج يعد فى اوروبا الى ازياء وطقوس وتقاليد توضع لتنسجممع البناء الامبراطورى ، الذى وصف بانه « عصر جديد » ·

وربما تعى ذاكرتنا تجربة دولة افريقية أخرى ·صدرت فيها التعليمات بارتداء أزياء معينه ، على اعتبار ان هذه خطوة لازمة « للتغيير » الاجتماعى·

ايضا نعلم جميعا ان « الاسد الذى لا يقهر »و « القائد المعلم » و «بطل الابطال الفذ الفريد» و « الزعيم الذى لا يؤتمن غيره » ، هذه الاوصافالتى تقترن باسماء الزعماء شائعة فى القارتين · وهو ما يعيد الى اذهاننا ألقاب ريتشارد قلبالاسد والصدر الاعظم والباب العالى والدائرة السنية !

وقد رايت فى بعض دول جنـوب شرق اسيامظاهر أخرى مما نظن أنه من أمراض مجتمعاتنا العربية وحدها · زرت مقرا لمنظمة « عالمية »للتضـامن الاسـلامى ، واكتشفت انها جمعيـة متواضعة ترعى أيتام المسلمين ! واثار انتباهىاسم « اكاديمية العلوم والفنون الحديثة » ، وعندما سالت مرافقى عنها قال مبتسما : انلدينا منها الكثير · فهى مشروع تجارى أقامـه احد المدرسين ويمنح شهادات بلا قيمة لكل منهب ودب من الدارسين ، وتابعت مشروعا « للبناء والرخاء » صحبته حملة اعلامية ضخمة اشتركفيها رئيس وزراء احدى الدول الاسيوية ، ثم تبين فيما بعد انه مشروع وهمى ورطه فيه بعضالوزراء والسماسرة ، وباعوه للناس وقبضوا هم الثمن · وقابلت « سلاطين » فى بعض المقاطعاتالاسلامية ، أقرب الى العمد ومشايخ القرى فى

بلادنـا • وغاية ما يمارسونـه من صلاحيـات« السلطنة » هو توقيع عقود الزواج والطلاق ، والاشراف على طهور الاطفال !!

ولن نسوق امثلة من الواقع السياسي ، حيث المحاذير كثيرة ، خصوصا وان النماذج المتوفرة لدينا من المجالات الاخرى فيها الكفاية •

هي ليست اذن سمة عربية على الاطلاق ، ونحن نظلم انفسنا كثيرا اذا استخدمنا هذا السلاح الخطر ، الذي يرد كل نقائص مجتمعنا الى كوننا عربا او مسلمين ، لان ذلك يقودنا الى نتيجة اخطر هي ضرورة التخلي عن العروبة والاسلام ،كعلاج وحيد لامراضنا التي نشكو منها •

وهذا ما فعله كمال اتاتورك في تركيا ، عندما تصور ان طريق بلاده الى التقدم ينبغي الا يمر بمحطتي العـروبة والاسلام ، فقرر ان يقطع كل علاقـة لبلاده بهما ، وان يحـول الاتراك الى اوروبيين « وخواجات » !

واصـدر اتاتورك قراراتـه الشهيرة بتحـريم استخدام اللغة العربية، وكتابة التركية بالحروف اللاتينية . ومنع ارتداء « الطربوش » ، وحث الناس على ارتداء القبعة وبقية الملابس الاوروبية، ومنـع الاذان من فوق المساجد ثم الغى كلمـة« الله » من قسم النواب ، حتى صار العضـو يقسم « بشرفه » فقط !

ثم ماذا كانت النتيجة ؟

لقد مضى نصف قرن ولم يتحقق حلم اتاتورك !

ان التخلف ليس له جنسية او دين • وهي كذبة كبرى ان نتصور للتخلف بطاقة دون فيها امام الاسم « عربي » وامام الديانة « مسلم » •

ولسنا بحاجة الى ان نعيد الى الاذهان صورا مما قدمه العرب والمسلمون لتراث الانسانيـة وحضارتها •يكفي ان نذكر ان هارون الرشيد عندما اهدى الساعة التي صنعها العـرب الى شارلمان امبراطور الفرنجة ، كان اديبا وشاعرا بينما كان الامبراطور يرسم اسمه بصعوبة • وان جامعة كامبردج البريطانية كانت تشترط حتى القرن التاسع عشر ، ان يكون دارس العلـوم والطب والهندسة ملما باللغة العربية •

ولنتامل لحظة ما كتبه بترارك وهو من آباء الادب الايطالي في القرن الرابع عشر للميلاد ، ومن المبشرين بالنهضة الاوروبية •• لقد كتب الرجل يقول لقومه : انتم تتوهمون انه لن ينبغ احد بعد العرب (!) لقد نافسنا اليونان وتفوقنا عليهم ، ونافسنا كل الشعوب والامم ، ومع ذلك تقولون لن ننافس العرب • هل اصيبت عبقرية الطليان بالعقم ؟

وهي سخرية من القدر بغير شك ، ان يشعر العربي منذ ١٤ قرنا بالتفوق على غيره ، ويحثه الاسلام على « التواضع » وقبول المساواة مع« العجم » ، على اعتبار انه « لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى » • ثم تدور دورة الزمن ويتحول شعور التفوق عند العرب انفسهم الى عقدة « التدني » ، ونسمع من يقول ان نقائصنا وأمراضنا سببها العروبة والاسلام !

★★★

التخلف هو القضية وهو الهدف الذي ينبغي ان نصوب اليه كل سهام التغيير ومحاولاته • هو المرض الحقيقي وكل ما نشكو منه هي أعراض له •

من ينتشلنا من هذا التخلف ؟

في احدى قصائده قال شاعر الباكستان محمد اقبال ، سألني ربي : هل يعجبك حال هذا العالم؟ قلت لا ، قال : غيره اذن •

كيف ؟ •• تلك مناقشة اخرى •

■■

فهمي هويـدي

عصرنا من فلسفته

بقلم الدكتور زكى نجيب محمود

أهم المذاهب الفلسفية التى يتقاسمهاعصرنا ، اربعة : الوجودية ، والمادية الجدلية والبراجماتية ، والتحليل ،وانتوزيع هذه المذاهب الاربعة ليوشك أن يكون توزيعا جغرافيا ، بمعنى أن كلمذهب منها يتركز فى اقليم جغرافى بذاته ، ثم يشع منه الى ما عداه ،فالوجودية فى غربى اوروبا ، والمادية الجدلية فى شرقيها ، والبراجماتيةفىالولايات المتحدة الامريكية ، والتحليل فى بريطانيا .

على أن العالم ليس كله اوروبا والولايات المتحدة الامريكية ، فهناك قارات اخرى باكملها ، لكنها من الناحية الفكرية الفلسفية احدى اثنتين: فاما جاءتها الغزوة من اوروبا وامريكا وهى فيما يشبه الغلاء منناحية الفكرالفلسفى ،واما جاءتها تلك الغزوة لتجد بين ظهرانيها تراثا خصبا عريقا، ففى الحالة الاولى انفرد الفكر الغازى فلم يحدث فى نفوس الناس وعقولهم ازمة ولا ما يشبهالازمة، واما فى الحالة الثانية فقد انقسم المثقفون قسمين احدهما جلس ليجتر ماضيه ، وآخر جاهد ليجد لنفسه مخرجا . تارة بدمج الشعبتين فى حياة واحدة ما استطاع الى ذلك من سبيل ، وتارة اخرىباغلاق صفحات الماضى ليتفرغ للوافد الجديد .

وغنى عن البيان اننا نحن الامة العربية من

الطراز الثانى ، اعنى الطراز الذى جاءته الفلسفة الغربية المعاصرة وهو على امتلاء ثقافى بما ورثه عن اسلافه ، لكنه انشق على نفسه شطرين ،فبينما تجد فريقا منه لايكاد يعى من فكر عصره خردلة ، مكتفيا بموروثه الغنى ، تجد فريقا آخر قد اتاحت له الفرصة أن يلم بفكر العصر قليلا او كثيرا ، فتاخذه الحيرة كيف يوفق فى راسه بين طارف وتليد .

واذا نحن أخذنا الدراسة فى جامعاتنا العربية نموذجا يوضح موقفنا من فلسفة العصر رفضا او قبولا ، وجدنا اقسام الدراسة الفلسفية فى تلك الجامعات تضع الشرائح الزمنية التاريخية جنبا الى جنب ، تضعها متجاورة وهى فى حياد كان الامر لا يعنيها ، ففى هذه الفرقة الدراسية تدرس الفلسفةالاسلامية،وفى‌تلك‌الفرقة الدراسية تدرس الفلسفة الحديثة او المعاصرة ،ماخوذةمن مصادرها الغربية ، فيخرج دارس الفلسفة من الجامعة وهو ما يزال فى الحيرة نفسها : هل يحاول التوفيق او لا يحاوله ؟ واذا حاوله فكيف يكون ذلك ؟ ولقد شهدت فى حياتى اعواما اشتد فيها الصراع بين اساتذة الفلسفة الذين انيط بهم تدريس الفلسفة الغربية ، فكان كل منهم يتعصب لتيار غربى دون تيار ، وكان هذا التيار او ذاك هو من نتاجنا نحن، وانعكاسا لحياتنا نحن ، ثم كان هذه التيارات الغربية الاربعة يناقض بعضها بعضا تناقضا يجعل المتقبل لاحدها رافضا بالضرورة للثلاثة الاخرى ، وكان اجدر بنا ان نتبين الامر على حقيقته ، وهى ان العصر الذى انبت تلك التيارات الفلسفية المختلفة انما هو عصر واحد ، ذو حضارة واحدة، وانها لتكون مفارقة عجيبة ، لو أن هـذا العصر الواحد يتمزق فى مذاهب متعارضة فى اسسها وجذورها .

ولقد كنت لسنوات طوال مخطئا بين مخطئين ، لاننى كنت بدورى اتعصب لتيار فلسفى معين ، على ظن منى بان الاخذ به يقتضى رفض‌التيارات الاخرى ، لكننى اليوم ـ مع ايمانى السابق باولوية فلسفة التحليل على ما عداها من فلسفات عصرنا ـ اومن كذلك بان الامر بين هذه الاتجاهات الفلسفية انما هو امر تكامل فى نهاية الشوط ، وليس هو امر تعارض او تناقض ، فكل مذهب من المذاهب الاربعة الرئيسية التى تسود العصر ، يسال سؤالا غير الاسئلة التى تطرحها على نفسها بقية المذاهب ، والتناقض لا يكون الا اذا كان السؤال المطروح واحدا عند الجميع ، لكن الاجابة عند هذا تجىء نافية للاجابة عند ذاك ، فالمذاهب الفلسفية الاربعة التى اشرنا اليها ، ان هى على وجه الجملة الا اجابات اربع ، لا على سؤال واحد بعينه ، بل هى اجابات مختلفة عن اسئلةمختلفة، عنى كل مذهب منها بسؤال ، واولاه اهتمامه ،دون الاسئلة الثلاثة الاخرى ، بحيث لايكون معنى‌ذلك انه بالضرورة رافض لمشروعية الاسئلة الاخرى ، او رافض للاجابة التى اجيب بها عن‌تلك الاسئلة.

وعلى سبيل التشبيه : افرض ان اربعة اشخاص اختلفت ميولهم واستعداداتهم ، نظروا الى سجادة يفحصونها ، فاهتم احدهم بالرسوم التى ظهرت على سطحها ، من حيوان ونبات وزخارف وغير ذلك ، بينما اهتم الثانى باللون متسائلا :ان كان مصدر الصبغة كائنات عضوية ام كان مصدرها تركيبات كيماوية ، واما الثالث فقد وجه عنايته الى نوع الصوف وطريقة نسجه ، وطفق الرابع يبحث عن موطن الصناعة ماذا كان : اكان اصفهان ام كان شيراز؟ فهل يحق لنا ان نقول‌عن هؤلاء الاشخاص الاربعة انهم « متعارضون » متناقضون متقاتلون الى آخر هذه الحالات العراكية التى تصورناها نحن دارسى الفلسفة فى الجامعات العربية بين مختلف الاهتمامات التى ظهرت فى التيارات الفلسفية المختلفة فى اوروبا وامريكا؟

ولنبدأ بما شئنا من هذه التيارات الاربعة ، التى هى:الوجودية،والمادية الجدلية ،والبراجماتية ، والتحليل ، التى قلنا انها هى الاتجاهات الفلسفية الاساسية فى عصرنا الراهن ، اقول : لنبدأ بايها شئنا ، لنرى ماهو لب رسالته ؟ثم‌ننتقل منه الى مواقف اصحاب الاتجاهات الاخرى‌متسائلين: هل هم بحكم اتجاهاتهم تلك رافضون لتلك الرسالة فى لبها وصميمها ، او ان الاصح هو ان يقال عن هؤلاء جميعا انهم اختلفوا فى‌اهتماماتهم وفى‌محاور ارتكازهم ، مع استعداد كل منهم لقبول ما انتهت اليه افكار الاخرين فيما جعلوا اهتمامهم له ؟

وليكن المذهب الوجودى هو نقطة ابتدائنا : اليست رسالته فى جوهرها هى حرية الانسان ؟

ان الانسان ـ بناء على هذا المذهب ـ هو الذى يصنع نفسه ويشكلها عن طريق القرارات التى

يتخذها لنفسه بنفسه ، فليس هو بذى حقيقة مقطوع بها مقدما ، ليسير على طريق مرسوم له ولا صلة له فيه ، اذ لو كان كذلك لما كان له اختيار فيما يفعل وما يكف عن فعله ، لكن سبل الاختيار مفتوحة امام الانسان فى كل لحظة من حياته ، بل ان هذا الاختيار واجب مفروض على الانسان اذا اراد لانسانيته ان تتحقق ، اما اذا ترك سواه ليختار له ، ولا يكون له الا ان يطيع ، فانه عندئذ يكون بمثابة من اهدرت آدميته ، لانه يكون قد حول نفسه من الحالة الانسانية التى تريد وتختار ، الى حالة الاشياء الجوامد ، او الى حالة النبات والحيوان •

تلك هى رسالة الوجودية ، ليس فيها ما يرفضه مذهب من المذاهب الثلاثة الاخرى ، وكل ما فى الامر ، هو ان تلك المذاهب الثلاثة لم تجعل حرية الانسان ـ بذلك المعنى المحدد لها ـ موضوع سؤالها ، ولقد تجد من الفلسفات ما يرفض الوجودية من حيث الاساس ، كالمذاهب المثالية التى تجعل ماهية الانسان سابقة على وجوده الفعلى ، لكنها فلسفات نبتت فى عصور اخرى غير عصرنا ، واقول ذلك عنها دون ان اريد لهذا القول ان يتضمن انها اقل اهمية او اكثر اهمية من الاتجاهات الفلسفية التى انبتها هذا العصر الذى نعيش فيه •

وامام رسالة المذهب الوجودى فى حرية الاختيار وحرية القرار بالنسبة الى الانسان ، قد يسأل سائل : أليس هنالك من القيود ما يقيد تلك الحرية عند الانسان ؟ الا تتقيد ـ مثلا ـ بما يقتضيه منطق العقل حتى لا تصبح كحرية المجنون ؟ لنفرض ان مسافرا قرر السفر من مصر الى اوروبا ليقضى بعض شأنه ، الا تتقيد حرية ارادته تلك بوسائل الانتقال المتاحة وبالقدرة المالية والصحية وغير ذلك مما يملكه او لايملكه ؟ او افرض فرضا آخر وهو ان انسانا اراد ان يقسم مائة دينار على اربعة اشخاص بالتساوى ، تلك هى ارادته الحرة ، لكن هل تكون له كذلك حرية ناتج القسمة ، وهو ان يكون نصيب كل فرد من هؤلاء الاربعة خمسة وعشرين دينارا ؟ ان ارادته مهما بلغت من حريتها ، لا بد لها من الانصياع الى قوانين الرياضة وقوانين الطبيعة ، وله بعد ذلك ان يتحرك بارادته الحرة داخل اطار هذه القوانين •

لا ، بل انه ... يتخذ لنفسه قراره الحر بارادته الحرة ، مضطر ان يصوغ ذلك القرار فى لغة يفهمها الناس ولما كانت اللغة ليست من صنعه الخاص ، فهو مضطر الى التزام المفردات اللغوية وطرائق التركيب اللغوى التى تواضع عليها الناس ، ليفهموا عنه ما اراد وما قرر ، والا لما احدث فى العالم الخارجى الاثر الذى اراد ان يحدثه بقراره ذلك الذى اختاره حرا •

فاذا سأل سائل عن مدى الضوابط التى يفرضها منطق العقل فرضا ، اى تفرضها قوانين العلوم الرياضيه والعلوم الطبيعية ، بل وتفرضها كذلك لغة العلم ولغة التفاهم ، كان ذلك السائل باحثا عن جواب لن يجده الا عند من عنى بفلسفة التحليل ، لانها فلسفة توجه اهتمامها الرئيسى نحو تلك الضوابط ، فتحاول ان تستخلص الصور المنطقية الخالية من مضموناتها ، لعلها ترى فى وضوح انواع العلاقات التى تربط اطراف الفكرة الواحدة ربطا يفيدنا فى توليد النتائج ، فاذا كان المشتغل بفلسفة التحليل لا يرفض حرية الانسان كما وصفتها الفلسفة الوجودية ، فان المشتغل بالفلسفة الوجودية من جهته لايرفض ان تضطلع فلسفة التحليل بتحديد الضوابط التى لامناص من التزامها عند عرض افكارنا ، اذ الفلسفة الوجودية وان لم توجه اهتمامها الى ضوابط الافكار فى اطارها الصورى ، فهى لا تتنكر لها ولا ترفضها ، كما ان الفلسفة التحليلية وان لم توجه اهتمامها الى اركان الحرية الانسانية عندما تريد وتفعل ، فهى لا تتنكر لها ولا ترفضها •

على ان صور المنطق والرياضة وقوانين العلوم وقواعد اللغة المفهومة ذات الدلالة ، ليست هى كل القيود التى تقيد حرية الانسان المتمثلة فى فاعليته اذ هو يريد ويختار وينفذ بالفعل ، فهنالك بالاضافة الى ذلك قيود الاهداف ، لان الذى يسير على طريق حياته بلا اهداف يتصورها ويحددها ليعمل على تحقيقها ، هو المجنون وحده ، واذا كان ذلك كذلك فى حياة العقلاء ، فماذا تقول البراجماتية غير هذا ؟ ان البراجماتية قيدت دلالة الفكرة المعينة بمقدار تحقيقها لهدفها ، فاذا قلت عن فكرة ما انها بغير هدف محدد تقصد اليه وترسم معالمه ، كنت كمن لا يريد ان يفرق بين عاقل ومجنون ، واذا كان فيلسوف الوجودية وهو منغمس فى

البحث عن حرية الانسان ، لم يوجه اهتمامه كذلك الى تحليل الافكار الصحيحة تحليلا يقيدهابالاهداف التى تتحقق بوساطتها على ارض الواقع الفعلى ، فليس معنى ذلك انه ـ اى فيلسوف الوجودية ـ يرفض هذا الذى تقوله البراجماتية ، كما ان البراجماتى لم يكن ليرفض ما يقوله الوجودى عن صنع الانسان لنفسه باختياراته الحرة التىيمارسها فى المواقف التى تعرض له فى مسيرة حياته •

هنالك ـ اذن ـ قيود تحد من اطلاق الحرية الوجودية ، دون ان تنتقص من صميمها ، فلقد ذكرنا قيود العقل بمنطقه ، وقيود الوسيلة اللغوية التى نتفاهم بها حتى لا تذهب اقوالنا عبثا مع الريح ، وهنالك قيود الاهداف التى لا بد منها لتهتدى بها الحرية الانسانية اذ هى تريد وتختار، ونريد الان ان نضيف الان قيدا آخر ، هو قيد الظروف المادية التى تحيط بنا عند الاختيار وارادة الفعل ، فماذا يجدينا من حرية لا تضع فى اعتبارها ظروف الواقع وضروراته ؟ انها لو فعلت ذلك كانت هى حرية الحالمين ! نعم ، اننا احرار فى تقرير ما نريد فعله ، لكن هذا القول يفقد معناه اذا كان هذا التقرير نفسه لا تواتيه العوامل المادية المحيطة بنا ، وهى العوامل التى تتيح لنا ان نحول مااخترناه وما اردناه ، الى واقع نحياه، وذلك هو جانب مما تقوله الفلسفة الماديةالجدلية•

هكذانرى ان المذاهب الفلسفية فى عصرنا حين اختلفت ، فهى انما اختلفت فى الجانب الذى تكون له اولوية النظرعند كل منها، دون أن تكون الجوانب المتعددة متعارضة فيما بينها ، بل هى جوانب يكمل بعضها بعضا ، ونستطيع أن ناخذ بها جميعا ـ وكدت اقول انه لا بد أن ناخذ بها جميعا ـ فى وقت واحد : اذ لا تعارض هناك بين أن نقرللانسان بحريته (وتلك هى الفلسفة الوجودية) وان نبين لتلك الحرية ضوابط المنطق لتلتزم حدودها (وتلك هى الفلسفة التحليلية) وان نشترط لها كذلك التزام الاهداف المراد تحقيقها (وتلك هى البراجماتية) مدخلين فى حسابنا دائما ضرورات الواقع المادى الذى سنجرى على ارضه تحقيق اهدافنا (وتلك هى المادية الجدلية) •

ولنضرب لهذا التكامل بين مذاهب الفلسفة الاربعة التى تسود عصرنا ، مثلا يوضحه : افرض اننا امام عبارة يقول بها صاحبها « ان العمل على تحقيقالقومية العربيةواجب محتوم» ثماردنا الوقوف عند هذه العبارة ننظر اليها من الزوايا الفلسفية الاربع ، فماذا نقول ؟اننا اذا بدانا النظر منزاوية الفلسفة الوجودية ، بحثنا عن العلاقة بين هذه العبارة وقائلها ،لنرى ان كانتعنده بمثابة القرار الاصيل الذى اصدره بنفسه ولنفسه ، حتى اذا ما وجدناها كذلك كان قائلها ملتزما فعلا بالعملعلى تحقيقها ، اما اذا وجدناها عبارة لم تصدر من ذات قائلها ، بل امليت عليه من خارجه ، فانها عندئذ تفقد قيمتها من حيث دلالتها على حرية القائل ومسئوليته الخلقية ازاءها •

فاذا انتقلنا الى زاوية الفلسفة التحليلية ننظر منها الى العبارة المذكورة ، كان من أهم مايلفت نظرنا فى مفرداتها لفظتا « واجب محتوم » لانهما من الالفاظ التى لا تسمى اشياء بذواتها ،فماذا تعنى ياترى ؟ من الذى اوجب ومن الذى حتم ؟ انهما لفظتان تحملان معنى الامر ، فمن ذا الذى أمر ؟ ، هل ثمة من سلطان خارجى يفرض علينا هذا الواجب ، فان كان فما هو ؟ ••• وهكذا يركز فيسلوف التحليل جهوده فى توضيح أمور كهذه تجرى فى كلامالناس دون أن يتنبهوا الى مدى غموضها •

ثم ننظر نظرة ثالثة ، هى نظرة الفيلسوف البراجماتى ، فلا نجد ما يدعونا الى معارضة شيء مما قاله الوجودى عن ضرورة ان تنبثق الارادة من صميم الذات التى تريد لنفسها وتقرر لنفسها، ثم لا نجد مايدعونا الى معارضة شيء مما قاله فيلسوف التحليل فى توضيح الغوامض التى تكتنف الفاظنا ، اذ القول الواضح فى معناه ادعى الى رسم الطريق فى دنيا الفعل ، لكننا ننظر من الزاوية البراجماتية الى عناصر الموقف الراهن ، وفى الطريقة التى يمكن ان يعاد بها ترتيب تلك العناصر ، ليخرج لنا من ترتيبها الجديد موقف جديد ، هو « القومية العربية » كما اردناها بادىء ذى بدء •

وتبقى لنا بعد هذا كله زاوية رابعة ننظر منها الى العبارة السالفة الذكر ، هى زاوية المادية الجدلية ، فاذا كانت القومية العربية المنشودة غير متحققة الان ، فذلك لعوائق مادية اعترضت قيامها كالظروف الاجتماعية او الاقتصادية او غير ذلك من ظروف ظهرت فى مراحل التاريخ ، ولا سبيل الى

تحقيق القومية العربية الا اذا ازلنا تلك العوائق من الطريق ، لاننا اذا ما افتعلنا تلك القومية افتعالا ، مع بقاء العوامل التي عارضت قيامها فسرعان ما تعود تلك العوامل نفسها لتفعل فعلها من جديد .

زوايا اربع كما ترى ، يكمل بعضها بعضا اكثر جدا مما ينقض بعضها بعضها ، فلكل منها سؤال يراد الجواب عنه يختلف عن الاسئلة الثلاثة الاخرى التي تطرح عند الزوايا الاخرى ، فالسؤال عند الوجودية هو : من ؟ والسؤال عند التحليل هو : ما المعنى ؟ والسؤال عند البراجماتية هو : ماالهدف والسؤال عند المادية الجدلية هو : كيف حدث وكيف يتغير ؟ ... وكلها اسئلة ضروريةللموقف الواحد .

على اني اشعر بعد هذا كله بسؤال خامس ، يلح على عقلي الحاحا الى ان يجد له جوابامقنعا، وهو : انهذه المواقف الاربعة التي تتقسم فيما بينها عصرا واحدا - هو عصرنا الراهن - لا بد أن تلتقي جميعا عند جذر واحد والا لتمزقت وحدة العصر وفقد طابعه الذي يميزه ويجعله عصرا يجيء حلقة في سلسلة العصور ، فماذا عسى ان يكون ذلك الجذر الواحد المشترك ؟ جوابي (وهو جواب شخصي ، يستطيع من شاء ان يصححه بما شاء) هو ان ذلك الجذر المشترك في فلسفات عصرنا ،هو التصور الذي يجعل الانسان محورا يديرنفسه ولا يدار من خارجه : فهو الذي يقرر بنفسه لنفسه (وجودية) وهو الذي يوضح بنفسه لنفسه(تحليل) وهو الذي يضع لنفسه الاهداف ابتغاء تحقيقها (براجماتية)، وهوالذي‌يتلمس عوائق السيرليزيلها (مادية جدلية) واذن فالمحور الفلسفي الرئيسي لعصرنا هو النظرة الانسانية التي تجعل من‌الانسان مبدأ وغاية ،وتجعل هذه‌الحياة هي الاولى‌والاخيرة.

لكن هذه النظرة لا تلتئم مع الوقفة الاسلامية العربية التئاما كاملا لان هذه الوقفة الاسلامية العربية من شانها ان تجعل هذه الحياة مرحلةاولى لها ما بعدها من‌حياة آخره ،ها هناتكمن‌المشكلةامام الفيلسوف العربي المسلم - اذا وجد - فيكون سؤاله الخاص هو : كيف اضيف البعد الخامس الى الابعاد الاربعة التي ذكرناها مميزة لعصرنا ؟ وبالاجابة عن سؤال كهذا ، يمكن للانسان المسلم العربي ان يحيا عصره وتراثه معا . ■■

د . زكي نجيب محمود

■ وقد يجمع الله الشتيتين ،بعدما يظنان كل‌الظن ان لاتلاقيا.

(مجنون ليلى)

■ لا فرق بين من يفشي سرا أوتمن عليه ، ومن يختلس مالا أودع عنده .

(قاسم امين)

■ تخطى النفوس على العيا ن ، وقد تصيب على المظنة .

(محمد بن مخلد)

■ ولا تجعل‌الشورى عليك غضاضة فريش‌الخوافي قوة للقوادم

(بشار بن برد)

لا أفهم

■ لا أفهم كيف تدور اللعبةُ إثْر الّلعبة في لبنان !
وتصير الرقعةُ سطحا احمر تغرق في دمه الالوان
تتشابه فيها احجارُ الفرزان بأحجار الفرسان
واللاعب من خلف الأوهام ينسق ألعاب الشيطان
لا أفهم كيف يغل الجرح . ويُلْقى الزيتُ على النيران
ويغذّى البغض . فينتحر الايمان . وتقتتل الاديان
في أرض سلام كانت تربط بين الشيّخة والرهبان
ان نادى في دير الجبل أبي في المسجد قرآن
لا أفهم كيف الحقد يفجره الاخوان على الاخوان
لا أفهم كيف يجن المرء فتسمل اصبعه الاجفان ؟
كيف المجنون يجر على جنبيه الخنجر في اطمئنان ؟
ويدكُّ البيت فيهوى السقف عليه وتنقضُ الجُدران
لا أفهم كيف تدور اللعبة اثر اللعبة في لبنان !

★★★

لا أفهم — ياأحفاد صلاح الدين . ويا نسل الابطال !
لا أفهم كيف بدور العز تخلف حصباء الاوحال
أيلام الجد على الميراث ؟ أم الاحفاد على الأهمال ؟
لو كان صلاح الدين تنبأ بالعقبى لخصى الاطفال
مائة المليون وما ادراك ! رجال ؟ ام اشباه رجال ؟
ارحامٌ تُدفع للاذلال . وارض تنبت للامحال
حمْل قد ناء به التاريخ . وعبء تثقله الاجيال
لا أفهم كيف تصرفنا الاهواء . وتدفعنا الاحوال

للشاعر التونسي : احمد اللغماني

فاذا القربى تجتث من الاعماق فتنفصل الاوصال
وإذا اسياف غزاة الدنيا تصبح مائعة الانصال
لا أفهم كيف الامة صارت نهب العابث والدجال
مزقا تتآكل . اشلاء كي تهدى لذئاب الادغال
لا أفهم ! يا احفاد صلاح الدين . ويانسل الابطال !

★★★

لا أفهم — يا لبنان — لماذا لم يقتلنا — بعدُ — العار ؟
مازلنا نفخر بين الناس بأنّا الصفوة والاخيار
مازلنا مثل المخبولين نفاخر بالمجد المنهار
يكفينا ان لنا فى السيرة أكثر من بطل مغوار
قد ركّز الراية في اقسى الاطوار وفي اقصى الاقطار
يكفينا ما تحكى الاطلال . وما تروى صحف الاسفار
مازلنا — يا لبنان — صغارا نخطر في ازياء كبار
مازلنا نمتهن التمثيل ونتقن توزيع الادوار
كصغار الحي إذا خاضوا ميدان الحرب أمام الدار
حُزَمُ الاعواد بنادقهم . وذخيرتهم كوم الاحجار
ونقيم الكون ونقعده بشعار يرفع اثر شعار
الوحدة والتكتيل . ودعم الصف . لقهر الاستعمار
وتدلُّ فضائحنا انا كنا لاعادينا انصار
لا أفهم كيف تدلينا وتهاوينا لأحطّ قرار
لا أفهم — يا لبنان — لماذا لم يقتلنا - بعْدُ - العار ؟ ■■

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح *

ماهو النوم بالضبط ؟ ..
ومن أين ينشأ ؟ ..
وكيف ينتهى ؟

الواقع أن هناك بحوثا كثيرة قد أجريت على هذه الظاهرة ، لتكشف أسرارها ، وتجيب على تلك الاسئلة او غيرها ، لكن أحدا لم يتوصل الى جوهر حقيقتها ، وكل التفسيرات والنظريات التى قدمها العلماء لم تتفق على رأى واحد ، لكنهم اتفقوا جميعا - كما نتفق نحن أيضا معهم - على أن النوم هو أعظم منح الطبيعة فى استعادة النشاط للابدان المنهكة !

لكن ذلك ليس تفسيرا ، انما هو تقرير لحالة محددة ، فلم يستطع احد أن يعلل لنا لماذا يصاب الانسان - الذى يضطر لليقظة (أو يتطوع لها بغرض الدراسة) ما بين ٣٠-٩٠ ساعة - لماذا يصاب بنوع من التغير النفسى والذهنى ، كأن تعتريه حالة من الهلوسة أو فقدان الذاكرة أو حتى الشخصية ، او ان يفسر لنا لماذا تستطيع الاغنام والمواشى ان تستمر فى نشاطها بدون نوم أو بنوم قليل ، ورغم هذه اليقظة الطويلة ، فان عملية الهضم المعقدة عندها قد تستفيد من يقظة الحيوان ، وتصبح اكثر فائدة له وحيوية .

والذى يريد أن يقدم لنا نظرية محددة فى طبيعة النوم ، فلابد أن تكون هذه النظرية صالحة فى التطبيق - ليس على الانسان فحسب ، بل على معظم الكائنات،بداية من الفراشة والسمكة والنحلة والقوقع ، حتى الطير والفار والحصان والقرد والانسان .

وهل تنام الحيوانات كما ننام ؟

بالتاكيد نعم ، لكن هناك ما ينام فترات أطول من الانسان ، ومنها ما ينام فترات اقصر، ثم ان هناك تجارب كثيرة اجريت على الحيوان أثناء نومه ، علها - أى التجارب - توضح لنا جزءا من الصورة الغامضة ، لكن دعنا لا نستبق الحوادث ، ولنعد الآن الى النوم ، لنرى ماذا قال فيه الفلاسفة والعلماء .

قصة هندوكية !

لقد عرف الفلاسفة الاوائل ان النوم درجتين مختلفتين ومميزتين : نوم خفيف ونوم عميق ، ومع ذلك فهناك قصة هندوكية قديمة تشير الى حالات ثلاثة تتعاقب على العقل البشرى .. الحالة الاولى « فيزوانارا » اى اليقظة ، وفيها يكون الانسان واعيا لما يدور حوله ، ويستخدم لذلك حواسه ، والحالة الثانية « تيجازا » ، أى النوم الحالم ، وفيها يصبح الانسان واعيا لاحلامه التى تتناول ما مربه من أحداث الماضى ، والحالة الثالثة « براجنا » اى النوم العميق الذى لاتتخلله احلام، وهى غاية السعادة للعقل ، ففيه - اى هذا

* استاذ علم الكائنات الدقيقة ورئيس شعبة الميكروبيولوجيا الصحية بكلية الهندسة - جامعة الاسكندرية فى جمهورية مصر العربية .

النوع من النوم ـ يغلف اللاوعى كل أفكاره ومعلوماته . وعندئذ تختفى كل الانطباعات الدقيقة من ذهنه أو عقله .

لكن ذلك كلام يعمل بدور الفلسفة . أكثر مما يعمل حقائق العلم . وسيتبين لنا ذلك فيما بعد .

فالدراسات الحديثة والدقيقة فى الكائنات الحية التى تتمتع بقسط من النوم أوضحت لنا بعض الحقائق الهامة ـ بعضها معروف .والبعض الاخر لايمكن معرفته الا من خلال أجهزة علمية حساسة تتجسس على أمخاخنا أو أمخاخ الحيوان. وتسجل ما يجرى فيها من انفعالات . وهذه تتحول. الى موجات.والموجات الى تسجيلات.والتسجيلات يقوم بها جهاز خاص يعرف باسم رسام المخ الكهربائى.. هذا بجوار قياسات بيوكيميائية وفسيولوجية وما شابه ذلك .

فكلنا نعرف ان من ظواهر النوم غياب الافعال او الاعمال الارادية . واختفاء الشعور بعالمنا المحسوس .وما قد يصاحب النوم من احلام وتخرف (احيانا) . أو ما قد يصاحب هذه الأحلام من رؤى مفزعة يطلقون عليها اسم الكابوس.. الخ.لكن ذلك ليس كل ما فى الأمر . فهناك تغيرات هامة فى بناء الغذاء وهدمه . وفى سرعة النبض . وضغط الدم . ودرجة الحرارة . والاستجابة العصبية للمؤثرات الخارجية . وما يتبع ذلك من فعل ورد فعل .. الخ .

فى الانسان والحيوان !

كل هذه التغيرات تحدث . فى أغلب الاحيان . بصورة دورية ومنتظمة . خاصة فى عالم الحيوان. او عالم الانسان القديم نسبيا او الذى يعيش الان بعيدا عن المدينه . ذلك أن أضواء المدنية الحديثة قد تدخلت فى هذه الدورة اليومية المنتظمة . فحيث كان أجدادنا القدامى يستكينون فى كهوفهم أو فى بيوتهم عندما تغرب الشمس. ويقبل الليل . نرى أحفادهم العصريين ـ أى نحن وما يتبع ذلك من أجيال قادمة ـ قد كسرت هذه القيود . وأحيانا ما يكون نهارهم ليلا . وليلهم نهارا . وربما يؤتر هذا الخلل فى الدورة الطبيعية للنوم واليقظة فى نصيب الانسان من القلق والتوتر العصبى اللذين اصبحا القاسم المشترك الاعظم فى امراض المدنية . وما تبع ذلك من اطنان من الحبوب المهدئة والمنومة التى قد تكون بدورها أخطر من القلق والتوتر !

ثم ان هناك بعض نباتات خاصة تنطوى على نفسها . وتغلق أوراقها . وتتدلى أغصانها . عندما تغيب الشمس . وتبقى هكذا على حالها طول الليل . فاذا اقبل الصباح . دبت فيها الحيوية والنشاط . وتتفتح الاوراق والزهور . وتستقيم الاغصان . وتتخلى عن الانطواء . وهذه الدورة ـ التى تشبه النوم واليقظة عند الانسان ـ تتم بشكل منتظم . لكننا لا نستطيع ان نقول ان النبات ينام ليلا.ويستيقظ نهارا كما يفعل الانسان والحيوان . بل الاحرى بنا ان نقول ان هناك تغيرا ملحوظا فى نشاط النبات الحيوى بين ليل ونهار . فهو أيضا ـ اى النبات ـ يغلق كثيرا من مفاتيح الميكانيكية البيولوجية التى تتم فى انسجته . ويغير فى وظائف اعضائه بما يتناسب مع الليل . ثم يعود لمتعها فى الصباح من جديد وهكذا . وهناك تجارب كثيرة تؤكد ان النباتات تتبع نظاما خاصا يشير الى التزامها بما تلتزم به الكائنات الاخرى .. اى فترة نشاط . تتبعها فترة خمول . لكن هذا موضوع متشعب وطويل . ولا مجال له هنا .

ومعظم الحيوانات التى نعرفها ـ او لا نعرفها ـ تنام كما ينام الانسان . الا أن نومها يختلف

فى عمقه وسطحيته عن نومنا ، رغم ان ميكانيكية النوم واحدة بين الانسان والحيوان ، فالقطط مثلا تنام فترات اطول من الانسان ، لكن معظم نومها عميق ، وقد تتخلله فترات من النـــوم السطحى ، وهكذا يختلف الوضع بين نوع مـــن الحيوان وبين نوع اخر ، ومع ذلك ، فكلمـــا هبطنا درجات سلم التطور الى الحيوانات الاقل شانا من الانسان ، تقل عندها فترات النوم حتى لتبدو لنا وكانما النوم يتلاشى عندها تماما ، ومع ذلك ، فلا زالت هذه الحيوانات الدنيـــا او البسيطة التركيب نسبيا تتمتع بفترات مـــن النشاط تعقبها فترات من الخمول ، مثلها فى ذلك كمثل النبات ، لكن الخمول عندها لا يعنى نوما ، ولا النشاط يعنى يقظة،فالنوم واليقظة ـ بمعناهما المتداول ـ ينبعان اساسا من شبكة عصبية يتحكم فيها المخ ، وكلما تطور المخ وتعقد ، أصبح للنوم معنى ، وفيه تتجلى الذكريات القديمة ، وتنبعث الأحلام العادية والغريبة .

النوم العميق والنوم السطحى !

وقد يتبادر الى الذهن هنا تساؤل : لكن ، ما يـدرينا ان كانت القطط او الفئران او سائـر انواع الحيوان ـ بمـا فى ذلك الانسان ـ ما يدرينا انها تنام نوما عميقا او سطحيا ؟

من نشاط المخ فى النوم واليقظة،او بمعنى ادق من الموجات التى يبعث بها وهو فى حالاته المختلفة، فهناك انواع خاصة من الموجات التى يمكن تسجيلها على جهاز رسام المخ الكهربى ، فتظهر لنا على هيئة خطوط متعرجة ، والخطوط نبضات توضح لنا ما يجتاح المخ من انفعالات ، او قل انها بمثابة لغة خاصة لا يقرؤها الا أربابها،ومن قراءتها يستطيعون الحكم على الانسان والحيوان،اى اذا كان الكرى قد بدأ يداعب عينيه ، او انه قـد راح فى نـوم سطحى او عميق،او حتى عميق جدا (راجع صورة الموجات المنشورة مع هذه الدراسة) ، لكن دعنا من ذلك الان ، فسنعود اليه فيما بعد .

من الدراسات الكثيرة التى اجريت على الانسان يتبين أن فترات النوم التى نحتاجها فى يوم كامل (اى ٢٤ ساعة) تختلف من انسان لانسان ، او من وقت لآخر فى الانســان ذاته ، ومع ذلك فان متوسط فترات النوم لعدد كبير من الناس ، ومن اعمار مختلفة ، يختلف اختلافا واضحا بين كبارهم وصغارهم ، فالطفـــل الحديث الولادة ينام فى المتوسط حوالى ١٨ ساعة متقطعة فى اليوم ، ثم تنقص هذه الفترة بالتدريج كلما تقدم الطفل فى العمر ، حتى اذا وصل سنه الى خمس سنوات ، بلغت فترات نومه حوالى ١٢ ساعة ، وفى سـن المراهقة تنقص الى تسع ساعات ، وهى اكثر قليلا من فترات النوم التى يحتاجها الانسان البالغ فى اليوم الواحد ، اذ تتراوح عـادة ما بين ٧ ـ ٨ ساعات يوميا .. اى اننا نقضى اكـثر من ثلث عمرنا فى النوم، فالانسان الذى عاش ستين عاما، ينام منها حوالى عشرين عاما !

لكن هناك دراسات مقارنة بين الشعوب المختلفة

ست كائنـات مختلفـة : سلحفاة وطير وخروف وفأر وقط وانسان ، ولكل نوع فترات نوم تختلف فى طولها وعمقها عن النوع الاخر.. لاحظ ان المستطيلات ذات النقط تمثل نـوم أطفـال الحيوان .. والصغير دائما ينـام اضعـاف الكبـير ، ليستفيد بطاقته المخزونـة فى نمو معتدل .

صورة بالاشعة لرأس طفل حي تخرج من مخه سلالات رفيعة لتتصل بأجهزة خاصة لتسجل ما يجرى فى مخ من أحداث كهربية وعصبية أثناء نومه ويقظته •

يوضح انمتوسط فترات النوم التى يقضيها الاطفال فى سن معينة قد تزيد أو تنقص عن معدلها فى حدود تتراوحما بين ٥ ـ ١٠٪ •من ذلك مثلا تلك الدراسة التى قام بها فريق من الباحثين اليابانيين على نوم الاطفال عندهم .ولقد أوضح هذا الفريق ان الطفل اليابانى ينام ساعه أقل من الطفل الامريكى اذا تساوت اعمارهما . وقد يرجع ذلك الى عادات الشعوب فى تربية اطفالها . وتهيئة الجو المناسب لنموهم . لان النوم من العوامل المهمة جدا فى ذلك •

عندنا وعندهم !

نحن نرى عند الشعوب العربية مثلا انها تترك الطفل على حريته ، فينام كما يحب ، ويستيقظ كما يحب ، ويلهو ما شاء له مزاجه أن يلهو ، ولهذا ترى اطفالنا العرب يسهرون فى الشارع او البيت وبما لما بعد منتصف الليل ، فى حين أن الطفل الاوروبى أو الامريكى أو اليابانى يذهب دائما الى سريره فى فترة محددة ومعروفة ومبكرة هى الثامنة مساء ، هذا وقد تمتد الطفولة عندهم حتى سن البلوغ !

وهذا هو الوضع السليم ، لان الطفل ـ بطبيعته ـ كثير الحركة والنشاط ، والطاقة التى يبذلها او يستنفدها فى حركته اضعاف الطاقة التى يحتاجها أثناء نومه ، وتوليد الطاقة يحتاج الى هدم الغذاء ، والهدم ضد البناء ، والطفل يحتاج ـ فى مرحلة النمو والطفولة الى بناء لا هدم . والبناء يستلزم توفير الطاقة لاستخدامها فيما يفيد . وليس هناك اعظم فائدة من نمو طبيعى يسير فيه الطفل حتى سن البلوغ، وبعدها يتوقف النمو تلقائيا •

هذه الحقيقة الهامة نراها أكثر فى طفل الحيوان ٠٠ لا بالملاحظة فقط . لكن بالبحث والدراسة ٠٠ فماذا أوضحت هذه الدراسات ـ اذن ـ فى ذلك المجال ؟

الصغار ينامون اكثر !

أوضحت البحوث ان كل الاطفال فى عالمالانسان والحيوان تنام فترات أطول من البالغين ، ليس هذا فحسب ، بل ان نسبة النوم العميق بين الاطفال والبالغين تختلف اختلافا واضحا ، ويبدو ان هناك ميكانيكية بيولوجية تشرف على تسيير الدفة لصالحالحياة ككل ،وان مركز هذهالميكانيكية يقع ـ بطبيعة الحال ـ فى اسفل المخ ، وهىتمنح الاطفال نوما أعمق من نوم الكبار ، ثم انها تهبهم فترات اطول ـ كما سبق ان اوضحنا •

فالانسان البالغ لا ينام نوما عميقا الا بنسبة ٢٠٪ فقط من جملة فترات نومه (والباقى اى ٨٠٪ نوم سطحى او خفيف) ، فاذا نام مثلا سبع ساعات . كان له منها ساعة ونصف ساعة تقريبا كنوم عميق ، لكن الطفل يحتاج نوما أعمق ،ليوفر طاقة اكثر ، فكان له ٥٠٪ نوما عميقا ، ٥٠٪

نوما سطحيا (اى انه ينام اكثر منا بضعفين ونصف نوما عميقا) ٠٠ وهذا أمر حسن تباركه السماء ، ولا يهتم به الانسان ـ عند معظمنا على الاقل ٠

لكن النوم العميق بالنسبة للنوم الخفيف يظهر أكثر في عالم الحيوان ، فالقطيطة (او القطة الصغيرة او حديثة الولادة) تنام ٨٠٪ من نومها الكلي نوما عميقا ، في حين ان طفل الفأر ينام تقريبا نفس الفترة التي ينامها طفل الانسان (أو بالتحديد حوالى ٥٥٪) ، لكن الفار البالغ اقل نوما من الانسان البالغ ، ثم ياتي الغروف وحمله الصغير ، فينام الحمل أعمق من « أبيه » ، لكن نومهما اقل من الانسان والقطط والفئران . فاذا عرجنا على الطيور انخفضت عندها نسبة النوم العميق انخفاضا هائلا ، فلا تتعدى في حالة الدجاجة مثلا الا ٢ر٠٪ ، اى جزئين فقط من الف جزء من فترة نومها السطحي . وقد ترتفع الى خمسة أجزاء في طيور أخرى ، ولم يسجل أحد للكتكوت نوما عميقا على الاطلاق ، ولا كذلك للسلحفاة (الوليدة منها والبالغة)، اوللزواحف (والسلحفاة من الزواحف) أو ما دونها من مخلوقات ابسط شانا ٠

والغريب مثلا ان القط الوليد لا يعرف الا حالة واحدة من النوم ـ هي النوم العميق ، فاذا استيقظ وعاد للنوم ، بداه عميقا لا سطحيا ، اى انه يدخل من حالة اليقظة الى حالة النوم العميق فجاة دون مقدمات او استعدادات (كما يحدث عندنا) ، وعندما تبلغ القطة الوليدة من العمر شهرا ، توزع نشاطها بين يقظة ونوم بالتساوى ، حتى اذا بلغت كان لها ثلث يومها يقظة . والباقي موزع بين نوم خفيف (٥٠ ٪)، ونوم عميق (حوالى ١٥ ٪) ٠

أثر الحالة النفسية !

والواقع ان كل هذه الترتيبات كانت في صالح الحياة ، فالطفل ينام نوما عميقا ولفترات أطول معتمدا على حماية ابويه ، وهذا يمده بطاقة دافعة لينمو ويشتد ويقف على رجليه ، وكلما وقف وصمد ، نقص نومه العميق ، وحل محله نوم خفيف ، وهذه الظاهرة المثيرة تبدو لنا اكثر في عالم الحيوان ، فالحيوانات التي تصيد (كالانسان والكلب والنمر والقط ٠٠ الخ) تتمتع بقسط أوفر من النوم العميقعن ضحاياها (اى الحيوانات المصادة او الضحيه مثل الحيوانات المجترة والطيور) فالاولى ـ اى الصيادةـ تنام أعمق لفترات اطول بمرتين او ثلاثة أو ربما اربعة عن مثيلاتها المصطادة ، اى كانما الخوف من الاخطار لا يسمح بفترات من نوم عميق الا خطفا ، ثم ان النجاة او الحذر يحتاج الى نوم سطحي او خفيف ، فاذا احست الدجاجه مثلا بحركة ثعبان ، او صوت قادم من بعيد ، هجرت اغفاءتها ، ونفرت حولها ٠٠ لان العالم اكل وماكول ، ومن لا ياخذ فيه حذره ، فلا يلومن الا نفسه !

لكن ٠٠ متى يبدأ النوم العميق ؟ ٠٠ وكيف سجلوه ليميزوا بينه وبين الخفيف ؟

يعتقد معظم الناس ـ ومنهم بعض الدارسين ـ ان النوم لا ينبع الا من تعب أو اجهاد ، وان الانسان الذى يطلب الراحة من اجهاده بالنوم ، يروح في نوم عميق بعد دقائق معدودة ، وكلما

اجهزة الكترونية حساسة ومعقدة ، وهي تسود بيانة عن الانسان باستقبال الانفعالات التي تحدث في امخاخنا اثناء النوم واليقظة ، وترسمها على هيئةموجات لها عند العلماء تفسير وتعليل ٠٠وترى هنا احد العلماء يفحص هذه اللغة الموجية لاحدى الحالات ٠

تقدم به الـزمن ، خف اجهـــاده ، وخف ــ تبعا لذلك ــ نومه •

هذا الاعتقاد ــ الاعتقاد بنوم عميق فى البداية، وخفيف فى النهاية ــ اعتقاد لم تثبت الدراسات صحته ، فنحن نعرف من خبرتنا العادية مقدارعمق نوم انسان بالنداء عليه ، او احداث ضوضاء ، او بالطرق على باب حجرته ، وما شابه ذلك .فان استيقظ بطرق خفيف ، دل ذلك على نوم خفيف، وان لم يستيقظ الابطرق أشد،فالنوم لا شك عميق•

هذه الطريقة ، وان كانت تبدو منطقية وفعالة، الا انها لا تصلح معيـــارا للبحـــوث العلمية ، فالبحوث تحتاج الى قياسات مقننـــة ، ولا بد ــ والحال كذلك ــ من استخدام أجهزة اكثر كفاءة واتقانا ، لتعطينا نتائج محددة ، وبها نسـتطيع ان ندرس ما يطرأ على النائم من تغيرات ذهنية وكيميائية وكهربية وفسيولوجية •• الخ ، فتكون هذه التغيرات بدورها مؤشرات خاصة ترشدنا الى بعض الغاز النوم التى لا زلنا نجهلها حتى اليوم:

مراكز فى المخ !

والدراسات الكثيرة قد أوضحت ــ بما لا يدع مجالا للشك ــ ان أجسامنا عند اليقظة ، غير أجسامنا عند الاغفاءة البسيطة ، غيرها فى النوم الخفيف والعميق ، وهناك تجارب تشير الى ان لليقظة فى امخاخنا مراكز ، وللنوم الخفيـف مراكز أخرى ، وللعميق مراكز ثالثة، ولكى تسرى الدورة اليومية بين النوم واليقظة ، كان لا بد من وجود تناسق بين هذه المراكز من جهة ، وبين الجسم من جهة أخرى •

والتنسيق الكائن معقد غاية التعقيد ، ولقد وضعت له نظريات كثيرة، علها تصل الى حقيقته، لكن لكل نظرية هفواتها ، ومع ذلك فمعلوماتنا اليوم أكثر بكثير من معلوماتنا منذ عشرة أو عشرين عاما ، ولهذا فان ظاهرة النوم تعتمد على انشطة عصبية وكيميائية وكهربية وفسيولوجية ، ولكى يسرى كل شىء على ما يرام ، وتجرى الاحداث فى أجسامنا بنظام ، كان لا بد مـن « تناغم » وتنسيق بديع بين تلك الانشطة التى تشبه فرقة موسيقية يقودها «مايسترو» ، فاذاعزفت ارتفع النغم او تباطأ ، فيكون له فى الاذن معنى، وكذلك تعزف أجسامنا « لحن » حياتها ونومها ويقظتها على هيئة ايقاعية منتظمة ، أو من

بداية النوم

نوم خفيف

نوم عميق

نوم عميق جداً

هذه الخطوط المتعرجة توضح لنا درجات النوم المختلفة كما تسجلها الاجهزة من المخ ••

نوم عميق • نوم خفيف • يقظة

المفروض ان تكون منتظمة ، لنجنى ثمار النظام فى أجسامنا •• نجنيه صحة ونشاطا ومزاجا معتدلا وأحلاما طيبة بعيدة عن الارق والتوتر وما شابه ذلك •

المخ لا ينام

بمعنى اخر نقول : أن أمخاخنا أثناء النوم لا تنـام بالمعنى المفهـوم ، بل هى فقـط تغير « موجات » مراكزها •• فبعد ان كانت « تذيع » مثلا على موجات قصيرة ذات ترددات عاليـة ، نراها وكانما هى « تحولها » ــ عند الدخول فى النوم ــ الى موجات أخرى أقل ترددا ، وكلما دخلنا فى النوم ، وزاد عمقه ، ظهرت موجات وسادت ، وانخفضت أخرى وخفتت ، ومع ذلك فلكل منطقة فى المخ « موجاتها » التى لا يشاركها فى طبيعتها منطقة سواها لكن ذلك موضوع طويل ، وليس له هنا مجال •

ومع ذلك دعنا نتعرض هنا باختصار شديد لاكثر النظريات شيوعا فى تفسير ظاهرة النوم ، ولماذا تاتى مثلا فى فترة محددة ، ونحس بان أجسامنا قـد خملت ، وان الكرى قد بدأ يداعب عيوننا •• ما الذى يحدث هنا بالضبط ؟

يقـولون : ان النـوم كيمياء وكهـربـاء •• فالكهرباء تؤثر على الكيمياء ، والكيمياء تؤثر على الكهرباء ، وان كل ظاهرة منهما تؤدى الى الاخرى •• فالموجـات الكهرومغناطيسـية التى تنبعث من رؤوسنا أثناء النـوم بطريقـة تختلف عن تلك التى تخرج أثناء اليقظة ، انما ترجـع الى تاثيرات كيميائية على مراكز الانشطـة فى امخاخنا فهناك بروتينات خاصـة قد عزلت بالفعل من دمائنا على هيئة خمائر أو انزيمات ،

القط وهو مستيقظ أو في اغفاءة (نوم سطحي)أو وهو في نوم عميق .°لاحظ الاختلاف الكائن في كل حالة ، ثم ان ما يجرى على القط يجرى على الانسان .

وان هذه الانزيمات تؤكسد مواد كيميائية محددة (اسمها مجموعة الامين) فيؤدى ذلك الى انتقالنا من نوم سطحى الى نوم عميق .

والذى يساند هذه الحقيقة الغريبة ان الجسم اذا حقن بمادة كيميائية تتداخل مع نشاط هذه الانزيمات أو المفاتيح المسيطرة على خلايانا العصبية ، و « تغلق » فيها مواقعها النشطة والحساسة ، فان النوم العميق يختفى لفترات قد تطول الى ايام ، فاذا اختفت المواد المحقونة، عاد النوم العميق جنبا الى جنب مع النوم السطحى أو الخفيف .

ويقال ان هناك مركبين أساسيين يتحكمان فى النوم الخفيف والعميق .. أحدهما اسمه « سيروتونين » Serotonin ، ومكلف بالنوم الخفيف ، والاخر هرمون اسمه نورآدرينالين Noradrenaline ، ومسئول عن النوم العميق ، ومن الممكن طبعا ــ من خلال أدوية خاصة غير ضارة ــ محو أو ازالة أحدهما ، فيكون النوم الخفيف أو النوم العميق ، أو قد نمحو الاثنين معا ، فيبقى الكائن الحى مستيقظا ، ولكل واحد منهما مركز يشتغل فيه ، ويتلاعب بنشاطه البيوكيميائى .

كيمياء وكهرباء

ويقال أيضا ان النشاط فى الكائن الحى يؤدى الى تكوين مادة أو عدة مواد كيميائية بتركيزات قليلة للغاية ، وانه كلما مر الوقت ، زاد تركيزها شيئا فشيئا ، وعندما تصل الى حدود معينة ، يبدأ تاثيرها على مراكز محددة فى المخ ، فتحور فى نشاطها على حسب ما تقتضيه الظروف ، وبحيث يؤدى ذلك التحوير الى ارسال نبضات عصبية أو كهربية الى مراكز النوم واليقظة ، فتفتحها أو تغلقها فى مواقيت محددة لنستيقظ أو لننام ، ما لم يحدث ــ بطبيعة الحال ــ اضطراب أو ضوضاء أو ألم يتدخل فى نوم النائم ، فيستيقظ مضطرا .

والبحث عن اسرار النوم فى الانسان والحيوان لا يتوقف ، فمعرفة ما يمكن معرفته عن ذلك اللغز المثير يفتح لنا آمالا واسعة للتحكم فى ظاهرة هامة تاخذ ثلث أعمارنا ، دون أن ندرى عن أحداثها شيئا ، ولو توصلنا اليها ، لاستطعنا ان نسيطر عليها ، فنستفيد بنومنا الى اقصى حدوده ، أو نستطيع أن نستيقظ بدون حدود . او ننام بدون حدود ، ما دمنا قد عرفنا سر الحدود!

والحق ان أمخاخنا نظم بديعة تتوه فيها أعظم العقول ، ومع ذلك فهى تشتغل أساسا على مبدأين : مبدأ كيميائى ، ومبدأ كهربى .. فالكيمياء لا يصلحها الا كيمياء،والكهرباء تناسبها كهرباء ، ومن هنا تكاتف علماء الكيمياء مع علماء الاليكترونيات مع علماء الطبيعة علهم يفهمون ويدركون .. فيسيطرون ، ثم تجنى البشرية بعد ذلك ثمارا ليس كمثلها ثمار . نوم بدون أرق أو حركة أو صراخ أو كابوس .. نوم سعيد يهبنا يوما سعيدا ، فهذا مرتبط بذاك .. « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » . ■■

عبد المحسن صالح

قرة العين

داعية ومرتدة وقتيلة !

بقلم : حسين على الجبورى

■ شهد العالم الاسلامى فى مطلع القرن التاسع عشر موجة عاتية من الصراع الفكرى والعقائدى شملت اكثر اقطاره وتجلت بوضوح في قطرين مهمين هما العراق وايران • ولقد كان المناخ الثقافى والاجتماعى مهيئا لتلقف كل دعوة من شانها ان تملأ الفتور الذهنى الذى كان طابع تلك الفترة المظلمة من التاريخ • غير ان ذلك الصراع امتاز بطابع صدامى عنيف راح ضحيته الالوف من الابرياء والملتزمين على السواء ، وبهذا اضيفت حشودهم الى جموع الضحايا الاخرى ••• ضحايا الحروب السياسية والمجاعات والطواعين •

كانت البداية في ايران عندما انتقل اليهاالشيخ احمد الاحسائي داعيا الىمذهب اجتهادىجديد سمى بالمذهب الشيخى نسبة اليه ٠٠ واخذ الشيخ اثناء تجواله يهيىء اذهـان الناس لقرب ظهـور الامام المهدى الغائب (الذى سيملأ الارض عدلا بعدما ملئت جورا وكفرا) ٠وقد انقسم الناس بين مؤيد ومعارض أو واقف على الحياد ٠ وكانت المناقشات تسمع علنا في المقاهي والشوارع بل بين افراد البيت الواحد ٠

وعندما دنت نهاية الشيخ اوصى بقيادة الدعوة الى تلميذه السيد كاظم الرشتي (فهو وحده الذى يعرف مغزى كلامى) وامره ان يرقب ظهور الامام الغائب باهتمام (فالحق اقول لك ان الساعة قريبة تلك التى طلبت من الله ان ينجينى من مشاهدتها لان زلزلة الساعة شيء عظيم) ٠

تابع السيد كاظم الرشتي ـ الذى سكن كربلاء ـ التبشير بمبادىء استاذه الى ان توفى عام ١٨٤٣ حيث انقسم الشيخيون الىثلاث فرق، كانت احداها وهي التى يهمنا امرها بقيادة الملا حسين البشروني الذى هام هو وجماعته في الافاق بحثا عن دليل ىنبىء بظهور الامام الغائب ٠

والظاهر ان نتيجة البحث اسفرت عن لقاءغريب تم على ارض شيراز بين البشروني ورجل زاهـد مولع بالرياضيات الروحية اسمه السيد علىمحمد ، كانت صفاته مطابقة لما يحمله البشروني في ذهنه عن شخصية (الموعود) فاختبره بمسائل غامضة من كتابات الاحسائي والرشتي فخرج باجاباتتدل على غزارة علم . ثم ساله عن تفسير سور من القرآن الكريم فاجاب اجابات صادرة (عن وحى والهام) ٠ ومـن خـلال هـذا الاجتمـاع المغلق انطلقت الدعـوة باسلوب جـديد فاطلق السيد علـى محمـد علـى نفسـه لقـب (البـاب) باعتبـاره باب الامام الغائب واطلـق على الملا حسين البشروني لقب (باب الباب) وكان ذلك في ٢٣ أيار مايو عام ١٨٤٤ وهو يوم مولد الدعوة البابية ،وسمى الدعاة الاول الذين اعتنقوا الدعوة وعددهم ثمانية عشر باسم (حروف الحى) حيث ارسلهم الباب يبشرون بدعوته في الامصار ٠

ذات التاج الذهبي

وهذا التمهيد لا بد منه للوقوف على الظروف النفسية والاجتماعية التى كونت شخصية بطلتنا صاحبة الترجمة ٠ ونعود الان الى عام ١٨١٤ م الى مدينة قزوين من أعمال ايران . ففى هذه السنة ولدت لاسرة (آل البرغاني) المشهـورة بالعلم والاجتهاد والصلاح والتقوى ، فتاة اسماها والدها الملا محمد صالح ، (قرن العين) ولقبها بـ « زرين تاج » أى « التاج الذهبي » تدليلا لها وتاكيدا على ما كان يميزها من شعر كالذهب ٠ وعندما شبت عن الطوق . اخذت ملامحها تكتمل : فمن جمال آسر الى عقل راجح وذكاء غريب ٠ وقد لحظ ابوها ذلك منها فقرت به عينه واصبحت له عزاء عن حرمانه من الولد ، فكان يضرب لهاستارا تجلس خلفه لتستمع الى الدروس التى يلقيها على تلامذته واحيانا كانت تشترك فـي النقاش والجدل الذى كان يدور في حلقات الدرس ٠

واخذ اسمها يعلو على كل اسم لما اخذتتتمتع به من قدرة على ادارة المسائل الجدلية الفقهية حيث تخرج منتصرة في نهاية كل موضوع (فلقد كان علمها يرعبنا جميعا) على حد تعبير اخيها عبد الوهاب ٠

وكان الجدل في تلكالايام يدور فيأغلب الاحوال حول اثبات آراء الشيخيين او نقضها مـن قبـل خصومهمكما قلنا من قبل٠وتشاء الظروف انتدخل الدعوة الشيخية اسرة آل البرغاني . فيلتزمها عم قرة العين الملا علي . ويناهضها عمها الثانيالملا محمد تقي الذى زفت الى ابنه بعد ذلك واخذها زوجها معه ورحلا الى كربلاء لطلب العلم ٠

وفيكربلاء اخذ موقفها الفكرى يتضحعندما راحت تميل الى السيد كاظم الرشتي داعية الشيخية آنذاك ٠ اما زوجها فقد التزم الجانب المضاد ٠ وعندما رجعا الى قزوين بعد حوالى ثلاث عشرة سنة كان الخلاف بينهما قد بلغ حدا لا يمكن معه من استمرار علاقتهما الزوجية ٠ فلما اعلن عمها ووالد زوجها فتوى تكفير الشيخيين ، كان ذلك بمثابة المدية التى قطعت وصل زواجهمـا فهجرت زوجها وتركت اولادها ورحلت الى كربلاء لتلتحق بمعية السيد كاظم الرشتي ٠ وكان ذلك سنة ١٨٤٣ ٠٠ وفي يوم ما من هذه السنة وصلت قرة العين كربلاء بعد طول سفر لتجد حشود الناس تحمل نعش استاذها الرشتي الى مثواه الاخير ٠

في انتظار الموعود

وكان العزاء الوحيد الذى خفف منصدمتها هو انها قررت ان تعتكف في بيتها منتظرة ظهور (الموعود) حسب وصية الرشتي . فانصرفت للعبادة والتهجد وحرمت على نفسها لذيذ الطعام ومطبوخه .وعندما جاءها النبا بعشور البشروئي على (الموعود) فيشيراز كما اسلفنا كانكيانها كله يشتعل شوقا لاجتلاء طلعته . وكان ان اعتنقت الدعوة البابية وادخل (الباب) اسمها ضمن دعاته الثمانية عشر (حروف الحى) واوفد اليها الملا على البسطامى لتلقنها تعاليم الدعوة .

وعندما تشبعت السيدة قرةالعين بمبادىء الباب عن طريق هذا الداعية نشطت للتبشير بها سرا في اول الامر خوفا وتقية مما قد يحدث للدعوة وهى جنين . وقد استطاعت ان تستقطب أغلب الافراد من الشيخيين ، فتضرب بينها وبين تلامذتها ستارا تدير الجلسات من ورائه ، وكانت تسحر المستمعين بما تملك من صوت جهورى مؤثر وحجة قوية دامغة تكيف بها النتيجة وفق ما تريد فيخرج الحاضرون وهم لا يصدقون ان ما سمعوا من حجج قد غير مفاهيمهم واراءهم .

وفي شباط عام١٨٤٧ بدأتالدعوة اسلوبا جديدا عندما ارادت قرة العين ان تتخطى جانب التقية والكتمان فتعلن اراءها جهارا . وقد ايدها بعض الدعاة وعارضها اخرون بشدة .ولكنها لم تابه لذلك ومضت في خطتها التي ارتات مما جعل الخصوم يوجهون اليها تهما خطيرة منها انها اعتبرت كتب الاحسائي والرشتي ممسوخة بظهور الباب . وان الباب هو الامام الغائب . وافادت هذه التهم وغيرها الخصوم في اضرام النار التيكانت حبيئة في الصدور ، فهاج الناس وماجوا واتهموها بالكفر والمروق ثم تالبوا عليها ذات يوم فهاجموها في بيتها مما اضطرها ان تلتجى الى دار السيد كاظم الرشتي . وقد سعى بعض وجهاء كربلاء في كسر حدة الفتنة فحجزوها في بيت الحاج مهدى كمونة الا ان الحاكم اضطر الى الافراج عنها ازاء ضغط مريديها فسافرت الى بغداد .

وفي بغداد واصلت قرة العين الترويج لدعوتها اذ وجدت الجو فيها ملائما ، فالدعاية التي سبقت وصولها هيات الناس لان تتشوق لسماعها على الاقل. يقول عبد المحسن آوارء في كتابه (الكواكب الدرية) : وقد حضرت ذات يوم مجلسا كان فيه الوالي نجيب باشا والمفتي ابو الشفاء الالوسى فاذهلت الحاضرين ببلاغتها .

الا ان الجو لم يصف لها في بغداد فما لبث اعداؤها وخاصة المرزا محمد حسن جوهر انتوسلوا بمختلف السبل للايقاع بها وقد استطاعوا اقناع والي العراق بخطورة امرها على الدين وضرورة حجبها عن الناس ، ولم ير الوالي بدا من احتجازها فيدار الالوسى مفتي بغدادريثما يصل من العاصمة استانبول قرار في البت بامرها .

وخلال هذا الاحتجاز لم تنفك عن الاتصال بتلامذتها وبث دعوتها التي اخذت طابعا جديدا هو تجديد الشريعة الاسلامية والعمل بمقتضى احكام (*البيان*) وهو *الكتاب الذى وضعه* (*الذكر*) أو الباب الذى كان فيتلك الفترة محتجزا فيقلعة (ماه كو) في ايران .

الدعوة بين اليهود

لم يطل الامر حتى جاء القرار من استانبول بالافراج عن قرة العين وابعادها من العراق فخرجت متجهة الى كرمانشاه في موكب حافل من النساء والرجال . وقد ارتجت البلدة لدى وصولها ، فكان الازدحام يكثر حول منزلها حتى نضيق الازقة بالناس . وكانت النساء ياتين اليها نهارا فتقرأ عليهن الايات الجديدة واسرارها . وفي المساء ياتي اليها بعض العلماء والامراء فيقابلونها من وراء حجاب ويستمعون الى حديثها ثم يخرجون منها متحيرين وبعضهم يخرج منجذبا ، ولم تكتف بذلك بل راحت تتحدى خصومها وتدعوهم الى (المباهلة) امام الملأ الا ان احدا لم يجرؤ على مباهلتها . فقد كان العامل النفسي يلعب دوره في صالحها . وازاء هذه الضجة استطاع معارضوها بالاتفاق مع امير العسكر اخراجها من كرمانشاه ليلا بالقوة الى همدان .

وفي همدان استطاعت ان تجتذب بقوة حجتها وسعة اطلاعها في التوراةواحكامها اثنين من احبار اليهود هما الملا الباهو والملا لالزار . فاعتنقا الدعوة وكان ذلك بداية انتشارها بين اليهود . وعندما غادرت قرة العينهمدان الى قزوين بلدتها، اراد زوجها اقناعها بالعودة اليه والى اولادها

فارسلت له ان « قولوا لهذا القريب الاحمق المغرور لوكان قصدك حقا ان تكون رفيقا لي وزوجا لكنت اسرعت لمقابلتي في كربلاء ولسرت على قدمك لحراستي وحراسة هودجي طول الطريق الى قزوين. واذ ذاك كنت اثناء سفري معه اقدر ان اوقظه من نوم غفلته واظهر له طريق الحق . ولكن ذلك لم يقدر عليه وقد مر على فراقنا ثلاث سنوات فلا يمكن له في هذه الحياة ولا في الحياة الاخرة ان اجتمع به فقد طرحته كلية من حياتي الى الابد ».

لقد كان طلاقها بهذه الصورة مخالفا للتعاليم الاسلامية ، فلم يحتمل الملا محمد تقي عمها ووالد زوجها هذه البدعة الجديدة التي جاءت بها ابنة اخيه فطعنته في مبادئه وتقاليد عائلته فاعلن حربه على الدعوة وصار يصعد المنبر بعد كل صلاة فيبطل مزاعمها ويكفر كل من اعتنقها .

ولقد كان لخطبه تاثير بالغ في الناس فما لبثوا ان تالبوا على الشيخيين والبابيين فاخذوا يضربونهم علنا في الشوارع . اما قرة العين فراحت تدعو اصحابها الى مغادرة قزوين وتحذرهم « من وقوع زلزلة عظيمة ترتج منها قزوين وتسفك دماؤكم جميعا وان الله يريد بكم خيرا في المستقبل »

وفي فجر احد الايام بينما كان الملا محمد تقي يقيم الصلاة في المسجد اذ تصدى له أحد البابيين فطعنه عدة طعنات قضت عليه .

هاج الناس اثر ذلك وماجوا على اتباع قرة العين فضربوا قسما منهم وقتلوا اخرين شر تقتيل. كما سيق المتهم بقتل الملا محمد تقي الى طهران حيث اعدم هناك . ثم القي القبض على قرة العين وسجنت في حرم سراي الحاكم ولكن احد اتباعها وهو المرزا حسين علي النوري الملقب (بالبهاء) استطاع خطفها وتهريبها الى طهران واخفاءها في بيته .

مؤتمر بدشت الحاسم

كان الباب خلال الحوادث السابقة مسجونا في قلعة (ماه كو) في (بدشت) وقد قرر البابيون عقد مؤتمر عام هناك للنظر في انقاذه ، وايضاح موقف الدعوة البابية من الشريعة الاسلامية . فانعقد المؤتمر في حزيران من عام ١٨٤٨ حضره اقطاب الدعوة ، وكانت النقطتان اللتان طرحتا في المؤتمر هما : هل تنسخ الشريعة الاسلامية وتتحرر الدعوة البابية منها تماما ام تبقى ملتزمة بها وتقوم بدور المصلح فقط .

طال الجدال بين المؤتمرين الذين انقسموا الى قسمين متناحرين وفي النهاية كانت المفاجاة الرهيبة، اذ دخلت قرة العين المؤتمر وقد اسفرت عن وجهها على غير عادتها وتزينت باجمل زينة ولبست ابهى حلة وهي تصرخ بصوت جهوري « اني انا الكلمة التي ينطق بها القائم ، والتي يفر منها نقباء الارض ونجباؤها ..ان هذا اليوم يوم عيد وسرور عام وهو اليوم الذي تفك فيه قيود الماضي ..فليقم كل من يشترك في هذا المجد ويقبل صاحبه ، فان احكام الشريعة المحمدية قد نسخت بظهور الباب »

كانت المفاجاة رهيبة حقا بل كانت اعظم من ان يتحملها القوم فعمدوا الى اخفاء وجوههم بايديهم وعباءاتهم كي لا يروا وجه قرة العين وهو بهذه الصورة، وقد صعقت المفاجاة احدهم فعمد الى رقبته فاحتزها بسكين وخرج نازفا من المؤتمر لا يلوي على شيء . وجرد آخر سيفه يريد ان يهوي به عليها .

غير ان قرة العين لم تابه لذلك واستمرت في خطبتها «.....واما ادخار المال عند احدكم وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال ، فهو اصل كل وزر واساس كل بلاء ، لانه لم يخلق لنفس واحدة تتلذذ به من حيث يتحسر المحروم بل هو حق مشاع غير مقسوم جعل للاشتراك بين الناس فليشارك بعضكم بعضا بالاموال ... اتركوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم بان تشاركوهن بالاعمال وتقاسموهن بالافعال .. »

كان مؤتمر (بدشت) نقطة التحول في الدعوة البابية اذ استطاع بعض الاتباع ان ينتزعوا المبادرة ويستولوا على قيادة الدعوة والسير بها في طريق مغاير لتعاليم الاسلام كفرقة دينية قائمة بذاتها ناسخة لما قبلها من اديان . واثر ذلك بدات المتاعب والعقبات تتكاثر في طريقها . فبعد الضجة التي احدثها مؤتمر (بدشت) هاج الراي العام على البابيين واخذت الاعتداءات تنهال عليهم . وفي ٩ تموز (يوليو) عام ١٨٥٠ اعدم الباب في مدينة تبريز بناء على فتاوى العلماء .

ابادة البابيين

وفي ١٥ آب (اغسطس) من عام ١٨٥٢ نجا شاه ايران ناصر الدين من محاولة اغتيال دبرها

البابيون له . وبنجاته اعلنت اباحة دماء البابيين للشعب وبدات المذابح تمارس علنا فى الشوارع وجمع المعتقلون ووزعوا حصصا متساوية على الناس لكى لا يفوت احد ثواب القتل فعذبوا وقطعوا بالفؤوس .

القى القبض على قرة العين واحتجزت فى دار محافظ طهران (محمود خان) وكانت طيلة فترة احتجازها تتصل بنساء المحافظ واهل بيته وتلقنهم مبادىء الدعوة على الرغم من المذابح التى كانت قائمة على قدم وساق فتهافت عليها نساء المنطقة يستمعن اليها .

ارسل الصدر الاعظم عالمين دينيين الى قرة العين لامتحانها ثم تقرير مصيرها على ضوء التقرير الذى يقدمانه ، فاتصلا بها وناقشاها فى كثير من الامور الدينية ولكنها لم تتزحزح عن رأيها وقالت لهما«ان الادلة التى تسوقانها هى اشبه باقوال طفل غبى جاهل فالى متى تسيران وراء هذه الاكاذيب والخرافات الجنونية والى متى لا ترفعان رأسيكما للثريا شمس الحقيقة » وخرج الرجلان من عندها معلنين ان قرة العين مرتدة عن الدين كافرة لذا فهي تستحق القتل عملا باحكام القرآن الكريم .

وفى اليوم المعين لتنفيذ حكم الاعدام اقتيدت قرة العين الى حديقة الايلخانة الواقعة امام السفارة البريطانية فى طهران ولما تقدم منها الجلاد تمهلته قليلا لتوضح له اهداف دينها الجديد ثم قدمت له منديلا من الحرير قائلة « والآن امض لما انت مقبل عليه » واخذ المنديل منها وطوق به عنقها ثم راح يجذب طرفيه بكل ما يملك من قوة .. ولم تمض بضع دقائق حتى سكنت انفاسها وهدأ جسدها الذى ما استقر ساعة طيلة حياتها ، ثم القيت جثتها فى بئر كانت هناك وهيل عليها التراب وسويت تلك البئر بالارض ... ■■

حسين علي الجبوري

كربلاء ـ العراق

■ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه ، وهو الد الخصام

(قرآن كريم)

■ فاعل الخير خير منه ، وفاعل الشر شر منه

(الامام على)

■ على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم
وتعظم فى عين الصغير صغارها وتصغر فى عين العظيم العظائم

(المتنبى)

■ اعمل لدنياك كأنك تعيش ابدا ، واعمل لاخرتك كأنك تموت غدا .

(عبد الله بن عمرو بن العاص)

■ فان تصبر النفس تلق السرور وان تجزع النفس اشقى لها

(الخنساء)

اثر العقائد الدينية فى تقدم

أكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد ،وأودع نفوسهم ثلاث خصال،(١) كل منها ركن لوجود الامم ، وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية ، وأساس محكم لمدنيتها ، وفى كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال والرقى الى ذرى السعادة ، ومن كل واحدة وازع قوى يباعد النفوس عن الشر ،ويزعها عن مقارفة الفساد ،ويصدها عن مقاربة ما يبيدها ويبددها٠

العقيدة الاولى : التصديق بـان الانسان ملك أرضى ، وهـو أشرف المخلوقات ٠

الثانية : يقين كل ذى دين بان أمته أشرف الامم ، وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل ٠

والثالثة : جزمه بان الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوى ، والانتقال من دار ضيقة الساحات ، كثيرة المكروهات ، جديرة أن تسمى بيت الاحزان وقرار الالام ــ الى دار فسيحة الساحات ، خالية من المؤلمات ، لا تنقضى سعادتها ، ولا تنتهى مدتها ٠

لا يغفل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الاثار الجليلة فى الاجتماع البشرى ، والمنافع الجمة فى المدنية الصحيحة ، وما يعود منها بالاصلاح على روابط الامم ، ، وما لكل واحدة من الدخل فى بقاء النوع ، والميل بافراده لان يعيش كل منهم مع الاخر بالمسالمة والموادعة ، والاخذ بهمم الامم للصعود فى مراقى الكمال النفسى والعقلى ٠

من البيّن ان لكل عقيدة لوازم وخواص لا تزايلها ٠

فمما يلزم الاعتقاد بان الانسان أشرف المخلوقات ــ ترفع المعتقد بحكم الضرورة عن الخصال البهيمية واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية ولا ريب انه كلما قوى الاعتقاد اشتد به النفور من مخالطة الحيوانات فى صفاتها، وكلما اشتد هذا النفور سما بروحه الى العالم العقلى ،وكلما سما عقله اوفى على المدنية ،وأخذ منها بأفر الحظوظ ، حتى قد ينتهى به الحال الى ان يكون واحدا من أهل المدينة الفاضلة ، يحيا مع اخوانه الوصلين معه الى درجنه على

---

(١) هذا النص مقتبس من رسالة « الرد على الدهريين » وقد الفه السيد باللغة الفارسية سنة ١٢٩٦هـ (١٨٧٩م) حين كان فى مدينة « حيدر اباد الدكن » وقد ترجم الرسالة الى العربيةتلميذه الاستاذ الامام محمد عبده بمساعدة تابعهعارف ابىتراب الافغانى٠

البشرية

للسيد جمال الدين الافغانى

١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ (١٨٣٩ - ١٨٩٧ م)

قواعد المحبة ، واصول العدالة ،وتلك نهاية السعادة الانسانية فى الدنيا ، وغاية ما يسعى اليه العقلاء والحكماء فيها .

فهذه العقيدة أعظم صارف للانسان عن مضارعة(٢) الحمر الوحشية فى معيشتها والثيران البريةفى حالتها ، ومضاربة (٢) البهائم السائمة،والدواب الهاملة ، والهوام الراشحة التى لا تستطيع دفع مضرة ولا التقية من عادية ، ولا تهتدى طريقا لحفظ حياتها،وتقضى آجالها فى دهشة الفزع ووحشة الانفراد .

هذه العقيدة أشد زاجر لابناء الانسان عن التقاطع المؤدى لافتراس بعضهم بعضا كما يقع بين الاسود الكاسرة ، والوحوش الضاربة ، والكلاب العاقرة ، واشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات فى خسائس الصفات .

وهذه العقيدة أحجى حاد للفكر فى حركاته، وانجح داع للعقل فى استعمال قوته ، واقوى فاعل فى تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل .

ان شئت فارم بنظر العقل الى قوم لا يعتقدون هذا الاعتقاد ، بل يظنون ان الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل ، والى اى حد تصل بهم الشرور ، وبأى منزلة من الدناءة تكون نفوسهم ، وكيف ان السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية .

ومن خواص يقين الامة بانها أشرف الامم وجميع من يخالفها على الباطل - ان ينهض آحادها لمكاثرة الامم فى مفاخرها ، ومساماتها فى مجدها، ومسابقتها فى شرائف الامور وفضائل الصفات ،وان يتفق جميعها على الرغبة فى فوت جميع الامم ، والتقدم عليها فى المزايا الانسانية عقلية كانت او نفسية ، ومعاشية كانت أو مَعَاديَّة ،وتأبى نفس كل واحد عن اعطاء الدنية، والرضا بالضيم لنفسه ، او لاحد من بنى أمته . ولا يسره ان يرى شيئا من العزة ، أو مقاما من الشرف لقوم من الاقوام ،حتى يطلب لامته افضله واعلاه . ذلك انه بهذا الاعتقاد يرى ابناء قومه اليق واحدر بكل ما يعد شرفا انسانيا .

فان جارت صروف الدهر على قومه فاضرعتهم ، او ثلمت مجدهم، او سلبتهم مزية من مزايا الفضل - لم تستقر له راحة ، ولم تفتأ له حمية ولم يسكن له جيشان ، فهو يمضى حياته فى علاج ما الم بقومه حتى يأسوه او يموت فى أساه(٣) .

---

(٢) المضارعة : المماثلة . وضريب الشيء : نظيره

(٣) ياسوه : يطببه ويعالجه ، واساه : علاجه .

فهذه العقيدة أقوى دافع للامم الى التسابق لغايات المدنية ، وأمضى الأسباب بها الى طلب العلوم ، والتوسع في الفنون ، والابداع في الصنائع، وانها لابلغ في سوق الامم الى منازل العلاء ومقاوم الشرف ، من غالب قاسر ومستبد قاهر عادل .

وان اردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ، ماذا تجد من فتور في حركات آحادهم نحو المعالي ؟ وماذا ترى من قصور في هممهم عن درك الفضائل ؟ وما ينزل بقواهم من الضعف ؟ وماذا يحل بديارهم من الفقر والمسكنة ؟ والى أى هوة يسقطون من الذلة والهوان خصوصا اذا بغى عليهم الجهل فظنوا انهم ادنى من سائر الملل .

ومن مقتضيات الجزم بان الانسان ماورد هذا العالم الا ليتزود منه ، كمالا يعرج بهالى عالم ارفع ، ويرتحل به الى دار أوسع ، وجناب امرع،ليمرع واديه - ان من أشربت هذه العقيدة قلبه ينبعث بحكمها ، وينساق بحاديها لاضاءة عقله بالعلوم الحقة ، والمعارف الصافية ، خشية ان يهبط به الجهل الى نقص يحول دون مطلبه ثم ينصرف همه لابراز ما أودع فيه من القوة السامية والمدارك العقلية ، والخواص الجليلة ، باستعمالها فيما خلقت له فينجلي كماله من عالم الكمون الى عالم الظهور ، ويرتقي من درجة القوة الى مكانة الفعل فهو ينفق ساعاته في تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ، ولا يناله التقصير في تقويم ملكاته النفسية ، وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعةمتنكبا عن طريق الخيانة ، ووسائل الكذب والحيلة، معرضاعنابواب الرشوة ، مترفعا عن الملق الكلبي ، والخداع الثعلبي ، ثم ينفق ماكسب في الوجه الذى يليق ، وعلى الوجه الذى ينبغي ، وبالقدر الذى ينبغى ، لا يأتى فيه باطلا ولا يغفل حقا عاما او خاصا .

فهذه العقيدة احكم مرشد واهدى قائد للانسان الى المدنية الثابتة المؤسسة على المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة ، وهذا الاعتقاد اشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التى لا عماد لها الا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه . والقيام على صراط العدل المستقيم .

هذا الاعتقاد انجع الذرائع لتوثيق الروابط بين الامم ، اذ لا عقد لها الا مراعاة الصدق ،والخضوع لسلطان العدل في الوقوف عند حدود المعاملات. هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازلية ، تهب على القلوب ببرد الهدوء والمسالمة ، فان المسالمة ثمرة العدل والمحبة ، والعدل والمحبة زهر الاخلاق والسجايا الحسنة ، وهى غراس تلك العقيدة التى تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور ، وتنجيه من متائه الشقاء وتعاسة الجد ، وترفعه الى غرف المدينة الفاضلة . وتجلسه على كرسى السعادة .

وقد يسهل عليك ان تتخيل جيلا من الناس حرم هذه العقيدة فكم يبدو لك فيه من شقاق وكذب ونفاق وحيل وخداع ورشوة واختلاس ؟ وكم يغشى نظرك من مشاهد الحرص والشرة والغدر والاغتيال وهضم الحقوق والجدال والجلاد ؟ وكم تحس فيه من جفاء للعلم وعشوة (٤) عن نور المعرفة ■■

(٤) العشا (على وزن العمى) ضعف البصر ، وصاحبه : اعشى .

نتيجة مسابقة العدد ٢١٩

صحف وجرائد عربية

■ دارت مسابقة العدد ٢١٩ من العربي على اسئلة حول صحافتنا العربية وتاريخها الطويل وعن بدايات تلك الصحف في مشرق بلادنا العربية ومغربها ثم المطبعة وكيف دخلت بلادنا ، وقد استطاع المشتركون بالمسابقة أن يجيبوا على الاسئلة اجابات صحيحة كما أن عدد المشتركين فـي هذه المسابقة كان في زيادة ملحوظة ٠

واليك أيها القارىء نموذجا للاجابة الصحيحة ثم اسماء من فازوا بالمسابقة ٠

١ ـ التنبيه اسم اول صحيفة عربية ظهرت في العالم العربي وقد صدرت في القاهرة عام ١٨٠٠م على يد نابليون بونابرت أثناء الحملة الفرنسية٠

٢ ـ اول مطبعة عربية وصلت الى العالم العربي في مطلع القرن الثامن عشر اقيمت في حلب ٠

٣ ـ الجريدة المصرية اليومية التى احتفل في العام الماضي بذكرى مرور ١٠٠ عام على مولدها هي جريدة الاهرام ٠

٤ ـ الصحف العربية السعودية هي : الجزيرة ـ عكاظ ـ اليمامة ـ الرياض ـ المدينة ـ الندوة٠

٥ ـ المجلة الاولى الكويتية التى كان يصدرها المؤرخ الكويتي عبد العزيز الرشيد عام ١٩٢٨م كان اسمها الكويت وكانت تطبع في مصر ٠

٦ ـ الصحيفتان اليوميتان اللتان تصدران في المغرب هما العلم ـ الانباء ٠

٧ ـ مؤسس صحيفة الهدى العربية في نيويورك بالولايات المتحدة عام ١٨٩٨ هو نعوم مكرزل ٠

٨ جوتنبرج مخترع الطباعة بالحروف المتفرقة في عام ١٤٣٦ م كان الماني الجنسية ٠

الفائزون بالجوائز

* العائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها محمد على المحسن ـ القطيف ٠ السعودية ٠
* الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها محمد عمر المروعي ـ الزيدية ـ اليمن الشمالي ٠
* الجائزة الثالثة وقيتها ١٠ دنانير فاز بها :حسين عبد السلام الهجين ـ طرابلس / ليبيا ٠

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ باسم محمد الزعبي ـ اربد / الاردن ٠
٢ ـ ممدوح على احمد بيومي ـ سمالوط/مصر٠
٣ ـ على مبارك الفارسي ـ الشويخ/الكويت ٠
٤ ـ خالد معروف عمر ـ السليمانية/العراق ٠
٥ ـ احسان محمد جعفر ـ اللاذقية /سوريا ٠
٦ ـ وفاء دالاتي شامي ـ طرابلس/لبنان ٠
٧ـ محمد الحسن فضل المولى ـ الخرطـوم/ السودان ٠
٨ ـ يوسف احمد محمد ـ جد حمص/البحرين ٠

■■

بقلم : منير نصيف

■ قالوا للفيلسوف الامريكي وليم جيمس ، استاذ الفلسفة بجامعة هارفارد الامريكية : « لماذا اخترت التدريس ؟ » وقال الاستاذ صاحب «فلسفة الذرائع » (١) : « لازرع الحب فى قلوب ابنائى ! »

ولكن احدا على وجه التحديد لم يستطع انيذكر لنا مدى النجاح الذى حققه هذا الفيلسوف الكبير في محاولاته ٠٠ ولو ان كتبه ومؤلفاته امتلات بهذه المعانى الجميلة التى ازدحم بها صدره ورأسه !

لقد كان وليم جيمس احد هؤلاء الذين اضاءوا لنا الطريق بالكلمة والعمل ، وهذه الموهبةالخاصة التى ينعم بها البعض وتضيق بها صدور البعض لانهم يفتقدونها ٠

امثال هذا الفيلسوف الانسان كثيرون ٠٠ وهم ينتشرون فى كل اركان الارض الواسعة ٠٠ انهم لا يرسمون لوحات جميلة ٠٠ ولايصنعون التماثيل التى ترتفع فوق القواعد العالية فى الميادين العامة ، ولا يقرضون الشعر الذى يعيش من بعدهم فى الكتب وعلى شفاه الناس ٠٠ ومع هذا فهم أعظم من كل هؤلاء ٠٠ لان موهبتهم اغلى واثمن ، لانها الحياة فى أروع صورها كما يفهمونها ويعيشونها ويفلسفونها ٠٠ لان ما يصنعونه ويقولونه يرفع معنوياتنا ، ويفتح أمامنا تلك الطرق الضيقة المظلمة التى كنا نتصور انها قد سدت فى وجوهنا فى لحظة من لحظات اليأس أو المرض ، أو خيبة الامل ، او الوحدة التى نحس بها ، حتى لو كنا نعيش فى أكثر مدن العالم ازدحاما بالناس ٠٠

هؤلاء « الفنانون » الموهوبون ، يتحركون فى هدوء دون ان يتاثروا باحد ، ودون ان يتوقعوا ان تمتد يد لتضع وساما فوق صدروهم ، لانهم يصنعون ما يصنعون ويقولون ما يقولون بصورة تلقائية ، فهذه هى طبيعتهم ، وهذه هى خصالهم ، وهذا هو اسلوبهم فى الحياة ٠٠

---

(١) فلسفة أمريكية تتخذ من النتائج العمليةمقياسا لتحديد قيمة الافكار الفلسفية وصدقها ٠

كيف ؟ وما هو هذا الاسلوب ؟ ومن هم هؤلاء ؟

كلهن بناتها !

ونبدا بقصة الام التى ذهبت لتزور ابنتها المريضة بالمستشفى .. لقد اخطات الطريق الى غرفتها ، وفجاة وجدت نفسها فى غرفة اخرى ، ترقد فيها اربع فتيات لا فتاة واحدة .. واتجهت عيون الفتيات المرضى الى هذا الوجه الغريب .. ولم تشعر الام للحظة واحدة انهـا اخطات ، لـم .. للخارج بحثا عن غرفة ابنتها التى كانت تعد : [illegible] بعد ليل طويل قضته ساهرة تدعو لها بالشفاء .. فقد احست فى هذه اللحظة ان كل واحدة من هؤلاء الفتيات الاربع هى ابنتها .. وتقدمت فى خطى ثابتة وابتسامة حانية تضىء وجهها ، حتى اقتربت من اقرب فراش اليهـا ، ومدت يدها تصافح الفتاة المريضة التى اجرى لها الاطباء جراحة منذ بضعة ايام ، وانحنت تقبل جبينها ، وتسالها فى رفق : « كيف حالك اليوم يا عزيزتى ؟ ثم راحت تتنقل بين الاسرة الاربعة، وتذكرت باقة الزهور التى كانت تحملها فى يدها وصندوق الحلوى الذى اشترته لابنتها ، وقدمت لكـل منهن زهـرة ، وقدمت لكـل منهـن قطعـة من الحلـوى التى تحبهـا ابنتهـا .. وقضـت بينهن اكثر من نصف ساعة كاملة ، تحدثهـن فى كل شىء وعن اى شىء ، ما عدا العلة التى تشكو منها كل منهن .. ولما همت بالانصـراف عندما تذكرت ابنتها قلن يسالنها : « ولكن من انت ياسيدتى ؟ انت لست واحـدة من اطبـاء المستشفى على اية حال ، من انت ؟ »

– أنا أم ولى ابنة هنا فى مثل سنكن ، ارجو أن تسمحن لى الان بالذهاب لرؤيتها !

– نرجوك أن تعودى الينا ، دعينا نراك مرة أخرى .

هبة الحياة

وخرجت الام وهى تودعهن بقبلة أخرى .. وفى صوتها ، وفى عينيها .. وفى حديثها ، تلك الرسالة التى ارادت أن تنقلها لهن بمشاعرها واحاسيسها واسلوبها الذى تعودته فى الحديث مع الناس .. كل الناس .. اية رسالة ؟

« ان هبة الحياة هى اهم واغلى واثمن ما فى الحياة ! »

وهناك على بعد خطوات قصيرة ، فى نهـاية الردهة ، كانت سيدة عجوز تجلس على كرسى تحركه اربع عجلات وتتنقل به من مكان لآخر .. لقد هدهـا الزمن .. كانت يداها العجـوزتان تحملان آثار عمل طويل ، وساقاها المشلولتـان تحكيان قصتها الطويلة مع أسرتها التى رعتهـا وحنت عليها وافنت عمرها كله من أجل اسعادها .. وكانت تبتسم ! ولكنها ما لبثت أن نفضت الابتسامة عنوجهها عندما احست بالمرضة تقترب منها لتدفع بالكرسى أمامها الى حديقة المستشفى ، المكان الوحيد الذى تذهب اليه لقضاء جانب من النهار مع الشمس المشرقة والزهور التى تمـلأ الحديقة الجميلة .. وقالت السيدة فى الم يشوبه مرح واضح : « نسيت القفاز الابيض الذى اضع فيه يدى .. انت لا تتوقعين منى بكل تاكيد ان أخرج فى نزهتى بهاتين اليدين العجوزتين .. أرجوك أن تعودى الى غرفتى وتاتى الى به ! »

وعادت الممرضة تحمل القفازين ، وامسكت بهما السيدة ، وفى كبرياء وحماس شديدين ، راحت تضع فيهما أصابعها بهدوء حتى غطى القفازان يديها تماما .. وقالت تحدث ممرضتها : « الان نستطيع أن نبدأ يا عزيزتى رحلتنا اليومية ! »

– كيف تشعرين اليوم يا سيدتى ؟ »

وخرج المرض مقهورا

قالت : « الالام هناك فى مكانها ولكن هل يجب أن يمنعنى الالم من أن أبـدو اكثـر اناقة ؟! »

وأطلقت ضحكة مرحة : لقد أحست فى هذه اللحظـة انها استطاعت أن تقهر هذا العـدو الجاثم فوق ساقيها .. لقد خرج الالم مهزوما ، وقالت وهى تنظر الى ممرضتها من فوق كتفها : « أنت لا تعرفين ماذا أعددت له فى المرة القادمة، ثم رفعت يدها بقفازها الابيض الجميل فى الهواء، مهددة متوعدة ، واكملت حديثها ، قالت : « سوف أصرع الالم اذا حاول أن يقف فى طريقى ! »

ما اروع الدرس الذى حـاولت هذه السيدة العجوزالمريضة ان تلقننا اياه .. لقد قالت لنا اشيـاء كثيرة .. ولكن اهم ما نقلته لنـا فى

رسالتها هو اسلوبها في مواجهة تحديات الحياة بلا خوف وبلا وجل ، حتى عندما يتقدم بنا العمر، ونحس بان خطواتنا قد أبطات ، وحتى عندما لا تكون لنا خطوات على الاطلاق ونضطر الى ركوب مقعد يسير على عجل !

الابواب الموصدة

يحدثنا الكاتب الشاعر ادجار الان بو عن السعادة التى يجدهــا المرء عندما يواجه قسوة الحيــاة بتشجاعة يقول :« اننى انظر الى اللحظات العصيبة التى تمر بنا ، نظرتى الى الابواب الموصدة فى وجوهنا . التى يجد المرء منا صعوبة فى فتحها ! ترى ماذا نفعل أزاءها ٠٠ هل نتركها ونمضى فى طريقنا ٠٠ ولكن اى طريق يمكن أن نسير فيه ونحن لا نعرف ما الذى يخفيه عنا هذا الباب الموصد أمامنا ٠٠ ألا يمكن أن نجد وراءه ما كنا نأمل فيه ونمنى أنفسنا به ! يجب اذن ألا نتركه مغلقا . رغم ما يتطلبه من جهد لفتحه ٠٠ لا بد لنا ان نحاول ولا نكف عن معاولاتنا حتى نرى ما يخفيه وراءه ٠٠ يجب ألا نصدر حكمنا على الابواب الموصدة قبل أن تفتح أمامنا ونمر من خلالها مهما كانت المشاق . فبعض هذه الابواب كثيرا ما تخفى وراءها أجمل وأروع ما يامــل الانسان فى تحقيقه !

كتب ادجار الان بو هذه الكلمات ، وهو يعانى من مرارة الفقر والالم خلال حياته القصيرة التى لم تدم لاكثر من أربعين عاما ٠٠ وقد استطاع هذا الكاتب الفنان بفلسفته واسلوبه فى الحياة أن يقدم لنا انتاجا رائعا وضع فيه كل فكره حتى عندما رحلت زوجته وشريكة عمره وحتى وهو يرى القلم يرتجف فى يده ، وحتى عندما قال لــه الاطباء أنه لن يعيش طويلا ٠٠ فقد مضى يكتب ويكتب ٠٠ وعندما بدأت متاعبه لما احست زوجته الصغيرة فى احدى الليالى ، بالبرد ياكل جسمها النحيل المريض وصدرها الذى زحف اليه مرض السل ٠٠ لم يبك ، ولم يحزن ، وهو يرى نفسه عاجزا عن توفير الغطاء ليعيد اليها الدفء ٠٠ لقد جلس على طرف فراشها ، وامسك باصابعها الباردة ، وقال يحدثها وهو يبتسم : « سيزورنا اليوم أصدقاؤنا الصغار ، وسوف تجدين وسطهم الراحة والدفء يا عزيزتى ٠٠ ولكن لا بد أن أذهب لاساعدهم على المجىء ! »

وعاد الدفء الى الفراش البارد

وابتسمت الزوجة المريضة بدورها ، وافلتت يدها من بين أصابعه ، ورفعتها الى وجهه تمسح دمعة لم يستطع أن يحبسها !

وقام مسرعا ، ولم تكد تنقضى بضع دقائق حتى كان قد عاد اليها ، ولم يكن وحده ، كان يحمل فوق صدره ثلاث قطط صغيرة وضعها تحت قدمى الزوجة ولكي يغريها على البقاء ، حمل لها وعاء افرغ فيــه ما تبقى لديهم من حليب ، وراحــت القطط تلعق اللبن ، وتشيع بفرائها الدفء فى الفراش البارد !

ونامت الزوجة ٠٠ ونامت القطط تحت قدميها ٠٠ وفى الصباح كانت مهمة « الاصدقاء الصغار » قد انتهت ، فلم تعد الزوجة المريضة تشعــر بالبرد ٠٠ لقد انتهت آلامها بذهابها فى تلك الرحلة البعيدة الى العالم الآخر ٠٠

ولو أن هذا الكاتب الفنان وقف طويلا أمام هذا الباب الذى أوصده القدر فى وجهه وهو يرى شريكة عمره تذوى أمام عينيــه ثم تتركــه وترحل . لما استطاع أن يمضى فى طريقه القصير ٠٠ ولكنه راح يفتح الابواب المغلقة ، وكان كلما انتهى من كتاب جديد ، فتح أمامنا أبوابا ، لم يطرقها ، ولم يقف عندها أحد من قبل !

من أنــت ! ؟

قالوا يوما للكاتب المشهور سومرست موم ٠٠ من انت ؟

قال : « انا رجل انجليزى ، هكذا تقول دمائى ٠٠ وانا ايضا فرنسى ، هكذا تقول نشأتى ولكن لم يكن لى خيار فى اختيار اللغة التى اتحدثها واكتب بها ، فهى لسان ابى وأمى ! ولم يات السؤال عفوا ، فقد كان متصلا بسؤال آخــر طالما ألح على أصدقاء الكاتب الكبير وهم يرونه يقترب من نهاية رحلته الطويلة فى الحياة التى دامت زهاء قرن كامل من الزمان ٠٠ كانوا يريدونه أن يعود الى الارض التى انبتته ٠٠ الى انجلترا٠٠

وكان موم قد جاوز عامه الثمانين ، عندما التفوا حوله ذات امسية فى احدى الفيلات الجميلة التى يملكها فى فرنسا . وجلس الكاتب القصصى الكبير يحدثهم . ويقول لهم لماذا لا يريد أن يعود الى بلده . قال : « كنت املك بيتا صغيرا فى الريف الفرنسى .وكانت تشرف عليه وتدير شئونه سيدة تقدم بها العمر .. وكانت تعيش وحدها . بعد أن ذهب أبناؤها وبناتها يبحثون عن رزقهم فى أرض جديدة .. وفى أحد الايام قلت لصديقتى العجوز اننى اشتريت بيتا فى باريس . واريدها أن تنتقل معى اليه . لاننى لم أجد من هو افضل منها لرعاية شئونى :

ولكن السيدة اعتذرت :

وقلت اسالها : « هل هناك اسباب تدفعك الى رفض الذهاب معى الى البيت الجديد .. ان انتقالنا الى باريس لا يعنى انا لن نعود الى الريف مرة أخرى ! .

أشياء صغيرة

وقالت السيدة: هناك أشياء يا سيدى لا تفهمها، لانك ربما لا تشعر بها .. انها اشياء صغيرة تمر بنا كل يوم . ولكن قلما وقفنا عندها نتاملها او نفكر فيها .. اننى لا أريد أن اشغل وقتك بحديث قد لا يهمك أن تستمع اليه . ولكن ارجوك أن تعفينى من هذه المهمة .. سابقى فى قريتى، وساجد عملا اخر وساعيش سعيدة ! »

وقال الكاتب الكبير يكمل قصته : واعتدلت فى جلستى ، والقيت بالكتاب الذى كنت أقرأ فيه جانبا ، ودعوت مدبرة بيتى الى الجلوس امامى ، فجلست بعد تردد . وقلت . بل اننى مصمم يا سيدتى أن أعرف هذه الاشياء الصغيرة التى لا اعرفها ! ولم أكن اتصور حتى هذه اللحظة أن هذه السيدة العجوز قد استطاعت أن تملأ حياتها بتلك الصور الجميلة التى حدثتنى عنها فيما بعد ، عندما تلفتت حولها ، فلم تجد احدا من هؤلاء الذين افنت عمرها فى رعايتهم والعناية بهم ، حتى اذا ما احسوا بان اقدامهم قد ثبتت على الارض ، سارعوا يتركون البيت الذى حواهم صغارا ، والصدر الذى حنا عليهم ، والقلب الذى ملأه الالم لفراقهم ..

كلهم فنانون !

قالت السيدة فى صوت هادىء ظل يعيش معى لسنوات وسنوات مقبلة فى كل مرة جلست فيها وحدى مع قلمى وكتبى :قالت : اننى اصحو فى الصباح يا سيدى على زقزقة العصافير وصياح الديك .. واخرج الى الشارع فترتفع الايدى لتحيتى .. اننى لا أعرف اصحابها وهم ايضا قد لا يعرفوننى .. ولكن هذه الابتسامة التى اراها على الوجوه التى القاها .. وهذه التحية التى اراها من على البعد .. وهذه القبعة التى ترتفع ثم تعود الى مكانها .. كل هذه الصور التى تعودت رؤيتها وسط الحقول التى امر بها .. وفى شوارع القرية واسواقها .. تجعلنى اشعر اننى ما زلت أعيش وسط أبنائى وبناتى ، اخشى أن أفتقد هذا كله وسط زحام باريس ! »

ثم وجدها تعود بذاكرتها الى الماضى البعيد .. الى طفولتها . قالت : « كنت اخرج مع شقيقتى ونسير على اقدامنا أميالا طويلة لكى نرى قطار السكة الحديد الذى كان يمر بعيدا عن القرية حتى اذا ما بلغناه جلسنا نستريح .. وفجاة نسمع صوت صفارته وهو قادم من بعيد .. فلا يكاد يصل قريبا منا حتى نرفع ايدينا ونلوح بها فى الهواء لركاب القطار .. وكنا نشعر بسعادة كبيرة . عندما نرى الايدى ترتفع بدورها وترد لنا التحية .. ونبقى هكذا فى جلستنا حتى يغيب القطار عن اعيننا . فنقوم ونبدأ رحلة العودة الى البيت ، وفى صدورنا هذا الشعور بالسعادة التى غمرتنا .. لاننا فى ذلك اليوم احسسنا بصلة تربط بيننا وبين العالم كله من حولنا .. احسسنا بان هناك من يريد ان يقول لنا : لقد شاهدناكما، نحن نشعر بكما ونعرف انكما هناك فى هذه القرية الصغيرة الجميلة ! »

هؤلاء هم الفنانون الذين يعزفون نغم الحياة .. انهم يوقظون فينا الادراك والفهم لصور الحياة .. انهم يملاون قلوبنا بالحب والقوة والشجاعة .. انهم فنانون موهوبون .. وهذه الموهبة فيهم ، هى اثمن واغلى ما فى الحياة ، لانها الحياة ذاتها . ■■

منير نصيف

طرائف اجنبية

في مواجهة الحياة والموت

● يوم ولدت ، كان كـل الذين حولك سعداء ٠٠٠

وكنت تبكي وحدك !

اجعل حياتك حافلة بالاعمال الطيبة، حتى اذا ما جاءت ساعة رحيلك ،رأيت كل الذين حولك يبكون ٠

وكنت انتوحدك بلا دموع تذرفها٠٠

هكذا يواجه المرء الموت في هدوء في اى لحظة يجيء ٠٠٠

كانت هذه الكلمات بـين الاوراق الخاصة التي عثروا عليها في بيتداج همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة الاسبق بعد وفاته في الكونجو فيحادث سقوط طائرته ، وهو يحاول ان يعيد السلام الى الارض التي مزقتها الحرب الاهلية عام ١٩٦١ ٠ لقد ترجمها عن احدى اللغات الاجنبية وهو تلميذ صغير في مدارس السويد الابتدائية !

الاصل ٠٠ والصورة

● تشارلز لامب المؤلف الانجليزى الذى اكتشف نفسه بعد ان قضى نصف عمره يعمل موظفا صغيرا في شركـة الهنـد الشرقية ، يـروى قصته مـع الكتابة والتأليف يقول/ « انني مدين لشقيقتي ، فلولاها ما كانت « تجارب اليا » أو حكايات اليا The Essays of Elia ، اروع ما قدمت خلال فترة تأملي القصيرة للحياة وصورها ! »

ثم يحكي لامب بعد هذا قصته مع « تجارب اليـا » ٠٠ لقد شرع في كتابتها بعد عودته الى لندن مباشرة وقد ملأها بحبه للحياة في العاصمة البريطانية ، ثم جاءت شقيقته مارى ، وراحت تقرأ ـ كما تعودت ان تفعل مع كل محاولاته السابقة ، ولكنها ما كادت تنتهي منها حتى اعادتها اليه ، وقالت « انا ذاهبة الى الريف ! »

ـ ولكنك لم تذكرى لي بعد ،كيف وجدتها ؟

ـ هناك في بيت ابى الريفي الصغير سوف أقول لك رأيي فيما كتبت ٠

وفي احضان الريف ٠٠ وفي قلب الحقول الواسعة ، ومع وجوه المزارعين البسطاء ٠٠ عثر تشارلز لامب على الاصل للصورة التي قدمها من لندن في « حكايات اليا وتجاربه » ٠٠ فقد عاد مع شقيقته الى الريف ٠٠ الى الارض ٠٠ الى اصل الحياة ٠٠ وجلست مارى بجوار شقيقها أمام مكتبه في الريف يقدمان لنا « تجارب اليا » في شكلها الجديد !

« العجوز » ٠٠ وتشرشل !

● كـان ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الراحل ، يكـره اى حديث يذكره باقامته التى طالت على الارض ! حدث ان كان يعبر الشارع يوما امام مجلس العموم البريطاني الذى قضى فيه اكثر من نصف قـرن نائبا عن دائرته الانتخابية ، عندمـا اصطدم به شاب صغير فى الثامنة عشرة ٠٠ وراح الشاب يعتذر ويردد عبارات الاسف ، ولكنه ما لبث ان توقف وكانه تذكر شيئا ، وقال : « على أية حال لقد وجدتأخيرا شيئا أرويه لاصدقائي وافاخر به أمامهم ، سأقـول لهم ان كتفيقد حك كتف سير ونستون تشرشل السياسى العجوز ! »

وهنا ابتسـم تشرشل فـى سخرية وقال : وكأن عقربا لدغته ، وهو يسمع كلمة عجوز : « اننى اسعد منكم حالا ، انتم يا معشر الشباب٠٠ قد تكونالسن قد تقدمت بنا حقا ، ولكننا ازددنـا شعورا بالسعادة ٠٠ انتم سعداء لانكم غارقون فى حماقات الشباب وشهواته ٠٠٠ اما انا وامثالى من العجائز الذين تقصدهم ، فسعادتهم من لون آخر لا تعرفونه ٠٠ انهم يجدونها فى العقل والحكمـة ، وتجربتهم الطويلـة مـع الحياة ! »

ستعودين الينـا !

● تروى كلير بوت لوسزوجة هنرى لوس ، مؤسس مجلة تايم الامريكية ، حوارا طريفا دار بينهـا وبين صاحب صالون للتجميل فىالشانزيليزيه ،افخم واكبر احياء باريس ٠

تقول كلير انها سألت صاحب المحل عن السر فى تسمية صالونات التجميل فىفرنسا بهذا الاسمالمتواضع «كوافير» اى مصفف الشعر ، مع انه كان فـى استطاعتهم ان يستخدموا نفس الاسم الذى يطلقه أصحاب هذه المحـال فى امريكا ، بالفرنسية ، وهو لا يختلف الا فى النطق ، وتقديم كلمة وتأخير اخرى ٠

ثم تقول كلير : « وتصورت اننى نجحت فى اقناع الرجل ، وانه سيسارع الى انزال اللافتة القديمة ووضع لافتة جديدة بدلا منها ٠٠٠ ولكننى ما لبثت ان اكتشفت مدى سذاجتى ! فقد نظر الى الرجل وهو مناشهر مصففى الشعر فى باريس ، وقـال وهو يبتسم : لا ياسيدتى٠٠ ان «كوافير» لاتعنى مجرد مصفف للشعر وانما تعنى انك سوف تعودين الينا مرات كثيرة اخرى ، لانك لن تفلحى ابدا فى تصفيف شعرك بهذا الجمال ! »

ثم تقول كلير : « لقد أحصيت عدد المرات التى عدت فيها الى محل الكوافير فوجدتها اكثر من عشرين مرة ،فى اقل منشهرين ، وهىالفترة التى استغرقتها اقامتى مع زوجى فى باريس ! » ٠

لغتنا العربية وحاجات هذا العصر

بقلم : عبد الرزاق البصير

■ اكثر من شعار اقترح لهذا العام فبعضهم يطلق عليه « عام الطفولة » وبعضهم يطلق عليه « عام الحسم » أو « عام القضية » ، بالنسبة الى فلسطين ، وبعضهم يطلق عليه « عام اللغة » . ولا باس من أن يطلق اكثر من شعار على عام واحد ، فان ذلك يعنى تنافسا شريفا فى اعمال جادة ، تعزز اوجه الخير فى عدة جوانب من الحياة الانسانية ، اذ ان كل شعار يعنى دفع المتخصصين للسعى الحثيث فى الوجه الذى يهتمون به .

ولما كنت من المتجهين نحو اللغة ، فانه يطيب لى ان اتوقف حول ما يعنيه هذا الشعار الاخير الذى اقترح لهذا العام . واول ما ارجوه أن تاخذ به جميع اقطار أمتنا العربية . فمن المعروف ان اللغة هى أوثق رباط يربط بين أفراد هذه الامة ، بالاضافة الى انها هى الاداة التى يعبر بها كل فرد عما يجول فى نفسه من افكار وعواطف وآمال .. فلو انك اخذت اثرا فكريا او ادبيا صدر باللغة العربية الفصيحة ، فانه يصعب عليك ان تعرف ما اذا كان صاحب هذا الاثر من مشرق الوطن العربى او مغربه..حتى ولو كان ذلك الاثر يعالج واقعة محلية .. لان الجزائرى او السورى أو العراقى كثيرا ما يعيش احداث قطر غير قطره .. أو كثيرا ما يدرس فى بلد غير بلده الذى نشا فيه ، واذا به يتاثر بتلك الاحداث فيصوغ ذلك التاثر شعرا او قصة او مقالة تتناول قضية اجتماعية او اقتصادية او سياسية أو عاطفية او علمية ، مما يجعل قارئها غير قادر على معرفة البلد الذى ينتمى اليه ذلك الاديب او المفكر الذى اصدر ذلك الاثر ، وقد انتهى الباحثون من القول بان اللغة هى الميدان الخصب الذى يستطيع شتى الباحثين أن ينطلقوا منه لدراسة الامة التى تتحدث بها .. فمنها يستطيع الباحث الاقتصادى معرفة حالتها الاقتصادية ، وقل مثل ذلك فى بقية نواحى الحياة من سياسة واجتماع وعلوم .. اذ ان مفردات تلك اللغة توضح لك مستويات اهلها ، فكلما ارتقت الامة فى حياتها ارتقت لغتها ونشات فيها مفردات تخص ما تمارسه الامة من نشاط فى اى ميدان من ميادين الحضارة .. لان الذهن لا يستطيع ان يفكر بدون لغة . فقد ذهب العصر الذى يقبل من الكاتب بان تكون مفرداته اكثر من معانيه .

ولعلنا من أشد الامم حاجة الى ان نضع شعار « عام اللغة » موضع العمل الجاد فما يزال فى هذه الامة من يعتقد بان لغتها غير صالحة لاستيعاب ما يجد فى حضارة هذا العصر ، واسطع برهان على ذلك هو ان معظم جامعاتنا

تدرس العلوم التطبيقية بلغات أجنبية ، في حين ان بعض اقطار البلاد العربية جعلت اللغة العربية هي لغة الدراسة في جميع فصول جامعاتها .. فكان لها ما أرادت من حيث قدرة لغة هذه الامةعلى تقبل كل العلوم التطبيقية ، مما يجعل القول بان قواعد لغتنا تستعصى على الاجابة لما يراد منها قولا غير صحيح .

اللغة والوحدة

واللغة ككل الكائنات تضعف حين تترك للاهمال ، وتقوى كلما كثر العمل بها . ولسنا في حاجة الى القول بان العلماء والمفكرين والادباء يقربون امتهم من الوحدة حين تتضافر جهودهم في تنمية لغتهم وتقويتها . اذ ان تضافر الجهود يعني اغناء اللغة بمختلف الاثار الادبية والفكرية واللغوية ، ممايجعل ابناء هذه الامة يقبلون على تلك الاثار قراءة وتاملا ، الامر الذي يكوّن عندهم وحدة في تفكيرهم مما يجعل الوحدة قادرة على الثبات لكل ما تتعرض له من أخطار ومحن . اذ ان الافراد يكون ارتباطهم بلغتهم أشد مما كان عليه من قبل ، لانها تعتمد على الفكر بالاضافة الى المشاعر والمصالح . فكل عامل من هذه العوامل له تاثيره ومكانته في تقوية الوحدة .

ونحن اذا ما تاملنا في تاريخ تنمية لغتنا وتقويتها ، وجدناها ترتكز على امور كثيرة يمكن أن نجمعها في أمرين اثنين : احدهما تمكن حبها من النفوس والقلوب ، بحيث دفعهم هذا الحب العظيم الى تحمل المصاعب والمشاق في سبيل جمعها وترتيبها وتهذيبها . فقد اقام أبو عمرو بن العلاء ، والكسائي ، والاصمعي والخليل بن احمد وغيرهم من علماء اللغة اعواما كثيرة في البوادي يتنقلون بين قبائل العرب ليستمعوا منهم الى المفردات العربية على طبيعتها ويدونوها .. حتى لقد قيل ان الكسائي انفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه . وأما أبو عمرو بن العلاء . فقد رووا أن كتبه عن العرب الفصحاء قد ملات بيتا له الى قريب من السقف .

واخبار علماء اللغة كثيرة معروفة في هذا المجال ، وكان كثير من الاعراب يفدون على مدن العراق ، فياخذ العلماء عنهم اللغة ، ولم يكونوا يقبلون كل ما يسمعونه من الاعراب من مفردات ، شعرا كانت أو نثرا . وانما كانوا ينعمون النظر فيها فيقبلون منها ما يلائم الطبع السليم ، ويصفون ما يخالف ذلك بالحوشي الذي يستحب تركه . وقد تفرع عن هذا الحب تالمهم مما كانت تلحن به العامة .

ومن الواضح أن اللحن قد شاع بين الناس بسبب اختلاط العرب بغيرهم من الامم ، فوضع العلماء للغة قواعد وطرقا تصون الالسنة عن الغلط في القول سواء كان ذلك في الشعر أو النثر . وقد سميت هذه القواعد بعلم النحو ، وقد اختلف الباحثون فقال الكثير منهم ان هذا العلم عربي خالص ، وقال بعضهم انه مقتبس من اليونان أو السريان ، وان ابا الاسود ــ واضع هذا العلم ــ كان يعرف السريانية ، وقد اقتبس قواعد علم النحو من قواعد النحوالسرياني وهذا الرأى احدث جدلا طويلا بين مؤيد له وشاك فيه .

ومهما يكن من أمر ، فان النحو علم واسع له قواعده ، وما زال المهتمون باللغة العربية يتحدثون عنه ويؤلفون فيه . وسيستمر هذا النشاط في هذا العلم الى ما شاء الله .

النحو عربي خالص

على أنى أود أن أشير الى أنى أميل الى الراى القائل بان علم النحو علم عربي خالص ، وانا اعتمد في ذلك على القران الكريم وعلى الشعر الذى قيل قبل الاسلام ، فانك تجد قواعد علم النحو مستمدة من هذين المصدرين . فلو لم تكن هذه القواعد موجودة عند العرب منذ اقدم العصور لما روعيت تلك القواعد مثل هذه المراعاة الدقيقة . كذلك استدل بقصة الاقواء التي تروى عن النابغة الذبياني .فقد روى المرزباني أن محمد بن سلام قال في كتابه طبقات فحول الشعراء : لم يقو أحد من الطبقة الاولى ولا من اشباههم الا النابغة في بيتين وهما قوله:

من آل مية رائح او مغتدى
عجلان ذا زاد وغير مزود
زعم البوارح ان رحلتنا غدا
وبذاك خبرنا الغراب الأسود

حتى نبهته اليه احدى المغنيات ، فغير البيت مراعيا فيه القواعد النحوية قائلا :

زعم البوارح ان رحلتنا غدا
وبذاك تنعاب الغراب الاسود

اليس معنى هذا الذى رويناه ان الذين يستمعون الشعر وينظمونه يعرفون بان هناك قواعد علمية لا بد من مراعاتها ، فان الشعر يصبح غير مستقيم ، والاقواء هو مخالفة تلك القواعد ، بل انهم يعرفون قواعد جمع القلة وجمع الكثرة . فقد انتقد النابغة الذبيانى حسان بن ثابت فى قوله :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى
وبذاك تنعاب الغراب الاسود

لانه استعمل اسيافا وهذا جمع القلة وكان عليه ان يستعمل السيوف كما كان عليه ان يستعمل « الجفان » بدلا من الجفنات . وليس من المعقول ان تكون كل هذه الملاحظات الدقيقة صادرة عن الذوق وحده ، وانما هناك ـ فيما اعتقد ـ قواعد معروفة لديهم فى علم قائم بذاته ، لكنه ضاع فى جملة ما ضاع من ذخائر وكنوز .

على ان حب العلماء للغة العربية قد دفعهم الى ان يرتبوا مفردات اللغة فى معاجم كان اولها معجم العين الذى ينسب الى الخليل بن احمد اوغيره من العلماء ، ثم اخذت تلك المعاجم فى التطور حتى وصلت الى ما وصلت اليه فى عصرنا الحاضر ، ويطول بنا الحديث لو اردنا ان نفصل فى كيفية تاليف المعاجم وتطورها ، لانها كثيرة متشعبة ، فمنها ما هو مخصص للغة من حيث مفرداتها ، ومنها ما يخص الجغرافيا الطبيعية كالمعاجم التى الفت فى اسماء الجبال والانهار ، والكتب التى الفت فى اسماء الابل والخيل ، والمعاجم التى الفت فى دلالات الالفاظ وكيفية استعمالها ، كما نراه فى المخصص لابن سيده . فهو يحدثك مثلا عما تقول المفردات فى : المبتذل من الثياب وفى عيوب الثياب وفى تمزيق الثياب وما تقوله المفردات فى ظلمة الليل حين يشتد او حين يكون فيه غمام ، وفى طول الليل وقصره وفى كيفية غلق مجارى الماء وفتحها وتصريفها .. الى غير ذلك من جوانب الحضارة .

عندما صارت لغة دولية

ولا بد لنا ، هنا ، ان نتنبه الى ان العلماء كانوا لا يقبلون من المعجميين الا الموثوق المتيقن بصحته ، مما انشا جانبا هاما ممتعا من النقد اللغوى ، وهذا يدلك على العناية الشديدة من العلماء بهذه اللغة العظيمة . وهناك معاجم اخرى خصصها مؤلفوها فى خلق الانسان ، فهم يحدثونك عما خصصته اللغة من مفردات فى نشاة الانسان ، منذ كان نطفة فى رحم امه حتى مفارقته لهذه الحياة ، بعد ان تكون رحلته فى هذه الحياة طويلة .. يكون فيها عاجزا الا من حركة خفيفة لا تترك اللغة العربية حالة من حالاته فى حياته ، ولا عرقا او عصبا او عظما فى جسده الا وتخصص لها كلمة تدل على ذلك .

وليس من شك ان فى هذه المعاجم ما يدل على عظمة هذه اللغة وقوتها ، فليس من الغريب اذا مارايناها قد اضحت لغة دولية يوم ان كانت الامة العربية تشارك فى صنع الحضارة الانسانية بصورة عظيمة . فكل من يريد ان يكون لاثره انتشار واسع بين الناس يصطنعها لغة لذلك الاثر ، الى جانب ما تتصف به هذه اللغة العظيمة من مرونة بحيث يكون اشتقاقها سهلا ميسورا كما نرى فى لفظة « ضرب » فان اصل هذه الكلمة ايقاع شىء على شىء ، لكن مدلولها يتسع حسب موقعه ، فاذا قلنا : « ضرب مثلا » يكون بمعنى اورد مثلا ، اذا قلنا « ضرب فى الارض » ، كان المعنى ذهب فى الارض .. واذا قلنا (ضربنا على آذانهم) كان معناه التغطية على الفهم .

و« جاهد » ، أصل هذه اللفظة يعنى بذل الانسان وسعه فى المدافعة والمغالبة غير ان القرآن الكريم نقلها الى بذل الطاقة فى نشر الدعوة الاسلامية والدفاع عنها . وجهاد الشيطان دفع وسوسته واغوائه ، وجهاد النفس مغالبتها ودفعها عن شهواتها .

و« عقد » ، أصل هذه اللفظة الجمع بين اطراف الشىء ، لكنها اذا اضيفت الى الايمان اصبحت وثيقة مؤكدة ، واذا قلنا « اوفوا بالعقود » بمعنى اوفوا بالعهود ، وهو اوكدها ، والفرق بين العقد والعهد ان العهد فيه معنى الاستيثاق والشد ، ولا يكون الا بين متعاقدين ، والعهد

قد ينفرد به الواحد فكل عهد يعد عقدا ولا يكون كل عقد عهدا .. الى غير ذلك من الافعال التى تعطيك مصادرها واسماؤها معانى لا تحصى .

دور القرآن الكريم

لقد اتسع هذا الباب ، بفضل القرآن الكريم كما اشرنا الى ذلك قبل قليل اتساعا عظيما ، لان القرآن قد اسس علوما اسلامية كانت فى الاصل غير موجودة كعلم التفسير وعلم الفقه ، ثم تفرعت الى شعب لا تحصى كعلم الكلام ، وعلم النحو ، والبيان ، والبديع ، وعلم العروض . وفى كل علم من هذه العلوم مصطلحات كثيرة لا تعد ، كالطهارة ، والصوم ، والزكاة ، والصلاة ، والوضوء ، والتيمم .. الى ما هنالك من المصطلحات الفقهية . اما فى علم النحو وعلوم البلاغة فانها جاءت بمصطلحات كثيرة اثرت اللغة العربية على شاكلة المبتدأ والخبر ، والحال ، والتمييز ، والبدل ، والافعال الناسخة ، وحروف الجر ، والجزم ، والنصب ، والاستعارة ، والكناية ، والمجاز ، والطباق ، والجناس على اختلاف فروعه ، والتورية ، والالتفات ، الى غير ذلك من المصطلحات الفقهية . اما فى علم النحو وعلوم هذا فى علم العروض فقد جدت مصطلحات كثيرة ، كالطويل ، والبسيط ، والكامل ، والوافر ، والخفيف .. وما شئت من مصطلحات فى علم الموسيقى وعلم الكلام وعلم الفلسفة .. فان هذه المفردات كانت معروفة قبل ان تنشأ هذه العلوم ، لكن مدلولاتها اختلفت عن المعانى التى نقلتها اليها تلك العلوم .

وليس من شك ان هذه المصطلحات كانت عنصرا من عناصر نمو اللغة العربية . ونلاحظ ان المحافظين الذين كانوا لا يجيزون استعمال اى مدلول « للفظة » الا اذا كانت واردة عن الشعراء الجاهليين لم يقفوا امام انتشار المصطلحات التى جاءت فى شتى العلوم ذلك لانهم ادركوا بان كل علم لا بد وان ياتى بمصطلحات جديدة . فليس من الممكن ان يعترض عليها احد بحجة انها غير معروفة عند العرب قبل الاسلام ، وانما كانوا يعترضون على ما ياتى به الشعراء الامويون والعباسيون ، لكن كثيرا من الشعراء مضوا يجددون فى معانى كثير من الالفاظ غير مبالين باعتراض المعترضين ، فثبتت فى نفوس الناس حتى اخذوا يستعملونها كما يستعملون غيرها من المفردات .

والانصاف يفرض علينا ان ننوه بان العلماء الذين كانوا يتشددون فى قبول المفردات التى تاتى فى شعر الشعراء الامويين ، معذورون الى حد كبير ، فقد شاعت اللكنة الاعجمية بين الناس بصورة مخيفة حتى ان بعضهم كان يتكلم دون ان يفهم احد عنه شيئا ، الا من اعتاد سماع مثل ذلك الاسلوب فى الكلام ، مما افسد كثيرا من المفردات العربية .

ولقد عرض علينا الجاحظ فى كتابه « البيان والتبيين » صورا مما كان يجرى على بعض الالسنة من هذه اللكنات ، حتى لتفسد العبارة العربية افسادا ، فمن ذلك ان الحجاج سال نخاسا: اتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان ؟ فاجابه: « شر يكاننا فى هوازها وشر يكاننا فى مداينها ، وكما تجىء تكون » . ولم يفهم الحجاج ما يقول ، فقال له : « ويلك ، ما تعنى ؟ » فقال بعض من اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك ، يقول : « شركاؤنا بالاهواز وبالمدائن يبعثون الينا بهذه الدواب ، فنحن نبيعها على وجوهها » .

التشدد تجاوز الحدود

ويقول الدكتور شوقى ضيف فى كتابه « تاريخ الادب العربى » ، الجزء الثانى ، صفحة ١٧٢: ان آثار هذه اللكنات كانت تجرى على السنة فصحاء الموالى ممن صعدت بهم ملكاتهم الى افق الشعر العربى ، حتى اصبحوا لا يقلون فيه فصاحة وبلاغة عن شعراء العرب الخلص ، كزياد الاعجم وابى عطاء السندى وغيرهم من الشعراء ، واخبارهم فى ذلك معروفة لو اردنا ذكرها لخرجنا عن القصد ، على ان تشدد بعض علماء اللغة ربما تجاوز الحدود المعقولة ، فليس كل الشعراء المولدين يجرون على مثل هذا النحو من اللكنة ، ثم ان من المعروف لدى الجميع ان تطور اللغة يعتمد على الشعراء والادباء فى جملة مايعتمد عليه ، كما نشهد ذلك فى بعض مانظمه ابونواس من استعمال لفظة التولد والفلسفة ، وفى مثل قوله :

... عن الماء حتى ما يلائمها
... لطافة وحفا عن شكلها الماء

... التعبير ماخوذ من كلام النظام وغيره من المتكلمين الذين كانوا يتحاورون فى كثافة الاجسام ولطافتها ، وفيما بينها من ملاءمة ومباينة • وقد ... فى ذلك المرحوم الدكتور طه حسين ، واوضح ان الشعر لم يكن قبل ابى نواس يصطنع مثل هذه الالفاظ ، لان علم الكلام لم يكن منتشرا كانتشاره أيام هذا الشاعر • وسنجد مثل هذه المصطلحات الفلسفية عند الشعراء الذين كانوا فى زمانه والذين جاءوا من بعده ، ذلك ان الفلسفة وعلم الكلام وكثيرا غيرهما من العلوم أصبحت معروفة لدى المثقفين ، الامر الذى أشاع معانى جديدة لكثير من المفردات ، ثم ان علينا ان نتعرف على الطريقة التى سلكها الذين ترجموا الكتب التى تمس الرياضيات على اختلاف فروعها ، والذين ترجموا عن الهندية والفارسية ، ما يمس ديانات تلك الامم وعاداتها وتقاليدها وفلسفاتها، فان فى التعرف على طريقة اولئك العلماء ماينفعنا فى تنمية اللغة العربية • فنحن نواجه سيلا من المفردات التى تزداد بها اللغات الحية مما يفرض علينا ملاحقة هذا النمو بالنسبة للغة العربية ، والا فسنبقى غير قادرين على التعبير عما نحتاج اليه فى حياتنا اليومية •

والحق ، ان مجامع اللغة العربية قد قطعت شوطا واسعا فى هذا المضمار باضافتها الى اللغة مصطلحات فى مختلف العلوم بلغت اكثر من مئة الف ، على وجه التقريب ، ولكن يلاحظ ان بعض المفردات الاجنبية تترجم بالفاظ مختلفة ، مما دفع المخلصين الذين يدركون ما تعنيه التسميات المختلفة لمصطلح واحد من تفرقة للتعبير العربى ، لذلك تجدهم يلحون فى دعوتهم الى توحيد المصطلحات العلمية وغير العلمية لكى لا تتفرق فى تعبيرنا ، وليفهم بعضنا بعضا حينما يجتمع كل فريق لغرض من الاغراض • فلنفترض ، مثلا ، ان عسكريين من مختلف البلاد العربية اجتمعوا لرد مغتصب من المغتصبين • فلنتصور كيف حالهم حين تكون مصطلحاتهم غير موحدة ، فليس من شك انهم سيرتبكون عندما تصدر الاوامر من القيادات •• او حينما يتحدثون فى شان من شئون الحرب •

وقل مثل ذلك فى علماء الكيمياء او الفيزياء حين يجتمعون فى مؤتمر من المؤتمرات ، او حين يذهب معلم من الجزائر الى سوريا ليدرس ابناء ذلك البلد ، او لالقاء المحاضرات ، فانها ستكون مفارقات محزنة مضحكة بلا شك •

الطريق لاثراء اللغة

اما كيفية اغناء لغتنا بالمصطلحات ، فان علماءنا قد وضعوا لذلك قواعد منها : الاشتقاق ،والنحت ، والتركيب •• ولهم فى ذلك احاديث مفصلة لا يتسع لها هذا المجال ، ويكفى ان نعرف انها بدات منذ ايام الخليل بن احمد وسيبويه ، وابن فارس،وابن جنى وغيرهم من العلماء،وما يزال العلماء المتخصصون فى اللغة العربية يبحثون فى ذلك حتى هذه الايام • وقد ظفرت اللغة العربية من هذه البحوث المتصلة بفوائد جليلة لا تحصى ، اذ ان علماءنا الاجلاء لا يبدون رأيا او يقدمون اقتراحا الا بعد ان يبذلوا كل ما فى وسعهم من طاقة فى البحث والتمحيص لتكون مقترحاتهم وآراؤهم رافدا من روافد اغناء اللغة العربية واثرائها ، ولا سيما علماؤنا المعاصرون الذين يجيدون لغة اجنبية او اكثر ، فانهم يتعمقون فى كيفية اتساع اللغات الاجنبية ، وفيما يتخذه العلماء من وسائل لترقية لغتهم وانمائها • فنحن نعلم جميعا ان مشاركة تلك الامم فى صنع الحضارة اقوى بكثير من مشاركتنا ، مما يجعل حاجتهم الى وضع المصطلحات الجديدة اشد من حاجتنا ، وان تمسكهم بلغتهم لا يقل عن تمسكنا بلغتنا ، وهذا كله يجعل النظر فى الوسائل التى يتخذونها لتنمية لغاتهم يفيدنا فى تنمية لغتنا ، ولا يعنى هذا انى ادعو الى اتباعهم بصورة كاملة، وانما الذى اعنيه بان ننتفع بما يمكن الانتفاع به منها •

وكل ما اريد قوله ، هنا ، هو ان ننظر الى هذه البحوث نظرة جدية ولا سيما تلك التى تدعو الى توحيد المصطلحات العربية ونتخذ كل الوسائل ونسلك كل السبل فى تعميمها ونشرها لتكون شائعة بين الناس • ■■

الكويت ـ عبد الرزاق البصير
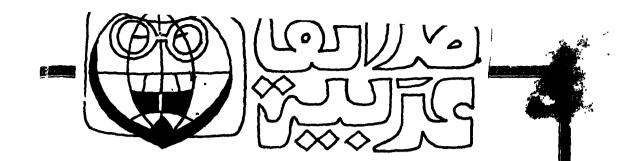
العلاقة بين الوالى والرعية

● يقول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « ان أعظم ما افترضه الله سبحانه من الحقوق حق الوالى على الرعية وحق الرعية على الوالى ، فريضة فرضها الله لكل على كل ، فجعلها نظاما لالفتهم ، فلا تصلح الرعية الا بصلاح الولاة ،ولا يصلح الولاة الا باستقامة الرعية ، فاذا أدت الرعية الى الوالى حقه ، وأدى الوالى اليها حقها ـ عز الحق بينهم ، واعتدلت معالم العدل ، وطمع فى بقاء الدولة ، ويئست مطامع الاعداء ٠ واذا غلبت الرعية واليها أو أجحف الوالى برعيته ـ اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور ٠

اذن له

● قيل أن أحد أصدقاء أشعب الطماع قال له يوما : « لو صرت العشية الى ، نتحدث ونتسامر ؟ » فقال : « أخاف أن يجيء ثقيل يكدر علينا خلوتنا » فقال الصديق : « ليس معنا ثالث » ، ثم مضى معه الى بستان خارج المدينة ، فلما صليا العشاء دعوا بالطعام : فاذا بشخص يدق عليهما الباب ، فقال أشعب لصديقه : « ترى انا قد صرنا الى ما نكره ؟ » فقال له : « لا تخف يا أشعب ، انه صديق حميم وفيه عشر خصال ان كرهت واحدة منهن لم آذن له بالدخول » قال : « هات » قال له الصديق : « اولى هذه الخصال انه لا يأكل ولا يشرب عند أحد » قال أشعب : « التسع لك ، فلتأذن له » ٠

راعية اغنام

● كان احد الحمقى يضحى عن امرأته كل سنة بخروف ، يذبحه فى عيد الاضحى ، ويقدم لحمه الى الفقراء والمحتاجين ، كما جرت عليه عادة المسلمين فى هذه المناسبة ، واستمر على ذلك سنين عديدة ، وذات يوم سمع امام المسجد يقول : « يحشر الناس يوم القيامة وبين أيديهم تساق اضحياتهم » فقال الاحمق : « ان كان الأمر كما تقول ياشيخ فان امرأتى ستبعث يوم القيامة راعية اغنام ٠ »

فضل العلم

● قال صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فاطلبوا العلم من مظانه ، واقتبسوه من أهله ، يرفع الله به أقواما ، فيجعلهم فى الخير قادة ، تقتبس أثارهم ، ويهتدى بفعالهم ، وينتهى الى رأيهم ، والعلم حياة القلوب من الجهل ، وضياء الابصار من الظلمة ، وقوة الابدان من الضعف ، يبلغ بالعبد منازل الاخيار ، ومجالس الابرار ، والعلم أمام العمل والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء ، فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظه .

مساجلة

● قال هارون الرشيد للمفضل الضبى : انشدنا بيتا أوله اعرابى فى شملته ، وآخره مدنى رقيق ، غذى بماء العقيق . فقال له المفضل : « هولت يا أمير المؤمنين ، ذلك مما لا أعرفه » فقال له هارون الرشيد : « ألا تذكر بيت جميل حيث يقول :

« الا أيها النوام ويحكم هبوا   أسائلكم هل يقتل الرجل الحب »؟

فقال له المفضل : فأخبرنى يا أمير المؤمنين عن بيت أوله أكثم بن صيفى فى اصابة الرأى ، وآخره بقراط الطبيب فى معرفته بالداء والدواء ؟ » قال له هارون الرشيد : « ما هو ؟ » قال هو بيت الحسن بن هانىء حيث يقول :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء   وداونى بالتى كانت هى الداء

اختيار الزوجة

● أراد أحد الفلاسفة أن يتزوج فرشح له معاونه ثلاث فتيات جميلات .. ورأى الفيلسوف أن يختبر أخلاقهن ، فقدم لكل منهن مجموعة من اللآلىء ، فشكرته الاولى قائلة : « انى لم أر فى حياتى أجمل من هذه اللآلىء » ، أما الثانية فقالت : « لو أن هذه اللآلىء تضاف اليها قطعة من الماس ، لتكونن منها عقد رائع » . وقالت الثالثة : « احتفظ بهذه اللآلىء لنفسك فأنا يكفينى الحب وحده » .

وكان أن اختار الفيلسوف الفتاة الاولى وعلل ذلك بأن اجابتها تدل على أنها فتاة عاقلة ترضى بالواقع وتسعد به ، أما الثانية فان اجابتها تدل على أنها فتاة شرهة طماعة لا يكفيها ما عندها . أما الثالثة فاجابتها تدل على أنها فتاة خيالية لا تعيش فى عالم الواقع ، ومثلها لا تصلح لمواجهة أعباء الحياة الزوجية .

الاسنان في الكويت

الواجهة الامامية لمبنى « مركز الاسنان » فى الكويت، وقد افتتح هذا المبنى الكبير فى سنة ١٩٧٢

مشكلة وجدت الحل

استطلاع : صادق يلي تصوير : حسن الصفار

« فروع طب الاسنان المختلفة مجال مناسب لعمل المرأة » هكذا تقول الدكتورة موزة عبد الرحمن الرباح ، احدى الفتيات الكويتيات اللاتى انخرطن فى هذا المجال.

جهاز Orthopontarograph وهو من احدث اجهزة المركز ، وهذا الجهاز يقوم بتصوير الفكين وذلك بتعريض المريض مرة واحدة اشعاعيا .

• وحدة جراحة الفم والفكين ، تقوم باجراء جراحات دقيقة ، مثل ازالة الاورام الحميدة ، وعلاج اصابات الحوادث ، وهنا مجموعة من الاطباء يجرون عملية جراحية لاحد المرضى باشراف الدكتور • ابراهيم مهلهل الياسين ، مدير المركز .

وقفت الملكة فكتوريا يوما تتامل شيخا جاوز السبعين .. وكان الرجل امام باب قصرها يتامل موكب الملكة وهو يتحرك في ساعة مبكرة من الصباح ، وعندما بلغ الموكب الرجل امرت الملكة سائقيها بالتوقف ، فادهشهم هذا التصرف .. وفجاة اطلت الملكة من نافذة عربتها الملكية ، وامرت باستدعاء الشيخ اليها .. ترى ماذا صنع؟

ولكن حيرة الجميع مالبثت ان تبددت عندما ابتسمت الملكة في وجهه ، وطلبت اليه ان يعطيها بعضا من النقل الذي كان يضع حبات منه في فمه ، ويحطم باسنانه قشرتها السميكة بصوت مسموع .. وقدم الرجل بقية كيس النقل كله للملكة وقال : « انها هدية لك يامولاتي » . قالت : « لا ، انى اريد واحدة فقط » ومدت يدها واخذت واحدة وحاولت أن تفعل بها ما كان يفعله الشيخ المسن ، ولكن مالبثت ان اعادتها الى يدها مرة اخرى .. وقالت : « ما اسعد هذا الشيخ باسنانه ، انى على استعداد لان ادفع اي مبلغ للطبيب الذي يستطيع ان يعيد الى اسناني قوتها . فاعود الى تذوق هذا النقل الذي رايت مثله في فم هذا الشيخ » . وكانت الملكة فكتوريا في ريعان شبابها ، ولكنها كانت ، تعاني من امراض اللثة والاسنان الضعيفة التي نخرها السوس .

ان الاسنان اهم آلة في جسم الانسان ، هذا المصنع الكبير الذي يعمل كل جزء فيه بحساب، ونحن لانحس بقيمة اسناننا الا عندما نفتقدها ونفتقد معها التلذذ بالطعام .

الخدمات الطبية في الكويت

من اجل هذا اولت وزارة الصحة في الكويت طب الاسنان عناية فائقة ، حتى صارت هذه العناية تضاهي مثيلاتها في الدول المتقدمة ، وبخاصة ان امراض الفم والاسنان بدات تنتشر بين افراد المجتمع . وقد رات وزارة الصحة هنا منذ انشائها توفير معظم الخدمات الصحية للمواطنين على اعلى المستويات ، والاخذ باحدث المنجزات العلمية المتبعة في الدول الراقية .

وعلى هذا النحو بدأ قسم الاسنان نشاطه عام ١٩٥١ ، وذلك بانشاء عيادتين يعمل بهما طبيبان بالاضافة الى مختبر صغير يعمل به مركب اسنان واحد ،بدأ بتقديم خدمات متواضعة تناسب امكانياته المحدودة في ذلك الوقت .

وقد سعت الوزارة الى تطوير كافة الخدمات الصحية ، وذلك بانشاء المستشفيات الحديثة ، والوحدات الصحية المجمعة ، والمستوصفات ، وعملت على نشر الوعي الصحي بين افراد المجتمع ، فازداد اقبال المواطنين على هذه المراكز الصحية ، وسار قسم طب الاسنان بخطوات سريعة في تطوير خدماته ، وذلك بدعم من وزارة الصحة التي لا تدخر وسعا في احضار كافة الاجهزة العلمية الحديثة وتوفير الاعداد اللازمة من الاطباء والاخصائيين في مختلف فروع طب الاسنان ، فقد قامت بايفاد عدد من الشباب الكويتي في بعثات دراسية الى انجلترا والولايات المتحدة الامريكية وجمهورية مصر العربية ، لاستكمال دراستهم العلمية والتخصص في احد فروع طب الاسنان .

في « وحدة التيجان والجسور » يقوم الدكتور علي محمود اسد بحشو سن لاحد المرضى المصابين بتسويس الاسنان وهي مرحلة من مراحل العلاج التحفظي للتيجان والجسور .

خدمات طب الاسنان

وتنقسم خدمات طب الاسنان فيوزارة الصحة قسمين رئيسيين :

١ ـ خدمات حكومية وتشمل :
أ ـ وحدات وزارة الصحة ٠
ب ـ وحدات الصحة المدرسية ٠
جـ ـ وحدات الجيش والشرطة ٠

٢ ـ خدمات غير حكومية وتشمل :
أ ـ أطباء الاسنان بالشركات الخاصة ٠
ب ـ اطباء الاسنان بالعيادات الخاصة ٠

ونتيجة لهذا التقدم في خدمات طب الاسنان ازداد عدد المراجعين لقسم الاسنان ويكفي القول بان عدد المراجعين في عام ١٩٥٣ كان ٤٥٤٨١ مريض ، وفي آخر عام ١٩٧٦م بلغ ٤٧٦ر٧٤٤ مريض ، وافتتحت عيادات للاسنان في مختلف المستشفيات ، والمجمعات ، والمستوصفات ، حتى بلغت اربعين عيادة ، بالاضافة الى عيادات الاسنان بالصحة المدرسية ، كما ان ساعات العمل اليومية في هذه العيادات تبلغ ١٢ ساعة وهناك عيادة المستشفى الاميري المفتوحة ليل نهار ٠

اما عدد الاطباء الذين يعملون بهذه الوحدات والمستشفيات فقد وصل الى ٩٧ طبيبا وطبيبة بما في ذلك الاطباء الكويتيون الذين ارسلوا في بعثات دراسية الى الخارج ٠

مركز طب الاسنان

ونتيجة لتقدم طب الاسنان وتشعب فروعه وتخصصاته ـ فكر المسئولون في وزارة الصحة في انشاء مركز تخصص لطب الاسنان ، وبالفعل افتتح هذا المركز للجمهور عام ١٩٧٢ ، ويحوي هذا المركز مختلف فروع طب الاسنان وتخصصاته، كما يتبع المركز مختبر كاحدث المختبرات فيالدول المتقدمة ، ويعمل به ٤٩ فنيا ، منهم ٢١ كويتيا، يتمتعون بمستوى رفيع من الخبرة والدراية في مجال استعاضة الاسنان باخرى ثابتة ومتحركة ، مع استعمال احدث المواد العلمية في هذه الاستعاضة ٠

وقد قام قسم الاستعاضة الصناعية بتسليم ٨٦٦٣ طقم كامل وجزئي للمواطنين خلال عام ١٩٧٦ ، مع العلم بان تكلفة طقم الاسنان الكامل من البلاستيك لاتتجاوز ثلاثة دنانير ، واذا قارنا

اولت وزارة الصحة العامة اهتماما بالغا باسنان الطلبة في المراحل المختلفة منمراحل التعليم وهنا الدكتورة « شيخة بوقريص » تقوم بعلاج احد الطلبة من المرحلة الثانوية في عيادة الاسنان في الصحة المدرسية ٠

هذا السعر بمثيله في القطاع الخاص وجدنا ان ثمن الطقم في العيادات الخاصة يتكلف مابين٢٥ ـ ٨٠ دينارا ، اما الطقم الجزئي المصنوعمنالكروم Chrome-Cobalt فيتكلف من ٣ ـ ١٥ دينارا في مركز طب الاسنان ، ومثيله في العيادات الخاصة فيتكلف من ٤٠ ـ ١٢٠ دينار ، ومن ذلك يتضح مدى ما تساهم به وزارة الصحة من تكاليف في الاطقم التي تصنع في مركز طب الاسنان ، والتي تنجز على احدث الوسائل العلمية ٠

وبمركز طب الاسنان وحدة للاشعة التشخيصية السينية وبها جهاز تصوير Orthopan:cmograph وهو من احدث الاجهزة التي تقوم بتصوير الفكين ، وذلك بتعريض المريض اشعاعيا مرة واحدة ، وتستقبل هذه الوحدة المرضى المحولين اليها من المجمعات ، لتشخيص امراض الفك والاسنان ٠

احد الفنيين الكويتيين فى مختبر المركز يقوم بعمل طقم لاحد المرضى على جهاز من احدث الاجهزة ، وباحدث المواد العلمية . ان اسعار هذه الاطقم تعتبر رمزية بالنسبة الى اسعار العيادات الخاصة حيث لا يتجاوز سعر الطقم ثلاثة دنانير كويتية .

فى « قسم الصحة المدرسية » مجموعة من طالبات احدى المدارس الثانوية ينتظرن دورهن للدخول على الطبيبة المعالجة فى عيادة الاسنان.

هاي فاي فيليبس
معه تحيَا الموسيقى في كل وقت

مع فيليبس يمكنك اليوم الإستماع
الى موسيقى عذبة صافية بأنغامها
العالية والخافتة واضحة كل الوضوح
وكأنك أمام الفرقة الموسيقية.
ذلك بفضل مكبرات للصوت هاي فاي
الجديدة والفريدة التي تصحح
نفسها بنفسها الكترونيا وتستمر
باعطائك ذات النقاوة للحن
الذي يستهويك سماعه.
هذا الاختراع الجديد يدعى "موشينال فيدباك"
وهو أساس لمجموعة فيليبس الثورية

هذه. للحصول على الكمال في
موسيقى الستيريو أو الكوادروفونيك
إنها نتيجة خبرة عالمية واسعة وجهود
جبارة متواصلة. إنك تحصل دائما مع
فيليبس على التقنية المتقدمة التي تستحق
كل ثقة وعلى الخدمة الممتازة بعد البيع
لكل قطعة من الأجهزة ومعدات فيليبس
مهما كانت.
أطلب من وكيل فيليبس المعتمد
تجربة مجانية فهي أكبر برهان.

فيليبس الأفضل لكم دوما

تخصصات المركز

وهناك العديد من التخصصات بالمركز ، هي :

١ ـ جراحة الفم والفكين ، ويعمل بـه ثـلاثة اخصائيين ، وتقوم هذه الوحـدة بخلع الاسنـان جراحيا ، واجراء جراحات بطرق حديثة في الفم ، مثل ازالة اكياس ، واورام حميدة ، وعلاج اصابات الحوادث ، كمـا يشترك اطباء هذه الوحدة مـع اخصائي الجراحة العامة في عمليات كبرى بالفم والفكين ومفصل الفك •

٢ ـ وحدة طب الفم وامراض اللثة وتستقبل هذه الوحدة المرضى المحولين اليها من العيادات الخارجية ، وتقوم بعلاج آفات اللثة بواسطة الجراحـة Mucogingival Surgery الدقيقة ، وكذلك تقوم بالتوعية الصحية الفنية للمترددين عليها ، كما تعالـج لثـات الاشخاص الذيـن يصابون بامـراض عامة ، مثـل : مرض السكري ، والسل ، والتهابات المفاصل ،والصرع، واورام اللثة المصاحبة للحمل •

٣ ـ وحدة علاج قنوات الجذور ، وتستقبل هذه الوحدة حالات التهاباتاعصاب الاسنان والاضراس اذا دعت الضرورة الى استئصال هذه الاعصاب ، بدلا من خلع الاسنان •

٤ ـ وحدة العلاج التحفظي ، وهـذه الوحدة تستقبل حالات الحشو المركـب ، ويعمـل بهـا اخصيائيان يقومان بحشو الاسناןوالاضراس بمواد حديثة منها الفيبر جلاس والملغم Silver Amalgam ، والذهب المسبوك •

٥ ـ وحدة التيجان والجسور ، ويعمل بهذه الوحدة اخصائيون يقومون بتعويض المفقود من الاسنان والاضـراس باجهـزة ثابتة تعتمد فـي ثباتها على الاسنان المجاورة لمكان الخلع وبذلك تؤدي وظيفتها كاملة كما لو كانت طبيعية •

٦ ـ وحدة الاستعاضة الصناعية ، ويعمل بها اربعة اخصـائيين ، لصناعة اطقم كاملة او جزئية ، وتتعاون هذه الوحدة مع مختبر فنيي الاسنان •

وفي هذه الوحدات يقوم الاطباء الحديثو التخرج بالتمرن العملي والعلمي في دورات ، اذ يمكث الخريج مع الاخصائيين فترة عشرة اشهر بالتناوب ، حتى يتمكن من ان يلم باحدث الطرق العلاجية في كل فروع ا تخصص •

امراض الفم والاسنان

ونستعرض معا امراض الفم والاسنان في الكويت ، هناك مرضان غالبان :

مرض التسـوس وامـراض اللثة ، فمـرض التسوس يصيب معظم الناس في سن مبكـرة ، بسبب اكل الحلويات وعـدم العنايـة بتنظيـف الاسنان وهذا يؤدي الى ازدياد كمية الحامض الذي يفتك بالسن طبقة تلو الاخرى ، حـتى يصيب عصب السن بالتلف ، فتنتج عن ذلك خراريج الاسنان والفكين ، وبعد الخامسة والثلاثين تكثر امراض اللثة خصوصا من الجهة الداخلية (ناحية اللسان) لان الكثير من الناس يقومون بتنظيف ما هو ظاهر من اسطح اسنانهم ،ويتركون الاسطح الداخلية يترسب عليها الكلس ،والكلس او القلح ينشا عن اللعاب ، فعندما يزداد تركيز الكلس في اللعاب ومع وجـود اسـطح اسـنان خشنة ، يبـدا الكلس في الترسب علـى المواد الهلامية العالقة بالاسنان وهي المـواد التـي نتجت عن عدم ازالتها بالفرشاة ، والكلس الذي يحتوي على جراثيم ضـارة يبـدا في احـداث التهابات باللثة وتقيح اجزاء منها ، وهـذا يساعد على زيادة تراكم مواد اخرى ضارة مثل الصفائح الجرثومية التي تتكلس ايضا وهكـذا دواليك ••• حتى تصاب الاسنان بجيوب لثوية تعمل على اذابة العظام الدعامية للاسنان وقـد تفقد مبكرة حتى قبل سن الاربعين •

وهناك الكثير من الامراض الاخرى التي تصيب الفم والاسنان ، منها ان مادة الفلور Fluorine ـ وهـو ملح يذوب في ميـاه الشـرب ويكثـر في المياه الجوفية ـ يجب ان تكون نسبتها في

الدكتـور ابراهيم مهلهـل الياسين مدير قسم الاسنان قال : ان المركز قدم عدة توصيات عامة الى المسئولين في وزارة الصحة للعمل على قيام وعي صحي بين المواطنين•

المياه جزئين اثنين في المليون ، ولكن الكثير من احياء الكويت يستعمل مياها للشرب قد تحتوى على نسبة اكبر او اقل بكثير من هذا القدر ، وقد ينتج عن ذلك اصابة بعض الناس بقابلية للتسوس ، لان الاسنان تفقد المادة التي تقوى من صلابة الكلس Calcium Fluoroapatite وبالتالي يصعب نخره او تسوسه.Dental Caries

بحوث ميدانية

وقد قام مركز طب الاسنان باجراء بحث ميداني باشراف السيد الدكتور جاسم محمد حسين مدير طب الاسنان والخدمات الطبية ، والدكتور محمود رجائي المصيلحي رئيس وحدة امراض اللثة وطب الفم في مركز طب الاسنان لمعرفة درجة التسوس ونظافة الفم بين الطلبة ، واختارا لذلك شريحة طلبة المدارس المتوسطة ، واجرى البحث على ١٦٥٤ طالب تختلف اعمارهم من ٩ ـ ١٨ سنة ، واتضح أن معدل اصابة الاسنان بما يسمى DM.F (والذى يعرف بمعدل التسوس والفقدان والحشو) يساوى ٣ر٢١ في المتوسط مع احتمال ازدياده كلما تقدمت السن. واذا تاملنا هذه النتيجة وجدنا أن هذا المعدل يقارب المعدل لدولة من الدول المتقدمة. وقد اتضح ان نسبة فائدة العلاج في الاناث اكثر منها في الرجال ، ويكفى ان نقول ان معدل DM.F مثلا بلغ في سويسرا ٨ر١ وفي انجلترا ٢ر١٢ وفي امريكا ٦ر٣ كما بحث مركز طب الاسنان درجة نظافة الفم عند هؤلاء الطلبة فاتضح ان النظافة تعتبر ضعيفة بعض الضعف اى تحتاج لعناية وتوعية اكثر حتى ترتفع نسبة هذه النظافة عما هى عليه الان ،كما اتضح من هذا البحث الميداني أن ١٤ر٥٪ من مجموع الطلبة (اى ١٦٥٤ طالب) هم وحدهم الذين لم تظهر اى ترسبات هلامية او جيرية حول اسنانهم ، وتعتبر النسبة ضئيلة جدا بالنسبة للمعدلات العالمية للبلدان المتقدمة.

توصيات المركز

ويقول الدكتور ابراهيم مهلهل الياسين (رئيس قسم الاسنان والمدرس بجامعة الكويت) : ان المركز قام بتقديم توصياته لوزارة الصحة وقد انحصرت فيما يلى :
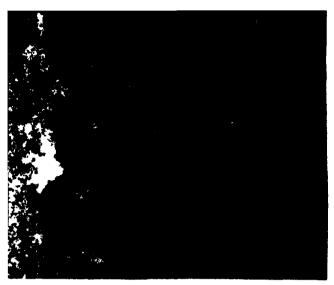
يحوى مختبر المركز ٤٩ فنيا يمتازون بمستوى رفيع في مجال استعاضة الاسنان باجهزة ثابتة ومتحركة،كما تعتبر الالات التي يستخدمونها في عمل الاطقم والجسور من احدث الاجهزة التي انتجتها المصانع الاوروبية والامريكية .

١ ـ ضرورة اقامة برامج صحية وتعليمية لتوعية عامة الناس في امراض الفم والاسنان ، وذلك عن طريق الوسائل الاعلامية المختلفة ، والملصقات الصحية .

٢ ـ تعليم صحة الفم في المدارس كجزء من البرامج التعليمية ، يقوم بها اخصائيون في صحة الفم ، وفي هذا المجال نود ان نلفت الانظار الى أن وزارة التربية ادخلت في منهج المعهد الصحى مادة صحة الفم والاسنان مادة اساسية تقوم المشرفة الصحية بممارستها عند التخرج والحاقها بالمدارس الحكومية .

٣ ـ توعية الجمهور الى ضرورة زيارة طبيب الاسنان مرة كل ٦ اشهر على الاقل .

٤ ـ انشاء قسم خاص للتوعية بمركز طب الاسنان ليقوم بنشر الاسس السليمة للمحافظة على الاسنان ، بان تطبع على هيئة كتيبات مبسطة وتوزع على المترددين على المجمعات والمستوصفات .

٥ ـ اجراء العديد من البحوث في مختلف طوائف الشعب لمعرفة اصابات الفم والاسنان وعلاقتها بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية .■■

صادق يلى

انطون مروا سنحنا

صقلية

استطلاع : بعض ما تبقى من اثر لصقلية العربية والاسلام

العربي الصغير

اعداد يوسف زعبلاوى

- شمشون ودليلة
- رمسيس الثانى فى باريس
- عسل النحل وفوائده

عسل النحل غذاء عظيم الفوائد ، طيب المذاق . وقد بلغ من فوائده أن اعتبره الهندوس فى عداد المعجزات نظرا للقوة التى شعروا بها فور تناوله .. أما الهنود الحمر ، والانكا منهم خاصة ، فقد اعتقدوا بأن غذاء الالهة لا يمكن أن يكون سوى العسل . من ثم كانت قرابين العسل التى درجوا على تقديمها والتقرب بها الى الهتهم ... لا عجب اذن أن اتجه الكثيرون الى المبالغة فى فوائد العسل... حتى اختلطت فوائده الحقيقية بفوائد اخرى وهمية .. فما هى فوائد العسل الحقيقية ؟

العسل منشط .. سريع الاثر .. فهو لا يستغرق وقتا طويلا ليمدك بالحيوية.. ولو أنت جربته حين تشعر بالتعب والارهاق لعجبت للسرعة الفائقة التى يرد بها نشاطك اليك . وقد اكتشف الرياضيون هذه الخاصة فى العسل فأقبلوا على أكله ، لا سيما قبيل المباريات ...

وتعزى هذه الفائدة الى أن العسل طعام مهضوم مسبقا ، وقد هضمه النحل لنا فى حينه .. فهو اذن فى غير حاجة الى هضم ثان ، وتراه يمر بجهازنا الهضمي مر الكرام ، وينفذ الى مجرى الدم مباشرة ، فنشعر بأثره على الفور...

بعض ما تبقى من اثر لصقلية العربية والاسلامية

ويذكر هنا أن عسل النحل مفيد للذين يعانـون مـن اضطرابات فى جهازهـم الهضمى ... ولمـا كـان العسل طعامـا مهضوما فانه لا يشكل عبئا على جهازنا الهضمى .

على أن العسل مغذ..بفضل ما يدخل فى تركيبه من عناصر الغذاء .. ويأتى السكر فى طليعة هذه العناصر .. وهو يشكل ٨٠٪ فى تركيب العسل . وقـد اكتشف اهل الغرب قيمة العسل الغذائية، فعمدوا الى تحضير وجبة كاملة منـه ، طالما اعتمدوا عليها فى اوروبا اعتماداكليا فى القـرون الوسطى .. وتعرف هـذه الوجبة بالانجليزية باسم (ميد) .

والعسل مطهر .. فهو يفيد فى معالجة الجراح وتضميدها .. الجراح السطحية طبعا لا العميقة .. وهذه فائدة عرفها الانسان منذ القدم .. ولطالما لجأ الناس الى العسل لتضميد جراحهم ..

ويذكر هنا أن أكثر الجراثيم الضارة، ان لم نقل كلها ، لاتستطيع البقاء حية.. بل انها تموت فور وضعها فى العسل .. من هنا كانت خاصة التطهير التى ينفرد بها العسل دون غيره من الوان الطعام . ومن ثم كان العسـل مفيدا لاغراض الوقاية فى كثير من الالتهابات .

بالكاد عثرنا عليها ، صقلية العربية الاسلامية •

وسط انقاض التاريخ وبقاياه وجدناها • فى الازقة والحوارى • فى كلمات عربية ممسوخة يتناقلها الناس بغير وعى • فى نقوش على واجهات بعض المبانى العتيقة • تحت اسوار الكنائس الشاهقة • فى متاجر شارع يعرض الماضى للبيع على هيئة مقاعد ومواقد وقطع « الارابيسك » فوق اعمدة من الحجر صمدت للغربة وقسوة الزمن ، وظلت تحمل على جنباتها بصمات باهتة ، بينها عبارة تقول: لا اله الا الله محمد رسول الله •

• وجدناها كسيرة وحزينة ، تتوارى خوفا وخجلا ، كانما لم يكن وجهها العربى والاسلامى هو من اكثر صفحات تاريخ صقلية اشراقا وازدهارا ، كأنما لم تكن ايام العرب هى عصرها الذهبى •

هى غريبة عندهم وعندنا ايضا • فانك اذا سألت واحدا من ابناء الجيل الجديد عن صقلية ، فاذا فتح الله عليه وعرف اين هى ، سيكون جوابه على الفور انها بلد عصابات المافيا ، او ساحة بركان « اتنا » الشهير ، واذا كان قد نال قسطا من العلم فسيقول انها الجزيرة التى ولد فيها ارشميدس ، الذى اكتشف نظرية الاوانى المستطرقة وهو فى حمام بيته بمدينة سرقوسه ، فخرج على الناس عاريا يصيح : وجدتها ، وجدتها !

اما انها كانت جزءا من العالم الاسلامى منذ حوالى ٩ قرون ، وانها كانت طوال قرن كامل قطرا مزدهرا يقف جنبا الى جنب مع الاندلس ومصر ، اما انها كانت احد الجسور التى عبرت من خلالها الحضارة الاسلامية الى اوروبا لتزرع بذور عصر النهضة ، اما هذا كله فلا يعرفه ابناء الجيل الجديد •

وربما كان ابناء الجيل معذورين • فليس فى المكتبة العربية الحديثة سوى كتابين اثنين فقط مؤلفين عن صقلية العربية والاسلامية ، احدهما لاحمد توفيق المدنى (وزير جزائرى سابق) وقد صدر منذ ربع قرن • والثانى للدكتور احسان عباس الاستاذ بالجامعة الامريكية ببيروت ، صدر منذ ١٨ سنة • وبقية الكتابات العربية الحديثة اما فصول فى كتب ، او بحوث لم تنشر ، اوترجمات لمؤلفات المستشرقين الايطاليين والصقليين ، الذين بذل عميدهم ميخائيل عمارى جهدا عظيما فى دراسة تلك الفترة من تاريخ صقلية •

على ان الرحالة والجغرافيين العرب القدامى كانوا اكثر منا وفاء لصقلية • فجميعا كتبوا عنها • بعضهم زارها وهى جزء من العالم الاسلامى ، مثل ابن حوقل والبشارى المقدسى ، وبعضهم عاش مرحلة الاحتلال النورماندى بعد زوال الحكم الاسلامى ـ مثل الشريف الادريسى الذى رسم اول خريطة لبلاد البحر الابيض المتوسط • والاخرون زاروا الجزيرة فى تلك الفترة مثل ابن الاثير وابن جبير وابن خلدون •

بين البشر والحجر

ان تبحث عن بقايا عصر انتهى منذ تسعة قرون ، فتلك مسألة بالغة الصعوبة ، وتدخل فى اختصاص بعثات التنقيب عن الاثار باكثر مما تدخل فى نطاق المعالجات الصحفية ، والفرق كبير بين المهمتين ، فنحن فى المهمة الصحفية نتعامل اساسا مع البشر بينما بعثات التنقيب تتعامل مع التلال والحجر •

وعندما تكون الرحلة الى ايطاليا ، فان الامر يختلط ويكاد يصبح الاثنان سواء • ذلك انك فى ايطاليا نادرا ما تجد انسانا يجيد العربية او الانجليزية او الفرنسية • بالضبط كما انه من النادر ان تجد فى بلادنا انسانا يجيد الايطالية • وعندما يستحيل التفاهم ينقطع حبل الاتصال ، ويتساوى البشر مع الحجر !

هذا المازق ، واجه الامام محمد عبده عندما زار صقلية فى آخر القرن الماضى ، وهو فى طريق عودته الى مصر من الجزائر وتونس • زار المكتبة العمومية فى باليرمو ـ العاصمة ـ واراد ان ينسخ بعض صفحات من كتب عربية ثمينة وجدها ، ولكنه فشل •• « وبعد طول الكلام بفرنسية لا يفهمونها ، وايطالية لا افهمها ، انصرفت وانا من الجهل على مثل ما دخلت به » •• هكذا قال •

وتعلم الامام محمد عبده درسا قاسيا من رحلته تلك فيما يبدو ، عبر عنه فى مقال نشرته له فى ذلك الوقت مجلة « المنار » المصرية بقوله « وفى

خريطة قديمة عمرها ٩ قرون لمدينة باليرمو بعد خروج المسلمين من صقلية ،ما زالت محفوظة كما هى فى المتحف الوطنى ، ومازالت عليها اسماء عربية ـ خصوصا الحارات ـ وقد كتبت بالحروف اللاتينية • وابرز الاسماء التى تعنينا مرقمة على الخريطة ، وهى بالعربية كما يلى :

(١) حارة الصقالبة — (٤) حارة ابو حمزة — (٧) الحارة الجديدة

(٢) القصر — (٥) حارة اليهود — (٨) الخالصة

(٣) القصر القديم — (٦) حارة المسجد — (٩) الوادى
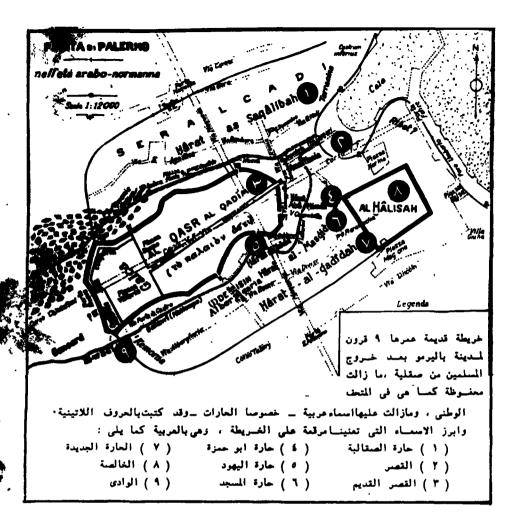
ظنى ان من اراد ان يسافر الى بلد لا يعرف لسانه، فاولى له ان يتعلم من لسان ذلك البلد ما يكفيه للتعامل • ومدة سنة قبل السفر تكفى لذلك • واجرة الاستاذ المعلم لا تصل الى نصف ما يخسره ببركة الجهل باللسان ! »

ثم قال •• « اذا اراد السفر الى صقلية (سيسيليا) من بلاد ايطاليا فعليه ان يجد لمعرفة اللغة الايطالية حتى يتكلم بسرعة ، ويفهم بسرعة يسبق بها كلامه وفهمه كلام الايطاليين وفهمهم ،والا سال الله العوض فيما يفقد من متاعه او ما يؤخذ منه اجرة على ضياعه » •

بكل المقاييس اذن ، كانت الرحلة الى صقلية مغامرة حقيقية • ولكن الله سلم فى مسالة اللغة، اذ تكفلت بعض الكلمات الايطالية التى التقطها زميلى المصور اوسكار بتوصيلنا من مطار باليرمو الى الفندق ، وانقذنا بعد ذلك بعض اساتذة معهد الدراسات الشرقية فى الجامعة ، حتى اكتشفنا فى الايام الاخيرة من الرحلة طبيبا عربيا من اريتريا متزوجا من ايطالية تحمل بقية العبء •

رحلة مع الماضى

كان الهدف الاساسى هو « التنقيب » عن صقلية العربية والاسلامية •• وكانت الصور التى رسمها الرحالة العرب لصقلية تتتابع فى اذهاننا طوال الرحلة من الكويت الى روما ثم باليرمو (عاصمة صقلية) باهرة ومثيرة فى اكثر جوانبها •

صورة صقلية العربية ، التى ازدهرت فيها الفنون والعلوم • بلد قسطنطين الصقلى او الافريقى ، الذى نقل الى الغرب كتب العرب فى الطب والحكمة ،واسس فى الجزيرة مدرسة سالونه التى كانت منارة الطب الحديث فى العالم الغربى • والامام محمد المازرى (من مازره بصقلية) احد اعلام حفظ الحديث والاجتهاد • ومحمد بن يونس التميمى الذى لقب بالامام الاكبر لكتاباته فى شرح

عمود من العصر الفاطمى داخل كنيسة « ·نطاكى » ـ كما اسماها ابن جبير ـ كتب عليه لا اله الله محمد رسول الله. وبسم الله الرحمن الرحيم (**الى اليمين**) · وآنية كبيرة (فاز) عبارة عن قطعة فنية رائعة من القرن الثانى عشر فى متحف بالاتسو اباتيليس وقد عطتها النقوش والكتابات العربية ، وهناك قطعة مماثلة لها فى قصر الحمراء بالاندلس (**فوق**) · **والى اليسار** لقطة لقباب كنيسة سان جيوفانى ديل اريمتى ، التى كانت معبدا فى العصر الرومانى ، ثم تحولت الى مسجد فى العصر الاسلامى ، وفوق المسجد بنيت الكنيسة فى عصر النورمان ·· التأثير العربى واضح فى القباب والاقواس · وحتى فى النخيل !

موطأ الإمام مالك ، وعمر بن حسن النحوي من أئمة اللغة ، والعلامة الرحالة الشريف الادريسي صاحب الكتاب الشهير « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » ، وشعراء وادباء كثيرون ، حصر منهم المؤرخون ١٧٠ من اشهرهم عبد الجبار بن حمديس.

وصورة صقلية العربية التي ازدهرت فيها الزراعة • بلد الخصب التي ادخل فيها المسلمون لاول مرة الليمون والبرتقال والبطيخ وقصب السكر ، والنخيل والقطن والفستق ، والارز في بعض الروايات • فضلا عن اساليب الري المتطورة.

ثم صورة صقلية العربية التي تموج بنشاطات التجار والحرفيين ، التي بلغت ٤٥ حرفة في مدينة باليرمو وحدها ، حسبما تقول احدى الوثائق التي ترجع الى اواخر القرن الرابع عشر •وهي الصورة التي ادهشت ابن حوقل فكتب يقول: «واكثر الاسواق فيما بين مسجد ابن صقلاب والحارة الجديدة ، كسوق الزياتين باجمعهم ، والدقاقين ، والصيارفة، والصيادنة ، والحدادين ، والصياقلة ، واسواق القمح والطرازين ، والسماكين ، وباعة البقل ، واصحاب الفاكهة والرياحين والجرارين، والخبازين، والجدالين ، وطائفة من العطارين والجزارين والاساكفة والدباغين ،والنجارين • وبها للقصابين دون المئتي حانوت لبيع اللحم ، ويجاورهم القطانون والحلاجون والحداءون وبها غير سوق صالح » •• كل هؤلاء كانت تزخر بهم مدينة واحدة منذ اكثر من تسعة قرون •

واخيرا صورة صقلية العربية التي شهدت نهضة صناعية عظيمة ، بعدما ادخل العرب فيها صناعتي تكرير السكر والورق • وانشاوا اول دار لصناعة السفن بباليرمو • وفي عهدهم اصبحت صقلية مركزا مرموقا لصناعات نسيج الحرير والكتان واستمر انتاجهم الرفيع بعد زوال الحكم الاسلامي، حتى ان متاحف اوروبا حافلة الان بنماذج مما نسجته الايدي العربية البارعة • بينها في فيينا عباءة تتويج الملك روجر الثاني – من ملوك النورمان – التي اعتبرت « قطعة فنية فذة في روعتها » • وقد نسجت بالخيوط الذهبية وزينت باللآلىء ، وفي احد اطرافها « كنار » منسوج فيه بالخيوط الذهبية كتابة عربية تقول : « مما عمل للخزانة الملكية المعمورة بالسعد والجلال ، والمجد والكمال ، والطول والافضال ، والقبول والاقبال ، والسماحة والجلال ، والفخر والجمال ، وبلوغ الاماني وطيب الايام والليالي بلا زوال ولا انتقال، بالعز والرعاية ، والحفظ والحماية، والسعد والسلامة ، والنصر والكفاية ، بمدينة صقلية سنة ثمان وعشرين وخمسمائة » •

شريط طويل لا ينتهي من الصور التي سجلها الرحالة العرب ، حملناه معنا الى صقلية •

الخصب وجبل النار

من الطائرة ، كان المشهد مشجعا وباعثا على التفاؤل •

بالضبط هذه هي صقلية التي رسم ملامحها العرب القدامى ، تمتد وسط المروج الخضراء ،عند سفح بركان اتنا الذي يقف شامخا في صمت مهيب• « جزيرة واسعة جليلة • ليس للمسلمين جزيرة اجل ولا اعمر ولا اكثر مدنا منها • طولها اثنا عشر يوما ، في عرض اربعة ايام ، وبينها وبين الروم مجاز من نحو مطلع الشمس ، عرضه اثنا عشر يوما » •• هكذا قال عنها المقدسي في كتابه•• « احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » •

الاخرون قالوا عنها نفس المعنى بصيغ مختلفة « وبها من الخصب والزرع والمواشي والدقيق ما يفضل عن سائر مدن الاسلام المتاخمة للبحر »•• ابو اسحاق الفارسي النحوي الشهير بالاصطخري ، في كتابه « الاقاليم »••« وخصب هذه الجزيرة اكثر من ان يوصف • وكفى بانها ابنة الاندلس في سعة العمارة وكثرة الخصب والرفاهة ، مشحونة بالارزاق على اختلافها ، مملوءة بانواع الفاكهة واصنافها » • ابن جبير في « الرحلة » •••

هذا هو البركان ايضا • جبل النار ، الذي وصفه الشيخ شهاب الدين في معجم البلدان « بانه: اطمة يخرج منها اجسام كاجسام الناس بغير روس من الناس • تعلوا في الهوا ليلا ثم تسقط في البحر فتطفوا على وجه الماء • ومنها يكون حجر المرو الذي تحك به الارجل » • وكتب عنه ابن حوقل في «المسالك والممالك » يقول : « من عجائب البحر نار بصقلية والاندلس والهند ، تشتعل في حجارة، ان رام احد ان يعمل منها شعلة لم تتقد » •

هنا ترقد ربة الخصب ، كما تقول الاسطورة الاغريقية •

تحكي الاسطورة ان برسيفونة الجميلة ابنة ربة الخصب خرجت تتهادى في مزارع صقلية في احد

شارع « السماط » الذى تحدث عنه العرب، لا يزال موجودا يقسم باليرمو العاصمة نصفين ، ويمتد من القصر الى البحر .

ايام الربيع . مشت هى وصديقاتها يقطفن الزهور وسط جداول الماء العذبة والمترقرقة ، لكن رب الجحيم والعالم الادنى اقترب منها فى خفة واختطفها، واختفى بها فى عالمه .

ترمز الاسطورة الى ما يفعله بركان « اتنا » الجبار بين والاخر . يخطف بنات ربة الخصب . يفسد حياة الجزيرة ويصيبها بالجراح لبعض الوقت، ثم يصمت . وتظل ربة الخصب باقية ومستمرة .

تضيف الاسطورة ان مردة الحدادين يضربون بمطارقهم صفائح الحديد تحت ذلك البركان ليمدوا منها صواعق لرب الاولمب . وان « سكلا » الوحشية تعوى عند المرفا المسينى عواء لا ينقطع ، وتتقاتل مع خاربديس قتالا كانت تضج منه سفن القرون الوسطى بالشكوى .

كان تفاؤلنا من باب التمنى والتعلق بالامل باكثر منه امساكا بخيوط ملموسة تقود الى الحقيقة. فالخصب والبركان اول ما طالعنا من الطائرة بلا جنسية وبلا دين . فبهذا عرفت صقلية ، على الاقل منذ تاريخها المكتوب . منذ عهد الفينيقيين ـ الف سنة قبل الميلاد ـ عندما توطن فى الجزيرة شعب الصيقول القادم من بلاد البلقان ، وفى ظل العهود التى تتالت بعد ذلك : قرطاجنة والاغريق والرومان والمسلمون والنورمان والجرمان والاسبان .. وحتى الحكم الايطالى بعد الوحدة التى قادها غاريبالدى .

فى ثياب اوروبية

بعد ساعات قليلة من الوصول كنا نجلس مع الدكتور امبرتو رزيتانو ، مدير معهد الدراسات الشرقية فى جامعة باليرمو ، الذى كان يصحبه احد اساتذة المعهد الشبان ، الدكتور اندريا بوروزو ،

٦
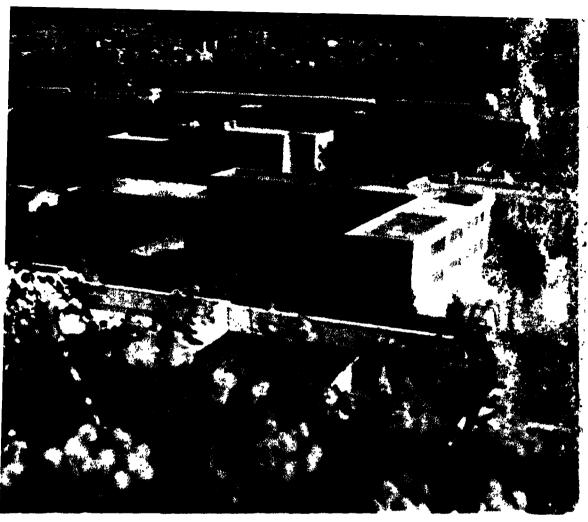
باليرمو مدينة الخصب ، هكذا
حتى الآن ، المروج الخضراءفى
اتنا الشهير الذى يظهر عنبعد
سار حيوفانى دى ليبروزى ،
جوارها بقايا مسجد هدموظلت
نماذج من الفواكه التى تملا
طازج من كل صنف ٠٠ حتى
نصفها الى صقلية ٠
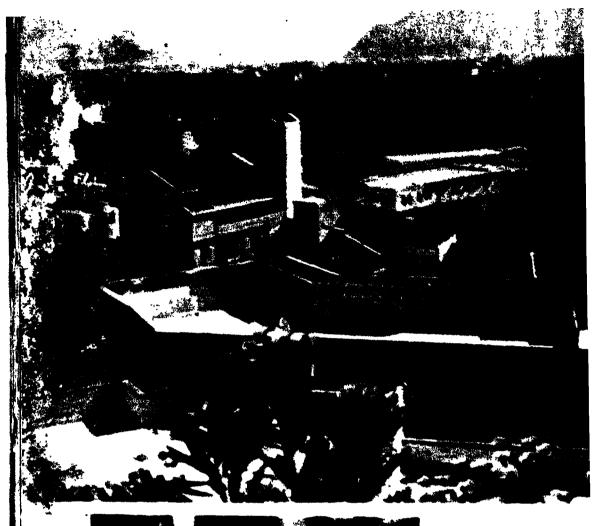
وصنها العرب ، وهكذا بقيت
كل مكان.تمتد تحتاقدامبركار
(**فوق**) ـ **الى اليمين** كنيسة
بنيت فوق قلمة عربية ، والى
حجارته كما هى ـ **الى اليسار**
واجهات المحلاتالتجارية .خليط
هذه الفاكهة ادخل العـــرب

متمع الرجل الى كلامنا وتساؤلاتنا ، ثم قال في هدوء : اسمع ياسنيور ٠ صقلية التي في اذهانكم موجودة في الكتب وحدها ٠ هي صفحة من التاريخ طويت وانتهت ٠ ما تبقى الان لا يتجاوز بعض الاثار ٠ ولمزيد من الدقة اقول انها تاثيرات وليست آثارا ٠

وبنفس الهدوء قال : لكي تستريح ، قم بجولة سريعة وانت في يومك الاول ،وستكتشف انصقلية بمحافظاتها التسع وسكانها السبعة ملايين ، خلعت ثيابها العربية والاسلامية ، وارتدت ثيابا اوروبية مختلفة تماما ٠ وضحك الرجل وهو يقول : واذا طالت جولتك وامتدت الى جوف الليل ، فقد تكتشف ان صقلية تبدو ـ احيانا ـ بغير ثياب على الاطلاق ، لا عربية ولا اوروبية !

قلت وانا احاول ان ابتلع الصدمة ، بالطبع لم نتوقع ان نجد صقلية القرن العاشر او الحادي عشر ٠ ولكن اختفاء الوجه العربي والاسلامي لصقلية يثير الدهشة ٠ لقد دخل الاسلام اقطارا عديدة في اسيا وافريقيا وحتى في اوروبا ،وانحسر المد الاسلامي في هذه المناطق لسبب او آخر ، لكن المسلمين بقوا حتى الان ، في الصين والفلبين، الى البانيا ويوجوسلافيا ، الى جنوب افريقيا ٠ وسألت الدكتور رزيتانو : بماذا اذن تفسر اختفاء الاسلام والمسلمين من الجزيرة ، رغم انها ليست بعيدة عن العالم الاسلامي ، كالصين والفلبين مثلا ؟

قال : هذه قصة طويلة ٠ تعلم ياسنيور ان المسلمين فتحوا صقلية يوم ١٤يونيو عام ٨٢٧ميلادية (١٧ ربيع الاول سنة ٢١٢ هجرية) ، وكان قائدهم قاضيا في السبعين من عمره هو اسد ابن الفرات ، اوفده زيادة الله حاكم القيروان (تونس الان) وهو من حكام الاغالبة الذين كانوا سادة افريقيا في اوائل القرن التاسع الميلادي ، وكانوا تابعين للخلافة العباسية في بغداد ٠ ولم يكن فتح صقلية سهلا ، فقد استغرق اخضاع مدنها للحكم الاسلامي نصف قرن ٠

امتد حكم الاغالبة اكثر من ثمانين عاما ، حتى تلاشت دولتهم في تونس ، وقامت الدولة المهدية في ظل الفاطميين الذين جاءوا بعد العباسيين ، وحكم الفاطميون الجزيرة اربعين سنة ، كانت ذكرياتها مؤلمة ومحزنة ٠

وفي سنة ٩٤٨ ميلادية ولىالمنصور بامر الله على صقلية الحسن بن علي الكلبي ، الذى اسس دولة الكلبيين في الجزيرة ودامت قرنا كاملا ،وهو بحق ازهى العصور الثلاثة وهو ما نسميه العصر الذهبي لصقلية ٠ ومعالم تلك الفترة هي التي تشير اليها مؤلفات الجغرافيين والرحالة العرب ٠

عندما حانت النهاية

لم حانت بعد ذلك النهاية ـ اضاف الدكتور رزيتانو ـ حينما تكررت ثورات المسلمين ضد جور الولاة وزادت الاطماع والفتن ، الامر الذى فتح الباب واسعا لدخول النورمانديين الى الجزيرة بقيادة ملكهم راجار الاول ،الذى لميترك للمسلمين ـ حسب رواية ابن الاثير ـ حماما ولا دكانا ولا طاحونا ولا فرنا ٠

بدخول النورمان انتهى الحكم الاسلامي الذى استمر ٢٣٣ عام (بين سنتى ٢١٧ الى ٤٥٠هجرية)، وبقى المسلمون ٠ تعايش المسلمون مع النورمان ، ووجدوا تقديرا من بعض ملوكهم الذين لم يجدوا مفرا من الابقاء عليهم ، لان المسلمين كانوا عماد حضارة الجزيرة ٠ وظلت العربية احدى اللغات التي اقرتها الدولة في سجلاتها ، الى جانب اليونانية واللاتينية ٠ واستمر الحال كذلك مدة ١٩٣ عام (من سنة ٤٥٠ الى ٦٤٣ هجرية) ، حتى احتل الجرمان الجزيرة بقيادة الامبراطور فردريك الثاني (اى ان المسلمين بقوا في الجزيرة،حاكمين ومحكومين ٤٢٦ سنة) وفي اواخر عهده نكل بالمسلمين وطاردهم ، بكلانواع التعذيب التي بلغت حد الاحراق والصلب ٠ وبدات جموع المسلمين تهجر الجزيرة الىجنوب ايطاليا والسواحلالافريقية ثم حشدت فلولهم جميعا فوق سفن حملتهم الى السواحل الافريقية عام ٦٤٧هجرية (١٢٤٩ ميلادية) وبذلك طرد المسلمون عن آخرهم من صقلية ٠وحتى تجتث كل جذورهم اخرج من بقى من المسلمين في جزيرة مالطة ايضا ٠ واكمل المهمة الملك شارل دانجو الذى اخرج المسلمين من جنوب ايطاليا في منتصف القرن الثالث عشر الميلادى (سنة ١٢٥٢)٠ وعندما وجد ان بعضهم لا يزال على قيد الحياة ، اطلق عليهم جنود جيشه فقتلوهم جميعا في سنة ١٣٠٠ (٧٠٠ هجرية) ٠

وبذلك اختفى الاسلام والمسلمون تماما منصقلية

ومالطة وجنوب ايطاليا . ومع اختفائهم هدمت كل مساجدهم بما فيذلك الـ٣٠٠ مسجد التي اشار اليها ابن جبير في باليرمو .

بعد لحظة صمت قال الدكتور رزيتانو : هذه هي اجابتي على سؤالك ياسنيور . وارجو ان تكون قد اقتنعت بصدق ما قلته لك في البداية من ان ما تبقى من العرب والمسلمين لا يتجاوز الآثار او التأثير . ثم اضاف وحتى لا تتعذبوا كثيرا فان مساعدي الدكتور اندريا بوروزو ، وخبيرا آخر متخصصا فيالعمارة الاسلامية هو الدكتور جيوفاني انسلمي ، سيرشدكم كل منهما الى تلك الآثار والتأثيرات .

أرابيسك ٧٧ !

بعد هذه « الحقنة » المهدئة ، او المثبطة ، كان علينا ان نبدأ رحلة « التنقيب » .

قراءة الصحف لم تقربنا كثيرا من الهدف . الاضرابات التي هيسمة الحياة اليومية فيايطاليا، وصقلية بالتالي ، في اكثر من مرفق . الطلاب مضربون ومعتصمون لتعديل مناهج التعليم وقد انتهزوا الفرصة ليتظاهروا ضد القاعدة الامريكية في الجزيرة ، ويندوا بالاتجاهات الفاشية النامية. وسائقو الاتوبيسات وموظفو البلدية مضربون لتعديل الاجور . الصراع محتدم بين الحزب الديمقراطي المسيحي والحزب الشيوعي ، ولا احد ينسى للكاردينال – ممثل البابا – انه حاول التأثير في الانتخابات الاخيرة لصالح الحزب المسيحي . اصوات الدعوة لاستقلال صقلية عنايطاليا تتزايد. غمز واشارات الى تصاعد نشاط الحركة الماسونية التي يعتبرونها « المافيا رقم ٢ » . ازمة بسبب دخول البرتقال الاسرائيلي الى الجزيرة ، بعد اتفاق التعاون بين اسرائيل والسوق المشتركة ، على اعتبار انذلك يهدد المحصولالمحلي منالبرتقال (اي ان البرتقال العربي الذي احتلت مزارعه اسرائيل جاء ينافس البرتقال الذي ادخله العرب وخلفوه في صقلية !)

اثار انتباهنا فيالصحف اعلان عن معرض لفنانة صقلية اسمها اتافيوريتو قالوا انها متخصصة في « الارابيسك » . قلنا عظيم لنبدأ الخطوة الاولى من هناك . وكان المعرض في قاعة فسيحة في فندق

بقايا المصنوعات العربية ، المقلدة والاصيلة . تباع في شارع « القمل » ، ومازالت تحمل رائحة زمن غابر .

« النخيل » (ليس في اوروبا بلد يزرع فيه النخيل سوى صقلية) .

وكانت الزيارة صدمة اخرى.ذلكان ابرزلوحات « فنانة الارابيسك » تتضمن غانية عارية تماما ، ترصع معصميها وفخذيها بالجواهر ، وتتمدد وسط بعض الوسائد والحشايا المزخرفة ! (صورة اللوحة لا يمكن نشرها الا بعد طمس المعالم التي تخدش الحياء فيها ، وهي ذاتها التي حرصت الرسامة على ابرازها باعتبارها معالم اساسية في فن الارابيسك !!
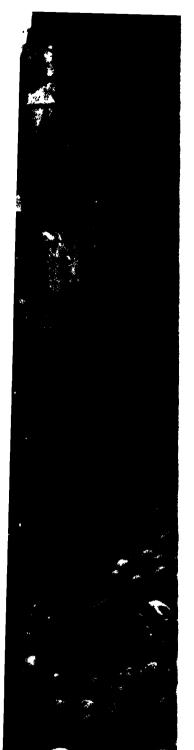
نموذج من بقايا العصر الاسلامي ، كتابات عربية طمس الزمن معظم معالمها ، حتى صار من الصعب قراءتها ، يعثرون عليها في المباني القديمة او مدفونة في باطن الارض (فوق) — كنيسة سان جيوفاني ديلي اريمتي بقبابها الثلاث الحمراء الشهيرة في صقلية .. عربية مئة في المئة .
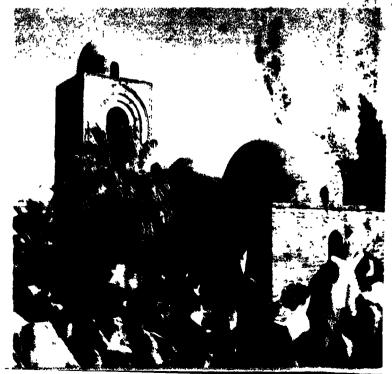
واحدة من الحوارى الضيقة فى صقلية ، التى يقال انها ايضا من بقايا تأثيرات عربية ٠ الملابس المغسولة تحجب السماء ، والمحلات التجارية متلاصقة على الجانبين ٠٠ نفس الوصف الذى سجله ابن جبير فى رحلته ٠

الدكتور جيوفاني انسلمي وسط مجموعة من الاواني والاباريق المكدسة في المتحف ، وكلها عربية الصنع ٠

استعدت مرة ثانية شريط الصور الذى رسمه الرحالة العرب ، وقلت مقارنا : هذا اذن هو « الارابيسك »٧٧ !

ربما كانت الصورة مبالغا فيها ، وربما لجأت « الفنانة » الى بعض الاثارة لترويج بضاعتها ،وربما استوحت صورتها من الانطباع الماخوذ عن العرب في عصور الانحطاط ، عندما كانت الصور الامراء حافلة بطوابير الجواري والغلمان ، وهو نفس الانطباع الذى يخرج به قارىء الصحف الغربية عندما تتحدث عن بعض العرب في ملاهي اوروبا الان ٠

ربما كان هذا كله صحيحا ، ولكن الصدمة حدثت على اي حال ، واختلطت هذه المرة بمشاعر الحزن والخجل ! خرجنا الى الشارع ٠ الناس يتكلمون بصوت عال ويلوحون بايديهم ، كانهم جميعا اطراف في مشادة واحدة لم تتوقف منذ عشرات السنين ، ليس في الجزيرة وحدها بل في بقية اجزاء ايطاليا واليونان ايضا ٠

وقد لفتت هذه الظاهرة انظار الامام محمد عبده، فسجل ملاحظاته على سلوك الصقليين في مقالاته التي نشرها بالمنار ، خصوصا وانه لم يخرج بانطباع طيب عن الناس ، بعكس انطباعاته عن المباني والاثار الباقية في الجزيرة ٠ وكان من عناوين مقالاته عن صقلية « صخب » الصقليين وتسولهم وكسلهم » ٠

على ان بعض الرحالة الجغرافيين العرب خرجوا بانطباعات اسوأ عن اهل صقلية ٠ فابن حوقل مثلا ياخذ عليهم كثرة اكل البصل النيىء كل يوم ، ويقول وهو الذى افسد تخيلهم واضر ادمغتهم ، وحير حواسهم ، وغير عقولهم ، ونقص افهامهم وافسد سحن وجوههم فاحال مزاجهم حتى راوا الاشياء او اكثرها على غير ما هي عليه !

وهو نفسه القائل : واهل صقلية اقل الناس عقلا ، واكثرهم حمقا ، واقلهم رغبة في الفضائل واحرصهم على اقتناء الرذائل ٠ وحدثني غير

انسان منهم ان عثمان بن العرار تولى قضاءهم ، فلما جربهم لم يقبل شهادة واحد منهم !

وكثير من المؤرخين يعتبرون موقف ابن حوقل متحاملا على اهل الجزيرة ويفسرون موقفه بانه راجع لاسباب تتعلق بالخلافات المذهبية .

غير ان ما رأيناه يختلف عما قرأناه ، وغاية ما هناك اننا كنا نتلقى حيث نذهب تحذيرات مهذبة تدعو كلا منا الى الانتباه الى ما فى جيبه او ما يحمله فى يده . وهو تحذير يمتد الى كل شىء تقبض عليه يداك حتى ولو كانت عجلة قيـادة سيارة « فيات » من ذلك الحجم الذى تتركه فى مكان الانتظار ، وعندما تغيب لا تجد له اثرا !

نورماندى بلسان عربى !

دعانا الدكتور اندريا بوروزو لنقوم بجولة فى عاصمة الجزيرة باليرمو ، التى تحتل مكانة بارزة فى كتب الرحالة العرب . وقبلنا العرض على الفور .

كان فندقنا فى شارع وسط المدينة يحمل اسم فيتوريو ايمانويل . لنبدا من هنا . قالها الدكتور بوروزو ، ثم اضاف : هذا الشارع كان موجودا ايام العرب ، وكان يعرف « بالسماط » . وقفنا نمسح الشارع باعيننا . لقد ذكره ابن حوقل فى « المسالك والممالك » ، عندما جاء الى هنا وصقلية تحت الحكم الاسلامى . ثم كتب يقول : « وهـذه المدينة مستطيلة ذات سوق قد اخذ من شرقيها الى غربيها يعرف بالسمـاط . مفروش بالحجـارة ، عامر بضروب التجارة » .

يمتد السماط بطول المدينة كلها يقسمها نصفين . يبدا بقصر ضخم قديـم وينتهى بالبحـر . قلت للدكتور بوروزو : لابد ان يكون هذا هو قصـر العزيز الذى بناه المعماريون والعمال المسلمون وكان مقرا للحكام النورمان . قال ، بالضبط ياسنيور . هم هنا يسمونه « لازيزا » والاسم المتداول للشارع ليس فيتوريو ايمانويل ، ولا السماط . الناس هنا يعرفونه باسم « كاسارو » اى شارع القصر . لقد شيده المسلمون وقت حكم الملك غليام الاول (بين سنتى ١١٥٤و١١٧٧م) وابقت الايام على اكثره .

وذهبنا الى القصر الكبير الذى يطل على ميدان يملؤه النخيل . الاقـواس الهندسيـة والنقوش الغلابة والكتابات الكوفية تغطى جنباته ، وتحيط بالابواب والعقود . العيون الجارية تغذى نافورة وسط البهو الاكبر ، تخترق مياهها القاعة ، ثم تختفى تحت ابوابها . هذه هى بصمات الاصابع العربية ، الرقيقة والماهرة .

قطع صمتنا الدكتور بوروزو وقال ، معظم الاثار صقلية الان من العصر النورماندى هذا صحيح ولكنها تنطق بلسان عربى فصيح ، لا بد ان نعترف .

وقف الامام محمد عبده فى المكان ذاته منذ حوالى ثمانين عاما . اخذ بجمال القصر فعاد يكتب فى مجلة المنار « وغاية ما اقول انه قصر او (سراى) واسع ، كبير البيوت ، باهر الزينة والاثـاث كسائر قصور الملوك فى اوروبا او فى غيرها من البلاد الشرقية والعربية ، مما تنفق فيه الاموال بحساب وغير حساب ، ولا شىء منها من كد الملك او الامير ، وانما هى من اموال الرعية ، وكسب الحفاة العراة الذين لا يجدون مـابه يستترون ، ويشتهون لو انفق على جدران ابدانهم واركـان اجسادهم جزء من المليون مما انفق على حيطان تلك القصور وزواياها وسقوفها ..

ثم قال ، ذهب بى حارس القصر اولا الى حيث توجد كنيسة الملك ، ولا حاجة لوصفها كذلك ـ الا لو كان الله يحب ان تزين له معابده ، وتنقش لمجده مساجده ، كما يحب ذلك ملوك الارض ـ فوجدت فى الممر الموصل اليها على الحائط المتصل بالكنيسة حجرا قد كتبت عليه هذه العبارة : خرج الامر من الحضرة الملكية المعظمية الرجارية العلية (المقصود بذلك هو الملك راجار الثانى ملك النورمان) ابد الله ايامها ، وايد اعلامها ، بعمل هذه الالة لرصد الساعات بمدينة صقلية المحمية سنة ست وثمانين وخمسمائة .

ومضى الامام محمد عبده يصف جولته فى القصر ، فقال : رأيت فى خزينة الجواهر من قصر الملك صندوقا عربيا فى طول نحو ثلثى ذراع ، وارتفاع ثلاثة ارباع الذراع ، صنع من نحو ثمانمائة سنة على ما يقول الحارس (كان ذلك فى آخر القرن الماضى) وهو مغشى بالنقوش الذهبية من اجمل ما تراه عين الان . وقيمته عند الدولة خمسمائة الف فرنك . ورأيت

كنيسة مونريال الضخمة من الخارج ، كل هذه الزخارف الدقيقة صممتها ونفذتها الانامل العربية الماهرة ، مؤكدة القول بان الآثار نورماندية ولكنها تنطق باللغة العربية الفصحى !(**الى اليمين**) باب كبير من العصر الفاطمي،تكسوه النقوش العربية، وهو الآن احد ابواب كنيسة «الانطاكي» في باليرمو ٠ احد فصول معهد نشر الثقافة العربية والصقلية· الطالبات والطلاب فوق الى اليسار ، بينما احدى التلميذات تكتب على السبورة (**تحت الى اليسار**) ويرى في الصورة عبدالرزاق شنيب القنصل الليبى الذى يقوم بتدريس اللغة العربية فى المعهد ٠
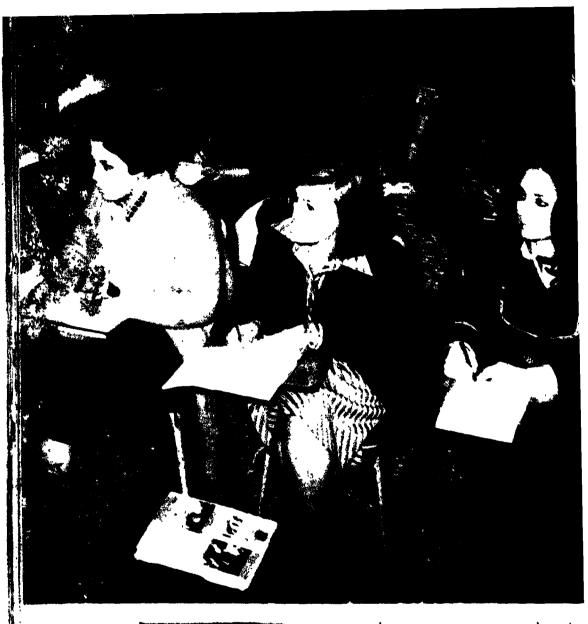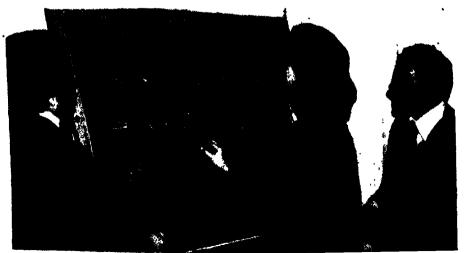
ي احد بيوت القصر بابا من الحديد مطليا بطلاء
ىفر جميل من اجمل ما تصنع الابواب وهو من
صنع ايدى العرب ايام دولتهم » .

في حارة العطارين

خرجنا مرة اخرى الى شارع « كاسارو » لايزال الشارع عامرا بالتجارة كما قال ابن حوقل . وهو يعد الان احد الشوارع التجارية الاساسية في باليرمو . لكنه لم يعد مفروشا بالحجارة ، بل صار لامعا نظيفا ، يسبح في بحر من الاضواء الملونة كل مساء .

عند منتصف الشارع وجدناه يتفرع الى حوارى بغير حصر . حوارى ضيقة وملتوية ، يقول الدكتور بوروزو انها تدخل ضمن التاثيرات العربية . وان سوق « بلرمه » القديم كانت هنا ، وهى السوق التى وصفها ابن حوقل بالتفصيل ، لاتزال المحلات التجارية منتشرة بكثافة .في وجود العرب والمسلمين كانت كل حرفة ومهنة في حارة ، ولكن الامر اختلط الان ، حيث اصبح سوق السماكين مع الجزارين والبقالين وتجار الخضر والفاكهة .

احدى هذه الحارات يحمل اسم « اتارينو » ، اى العطارين . يعلق على ذلك الدكتور بوروزو بقوله ان ثمة اسماء كثيرة في الجزيرة لها اصول عربية منها اسم عائلته هو فبوروزو هى في الاصل ابو الرؤوس . وثمة عائلات اخرى تحمل اسماء بوشيما (ابوشامة) وماجادرو (مغاور) وموارابيتو (مرابط) وشورتينو (شرطى) وسلادينو (صلاح الدين) .

وغير اسماء العائلات ، فهناك كلمات اخرى بغير حصر يتداولها الناس ، وهى عربية في الاساس . فالقلعة عند الصقليين هى « كالتا » . وكالتانستا هى « قلعة النساء» . وكالتا فوترو هى « قلعة الثور » . وكالتامير هى «قصر العمارة» . والفندق « فونداكو » ، ومرسالا (مرسى الله) ، وفادالا (وادى الله) ، وتيرازى (الطراز) ، ومسكينو (مسكين) ، وجارا (الجرة) وجبلينا (جبل) ، وماجالوفو (المخلوف) ، وترابيا (تربيعة) ..اما كلمة ريس ، فتنطق كما هى بالصقلية .. وهكذا.

ويبدو التاثير العربى واضحا ايضا في الكلمات المستخدمة في الزراعة والموازين . ف .. زاجرا (زهرة) ومارجينو (مرج) وباستكا (البطيخ) ونارانزو (النارنج) وزاكيا (الساقية) وجرافو (الغراف وهو الاناء الذى يغترف به الماء) وجاليجو (الخليج) . وروتلو هو (رطل) ، وكانتارو (قنطار) وربو (ربع القنطار) . وهذه الكلمات لا تستخدم في الصقلية فقط ،بل في اللغة الايطالية ايضا .

« ان ظاهرة الكلمات ذات الاصول العربية في اللغة الصقلية تستحق التسجيل . وهناك دراسة واسعة تجرى حول هذا الموضوع الان في معهد الدراسات الشرقية بجامعة باليرمو » . هكذا قال الدكتور بوروزو ، ثم اضاف : ان البعض يرى ـ مثلا ـ ان كلمة « مافيا » ذاتها عربية الاصل . من معافى او معفى ، اى الشخص الذى اعفى نفسه من الخضوع للقانون . الخارج على القانون .

والتاثير العربى لايزال باقيا ايضا في بعض العادات ومظاهر السلوك . والايطاليون يتندرون على الصقليين لانهم يلتقون بالاحضان عندما يطول فراق الاصدقاء . ولا تزال افراحهم يتخللها الغناء الجماعى والموسيقى الصاخبة ، ومآتمهم مبالغ فيها

★ في زيارته هذه أخذ الامام محمد عبده بجمال الصور والتماثيل في صقلية ، وسجل ضمن مقالاته عن الجزيرة فتواه الشهيرة التى قال فيها ان تحريم الصور والتماثيل لم يعد له مبرر . وكان ذلك مقبولا في ايام الوثنية ، حيث كانت الصور تتخذ لسببين ، الاول اللهو والثانى التبرك بمثال من ترسم صورته من الصالحين .والاول مما يدحضه الدين والثانى مما جاء الاسلام لمحوه . والمصور في الحالين شاغل عن الله أو ممهد للاشراك به . فاذازال هذان العارضان وقصدت الفائدة كان تصوير الاشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر في المصنوعات ، وقد صنع ذلك في حواشى المصاحف واوائل السور ، ولم يمنعه احد من العلماء .واضاف الامام في فتواه .. يغلب الظن ان الشريعة الاسلامية ابعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم ، بعد تحقيق انه لا خطر فيها على الدين ، لا من جهة العقيدة ، ولا من جهة العمل ، على ان المسلمين لا يتساءلون الا فيما تظهر فائدته ليحرموا انفسهم منها .

كما نفعل نحن تماما ، من البكاء والنواح وارتداء الملابس السوداء . ولعذارة البنت قيمة لا تزال اكثر الاسر الصقلية تتمسك بها ، حتى ان احد المزارعين اطلق الرصاص على ابنته وقتلها انتقاما لشرفه . وهو الامر الذى ادهش الصحافة الايطالية فابرزت الخبر على صفحاتها الاولى !

والمطبخ الصقلى ملىء بالتاثيرات العربية ، من الكسكسى الشهير فى شمال افريقيا بوجه خاص ، الى مختلف انواع الحلويات .

قطعنا شارع القصر او السماط كله . ونحن نتحدث عن الكلمات والتقاليد العربية الباقية ، ونطوف بالحارات الضيقة التى تتفرع عنه ، والتى تكاد تختنق من كثرة الغسيل المنشور على حبال تصل بين جنباتها .

.. وحى « الكالسا »

وصلنا الى البحر . الى الميناء القديم .هو الان راكد وخامل ، تقف فيه سفن الصيد ذات المجاديف القديمة ، بينما الطيور تتسكع فى سمائه لا يعكر تجمعاتها شىء ،سوى صياح الصيادين وهم يضربون المياه بمجاديفهم .

دخل الميناء التاريخ ، واحتل مكانه ميناء جديد، ليس بعيدا عنه ، له رصيف طويل ترسو عنده السفن الكبيرة وتملؤه الرافعات والشاحنات .

من هنا ـ الميناء القديم ـ دخل العرب باليرمو ، بعد ثماني سنوات من نزولهم على شواطىء صقلية وبعد حصار طويل سلمت المدينة فى نهايته واعطى اهلها الامان ، فغادروا المدينة وتركوها مفتوحة ، وحسب رواية ابن الاثير ، فان المسلمين وجدوا فيها ثلاثة آلاف شخص ، من اصل ٧٠ الفا قبل الحصار .

يطل حى الخالصة على الميناء . لم يبق فيه من آثار العرب الا اسمه « كالسا » . وكان حى الخالصة قد بناه خليل بن اسحاق والى صقلية الطاغية ، الذى ارسله الخليفة فى تونس ليؤدب اهل الجزيرة سنة ٣٢٥ هجرية لتمردهم وثوراتهم. وتقول كتب التاريخ ان الرجل بنى لنفسه ولرجاله هذه الضاحية ليحتمى بها من ثورة سكان باليرمو. وقد حكم الجزيرة اربع سنوات تذكر مرتبطة بصور عديدة من البطش والارهاب ، حتى اعتبر ابن اسحاق « حجاج المغرب » ، نسبة الى الحجاج بن يوسف الثقفى الذى دخل التاريخ العربى من باب الظلم والجبروت فى العصر الاموى .

تروى كتب التاريخ ان خليل بن اسحاق عاد الى مجلس الخليفة فى المهدية ، بعد انتهاء مهمته التى استمرت ٤ سنوات ، وقال امام الجالسين : قتلت فى امارتى الف نسمة . فاجابه احد علماء الدولة الشيعية ، لك يا ابا العباس فى قتل نفس واحد ما يكفى .

وتقول كتب التاريخ ايضا انه من شدة بطشه وجوره هرب بعض المسلمين من صقلية وجنوب ايطاليا .. « واعتنقوا النصرانية ولو بصفة صورية » .

ابن جبير امام الكنيسة

اثارت انتباهنا كنيسة المارتورانا بعمارتها العظيمة وبنائها الشاهق ، وبابها الخشبى الضخم الذى تملؤه النقوش العربية . فى مدخل الكنيسة خلف الباب اثنان من الاعمدة يحملان كتابات عربية على احدهما كتب : لا اله الا الله محمد رسول الله . وعلى الثانى كتبت عبارة : « باسم الله الرحمن الرحيم » . غير آيات قرآنية طمست معالمها . وهما من الاعمدة التى نقلت من المساجد بعد هدمها ، ووضعت فى الكنائس لتزيينها .

منذ حوالى ٨٠٠ سنة وقف فى مكاننا ـ امام الكنيسة ـ الرحالة العربى ابن جبير . كان قادما من الحج عام ١١٨٤ ميلادية ، متجها الى الاندلس وغرقت السفينة التى حملته مع غيره عند شواطىء صقلية ، فقرر ان يقوم بجولة فيها ، يرى ما خلفه المسلمون الذين كان حكمهم قد ذهب من الجزيرة قبل مائة عام تقريبا ، بينما بقوا هم فيها كما قلنا، وتصادف انكانت وقفته امام الكنيسة يوم عيد ميلاد المسيح ، فشهد احتفال المسيحيين بالعيد ، وسجل كل ما شاهده فى مؤلفه « الرحلة » ، وقد اطلق عليها اسم « كنيسة الانطاكى » ،نسبة الى الاميرال جورج الانطاكى (من انطاكيا) الذى امر ببنائها.

كتب ابن جبير يقول : « ومن اعجب ما شاهدناه بها من امور « الكفر » ان كنيسة تعرف بكنيسة الانطاكى ابصرناها يوم الميلاد . وهو يوم عيد لهم عظيم ، وقد احتفلوا بها رجالا ونساء ، فابصرنا من بنيانها مرأى يعجز الوصف عنه ، ويقع القطع

ايسوزو -
شاحنات في خدمة العالم كلّه

ايما نشتدّ البيئة قسوة وترداد الأراضي وعورة ان كانت هناك مهمّة يجب القيام بها. فانك تجد شاحنات ايسوزو مهيّأة لها وذلك بأقل ما يمكن من الازعاج أو القلق. وبأكبر قسط ممكن من الكفاءة التي يعتمد عليها. والأداء المتقن. والاقتصاد في النفقات

يوجد موديل من ايسوزو مثالي لكل غرض من سيارة «البيك آب» الخفيفة كي بي - ٢٠ المتعددة الاستعمالات والقادرة على احتمال الأعباء الثقيلة. الى وحدة الجرّ الجبّارة في بي آر ذات الدفع بالعجلات الأربع والقوّة الكافية لسحب مقطورة محمّلة من فئة ١٥ طنا كما يوجد موديل لأية عمليّة بين هذين. جميعها متوفرة إما بأجساد اختصاصية مركّبة في المصنع. أو بمقصورة القيادة والشاسي فقط

تفضّلوا بزيارة وكيل ايسوزو في منطقتكم وتعرّفوا على هذه الشاحنات التي أخذت تغزو العالم انها ستجعل أشغالكم أهون وأيسر.

ايسوزو اكس دي وزن الشاحنة بكامل الحمولة ١٢٠٠٠ - ١٢٣٠٠ كيلوغرام

ايسوزو بيك آب كي بي - ٢٠ وزن السيارة بكامل الحمولة ٢٢٣٨ كيلوغرام

ايسوزو إلف - متوفرة ايضاً بشاسي طويل وزن السيارة بكامل الحمولة ٣٣٠٠ - ٥٨٠٠ كيلوغرام

بان اعجب مصانع الدنيا المزخرفة. جدرها الداخلة ذهب كلها . وفيها من الواح الرخام الملون ما لم ير مثله قط . قد رصعت كلهـا بفصوص الذهب ، وكللت باشجار الفصوص الخضر ، ونظم اعلاها بالشمسيات المذهبات من الزجاج ، فتخطف الابصار بساطع شعاعها ، وتحدث في النفوس فتنة نعوذ بالله منها . واعلمنا ان بانيها الذى تنسب اليه انفق فيها قناطير من الذهب ، وكان وزيرا لجد هذا الملك المشرك . ولهذه الكنيسة صومعة قد قامت على اعمدة سوار من الرخام ملونة ، وعلت قبة على اخرى سوار كلها ، فتعـرف بصومعـة السوارى . وهى من اعجب ما يبصر من البنيان . شرفها الله عن قريب بالاذان، بلطفه وكريم صنعه .

ثم قال : وزى النصرانيات فى هذه المدينة زى نساء المسلمين ، فصيحات الالسن ، ملتحفات متنقبات . خرجن فى هذا العيد المذكور وقد لبسن لباس الحرير المذهب ، والتحفن اللحف الرائعة ، وانتقبن بالنقب الملونة . وانتعلن الاخفاف المذهبة، وبرزن لكنائسهن او كنسهن حاملات جميـع زينة نساء المسلمين من التحلى والتخضب والتعطر » .

... مـروا من هـنا

خلال جولتنا بين القصور القديمة والكنائس ، كان الدكتور جيوفانى انسلمى يروى لنا قصة كل بنـاء . الكاتـدرائيـة الكبـرى التـى شيـدت بايـدى الصنـاع المسلمـين . وهـى خليط من الطابع العربى والاوروبى ، وان كانت اللمسات العربية اكثر وضوحا . جزء من الكاتدرائية شيد على انقاض مسجد لا تزال بقايا سوره قائمة . وعلى ابوابها وبين اقواسها رسمت آيات من القرآن الكريم بالخط الكوفى .

كنيسة سان جيوفانى ديل اريمتى . التى كانت معبدا رومانيا قديما للاله هرمس ، ثم تحولت الى مسجد فى اعقاب الفتح الاسلامى (فى القرن العاشر) وفى القرن الثانى عشر اصبح ديرا وكنيسـة . القباب الحمراء الثلاث التى تعلو الدير والكنيسة ترى من كل انحاء باليرمو ،وتعلن بالعربية الفصحى ــ على حد تعبير الدكتور بوروزو ــ ان « المسلمين مروا من هنا » .

قصر القبة ، الذى بناه المسلمون فـى القرن الثانى عشر . على الطراز الذى بنى به قصر العزيز . كل نوافذه واقواسه من الخارج عربية التصميم . فى داخله قاعات فسيحة جدرانها مغطاة بالفسيفساء البديعة التنسيق ، والكتابات الكوفية التى تساقطت احرفها ، وبقيت تحكى قصة زمن غابر وحضارة عظيمة . فوق القاعة الرئيسية قبة عالية مبطنة من الداخل بنقوش خلابة من الرخام الصناعى .

القصر مهجور الان ، وهـو يتوسط معسكـرا للجيش الايطالى ، لا تهدأ فيه الحركه . ولا بد من اذن خاص لاجتياز بوابته .

كنيسة مونريال الضخمة ، التى تشرف علـى باليرمو من فوق هضبة عالية يربطها بالمدينة طريق طويل يتلوى كالثعبان . تذكرك مبانى الكنيسة من الخارج بالقصور العظيمة التى شيدها المسلمون فى الاندلس . القباب والنوافذ التى تخطف الابصار لشدة جمالها واتقانها .والحديقه الداخلية الفسيحة التى يحيط بها من جوانبها الاربعة صف طويل من الاعمدة والاقواس العربية .. بصمات باهرة «تذكر الخلف الغافل ، بعظمة تاريخ السلف العاقل » كما يقول الاستاذ توفيق المدنى .

وصلنا الى شارع القمل ــ عفوا فهذه هى ترجمة اسمه من الايطالية ــ حيث تباع المخلفات القديمة الاصيلة والمقلدة ببراعة فائقة . وسط اكوام المخلفات نجد الكثير من قطع الارابيسك (العقيقية هذه المرة) مقاعد وموائد ودواليب (خزانـات) مطعمة بالصدف وتحمل كتابات عربية دقيقة على كل جانب ، من آيات قرآنية الى ابيات شعر الى اسماء الخلفاء والسلاطين . والى جانبها اوان نحاسية كبيرة ومواقد ، تباع باثمان باهظة ، بعد ان تنبه التجار الصقليون الى قيمتها . هذا بالطبع غير لوحات فنية ، ومخلفات اخرى من العصور التى تلت الوجود الاسلامى فى الجزيرة .

٣٠٠ مسجد هدمت

فى ضواحى باليرمو واطرافها توقفنا كثيرا امام بقايا بعض المساجد التى هدمت (كان فى باليرمو وحدها ٣٠٠ مسجد حسب رواية ابن جبير) أسوار منهارة وقطع كبيرة من الحجر ، بدأت العناية بها اخيرا ، بعد ان تنبه الصقليون الى ان اسقاط هذه المرحلة من تاريخ جزيرتهم تعبير عن تخلف فكرى وتعصب اعمى ربما كانت له مبرراته فـى

الماضى . وهى مبررات لم يعد لها وجود الان • فضلا عن أن الاهتمام بهذه الاثار مفيد من الناحية السياحية على الاقل ، وهو جانب بدأ ينهض فى صقلية خلال السنوات الثلاث الاخيرة ، بعد ان تغيرت فى اذهان الاوروبيين صورة ارتباط الجزيرة بنشاطات « المافيا » •او بتعبير ادق ، بعد انصارت نشاطات « المافيا » فى الجزيرة غير مرئية للكثيرين•

ولم يكن التنقيب والترميم وتجميع مخلفات المسلمين وغيرهم فى متحف بالاتسو اباتيليس هو المظهر الوحيد لاتجاه الحكومة المحلية فى صقلية الى الاهتمام بهذه الفترة من تاريخ الجزيرة •بل انهم سمحوا منذ عشر سنوات فقط بتدريس العصر الاسلامى فى صقلية ضمن تاريخ الجزيرة الذى يدرس للتلاميذ ، وهو ماكان محظورا من قبل ، الامر الذى بسببه يجهل الكثيرون من الصقليين الان انه كانت فى الجزيرة يوما ما حضارة أقامها المسلمون • واغلب الظن ان فنانة « الارابيسك » التى شاهدنا اعمالها فى بداية الرحلة واحدة من هؤلاء •

وقد شجعت هذه البوادر جامعة باليرمو على انشاء معهد الدراسات الشرقية الذىيديره الدكتور امبرتو رزيتانو، ومعهاربعة منالاساتذة المساعدين، وتدرس اللغة العربية فى فصول يتناقص عدد طلابهاعاما بعد عام بسبب صعوبة اللغة وضعف امكانيات التدريس الحديثة ••بينما فصول التاريخ والدين الاسلامى هىالتى يقبل عليها الطلاب اكثر، وفى مكتبة المعهد ١٥ الف كتاب عربى .لكننا بسبب اضراب الطلاب واعتصامهم داخل الجامعة لم نستطع زيارة المعهد أو المكتبة •

ومنذ ثلاث سنوات انشا عدد من المثقفين فى صقلية معهدا خاصا لنشر الثقافة العربية ،يديره الدكتور اوريو يوريو وهو محام كان يرأس جمعية الصداقة العربية الصقلية • وطلابه الموزعون على حجرتين فى مسكن متواضع عددهم ٦٥ شخصا وهم يدرسون اللغة العربية اساسا ، بعدما انفتحت مجالات التعامل مع العالم العربى • والدولة العربية الوحيدة التى تساند المشروع هى ليبيا ، التى قررت دعوة الناجحين فى كل عام لقضاء اسبوعين فى ربوعها • وبدأ ١٨ منهم فعلا زيارة ليبيا فى العام الماضى •

وهذه المعالم التى طفنا بها ليست مقصورة على باليرمو وحدها • ولكنها موجودة بدرجات متفاوتة

الله ومحمد عليه الصلاة والسلام . ربما كانت ابرز الكلمات التى مازالت واضحة وسط هذه الكتابات ، التى خصصت للترميم فى المتحف •

فى مدن اخرى فى الجزيرة التى تحكم ذاتيا فى نطاق السيادة الايطالية •

فثمة آثار مماثلة فى مسينا وشيفالو وترمينى ومازره ومرسى على واطرابنش وقطانيا وسرقوسة وغيرها • فى كل مدينة قصر او كنيسة او كاتدرائية تحمل البصمات العربية • ولكن باليرمو ما زالت تضم ابرز معالم الوجود العربى والاسلامى فى صقلية •اليست هىالتى وصفها الشريف الادريسى فى « نزهة المشتاق » بقوله : « هى المدينة السنية العظمى ، والمحلة البهية الكبرى ، والمنبر الاعظم الاعلى على بلاد الدنيا ، واليها فى المفاخر النهاية القصوى ذات المحاسن الشرائف ، ودار الملك فى الزمان المؤتلف والسالف » •

درس التاريخ

لم نسال : لماذا فتح العرب صقلية ؟

تقول كتب التاريخ ان هناك ثلاثة اسباب دفعت المسلمين الى فتح الجزيرة ، اولها التمهيد لدخول اوروبا من الوسط بعدما اخفق المسلمون فىدخولها
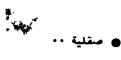
من الشرق عبر القسطنطينية ، ومن ناحية الغرب في سهول بواتييه (جنوب فرنسا) امام شارل مارتل. وكاد مخطط المسلمين ان ينجح. فبعد صقلية دخلوا جنوب ايطاليا ووصلوا الى نابولي . ثم وقفوا على ابواب روما . ولكن خلافاتهم شغلتهم عن الاستمرار في التقدم نحو الشمال الايطالي .

السبب الثاني هو وقف القرصنة « البيزنطية الرومية » التي اتخذت صقلية مقرا لها ، تشن منها الغارات على المسلمين على طول ساحل الشمال الافريقي . السبب الثالث يرجع الى رغبة الملك الاغلبي في وقف الفتن الداخلية والهاء العرب والبربر بالجهاد خارج البلاد الامر الذى مكنه في ابعاد الكثير من العناصر المشاغبة .

وقد حرك قرار الفتح ان رجلا اسمه « فيمى » اختلف مع بطريرك صقلية فلجأ الى القيروان يطلب من بني الاغلب المعونة .واسقاط البطريرك. فجمع زيادة الله حاكم القيروان مجلسه وسألهم هل تظل الجزيرة للامبراطور البيزنطي ام تكون لخليفة بغداد ؟ وهل تبقى قطعة من اوروبا ام تصبح جزءا من افريقية ؟

اختلف اعضاء المجلس بين مؤيد ومعارض . « وعندما سأل الفقيه سحنون : كم بينها وبين بلاد الروم .. قالوا يروح الانسان مرتين وثلاثة في النهار ويرجع . قال : ومن ناحية افريقية ؟ قالوا: يوم وليلة . فقال سحنون . لو كنت طائرا ما طرت عليها » .

ولكن الرأى المؤيد للفتح هو الذى تغلب . وكان « فيمى » هذا ، هو مرشد جيش اسد بن الفرات في النزول على شواطيء الجزيرة .

ومن مفارقات القدر انه مثلما لعبت الخيانة دورها في فتح الجزيرة ، فانها لعبت دورا مماثلا في اخراج المسلمين منها . ذلك ان قتالا نشب بين اثنين من حكام مقاطعات الجزيرة المسلمين .. ففر المهزوم ـ واسمه ابن الثمنة ـ الى جزيرة مالطة حيث كان يتربص راجار الاول ملك النورمان ، واصطحبهم في اقتحام الجزيرة تماما كما فعل « فيمى » مع اسد بن الفرات !

غير ان الخيانة لم تكن هي السبب الحقيقي لسقوط الحكم الاسلامي في صقلية ، لان الحكم كان قد سقط فعلا قبل دخول النورمان . كانت الدولة الاسلامية هناك قد وصلت الى مرحلة التفسخ والتحلل . تحول الحكام الى طغاة ، وحدث الصدام بين العرب والبربر . وانقسمت الجزيرة حتى استقل بكل مدينة او مقاطعة حاكم فرد . وتقاتل الجميع ، حتى خارت قوى الجميع . وصار الحكم الاسلامي في صقلية جثة مثخنة بالجراح ، سقطت عند اول ضربة . واجهز عليها بسهولة بالغة .

ولم يكن هذا التفسخ مقصورا على الحكم الاسلامي في صقلية وحدها . ولكنه كان جزءا من تفسخ عام كان يسرى في جسد الامة الاسلامية ، في المشرق العربي . كانت الخلافة العباسية قد ضعفت ولم يبق منها الا الاسم فقط . كانت بغداد واكثر بلاد العراق وفارس تحت حكم دولة بني بويه التركمانيين. وكانت مصر واكثر بلاد الشام في يد بني الاخشيد. والموصل وديار بكر في يد بني حمدان . وخراسان وبلاد التركمان وراء النهر في يد بني سامان . والبحرين واليمامة واجزاء كثيرة من جزيرة العرب تحت حكم القرامطة .

هكذا كانت الدولة الاسلامية في المشرق العربي. شراذم متفرقة ومتنافسة . لذلك لم يكن غريبا ان يسقط بيت المقدس في ايدى الصليبيين بعد انتهاء مقاومة المسلمين في صقلية بثلاث سنوات .

ثم دارت دورة الزمن ، وامتد التفسخ والتحلل الى الدولة الاسلامية في المغرب العربي . فتكررت المأساة في الاندلس ، عندما تقاتل ملوك الطوائف وانشغل المرابطون والموحدون بنزاعاتهم . حتى سقطت الاندلس الى الابد ، بعد ان ازدهرت فيها الحضارة الاسلامية عبر ثمانية قرون .

★★★

اننا اذا تلفتنا حولنا الان فسوف نكتشف ان التاريخ يعيد نفسه .« طوائفنا » تتقاتل ، ودماؤنا تستنزف على طول الساحة العربية وعرضها .. واعداؤنا يترقبون ويتربصون . في انتظار لحظة الاجهاز المناسبة .

ونحن في غيبوبة نلوك المسكنات والمهدئات . متعلقين باوهام ووعود غير مرئية .

كأننا لم نتعلم شيئا من التاريخ .

كأننا حتى لم نقرأ التاريخ ! ■■

فهمي هويدى

السالجارية

ظاهرة أدب الأطفال فى ايطاليا

بقلم : فريد كامل

■ خرج من منزله فى صباح ذلك اليوم لينتحر. كان يحمل تحت ابطه لفافة بها رداء طفل ملفوف حول سكين ويدير بين اصابعه مسبحة صغيرة بها ايقونة من الصفيح .

كان اميليو سالجارى فى التاسعة والاربعين من عمره حينئذ ، وقد قضى الثمانية والعشرين عاما الاخيرة فى كتابة قصص المغامرات المثيرة فنشر مئة وخمسا من الروايات الطويلة ومئة وثلاثا من القصص القصيرة . ولكن ناشريه خدعوه واستنزفوه فعاش فى فاقة شديدة : ضعضعته الحاجة وزلزلته نوبات جنون بدات تنتاب زوجته ، فسئم الحياة ــ وفى السادسة من مساء ذلك اليوم (٢٥ أبريل ١٩١١) عثرت غسالة اسمها لويجا كريكو على جثة ممددة على شاطىء نهر البو فى مدينة تورينو : المسبحة فى يده وعلى صدره جلباب الطفل ، بطنه مفتوح وأمعاؤه ممزقة منتشرة ..

واستيقظت ايطاليا فى اليوم التالى لتكتشف ما لم تكن تعرفه عن حياة احد اكبر كتابها شعبية ورواجا : كان قراؤه يعتقدون ــ ربما لانهم ارادوا ذلك ــ انه يعيش فى رفاهية براقة ، فاذا به فقير حتى انه ، ليوفر ليرات قليلة ، كان يصنع بيده الحبر الذى يكتب به .. كانوا يتصورون ــ وقد عاشوا معه صيد الاسود فى آسيا والغارات القراصنة فى اعالى البحار وقوافل العبيد فى افريقيا وحروب الاستقلال فى امريكا اللاتينية ــ كانوا يتصورونه مغامرا جبارا . فاذا بالقلم حرفة عنده ، يكتب القصة مضطرا ليعيش .. لم يخرج ابدا من ايطاليا (بل من ثلث مساحتها فقط) اللهم الا فى رحلة بحرية صغيرة بجوار شاطئها الشرقى .. واذا بالمغامرة الوحيدة التى خاضها هى انتحاره بطريقة مثيرة : الهاركيرى اليابانية ..

وكانت عودة « موضة » قراءة كتابات سالجارى احدى اهم المعالم الادبية فى ايطاليا فى عام ١٩٧٦ حيث بيع اكثر من مئة وعشرين الف نسخة من مؤلفاته ، نصفها تقريبا من مسلسلة مغامرات صندوخان ، حتى اطلقت بعض الصحف على السنة الماضية اسم « عام صندوخان » .

ظهرت مغامرات صندوخان كمسلسلة تليفزيونية فى ست حلقات طول كل منها ساعة فالهبت خيال المتفرجين : القصة عن بطل شعبى اسطورى يقود كفاح ماليزيا ضد الاستعمار الانجليزى (شركة الهند البريطانية) ، والحلقات مليئة بالحركة (مبارزات بالسيف وبالكاراتيه وصيد النمور والمعارك البحرية ووباء الطاعون .. الخ) .. وبها اهم كشف سينمائى فى ايطاليا فى العام الماضى ــ (النجم الهندى كبير بيدى الذى زار ايطاليا فى نهاية العام فاستقبلته مظاهرات من الاف المعجبات حيثما ذهب) .. وبها اجمل قطعة

اميليو
سالجارى

موسيقية لعام ١٩٧٦ ـ وقد استمرت فى قمة مبيعات الاسطوانات فى ايطاليا لاربعة عشر اسبوعا متتالية (وكانت تباع فى السوق السوداء بضعف الثمن) .. وبسرعة حولت الحلقات الى فيلم سينمائى من جزئين (كل منها ثلاث ساعات تقريبا) ليراها المعجبون بالالوان (التليفزيون الملون يحبو هنا من مطلع هذا العام) وظهرت عشرات الكتب والقصص المصورة والازياء واللعب والادوات المدرسية والبضائع التى تعمل اسم وصور ساندوكان .. وبدأ بسرعة اعداد فيلم سينمائى عن مغامرات سالجارية اخرى ـ « القرصان الاسود » صناعة نفس المخرج (سرجيو سوليما) بطولة نفس النجم (كبير بيدى) . موسيقى نفس الملحنين (الاخوين دى انجليس) .. وقد بدأ عرض الفيلم منذ ايام قليلة ..

قصص أم حواديت

لم يكن سالجارى نكرة حتى اكتشفه التليفزيون او منسيا حتى احيا ذكراه .. مجلة « بانوراما » الاسبوعية تقول العكس : انه يحتل المركز السادس فى قائمة منظمة اليونسكو الدولية لاكثر المؤلفين رواجا فى العالم (وفى قمتها « الانجيل » ويليه « ماوتسى تونج ») وتضيفه ان مبيعات سالجارى السنوية كانت دائما حوالى الثمانين الفا ـ فى ايطاليا فقط .. اى كان دائما كاتبا شعبيا ..

من تاريخه نعرف ان سالجارى قام باعمال ثانوية ومختلفة فى عدد من الصحف والمجلات المحلية وانه حاول الكتابة « الجادة » فرفضت كتاباته ، وفى سن السابعة عشرة طلب منه احد رؤسائه ان يكتب قصص المغامرة للاطفال للتنويع ولملء الفراغ بالجريدة ـ فحاول القصة ثم تطور الى المسلسلات الطويلة وحقق نجاحا كبيرا وانتشارا واسعا لجريدته ، ولكنهم افنعوه ان قصصه ليست أدبا بل « حواديت » لايرقى مستواها عن الاطفال ، وان جريدة اخرى لن تنشر له مثل هذه « الغرافات » ـ فعاش على فتات موائدهم يحلم بان يكتب فى يوم ما شيئا جادا يقرؤه الكبار (الذين كانوا يلتهمون مغامراته وان لم يجهروا بذلك ..) واختار ان يموت محتضنا الى صدره جلباب طفل ..

جهاز صغير جديد يغنى عن اجهزة صدمات القلب القديمة

● كثيرا ما تفيد الصدمات الكهربائية في انقاذ الذين يتعرضون للنوبات القلبية. فجهاز الصدمات من شأنه ان يصدم قلب المريض فيضع حدا لخفقانه المضطرب ويعيده الى حالته الطبيعية . وقد يوقف قلب المريض عن النبض تماما . حتى اذا صدمه الجهاز عاد الى النبض من جديد . الا ان اجهزة الصدمات هذه كانت دائما كبيرة الحجم ثقيلة الوزن ولم يكن من السهل نقلها الى المريض بالسرعة المطلوبة ... وهكذا تعذر انقاذ الكثيرين ممن مست حاجتهم الى تلك الاجهزة ، وقد استحال نقلها اليهم . او نقلت ولكنها وصلتهم متأخرة .

والظاهر ان احد المصانع الامريكية نجح في صنع جهاز صغير للصدمات الكهربائية يؤدى وظيفة الجهاز الكبير . ولا يزيد وزن هذا الجهاز الجديد على سبعة ارطال انجليزية .. ويعمل بالبطارية .. الا ان بطاريته لا تحتاج الى شحن الا بعد استهلاك ٤٠٠ جول (Joule) . (الجول وحدة الطاقة الكهربائية) .

ولعل سر هذا الجهاز الجديد في مكثفه الذى لا يزيد حجمه على نصف حجم المكثف القديم .

كافيار صناعي يغنى عن الكافيار الطبيعي

تناقص انتاج الكافيار الطبيعي في الاتحاد السوفياتي حتى انصرف العلماء الى محاولة صنع البديل وبحثوا اخر الامر في تخليق كافيار صناعي يقوم مقام الكافيار الطبيعي .

اما تناقص الكافيار الطبيعي ــ وهو من المأكولات السوفياتية العالية الثمن ــ فمرده للتغيرات الكبيرة التي طرأت على بحر قزوين في المدة الاخيرة .

فقد هبط مستوى الماء في ذلك البحر اكثر من عشرة امتار . وتقلصت مساحته نحو ٧٠٠٠٠ كيلومتر مربع.من٤٤٢٠٠٠ الى ٣٧١٠٠٠ كيلومتر مربع . وهكذا انكمشت شواطىء هذا البحر وانفصلت عنها الانهار التي كانت تصب فيها .. بجفاف مصبات تلك الانهار ... وترتب على ذلك نقصان كبير في كميات سمك الستورجيون ، وهو السمك الذى يصنع الكافيار من بيوضه . والذى يعيش اكثره في بحر قزوين ... الا ان هذا السمك لا يبيض في هذا البحر . وانما في اعالي الانهار التي كانت تصب فيه . والتي كان يرحل اليها ويقطع مئات الكيلومترات من اجل وضع بيضه وفي سبيل تكاثره ... فلما انكمشت شواطىء بحر قزوين لم يعد في امكان سمك الستورجيون القيام برحلاته .. ووضع بيضه .. فاخذ بالتناقص وبات مهددا بالانقراض .

وعز على العلماء السوفيات ان يرقبوا تناقص انتاج الكافيار الطبيعي ــ تلك الثروة السوفياتية الصميمة ــ وهم مكتوفو الايدى .. وعمد علماء اكاديمية العلوم السوفياتية الى حل المشكلة ، الى اجراء المحاولات لتصنيع الكافيار وتخليق بديل صناعي للكافيار الطبيعي ، يملأ الفراغ
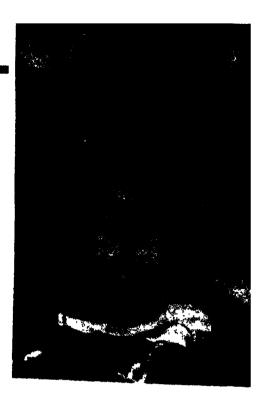
البروتينات عماد الحياة

● نشرت مجلة ناتشر (Nature) نتائج دارسة لطيفة أجراها ثلاثة من العلماء ... امريكيان وهولندي .. فقد حاول هؤلاء التنبؤ بموعد وفاة الكائن الحي .. ، على اساس ما يمكن ملاحظته في نموه ايام طفولته . الا ان التجارب التي اجروها انما أجروها على الفئران لا على بني الانسان .

وقد خيرت الفئران التي وضعوها موضع الدراسة بين ثلاثةالوان من الطعام، يختلف بعضها عن بعض باختلاف نسبة البروتينات والكاربوهيدرات التي يحتويها كل منها . ولدى دراسة ماظهر على تلك الفئران من انماط في النمو مختلفة استتبعتها الوان الطعام المختلفة استطاع العلماء استخلاص النتائج الخمس التالية:

١ ــ الفأر السمين الذى يزيد وزنهوهو في سن ١٧ ــ ١٩ اسبوعا على متوسط وزن الفئران في السن المذكورة ، وهي السن التي يستكمل الفأر فيها نحو ثلثي نموه ... ذاك الفأر السمين هو الذى يسبق غيره الى الموت ..

٢ ــ كم يكون عمر الفأر حينما يبلغ وزنه نصف كيلو غرام ؟ فكلما تأخر في بلوغ هذا الوزن ، طال عمره ...

٣ ــ الوقت الذى يحتاجه جسم الفأر ليتضاعف وزنه من ٢٥٠ غرام الى ٥٠٠ غرام .. فكلما قصر هذا الوقت ، قصر معه عمر الفأر .

٤ ــ الفاعلية التي يحول فيها الفأر طعامه الى غذاء يكتسب به المزيد من الوزن .. فالفئران التى سبقت غيرها في هذا الصدد اظهرت مزيدا من القابلية للموت المبكر .

٥ ــ وتبين للعلماء ايضا ان الفئران التى استهلكت مزيدا من البروتينات عاشت حياة اطول ... ■■

ريثما يتم انجاز المشاريع الضخمة الطويلة الاجل التى بدأوا فى تنفيذها لانقاذ بحر قزوين وانقاذ اسماكه ..

ونجح العلماء آخر الامر في صنع الكافيار الصناعى البديل من الحليب والكازيين بالتخصيص .. فقد خلطوا الكازيين بالجلاتين حتىتم الاندماجوتكونت الحبيبات .. ثم اضافوا الى الخليط المندمج حيوانات منوية من سمك الستورجيون وذلك من أجل الطعم .. ثم نقعوه فى محلول تانين الشاى (Tanni) من اجل اللون . واصاب العلماء من النجاح فى تجاربهم هذه ما دفعهم الى اقامة مصنع تجريبى لانتاج الكافيار الصناعى .. والمصنع صغير كما لا يخفى ولا تزيد طاقته الانتاجية على ٤٤٠ رطل انجليزى .
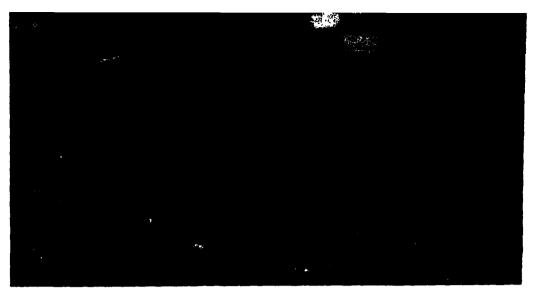
تظهر الأطباق الطائرة ككرات نارية

عودة الأطباق الطائرة

بقلم : المهندس سعد شعبان

جدد بعض الطيارين الايرانيين الحديث عن مشاهدتهم للاطباق الطائرة ومحاولتهم مطاردتها ..

■ كان الستار قد اسدل على الحديث عن الاطباق الطائرة ، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعدة سنوات ، بعدما اثارت من الفزع والهول في نفوس بعض الناس في شتى بقاع الارض الكثير . غير ان الحديث عنها تجدد مرة اخرى في صيف عام ١٩٧٦ عندما ما جزم لفيف من الطيارين الايرانيين انهم شاهدوا الاطباق الطائرة تمرق في السماء قرب طائراتهم . وانه عندما حاول بعضهم اللحاق بها . واسرعوا بطائراتهم في اثرها ، اصيبت الاجهزة الملاحية في الطائرات بالتوقف ، ولم تستطع الطائرات اللحاق بها . والجديد في الامر ، ان عودة الحديث عن الاطباق الطائرة هذه المرة ليس من باب الظنون ، او احتمالات الاشتباه والرؤية الخاطئة ، اذ اكد الطيارون الايرانيون انهم عندما مرت بقربهم الاطباق امكنهم رؤية بعض المخلوقات الغريبة بداخلها ، ولكن سرعتها الفائقة لم تدع لهم فرصة تمييز اوصاف هذه المخلوقات .

أين الحقيقة

والحقيقة ان كثيرا من الناس مشوقون الى الحديث عن الاطباق الطائرة لان الحديث عن «الآخرين»

من احياء الكواكب الاخرى حديث شيق . يستهوى النفوس ويجذب الانتباه.ويرضى فى النفوسفضول التطلع الى اسرار الكون المستغلقة حولنا • ولان البحث عن الحياة والاحياء على الكواكب الاخرى اخوات الارض . أخذ طابعا جديا فى بحوث الفضاء فى الاعوام الاخيرة • وشغل العالم خلال عام ١٩٧٦ بابحاث السفينتين الامريكيتين « فايكنج ـ ١ » . « فايكنج ـ ٢ » • هذا بالاضافة الى الجهود الفضائية الاخرى فى حقل البحث عن اصل الحياة فى الكون • كل ذلك ومازال السؤال المعلق فوق الرؤوس . والذى لا يجد اجابة شافية من أحد . هل من حياة عاقلة فى الكون غيرنا ؟ وهل من عقلاء فى الفضاء حولنا . يمكنهم أن يغزونا يوما ما . او يشنوا علينا حربا باساليب عملية لا قبل لنا بها . ولا دراية لنا بكنهها ؟

الشمس

عطارد
الزهرة
الأرض
المريخ
الكويكبات
المشترى
زحل
أورانوس
نبتون
بلوتو

الكواكب حسب بعدها عن الشمس

لذلك ـ تجاذب اطراف الحديث عن الاطباق الطائرة العلماء ورجال الدين والمتخصصون فى طبقات الجو . ورجال الاستراتيجية العسكرية واصحاب الخيال • وتمزقت القضية بين الظنون والخرافات والروى والوهم وبلغ الامر الى حد رمى كل من يجسر على القول برؤيتها بالخبل والجنون • وتوقف البحث العلمى امام طلاسم . لم يجد لها تفسيرا . وعانى من صعوبة تجميع اطرافها اعتمادا على اقوال بعض من شاهدوها من عامة الاهالى فى مناطق نائية غير ماهولة مثل صحراوات المكسيك واحراش بوليفيا وبيرو وسهول استراليا وصحراء نفادا المترامية . وجزر باهاما •

ولندرة تقارب ما رواه هؤلاء المشاهدون عنها ضاعت الحقيقة بين ثنايا الشك . لان القول كان ينقصه البرهان •

وذهب بعضهم الى القول ان بعض الاطباق الطائرة حطت فوق الارض وتخلف عن ذلك احتراق المكان . واختفاء احتساء بعض الحيوانات التى بالمنطقة •• ولقد ذهب بعضهم الى القول ان أحد الاطباق الطائرة هبط فى البرازيل عام ١٩٦٢ وخرجت منه مخلوقات خطفوا بعض الدجاج والخنازير وولوا الفرار • لذلك انتهى الباحثون الى رأى وجدوه مخرجا من حيرة التردى فى المجهول . هو القول باحتمال قيام حياة ذكية فى بعض ارجاء الكون وان هؤلاء العقلاء ، بامكانهم القيام بزيارات استطلاعية لبعض الاماكن على الارض بمركبات من صنعهم ، يسخرون فيها اجهزة لا علم لنا بطريقة تسييرها • وهى التى يطلق عليها الاطباق الطائرة (Flying Saucers) لان اهل الارض يرونها وهى تمرق فى السماء مفلطحة تشبه اطباق الطعام او يرونها فى شكل كرات نارية تتحرك بسرعة فى السماء •

خطوة جادة

وقوى هذا الظن لدى بعض العلماء الامريكيين. لان كل ما تواتر عن الاطباق الطائرة لم يحدث الا بعد التفجير الذرى الاول والثانى فى هيروشيما ونجازاكى فى اواخر الحرب العالمية الثانية ودلل هؤلاء على صحة الظن برحلات الاستطلاع التى

يقوم بها « الاخرون » من عقلاء الكون بان النشاط الاشعاعى الذى اعقب التفجيرات الذرية والذى انتشر فى الفضاء حرك هؤلاء « الاخرين » ، وشجعهم على استطلاع ما يجرى على الارض ٠

ولقد تردى العلماء وخاصة فى امريكا فى منازعات بعضها يؤيد هذا الراى وبعضها يسفهه ٠ وطلع على العالم كثيرون من علماء الطبيعة الجوية يقولون بان الامر لا يعدو ان يكون احدى ظواهر التاين فى اعالى الغلاف الجوى الذى تنتشر فيه نبضات الرادار٠ورجع آخرون منعلماء الاشعاع،ان الامر قد يكون احدى ظواهر الاضطراب الذى اصاب الغلاف الجوى وطبقات الفضاء ، نتيجة للاشعاعات الذرية التى انتشرت به ، والغبار الذى يسبح فيه ٠

وذهب بعض العسكريين الى القول بانها ربما تكون وسائل عسكريةحديثة للاستطلاع لم يعلن عنها فى الكتلة الشرقية التى توصلت الى بعض اسرار صناعة الصواريخ العابرة للقارات انذاك ، والى كثير من اسرار الطاقة الذرية ٠ وامام هذه البلبلة خطت الولايات المتحدة الامريكية خطوة ايجابية وبناءة لوضع حد لهذه الظنون والمزاعم فقامت بتشكيل لجنة رسمية على مستوى عال تضم لفيفا من العلماء المتخصصين فى الطيران والفضاء والارصاد الجوية وبعض المستشارين العسكريين ٠ وكانت اللجنة برئاسة الدكتور « ادوارد كوندون » وبعد ان استقصت وحققت وحللت وقابلت كل من قالوا برؤية الاطباق الطائرة ، وضعت اللجنة تقريرها عام (١٩٤٩) فيما ينوف على الف صفحة ولكن الحكومة الامريكية ابقت تقرير اللجنة فى عداد الاسرار التى يجب ان تحبس عن الناس عامتهم وخاصتهم ٠ ولقد اورد الاديب المصرى « انيس منصور » فى كتابه « الذين هبطوا من السماء » رواية عن ان بعثة استطلاع فضائية عام ١٩٥١ (بعد وضع هذا التقرير) هبطت من طبق طائر فى احد المطارات الامريكية وخرج منه ثلاثة مخلوقات يتكلمون الانجليزية بطلاقة وطلبوا مقابلة الرئيس الامريكى الراحل ايزنهاور ، الذى حضر اليهم بعد عدة ساعات ودار بينه وبينهم حديث ظل سرا حتى كشف عن الواقعة العالم الامريكى البروفسور « لين » وقال بانهم زعموا انهم سكان كوكب ضمن المجموعة النجمية المسماة « اوريون »او « الجبار » ٠

حياة على الكواكب

امام كل ذلك مازلنا امام طلسم مستغلقالجنبات لا نستطيع ان نفسر من امره الكثير ٠ ومازال ترجيح رحلات الاستطلاع الفضائية قائما يتردد ، بانه ربما تتم هذه الرحلات بواسطة « اخرين » من احياء الكواكب الاخرى يحاولون التودد الينا ، او يقومون بالتمهيد لشن حرب علينا ٠ وامام هذه التصورات نجد ان هناك احتمالا قويا ، الا تكون صور الحياة قاصرة على كواكب المنظومة الشمسية الباردة والتى تدين بولاء الجاذبية للشمس ، ومنها كوكب الارض فهذه الكواكب حسب ترتيب بعدها عن الشمس هى :

(عطارد ـ الزهرة ـ الارض ـ المريخ ـ المشترى ـ زحل ـ اورانوس ـ نبتون ـ وبلوتو) ٠

وما زالت الجهود الفضائية منذ عام١٩٦٠تتارجح فى البحث عن الحياة على الكواكب القريبة من الارض ، وقد تركزت جهود السوفيت الفضائية على استكشاف كوكبى الزهرة اولا ثم كوكب المريخ ثانيا ، بينما وجهت اغلب سفن الفضاء الامريكية الى كوكب المريخ وحده ٠ لذلك توالت سفن الفضاء السوفيتية من طراز « فينوس » الى كوكب الزهرة ، ثم من طراز « مارس » الى كوكب المريخ ، بينما اطلق الامريكيون سلسلة سفن « مارينر » الى المريخ ايضا ٠

وفى نفس المضمار اطلقت امريكا السفينة « بيونير ـ ١٠ » الى كوكب المشترى وعلى متنها اغرب رسالة من اهل الارض الى اية مخلوقات عاقلة على المشترى ٠٠ وظلت السفينة فى طريقها الى كوكب المشترى مدة ٢٢ شهرا حاملة الرسالة فوق لوحة معدنية ولغتها الرسم الذى يعبر عن ان الرسالة قادمة من الكوكب الثالث اى (الارض) فى ترتيب البعد عن الشمس التى تظهر اشعتها وسط الرسالة ٠ وموجهة باشارة يعبر عنها سهم الى الكوكب الخامس ـ اى المشترى ـ وان الحياة

ملايين النجوم تتوزع فى كل مجرة

على كوكبنا قوامها ذكر وانثى • وقد انفصلت كبسولة من السفينة « بيونير ـ ١٠ » وهبطت برفق فوق المشترى تاركة اغرب رسالة حررها علماء الارض ولم يطلق الى كوكب عطارد غير عدد قليل من السفن ، ولم تصل الى جو كوكب زحل غير سفينة امريكية واحدة هى « بيونير ـ ١١ » •

وكانت أغلب هذه السفن تقوم بتصوير سطح هذه الكواكب ، من قرب • ولكن أهم احداث استكشاف الحياة على الكواكب شهدها عام ١٩٧٦ باطلاق سفينتى الفضاء الامريكيتين « فايكنج ـ ١ ، ٢ » اللتين حطتا برفق فوق سطح المريخ وقامتا باقتباس عينات من تربته لتحليلها وارسال نتائج التحليل الى الارض •

وقد انتهت اخبار هاتين السفينتين الى التشكك فى وجود حياة على المريخ ، تزيد عن لون الحياة الفطرية او العضوية ذات الخلية الواحدة ، نظرا لوجود اثار من الماء فى تربة هذا الكوكب •

السؤال المحير

ولكن مازال السؤال المحير ، هو لماذا لا تكون الحياة العاقلة فيما يتجاوز كواكب المجموعة الشمسية من اجرام السماء • ان ملايين النجوم تتوزع فى الاف المجرات حولنا ، وكل منها فى طبيعته شمس كشمسنا ، اى اتون ملتهب يبعث الضوء والحرارة فيما حوله من فضاء • واغلبها يفوق شمسنا حجما مئات بل الاف بل ملايين المرات ، ولكن لفرط بعدها عنا لا نكاد نراها الا صفيرة كراس الدبوس • فهى تبعد عنا مسافات شاسعة لا يصلح لقياسها غير الاف او ملايين او بلايين السنين الضوئية • ويصور القران الكريم ذلك ابلغ تصوير بقوله تعالى « فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم » •

لذلك يبقى السؤال المحير معلقا فوق رؤوسنا ، كيف يمكن ان نجمع بين ايماننا بالقدرة الالهية المبدعة التى خلقت هذه الشموس كعدد حصى الرمل فى ارجاء كون محدود بلا حدود ، واحكمت حركتها وجاذبيتها ولم تدع فرصة واحدة لاصطدام بعضها ببعض • ثم نتصور بعد ذلك ان هذه القدرة المبدعة ، تقصر عن وجود صور مختلفة للحياة على كواكب اخرى غير كوكبنا ؟

ان الحقيقة التى يجب ان نؤمن بها هى احتمال وجود كواكب باردة حول كل نجم من النجوم المتقدة
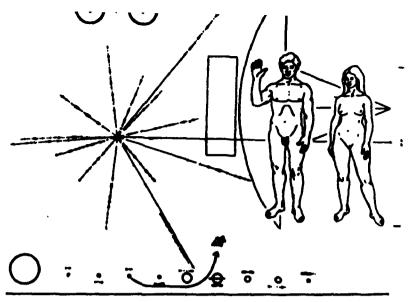
رسالة بالرسم الى سكان المشترى

التى شانها شان الشمس . فاذا كنا لا نرى النجم الا بالجهد البالغ من الارض نظرا لقصوروسائلنا واجهزتنا العلمية فى تجاوز المسافات الشاسعةالتى تفصل بين الارض وبينه . فان ذلك لا يمنع وجود كواكب باردة حول هذه النجوم ولا نستطيع رؤيتها، ويكون لكل نجم منظومته التى تدور حوله . ويمكن ان تكون على هذه الكواكب حياة .

لذلك فان ابحاث الفضاء ان كانت مازالت حبيسة فى حلبة جزء من المنظومة الشمسية التى حولنا . والتى تتمثل فى ثمانية كواكب اخـوات للارض . فان ذلكليس الا خطوة على طريق البحث العلمى الذى مازال يتدرج ولم يتجاوز غير خمسة كواكب منها فقط .

لذلك قد تكون الاجابة على السؤال المحير هى تصور اتيان الاطباق الطائرة من احدى الحضارات العاقلة على كواكب تدور حول احد النجـوم البعيدة والتىنحن عاجزونعن رؤيتها ،اومراسلتها، وهذا ما تؤيده الرواية التى اوردناها من قبل عن « الوفد » الذى طلب مقابلة الرئيس ايزنهاور والذين قالوا انهم آتون من مجموعة نجم «الجبار».

نظرة عبر الاحتمالات

وقد نتساءل لماذا لم يحدث اتصال بين هـذه الحضارات وبين حضارتنا على الارض الى الان ؟

ولكن يمكن ان نتصور الرد من خلال التجول مع افتراضين مختلفين .. الافتراض الاول هو ان تكون هذه الحضارات اقل منا ادراكا وذكـاء .. والافتراض الثانى ان تكون اكثر منا ذكاء وتقدما واعرق فى ركب الحضارة . واسبق فى سجل الزمن لذلك فمن البديهى ان يعاملنا هؤلاء بقدر مـن الاهمال . وعدم الاكتراث كما نعامل نحن الهوام والحسرات على الارض . ننظر اليها شذرا ونبيد بعضها مما يعترض طريق حياتنا ونترك البعض الاخر يشاركنا نسيم الحياة على الارض . وقد نصعد فـى التشبيه الى تصـور مملكة النحل او النمل . نعرف من أمرها الكثير ونعجز عن الالمام بلغاتها . لذلك لا يوجد ما يمنع من ان يكـون « الاخرون » من سكان الكواكب البعيدة يتمتعون بمراقبتنا من الفضاء ويراقبون مهازل الحياة التى نرتكبها علىالارض انتظارا لتطوير وسائل الاتصال بنا يوما ما .

نخلص من ذلك الى ان الرأى الغالب لدينا هو ان الاطباق الطائرة ليست زعما وليستوهما ، ولكنها اول الغيث فى وسائل استكشاف حضارات كونية عاقلة ، لكوكبنا . ■■

القاهرة ـ المهندس سعد شعبان
عضو لجنة الفضاء
باتحاد الطيران الدولى بباريس

هل انتحر السياب بالمرض ؟
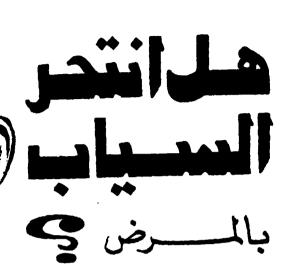
بقلم : يوسف اليوسف

ظاهرة الموت المهيمنة على شعر بدر شاكر السياب ليست مجانية ، وانما هى ذات دلالة عميقة تشير الى وجود نزعة انتحارية اكيدة فى البنيان النفسانى للشاعر . ففى مقالة سابقة نشرت فى دمشق (ملحق الثورة الثقافى) دللنا على أن قصيدة « حفار القبور »التى نشرها السياب عام١٩٥٢ تحتوى على كافة السمات الدالة على الشخصية الانتحارية .

تؤكد الدراسات التى اجراها النفسانيون فى مجال الانتحار ان الرغبة العادة فى الموت ، ولا سيما الموت قتلا ، هى سمة اساسية من سمات الشخصية الانتحارية . كما ان الانشغال بافكار سوداء وتشاؤمية تتعلق بالموت هو سمة اخرى . ويغلب ان يصحب هذه الرغبة فى الموت شعور بالضياع والقنوط من جدوى الوجود . كما انها تتعزز بوجدان اللاامن وبحس عام بالتعب والانهاك . ولسوف نلاحظ أن صور السياب الشعرية تحتضن حس الاجهاد وميل الاشياء الى الغموض والتوارى .

وفضلا عن الانشغال الدائم بالموت والشعور باللا امن فان ثمة ثلاث سمات انتحارية اخرى بادية بجلاء فى معظم شعر السياب .

وهذه السمات هى : النكوص الدائم باتجاه مرحلة الطفولة ، هذا النكوص الذى يتبدى بتمسك الشاعر بصورة جيكور (قريته) ، معاناة حالة اللاتواصل مع الاخرين والعجز عن حبهم ، شعور قهرى جاد من نوع ما يستمر مدة

طويلة • وهذه السمات الثلاث ـ شانها شان غيرها ـ ظاهرة في معظم انتاج السياب في كافة مراحله الشعرية •

ولئن توخينا التعرف على العوامل الخارجية التي ادت الى ترسخ نزعه الموت في بنائه النفساني ، فان في وسعنا أن نجدها في عدة مواطن أهمها الصدمة الهائلة التي تعرض لها اثر وفاة والدته حين كان لا يزال في السادسة من العمر • ويمكن أن يضاف الى هذا العامل المركزي جملة من العوامل الاخرى اهمها سلسلة اخفاقاته في الحياة ووضعه الاجتماعي وحالة الحرمان التي يعيشها • وربما كانت النحافة الجسمانية التي كان يتصف بها جسده احد العوامل التي سببت للشاعر عقدة نقص عززها الاخفاق المتواصل • ومن شان مثل هذه العقدة أن تدفعه نحو التفوق ، ولكنها حين تتعزز بسواها من عوامل التحطيم الداخلي فانها ترسخ في الشخصية احساس اللاجدوى والقنوط من فائدة اى جهد يبذل في سبيل تجاوز الحال ، الامر الذي يعني الاستسلام للموت بوصفه طريق خلاص •

صدمة وفاة الأم

في وسع دارس شعر السياب ان يلاحظ ، وبكل يسر ، هيمنة حادثة وفاة امه على شعوره • وقد ظلت هذه الواقعة راسخة في اعماقه حتى وفاته عام ١٩٦٤ (عن عمر يناهز الثامنة والثلاثين) ، الامر الذي يؤكد ما فحواه أن الخلخلة العميقة التي تتسم بها شخصية السياب تجد جذورها في هذه الواقعة ، وان بقية العوامل التحطيمية قد لعبت دور الرفد والتعزيز للتخلخل الذي ترسخ منذ الطفولة المبكرة •

ولا تقتصر هيمنة صورة امه المتوفاة على مرحلة واحدة من مراحل حياته ، بل لقد ظلت تسيطر على وعيه وتوجه شعره حتى وفاته • ففي قصيدة عنوانها « الباب تقرعه الرياح »، وقد كتبها في لندن عام ١٩٦٣ ، اى قبل موته بسنة واحدة ، نقرا هذه الابيات :

الباب ما قرعته غير الريح
آه لعل روحا في الرياح
هامت تمر على المرافيء او محطات القطار
لتسائل الغرباء عني ، عن غريب امس راح
يمشي على قدميه ، وهو اليوم يزحف في انكسار •
هي روح امي هزها الحب العميق ،
حب الامومة فهي تبكي !
« آه ياولدي البعيد عن الديار !
ويلاه ! كيف تعود وحدك ، لا دليل ولا رفيق ! »
اماه ، ليتك لم تغيبي خلف سور من حجار
لا باب فيه لكي ادق ولا نوافذ في الجدار
كيف انطلقت على طريق لايعود السائرون
من ظلمة صفراء فيه كانها غسق البحار ؟

في هذه الابيات نلاحظ مسالتين هامتين :

اولا : ان امه لا تسال عنه في الحقيقة ، وما تخيله لهذه الصور سوى اضفاء منه • ولا يستهدف هذا الاضفاء الا التعبير عن حاجته الماسة الى الحنان الذي لا يملك اطلاقا أن يحصل عليه من الاخرين ، مما يرده دوما باتجاه صورة الام المتوفاة • وهذا يعني ان السياب لو عاش حياة عائلية ناجحة في طفولته وفي صباه لاستطاع أن يحذف اثر صدمة وفاة الام من داخله •

ثانيا : تبسط الابيات الاربعة الاخيرة اقتناع بدر الموجع لروحه ، والذي يتلخص في ان من المستحيل ملاقاة الموتى •

وفي ظني ان هذا الاقتناع هو المسئول الاول عن تبني السياب لشكل فني يسود الكثير من قصائده ، الا وهو اسطورة الانبعاث التموزي •

الولادة الثانية

ان الولادة الثانية للاشياء هي الطريقة الوحيدة التي تتيح لبدر ان يلتقي بالموت •

ولعل ماهو اهم من هاتين المسالتين هو هذا الاعتراف الذي تجهد هذه المقالة كي تنتزعه من شعر السياب عبر استنطاق النصوص ، وهو ما يصرح به بعد الابيات السابقة بقليل :

اماه ، ليتك ترجعين
شبحا • وكيف اخاف منه وما امحت رغم السنين
قسمات وجهك من خيالي ؟

انه يعترف ، اذن ، بان امه قد عاشت في اعماقه طوال حياته ، ومثل هذا الامر لا يمكن ان يكون مجانيا ، فلا بد من ان تكون قسمات وجهها التي تعيش في خياله طوال ثلاثة عقود من السنين قد لعبت دورا كبيرا في تركيب شخصية السياب ، وبالتالي في انتاجه الشعرى . ومن الممكن القول بان التصاقه بشبح امه المتوفاة مسئول الى حد كبير عن اخفاقه في مضمار التواصل مع الاخرين ، مثلما ان هذا الاخفاق عينه مسئول عن تشبثه على شبح الام . ان النقص الهائل في الحنان الذى يعاني منه بدر (وهو عامل تدميرى بلا ريب) كان النتاج الحتمي لهذا الاخفاق بطرفيه .

بعد ما ذللنا – ولو بسرعة متعجلة – على رسوخ الشاعر عند مرحلة معينة من مراحل عمره المبكرة اعنى وفاة الام ، بات في ميسورنا القول بان صورة الموت في شعر السياب انما تنبثق من هذه العادلة .

فالموت الذى تخطف امه وهى في ريعان شبابها لن يكون رفيقا به على الاطلاق . ومن هنا تعزز في داخله حس اللا امن والشعور بان الموت هو الحقيقة المركزية في الوجود . ولهذا راح السياب يصرخ بين الفنية والاخرى : « وغدا اموت ، غدا اموت » . ومن هنا راينا الشعور بسرعة انسياب الزمن يطغى على الكثير من قصائده الذاتية ، مثلما رايناه دائما يصرخ بعبارات تدل على تشبث عجيب بطفولته المنطفئة . اسمعه يقول في قصيدة تحمل عنوان « دار جدى » :

طفولتى ، صباى ، اين كل ذاك ؟
اين حياة لا يحد من طريقها الطويل سور
كشر عن بوابة كامين الشباك
تفضى الى القبور ؟

ان السياب يموت حياته ولا يعيشها . ويعذبه شعور فحواه ان كل لحظة تمر تدفع بنا خطوة نحو القبر . والحقيقة ان انشغاله بالموت – كما سنرى – كان سوداويا لانه يتعامل معه من داخل القبر وعبر مقولتى التفسخ والرعب .

ولعلها ليست صدفة تلك الهيمنة الطاغية لصور الغيمومة والانبهام والتوارى على شعره . ان الاسلوب ، بما فيه من مفردات وتكوينات لفظية ، ينبثق عن ارضية نفسانية ، اذ لا يعدو كونه تخارجا لمحتويات الاديب ، ايا كان . وفي قناعتى ان تركيز الاسلوب على الخلفية النفسانية للاديب هو انجع السبل نحو تطوير تحليل الاساليب الفنية في اللغة العربية . فمما هو بليغ الدلالة ان نجد الجزئيات والمفردات المشيرة الى الانبهات تملأ معجم السياب وتضفى اللون القاتم على صوره . ولعل الفحوى المركزى لهذه الظاهرة هو ان اعماقا سوداء متشائمة لا يسعها الا ان تفرز لغة سوداء وشذرات تصويرية عاتمة .

هكذا يستهل قصيدة « السوق القديم » :
دعنا نستعرض بعض استهلالاته لشيء من قصائده المبكرة :

هكذا يستهل قصيدة السوق القديم :

الليل والسوق القديم
خفتت به الاصوات الا غمغمات العابرين

ففي هذين البيتين نواجه ثلاث مفردات تشير الى الانبهات : الليل ، خفتت ، غمغمات .

وهكذا يستهل قصيدة « اساطير » :

اساطير من حشرجات الزمان
نسيج اليد الباكية ،
رواها ظلام من الهاوية
وغنى بها ميتان .

وهذه هى العبارات السوداء في هذا المطلع : حشرجات الزمان (حس الزمن بوصفه حامل موت) ، اليد البالية ، ظلام من الهاوية ، غنى بها ميتان .

واليكم الابيات الاربعة الاولى من « رئة تتمزق » :

الداء يثلج راحتى ، ويطفىء الغد في حيالى
ويشل انفاسى ، ويطلقها كانفاس الذبال
تهتز في رئتين يرقص فيهما شبح الزوال
مشدودتين الى ظلام القبر بالدم والسعال

قبل مجيء الداء

ولست ارى حاجة لتبيان الالفاظ والعبارات القاتمة في هذا المقبوس ، اذ هى اوضح من ان يشار اليها . والغريب ان السياب يتحدث في هذه القصيدة المبكرة التى كتبها عام ١٩٤٨

عن « الداء » قبل مجيئه بالنتني عشرة سنة. بل هو يتحدث عن داء في الرئتين مع ان المرض الذي اودى بحياته قد اصاب رجليه لا صدره . ولعل هذه القصيدة قد كتبها عن كيتس وبوحي من مرض كيتس . وهي بكل وضوح قريبة الشبه من قصيدة « اغنية الى عندليب » التي عبر فيها ذلك الرومانسي الشهير عن مرضه الذي اودى به هو الاخر قبل ان يبلغ السادسة والعشرين من عمره . ولعل اعجاب السياب بكيتس ذو دلالة فصيحة ، اذ توحدهما نزعة الموت والرغبة الصارخة في الانطفاء . فصيحة السياب:

اريد ان اموت ، يا اله !

وكذلك صرخته اليائسة :

اود لو غرقت في دمي حتى القرار

لا يشبهها الا صرخات كيتس المسلول الهائمة بحب الموت . بل اننا نكاد نجد تطابقا في الصراخ الداعي الى الموت يوحد الشاعرين .

ففي قصيدة « رئة تتمزق » ، يقول السياب:

كم ليلة ناديت باسمك ، ايها الموت الرهيب

ووددت لا طلع الشروق على ، ان مال الغروب

وفي « اغنية الى عندليب »يقول كيتس :

وقد وقعت مرات عديدة في غرام الموت الهيّن

وياطالما وسمته بنعوت ناعمة في الكثير من القصائد الملهمة ،

ورجوته كيما يخرج الى الهواء انفاسي الهادئة ،

والان يبدو لي اكثر من ذي قبل

ان من الغنى ان اموت ،

فانقطع في منتصف الليل بلا عناء .

ولكن ، وعلى الرغم من هذا الجنوح الشديد نحو الموت ، فان السياب يبدي اسفه واساه الحاد تجاه هذه الحقيقة الموضوعية التي لا بد من مواجهتها . ومثل هذا الاسف الذي يواظب على تواتره في شعره لا يدل الا على الشعور باللاامن، مثلما يدل على هذا الشعور ميل السياب نحو الموت . وقد تجلى هذا الشعور باللا امن في شعر بدر على شكل خوف لاشعوري . فالاشياء في مجموعة « ازهار واساطير » التي نشرها في اواخر الاربعينات (يوم كان في ريعان الشباب) تبدو خائفة دائما ، بل والاكثر من ذلك ان هذه الاشياء في تلك المجموعة تظهر مجهدة ومتعبة . ومما هو بدهي ان الاجهاد البادي على الاشياء الموضوعية لايعدو كونه اضفاء من الداخل على الخارج ، اي ان الاجهاد غير موجود الا في اعماق الشاعر نفسه . ومما هو في مقررات علم النفس ان الشعور العاد بالتعب هو احدى علامات الشخصية الانتحارية الخطيرة . والاهم من ذلك ان ثمة علاقة مابين حس الاجهاد وحس اللا امن ، او حس الموت اذ ان كلا الحسين يخلق الاخر ويدعمه .

يوم كان الحنان

ولقد كان من شان حس الاجهاد وحس اللاامن ان يرغما السياب دوما على النكوص نحو طفولة آمنة وهادئة . انها مرحلة جيكور ، يوم كان الشاعر ينعم بالحنان والراحة والامن في حضن والدته . ولعل من الواضح في شعره ان هذه القرية تشكل في لا وعيه المكان الآمن الوحيد في العالم . ولهذا نراه في قصيدة « افياءجيكور» يخاطبها على هذا النحو :

جيكور ، جيكور ، ياحقلا من النور

ياجدولا من فراشات نطاردها

في الليل ، في عالم الاحلام والقمر .

ولعل مما هو فصيح الدلالة ان تختفي لغته السوداء وعباراته الانبهاتية حين يعرض لقريته. فهو دومايصورها كما لوكانت نوعا من اليوتوبياتغيب عن ساحتها كل منغصات السعادة . ان جيكور ملاذ ومصدر للحنان الذي يفتقر اليه والذي يفعل فعله في عدم تكيفه مع البرهة الراهنة . فهو يخاطبها احيانا كما لو كانت اما له ستهبه الحنان الغائب :

جيكور مسي جبيني فهو ملتهب

مدي على الظلال السمر تنسحب

ليلا ، فتخفي هجيري في حناياها .

بل ان جيكور تتطابق ـ حتى في وعيه ـ مع امه تطابق هوية . فهو يختتم قصيدة «افياء جيكور» هذه على النحو التالي :

افياء جيكور اهواها

كانها انسرحت من قبرها البالي

من قبر امي التي صارت اضالعها التعبي وعيناها

من ارض جيكور ترعاني وارعاها

واذا ما علمنا ان السياب قد كرس عددا كبيرا من القصائد لقريته ، وانه قد عرض لها مرارا في هذا الموضع او ذاك ، ادركنا ان جيكور تشكل ظاهرة من ظواهر شعره . ولا يمكن لهذه الظاهرة ان تكون مجانية ، بل لا يمكن لها الا ان تحيل الى ما ليس هي ، اي انها تعبل الترجمة الى دلالة نفسانية معينة . وفي تقديري ان تشبث السياب بقريته يخفي وراءه نكوصا زمانيا لامكانيا، اعني انه يشير خفية الى تثبت على مرحلة طفولية مبكرة . وهذا التشبث بالطفولة ان دل على شيء فانما يدل على سوء تكيف مع البرهة الشابة الراهنة ، اي انه يتمسك باللحظة الخامدة كبديل عن اللحظة القائمة ، لان هذه الاخيرة يتعذر التكيف معها بسبب من غياب الغطاء الامني الذي افتقده بوفاة امه وزواج ابيه من امراة تركية بلا ام ولا اب .

التشبث بالماضي

استرجاع ما مضى هو حلم السياب غير القابل للتحقيق ، ولكنه امر تتعداه الحقيقة . وهذا التشبث بالماضي ، وفي صدر الشباب ، هو شكل من اشكال النكوص نحو الطفولة الامنة.

وقد باح تقويمهن الحزين
بان اللقاء المرجى محال

هذه هي اثقل الحقائق واشدها ارضاخا للروح.

بقي ان نعرف ان هذه القصيدة هي من المجموعة الاولى ، اي من نتاج الاربعينات ، يوم كان الشاعر في مقتبل العقد الثالث من سني حياته .

وفي قصيدة عنوانها « شباك وفيقة » منشورة في انضج مجموعاته الشعرية ، اعني المعبد الغريق ، ومكتوبة عام ١٩٦١ ، نجد في الخاتمة هذين البيتين :

هيهات ان ترجعي من سمار
وهل ميت من سفار يعود ؟

ومن وفيقة هذه ؟ لقد سبق له ان قال فيها :

لوفيقة
في ظلام العالم السفلي حقل
فيه مما يزرع الموتى حديقة
يلتقي في جوها صبح وليل
وخيال وحقيقة

وبديوان وفيقة هذه فتاة كان يعشقها قبل وفاتها ، هذا اذا لم تكن كناية عن وفاة والدته ، وهو يخاطبها كما لو كان يطبق مبدأ ادجار الن بو القائل : « ان موت امرأة جميلة هو خير موضوع شعري ، وان الشعر يخاطب اطياف النساء النائمات في قبورهن » .

وفي القصيدة الاولى من مجموعته الاولى ، « ازهار واساطير » ، نجد الموت يطرح على هذا النحو :

واذا هلكت غدا ، فلا تجدي
قبرا ، ومزق صدرك الذيب .

واليوم يملأ عشه نتفا
من شعرك المتمر النخر

ويعود ثغرك للذباب لقى
ويداك مثقلتان بالحجر

لا تدفعان اذاه عن شفة
بالامس اخرس لغوها وترى

وليسق من دمك الخبيث غدا
دوح تعشش فوقه الغرب

تاوي الصلال الى جوانبه
غرقى ، ويهوي تحته الكلب

هذه المشاعر الثقيلة العاتية تنم عن روح مذعورة وعن فرط حساسية ازاء الموت . وبسبب خوفه من الموت كان مضطرا على التعامل مع الموت من داخل القبر لا من خارجه فحسب .

في هذا المقطع الاخير يخاطب فتاة يتصور ان الموت سيطويها . واذا ما علمنا ان السياب قد كتب هذه القصيدة عام ١٩٤٦ ، اي يوم كان في الثامنة عشرة من سني عمره ، فاننا نستغرب توجهه نحو وصف الموت على هذا النحو الراعب:

الذئب يمزق صدرها ، ويداها يضغط عليهما حجر القبر ، وهما عاجزتان عن دفع الهوام عن شفتيها ، والدوح يرتوي من دمها الذي يغدو فاسدا آسنا . ولكي يمعن في الارهاب فقد جعل هذا الدوح ملاذا للغربان والافاعي الجائعة والكلاب النابحة .

ولكن هذه الصورة الشعرية الراعبة للموت انما تنبثق من قاع لا شعوري يختزن تصوراته المخيفة لما يجري في القبر من تفسخ ، كما يختزن

حس اللا امن الذى يعانى منه بعمق • ولا ريب فى ان جزءا كبيرا من الشعور باللا امن المتغلغل فى النواة المركزية لروح السياب مصدره الخوف من الموت نفسه • فالموت الذى تخطف امه فى صغره قد عمق فيه حسا بالتهديد الدائم الذى يوجهه الفناء الى الكائنات الحية ، بحيث بات يعتقد ان الامن شيء مستحيل التحقق •

نسيم من القبر

من شان هذا الخوف الدائم من الموت ان يخلق لديه نزعة موت ، اى جنوحا عميقا نحو التخلص من اجهاده الكثيف عبر الموت نفسه • فمما يجمععليه النفسانيونان الشخصية الانتحارية تبلغ حدا من التوتر لا يمكن لشيء سوى الموت ان يحله • وهذا ينطوى على ان الموت يصبح آلية دفاعية عن العضوية فى مرحلة تطور اجهادها • ولهذا السبب راح السياب يصرخ بكل حدة :

اريد ان اموت ، يا اله !

ان ارادة الموت تاتي استجابة لحاجة داخلية•ومما كان يعزز هذه النزعة التدميرية ذلك النقص فى كمية الحنان المتلقاة من الاخرين اى انغلاق الاخرين ازاء رغبته الحادة فى مقايضة العواطف • وربما كان السياب نفسه المسئول الاول عن هذا الاخفاق ، لان من العسير عليه ان يمنح عطفه للاخرين وهو المنكفيء علىداخله الشديد الاكتئاب• وايا ما كان الشان فقد عبر هذا الشاعر مرارا عن حاجته الى الاخرين دون جدوى• ومن ذلكقوله:

قساة كل من لاقيت : لا زوج ولا ولد
ولا خل ولا أب او أخ فيزيل من همي •

هذا الاعترافصريح بالاخفاق فى الوصول الى الاخرين ، وفى عدم القدرة على الحب •

ازاء مجمل هذا الوضع كان لا بد له من النكوص نحو الطفولة ونحو قبر الام ، وكان لا بد له كذلك من ان تتشكل فى ذاته نزعة تدميرية الانا ، اى نزعة الموت ، لان الموت هو الطريق الوحيد للخلاص من هذا الاجهاد النفسى • وربما كان نزوعه نحو الموت هو احد العوامل التى اوجدت فيه ذلك الرعب من التفسخ فى القبر ، وهذا يعنى ان الخوف من الموت يدفع الى التخلص منه عبر الموت نفسه ، اى يولد نزعة تدمير الذات ، مثلما يعنى ان هذه النزعة نفسها تولد الخوف من الموت ، وبالتالى حس اللا امن • وبكلمة اخرى ، ان هذا الحس يدفع نحو الموت ، مثلما ان هذا الاندفاع نفسه يولد حس اللا امن بدوره • لقد دفعه التوتر الكثيف الى تصور الوجود على هذا النحو :

هذه الصحراء لا فرح
يرف بها ولا أمن ولا حب ولا راحة •
ولهذا السبب اطلق هذه الصرخة :
يا خيول الموت فى الواحة
تعالى واحمليني •••

ان من العسير على اى كان ان يدافع ضد اطروحتنا المركزية الرامية الى ان السياب كانت تتملكه نزعة الموت او تدمير الذات • وبالطبع لم تتولد هذه النزعة لدى الشاعر بالصدفة بل هى جاءت نتاجا لتراكمات طويلة من القلق ومشاعر الخوف الناجمة عن وقائع خارجية لا حول للسياب فى دفعها عن نفسه •

نزعة الموت ، اذن ، ظاهرة عامة وبارزة فى شعر السياب وابتداء من رؤيتها بوضوح ينطلق السؤال التالي: هلكان موت الشاعر شابا استجابة لهذه الرغبة ؟ ولنطرح سؤالا بصيغة اخرى : هل انتحر السياب بالمرض ؟ ان ما يخول لنا حق تقديم الصيغة الثانية للسؤال هو ايماننا بان الموت يغدو الية دفاعية (او طريقةخلاص) فى مرحلة من مراحل تطور المرض النفسانى ، الشيء الذى يعنى ان المرض الجسمانى كثيرا ما ياتي كتعبير عن المرض النفسانى ، وان الموت ياتى ليضع حدا لمجمل هذين النوعين من المرض • واذا ما آمنا مع النفسانيين بان المرضى (ولا سيما الاكثر ياسا وشعورا باللاجدوى) يساعدون الموت على انفسهم ، فاننا لا نجد الصيغة الثانية لسؤالنا فقيرة باسانيد التسويغ • ■■

يوسف اليوسف

يجيب على هذه الاسئلة نخبة من الاطباء

أصبع « مدوحس »

● اصيبت زوجتي بتورم في اصابع يديها مع تاكل الاظافر (ما نسميه مدوحس) وطال العلاج بدون نتيجة ،فما سببه وهل من سبيل لشفائه ؟

ـ ان هذا المرض (داحس) الذى يصيب مرقد الاظفر وكذلك الاصبع عند حافة الاظفر هو عبارة عن مرض فطرى يؤثر فى اصبع او اكثر ، ولكن نادرا ما يصيب جميع الاصابع او أصابع القدم وهو منتشر فى بلادنا خاصة بين النساء اللاتى يغسلن الملابس وادوات المطبخ باستمرار حيث تكون ايديهن دائما مبللة • ويلاحظ أن الاظفر يتأثر اولا ثم الاصبع بعد ذلك كاصابة ثانوية ، وهذا المرض ينتشر فى الكبار وخاصة النساء وعادة فطر المونيليا يكون هو السبب • ويلاحظ تورم واحمرار الاصبع حول الاظفر مع تكون صديد وألم، ويلاحظ وجود فطر المونيليا فى هذا الصديد مع بكتريا ثانوية كذلك ، ويتلون الاظفر بلون كريمى او لطع بيضاء تزداد فى السماكة وتظهر تحت الاظفر وتفصله من مكانه •

وقد لوحظ فى احدى المرات فى احد مصانع المعلبات المحفوظة انتشار هذا المرض بين ايدى العاملات وبالبحث وجد أن السبب هو تلوث الفاكهة بفطر المونيليا• ونجد أن الاظفر يفقد لمعانه وتظهر عليه خطوط وتجمعات كيراتينية ويمكن فحص قشور من الاظفر للفطر كما يمكن عمل مزرعة كذلك للتأكد منه •

وفى بعض الاحيان قد يكون الشخص مصابا بمرض فطرى آخر على الجلد • اما بالنسبة للعلاج فيجب

اولا : المواظبة والاستمرار فى العلاج لعدة شهور حتى يمكن التخلص من المرض نهائيا وذلك بقص الاظافر باستمرار للتخلص من الفطر اولا باول •

ثانيا : الجفاف وعدم البلل من اهم العوامل التى تساعد على العلاج مع استعمال كريم السليكون للوقاية من اختراق الماء والصابون تحت الاظفر •

ثالثا : استعمال حبوب جريزوفولفين Grisofulvin بالفم او النستاتين •

رابعا : الاستعمال الموضعى للدهانات والمحاليل المضادة للفطر مثل دهان يودو سالسليك أو الاسترول او غيره •

واحيانا نلجأ الى خلع الاظفر مع الاستمرار على العلاج حتى ينمو الاظفر الجديد سليما الا انه يأخذ حوالى ٦ شهور لينمو ثانية •

كما أن العلاج بالاشعة Radio therapy يفيد فى كثير من الحالات •

تساقط الشعر

● شعري يتساقط بكثرة وطمأنني الطبيب بان شعرا جديدا سينمو مكانه، فهل لي أن اعرف سرعة نمو الشعر وما هو عدد شعر الرأس تقريبا ؟

ـ يبلغ نحو ١٢٠ الف شعرة في الرأس السليم وكلما كان الشعر رقيقا كان اكثر . فالشعر الاشقر يكون اكثر من ذلك الاسود . والشعر الاحمر عموما اقل كثافة اذ يبلغ ٩٠ الف شعرة ، واذا كانت فروة الرأس سليمة خالية من المرض فاحب أن اطمئن السائل بأن لا يقلق من سقوط هذا الشعر او من سقوطه طبيعي جدا ، لان كل شعرة لها عمر معين تموت بعده وليس كل الشعر يصل الى نفس العمر او نفس الطول ، فمتوسط عمر الشعرة عموما هو ما بين ٢ ـ ٦ سنوات ٠ وسرعة نمو الشعرة تختلف تبعا لعمرها ، فحين تصل الشعرة الى سطح الجلد تنمو بسرعة بمعدل ثلاثة ارباع بوصة في الشهر ، وحين تبلغ ١٤ بوصة مثلا تبطىء الى حد نصف سرعتها السابقة وكلما كبرت بعد ذلك بطؤ النمو بحيث لا يلاحظ بمرور عدة اسابيع ٠ وعادة يكون النمو اسرع في النساء بين عمر ١٦ ـ ٢٤ سنة الا انه بعد عمر ٦٥ سنة يتوقف نموه عادة٠ كذلك اثناء فترة الحمل واثناء المرض ينمو الشعر ببطء ، وبعد زوال المرض قد ينمو بسرعة جدا ليعوض مافاته ٠ وتزداد عملية نمو الشعر في الصيف عنها في الشتاء ٠ وشعر الرأس في النساء اسرع نموا منه في الرجال والعكس صحيح في شعر الابط ٠

وسرعة النمو تتأثر بالصحة العامة والتغذية وحالة الغدد في الجسم وكذلك الناحية النفسية والعصبية للشخص وبخاصة في حالات القلق والخوف ٠

طول القامة وقصرها

● انا فتاة ابلغ من العمر عشرين عاما واعاني من قصر القامة حيث أن طولي ١٥٢ سنتيمتر ولا يتجاوز وزني اربعين كيلو جراما ٠ فهل يوجد علاج بواسطة الهورمونات لهذه الحالة ؟

ـ قصر القامة قد ينتج عن اسباب كثيرة اهمها العوامل الوراثية في الاسرة ذاتها سواء من ناحية الام او الاب او الاجداد وهذا النوع يعتبر من اصعب الحالات في العلاج لان كل خلية في الجسم تحمل العوامل الوراثية الجينات gene بداخلها ولا يمكن التدخل في هذه الحالة وفي هذه المرحلة من العمر ٠ ولكن نقص النمو وقصر القامة قد

ينتجان في بعض الحالات الاخرى عندما يقل نشاط بعض الغدد الصماء في الجسم مثل الغدة النخامية او الغدة الدرقية ٠ وهناك اعراض اخرى تصاحب النقص في النمو ويمكن بواسطتها معرفة سبب النقص في النمو وعلاجه في سن مبكرة ٠

ولكن يشترط اكتشاف الحالة اما في مراحل الطفولة أو قبل البلوغ وعندئذ فقط يمكن استعمال الهرمونات التى تعالج هذا النقص ٠ ولكن مع الاسف ففى سن الثامنة عشرة تقريبا يحدث التحام فى أطراف العظام القابلة للنمو وعندئذ لا يمكن زيادة الطول سواء بالهرمونات او بعض الوسائل الاخرى ٠ ويلزم عمل اشعة على اطراف العظام فاذا ثبت انها لم تلتئم بعد. يمكن زيادة الطول بضعة سنتيمترات بواسطة العلاج المناسب ٠

حجم الثدى

يشكو من كبر الثديين وهو فى سن البلوغ ٠

ـ ان كبر الثديين عند سن البلوغ في الاولاد امر طبيعى ـ وفى بعض الحالات يصحب هذا النمو فى الثدى ألم يكون فى بعض الحالات شديدا ـ وربما لوحظ كبر ثدى عن ثدى ـ وربما استمر هذا الكبر ـ الذى يسبب اضطرابا نفسيا كثيرا ـ خوف أن يكون الشخص غير كامل الرجولة ـ وربما استمر هذا لمدة سنوات قد تمتد الى ثلاث سنوات ـ ويجب ان يفرق الآباء بين كبر الثديين ـ وتراكم المواد الدهنية حولهما فى حالة الاولاد ذوى السمنة المفرطة ـ ففى هذه الحالة يصغر حجم الثدى عندما يلتزم الشخص حمية خاصة تنقص من وزنه ٠

وفى الحالات التى يكون فيها الثدى متضخما لا بد من فحص الشخص فحصا دقيقا لاستبعاد الاسباب الاخرى التى تسبب كبر الثدى ولو أن هذه النسبة ضئيلة لنمو الثدى الطبيعى فهناك مرض كلينفلتر Klinefel.er والذى يتميز بضمور فى الخصيتين مع توقف فى نمو الحيوانات المنوية مما يسبب العقم وطول القامة مع جنوح نحو الخنوثة ـ ويكبر الثديان الى درجة كبيرة،وهناك أسباب أخرى تؤدى الى كبر الثديين عند الرجال أهمها تعاطى الادوية التى تساعد على هذا النمو مثل مركبات اندمبتالا ـ وهرمون الايستروجين Eostrogen وغيرهما ولكن يلاحظ أن معظم هذه الادوية لا تعطى الا لكبار السن ولمدد طويلة ٠

ويكبر الثديان كذلك فى الرجال عندما يصابون بتليف فى الكبد ، فلا يقوى على التخلص من مادة الايستروجين فترتفع فى الدم وتسبب كبر الثديين ـ وكذلك فى حالة وجود اورام بالخصيتين خبيثة او اورام بالغدة فوق الكلية ولكن ذلك لا يحدث الا بعد البلوغ ٠

والعلاج فى هذه الحالة (اى عند البالغين) وبعد التأكد من انهم لا يعانون من اى مرض عضوى ـ هو ان يتريثوا بعض الوقت وربما امتد الى سنتين او ثلاث ـ ويزول هذا التضخم بغتة دون سابق انذار، ويجب أن يفهم ذلك الاولاد والاباء حتى لا يصحبوا ولدهم كل يوم الى طبيب ـ اذ انه لا يوجد دواء لمثل هذه الحالة ، وفى الحالات النادرة التى تستمر اكثر مما يجب ويكون الثدى متضخما ويؤثر على نفسية الرجل تجرى له عملية تجميل ويزال الجزء المتضخم من الثدى ٠ ■■

• قصة قصيرة •

الكل باطل من جديد

بقلم : فاروق خورشيد

ـ مات أبى ...

كنت أحسب أننى ساكف عن الكتابة حين يموت .. ولكنى لا زلت أكتب كانه يعيش .. كنت أوهم نفسى أننى أكتب له .. ولكنه لن يقرأ أبدا بعد أن مات حرفا .. ومع هذا ما زلت أكتب كأننى أكتب له ..

واذكر لحظة شخصت عيناه ففقدتا الرؤية .. وصمت وبكيت وبكى حولى أهلى واخوتى وصاحوا ولطموا وصرخوا وأنا أقول :

ـ لا .. اسمعنى .. أرجوك حاول أن تسمعنى ..

ولكنه كان قد مات ..

ولم يسمع أبدا .. فقط تنفس جسده وخرج كل شهيق فيـه ، وعرفت ساعتها ، وساعـة أن تطلعت الى عينيه فمددت اصبعى اطبقهما فى صمت .. انه قد مات .. وانه لن يسمعنى ، ومع انى عرفت صحت فيه :

ـ أبى .. أبى انتظر هناك كلمات لم أقلها .. أبى ، هناك حديث طويل لم أكتبه ..

انتظر .. انتظر ..

ولكنه كان قد مضى ومات ..

ووقفت الكلمات فـى حلقى ، ماتت هـى الاخرى وتعفنت .. ولم تخرج الى الناس ، ولم تخرج الى سن القلم .. فقط ماتت وتعفنت ..

وقل لى ، ما فائدة الكلمات سواء قلتها ، أو اعطيتها لسن القلم ليدونها ان لم يكن هناك من يفهم ويشعر وينفعل .. ولم يكن فى حياتى من يفهم كلماتى ويحس بها وينفعل لها ويقول رأيه فيها سوى أبى ، وأبى كما قلت لك مات ، فقط تنهد وتاهت عيناه وهمس :

ـ أريد أن استريح ...

ثم عرقت جبهته ونزف جسده كله كل ما فيه من عرق وماء وعصارة ثم مات ..

ووقفت مشدوها أمامه كالابله لا أعرف ما أقول .. تاهت الكلمات وباخت وتركت مكانها للدموع، تتسكب وتنسكب فى نظام رتيب مؤسف حزين ،كأنه الموت ..

ولانه مات لم أف بالتزام الكتابة فخرجت صفحة الجريدة بلا عمل لى ، ولانه مات لم أذهب الى الوزارة ، وجاءت تأشيرة المدير مدينة لى ..

ولانه مات لم استطع أن اقترب من امرأتى ، وحين نظرت فى عينيها عرفت أننى فقدتها وانها لم تعد فى ولاء لى ..

ولانه مات ،سرت فى الطريق بعد الجنازة لاأعرف مكانا ، لا أعرف انسانا ، لا أعرف معنى ، لا أعرف شيئا انتمى له أو ينتمى هو لى .. فقد مات أبى ..

ومن موته عرفت معنى الموت ..

من موته عرفت معنى أن يلفظ الجسم عصارته وماءه ووجوده كله ليغدو كالخشب المسند ، كالجماد الاصم ، كالصمت البائس الحزين ..

وقال الناس كلمات كثيرة ولكنها جاءتني هامسة ٠٠

ـ انت تعيس اعرف ، هل امكث معك بعض الوقت ٠٠

ولم اجب ،في النهار جاء صديق بعربته وولديه، وقال :

ـ هذا ياحسن وياحسين ، هذا عمكما قدما له فروض العزاء ، واعرفا قدره فهو عمكما ٠٠

واحنى الولدان راسيهما ، ومد الصديق يده في همة قوية مليئة بالعواطف ورسالات الحب والمواساة ٠٠ ثم حملني في عربته وراء عربة الموتى الى المدافن ، وحضر الدفن والعزاء ، وولداه كل منهما ينظر الى الاخر ويبتسم في شقاوة وعبث ، وبكيت دمي امام القبر ، ثم حملني في عربته الى بيتي، وقال :

ـ لا تتركني اذهب ، انما جئت لاراك واعزيك ٠٠ ما اباسك ايها الصديق ، وما اباس امراة لا تستطيع ان تعزيك ٠٠٠

وقال الصديق وهو يمضي :

ـ كنت اود ان ارافقك غير هذا الموقف ، ولكن ٠٠ لا باس ، اتحب ان اوصلك الى مكان اخر ، فعربتي تحت امرك ٠٠

وضحك الولدان ، ودار في راسي ضفدع ينق ، والحفارون يهيلون التراب ، واربعة يصيحون كالقدر المخيف ٠٠

ـ ياعبد الله ٠٠ ياعبد الله ٠٠ ان جاءك ملكان ٠٠ وددت لو قتلتهما ، لو قتلت صاحب المعول ، لو قتلت الصائح وسط الجمع ٠٠ لو قتلت نبض فؤادي يصرخ داويا ليعلو فوق الجميع ،لو قتلت هذه الذبابة الملعونة الكبيرة الصاخبة الدوارة حول القبر ٠٠ غدا تضع حملها فوق عين ابي ، وغدا يفقس بيضها فوق جلد ابي ٠٠

يا تعسا٠٠انت ضعت يا ابي ٠٠والتراب والدود، والملائكة والعذاب ، والتعاسة ووجهك اصم لا يعي حرفا من كل هذا العبث ٠٠ وجهك شمعي باسم كانه نقش فوق تابوت فرعوني عتيق ٠٠ كانما يسخر من كل النهاية وكل التعاسة ٠٠ وكل العبث ٠٠

ولكن ابي ، انت ضعت ،وانا اموت الى جوارك، ويحي لو تضمني ذراعاك واموت ، لو استكين الى قبلة شفتيك المصمتتين ، لو اسمع همسك المقتول الصامت المصمت الاصم ٠٠ لو ٠٠ لو ٠٠ لو ٠٠

عدت طفلا ابكي ،فارحم بكائي كما رحمته دائما، وارفع راسي الى عينيك وابتسم ٠٠ انني اجيء ٠٠

ولكن لا شيء الاالعينين المغلقتين والوجه الشمعي والبسمة المصمتة وانا وحيد ـ وانت ضعت وهي قالت : .

ـ لست املك عزاء لك الا ان اجيء فهل يضايقك انني اجيء ٠٠

ياعذراء ٠٠ ياحب ٠٠ ياكلمات ٠٠ يانت ٠٠من انا الى جوار عطائك ، من انا وانت هنا تقولين الحب وتمنحين القراء العزاء ، وتحكين عن المعنى الذي ضاع ٠٠

ونظرت الى عينيه ، ولم افهم ٠٠ اما زال في عالمنا كل هذا الود ، كل هذا الصفاء ، كل هذا الحب ٠٠ وكيف ؟ ٠٠الا تعرفين ٠٠٠ ليس فينا الا عصارات ، ابي افرغها كلها وغدا جسده بلا شيء فيه الا الجلد والعظام والعضلات ، كل مافيه افرغه ،كالوعاء المفتوح من طرفيه ، كل الحياة والوجود ،ومعهما كل الاحلام وكل الحكايات القديمة، وكل قصص الحب التي عاشها ، وكل الرغبات الخرساء العاتية ، اعرف انه حقق في حياته كل الرغبات الخرساء المصمتة ، لم يترك رغبة الا واستجاب لها ، ومع هذا ها هو امامي وعاء مفرغا، كل العصارات تنزل ، وتنزل وتنزل ٠٠ وانا اذوب واذوب ٠٠

وهو مات ٠٠ وانا اموت ٠٠قلت له منذ أسبوع.

ـ احب ان ادعوك الى اكلة جنبري ٠٠٠

وقال :

ـ وانا احب الجنبري ٠٠

ثم سكت ، وارتفعت يده اليمنى ثم هبطت على الفراش في عجز ، وساعتها بكيت دم قلبي ، وسكت ٠٠٠

وقال اخي في براءة واهتمام :

ـ انت تعرف ، هو ممنوع من كل هذا النوع من الطعام ... فضغطه ..

وسكت ، ونظرت في عينيه ، فغض من بصره ، واطرق ، وسكت انا .. وتقلص قلبي في مرارة وقال ابي :

ـ ساخرج معك ، يوما ساخرج معك .. فانا احب جلستك ، وانا اعرف اين تقضي سهرتك ..

وسعل واحمر وجهه واحتقن ، ثم اشار بيده فاعطيته كوب الماء ، وشرب ، وهمس :

ـ نسيت طعم الجنبرى ...

وطعنني رمح في قلبي وادماه .. واسكت دمعي فلم يسل ، ولكن اخي احمر وجهه واحمرت عيناه واجهش وخرج صارخا يبكيقلبه خارج غرفة الرجل المحتضر ..

وحاولت ليلتها ان اكتب ، واستعصت علي الكلمات وحين جاءت كانت ساذجة غبية بريئة ، كلها صراخ ، كلها انفعال وبكاء ، كلها حبللرجل المحتضر ، وما انجس الكلمات الصريحة ، كل الكلمات الصريحة ملقاة علىالارض تدوسهاالاقدام فتغوص في التراب ، وياكلها الدود ونموت .. ثم يجيء اليها الملكان ويقولان :

ـ ياكلمات ، هل انت خيرة ام انت شريرة ؟.. اياك ان تكذبي ياكلمات فمنذ البدء ونحن على يمينك وشمالك نعصي عليك الحسنات والسيئات والكذب لن يجديك نفعا ، قولي ياكلمات ، هل انت خيرة أم انت شريرة ؟ ..

وتلتفت الى الكلمات بوجهها الكالح المهزوم التعس وتهمس في ضعف الخائف المذعور :

ـ تعال انت واجب ، ..

وكيف اجيب ؟ .. لا اعرف كيف اجيب ، فقط امسك الورق فامزقه ، فتصرخ الكلمات وهي تتمزق وتضيع وتتناثر حروفها وتتداخل ، ولايجد الملكان ما يحاسبان .. ووسط صراخ الحروفالتي تلعنني حين امزقها اسمع صوت ابي الواهن يقول:

ـ فقط لا تنس نصيحتي لك ، اياك ، اياك ، اياك ان تخون الكلمات ، يابني ، انت ارتضيت لنفسك هذا الطريق ، طريق الكلمات ، ومن خانه سقط ، ولست اريدك ان تسقط .. ويسعل ، ويشهق ، ثم يهمس :

ـ وانا لا اريدك ابدا ان تخون ..

واسكت ، ويسكت اخي وتنوح امي وينقل بيننا بصرا كليلا ويتنهد ثم يهمس من جديد :

ـ ارم كلماتي في الارض فانا عجوز مخرف ، انس كل ما قلته لك ، الان وامس واول امس ،

اتذكر اول يوم جئت بك فيه الى القاهرة .. واطرقت وفي عيني دموع ، وعادت الى خيالي ذكريات ذلك اليوم ..

كنا نركب تراما من باب الحديد ، وكان الترام يسير ببطء قاتل .. والكمسارى يخبط فوق خشبته وهو ينط من صف الى صف من الجالسين في الترام ويصيح :

ـ تذاكر .. تذاكر ..

وأمامنا امراة تلف جسدها في ملاءة سوداء وفي عينيها صراخ رهيب يتحاشاه ابي بالنظر الى الناحية الاخرى ،وهو يضرب باصابعه فوق العقائب الململمة عند اقدامنا ويقول فيوقار ،وعيناه تحاولان الابتعاد عن عيني المراة :

ـ اسمع ...

ياتعاستي ، كم كان صوته قويا وجهوريا ومليئا بالرجولة والشباب ..

وحيوية عارمة ادركتها رغم شبابي الغض في نظرات المراة المتاققة تكاد تاكله اكلا :

ـ اسمع .. لقد علمتك ان تحب وان تنسى ، وان تغفر وان تعطي العالم كل ما في قلبك من حب وصدق وعطاء .. اسمع انا اقول لك الان..

وينفض رماد سيجارته ، ويتجاهل من جديد نظرة المراة المحدقة في وجهه ، وصياح بائع نفز الى جانب الترام ..

ـ انس كل ماعلمتك ، نعم انس كل ما علمتك، هذه المدينة غابة .. نعم غابة .. وتمصمص المراة شفتيها الغليظتين وتكشف الملاءة السوداء عن كتف ابيض معمر ثم عن ذراع بض يترجرج مع حركة الترام ، ويقول الكمسارى :

ـ تذاكر .. تذاكر ...

وعيناه عند الذراع الابيض الممتد .. والمراة تهتز فتنزاح الملاءة عن كتفها كله وهي تقول في ود ودلال :

ـ تذاكر ، تذاكر ، اليس لك من طلب الا التذاكر يا افندي ؟ ..

وذاب الكمسارى وضاع ‥ وقال :

ـ ابدا يا هانم ‥ نحن فى الخدمه ‥تذاكر او لا تذاكر انت هانم وست الهوانم ‥ وابتسم ابى ، وضحكت المراة ضحكة سبقت الترام اميالا واميالا ‥وقال ابى فى وقار :

ـ الست تعرف ، هو عالم من ناب وظفر ،وان لم تتذاب اكلتك الذئاب ...

واطرقت براسي ودوى الترام يملأ الجو حولى وصليل جريه ودقات الكمسارى على الخشبة فى يده تضم مجموعات التذاكر ‥ وصياح راديو من محل نمر به ، وبائع يصرخ باعلى صوته :

ـ مشابك ومناديل ، واحجار للولاعة وامشاط ‥ امشاط ‥ امشاط ‥

وعاد ابى يقول والترام يزيق فوق القضبان الصدئة ‥

ـ قلت لك انس ، كل ما علمته لك ، انس كل شيء ، انس كل الكلام الفارغ الذى ملات راسك به ‥

وقلت محتارا ضائعا :

ـولكن ياأبى ‥ انت علمتنى الصدق والوفاء والامانة والعطاء ‥ فهل تريدنى ان أنسى كل هذا ‥

وتدخلت المراة الحلوة ، وجهها كطبق القشدة ، كفلقة القمر . ماذا تريدنى ان اقول ، هذه تشبيهات هذا العصر ‥ قالت :

ـ اسمع كلام ابيك فهو يعرف ما يقول ‥

وضحكت ، وجلجلت ضحكتها وملأت الترام ، والشارع والدنيا كلها ، طويلة ممدودة حلوة وقال أبى :

ـ اسمع ما اقوله لك . الحياة غريبة ، وأنت فيها غريب . فلا تدع لغريب اكبر منك عنادا ان يأكلك . افهمت ‥

وحقيقة ، ساعتها لم افهم ، نعم ، لم افهم شيئا ، ولكنى كنت ولدا ربيت على الادب واحترام الوالد وما الى كل ذلك من اشياء .

فخفضت راسى وقلت :

ـ أمرك ياأبى ‥

وعادت ضحكة المراة تجلجل وتملا الترام كله ‥ وكانت ضحكتها تنتهى نهاية غريبة لم افهمها ، ولكنه كان يكفى لان يهز الكمسارى طربوشه فى طرب ، وان يضرب ابى أصابعه فوق العقائب تحت اقدامنا فى رتابة وهو يقول :

ـ ارجو ان تكون فهمت ما اريد ان اقوله لك ‥ فمنذ الان انت رجل ، الست طالبا فى الجامعة ، الست تكتب كلاما فى الجرائد . الست مسئولا عما تقول ، اذن افهم ما قلته لك ‥

ووقف الترام ، وصعد قوم ونزل قوم ، وضحكت المراة ، والكمسارى ابتعد ، ونصفها الاعلى كله اصبح عاريا لا شيء يغطيه . ما احلى الثراء . حقا ما احلى ان يكون امامك شيء لا ثمن له لعم حقيقى ينضح بالرغبة والنداء والعطاء ‥ وقال أبى :

ـ تنزلبالعقائب فىالمحطة القادمة فهىمحطتنا‥

ـ وانت ‥

ـ لا ، انا امامى مشوار آخر ، فانزل انت ‥ وضحكت المراة ضحكة زغردت فى الترام كله . فى الشارع كله ، فى الحى كله ، وقالت :

ـ انزل انت ، الم تفهم ما قال أبوك ‥ انت تنزل وهو وراءه مشوار ‥

لست أدرى لماذا كانت كلمة مشوار هذه داوية غريبة عنيفة ، ملات وجودى ونفسى ‥ ولم افهم ‥ كنت غبيا فلم افهم ‥

ونزلت ‥ واكمل هو المشوار ‥ وذلك ما كان فى ذلك اليوم ، وافقت من خيالى فاذا المراة امامى وفى عينيها غلالة من دمع وهى تقول :

ـ أردت أن أعزيك فجئت ، فقد سمعت من كل أصحابك انك تحبه حبا جارفا وأعرف مصابك فيه. فجئت ‥ كانت كالحلم ، كالاسطورة القديمة المعطرة باحلام أجيال واجيال ‥عريانة بجسدها الرائع المشوق وشعرها مفروش فوق وسادتى . وانا حانر ، فى قلبى اسى ، وفى نفسى غصة وفى عينى دموع ‥ وهمست :

ـ اعذرنى ، ليس لدى ما اقدمه لك الا انا‥ وانا الان ملكك انا هنا ‥ انا معك ‥

انس للعظات كل هذا اليوم البغيض وتذكر اننى كلى امامك ‥ معك ‥ ملكك ‥

وقلت متحشرج الكلمات متعثر العروف والصوت.

ـ أحبك ‥ نعم احبك ‥ لان ‥ لان ‥لانك ‥ وسكت ‥

وضحكت وهى تزيح الدموع من عينيها وتقول:

ـ تعال اجلس جانبى واحك لى ‥

بيده ويضم با ... البنتين . في عينيهما ذعر مقيت ويقول ... الهادىء :

ـ هم بعيدون ... حينا من اهداف لا شيء .. لا تخشو ... عسكرية لا علاقة لها بنا .. والانوار ... شيء مظلم .. مظلم .. وكاننا في قبر ... واجساد .. ويرتفع صوت المعلم احمد ساكر ... تتجمع الكل امام بابها صائحا في صوت ...

ـ اذكروا الله ..

ويهمس ابي وهو يضم أخي بيد وكانت اختي باليد الاخرى :

ـ لا اله الا الله ...

ويعود المعلم احمد بصوته المرتعش يصرخ في هزال :

ـ وحدوه ..

ويصرخ ابي فيه في ثورة مفاجئة :

ـ اسكت .. انت تخيف الاطفال .

ونرتعش كلنا ونصمت ، حتى المعلم احمد يصمت ولا ينطق ويبصر نورا هزيلا ، ويصيح أبي ..

ـ اطفئوا النور .. ما هذا .. من المجنون الذي يضيء النور وقت الغارة ؟ ..

ويقول صوت رقيق مهذب :

ـ يا بك ، انا مراقب الغارات ..

ثم يضحك ضحكة خفيفة .. وفي ... البطارية الهزيل نرى وجه الشاب الضاحك وفوق الرأس خوذة وعند الكتف يتدلى قناع الغازات .. ويهمس ابي في رقة :

ـ أخفتنا يا رشاد .. فهذا النور في السماء يبدو كالكلوب ..

ويصيح المعلم احمد :

ـ اطفئوا البطارية ، اطفئوا البطارية ..

ويضحك رشاد ويقول في زهو الشباب .

ـ لا شيء .. الغارة بعيدة .. ولن يراسا أحد .. فقط اطمئنوا ..

وصوته كالهمس .. كالظلام حولنا .. كالفحيح من صدر المعلم ، وكالكلمات المستترة من فم أبي وهو يقول :

ـ اطفيء البطارية ، أثابك الله ...

في الصباح ودعناه .. ففغر القبر فاه ثم احتواه .. الحفارون جاءوا من كل صوب .. جاءوا من اقاصي الارض ، كل يحمل معوله والى جواره قمىء اعمى مهترىء الوجه يتلو ما حفظه مختلطا بما نسيه ، ودفنوا الارض ، وحفروها وازاحوا احجارا ففغر القبر فاه ، ثم احتواه .. رأسه ولا ثم الصدر ثم غاب في القبر .. وتعالى صراخ ولم أعد أراه .. سحابات الشمال كلها تملأ الارض والسماء والقبر ووجوه الناس .. واصوات مختلطة بلا معنى ، وصيحات مسعورة وبوق سيارة من بعيد ، وانهار السيل وسد القبر فاه بالتراب ، امتلأ فمه بالتراب وانهال السيل يغشى كل رؤية .. يمنع عن عيني كل شيء .. واقلعت الطائرة بالدوى في اذني ، رغم القطن الذي أسد به اذني .. ولا شيء من نافذة الطائرة الا الضباب .. وارتج وارتج ثم الفع .. ويقول اخي :

ـ كفى .. هيا بنا .. لم يعد هناك شيء .. كل شيء انتهى ..

ومن خلال الضباب تلوح امامي بوزتان حمراوان في لون الدم .. كاننا قد نزلنا معه الى القبر .. يا تعسة ..

ـ أحدنا كان لا بد ان ينزل معه ، وشئت ان اخبرك هذا فنزلت انا ..

وهنا عادت الى خيالي احداث ليلة طال بها العهد ، فاذا دوى الطائرة في اذني وصفارات الانذار من غارة جوية ونحن نهرع الى الدور السفلي في المنزل ، وابي يصحبنا ، وهو يضم اخي

وتنفجر قنبلة ثم تدوى مدافع يمزق صـــوت انطلاقها كل سكون ويرج الارض رجا ، ويصرخ المعلم فى صوت مبحوح :

ـ اقتربوا منا ٠٠

ويقول رشاد فى صوته الشاب الهادىء المطمئن:

ـ ابدا ، هذه مدفعيتنا ٠٠

وقال ابى فى دهشة :

ـ مدفعيتنا ؟ ٠٠

ـ نعم فلنا مدفعية رائعة فى (حى الظاهر) فى الحديقة عند الميدان لا تضرب الا وتصيب . كل طلقة بطائرة . حتى الانجليز شهدوا لرجالها بالدقة فى الاصابة ٠٠

ودوت الطلقات من جديد ، قريبة جدا هذه المرة ، وصاح صوت فى الظلام :

ـ استر يا رب استر ٠٠

واهتز البيت العتيق من اساسه وصـــاحت البنتان ٠٠ وصرخت امراة وتعالى ضجيج مـــن العارة ٠٠ وصاح المعلم وهو يلطم خدبه :

ـ سيقع البيت فوق رؤوسنا ونموت ، نعـــم سنموت ، مؤكد سنموت ٠٠

وقال ابى فى صوت غاضب :

ـ قـال الله خير من فالـك ايهـا الرجـــل النحس ٠٠

ومضى هذا الرجل ٠٠ مات من زمن ٠٠ نعم مات قبل ابى بزمن طويل ، انتفخت بطنه ، وعلت ، ورقد فوق السرير ذى الاعمدة النحاسية وسط المندرة ، والناس تدخل وتخرج وهـــو فقط ينتفخ ، ثم مات ٠٠

ليلتها ، بعد الغارة ، جلس وسطنا فـــى فناء البيت وقد اضىء النور كله فى ثقة واعتزاز يقول :

ـ هؤلاء اولاد الحاج محمد هتلر لا يضـــربون المصريين ابدا . هم يعرفون اين الانجليز ، وهـــم يصوبون بدقة ولن يضربوا سوى الانجليـــز وحدهم ٠٠ انهم يصطادونهم من وسط المصريين اصطيادا هل تعرف يا بك ان ٠٠٠

وعاد ابى يصرخ وهو يربت على شعر اختى الكبرى بيد ، ويده الاخرى تمر على وجنتى اخى الطفل :

ـ الا تستطيع ان تسكت يا معلم ، من يسمعك

الان لا يعرف صوت صراخك الخائف المجنون منذ لحظة ، اسكت اكرمك الله ٠٠

ـ لكن يا بك ٠٠

ـ هل جعلت من هتلر حاجا ، ومن جنوده اخوة لك ،انت حر ياخى ولكن ارجوك الاولاد لا يحتملون صوتك بعد كل ما مر بهم الليلة ٠٠

ووقف وكرشه امامه يهتز ونظرات الصقر عادت الى عينيه وهو يتمتم لكل من حوله فى صـــوت خفيض ولكن يصل الى سمع الكل :

ـ البك لا يفهمنى ، ولا يصدقنى ، مساكـين الافندية ، ماذا يعرفون عن السياسة ، هـــذه اشياء لا يعرفها الا اولاد البلد ٠٠ امثالنا ٠٠

ويوم مات مشت العارة كلها فى جنازته ، بل لقد جاء المعلمون والفتوات من كل الحوارى الاخرى فى الحى كله ٠٠ وباعت زوجته الاسورتين والنحاس لتؤجر مقرئا مشهورا يقرأ القرآن فى الصوان امام العارة ٠٠

وقال ابى :

ـ مجنونة ٠٠

وقالت امى :

ـ ألم يكن رجلها ، هذا اقل ما تفعل من اجله، لقد كان معلما كبيرا له اسمه ومكانته ، ايروح هدرا ٠٠

ثم مصمصت شفتيها وذوت مـا بين حاجبيهـا ونظرت فى استنكار مكتوم الى وجه ابى الذى احمر ضيقا وغضبا ٠٠ وامس فى المساء كانت تجلس الى جواره فوق السرير وجسدها كلـــه يهتز فى نواح صامت ، والرجل ما زال يحرك عينيه وما زال يرى ، ونظر الى وانا ادخـــل الحجرة ، وفهمت ٠٠ وصعت فيها ان تخرج ، وخرجت ، وهمس وانا وهو وحدنا :

ـ اريد ان استريح .. لم نظر بعيدا. ولم يعد ينظر الى، ابدا من لحظتها لم ينظر الى شيء ، دقائق اهتز فيها صدره وتندى العرق الغزير عن جبينه ، والصمت يطبق استاره فوق الغرفة ، وطائر مخيف يرفرف بجناحيه حولنا ، وانا امد يدى بالفوطة المبللة على جبينه ثم على وجهه وتحرك الجلد معى ونظرت فى عينيه ثم مددت الفوطة تتلقى عصارة حياته تنداح من فمه ، وسكت انا وهمست :

ـ وداعا .. سالقاك فى القريب ثم ...

ثم رفعت الملاءة فوق وجهه وبكيت .. ثم بكيت .. ثم بكيت ..

ولمن اكتب اذن ، لمن اكتب الان .. ولمن .. لمن اصارع الحياة ، لمن ، لمن اذن ، وبكيت .. وبكيت ..

ودخل اخى فرأى وفهم ، ومد يده يرفع الملاءة عن الوجه الباسم الشمعى وبللت دموعه الجبهة الشماء .. ثم خرج ..

وارتفع العويل ، وامتلات الحجرة .. وصمت من جديد ..

ـ لمن ساكتب .. مات .. مات ..

وكفت امى عن صراخها واقتربت ووضعت يدها على كتفى وهمست فى صوت واضح جلى:

ـ له .. ايضا .. نعم له .. لم يكن يحب ان يقرأ الا لك ، الا تكتب له ليقرأ ، انا ساقرأ له هناك .. عند قبره ، ساقرأ له كل حرف تكتبه ..

وتحول الى قبر ؟ نعم .. تحول ابى الى قبر وشاهد وتراب وقراء كلمات الله ، وباعة الغوص والورد الذابل والعرق والنساء يلبسن السواد وبائع الحلوى يمر بين القبور صائحا :

ـ حلاوة زمان يا ولد ، عصفور حصان للمولد ..

ودفنت وجهى فى صدرى وبكيت ..

وازاحت المرأة شعرها عن وجهى ورأسى وقالت :

ـ اتبكى ؟

وقلت :

ـ لا .. ابدا .. انما حزنى كرمك ..

وانداح عطرها يغطينى كلى ، واحسست دموعها فوق جبهتى فنظرت فى عينيها ..

ابدا لم ار هذا الصفاء الرقيق الحانى .. كانما انظر الى بحيرتين من تبر تتموجان بحنان وخفة وفهم عميق سخى معطاء وقبلتنى ثم همست:

ـ اتعرف ..

وفاح منها عطر غريب ، عطر الانثى تتفتح ، عطر الارض تعطى كل ما عندها :

ـ اتعرف .. هذا الصباح سمعت بمصرع شاب اعرفه ، قتله رصاص الغدر ومات ، وقرات الخبر اليوم .. اتعرف انا لم ابك عليه ... كان كالسنديانة الشامخة ، ماذا اقول لك ، كان الحياة نفسها .. اندفاعا .. وتدفقا ووجودا ثريا يثرى كل ما حوله ، كل من يحتكون به .. كل من يعرفونه .. كل من فهموه .. ورصاصات ثم مات .. وضاع .. نزف دماءه فوق الرمال الضائعة ومات ..

وبدات دموعها تتدفق من عينيها وبللت وجهى وصدرى وامتزجت بدموعى العاجزة المسكينة ومدت يدى فاحتويتها الى صدرى وساد الصمت..

وارتفع فى جو الحجرة عطر عبق ، أهو شعرها .. أهو جسدها ؟ .. ولكن .. هذا الجسم وخلصت نفسى ونظرت اليه كانه فارع رهيب .. بلا خطا واحد ، بلا غلطة ، كانما سوى كمال الالهة .. وغص حلقى بمعنى رهيب .. ماذا لو ان هذا الجسد تسجى كفيره كجسد احببته ، وامى الى جواره تصرخ بصوت مكتوم وفمها مفتوح فى صمت وأصرخ :

ـ اخرجى ..

فتخرج .. ثم ينظر الى عينى ويقول :

ـ اريد ان أستريح ..

ثم يصمت الى الابد .. ويندلق من الجسد كل ما فيه .. ينضح بكل حياة فيه .. تخرج كل حياة فيه .. وقالت صاحبتى :

ـ ضمنى .. قبلنى .. مزقنى .. اريد ان اضيع الان .. لست اعرفك .. ولن اعرفك بعد الان .. فقط كلمنى بعنف ومزقنى باسنانك ..

ثم همست :

ـ ثم اكون سطرا بين كلماتك ..

وسكتت هى ، ونسيت انا كل شيء .. كان عطرها يحيط كل شيء ، ينبعث من كل خلية .

يفرؤها كل المسام .. وانا مغلف بعطر غريب حلو ، وشعرها يغطي عيني ورامي وانفي ووجودي .. وقالت :

ـ كفى ...

وهمست وانا ضائع فيها لا ادري .. الا انني ابكي واعرق .. واضيع بين عطر أشمه وعطر أجده .. وعطر يعبق من جديد ..

ـ كفى ماذا ؟

ولم تتكلم وانما تاوهت وقالت :

ـ افعل ما تريد ..

وحين انطلق من قفصه . نسي كل سنوات الاسر .. أو تذكر كل سنوات الاسر فمضى يمد نابه وظفره حيث يحب ان ينهس ، ان يقضم .. ان يموت ويميت .. ما أحلى طعم الدم .. الدم .. نعم الدم .. والموتى لا ينزفون الدم .. الاحياء وحدهم ينزفون الدم .. فهو سائل الحياة .. وعطر الحياه ومعنى الحياة ..

وصرخت :

ـ اه جرحتني ..

كان صوتها همسا مستكينا ، متألما مستعذبا كل ألم ..

اجرحني مرة اخرى .. أريد ان اموت ، لست اريد أن أعيش ، أتعرف . قلت لك انه مات من احببته العمر كله . ملك جسدي وكياني يعلني مليكة حياته ، مات أمس ، ودفن في صحف الصباح بسطر أو سطرين ، باهتين ، ونزف دمه وحيدا في الصحراء . يا كم كنت اود أن أكون الى جانبه اعطيه دمي بدلا من دمه ، أو امتص دمه الضائع لاحتويه كله في داخلي ..

وصرخ في داخلي ذئب ونسيت وذقت الدم ، آه لو استطيع ان اعيده في شرايينه من جديد ، تخشبت وغدت اشياء زرقاء .. كالخيوط .. ثم باهتة لالون لها ثم اختفت وسط اللحم الاحمر السمعي .. وتاوهت وقالت :

ـ اريد ان أنام ..

وكنت قد نمت ..

وكان أبي يقول وسط الشارع وصليل الترام وخبط الكمسارى على خشبته المصمتة وضحكات المرأة صاحبة الملاءة التي انزاحت عن كتفها الناصع الوردي كله :

ـ انس كل ما علمته لك ، لا تسامح ، لا اخلاق ، لا كرم .. كن ذئبا بين الذئاب .. وهمست وانا ابكي ، دموعي تبلل جسدها الوساده والسرير الاثيث :

ـ تاخرت نصيحتك يا ابي .. تاخرت نصيحتك ..

وقال :

ـ هات يدك ..

ابدا كانت يدي بعيده .. وأريج جسدها الطري كله وهي تزيح عرقا عن جبهتي وعادت تقول :

ـ قلت هات فمك ..

واين أنا .. ضعت .. اتسمع ، انت انتعتني يا أبي يوم مت .. يوم تركتني بلا ناب ولا ظفر .. يوم رحلت دون وداع .. وقالت :

ـ حبيبي كان شجرة سنديان .. كان نبت صبار وسط الصحراء ، كان بسمة حب ، كان اغنية لا يغنيها الا العذارى ..

ثم التفتت الى وقالت :

ـ اذهب الى الجنازة وعد ، ستجدني هنا عارية ، كما أنا ، انتظرك .

أبدا ، ألف يد امتدت الى يدي ، والف دراع هزت كتفي والقراء قالوا وقالوا .. والاصدقاء همسوا بكلمات كثيرة متشابكه .. متشابهة .. وعدت ..

أبدا .. لم تكن هناك .. فقط ورقة تقول :

ـ ساذهب ، لن تراني .. يا عزائي ، ليلة حب واحدة ..

وهل نحن الا ابناء ليلة حب واحدة .. يا عزائي .. أنت لم تعش هذه الليلة من الحب ، كانت ليلتك الاولى في حضن التراب والوحدة والقبر المخيف ، يا تعسا يا أبي ..

لمن أكتب بعد أن ذهبت .. لمن اكتب؟؟..

فاروق خورشيد

BREVE HISTORIA
DE LA ESCLAVITUD
EN AMERICA LATINA

... متوقف نظري انذاك حي انيق التخطيط ... مباني جميل الموقع على الساحل ذي الرمال البيضاء التي تبدو من ورائها زرقة البحر الصافية • على ان الذي اثار دهشتي لم يكن جمال الحي ولا روعة منظر الشاطيء ، وانما اسمه الغريب : « Vedado » ومعناه «ممنوع» او « محظور » • واذكر انني سالت مرافقتي الكوبية عن سر هذا الاسم غير المالوف ، فكان مما اجابتني به : ـ نعم ••• فهذا الحي الضخم يدين باسمه لحقيقة ظلت واقعا مؤلما حتى سنوات قليلة مضت . فقد كان يحظر على الملونين دخوله ، وكانت تقوم على « بلاجاته » الراقية لافتات تقول : « ممنوع دخول الكلاب •••• والزنوج ! » •

تذكرت هذا الحديث وانا اقرأ الكتاب الذي الفه الباحث الكوبي رولاندو ميافي Rolando Mellafe بعنوان « تاريخ الرق الاسود في امريكا اللاتينية» وصدرت طبعته الاولى في المكسيك سنة ١٩٧٤•وهو كتاب جدير حقا بان يقرأ ، اذ انه يطلعنا على من أهم جوانب الحياة في قارة امريكااللاتينية التي اصبحت شريكة لعالمنا الثالث في الامالوالالام ويعيننا على فهم عنصر رئيسي من عناصر تكوينها الاجتماعي والحضاري •

فامريكا اللاتينية من ناحية الجغرافية البشرية بمثابة لوحةهائلة منمجموعة قطعمن الفسيفساء البشرية • اذ تتالف من مجموعات تنتمي الىاجناس متباينة فيما بينها كل التباين • واذا كانتشعوب اقطار القارة تبدو متجانسة قد اندمجت عناصرها فان بعضها الاخر مازال حتى اليومبعيدا عن التجانس • وفي هذه الصورة المضطربة الموصوية نلاحظ ان ظاهرة الرق الاسود كانت دائما من العوامل ذات الاثر العميق في تطور مجتمعات امريكا اللاتينية • ولهذا فان دراسة الرق الاسود في هذه المجتمعات امر ضروري لفهم تاريخها الحضاري والاجتماعي والثقافي •

مبادىء الرق في امريكا

في ١٢ اكتوبر سنة ١٤٩٢ وصلت السفن الثلاث التي كانت تحمل كرستوفر كولومبسورجاله الى اول ارض يابسة في القارة الامريكية ، وكانت هذه الارض جزيرة صغيرة من جزر البحر الكاريبي ومنها توجهت الحملة الى جزيرة لااسبانيولا (جزيرة هايتي الان) وهي التياصبحت بعد ذلك مركزا لفتح ماحولها من الجزر والاراضي الامريكية •

والواقع ان استجلاب الرقيق الاسود الى ارض العالم الجديد لم يتاخر كثيرا بعد حملة الكشف الاولى • ولم تكن الارض المكتشفة من القارة الامريكية خلال السنوات الاولى تتجاوز جزر البحر الكاريبي وقطعا قليلة من سواحل القارة • وكان الرق في العالم القديم نظاما اجتماعيا واقتصاديا معروفا منذ العصور القديمة . الا انه في اواخر العصور الوسطى كانت الشيخوخة قد دبت فيه ، على أن الفتح الامريكي اصبح بمثابة اجراء دماء جديدة في عروق هذا النظام • وكان مما اعان على ذلك النظام الاستغلالي الذي وضعته الدولتان المستعمرتان الاوليان للقارة الامريكية ، وهما اسبانيا والبرتغال • اذ لم تنظر سلطات البلدين الى اراضي العالم الجديد الا على انها مورد للاثراء السريع القائم على استخراج الذهب والفضة والمعادن الثمينة او استغلال الارض في منتجات زراعية جديدة • وكان الامران يحتاجان بطبيعة الحال الى عدد كبير من الايدي العاملة •

وكان القرن الخامس عشر الذي تم في نهايته كشف العالم الامريكي قد شهد اتجاها توسعيا من دولتي شبه جزيرة ايبريا : اسبانيا والبرتغال في القارة الافريقية •وبدا ذلك باستيلاء اسبانيا على جزر كنارياس (جزائر السعادة كما سماها العرب) والبرتغال على الجزائر الزرق (الازوريس) واصبحت هذه الجزر قاعدة للتوثب على سواحل القارة الافريقية وبدات المغامرة البرتغالية ـ بدافع من التعصب الصليبي ـ بمهاجمة اراضي الاسلام في المغرب العربي ، ولكن الهزيمةالساحقة التي اوقعها بهم سلطان المغرب في وادي المخازن سنة ١٥٧٨ ادت الى صرفهم عن الشمال الافريقي فاتجهوا الى السواحل الافريقية الواقعة الى الجنوب ، واغراهم غنى هذه البلاد وضعفشعوبها بالالحاح علىغزوها •و «انفتحت شهية» البرتغاليين الاستعمارية على نحو مسعور ، فاقبلوا ينشئون على طول سواحل افريقيا الغربية وما تلاها الى الجنوب مراكز تجارية وعسكرية حاولوا النفوذ منها الى داخل القارة • وهكذا نرى التوسع في القارتين الافريقية والامريكية سير في خطين

متوازيين وبتوقيت واحد على وجه التقريب على طول القرن السادس عشر .

صدام مع الهنود

اما الفتح الاسباني والبرتغالي في امريكا فقد اصطدم في الارض الجديدة باجناس الهنود الحمر الذين كانوا يقطنون هذه البلاد . ولم يكن هؤلاء الهنود على مستوى حضاري واحد : كان من بينهم طوائف بلغت مستوى عاليا نسبيا من الحضارة ، مثل هنود المكسيك وبيرو ، وكان من بينهم طوائف تحيا حياة بدائية متخلفة مثل هنود سائر القارة ، ولما كان عدد الفاتحين الاسبان والبرتغاليين قليلا فقد واجهتهم منذ البدء مشكلة استغلال ثروات البلاد المفتوحة .وكان من الطبيعي أن يتجه الفاتحون اول الامر الى استخدام الهنود من سكان البلاد ، فاتخذوا من وجدوه منهم في جزر الانتيل عبيدا يسخرون في خدمة الفاتحين غير ان جزر الانتيل كانت بطبيعتها فقيرة في الموارد ، ثم كان عليها ان تتحمل عبء الحملات العسكرية التي وجهها الاسبان لفتح بقية القارة : المكسيك وكولومبيا وبيرو . وهكذا زادت حاجتهم الى الايدى العاملة . وقد كان لذلك اسوأ الاثار على سكان هذه المناطق من الهنود ، حتى هلك الكثيرون منهم خلال السنوات الاولى من فترة الفتوح .ويقدر الباحثون عدد الهنود من السكان الاصليين في جزيرة لاسبانيولا (جزيرة هايتي) سنة ١٤٩٣ بنحو مليون . ثم لم تات سنة ١٥٠٨ - أى بعد ستة عشر عاما فقط حتى كان هذا العدد ينخفض انخفاضا رهيبا الى قريب من ٦٠٫٠٠٠ . وفي سنة ١٥٥٤ لم يبق من هؤلاء الا نحو ٣٠٫٠٠٠ فاذا وصلنا الى سنة ١٥٧٠ وجدنا انه لم يبق منهم الا زهاء ٥٠٠ فقط . وهذا مثل يوضح مدى ما لقيه الجنس الهندي في جزر البحر الكاريبي وفي غيرها من بلاد امريكا اللاتينية من استئصال عنيف .

وارتفعت اصوات بعض من شاركوا في الفتح ولا سيما من رجال الدين احتجاجا على هذا المصير الذي انتهى اليه هنود العالم الجديد . وكان من اعلى هذه الاصوات صوت الراهب بارتولومي دي لاس كاساس Bartolome de Las Casas ، الذي رفع الى العرش الاسباني شكواه من سوء المعاملة التي يلقاها الهنود من جنود الفتح ، لا سيما وانه رأى في انقراض هؤلاء الهنود تخريبا ل... البلاد وحرمانا للدولة الفاتحة نفسها م... الالوف من الايدى العاملة التي لا تستطيع ... أن تستغنى عنها في استغلال موارد القارة وقد اقترح لاس كاساس لمشكلة انقراض ... الهندى حلولا كان من اطرفها واقساها في ال... نفسه أن تبعث السلطات الاسبانية الى ... بآلاف من العبيد السود من افريقيا ليحلوا ... الهنود الذين كانوا ينقرضون بسرعة رهيبة . والعجيب ان لاس كاساس انطلق في دعوته تلك ... مبدأ التنديد بالمعاملة القاسية التي كان الهنود يلقونها ، ومن الدعوة « الانسانية » الى ... الجنس الهندي والتخفيف من الامه . وصادف ... الذي اقترحه الراهب الاسباني هوى في نفوس السادة الاسبان الذين كانوا يحكمون تلك المناطق الامريكية والذين كانوا ينظرون في كثير من القلق الى تناقص الهنود العاملين بالسخرة ... قصب السكر والمغاسل التي يستخرج منها الذهب . واستهوى هؤلاء ما لاحظوه من أن الزنجي ... يتحمل من مشقة العمل اكثر مما يتحمل اربعة بل وثمانية هنود .

عرش النخاسة للبرتغاليين !

ومن هنا بدا تدفق العبيد السود المستع... من القارة الافريقية الى امريكا . وكان اول قدوم ... الى جزر الانتيل اول البلاد المفتوحة ومنطلق الاوروبيين البيض الى استعمار بقية القارة واجه البرتغاليون أيضا عند فتحهم البرازيل المشكلة نفسها ، بل كانت المشكلة امامهم حدة ،فقد كان الهنود الذين اصطدم بهم البرتغاليون على سواحل البرازيل اعنف مقاومة للفا... واشد شكيمة من هنود جزر الانتيل . فلما ر... أن المقاومة لن تجديهم في ذلك الصراع غ... المتكافىء عملوا على الهرب في صورة جما... داخل ادغال الامازون وغاباته ، واعانتهم عل... ذلك المساحات الواسعة التي لم يكن البرتغ... قد اكتشفوها ولا عرفوها من البلاد . غير البرتغاليين كانوا منذ البدء يتحكمون في ور... رابحة جعلتهم يتفوقون على الاسبان : تلك ... ان معظم السواحل الافريقية المواجهة لامريكا كانت في ايديهم وكانوا قد اقاموا عليها العديد من

والمراكز التجارية ، على حين لم يكن مستعمرات افريقية • وبهذا اصبحت يقيا السوداء بمثابة نهر غزير يغترف ..بير ..ن منه ما شاءوا من عبيد ، حتى انهم انتصبوا منذ القرن السادس عشر على عرش ..ة • ولم يكفهم ان يبعثوا من افريقيا ..يد الذين احتاج اليهم المستعمرون البرتغاليون ..ى البرازيل ، بل اصبح لديهم فائض كبير توجهوا بتجارته الى اخوانهم الاسبان فى البلاد الامريكية التى استعمروها •

وسرعان ما اصبحت تجارة الرقيق تتمتع بحماية العرش البرتغالى • ففى سنة ١٥٥٩ اصدرت « دونيا كاتار..ا » الوصية على عرش البرتغال امرها الى حاكم مستعمرة ساوتومى (وهى جزر فى خليج غينيا تقابل الجابون) بان يسلم الى كل صاحب مزرعة او مصنع للسكر كل ما يحتاج اليه من عبيد مادام يحمل شهادة من حاكم البرازيل •

ويبدو ان تجارة الرقيق قد اصبحت منذ ذلك الوقت استثمارا مضمون الربح • وراى الهولنديون ـ وكانوا فى بداية توسعهم الاستعمارى ـ ان يدخلوا الى ميدان المنافسة ، فكانوا يقدمون ايضا صفقات من العبيد الى المزارعين البرازيليين • ومع ذلك فان تجارة الرقيق بقيت على الرغم من ذلك متواضعة بعض الشيء ، اذ يقدر عدد العبيد ..سود الذين دخلوا الى البرازيل خلال القرن ..سادس عشر بما يتراوح بين ٤٠٫٠٠٠ و ٥٠٫٠٠٠ •

..عان نجاح التجربة البرازيلية على ان يقبل ..رون الاسبان فى مناطقهم على شراء العبيد ..عدد ، ورات السلطات الملكية فى اسبانيا فى .. عاملا على زيادة الانتاج فى المستعمرات ، ..ذت كثيرا من الاجراءات لتسهيل عملية ..جلاب العبيد ، وكان من اهمها رفع الضرائب ..جمركية عن الرقيق • واستغل كثير من قواد ..ع وحكام المستعمرات تلك التسهيلات حتى ..هم هم انفسهم اشتغلوا بتلك التجارة واستثمروا ..و ردهم فيها • ومن ذلك ما تسجله الوثائق القديمة من ان بيثارو Pizarro ، فاتح بيرو واخوته كانوا يبيعون بعض من ادخلوه معهم من العبيد لعدد من تجار الرقيق بالجملة ممن كانوا يتخذون مركزا لاعمالهم فى مدينة اشبيلية •

وبهذا نرى انه منذ الفتح الاوروبى نفسه لبلاد القارة الامريكية وجدت اسواق رائجة لتجارة الرقيق ، واذا كان هؤلاء العبيد قد استجلبوا لسد حاجات اقتصادية فى المقام الاول مترتبة على نظام الانتاج الراسمالى الذى وجد فى القارة فانه لم يكن هنالك بد من ان تنعكس آثار هذه التجارة على المجتمع الجديد وعلى طبيعته من النواحى الجنسية والاجتماعية والثقافية •

نشوء مجتمع « المولدين »

وعلى الرغم من ان الاجيال الاولى من هؤلاء السود الافريقيين انما بدا تدفقهم على امريكا اللاتينية بوصفهم عبيدا فانهم كانوا مرتبطين بسادتهم البيض ارتباطا وثيقا ، فكانوا يعتبرون انفسهم موالى لهم واعوانا ، بل انهم كانوا يحسون مع سادتهم بكثير من الزهو وهم يقاتلون الهنود من سكان البلاد الاصليين ، اذ كانوا يعدون انفسهم « فاتحين » ايضا • ولهذا فقد كان احتكاكهم بهؤلاء الهنود عنيفا متسما بالعداوة • ومن ناحية اخرى كان الاسبانى بطبعه ـ ولعل ذلك راجع الى رواسب التراث العربى الاسلامى المتبقية فى نفسه ـ لم تكن تسيطر عليه فكرة التفوق العنصرى ولا التفرقة على اساس اللون ، على العكس من طبيعة الانجلو ساكسونى ، ولهذا فانه لم يجد باسا منذ البدء فى قبول العنصر الافريقى الاسود بصفته مكونا من مكونات المجتمع ، فوجدنا كثيرين من البيض يتخذون لهم جوارى من النساء السود ، ولايرون باسا فى الاعتراف بابنائهم منهن ولا حتى بتزويج بناتهم من الملونين •

وادى ذلك الى اننا اصبحنا نرى منذ بدء عملية الفتح ميلاد مجتمع جديد تختلط فيه العناصر ، وتمتزج الخصائص الجنسية لها : فالاسبانى الابيض يتجه الى السمرة ، والافريقى الاسود يتجه لونه الى البياض شيئا فشيئا • هو مجتمع من المولدين (ومن هذه الكلمة العربية انحدرت كلمة Mulato ، اى المولد بين ابيض وسوداء) • على على ان هذا حدث بصورة خاصة فى البلاد التى انقرضت فيها العناصر الهندية ولم تبق الا العناصر الافريقية السوداء المستجلبة ، كما حدث فى مجتمعات جزر الانتيل مثل كوبا وبورتوريكو والبرازيل الى حد ما • اما البلاد التى لم يتمكنوا من استئصال

عناصرها الهندية ـ وهي بشكل عام التي كان لهنودها قدر من التراث الحضاري زاد من مقاومتها للفاتحين مثل المكسيك وبيرو وبوليفيا ـ فقد اختلطت العناصر البيض فيها بالعناصر الهندية مع قدر متفاوت من الاختلاط بالعناصر السوداء ايضا .

وقد اصطلح على تسمية مجتمعات هذه البلاد بالمخلطين (Mestizos) .

ويلاحظ ان مثل هذا الامتزاج مع تفاوته ما بين قطر امريكي لاتيني واخر لم يحدث ابدا في المناطق التي استطاعت الدول الاستعمارية الاخرى انتزاعها من اسبانيا في بلاد الانتيل واتخذتها مستعمرات لها . ونعني بهذه الدول انجلترا وفرنسا وهولندا .

ومع ذلك فان ماذكرناه لايعني ان الافريقي الاسود كان ينظر اليه في امريكا اللاتينية على انه والابيض سواء تماما . صحيح ان التفرقة العنصرية لم تبلغ من شدة الوطأة ما بلغته في المستعمرات الاوروبية في افريقيا ولا بالنسبة لوضع السود في الولايات المتحدة مثلا . غير ان علينا ان نتذكر ان الافريقي الاسود وفد على القارة عبدا على كل حال . وظل عبدا حتى اوائل القرن التاسع عشر . بكل ما تعنيه العبودية من امتهان للقيم والكرامة الانسانية .

وهذا هو ما ادى في كثير من الاحيان الى ان تقوم جماعات من العبيد السود بالهرب والتجمع في مناطق وعرة بعيدة عن العمران . وكان يطلق هؤلاء الهاربين لفظ Cimarrones . وهي كلمة تعني اصلا الحيوان الذي يرتد الى التوحش بعد استئناس . وقد تزايدت هذه الجماعات حينما ساءت معاملة العبيد في اوائل القرن الثامن عشر . فانتشرت في اقطار القارة من سواحل اكوادور وبيرو المطلة على المحيط الهادي الى الولايات الشمالية للمكسيك . وان كان اكثرهم في المناطق الساحلية من كولومبيا وفنزويلا وفي البرازيل وبعض جزر الانتيل .

اول تقنين للرق

الى سنة ١٥١٣ اي بعد كشف القارة الامريكية بعشرين سنة يرجع اول اجراء يسمح بمزاولة تجارة الرقيق . ففي هذه السنة فرضت الحكومة الاسبانية « دوقيتين » على كل « رأس » من العبيد يدخل الى المستعمرات الجديدة . ولا ... بترخيص خاص من العرش الاسباني . ... هذه التراخيص قد اصبحت بعد ذلك تجـ... اذ كان بعض اصحاب النفوذ يحصلون ... يبيعونها بعد ذلك « من الباطن » بسعر ... الى ثلاثين دوقية .

وقد كان على النخاسين ان يحملوا بضاعة من العبيد الافارقة الى اسبانيا . ومنها الى بلاد العالم الجديد . ولكن اصحاب المصلحة في استجلاب العبيد رأوا ان ذلك يكلف كثيرا من النفقات وان من الخير ان تبعث « البضاعة » رأسا من مواطنها في البلاد الافريقية الى المستعمرات الامريكية . غير ان المناطق التي كان الرقيق يستجلب منها كانت تحت سيادة البرتغاليين . وهكذا كان ينبغي اتمام صفقات الشراء بوساطة السماسرة من رجال المال ذوي الصلة الوثيقة بالبرتغال . ومن هنا تدخلت المصارف والشركات الاوروبية في تلك التجارة . ولم يلبث الصراع ان شب بين هذه المؤسسات المالية للحصول على حق احتكار تلك التجارة المربحة . ولم تكن اسبانيا تتحكم في مستعمرات افريقية يمكن ان تجلب الرقيق منها الى امبراطوريتها الامريكية مباشرة . ولهذا فقد رأت السلطات الاسبانية نفسها بين نارين : اما ان تحاول الغاء تجارة الرقيق جملة . وحينئذ لا مفر من ان تنتسم شبكة تهريب العبيد بغير فائدة تجنيها الدولة هذا فضلا عن الاضرار التي يمكن ان تلحق بانتاج المستعمرات بسبب نقص الايدي العاملة ، ولما ... تمنح تراخيص احتكارية لشركات تنتمي ... تتسم بعدائها التقليدي لاسبانيا مثل انجـ... وفرنسا وهولندا .

ومنذ سنة ١٦٦٢ نجد ان الحكومة الاسـ... تضطر الى منح تراخيص احتكار تجارة الرقيق لمجموعة من المؤسسات المالية الاوروبية الكـ... وقد ظفرت المؤسسات الهولندية بنصيب الاسـ... . وتعهد « الموردون » الهولنديون بادخال عدد سنوي من الرؤوس يتراوح بين ٣٥٠٠ و٦٠٠٠ « قطعه » (هكذا كان يسمى الرأس من رؤوس العبيد) . غير أن الخداع وفساد « الذمة » لحق ايضا هذه التجارة . فاذا بنا نرى الشركة تعمل على تهريـ... عدد من العبيد يزيد ضعفين او ثلاثة اضعاف على العدد المتفق عليه . وذلك حتى تتهرب من دفع الرسوم

• وادى ذلك الى تكديس اعداد هائلة من ... اقباء سفن النخاسة على نحو كان يؤدى ... الكثير منهم • واصبح لهذه التجارة من ... الى حد اشتراك الاسر الاوروبية المالكة ... فيها • وهذا هو ما نعرفه عن فيليب ... تلاه من ملوك اسبانيا ، ولويس ... عشر ملك فرنسا والملكة « آن » ملكة ... ترا وبدرو الثانى ملك البرتغال اذا اسهم كل هؤلاء الملوك فى تجارة الرقيق بصفتهم شركاء ... كات الاحتكارية المشتغلة بذلك •

نهاية القرن السابع عشر ينتهى تسلط الهولنديين ... احتكار تجارة الرقيق وتعهد اسبانيا فى سنة ١٧٠١ بترخيص استغلال التجارة فى مستعمراتها لشركة « غينيا الفرنسية الملكية » غير أنه سرعان ما تدخل انجلترا ميدان المنافسة وتتمكن من انتزاع هذا الترخيص من الشركة ... فى سنة ١٧١٣ بعد معاهدة الصداقة والسلام التى عقدت بين اسبانيا والحكومة ... يطانية فى اوتريخت فى هذه السنة • ونصت المعاهدة على ان تتولى توريد العبيد شركة « البحر الجنوبى » (South sea company) التى كان البلاط الملكى الانجليزى مشاركا فى رأسمالها • وتعهدت الشركة البريطانية بادخال ... ١٤٤٠٠٠ « قطعة » الى امريكا اللاتينية على مدى ... ثة وعشرين عاما • وكانت بريطانيا قد مهدت ... بيازتها هذه بالاستيلاء على اثنتين من جزر الانتيل ... جامايكا وباربادوس ، واتخذتهما « مستودعا » ... ميع الرؤوس قبل توزيعها على بلاد القارة •

... كن نشوب الحرب بين اسبانيا وانجلترا فى ... سنة ١٧٣٩ أدى الى الغاء الترخيص الممنوح ... لشركة البريطانية ثم آثرت الحكومة الاسبانية ان ... من الحرية المطلقة لتجارة الرقيق فى سنة ١٧٨٩ ... بعد أن جربت سياسة الترخيص لشركات ... باحتكار التجارة وما تبين لها ما كانت تقوم ... هذه الشركات من تلاعب وغش حرم الدولة مما ... تتوقعه من مكاسب اقتصادية •

مواطن السود الاصلية

١ ـ كان الافارقة السود الذين يستجلبون الى امريكا ينتمون الى مواطن جغرافية متنوعة واولهذه المناطق الجزء الشمالى من عرب افريقيا من المغرب حتى بلاد السنغال العالية وساحل « الرأس الاخضر » وقد دخل من هذه المنطقة طوائف من العبيد فى العقود الاولى بعد الفتح الاسبانى • وكان الاسبان يطلقون على هؤلاء اسم « البربر » والواقع انهم لم يكونوا سودا بل كانوا من الافارقة وكانوا من المسلمين الذين اسرهم الاسبان فى حروبهم مع المغرب •

على أن السلطات السياسية والكنسية سرعان ما تنبهت الى الخطر الذى يعنيه ادخال هذه المجموعات من المسلمين الى العالم الجديد اذ كانوا يخشون من تزايدها ومما يمثله الاسلام بالنسبة لها من تمسك بقيم حضارية تجعل استيعاب المجتمع الاستعمارى لها امرا مستحيلا • ولهذا فقد ارتفعت الاصوات بالامتناع عن استجلاب تلك العناصر ، وصدرت مراسيم ملكية متوالية بتحريم جلب هذا النوع من العبيد فيما بين سنتى ١٥٠١و١٥٥١ •

٢ ـ المنطقة الثانية هى التى تلى السابقة جنوبا وهى التى تدعى غينيا والرأس الاخضر وهى تتضمن نيجيريا وبيافرا بصفة خاصة ، ويطلق على جنس هؤلاء السود « الماندينجا » •

٣ ـ منطقة ساحل الذهب (غانا) وسيراليون وكانت خلال القرن السادس عشر واقعة تحت سيطرة البرتغاليين •

٤ ـ منطقة ساوتومى وكان البرتغاليون يتحكمون من قاعدة هذه الجزر فى الكاميرون الحالية وجزء من الكونغو ، ثم انتزعها منهم الهولنديون فى سنة ١٦٠٠ •

٥ ـ بعد سقوط ساوتومى نقل البرتغاليون نشاطهم الى جنوب نهر الكونغو على امتداد المنطقة التى تحتلها الان انجولا •

السود والمجتمع

كان ممثلو السلطات الاسبانية فى امريكا يحرصون فى اول الامر على تجنب اختلاط طوائف الافارقة السود بالهنود ، وذلك حتى لا يفسدوهم بنزعاتهم الى التمرد وحتى لا يكونوا معهم جبهة موحدة قد تكون نواة للثورة ضد البيض • ومع ذلك فان قوانين الفصل بين السود والهنود لم تستطع

الحيلولة دون اختلاط العنصرين ولا تجنب ما كانت تخشاه السلطات الحاكمة من عدوى التمرد التي انتقلت من السود الى بعض مجموعات الهنود . وكانت مشكلة المتمردين او الـ Cimarrones هي اكثر ما يقلق السلطات الاسبانية ، اذ كثيرا ما كان المتمردون السود مع من ينضم اليهم من الهنود يتجمعون في قرى بعيدة وعرة المسالك ويؤلفون جماعات مستقلة ، بل كثيرا ما كانوا يقومـــون بمهاجمة قرى البيض والعبث فيها .

وترجع اول حركة تمرد من جانب السود فيما يسجل التاريخ الى سنة ١٥٢٠ في كوبا و١٥٣٧ في المكسيك . وتوالت الثورات بعد ذلك مما دفع السلطات الحاكمة الى استصدار عدة قوانين والى تشديد العقوبة على اولئك الثوار .

ومع هذا فقد استمرت حـركات التمرد مـن جانب السود على طول تاريخ امريكا اللاتينية وفي مختلف اقطارها . ولا شك في أن من اسباب هذا التمرد ـ فضلا عما لقيه الافريقي « العبد » من سوء المعاملة ـ أن تلك المجموعات الافريقية التي نقلت من مواطنها الاصلية كانت تشعر بالحاجة الى الانتماء وتاكيد الذات . وعلى الـرغم مـن اصطناعهم لغة البيض وديانتهم فان كثيرا منهم قدموا بتراث حضاري كانوا يعتزون به مهما كان تواضعه . وقد ظهر هـذا التراث فـي معتقداتهم الدينية وفنونهم الشعبية واوضاعهم الاجتماعية ولم يكونوا مستعدين للتخلي عنه ولا نسيانه . وكان بعض هؤلاء القادمين بالذات الى البرازيل قـد اعتنقوا الاسلام .

صحيح انه كان اعتناقا ظاهريا وان اسلامهم كان مختلطا بكثير من المعتقدات الوثنية او الطوطمية ولكنهم كانوا يرون في هذه العقيدة تاكيـدا لانسانيتهم وشخصيتهم . ومن هنا فقد كونوا مجتمعات خاصة . وكان هؤلاء السود بالذات اشد العبيد عنفا في ثوراتهم التي لم تنقطع في البرازيل حتى منتصف القرن التاسع عشر .

وكان من المتوقع أن الصراع الدائر على الارض الامريكية بين المجموعات الجنسية المختلفة سوف يشارف نهايته بعد أن تتم عملية امتزاج العناصر غير أنه لم تكن هناك قاعدة موحدة يمكن ان تطبق على درجة امتزاج العناصر السوداء بالـ[illegible] الهندية في امريكا اللاتينية ، ثم ان الاقـ[illegible] احتفظت بنقاء دمائها البيضاء ظلت تقاوم الا[illegible] بقدر ما استطاعت حتى اننا نرى قانونا [illegible] المستعمرات الاسبانية في سنة ١٧٧٨ يدعو [illegible] اجتناب « الزيجات غير المتكافئة » . والمقصود هو زواج الابيض من امراة سوداء او ملونة . [illegible] هذه القوانين كانت نظرية في معظم الاحيان ، و[illegible] تطبق من الناحية العملية بالصرامة التي طبقت بها القوانين المماثلة في مجتمعات التفـ[illegible] العنصرية مثل الولايات المتحدة او جنوب [illegible]

ولهذا فقد غلب الطابع [illegible] على مجتمعات امريكا اللاتينية . وان كان ذلك يتفاوت بين قطر وقطر . ففي المكسيك مثلا كانت نسبة الاجناس ما بين السكان في سنة ١٨١٠ على النحو التالي :

- الاوروبيون الخلص ٢ر٠٪ ـ السود [illegible] ار٠٪ ـ الهنود ٦٠٪
- المولدون بين البيض وغيرهم من الاجـ[illegible] ٩ر١٧٪ .
- المولدون بيـن الهنـود وغيرهـم ٥ر١ ٪
- المولدون بين الافريقيين وغيرهم ار١٠٪

وفي السنة ذاتها كانت نسبة الاجناس ما بـ[illegible] سكان فنزويلا على النحو التالي :

- البيض والمولدون بينهم و[illegible] [illegible]
- الهنود والمولدون [illegible]هم وبين غيرهم ٤ر٨٪
- السود والمولدون بينهم وبين غيرهم ٣ر٦١٪

الغاء الرق

وقد ارتفعت الاصوات خلال القرن الثامن عـ[illegible] عصر التنوير كما كان يدعى في اوروبا ـ [illegible] الغاء الرق . واتفقت بداية القرن التاسع [illegible] مع استقلال معظم بلاد امريكا اللاتينية . وكـ[illegible] أول ما قام به ابطال الاستقلال الغاء هذا النظام المهين . ففي كولومبيا وفنزويلا تم الغاؤه في سنة ١٨١٠ وكذلك في المكسيك ، وفـي تشيلي سنة ١٨١١ ، والارجنتين ١٨١٢ . وكانت بريطانيا العظمى قد الغت الرق من قبل في جميع مستعمراتها

سنة ١٨٠٧ بعد أن كانت من اول الدول المنظمة لتـ . الرقيق والمستفيدة منها .

ومع ذلك فقد ظلت تجارة الرقيق غير المشروعة ... في امريكا اللاتينية في صورة تهريب . كما أن اسبانيا لم تلغ الرق فيما بقي لها من مستعمرات حتى اواخر القرن التاسع عشر ، اذ لم يتم الغاؤه في بورتوريكو الا في سنة ١٨٧٣ وفي كوبا الا في ١٨٨٠ وكان ذلك بعد ان استنفد الرق اغراضه وتبين ان الانتاج في هذه المستعمرات كان يزداد كلما نقص عدد العبيد الداخلين الى البلاد .

على أن الغاء الرق وسميا لم يعن اختفاءه الفعلي تماما . فقد بقيت صور من وراء ستار ، من ابرزها العمل الاجبارى في كوبا والبرازيل ، فضلا عن كثير من صور الاستغلال المعروفة في مجتمعاتنا الحديثة مما رأينا له مثلا مما كان يحدث في كوبا في اوائل هذا الحديث .

■■

الكويت ـ د . محمود على مكى
استاذ الادب العربى بجامعة الكويت

من الكتب التي وصلتنا

من الادب المقارن

بـ نجيب العقيقى

الناشر مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ مصر .

● هو طبعة موسعة جديدة من الكتاب يقع في ... أجزاء صفحاتها تناهز الالف صفحة من القطع ... في جزئه الاول اربعة فصول أولها في اصول ... وعناصره وثانيها في تاريخ الاداب الاوروبية ... فرنسا وايطاليا واسبانيا وانجلترا والمانيا ... روسيا والدول الاسكندنافية . والفصل الثالث في ... العربى في الجاهلية وصدر الاسلام والعصرين ... ى والعباسى واثره في الآداب الغربية والفصل ... ابع في فنون الشعر العربى ومدارسه الادبية . ... ما الجزء الثانى فيضم خمسة فصول موضوعها ... الادبية واعلامها في العصر الحديث . ويبدا ... الاول ببيان هذه النهضة الادبية واعلامها ... عصر الحديث ، وما قدمه المستشرقون والارساليات الغربية في خدمتها ثم بيان اعلام الادب في مصر ، والفصل الثانى في ادباء فلسطين والاردن ، والثالث في ادباء العراق ، والرابع في ادباء سوريا ، والخامس في ادباء لبنان سواء من استقر منهم فيها او الذين هاجروا منها الى العالم الجديد ..

اما الجزء الثالث ففيه فصلان مطولان وثالث قصير وموضوع الفصل الاول التجديد في الادب العربى ، وقد بدأه ببيان انتشار التعليم لكثرة المدارس ومجهود اللغويين والمترجمين في تنشيط اللغة وتاثير الفكر الغربى في ادبنا واصطناع مذاهبه عندنا في القصة والمسرحية والملحمة والنقد ، ثم مدارس التجديد وأهمها ما ظهر في مصر والمهجر . والفصل الثانى في الادب الفرنسى الحديث وانواعه ومنها الشعر وقد تناول خصائصه . وفي القصة تناول مزاياها وموضوعاتها وفي المسرحية تناول انواعها وفي الفلسفة عرض لرجالها المحدثين واهم آرائهم فيها . وفي المدارس الادبية عرض لمدرستين حديثتين : ما فوق الواقعية (السريالزم) والوجودية . وفي النقد اشار الى بعض النقاد المعاصرين وآثارهم باختصار .

أما الفصل الثالث القصير وهو خاتمة الجزء والكتاب كله فهو تذييل يوازن فيه السنين الهجرية من اولها حتى عام ١٤٢١ هجرية والسنين الميلادية حتى سنة ٢٠٠٠

والكتاب جدير ان يعد في كتب تاريخ الاداب عربية وغربية قديمة وحديثة ولا يعد من الادب المقارن كما كتب في عنوانه ، وجهد المؤلف فيه شاق طويل ، ولكن داخل مجال الجمع والتنظيم دون دراسة ، وكثيرا ما اقتصر على مجرد الاحصاء وهذا واضح في مواضع كثيرة من الكتاب ولا سيما جزؤه الثالث .

■■

اسماعيل شموط وتمام الأكحل رائدا الفن الفلسطيني

بقلم : صبحي الشاروني

■ اصبح اسم الفنان الفلسطيني اسماعيل شموط من الاسماء اللامعة في الوطن العربي ، والمعروفة على النطاق العالمي ٠٠ ليس بسبب زعامة سياسية ، او مواقف بطولية في المعارك العربية والنشاط الفدائي الفلسطيني ٠٠ ولكن لاستخدامه في شرح القضية الفلسطينية «لغة» لاتحتاج الى مترجم او اى نوع من الوسطاء ٠٠ انها لغة فن الرسم بالالوان الزيتية ثم الفيلم السينمائي القصير ٠

انه واحد من رواد الفن التشكيلي ـــب فلسطين والمع اسم فلسطيني في هذا المجال ٠٠ فهو يناضل من اجل القضية باللون واـ ، ويعبر عن ماساة شعبه وبلاده ، ويطلع العالم كله على الحقائق ، مستخدما سلاحه الذى يحقق اثره في هدوء وبطء ،فيدفع العربى الى حمـ السلاح من اجل فلسطين ويقنع الاور . يستدير باسلحته المصوبة نحو الـ ـ يصوبه نحو الصهيونية ٠٠٠٠٠

الفنان الفلسطيني اسماعيل شموط

مخيم تل الزعتر (اسماعيل شموط)

.. احد ابطال مقاومة الكذب الصهيونى ، دعاوى «زرع الحضارة الاوروبية فى قلب [الش]رق الاوسط » .. فلوحاته تنادى شعوب الارض نفس النداء الذى اطلقه الفدائيون [الفلس]طينيون فى مسرحية « النار والزيتون » [للكات]ب المصرى « الفريد فرج » عندما يقولون :

« لايغمض احد عينيه .. »

« لايشيح احد بوجهه .. »

« انظروا بشجاعة فى وهج هذا الضوء [ال]ساطع .. »

« يا رافعى صور(جيفارا) ويا حاملى شعارات [ال]سلام (لفيتنام) ، والحرية (لانجولا) .. »

« هنا فلسطين .. »

« ايتها السواعد البيضاء ، السمراء ، الصفراء ، الملوحة بالقبضات ضد النازية الجديدة .. »

« ايها الشعراء المتحدثون بلسان الانسان على [من]صات المسارح .. »

« يازارعى البذور الصغيرة لتعطى اعظم الاشجار .. تلفتوا ... »

« النار فى غصن الزيتون .. »

« انسان بلا هوية .. »

« مواطنون بلا وطن .. »

« شعب ولا ارض .. »

« هنا فلسطين ...... »

لوحات ساطعة

هكذا تنادى لوحات اسماعيل شموط وزوجته [ال]فنانه « تمام الاكحل » ..

الفارق الوحيد ان نداء الكاتب المسرحى « الفريد فرج » صيغ من كلمات بينما نداء اسماعيل وتمام من خطوط والوان ..

ان لوحاتهما تشبه وهج ضوء مصباح ساطع مسلط على العينين .. ينبه الناس ، ويدفعهم الى اعادة النظر فى كل افكارهم . سواء كانوا من العرب الذين تلهيهم الحياة اليومية ومشاغلهم عن التفكير فى القضية ومراجعة ما أدوه من واجباتهم تجاهها .. أم من الاوروبيين والامريكيين الذين تغرقهم الدعاية الصهيونية باكاذيبها ،لتزرع فيهم العداء للفلسطينيين وللعرب .

عروسان على الحدود (اسماعيل شموط)

ابوعصام ١٩٧٠ (تمام الاكحل)

ان اسماعيل شموط يعيش في القضية الفلسطينية كل الوقت ٠٠ ليس فقط كفلسطيني يؤدي واجبه نحو اهله ووطنه ، وانما ايضا كعربي يقوم بدوره في تجميع الكلمة وتوحيد الرأى ، وتوثيق الروابط بين التشكيليين العرب في واحد من أهم مجالات الثقافة والابداع ٠

البداية في مخيم اللاجئين

ولد « اسماعيل شموط » في فلسطين بمدينة « اللد » عام ١٩٣٠ وفي صيف عام ١٩٤٨ عندما وقعت النكبة واجتاحت العصابات الصهيونية مدينته، طرد مع المطرودين ٠٠ وما يزال الفنان يذكر بدقة وقائع ما حدث ، ويقص تفاصيل خروجه مع اخوته السبعة وأبويه وليس في جيوبهم جميعا سوى ثلاثة جنيهات ! ٠٠ ثم رحيلهم سيرا على الاقدام ليقطعوا المسافة من « اللد » الى « خان يونس » بالقرب من « غزة » على مراحل ٠ وكانت تلك مجرد بداية لرحلة الآلام ، صاحبهم فيها عبر نصف الوطن الفلسطيني جموع المطرودين من اطفال ونساء ٠٠ ورجال صامتين منزوعي السلاح أذهلتهم الاحداث المفاجئة ٠٠ وقد بلغ عدد الذين ماتوا في هذه الرحلة المشئومة حوالى ١٣٠٠ فلسطيني ما نساء واطفال وعجائز ٠٠ من بينهم اخ صغير لاسماعيل كان عمره ثلاث سنوات ٠

وعاشت اسرة شموط في خيمة بمعسكر اللاجئين في « خان يونس » لاربع سنوات تالية ٠٠

ومن هنا نستطيع ان ندرك عمق المأساة التي حفرت في وجدانه اثرا غائرا ، حتى اطلق عليه النقاد بعد ذلك اسم « فنان المأساة » ٠

والحت على اسماعيل فكرة تسجيل ما عاينه وعاناه بالريشة والقلم ٠٠ فبدأ يرسم ٠٠ وفي عام ١٩٥٠ اقام أول معرض خاص لانتاجه في المخيم ، بالمدرسة التى عمل بها مدرسا بالمجان ،

وعلى طاولة من الخشب عرض ٤٠ صورة من رسومه على الورق ، دون اطر أو زجاج ٠ ان اللاجئون بالمخيم وموظفو وكالة الغوث ٠٠ وكان تمثل أول معرض من الناحية التاريخية للمطرودين من ديارهم !٠

تلك هي البداية ، بعدها سافر الفنان الصغير الى القاهرة والتحق بقسم الدراسات الحرة بكلية الفنون الجميلة ، ليدرس فن التصوير الزيتي ويتلقن اصوله ٠٠ بينما كان يعمل في غير أوقات

الدراسة كمساعد لرســـام اعلانات عن الافلام السينمائية ، بمرتب شهري بدأ بثلاثة جنيهات حتى وصل الى عشرة جنيهات ‥ وهكذا الحد الادنى من الدخل الذي تتطلبه اقامة بالقاهرة ٠

في هذه الفترة التقى بزميلة الدراسة « تمام الاكحل » وهي فنانة فلسطينية من «يافا» .فتعاهدا على مواصلة المسيرة معا ، فارتبط اسمها باسمه واصبح اسم اسماعيل وتمام علمين على ساريـة واحدة كرائدين اقتحما بداية الطريق ‥ واول من حاصل هذا الميدان ‥ ميدان الفن التشكيلـــي الفلسطيني المعاصر ٠

اقام اسماعيل معرضه الشخصي الثاني في غزة ١٩٥٣ . وبكى رواد معرضه الذين واجههم بصورة صادقة ومعبرة لحياتهم ومآسيهم ‥

وهنا اصبح من النادر ان يعرض اسماعيل ‥ له بمفرده واحس بالثقة في موهبته ‥ فاقام مع زميلته ، وفتنة معرضا مشتركا عام ١٩٥٤ بنادي الضباط بالقاهرة فتتحه الرئيس الراحل عبد الناصر ٠ ومن ذلك الحين قاما بعدد من المعارض المتتالية المشتركة في معظم العواصم العربية والاوروبية . وفي ١٢ مدينه أمريكيه بالولايات المتحدة . وفي بكين عاصمه الصين عام ١٩٧٢ ٠

لقد باع الفنان في معرضه المشترك الاول مع تمام بالقاهرة عددا من اللوحات بلغت حصيلتها ٤٠ جنيه مصري ‥ وعرض عليه العمل بالكويت مدرسا للرسم ولكنه فضل مواصلة الدراسة.فسافر الى روما بهذه الحصيلة بعد أن زار أهله في مخيمات « غزة » . وأمضى عاما في روما انفق خلاله كل مدخراته ‥ وقدمت له الحكومة الايطالية منحة دراسية على نفقتها لمدة عام اخر اعترافا بموهبته وفنه . حصل في نهايتها على دبلــوم اكاديمية الفنون الجميلة في روما ٠

وفي عام ١٩٥٩ تزوج من زميلته في بيـروت ثم اصبحا « ثنائيا » يمثل الفن الفلسطيني في كل المحافل الدولية ٠

التعبير عن النكبة

ويمكن تقسيم المراحل التي مر بها فن اسماعيل شموط الى ثلاث مراحل : مرحلة التعبير عن النكبة التي كانت موضوع لوحاته الاولى ‥ ثم مرحلة التعبير عن التشريد وحياة اللاجئين في المخيمات‥ ثم مرحلة التعبير عن النضال المسلح وانتقـــال القضية الى يد اصحابها ٠

في المرحلة الاولى كانت اعماله تسجل احداث صيف ١٩٤٨ ‥ ويقول الفنان موضحا مصـادر فن هذه المرحلة في قوله :

« كانت أياما سوداء كعيني يوم ‥ يوم خرجنا من اللد بعد النكبة ‥ نزلنا في خيمة عند اصدقاء والدي في « خان يونس » . احداث وظروف حياتي كانت قاسية جدا ، اشتراء قطعة رأيتها عامي ٤٨ و ١٩٤٩ ٠ كنت ابكي بكاء شديدا على ورقة وقلم للرسم ‥ كنت أصور ما حولي ٠ الخيمه . السر والنكبة في عيونهم . الصراع على الماء ‥ كل هذا صنورته وغسنه ‥ كان كل همي ان ارسم . وان اتعرف على خفايا فن الرسم ٠

مرحلة « اللاجئين »

بعد هذه المرحلة انتقل اسماعيل شموط الى مرحلة جديدة . لا تختلف كثيرا عن الاولى . وانما بكلمتها المستمرة هو الصدق في التعبير عن الواقع المحيط به ٠

تصور حياة اللاجئين الفلسطينيين في المخيمات باسلوب ظاهره تسجيلي . ولكن باطنه وهدفه هو اطلاع المشاهدين على تلك الجريمة التي ارتكبت في النصف الثاني من القرن العشرين ‥ لقد حمل على عاتقه مهمة التعبير عن واقع شعبه الذي ينتمي اليه ٠

وكانت اعماله مرآة صادقـة للوضـع المـادي والفكري في معسكرات اللاجئين ومخيماتهم ‥ ولا توجد صورة اقوى تعبيرا عن العذاب والمرارة التي يعيش فيها الشعب الفلسطيني المشرد ، من لوحات اسماعيل شموط في تلك المرحلة ‥

ولهذا كانت هذه الاعمال تأخذ مكان الصدارة في الاعلام العربي ‥ وفي الصحف والمجلات في جميع الاقطار رغم تعدد اتجاهاتها ‥ فكانت لوحاته صوتا اعلاميا لكل مناسبة وكل مؤتمر وكل مهرجان‥

مرحلة المقاومة

ولكـن بعد عام ١٩٦٧ عندما دخـل الشـعب الفلسطيني مرحلة النضال المسلح ‥ اصبحت لوحاته اكثر سخونة واقل قتامة ‥ لقد ظهرت البندقية والمدفع في ايدي شخصيات صوره ‥

● اسماعيل شمو...

ولم تعد اعماله الفنية « ماساوية » الطابع وانما دخل اليها فرح جديد ، دفء وحركة ، غنائية جديدة فى التكوين •• وامتدادات تصل الى الافق البعيد فيها اشراق وبهجة .

لقد اصبح فنان الماساة هو فنان المقاومة المعبر عن فرحة اكتشاف الطريق الموصل الى النصر ••

فن « تمام الأكحل »

اما الطريق الذى سلكته تمام فهو يلتقى فى معظم جوانبه مع فن زوجها••فهما يحاربان بالسلاح نفسه••سلاح الفن••ولكنها تتميز بالميزات التى اشتهرت بها رسوم المراة •• الميل الى الزخرفة والتفاصيل وشغل المساحات بالمنمنمات الصغيرة وكانها أمام ثوب تطرزه ••

لهذا نجد ان ما يشغلها هو تسجيل الفنون والزخارف الشعبية الفلسطينية التى يمارسها أهلها فى المخيمات مع اهتمام كبير بالثراء والغنى اللونى فى اللوحة ••

ومن هنا كانت لوحاتها تهتم بابراز الطابع الفلسطينى التشكلى وبتسجيله ، اكثر من اهتمامها بابراز جانب الماساة فى حياة شعبها ••

المحافظة على الطابع والتشخصية الفلسطينية فى هذه الظروف تمثل احدى المهام الضرورية لاستمرار هذه التشخصية وعدم ذوبانها أو تبخرها .

أمين عام التشكيليين العرب

وفى عام ١٩٧١ انتخب اسماعيل شموط امينا عاما لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب الذى [illegible] تاسيسه فى ذلك التاريخ •• ولا يز[illegible] يعا[illegible] انتخابه حتى اليوم •• هذا بالاضافة الى [illegible] رئيسا لمركز الثقافة الفنية التابع لمنظمة [illegible] الفلسطينية ومقره بيروت ••

ومن خلال مسئوليته الاولى نظم معرض السن[illegible] العربى الاول فى بغداد عام ١٩٧٤ . وعد[illegible] المؤتمرات الفنية •• ومن خلال عمله الثقافى اتجه الى الافلام السينمائية التسجيلية التى تسا[illegible] فى توضيح القضية الفلسطينية وتعمق لدى المشاهد فهم أبعادها •• فمن مجموعة لوحاته ولوحات زوجته وتتابعها مع مشاهد من واقع الشعب الف[illegible] أو من خلال التعبير السينمائى عن اغنـ[illegible] شعبية فلسطينية أو ما شابه ، يكون اسما[illegible] التى تنادى نفس نداء لوحاته :

« لا يعمص احد عسيه •• »

« لا يشيح أحد بوجهه •• »

« النار فى غصن الزيتون •• »

« انسان بلا هوية •• »

« مواطنون بلا وطن •• »

« شعب بلا أرض •• »

« هنا فلسطين •••••• »

■■

صبحى شارونى

■ مللت اعتلاء القمم ، فهبطت الى الوهاد بحثا عن مشاعر وتجارب جديدة ، وكانت نهاية الشهوات بلها أو مرضا أو كليهما معا

(اوسكار وايلد)

■ كلما انبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا

(المتنبى)

■ جرح السنان أهون من جرح اللسان

(أكثم بن صيفى)

معك الله

■ معك اللهُ . فهل أنت معَه   هو يدعو . فأصِخ . كي تسمعه
شغلتك الناسُ والدنيا معـــا   عنه . كالتائه وسط المعمعة
عمةً تمضي . وحينا يسرة   لم لا تمضي اليه أو معه ؟
لو توجهت إليــه لم تكــن   خلف هذاك . وهذا إمعَة

★★★

خلَق الكونَ . وجلّى فضلـه   فيه . فالكون إليه رائـدْ
عن منه . وإليه . وبــه   وله الكونُ جميعا صاعـد
ليس يخفى فضلُـه في ذرةٍ   منه . مهما يعْمَ عنه جاحدْ
حسبنا من ذرةٍ معجـزةً   فجميعُ الكون نظم واحدْ

★★★

إنه الأول . وهــو الآخـرْ   وهو الباطنْ وهو الظاهرْ
يعلمُ المشهودَ والغيبَ . ففـي   علمه كلُ وجود حاضـر
وإليه الخلْق والأمر معـا   فهو الخالقْ وهو الآمـرْ
ان يقل للشيء « كن » يمثُلْ به   فله التقديرُ . وهو القادرْ

★★★

ليس منه نَقْلةٌ الا لــه   واليه في البلايا المَهْرَبْ
كيفما المرءُ شكا ضعفا ـ هفَا   نحوه . كالطفل اذ يضطرب
فيُحِس الأمنَ في احضانـه   أين أمٌ منه . أم ابن أبْ
وسعت رحمتُه كلَّ الـورى   فهو كافيهم . وان هم أذنبوا

فهل أنت معه ؟

شعر : محمد خليفة التونسى

أيها المسلم . سر مسترشـــدا   خلف هاديك . رسول العالمين
كان للناس صديقا كلهـــم   ومنادا لو هداهم اجمعــين
يؤثر الرفق . وان يلــق الاذى   هكذا دأب المربي إذ يلــين
فلنكن امتنا واحـــــدة   خلفه . بالحب والخلق المكين

★★★

كان للقرآن في سيرتـــــه   مثلا يسعى بلحــــم ودم
كان عبد الله في دعوتــــه   ولهذا فاق كل القمــــم
باسمه قد قرن الله اسمــــه   فهما في كل قلب وفــــم
ذاك فضل لم ينله احــــد   قبله . أو بعده في الامــم

★★★

كن صديق الناس طـرا مثله   وتفقدهم وان كانوا جفاة
واذا ما عثروا فانهض بهــم   هكذا ينهض بالمرضى الأساة
وتقبل من مسيء عــــذره   أنت بعض الناس . والناس خطاة
أنت حي طالمــا احببتهــم   هكذا بالحب تعلو في الحيــاة

★★★

من يحب الله يحبب خلقــه   ليس في الحب مع الله حــدود
أنت كل الخلق في الله . وهم   أنت . والغيب مع الله شهود
وبعيد كقريب . طالمــــا   شغف القلب . وللحب شرود
واذا ما استغرق الحب امــرأ   فتح الكون له حيث يرود ■■

قضية ..

● هذه قضية تستحق ان نضعها امام كتاب العربي وقرائه. فقد نشرنا في عدد فبراير ... (عدد ٢١٩) مقالا بعنوان « البيض رفيق الانسان في الطفولة والشيخوخة » ، بعث الينا من دمشق الاستاذ حسان ... الدين الكاتب ، وبعد صدور العدد باسابيع قليلة ، فوجئنا بخطاب من احد قراء المجلة في السعودية هو الاستاذ عبدالله عبدالمحسن ادريس بادارة التعليم ... الطائف ، يقول ان المقال اثار انتباهه ، لانه قرأه بنصه من قبل في كتاب « الغذاء لا الدواء » للدكتور صبري القباني. وبعد ايام تلقينا خطابا آخر — من السعودية ايضا — بعث به الاستاذ يونس سعيد لباده الذي يعمل بالظهران ، ويتضمن نفس الملاحظة .

ولم يكن امامنا الا ان نرجع الى كتاب الدكتور القباني لنتبين الحقيقة ، فوجدنا ان المقال منقول منه بالفعل ، مع تبديل وتغيير في ترتيب الفقرات ، الامر الذي كان لابد معه ان نضع الامر امام كتاب العربي وقرائه لكي نصحح الموقف من ناحية ، ثم لكي ننسب المقال الى كاتبه الاصلي من ناحية اخرى .

سؤال وجيه جدا !

● هذا السؤال يلح على ويحيرني ، ولا اجد له جوابا . اذا كنا نعلم جميعا ان عدونا الرئيسي هو اسرائيل ، ونرى باعيننا ونقرأ كل يوم ان الحليف الاول لاسرائيل هو امريكا ، وان الاسلحة تتدفق باستمرار من امريكا على اسرائيل ، لماذا اذن نلقى بكل ثقلنا الى جانب امريكا ، هل نتصور انها ستعطينا يوما ما شيئا لا ترضى عنه اسرائيل؟ هل هم الذين يضحكون علينا ، ام نحن الذين نضحك على انفسنا ؟

ربحي مواس

عمان — الاردن

— السؤال وجيه جدا، واجابته عند اهل السياسة.

استطلاع عن موريتانيا

● لثالث مرة اكتب لكم، لماذا لاتنشرون استطلاعا عن موريتانيا ، وشعبها المسلم ، حتى يعرف العرب والمسلمون شيئا عن اخوانهم وعن بلادنا . لقد تحمل « العربي » مسئولية تعريفنا بوطننا الكبير، ويجب ان يستمر في اداء رسالته .

محمد احمد بن محمد الامين

نواكشوط — معهد الحرم

— هذا اول خطاب يصلنا منك . ولن نخيب املك . فاستطلاع موريتانيا في الطريق .

اعلانات السجائر

تنشرون مقالات عن اخطار التدخين ، وفي الصفحات الاخيرة نجد اعلانا عن صنف من السجائر كتب تحته انه رمز الجودة والنكهة . هل نصدق المقال ام الاعلان ؟

المغرب — العمراني عبد الله

— لقد ادينا واجبنا في التعريف باخطار التدخين، والاختيار متروك لك .

رسالة الشهر

•• وهجرة العقول للخارج ؟

بمناسبة المناقشة التي جرت على صفحات « العربي » حول السلطة والمثقفين في البلاد العربية . فان ثمة جانبا اخر من الصورة ينبغي ان يسلط عليه الضوء وهو : هجرة العقول العربية الى الخارج .

فقد جاء في تقرير للامم المتحدة وزع على لجنة التنمية الاجتماعية المنعقدة في جنيف (محرم ١٣٩٧هـ ـ يناير ١٩٧٧م) ان « الدول النامية » قد فقدت نحو ٣٠٠ الف باحث ومهندس وطبيب وجراح . ان هؤلاء غادروا بلادهم الى الدول الصناعية خلال المدة ما بين ١٩٦٠ و ١٩٧٢ . وكم كان اسفي عندما قرأت مرة في مجلة التايم الامريكية ان عددا من المواطنين يزيد عن المائتين قد هاجروا الى كندا من دولة عربية غنية .

اننا لكي نبقى على هذه الثروة البشرية ، لا بد ان نوفر مجموعة من الظروف في مقدمتها :

● انه من المهم ان نتقبل تعدد وجهات النظر وان نتحمل اختلافها في تعايش صادق مع من يختلف معنا . وعلينا ان نرى أن في ذلك فرصة تتضمن سعة قاعدة الاتفاق ، لا انها معضلة تبعث على الاختناق . ومن المفيد العمل على جلب وجهات النظر المتعددة ، وعلى اشراك الاشخاص الذين عرف عنهم اعتدادهم بارائهم . ذلك ان الاصرار على تطابق الاراء ، والتامين (قول امين) لكل ما يقال ، والتصفيق لكل ما يجرى ، كل ذلك قد يؤدى الى شيء من الارتياح الاني . والارتضاء العاجل ، والاطمئنان المؤقت . ولكن هذا لايعني بالضرورة تحقيق مصلحة الامة ، ولا الاستفادة الفعالة من طاقات رجالها ونسائها .

● على السلطات العربية ان تهيىء للمثقفين جوا ملائما يشعر فيه كل باحث ومفكر وكاتب بالارتياح بحيث يعطى قدرا مناسبا من الاهمية والحرية والاعتبار ، وحيث يستجاب لمتطلباته وحاجاته الفردية بما يقلل مناخات الملل وتبلد الشعور .

● من اهم المغريات التي تجذب المثقفين الدول « النامية » الى الدول المتقدمة هو تـ[illegible] مرافق ووسائل البحث من ادوات ومعدات ومختبرات ووقت ومخصصات مالية لشتى العلوم والفنون . فلقد خصصت الولايات المتحدة ، على سبيل [illegible] في عام ١٩٧٥م ، ما لا يقل عن عشرين بليون دولار ـ في عام واحد ـ وذلك لتنمية البحث والتحديث . ويدور بخلدى مثال [illegible] ساتذة الجامعات ـ وهو مثال لكثير ـ في احدى الـ[illegible] العربية حيث نشأ وتعلم وعلم ، [illegible] ان نـزح الى امريكا حيث تفتحت له [illegible] ، حتى وصل الى اعظم مرافق واجهز[ة] القومية لابحاث الفضاء (ناسا) .

ان من يتابع الحوار الذى نشرته الـ[illegible] الاشارة الى الضغوط من قبل السلطة [illegible] بالمجتمع ، ولكنى اختار هنا التعرض [illegible] الزملاء والرفاق . فكم من مثقف عالم عانى من هيمنة وحسد و « تعقيد » زملائه ـ وخاصة ذو[ي] الاقدمية والمراكز منهم ـ وكم لاقى من [illegible] في محاولاته التجديدية والتحسينية على ايديهم .

وفي هذا ـ من وجهة نظرى ـ [illegible] وقسو[ة] وايلام لا يفهمه المثقف ولا يكاد يطيقه او يغفر[ه] فهو صادر من اناس يتوقع منهم مقلوب ذلك من : حنو ورأفة وتعاطف .

الدكتور ابراهيم عباس نتو

جامعة البترول والمعادن ـ الظهران

احداث الرياضة

● لماذا لاتخصصون مساحة ثابتة لابرز الاحداث الرياضية ، وهي مادة مقروءة لدى كل شبابنا ؟

محمد صالح ـ دهوك ـ العراق

ـ وماذا نترك للصحافة اليومية والاسبوعية ؟

■ مسابقة هذا العدد هى « الكلمات المتقاطعة » ٠٠ والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا ٠٠ ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه ٠٠ اما الكوبون المنشور فى اسفل الصفحة ، فمن الضرورى ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحدة من الجوائز التى مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الآتى :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير ٠

ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة العربى صندوق بريد ٧٤٨ الكويت « مسابقة العدد ٢٢٢ » واخر موعد لوصول الاجابه الينا هو أول يوليو (تموز) ١٩٧٧ ٠

■ اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ستجد فى (٨) أفقيا اسم شخصية نسائية من فجر الاسلام ، كما ستجد فى (٨) رأسيا اسم مكتشف جغرافى شهير ٠

الكلمات الافقية :

(١) اوبرا لموزار ـ قديسة اورليانز ٠
(٢) من الاحجار الكريمة ـ عاصمة اوروبية ٠
(٣) نقابل ـ من الأحياء المائية ٠
(٤) من فنون التعبير ـ نائم ـ للتمنى ـ شهر هجرى ٠
(٥) مرض ـ عاصمة مصرية قديمة ـ مقام موسيقى ٠
(٦) عارض ـ طيع ـ يناهز ٠
(٧) نصف كلمة (شارل) ـ من المحرمات ـ أتمت ـ نصف كلمة (ذراع) ٠
(٨) شخصية نسائية من فجر الاسلام ٠
(٩) يقترب ـ فى الجيب ـ مكتسح ٠
(١٠) لفظة ألم ـ سلالة ـ مقايضة ٠
(١١) أدعها ـ يماشيه ٠
(١٢) من مستخرجات الألبان ـ نصف كلمة (ديار) ـ وحدة موازين ـ ضمير ٠
(١٣) تتابعت ـ يغطى عضلات الجسم ـ يشغل ٠
(١٤) جزيرة فى المحيط الاطلسى نفى اليها نابليون ـ من ادوات الاستنتاج المنطقى (معكوسة) ٠
(١٥) يبصر ـ من المضادات الحيوية ـ أجاب ٠
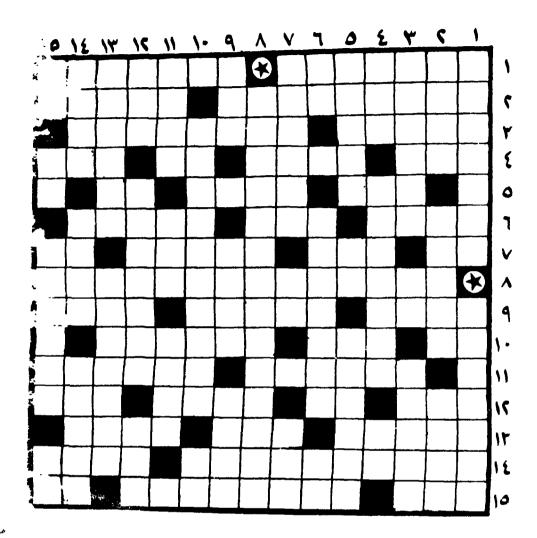
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥
١								★							
٢										■					
٣						■									■
٤				■					■			■			
٥		■				■					■			■	
٦					■				■						■
٧			■				■						■		
٨	★														
٩					■						■				
١٠			■				■							■	
١١		■							■						
١٢				■			■					■			
١٣						■				■					■
١٤											■				
١٥				■									■		

الكلمات الرأسية :

(١) حيوان منقرض ـ نهر آسيوى شهير •
(٢) من الاقارب ـ من زينة النساء ـ كساء •
(٣) تجمعات عمالية أو حرفية ـ فى الفم ـ ذاتى •
(٤) فرقة موسيقية ـ ولاية أمريكية ـ نصف كلمة (قالت) •
(٥) نسق ـ نصف كلمة (بارع) ـ حكتها •
(٦) متشابهان ـ المادة الوحيدة التى تتفاعل مع جميع المعادن ـ نصف كلمة (دخيل) •
(٧) فى الدائرة ـ من الحبوب ـ أحضر •
(٨) مكتشف جغرافى شهير •
(٩) فى المدرسة ـ كتاب صغير ـ من الاشجار (معكوسة) •
(١٠) سلسلة جبال آسيوية ـ حرف استفهام •
(١١) نختبر ـ من أعضاء الجسم ـ يعطتم (معكوسة) •
(١٢) طريق ـ آلة موسيقية وترية (معكوسة) ـ عجوز •
(١٣) من المنسوجات ـ التخويف (معكوسة) •
(١٤) شاعر أموى (معكوسة) ـ غدا ـ شهر ميلادى •
(١٥) نصف كلمة (كندا) ـ مناص ـ ادركتها ـ قوام •

النجوم العشر
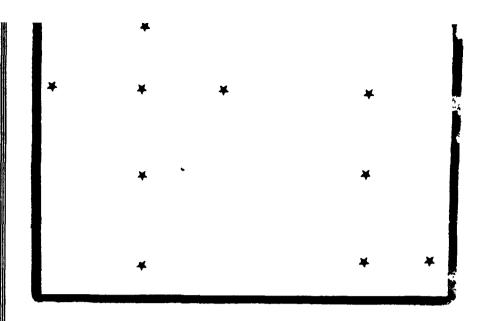
هل يمكنك أن ترسم اربعة خطوط مستقيمة متوازية وعلى أبعاد متساوية من بعضها البعض ، تقسم المستطيل الى خمسة أقسام بحيث نحصل على نجمتين فى كل قسم منها ؟

ملحوظة :الخطوط المطلوبة لا توازى أضلاع المستطيل، ولا تقسمه الى اقسام متساوية ٠

● بالعقل فقط ●

استاذ نبيه يسأل :

ما اسم البنت التى تفوقت فى السباحة ؟

السيدة نادية لها ثلاث بنات رياضيات هن: أمينة ، وبهيجة ، وجميلة ٠ اشتركن هذا الصيف فى ثلاث مسابقات رياضية فى تونس ومصر والمغرب ، وكن متفوقات فى التنس ، والسباحة ، وفى سباق الزوارق الذى جرى فى المغرب ٠

امينة لم تذهب الى المغرب ، كما أن جميلة لم تشارك فى السباق الذى جرى فى تونس ٠ والابنة التى تفوقت فى السباحة لم تسافر الى مصر ٠

فاذا لم تكن بطلة سباق الزوارق هى جميلة ، فمن هى الابنة التى تتفوق فى السباحة ؟

● النجمة والسهم ●

عالم فلكي شهير

ابدأ بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة، بعد ذلك انقل الحروف التي في المربعات الموجودة فيها السهم، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لعالم فلكي شهير اكتشف كوكب زحل، ثم انقل الحروف التي في المربعات الموجودة فيها النجمة، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك العالم.

الكلمات الافقية :

(١) من الجهات الأصلية .
(٢) في ألسنة النار ـ مقام موسيقى .
(٣) اسـة .
(٤) أثير النفوس .
(٥) مرشـد .
(٦) يطير ـ ظلم .

الكلمات الرأسية :

(١) نهر أوروبي معروف .
(٢) في حلق الانسان .
(٣) من أجزاء العين .
(٤) من الدواجن .
(٥) انثى العبد ـ مقام موسيقى .
(٦) يغضبني ـ لقب أوروبي .
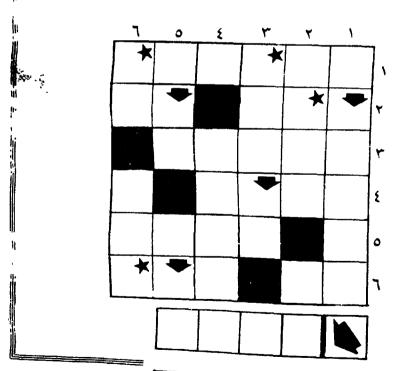
الزهور والدوائر

فى الرسم ٦٤ مربعا ، أربعة منها تشغلها الزهور ، وأربعة أخرى تشغلها الدوائر السوداء .

هل تستطيع أن تقسم هذه المربعات الى أربعة أشكال متساوية فى الحجم ومتشابهة فى الشكل ، بحيث يحتوى كل شكل منها على زهرة ودائرة .

علما بان التقسيم يجب أن يسير فى اتجاه الخطوط المرسومة بالشكل ؟
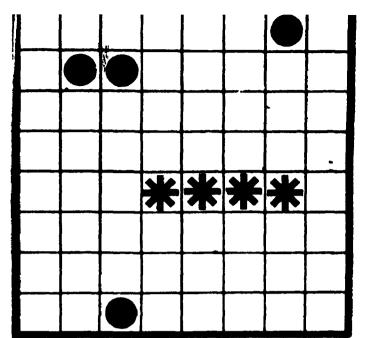
الشائب المزواج

رغم سنه الكبير فقد تزوج رجلنا العجوز (الشايب) من بنتين صغيرتين . واذا كان قد عانى من محاولات التوفيق بينهما ، فقد ترك لنا أيضا مشكلة تحتاج الى حل . الحل المطلوب هو أن نعرف الصورة الموجودة فى ورقات اللعب الثلاث التى نرى ظهرها .

المطلوب أن نعرف رقم كل من (الشايب) و (البنتين) من واقع المعلومات التالية :

أ ـ على يمين الشايب توجد بنت أو اثنتان .

ب ـ على يسار البنت توجد بنت او اثنتان.

ج ـ على يسار الورقة من نوع الديناري ، توجد ورقة بستوني أو اثنتان .

د ـ على يمين الورقة الديناري توجد ورقة بستوني أو اثنتان .

لمعلوماتك ، أوراق اللعب تتضمن أربعة انواع من كل رقم أو صورة ، تختلف فى رسومها وهى : ديناري ، وبستوني ،سباتي، وكوبه (أو القلب) .
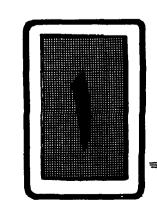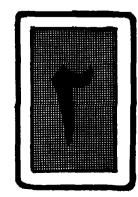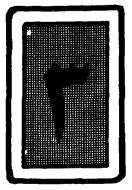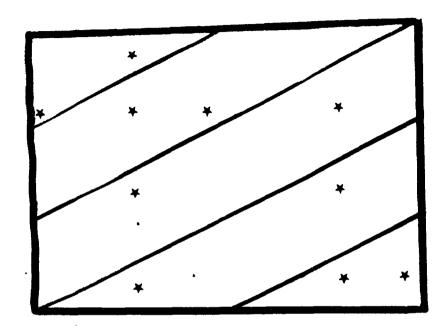
النجـوم العشر : كما فى الرسم .

عالم فلكى شهير (النجمة و السهم)

وليـم هرشل .

استاذ نبيه يسأل :

البنـت التـى سـافـرت الـى المغـرب هى التى شاركت فى سباق الزوارق ، وامينة لـم تسافر الى المغرب ، ولما كانت جميلة لا تشارك فى سباق الزوارق ، فلا بد أن بهيجة هى التى دخلت سباق الزوارق فى المغرب .

جميلة لم تلعب مسابقتها فى تونس ، فلا بد ان امينة هى التى شاركت فى المسابقة التى جرت فى تونس ، وبهذا تكون جميلة قد سافرت الى مصر ، فهى اذا لم تشارك فى مسابقة السباحة . اذا امينة هى التى شاركت فى سباق السباحة الذى جرى فى تونس .

الشايب المزواج :

١ ـ من (أ) نعلم ان الورقة رقم ١ لا يمكن ان تكون الشايب •
٢ ـ من (ب) نعلم أن الورقة رقم ٢ لا يمكنان تكون الشايب •
+ اذا الشايب هو الورقة رقم ٣
٣ ـ من (ج) نعلم أن الورقتين رقم ٢ ، ٣ لا يمكن أن يكونا من نوع الديناري •
٤ ـ من (د) نعلم أن الورقتين اللتين من نوع البستوني يجب أن تكونا متجاورتين •
+ اذا الورقتان رقم ١ ، ٢ هما من نوع البستوني

وعلى ذلك تكون الاجابة كالتالي :
الورقة رقم ١ هي البنت الديناري •
الورقة رقم ٢ هي البنت البستوني •
الورقة رقم ٣ هي الشايب البستوني •
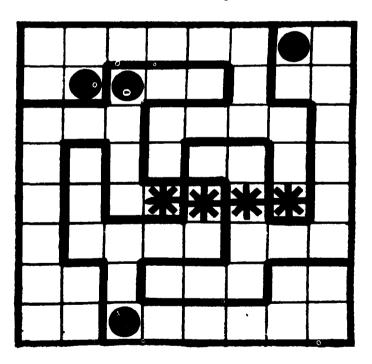
الزهور والدوائر :

كما في الرسم •

وست إند
مضمونه ١٠٠ ٪
تحفظ
الوقت
بدقة
اكثر
الساعات
انتشاراً في
البلاد العربية
UNIVERSE
الوكيل العام
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفا - دولة الكويت
ص. ب ٣٣٤ - تلفون ٤٣٣٥٨٥

من المسرح العالمي

وزارة الإعلام في الكويت

أول مايو ١٩٧٧

٩٢/٢

من الأعمال المختارة

جون ملنجتون سنج - ٢

العزب المدلل • ديردرا فتاة الأحزان • عندما غاب القمر

ترجمة : د. أحمد السيد النادى

مراجعة : د. عبد الله عبد الحافظ متولى

أمان بالإضافة إلى فائدة حسنة

مدة محددة طولها سنتان

مبالغ مقدارها ١٠٠٠ جنيه استرليني أو أكثر تربح ١١½٪ في السنة عن مدة محددة طولها سنتان في حساب وديعة زمنية. الفائدة تدفع كل نصف سنة دون خصم الضريبة البريطانية في المصدر. يدفع ١٠¾٪ في السنة عن مدة محددة طولها سنة واحدة. ويدفع ١٠½٪ في السنة عن مدد محددة طولها ٣ و ٤ و ٥ سنوات.

١١٪ في السنة ودائع دخل شهري

١٠٠٠ جنيه أو أكثر تربح ١١٪ في السنة عن مدة محددة طولها سنتان، وتدفع الفائدة شهرياً دون خصم أية ضريبة. تربح الوديعة ذات الدخل الشهري، المودعة مدة سنة واحدة، ١٠¼٪ في السنة. أما عن مدد محددة طولها ٣ أو ٤ أو ٥ سنوات، فيدفع ١٠٪.

لومبارد نورث سنترال هو عضو في مجموعة بنوك ناشونال وستمنستر لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بأمان تام لرأسمالك. تفضل بإرسال الكوبون طلباً لتفاصيل المجموعة الكاملة لمختلف حسابات الودائع.

أسعار الفوائد أعلاه صحيحة وقت تحضير هذا الإعلان للنشر.

Lombard North Central
Bankers

To: The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH England.

الإسم: ________________

العنوان: ________________

____

________________ X182

عضو في مجموعة بنوك ناشيونال وستمنستر التي يزيد رأسمالها واحتياطيها على ٨٥٩,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

Registered Office: Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU England

الشاحنة رقم ١ في اليابان

هناك العديد من الشاحنات الثقيلة الممتازة في اليابان، غير أن فوزو تفوقها كلها مبيعاً. تكلموا مع موزع كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل مهمة. إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت بفوزو إلى الشرق الأوسط. ولذلك يمكنكم أن تثقوا من توفر قطع الغيار والخدمة التي تعقب البيع.

ناقلة الماء ميتسوبيشي فوزو

في جميع انحاء الشرق الأوسط

شركة المسيلة للتجارة
ص ب ٢١٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس AL MULLA 107496

عبد الرحمن الزياني واولاده
ص ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI

الشركة الاقتصادية ش م
١٩(ب) شارع ٢٦ [illegible]
تلفون ٤٦٠٥٥
[illegible]

الشركة التجارية الاردنية المحدودة
ص ب ١٢٩
عمان، الأردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس WAL JO 1311 AMMAN

عزيزي القارئ

● نستطيع ان نقـول بغير مبالغـة ان الأسابيع الماضيـة كانت ...
المؤتمرات العربية والاسلامية ، ربما لان الجميع يحرصون على ان ينتهوا مما
هو مرصود فى جدول اعمالهم ، قبل ان يزحف الصيف بحرارتـه ، ويصبح
« المناخ » غير ملائم للاجتماع ، فضلا عن العمل •

ذلك انه لم يكن يمر اسبوع الا ونقرأ فى الصحف عن مؤتمر عالمى او
عربى فى احدى عواصمنا ، حتى يكاد المرء يتصور ان كل شئون الدين والدنيا
قد حان اوان بحثها وحسمها • فثمة اجتماعات اسلامية تمتد من مؤتمر الدعوه
الى المؤتمر الزراعى لعلماء المسلمين ، وثمـة مؤتمرات اخـرى اقتص...
لصندوق النقد العربى والاوبك والتامين العربى ، ومؤتمرات اخ...
مثل استخدام التكنولوجيا والطاقة الشمسية •• وهكذا •

والى جانب لقاءات الأسرة العربية الكبيرة ، فثمة لقاءات اخرى على
مستوى الاسرة الصغيرة ، منها تلك التى يشهدها الخليج العربى بين العين
والاخر ، واللقاءات الثنائية التى تتم لحل مشكلات الحدود مثلا ، او غيرها من
القضايا المعلقة •

وتلك ظاهرة ايجابية فى حد ذاتها • ان يلتقى العرب والمسلمون ،
ويتناقشوا فى أمورهم ، فى اطار من الفهم والتفاهم • لكننا مع ذلك نود
ونقول انه على كثرة تلك المؤتمرات وتعددها ، فان المواطن العربى لا يزال
يترقب تلك اللحظة التى يلمس فيها النتائج التى تنعكس على حياته وواقعه •

نحن نفهم ان هـذه المؤتمرات واللقاءات ليست هـدفا فى حد ذاتها
ولكنها وسيلة لبلوغ هدف اكبر هو ، باختصار شديد ، اقامة الجسور
اطراف امتنا العربية او الاسلامية ، من اجـل تحقيق اكبر قدر مـن
والاستقرار ، الذى ينصرف عائده فى نهاية المطاف الى الانسان العربى •

اللقـاءات والمؤتمرات مطلب حيوى ، ويجب ان تستمر فى ظـل كل
الظروف، وفى كل الميادين •

لكن انعكاس اثر هذه اللقاءات على الواقع العربى والاسلامى ، مطلب
آخر اشد لزوما واكثر الحاحا •

اذ ان عربيا واحدا ـ مثلا ـ لا يرضى ان تقام كل تلك الجسور بين
امتنا العربيـة ـ فى الماضى والحاضر ـ ثم يكـون هذا المشهد المحزن الذى
نعيشه اليوم •• نقرؤه فى الصحـف ونستمع اليه فى الاذاعات •

كاننا فى خصام منذ الأزل ، وفى عراك الى الأبد !!

المحـرر

رئيس التحرير : أحمد بهاء الدين

القسم العام :

اســلاميات :

عروبــة :

طب وعلــوم :

استطلاعات :

أدب وتراث :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الاعلام بحكومة الكويت

والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABI — No. 223 JUNE 1977 — P. O. Box 748 KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٤٢٧١٤١ تلغرافيا « العربي »

الاعـــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات

المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

المجلة غير ملتزمة باعادة اي مادة تتلقاها للنشر

صورة الغلاف :
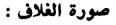
● جيل المستقبل فى موريتانيا التىيقدمها « العربى » فى استطلاع الشهر ، حيث يمر هذا الجزء منالوطن العربى بظروف دقيقة توالت فى اعقاب ٨ سنوات متصلة من الجفاف . وتركت بصماتها على كافة اوجه النشاط ، بل على عناصر الحياة فيها . (اقرا الاستطلاع على الصفحات ٦٨) .

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ، الخليج العربى ريالان قطريان ، البحرين ٢٠٠ فلس بحرينى ، العراق ١٢٠ فلسا . سوريا ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ريالان سعوديان . السودان ١٠ قروش . ج.م.ع ١٠ قروش . تونس ٢٥٠ مليما . الجزائر ٢٫٥ دينار . المغرب ٢٫٥ درهم . اليمن ٢٫٥ ريال . ليبيا ١٥٠ درهما . جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ٢٠٠ فلس .

الاشتراكات : يراجع طالب الاشتراك :

١ ـ الشركة العربية للتوزيع وعنوانها : ص . ب (٤٢٢٨) بيروت/لبنان .

٢ ـ مؤسسة توزيع الأخبار وعنوانها : ٧ شارع الصحافة/القاهرة/مصر .

عشر سنوات على

بقلم : أحمد بهاء الدين

● في الخامس من يونيو ، هذا الشهر تمر عشر سنوات على حرب يونيو ١٩٦٧ .. اوهزيمة يونيو ، كما تشاء .

عشر سنوات كاملات ، واسرائيل ما زالت تحتل اراضي ثلاث دول عربية محيطة بها ! .. يا للهول !

ان مجرد الفكرة تبعث الرعشة في اى نفس ! بل تكاد تبعث الشلل وعدم القدرة على اى تفكير سليم !

من كان طفلا في العاشرة لا يعي ما حوله صار شابا في العشرين ! من كان شابا في العشرين يستقبل حياته العملية صار رجلا في الثلاثين ، له زوجة واطفال ، وكل شيء في حياته خلال السنوات العشر كان مثقلا بكل اعباء ومرتبات هذا الكابوس ! ومن كان رجلا في قمة النضج والمسئولية في سن الخمسين ، صار شيخا في الستين ، ولم ير العدوان الجاثم يرحل بعد !

صورة مرعبة ! ولكنها الحقيقة ، مهما كانت قاسية ، لا بد ان نمسك ازاءها بزمام انفسنا ، ونحاول ان نرى الصورة بكل الوانها وظلالها . ولا نكتفي بمجرد البكاء والعويل ، كما اننا فيما اظن لسنا مستعدين لسماع محترفي اخفاء العيوب والقاء اناشيد الفخر وتخدير الناس بـ « امجاد يا عرب امجاد ! »

●

لقد وقعت بين العرب والاسرائيليين ـ منذ اعلان قيام الدولة ـ اربع حروب ، كل حرب منها كان لها طابعها وظروفها ...

٥ يونيو.؟ يا للهول!

- حرب ١٩٤٨
- حرب ١٩٥٦
- حرب ١٩٦٧
- حرب ١٩٧٣

ووجوه الشبه والاختلاف بين هذه الحروب الاربع ، بظروفها ونتائجها وملابساتها ، كثيرة ٠

ولكن يكفى هنا ان نركز على القليل من النقاط ، التى قد لا تبدو واضحة ولا هامة للوهلة الأولى ، وهو أمر غير الواقع ٠٠٠

ان الطابع الذى نلاحظه فى الحروب الثلاث الأولى ـ ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ـ هو التدبير والاعداد المحكم الطويل واختيار الوقت من جانب اسرائيل ، الى جانب تآمرها السرى فى الحالات الثلاث مع قوى خارجة عن المنطقة ، وهو أمر يدخل على أى حال فى التدبير والاعداد المحكم بمعانيه العسكرية والسياسية ٠٠ ويقابل هذا من الجانب العربى ـ فى الحالات الثلاث ـ الارتجال المطلق ٠٠٠ وعدم توقع قيام الحرب حتى اللحظة الأخيرة ٠٠٠

● فى حرب ١٩٤٨ ، كانت معظم الدول العربية محتلة بجيوش اجنبية ، ولم تكن لها جيوش بالمعنى الحديث ، وكانت خلافاتها حول اسلوب العمل كثيرة ، هل تدخل الحرب بجيوشها ، ام تدخل الحرب بمتطوعين ام لا تدخل الحرب قط ٠ حتى الأيام القليلة السابقة على اعلان الاسرائيليين لقيام دولتهم ، وصرخة

هذا مقدما ، كان العرب غير متفقين على خطة عمل ، ولا كانت لهم مصادر سلاح منظم ، ولا أهداف من الحرب متفق عليها • فكانت هناك جيوش رسمية ،وجيوش شعبية ، وتجمعات فردية ، وهجرات واسعة ••••

ويكفي ان مجلس الوزراء المصرى ـ مثلا ـ لم يعرف بان قرار دخول الحرب قد تم اتخاذه ، الا قبيل تحرك الجيوش بأيام •

● وفى حرب ١٩٥٦ ، كان الموقف العربى مرة اخرى ممزقا ، فحاربت مصر وحدها ، او بالأحرى « حوربت » مصر وحدها • ولم يكن فى بال القيادة المصرية وهى تؤمم قناة السويس ان اسرائيل تستطيع ان تحارب بمفردها ، ولم يخطر لها ببال حتى بعد بدء الهجوم الاسرائيلى انه هجوم شامل حقا وليس مجرد عمليات شغب على الحدود ، ولا ان جيوش وأساطيل وطائرات انجلترا وفرنسا ستدخل المعركة بعد ساعات ، بل انها هى صاحبة المعركة الحقيقية •

وفى كتاب موشى ديان عن حرب ١٩٥٦ ملاحظتـــان هامتان تؤكدان هذا المعنى :

الأولى : فى قوله ان خطته كانت مبنية على ان لا يبدو حجم الهجـوم الاسرائيلى بالكامل الا بعد أيام ، حتى يخدع القيادة المصرية ، فلا تعاجله بقوة أكبر ، وحتى يبدأ التدخل العسـكرى الانجليزى الفرنسى بالفعل •

والثانية : فى قوله ان ضباط الميدان لم يقتنعوا بشرحه لهم خطة المعركة ولا بحجم القوات الصغير الذى سيغزو سيناء• وكان عليه انيبقى أمر التواطؤ مع انجلترا وفرنسا سرا •• فقال لهم : لا تقلقوا •• سـنكون فى هذه الحملة كراكب الدراجة الذى يمسك بسيارة لورى ضخمة مسرعة ، فتجره بسرعتها !

● ونفس الشيء ،ربما بصورة افدح ، فى الحرب الثالثة سنة ١٩٦٧••• من ناحيـة ، بدأ التخطيط الاسرائيلى لهذه الحرب منذ اضطرارهـم للانسحاب سنة ١٩٥٦ •• اى قبل يونيو ٦٧ بعشر سنوات •••

هكذا قال حرفيا قائد سلاح الطيران الاسرائيلى السابق الذى نفذ الضربة الجوية الساحقة يوم ٥ يونيو ، فى حديث منشور بعد انتهاء الحرب • قال : « لقد بدأنا نعد الخطة قبل عشر سنوات • كنا نعيش الخطة كل يوم ، ونبدلها كل يوم ، ونتمرن عليها كل يوم » •••

واذا لم تكن كلاسرار يونيو ١٩٦٧ قد انكشفت بعد ـ كما انكشفتاسرار حرب السويس سنة ١٩٥٦ ـ فان التواطؤ الدولى مؤكد • وعملية نصب الشراك لاستدراج العرب الى القتال كانت تمضى باحكام •

اما على الجانب العربى فكانت نفس الفوضى الضاربة • ونفـس عـدم الاقتناع نفســيا بأن اسرائيل دولة جادة فى التوســع والحرب • ولم يتيقن عبد الناصر من جدية احتمال الحرب الا قبل الهجوم الاسرائيلى بيومين اثنين كما عرف رسميا • ونصح مع ذلك من الدول الكبرى ان لا يتحرك ، بمعنى ان هناك ضغطا على اسرائيل لكي لا تبدأ بالقتال • ولا شك ان اسرائيل كانت تقوم بخدعة اخرى فى هذا المجال • واعلن موشى ديان قبل الهجوم بيوم واحد

ان المجال متسع للتباحث خلال اسبوعين على الأقل • وعرف رسميا ايضا بعد ذلك ، ان ابا ايبان حصل على وعد امريكى بانه فى حالة صدور قرار من مجلس الأمن بوقف القتال ، ان لا يقترن القرار بالفقرة التقليدية التى تقضى « بعودة الاطراف المتحاربة الى مواقعها قبل القتال » • ودارت عجلة الاعلام الجهنمية فى العالم يوم الحرب تردد كلام اسرائيل ان مصر قد بدأت الهجوم ، فى حين كانت اسرائيل قد انتهت فعلا من تدمير السلاح الجوى المصرى والمطارات قبل ان يتحرك جندى واحد ، وبعد الحرب حين سئل موشى ديان عن حقيقة الذى بدأ الحرب ، رد باستهتار قائلا : « هذه مسألة اصبحت أكاديمية ! »

وكان نصف الجيش المصرى فى اليمن ، وتنادت الدول العربية للقتال كما كانت تتنادى القبائل ايام الجاهلية •

تفاصيل مبعثرة ، ولكن المهم فيها انه ، للمرة الثالثة فى عشرين سنة ، كانت الصورة واحدة : الطرف الاسرائيلى مستعد تماما ، عسكريا ودوليا واعلاميا ، والطرف العربى على النقيض تماما ، فى الارتجال ، والغرق فى المشاكل الجانبية والكيد لبعضهم البعض •

على ان أخطر ما يدل عليه هذا الارتجال ، هو انه رغم كل ما كانت تصرخ به اقلامنا وحناجرنا وصحفنا واذاعاتنا وتصريحات مسئولينا •• من حملات كلامية على اسرائيل ، ومن حديث عن نواياها التوسعية العدوانية •• الى آخره ، فانه يبدو ، من هذا الارتجال والاهمال الذى دام عشرين عاما ، ان فكرة « طبيعة اسرائيل التوسعية » لم تكن راسخة ولا عميقة فى اذهاننا بالفعل •••

كنا نتحدث عن التحرير ، واسرائيل تستعد للتوسع •

كنا نتحدث عن الحرب ، واسرائيل تتحدث عن السلام ، ولكنها تستعد وتعمل فعلا للحرب •••

قرار الحرب والتوسع ، موجود ومرسوم والمجتمع الاسرائيلى كله يستعد له دائما ، ولا يترك للصدفة الا اختيار الذريعة والوقت المناسب • ونحن نشرح فى دعاياتنا هذا كله للعالم ، ولكننا فى قرارة نفوسنا لا نصدقه •

او ••• كان ما فى فكرنا منفصل تماما عن ارادتنا ، كل منهما فى واد • نرى الشىء ونفكر فيه ، ولكن لا « نعمل » ما يجب لملاقاته •

والحرب « الاستثناء » بين الحروب الأربع ، كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، فبقدر من الاستعداد ، والترتيب والجسارة ، والمبادرة ••• أثبتنا ، على الأقل ، ان اسرائيل ليست معجزة ، وانها ليست كائنا اسطوريا لا يقبل الهزيمة •

●

والغريب المؤلم ان هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، جاءت فى فترة زاهية نسبيا فيما يتعلق بالعرب بوجه عام •

فحرب ١٩٤٨ كانت معظم البلاد العربية ايامها محتلة عسكريا ، وهذا

و. · يكفي ليكون قيدا حديديا ـ ولو خفيا ـ على قدرتها وارادتها · وكان العالم العربي » واقعيا يكاد لا يعني سوى ما يسميه العسكريون ـ « بالشرق الأدنى » ···

وحرب ١٩٥٦ جاءت والحركة العربية تكاد تكسب صراعها من اجل الاستقلال · ولكن كانت هناك حرب الجزائر ، والاحتلال في الخليج وجنوب شبه الجزيرة العربية · وكانت هناك جيوش ثلاث دول تهاجمنا ·

اما حرب ١٩٦٧ ، فقد تعرضنا لها وقد اتصل العالم العربي من المحيط الى الخليج حقا · وزال الاستعمار تقريبا من معظم الأرض العربية···ووصلت قيمتنا الدولية الى قمتها خصوصا في العالم الثالث · وصارت لدينا ثروة بترولية ليست لها قوتها الآن ، ولكن كان لها وزنها الكبير الذى ربما كنا لم ندرك مغزاه كاملا بعد · وكنا مدججين بالسلاح · وفي هذا الأوج ، حلت بنا الضربة القاصمة !

اذن فالشقاقات العربية التي بلغت ذروتها كانت مسئولة · وعدم الاقتناع الكافي بمخططات اسرائيل كان مسئولا · وضخامة الحجم العربي التي كانت بادية للعيان كان بعضها « تضخما » ·· !

على ان فترة ما بعد هزيمة ١٩٦٧ ، تميزت بمظاهر لم يسبقها مثلها بعد الحروب السابقة ، او بالتحديد بعد حرب ١٩٤٨ التي يمكن ان تكون المقارنة بها أدق · حيث ان حرب ١٩٥٦ كانت نسيجا مختلفا بعض الشيء ·

فلأول مرة ، بعكس ما حدث بعد حربي ٤٨ و ١٩٥٦ ، اعقب هزيمة ١٩٦٧ قيام وبروز الشخصية الفلسطينية ، وعودتها الى المسرح تمارس دورها بقوة ربما لأول مرة منذ اخماد الانجليز للثورة الفلسطينية الكبرى التي استمرت من ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ · فمن حيث ظنت اسرائيل انه بتمام احتلالها لكامل التراب الفلسطيني ، ولأراضي ثلاث دول عربية اخرى ، فانها تكون قد محت آخر وجود للشعب الفلسطيني،فان العكس تماما هوالذى حدث · ودور المقاومة الفلسطينية من ذلك الوقت حتى اليوم معروف · ولم يعد ممكنا تجاهل رأيهم كما حدث قبل ذلك طوال عشرين سنة ·

وبعد ١٩٤٨ ، كان الرفض العربي للهزيمة سلبيا ، فلم يلبث ان صار كلاما ميتا · بل وخمدت القضية واقعيا حتى أثارها الاسرائيليون انفسهم ـ وهجوميا ـ سنة ١٩٥٦ ·

اما بعد يونيو ١٩٦٧ ، فقد كانت المكاسب التي حققتها الشعوب العربية في ساحات اخرى في الفترة السابقة ، وكانها قد « صلبت عودها » فكان الرفض العربي ايجابيا ···

حين رفض الشارع العربي كله من اقصاه الى ادناه تنحي جمال عبدالناصر، رمز مواجهة اسرائيل حتى ذلك الوقت ، كانوا في الواقع يرفضون الرضوخ للهزيمة العسكرية ، ويحتفظون بحقهم في جولة اخرى ···

وحين شبت قامة المقاومة الفلسطينية من بين الركام ، وفي أحلك اللحظات، كان هذا رمزا ثانيا من رموز هذا الرفض التام ...

لم تعد الجبهة الاسرائيلية الى هدوئها كما حدث بعد ٤٨ او بعد ١٩٥٦.. بدأت المقاومة الفلسطينية ...

ثم بدأت حرب الاستنزاف المصرية على جبهة سيناء ...

وقامت حركات مقاومة شعبية ، داخلية ، باسلة ، من العرب الواقعين تحت الاحتلال ، لم تعرف اسرائيل سابقا لها .. وما تزال ...

وتصاعد التوتر بعد ان ظنت اسرائيل انها اخمدت انفاسنا . وتصاعد التسلح بشكل خطير .

والى جانب الثورة المتصلة لسكان الأراضي المحتلة ، والمقاومة الفلسطينية، وحرب الاستنزاف ، قطع العرب جمود الجبهة - لأول مرة من جانبهم - بحرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، التي يكفي أنها اثبتت:ان العرب قادرون على اتخاذ زمام المبادرة ، وعلى ان يفرضوا الحرب لا ان تفرض عليهم الحرب دائما ، وعلى انهم اذا شاءوا قادرون على التخطيط والاستعداد والتنظيم ، فكانت بذلك ،فوق انها نقطة تحول مادية ، نقطة تحول « نفسية » بالغة الأهمية .

ولعل الجيوش العربية بدأت لأول مرة تصبح جيوشا حديثة محاربة بعد حرب ١٩٦٧ ، وهو امر هام بدوره .

ولأول مرة ايضا ، سنحت الفرصة للعرب ، ان يستخدموا سلاحا خطيرا هو سلاح البترول ، ولا نخوض هنا في التفاصيل ، ولكنه سلاح خطير لأسباب كثيرة: فقد امضى العرب سنوات طويلة تحت تأثير حرب نفسية عاتية تحرم عليهم ربط البترول بالسياسة ولو بأوهى الخيوط . ثم انه حين نمعن النظر ، ليس بالسلاح السهل ، اذا أخذنا في الاعتبار ان البترول - من جهة - هو المصدر الوحيد للدخل لعدد من الدول البترولية ، وانه من جهة اخرى ، عماد الحياة الصناعية كلها في العالم المتقدم .

●

على ان هذه الجوانب الايجابية ، التى ذكرناها لا يجب أن تملأ نفوسنا بالرضا ..

فقد مرت سنوات عشر والاحتلال قائم ، وهذه ام الحقائق ..

وقد تفاقمت خلافات عربية كثيرة خلال هذه السنوات العشر ، وما تزال..

وقد ضاع وقت كثير ومال كثير ، ودم كثير في غير ما كان يجب ان ينفق فيه ، سواء في بناء بلادنا ، او جيوشنا ، او توثيق تلاحم اقطارنا ، او مقاومة الغزاة لأرضنا ...

والزمن ، كما نقول دائما ، ليس في صالح احد ، انه عنصر محايد ، يكون في صالح الطرف الذى يحسن استغلاله اكثر من سواه ... ■■

احمد بهاء الدين

احمد اللغمانى

شاعر المغرب العربى

■ أصفى من لؤلؤة البحرين
أنقى من قطرة طلٍّ بشطرها الاشعاع على شطرين
أحلى من همسة حب تعبر في خمر بين الشفتين
أسمى من رعشة قلب الام تفيض حنانا في الثديين
أغلى من أمنيات العمر . وأثمن من نور العينين
أعلى من قمة ما لا يُدرك حتى فوق ذرى القمرين
هذا . . بل اكثر من هذا . . ياطيف رؤاى الليلية !
يانسمة صيف بحرية !
يافاتنتى ! ياحرية ! ! !

***

من اجلك يُرتشف العلقمْ
ويغني الجرح النازف في الاعماق ويعزف قيد المعصم
من أجلك تختزن الطاقات كعفريت وسط القمقم
كى تُطلق ان حان الميقات فلا تختار ولا ترحم
يمتد الصبر بصاحبه ويجف على الجرح المرهم
لكن لا بد مع الايام لبذر النقمة ان ينجُم
من أجلك تنقلب الانفاق إلى ابراج عاجية
والى شرفات شرقية
تُستروَح فيها الحرية !

***

ابناؤك ــ يا أم الايتام
القوامون عليهم منشغلون بأضغاث الاحلام

ابنـــاوْك جوابون تضيع بهـــم سبل ويضيق مُقـــــام
لادرب يُمدد في أدغـــال الهول ولا آفاق تشـــــام
الليل سواد ، والاسحار سهاد ، والافجـــار قتـــــام
ماذا يرجون من الايـــام ؟ وهل تسخو لهم الايـــام ؟
ابنـــاوْك مغتربون عـــلى أرض الاجـــداد الازليـــــة
بُعَداءُ الدار ، وانت قصيـــة ،
ومكبلـــة ياحريـــــة ! ! !

***

ماذا لو ينضب دفق النبع ؟
ماذا لو تحتبس الانفاس عن الرئتين فيخوى الضلع ؟
ماذا لو تفتقد الاحداق نواظرهـــا ، ويُصم السمع ؟
ماذا ـ يامحترمون ـ لو انتم ذقتم حنظل هذا الوضع ؟
لـــو أن كرامتكم صفعت فـــاذن لعرفتم معنى الصفع
ماذا لو تنقلب الاوضاع فيصلى القامع نـــار القمع ؟
الشمس تعُـــمْ اشعتُهـــا كـــل الاصقاع الارضيـــة
لكنْ كهوفاً منسيَّـــة
تتخبط فيها الحرية ! ! !

***

لن تخمـــد انفاس الاحـــرار !
لن يخـــدع بعـــد اليوم غرير بالمتحيِّـــل والغـــدار !
اعوام النكبة فتّقت الافكار وفتّحت الابصـــــار
لن يفتر عزم المقهورين ، ولن يستسلم للجبـــار !
فالطود تزلزله الايدى ، والصخرُ تفتته الاظفـــــار
والريح الصرصر لا تُبقى بيمـــين ثارت أم بيسار
لـــن تُطمَس احرفك المنقوشة بالاقـــلام النـــارية
في الافئـــدة النورانيـــة !
لن يخفت نور الحـــرية ! ! ! ■■

تونس ـ احمد اللغماني

جولة.. حول.. الأمة!

بقلم : الدكتور يوسف ادريس

■ ونحن شبان مراهقون في الخمسينات كانت المسالة بالنسبة الينا سهلة تماما ، ان هي الا ثورة ، نخرج بها الانجليز من مصر والعراق ونخرج بها فرنسا من الشمال الافريقي ، وبعد عشر سنوات لا اكثر تكون شعوبنا قد انتقلت من حال الى حال، وكل قرية مصرية او عربية اصبحت جنة صغيرة حافلة بناس نظيفين غير حفاة ، يرتدون (البدل) ، ويعملون في الحقول (بالبرانيط) ، ويقودون (التراكتورات) ، وماكينات الحصاد والدراس ، ويعودون الى بيوت انيقة مريحة ، يشربون الماء السائغ من (البراد) وياخذون الحمامات من (الدش) الساخن ، ويرتادون سينمات القرى ومسارحها ونواديها ، بينما المراة قد اصبحت رئيسة مجلس القرية ، ومساعدة العمدة ،والطبيبات والمدرسات والمشرفات، من بنات القرية المتعلمات ، والسلام قد حل على الجميع فلا خناقات ولا حروب ولا مشاكل ...

كنا نعتقد أن هذا كله لن ياخذ اكثر من سنوات عشر ليتحقق ، بجهودنا ، وحتى قبل ان تظهر فكرة وثورة وثروة (النفط) ...

كان المشوار في رأينا قصيرا تماما ، سنشهد نهايته باعيننا ، وحين نخلف سيجيء اولادنا الى عالم خلقناه لهم وكانه الجنة على الارض،عالم ليس فيه مشكلة نور او ماء او فقر او مرض او تمايز

[illegible] المصري [illegible] ، ولن يتغير الى ما هـــو [illegible] ، [illegible] على ايدي هؤلاء الذين ظلوا يحلمون في الخمسينات والستينات ولا يزالون في السبعينات ايضا يحلمون .

اما ان نستيقظ من انفسنا ، واما سيوقظنا الزمن .

رهيب ، عالم لا مكر فيه ولا خداع ولا ضرورة لمكر او خداع . . . لا لم نكن نتصور هذه احلاما نحملها، او انها (يوتوبيا) افلاطونية اوحشاشية نتمنى على الله ان تتحقق . كانت بالنسبة الينا (واقعا)، كل مافي الامر انه مؤجل الى حين ، الى حين تقوم ثوراتنا ، ونخرج محتلينا ونبدأ العمل الجدي من اجل اقامة تلك الامة . آه ما احلاها تلك الامـة ان تمتد من طنجة الى حدود روسيا وايران ، (عالم) كامل ، (محيط) ارضي واسع وليس فقط مجرد امة ولكنها خير امة اخرجت للناس . امة فيها كل الثروات والقدرات ، فيها كل انواع الطبيعة من جبال شاهقات وانهار ، وواحات ، وثلوج ، وامطار ، واعتدال اجواء . وقيظ اجواء وبرودة اجـواء ، فيهـا الشـتاء لـو احببنـا في عـز الصيـف ، والصيف لـو اردنا فـي عـز الشتاء ، وفيهـا الربيـع وفيهـا الخـريف ، فيهـا الشـمس وليـالـي القمر والفن والموال ، فيهـا الموسيقى والرقص والغناء ، فيها عرب متآخون متحابون ، يحمل كل منهم في صدره حضارة اسـلام عريق ومسيحيـة تليدة ، ويهودية لا تفترق في شيء عن الاثنين .

★★★

هكذا كنا نحلم وظللنـا نحلم في الخمسينات ، او بالادق ظللنا (ننتظر) ان نحقق ما يراود [illegible]

وعقولنا المنفضة المتحمسة الواثقة تماما ان لا مستحيل تحت الشمس ، وان المسائل كلها خاضعة لارادتنا اذا اردنا ، فقط ، نريد ، فقط نتحرك . وتحركنا وافمنا الاجتماعات واللجان والتنظيمات فوق الارض وتحت الارض ، ومن كل اتجاه ، ورغم هذا كنا جميعا نلتقي حول الهدف الاخير : امة واحدة قد تحررت تماما من كل المعوقات ،وانطلقت وبسرعة الطائرات (لم تكن الصواريخ قد ظهرت)، الى حيث تريد ونريد .

★★★

وبعد ربع قرن بالضبط من تلك الرؤى والاحلام اتيح لي خلال الشهرين الماضيين ان اجوب معظم انحاء (امتنا) العربية من مغربها الاقصى الى مشرقها من المحيط الاطلسي والحدود الموريتانية المراكشية الى الفجيرة هناك حيث يطل الجبل العربي شامخا على الخليج العربي. هناك من قاع الصحراء الجزائرية الكبرى عند حاسي مسعود وورقلة الى حيث كنت ذات يوم في اعلى الفرات وشمال العراق ـ عربا وجدت ، هذا صحيح . انى ذهبت كنت اجد عربا ، وكنت اجدهم مسلمين وموحدين بالله : السلام عليكم ، فيرد البدوي من نقطة لا استطيع تحديدها على خريطة ذلك المحيط الارضي الواسع الشامل قائلا : عليكم السلام ورحمة الله. افرح ،وانخرط معه في الحديث،فاذا بي لدهشتي، أنا الصدى،افهمه ،واذا به لدهشتي، هو البدوي،هو الطوارقي هو الكوفي هو الشارقي يفهمني تمام الفهم . عربا كنا ونبقى عربا .بل ليس عربا فقط.

عرب ، كلهم ، والحمد لله اصبحوا يتمتعون بالاستقلال .

لا جندي اجنبي واحد على الارض العربية .

لا وجه غير عربي تجده الا وهو يعمل عند وجه عربي الا وهو عامل او مستخدم او اجير .

أخيرا اصبحت الارض ملكنا . لنا . كل هذا المحيط الواسع الشاسع لنا .

فعلا . افلحت الحركة ، ونجح مافوق الارض وما تحت الارض وما هو الى اليمين ومن هو الى اليسار في عمل كتلة موجبة ملتهبة انتابت العالم العربي حتى استقل جميعه . ولم يعد على ارضنا سوى المستوطنين الاسرائيليين يغتصبون فلسطين ، ولكن فلسطين نقطة في بحر واسع ، والمستوطنون مليونان في قلب مائة وعشرين مليونا مصيرهم حتما الى هضم تام او فك تام ومصير الارض لاصحابها مهما طال الزمان .

جولة احسست فيها بكل ما كان يحسه القرطبي وابن سينا وابن بطوطة من مشاعر البعد (المكاني) للامة وهو يسبح ويجول في ارض لا يجد الفتى العربي فيها نفسه (غريب الوجه واليد واللسان) . جولة احسست فيها فعلا انى كبير كبير ، وان الوطن اعظم من كل ما تخيلته ، بل واغنى من كل ما كنت اتصوره ، فارضنا العربية ـ هكذا استطيع ان اجزم ـ تكاد تكون اغنى اراضي العالم على الاطلاق ، وهبها الله كل ما سخت به الطبيعة على الانسان من معدن وطاقة ومساحة وارض قابلة للزراعة وبشر اقوياء اشداء كرماء فيهم من الطاقة اضعاف ما تحفل به معظم الامم .

★★★

ولكن ...

ولكنني عدت ، وهانذا جالس الى مكتبي ،احاول أن اجمع امامي كم العقبات والمعوقات التى كنت قد حددت لها في صباي عشر سنوات لكي تغلق الجنة على ارضنا ، ولكي نتحرر من كل خبيث وجائر ، فاكاد لا امد الفترة الى ثلاثين او اربعين سنة وانما اكاد افقد الامل تماما .

في كل قطر ذهبت اليه وجدت آلاف المشاكل التي ربما كانت كامنة وقتما كنا نكافح الاستعمار وجعلها الاستقلال تطفو الى السطح وتكاد تعكر وجه الماء تماما مشاكل طائفية وقبلية وعشائرية . مشاكل عروبة وغير عروبة ، مشاكل انتماء صراع رهيب من اجل (الانا) سواء على المستوى الفردي او القطري .

التقدم حدث هـذا صحيح ، الاستعمار ذهب ، حكومات وطنية ، نشات وفى اقتدار امسكت بزمام الحكم ، ولكن المشاكل تكاد تكون قد تفاقمت الى درجة تبعث على الياس .

هذه هى النظرة المباشرة التى يلتقطها الانسان حتى من النظرة السطحية الاولى للواقع ، وكلما امعنت اكثر وتعمقت اكثر كلما اكتشفت وادركت متناقضات اشد واعمق .

ان عشرات القرون مـن الانفصـال والتباعـد والتجافى والعداء قد خلقت ألوانا لا تحصى ولا تعد من الحزازات والحساسيات الوطنية وغير الوطنية، حتى تكاد الفكرة القومية فى حد ذاتها فكرة الامة العربية (ذات الرسالة الخالدة) تذوى تماما بين عشرات الدعاوى والاتجاهات ، وكان الذى كان يوحدنا هو الاستعمار ، ولولا الوجود الاسرائيلى الذى يهددنا جميعا ما بقيت (شعرة معاوية)تربط بين هذا العالم العربى المترامى الاطراف .

وليس على المستوى الفردى فقط وانما ايضا على مستوى الدول ـ فى المغرب العربى اشكالات بين مراكش وموريتانيا والجزائر (البوليزاريو) . ليبيا لها مشاكلها الرهيبة مع مصر وبلاد اخرى افريقية حتى مثل تشاد ، مصر تضم قلبها علـى جراح ومشاكل تكاد توقف قلب الامة عن النبض ، لبنان وهول المأساة فى لبنان ، الكويت والعراق والاكراد وايران والبحرين ،اليمن بشماله وجنوبه، السودان بانقلاباته والتحرشات بينه وبين اثيوبيا والصومال، السعودية والامارات ومطامع الكثيرين، الاردن والمقاومة ، سوريا ولبنان والوضع المتفاقم.

وليس على مستوى الدول وانما داخل كل دولة، بين هذه الطائفة وتلك ، بين الحكام والمحكومين ، بين العشائريين القدامى والجدد. فالمذاهب السياسية ايضا اخذت طابع العشائرية والقبلية . وكل يفكر فى ذاته ، كفرد ، او كقطر ، واحلامه لا تتجه الى امة فسيحة لديها من الثروات والرجال ما تكاد تبز به دولا كبرى كثيرة ، وانمـا تتجه الـى خلاصه الفردى او الطائفى الضيق او العشائرى المتعصب.

اجل ـ من يجوب عالمنا العربى اليوم لا بد ان يمتلىء رأسه بالطنين ولا بد فى النهاية أن يفقد الامل او تتعمق عنده جذور الياس المطبق .

★★★

ولكن هذه هي الصورة اذا اخذناها في تفاصيلها، واذا اقتربنا بعيوننا منها بحيث لا نرى الا ما تحت اقدامنا والا مآسي الحاضر فقط والا الوضع الطبيعي لتفجر مشاكل كان يكبتها العدو المحتل ، ولا يزال ، حتى الى هذه اللحظة يكبتها •

اما الوضع في شكله العام ، في بعده المستقبلي ، فتلك مسالة اخرى •

فقد كنا ، ونحن نحلم بالتحرر والوحدة ، نتصور ان المعوق لها فقط هي القوى الخارجية التي تتحكم فينا ،والتي ستزول حتما بزوال هذه القوى ،وكاننا لم نكن ندرى ان ذهاب المحتل من ارضنا ، ذهابه الجسدى ، لا يعني ان العدو المبين قد زال ، انه يعني فقط اختفاء اجساد الجنود ومرابض الثكنات لتحل محلها المصالح والاتفاقات وسياسات اللعب بالدمى من وراء ستار •

وكاننا ايضا لم نكن ندرى ان من الطبيعي تماما ان يعقب الاستقلال فترات تتفجر فيها الخلافات الكامنة ، وترتبك الحكومات الوطنية حديثة التكوين بحيث اما تتحول - في ذعرها من زوال الحكم - الى باطشة ربما اشد بطشا من المستعمر ذاته واما تتحول الى التقوقع على ذاتها واعتناق مبدأ : انا ومن بعدى الطوفان حتى لو كان الطوفان سيغرق اشقاء لنا واحبابا •

★★★

ومع هذا فلا زال التفاؤل يلح على الحاحا شديدا •

ذلك انى لا انظر الى الواقع الان او الجارى ، وانما انظر الى الواقع في زحفه المستمر القوى الى المستقبل •

واعتقادى ان المستقبل يحمل لنا خيرا كثيرا •

بعد ان تطمئن كل دولة عربية انها المالكة لزمام نفسها فعلا والمالكة لزمام ثروتها ان كانت ثرية او انسانها ان كانت تعج بملايين البشر والامكانيات •

المستقبل اراه الان حتى داخل ظلام الحاضر •

ولكن المسالة ابدا ليست مسالة عشر سنوات او عشرين ، سياخذ المستقبل زمنا اطول بكثير لكى يوجد كما حلمنا به ، هذا التطاحن والتناحر والتعصب حتما لا بد ان يختفي اذ حتما لا بد ان ندرك في النهاية ، وبالذات يدرك من بيدهم الامر ، انه حتى لبقائهم وللمحافظة على استقلالهم وثرواتهم من المحتم عليهم ان يلتئموا ، على النطاق المحلى اولا ثم بعد هذا على النطاق العالمى العربى •

ولن نصبح حينذاك القوة السادسة في العالم، ولكن من المحتم اننا سنرقى الى اعلى درجات السلم ، فنحن نملك كل مقومات الرقى من ثروات بشرية وطبيعية •

كل ما في الامر ان العالم العربى يجب ان تقوده ثقافة وفكر جديدان لا يكرران شعارات الخمسينات والستينات ، وانما ، بالعلم والتفرس تجاه المستقبل يلتئم المثقفون والمفكرون العرب في شكل انفجارة ثقافية ،تعطى الفكر الوحدوى، والاقتصادى واحترام التفرد في ظل تعظيم التجمع همها الاول• فنحن نترك تفكيرنا لتقوده الحكومات ، وما خلقت الحكومات لتفكر ،واذا فكرت انما تفعل هذا مقتبسة افكارها من ايديولوجيات سائدة ومحدودة للغاية • انفجارة ثقافية لا يقوم بها جمال الغيطاني وحده وانما تقوم بها كتيبة كبرى من امثال الافغاني وساطع الحصرى واجيالنا الحاضرة المعباة تماما بالثورة على الواقع المحدود وبالرغبة الملحة في المستقبل الواحد المتكامل غير المحدود •

هل سيعيش جيلنا ليحدث هذا ؟

ليس مهما في اى عصر يحدث هذا ، ولا متى يتحقق ذلك الحلم بانسان عربى ثار على التخلف وتغلب عليه ، وبعرب موحدين ادركوا في النهاية ان القوة في الوحدة ، وان لا وسيلة للقوة غير التجمع ، غير الوعى بامكاناتنا والحماس الجماعى لتحقيق جنة الوحدة وجنة الغنى المتكامل وجنة الرسالة الحضارية التى حولها وباسمها يحدث ويتم التحول •

لا اعتقد ان فى كل ما ذكرت شيئا جديدا ، فهى موضوعات مثل الالف باء يعرفها ويدركها الكثيرون.

ولكن المشكلة اننا نعى وندرك ولكن لا نفعل شيئا البتة نحرك به التاريخ ونقتلع ذلك الواقع المتحجر الجامد ، ونغير لنتغير ونحن نغير . نفعل شيئا ، اى شىء ، الا ان نترك للزمن ، وللزمن وحده مهمة ان يقوم (بكل العمل) .

ان هؤلاء الذين يتركون مهام امة باسرها للزمن يحلها ويتحملها امة لا تستحق ولن تستحق البقاء.

والمثقفون العرب ، ومئات الالاف غيرهم ممن يصرون على غد افضل اذا تركوا المهمة لمؤتمرات قمة او جامعة دول او اى اشكال رسمية اخرى انما يخدعون انفسهم ، فالمسئولية هى فى نهاية الامر مسئوليتنا ، واذا كان الحكام يتمسكون بالحاضر ويعضون عليه بالنواجز فنحن الثائرون على الحاضر المتمسكون بمستقبل يبدأ من الان وانما الى الاحسن، نحن المسئولون عن تحقيق هذه الرسالة .

فقط ، ما العمل ، وكيف نعرض افكارنا الرئيسية ، كيف نتفق ، كيف ندخل فى حوار بيننا وبين انفسنا وبيننا وبين المسئولين عن شعوبنا وبلادنا ، بيننا وبين الظلام المطبق على افكار شعوبنا .

تلك قضية اخرى ، لها عندنا وقفة .

فالحاضر العربى لا بد ان يتغير الى ما هو افضل، وبالذات على ايدى هؤلاء الذين ظلوا يحلمون من الخمسينات والستينات ولا يزالون فى السبعينات ايضا يحلمون .

اما ان نستيقظ من انفسنا ..

واما سيوقظنا الزمن .

كل ما فى الامر اننا لو تركنا انفسنا للزمن يوقظنا فسوف تاتى اليقظة بعد اوانها تماما وبعد رسوخ الواقع رسوخا لا سبيل الى تغيره .

يوسف ادريس

العلم

■ علوم الدنيا دخلت في الملة لما رات من يعضدها من رجال السياسة وكان ذلك في القرن الاول بيد انها لم تنتشر الانتشار المطلوب الا في القرن الثاني والثالث ٠ شاعت قرنين ثم اخذت تضعف الى أواخر القرن السابع أيام قلّ المشتغلون ولو على طريقة نظرية بعلوم العقل التي لا قائمة لأمة بدونها مهما اخلصت في دينها ٠ واذا استفتيت تواريخهم تجد المتلبسين بشعار العلماء لا يعدون في جملتهم ذاك الرياضي والجغرافي وربما فضلوا عليهما المعمار والثرثار ٠ من أجل هذا نرى المدارس على تفنن القوم في انشائها بعد القرون الوسطى منازل خاصة بالفقيه والمحدث والقارىء والرباطات للمجذمين المعدمين والكسالى،ولم نجد مدرسة اللهم الا بعض مدارس الطب والهندسة موقوفة على الرياضيين والطبيعيين والفلكيين والمؤرخين كان علومهم هذه اباطيل لا تصح الاعانة عليها ٠ وحسب الرياضي أن يفضي الفقيه عنه ما دامت الحالة بين هبوط وصعود والاجود بها أن تدعى سقوطا الى منتصف القرن الماضي أيام اخذ السلطان عبد المجيد في البلاد العثمانية ومحمد علي في هذا القطر يسهلان السبل لهذه العلوم ويعدان أهلها في مصاف العلماء وانتشت المدارس لتعليمها وغدا المشتغلون بالعلوم الدنيوية حزبا والمتوفرون على تعليم العلوم الدينية حزبا آخر ٠ على انه لم تحمد عودة تلك العلوم الدنيوية التي سماها بعضهم عصرية وبعضهم دعاها حديثة لما نتج عنها من حركة كانت اشبه برد فعل ما ظلت الامة معها صائما أخذ منه الجوع فلم يجد ما يطعمه حتى ساقته الاقدار الى مائدة موسر وقد حوت ما طاب وحلا من صنوف الاطعمة والحلواء فاخذ يلتهم ما وصلت يده اليه بدون تردد يزدرده بلا مضغ ويمزج بارده بحاره وحلوه بحامضه ويؤخر ما يقتضي تقديمه ويقدم ما يحسن تاخيره ٠ ونشأت ناشئة لم تدر من العلم الحقيقي غير قشوره شربت مصة من مورده ظنتها غاية ما يرتوى به المرتوون وراحت تعد المروق غاية النور والازراء على النبوات من آيات الحكماء والطعن في الشرائع من عمل الجهابذة النحارير وانكار القديم مهما كان نفعه والتعلق بالحديث مهما ضؤل قائله من دواعي النهوض والاستنارة ٠ وعلى الجملة ينبذون كل ما ليس لهم به علم من تراث اجدادهم حاسبين الصحيح منه والسقيم في مقام واحد مماحكين ولو بان لهم الراجح من المرجوح ٠

★ نشرت في جريدة الظاهر بدمشق عام ١٩٠٥ م ـ ١٣٢٤ هـ ٠

العلم الصحيح ..

يقول فتية اليوم انه لا نجاح للامة الا ينبذ ذاك القديم مباشرة والاخذ بهذا الحديث على علاته • وفاتهم أن ما يســـوغ في الغرب لا يتم في الشرق • وأن لـكل أمة طبيعة ومزاج لا بد من مراعاتها • وان اقامة مدينة جديدة في بادية أسهل من اصلاح مدينـــة قديمة لا غنية عن البناء فيها • وأن من العقل أن لا ينبذ ذاك القديم بل يرجع فيه الى الاصل القليل • ويؤخذ النافع منه • ويترك ما عدا ذلك من تخريف المخرفين وضلالات المبتدعين والاخذ من هذا الحديث بالعلم الصحيح الذى تمس اليه الحاجة • واطـلاق الحكم للعقل يعمل عمله في طريقه •

العلم الصحيح هو الذى يبعث صاحبه على عمل النافع ولو كان في ذلك ضياع مصلحته الشخصية فلا يبالي حامله بغضب الرؤساء والزعماء ولا يستغويه رضـــا الغوغاء والدهماء • يتجشم المخاطر في نشر خاطر • ويركب كل صعب وذلول لانـارة ظلمات العقول •

العلم الصحيح هو الذى خلص من ضغط الاهواء السياسية والمذهبية وسلم مـــن التاثيرات والغايات فلقنه صاحبه بريئا من شوائب النزعات والنزغات • وأثر في نفســه تاثيرا مجردا • فاذا نطق بعده فلا ينطق الا بما يوحى اليه هاتف الفهم السليم والعقل الحكيم • فلا يتعصب للاباء والجدود • ومالوفات المحيط وعادات الاهل والاقليم • ويتحزب لشيخه واستاذه ولو تجلى له انهما تنكبا عن طريق الحق •

العلم الصحيح هو الذى يحترم صاحبه به آراء غيره • ولو كانت مباينة لافكاره كل المباينة • ولا يعدها سخافات وترهات • فينكر ما لا يعلم ويستكثر ما وعى • ولا يعـــد حطة عليه أن يتسقط الحكمة أنى وجدها وفي أى المظاهر ظهرت فياخذ نفسه بالتعلم ولو شاب وجاوز الثمانين •

■■

محمد كرد علي

رئيس المجمع العلمي العربي السابق

ووزير معارف « دولة دمشق »

بقلم :
تيسير ظبيان

امريكا قبل كولومبوس ؟

« ان صحت هذه الرواية ، ولا يوجد دليل على كذبها ، فيكون المسلمون قد حاولوا اكتشاف القارة الجديدة مرتين اولاهما : عندما ابحر الاخوة المغرورون من اشبونة اى (لشبونة) عاصمة البرتغال متوغلين فى بحر الاطلانتيك ، والثانية على يد هذا الملك الذى حاول الامر مرتين وذهب فى سبيله شهيدا » .

ولقد تناول بحث هذا الموضوع ايضا شيخ العروبة احمد زكى باشا فقد نشر فى مجلة (المجمع العلمى العربى بدمشق مقالا) ذكر فيه « ان العرب سبقوا الاوروبيين الى التفكير فى كشف امريكا وحاولوا الوصول اليها مرتين بالفعل : الاولى من لشبونة والاخرى من غانة فى السودان الغربى على ساحل المحيط الاطلنطى ،وكان تخيلهم لها بطريقة منطقية عقلية هى افضل من التى اتبعها (كريستوف كولومبس) فانه لم يكتشفها الا بطريق الصدفة» .

وقد القى استاذ احمد زكى باشا محاضرة حول هذا الموضوع فى دار جمعية الهداية الاسلامية فى القاهرة عام ١٩٣٠ (وكان يرأس هذه الجمعية الشيخ محمد خضر التونسى الذى تولى منصب شيخ الجامع الازهر فيما بعد) وسرد بعض الادلة التاريخية لدعم وجهة نظره.
وفى السنة نفسها نشرت الصحف المصرية نقلا عن الصحف الامريكية : « ان احد السائحين الغربيين عثر اثناء تجواله فى مجاهل البرازيل على قبيلة غريبة الاطوار والعادات واللسان ، وان افراد هذه القبيلة يصومون شهرا فى العام وانهم يؤدون صلوات خاصة واذا قاموا الى صلواتهم يغسلون ايديهم ووجوههم وارجلهم . ويقول السائح انه سألهم عن اصلهم فاجابوا بانهم لا يعرفون شيئا عن ذلك وانهم واباءهم واجدادهم يقيمون فى تلك المقاطعة منذ امد بعيد . ولما اطلع احمد زكى باشا على هذا النبأ الغريب اهتم اهتماما عظيما وارسل برقية الى وزير المعارف فى حكومة البرازيل يستفسر عن صحة هذا النبأ ويطلب تزويده بمعلومات ضافية عن القبائل القاطنة فى الصحارى (وقد اطلعنى رحمه الله على تلك البرقية) ولبثنا نترقب الجواب بضعة ايام ونحن على أحر من الجمر .

واخيرا ورد جواب الوزير وفيه بعض الغموض ووعد بارسال بيانات وافية ، وفي اعتقادي انه لم يرسل شيئا •

اهتمام علماء الغرب

على انالعلماء الاجانب (من امريكيينواوروبيين) قد تناولوا هذا الموضوع وايد بعضهم وجهة النظر العربية القائلة بان العرب والمسلمين الافارقة قد سبقوا (كريستوف كولومبس) في اكتشاف القارة الامريكية ، فقد نشرت الصحف الامريكية عام ١٩٥٤ ان الدكتور جيفري الاستاذ المحاضر في جامعة (اوتو) ذكر في احدى المحاضرات التي القاها في الجامعة المذكورة : ان الرحالينالعرب هم الذين اكتشفوا القارة الامريكية قبل ان يبلغ كولومبس سواحلها بنحو خمسمائة سنه ، وبنى اقواله على ان العرب كانوا في القرن العاشر يسيطرون على البحر الابيض المتوسط وبلغوا السواحل الغربية للقارة الافريقية وانهم توغلوا في المحيط الاطلسي » •

ونشرت مجلة (نيوزويك) مقالا للدكتور (هوى لين لي) الاستاذ في جامعة هارفارد (وهو من اصل صيني) اكد فيه ان البحارة العرب اجتازوا الاطلنطي قبل كولومبس بحوالي قرنين او ثلاثة • وذكرت المجلة المذكورة ايضا : ان هذا الدكتور اعلن نظريته هذه في المؤتمر الحادي والسبعين بعد المئة للجمعية الشرقية الامريكية التي تضم عددا من اساتذة الدراسات، وقال ان الملاحين العرب قاموا قبل عام ١١٠٠ م من الطرف الغربي من القارة الافريقية ومن الدار البيضاء بالذات ورسوا بسفنهم في عدة اماكن على طول الساحل الشمالي الامريكي •

وممن شاركوا في بحث هذا الموضوع المؤرخ الالماني (هيلد فينزلر) فقد نشر في صحيفة (الجرمان زايتونغ) بحثا مستفيضا قال فيه : « ان العرب بعد ان تغلغلوا في افريقيا الغربية وفي اسبانيا جهزوا كثيرا من الحملات البحرية وارسلوها الى الغرب كالبعثة البحرية التي ذكر الرحالةالادريسي خبرها وقال انها جهزت في لشبونة نفسها وارسلت لاكتشاف بلاد جديدة في الغرب •

الآثار والقرائن

اما الاثار والقرائن التي استند اليها الباحثون والمؤرخون في هذا المضمار فيمكن تلخيصها فيما يلي :

١ ـ وجود كلمات والفاظ عربية قديمة بين اللغات التي ينطق بها بعض السكان ولا سيما ابناء القبائل التي عثر عليها في بعض المجاهل والمناطق الصحراوية •

٢ ـ العثور على نباتات يعتقد انها نقلت من القارة الافريقية كما اكد الدكتور (هوى لين لي) وقال بان هذهالنباتات كالجوافةوالباباي والاناناس حملها البحارة العرب وزرعوها في تلك القارة•

٣ ـ العثور على جماجم بشرية من سكانافريقية في كهوف « الباهاما » في خليج المكسيك ، وقد اشار الى ذلك الدكتور (جيفري) في محاضرته التي القاها في جامعة اوتو كما قدمنا •

تخيلوا القارة قبل اكتشافها

ولعل خير ما اختم به هذا البحث ما ورد في كتاب (مسالك الابصار) لابي الثناء الاصفهاني الذي عاش في القرن السابع الهجري حول تكهنه بوجود قارة جديدة قبل اكتشاف (كولومبس) بمئات السنين فقد قالبالحرف الواحد : « لا امنعان يكون ما انكشف منكشفا عنه الماء من الارض من جهتنا منكشفا في الجهة الاخرى واذا لم امنع ان يكون منكشفا في تلك الجهة ، لا امنع ان يكون به من الحيوان والنبات والمعادن مثل ما عندنا او من انواع واجناس اخرى) • وقد علق العلامة احمد زكي باشا على هذا القول بقوله : « للاصفهاني وهو بمصر فضل السبق على كريستوف كولومبس وهو بالاندلس (اى اسبانيا والبرتغال) لانه قال بهذه النظرية قبله بقرن ونصف قرن » ثم قال « وللاصفهاني فضل اكبر على مكتشف امريكا لانه تخيل وجودها بقوة الفطنة والاستدلال اما كولومبس فتخيل فقط وجود طريق جديد يوصل للهند من جهة الغرب » •

عمان ـ تيسير ظبيان

نتيجة مسابقة العدد ٢٢٠

الملكة .. تبيض

استقينا اسئلة مسابقة العدد ٢٢٠من « العربى » من مواد متنوعة كنا قد نشرناها تباعا فى اعداد مجلة العربى عام١٩٧٦ حيث تنقلنا فيها مع القارىء من العلم الطبيعى الى الاقتصاد الى الجغرافياالى الشعر والشعراء ، ولم يكن الامر يحتاج الى كثير عناء للاجابة على اسئلةالمسابقة • فبرجوعالقارىء الىالمواد التى نشرناها فى اعداد العربى تجد الاجابةالصحيحة على اسئلة المسابقة •

وهذا نموذج للاجابة الصحيحة ثماسماء من فازوا بمسابقة العدد •

١ ـ بحر قزوين هو البحر المغلق الذى يتقاسمه الاتحاد السوفيتي وايران •

٢ ـ ممتاز محل هى زوجة الامبراطور شاهجهان •

٣ ـ محمد سليمان الاحمد هو الاسم الحقيقى للشاعر بدوى الجبل •

٤ ـ سد جيزان هو اكبر السدود المائية فى المملكة العربية السعودية •

٥ ـ تنتج ملكة النحل البيض •

٦ ـ ابن بطوطة هو الرحالة العربى الشهير بماركوبولو العرب •

٧ ـ جاليليو جاليلى خلد اسمه بصنعه التلسكوب •

٨ ـ المؤسسة العربية هى مؤسسة ضمان الاستثمارات العربية •

الفائزون بالجوائز

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : محمدربيع المحمد ـ حلب / سوريا •

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فازت بها ،ماجدة صالح بن دمنان ـ المكلا / ج •ى•د•ش •

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها :عبد العظيم عبد الرزاق على ـ ابو ظبى / الامارات •

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كلمنها خمسة دنانير فاز بها كل من :

١ ـ هادى على عريشى ـ جدة / المملكةالعربية السعودية •

٢ ـ عباس محمد شيخ الدين عثمان ـ الخرطوم / السودان •

٣ ـ عاطف السيد النحاس ـ دقهلية / مصر •

٤ ـ فلاح عدنان على ـ البصرة / العراق •

٥ ـ عبد السلام محمد اسماعيل ـ جنزور / ليبيا •

٦ ـ رمسيس عبدالحميد شمس الدين ـ الصباحية/الكويت •

٧ ـ سمير حمزة العلوى ـ المنامة / البحرين •

٨ ـ امين سعيد مسعود ـ [illegible]

بقلم : الدكتور عماد الدين خليل

كلية الآداب ـ جامعة الموصل

■ من خلال نظرة شمولية الى التاريخ الاسلامي في مساراته ومصائره يبدو ذلك الاتصال الوثيق بين المسببات والاسباب ، ذلك التلاحم المحتوم بين المقدمات والنتائج . انها النواميس والسنن التي حدثنا عنها الله سبحانه في كتابه الكريم (ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا) .

ولقد اخطأ كثير من المؤرخين في فهم وحدة هذا التاريخ وطبيعة نسيجه ذي الخيوط الواحدة .. اخطأوا لانهم نظروا الى هذا التاريخ نظرة تتسم بالجزئية والمباشرة والتقطع حينا ، وبقياس التحولات بمقاييس التغير الدائم في الاسرات الحاكمة حينا آخر ، دون ان ياخذوا بنظر الاعتبار حركة المجتمع الاسلامي ووحدته ، وصيرورته التي كانت تجد في قيم الاسلام ومبادئه ومثله مراكز ثقلها وضبطها ، ومؤشرات تمخضها الدائم عن المزيد من الوقائع والاحداث .

ان الطليعة التي نظمها وكونها الرسول (ص) طيلة عهد الرسالة ، مهاجرين وانصارا ، وجدت نفسها ـ بعد وفاته مباشرة ـ امام مسؤولياتها القيادية الكاملة : حماية الوحدة الاسلامية من التفكك ، والمجتمع الاسلامي من مؤثرات القوى الداخلية والخارجية التي دأبت على شده الى الوراء واعاقة نموه وتقدمه لتحقيق عالمية الاسلام والتزام شريعته .. حقا لقد هزهم حتى الاعماق نبأ وفاة نبيهم وقائدهم عليه السلام ، ولكنها الهزة الموقوتة التي ما لبثت ان عادت بالرجال الى وعيهم الكامل على صوت ابي بكر، رفيق الرسول، وهو يقول لهم بصوته الثابت الرزين « ايها الناس .. من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت » . ثم يتلو عليهم الآية الكريمة « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » .

الا انه ـ لاسباب تاريخية وجغرافية صرفة ـ انقلبت الاكثرية الساحقة من العرب على عقبيها وارتدت عن الاسلام ارتدادا كليا او جزئيا . كانت هنالك دوافع العصبية القبلية التي يمتد عمرها الى عشرات القرون ، والالف الاجتماعي والنفسي الذي اعتاده العرب عبر هذه القرون الطويلة حيث الاندماج النهائي في الوحدة القبلية ورفض تجاوزها الى ما هو ابعد .. التسيب في الانتماء

ليس الاسلام عقيدة فحسب وانما هو منهج سياسي ونظام تشريعي كذلك . وما قامت به قيادته المسلحة انما هو مسعى حركي لتعميم هذا الجانب الاخير . ومن خلال نظام الاسلام وشرعه اللذين يزيحان نظم الطواغيت وتشريعات المتفعين المتعيزين ، يمكن لاية جماعة من الناس ان تعتنق اية عقيدة تشاء او تبقى عليها .

الى قيادة مركزية واحدة ، والتفلت من اى التزام خلقي ٠٠ وكان هناك الطموح الشخصي لزعماء القبائل ، والتاثيرات ـ التي لم يلتفت اليها كثير من المؤرخين ـ للقوى المهزومة في الداخل كاليهودية والنصرانية والمجوسية ، والمعسكرات المعادية في الخارج وبخاصة البيزنطيين والساسانيين ٠٠ وكان هناك ـ فضلا عن هذا وذاك ـ ضيق الفترة الزمنية بين وصول الاسلام الى اغلب الجماعات والقبائل العربية في الجزيرة وبين وفاة الرسول عليه السلام ٠٠ بين الزمن المحدود الذي اتيح للاسلام ان يتحرك خلاله وبين المكان الواسع الذي توجب انتماؤه للاسلام وبخاصة في اعقاب نزول آيات براءة في سورة التوبة في اواخر عام ٩ هـ واعلان الغاء الوجود الوثني من جزيرة العرب .

برنامج ابو بكر

غير ان ابا بكر الذي اختارته الامة الاسلامية خليفة لرســـول الله (ص) في قيادتها يوم (السقيفة) ٠٠ اليوم الذي قدرت فيه هذه الامة على ان تمارس تجربة انتخابية رائدة في التاريخ البشري ، رغم جدة هذه التجــربة في تاريخها ، وتصل عبر حوار سلمي يقوم على الكلمة والحجة والبرهان ، ويتجاوز منطق العنف والدم ، الى اختيار الرجل الذي سيحمل المسئولية ، اعتمادا على ماضيه في الاسلام ، ومكانته من الرسول (ص) وقدراته الفذة ٠٠ ابو بـــكر هذا سرعان ما بدأ بتنفيذ برنامجه الذي طرحه في اول خطبة له في مسجد المدينة (ايها الناس ، انى [illegible] وليت عليكم ولست بخيركم ، ان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني ، الصدق امانة والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ٠٠ [illegible] ترك قوم الجهاد في سبيل الله [illegible]هم الله بالذل وما شاعت الفاحشة في قوم قط الا عمهم الله بالبلاء ، اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم) .

بدأ برنامجه باعلان الجهاد ضد المرتدين ، رغم خطورة المجابهة ، ورغم المعارضة الواسعة التي جوبه بها من قبل كبار الصحابة الذين الحوا عليه بالتريث قبل الاقدام على المجازفة التاريخية التي لا يعرف احد نتائجها ٠٠ الا انه اصر على القتال وقال (والله لاقاتلنهم حتى ولو تخطفتني الذئاب) . وعندما اشاروا عليه بضرورة التفريق بين تاركي الصلاة ومانعي الزكاة كيلا ترميه العرب عن قوس واحدة اجابهم (لن افرق بين هؤلاء وهؤلاء والله لاقاتلنهم على عقال كانوا يؤدونها لرسول الله) . ليس هذا فحسب بل انه اصر على

توجيه جيش اسامة بن زيد الى فلسطين لتاديب القبائل العربية المتنصرة الموالية للروم ، وهو الجيش الذى يضم زهرة قوات المسلمين وقال : (لن ارد جيشا جرده رسول الله صلى الله عليه وسلم) ..

ومن خلال هذا الاصرار ، هذا الالتزام الفذ بمفهوم (الجهاد) الحاسم مضى ابو بكر يحقق الانتصارات المتتالية على المرتدين ، يكنس تجمعاتهم وينكس راياتهم الواحدة تلو الاخرى ، معتمدا على قادة محنكين كخالد بن الوليد وعمرو ابن العاص وشرحبيل بن حسنة والعلاء بن الحضرمى وعكرمة بن ابى جهل وسعيد بن العاص وغيرهم.. وعلى ايمان جنده العميق الذى كان يدفعهم الى ساحات الموت فرحين مستبشرين بنصر الله .. ويفجر طاقاتهم القتالية فيغدو الواحد منهم عشرة من المقاتلين .. واعتمادا - كذلك - على الجيوب الاسلامية التى ثبتت على عقيدتها فى مناطق الردة رغم ما تعرضت له من صنوف العذاب والاضطهاد.

وهكذا سقط زعماء الردة الذين ادعى بعضهم - فوق ذلك - نبوات زائفة ، طليحة بن خويلد ، مالك بن نويرة ، مسيلمة الكذاب ، الحطم ، ذو التاج ، الاشعث ، الاسود العنسى .. وعدد آخر من صغار المرتدين فى الشمال .. وعادت الجزيرة العربية مرة اخرى الى وحدتها التى ارادها لها الرسول (ص) وبذل الجهود المتواصلة من اجل ان تكون المنطلق الاستراتيجى لتحقيق عالمية الاسلام .

حقيقة الفتـــح

ما لبث ابوبكر (رضى) ان حول استراتيجية (الجهاد) صوب الاهداف المركزية التى بدأ الرسول (ص) التحرك نحوها فى اعقاب صلح الحديبية ، بالكلمة حينا والسلاح حينا آخر ، والتى جاءت الردة بمثابة عائق وقتى عن مواصلة التحرك فى سبيلها.. تلك هى السعى من اجل تنفيذ عالمية الاسلام ، واسقاط كافة النظم الباغية ، وازاحة كافة الطواغيت من مراكز السلطة ، والغاء كافة التشريعات الوثنية التى صممها ونفذها حفنة من المتالهين فى الارض ، وتحقيق البديل الوحيد لذلك كله : الا تكون فتنة للناس ، وان يكون الدين : المنهج والتشريع لله .. اى ان يجرد الناس من كافة الضغوط والمؤثرات التى يمارسها الطواغيت فى العالم ، وان يسود الارض تشريع عادل واحد، لا تحيز فيه او ميل لطبقة او جماعة او فئة او أمة ذلك هو شرع الله .

تلك هى بتركيز بالغ قضية الجهاد فى الاسلام، وذلك هو المغزى الاوحد لحركة الفتح الاسلامى فى مدى العقدين اللذين اعقبا وفاة الرسول (ص).. ويتهافت من ثم زعم بعض المؤرخين من ان هدف الفتح هو ارغام الناس على اعتناق عقيدة الاسلام.. يتهافت بمجرد تذكرنا ان الاسلام ليس عقيدة فحسب وانما هو منهج سياسى ونظام تشريعى كذلك ، وان حركة قيادته المسلحة انما هو سعى حركى لتعميم هذا الجانب الاخير . ومن خلال نظام الاسلام وشرعه ، اللذين يتوجب ان يزيحا نظم الطواغيت وتشريعات المتنفعين المتحيزين . يمكن لاية جماعة من الناس ان تعتنق اية عقيدة تشاء او تبقى عليها .

ويتهافت - كذلك - قول عدد آخر من المؤرخين بان دافع الفتح الاسلامى انما هو اقتصادى صرف، يتمثل فى السعى من اجل الغنى بعد الفقر، والشبع بعد الجوع ، ومغادرة فقر الصحراء وجدبها صوب الاراضى الخصبة المعطاء .. واننا بمجرد ادراك طبيعة نظرية الجهاد فى الاسلام ، نصل الى رفض هذه المقولة ، اما فى الواقع التاريخى ، اى من خلال مجريات الفتح ومعطياته ، وما صدر خلال ذلك كله من تصريحات لقادة المسلمين وسفرائهم، مما نجد تفاصيله فى بطون مصادرنا التاريخية ، فانه يقدم لنا الدليل التنفيذى على صدق هذه النظرية وخطا القائلين بالدافع المادى للفتح .. ان ما قاله المغيرة بن شعبة وربعى بن عامر لرستم قائد الجيش الفارسى وما قاله المغيرة بن زرارة لكسرى نفسه (يزدجرد الثانى) ليس سوى نماذج فحسب لما قيل فى هذا الميدان (ما لهذا - اى لطلب المال - جئناكم . فوالله لاسلامكم احب الينا من غنائمكم ، ولقتالكم - بعد - احب الينا من صلحكم ..) و (الله بعثنا لنخرج من يشاء من

عباده من ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام ومن عبادة العباد الى عبادة الله وحده) ..

وبمجرد الرجوع الى الوقائع التاريخية نفسها ، يتهافت – كذلك – قول القائلين بان الفتح الاسلامى جاء محاولة من ابى بكر لاشغال العرب عن العودة الى ردة جديدة ، وكان ليس هناك برنامج عقائدى يتوجب على الخلافة معه ان تمارس الجهاد لفتح العالم واعادة تنظيمه • اننا نقرأ فى الطبرى – على سبيل المثال – الرواية التالية (كتب ابو بكر الى قائديه : خالد وعياض ان استنفرا من قاتل اهل الردة ومن ثبت على الاسلام بعد وفاة محمد (ص) •• ولا يغزون معكم احد ممن ارتد) ونقرأ كذلك (ولا تستعينوا بمرتد فى قتال عدو حتى ارى رايى) • ثم يعلق الطبرى قائلا (فلم تشهد الايام – أى الفتوحات – فى عهد ابى بكر مرتدا) !!

على جبهتي العراق والشام

انطلقت قوات المسلمين تعمل على جبهتين عريضتين: العراق والشام • فى الجبهة الاولى تمكن عدد من القادة : المثنى بن حارثة الشيبانى ، عياض بن غنم ، ثم خالد بن الوليد من تحقيق عدد من الانتصارات الاستراتيجية ضد المواقع الفارسية فى جنوب غرب العراق ، توجت – فى مدى يقل عن السنتين – بدخول الحيرة عاصمة المناذرة ، حلفاء الفرس فى العراق • ثم ما لبث امر ابى بكر ان صدر الى خالد بمغادرة العراق لاسناد اخوانه فى اليرموك ضد الجيش البيزنطى هناك • واعقب خالدا فى العراق عدد من القادة كان ابرزهم ولا ريب سعد بن ابى وقاص الذى حقق انتصارا مركزيا على الفرس فى معركة القادسية عام ١٥هـ حيث سحق زهرة قواتهم فى العراق ، واعقب هذا الانتصار الحاسم بانتصارين آخرين تمثل احدهما بتوجيه ضربة اخرى للقوات الفارسية فى جلولاء، وتمثل الاخر باكتساح المدائن عاصمتهم القديمة فى العراق • وبعد اربع سنوات حشد الامبراطور الساسانى الاخير قوى قيل انها جاوزت الخمسين الفا عددا • وعند نهاوند على الحدود الجنوبية الفاصلة بين العراق وبلاد فارس جرى لقاء حاسم لا يقل خطورة عن معركة القادسية انتصر فيه المسلمون ،وجاء انتصارهم بمثابة تحطيم نهائى لآخر سدود العسكرية الساسانية،حيث انساحوا بعده الى بلاد فارس • وخلال عقد واحد من الزمان صفيت الامبراطورية الساسانية وقتل آخر اباطرتها فى اقصى الشمال ،ومن ثم اطلق العرب على معركة نهاوند اسم (فتح الفتوح) •• وثمة فرق عسكرية اخرى كانت قد تفرغت لفتح الاقاليم الشمالية وبخاصة الجزيرة الفراتية واذربيجان وارمينيا • وقد حققت هى الاخرى نجاحا مذهلا فى اختزال تحديات الزمان والمكان والوصول الى اهدافها بسرعة منقطعة النظير •فى الجبهة الشامية انطلقت اربع فرق احداها بقيادة عمرو بن العاص ووجهته فلسطين والاخرى بقيادة شرحبيل بن حسنة ووجهته الاردن والثالثة بقيادة يزيد بن ابى سفيان ووجهته دمشق والرابعة بقيادة ابى عبيدة عامر بن الجراح ووجهته حمص• ولقد استفزت البدايات الاولى للانتصارات التى حققتها هذه الفرق . القيادة البيزنطية التى اخذت تدرك اكثر فاكثر خطورة الدولة الاسلامية الناشئة على وجودها فى بلاد الشام ، فحشد الامبراطور هرقل جيشا كبيرا ولى قيادته اخاه فردريك الذى تحرك صوب اواسط الشام ، وكان على قادة الفرق الاربع ان يستشيروا القيادة المركزية فى المدينة ، فكان جواب ابى بكر ان (اجتمعوا عسكرا واحدا والقوا زحف المشركين بزحفكم ، فانتم انصار الله ، والله ناصر من نصره وخاذل من كفره) •••

الظاهرة « العجيبة » !!

وعند اليرموك فى اواسط سوريا تم اللقاء الحاسم بين الطرفين ، واذ طال اللقاء دون ظهور نتيجة نهائية ، اصدر ابو بكر امره المعروف الى خالد ان يغادر جبهة العراق ويهرع لنجدة اخوانه فى الشام،فقرر خالد اختزال الزمن ذى الاهمية الكبيرة فى الحروب ، واجتياز الصحراء على خط مستقيم الى هدفه ، بدلا من الطريق التقليدى الطويل • وبعد ايام قلائل ، لقيت فيها قوات خالد المصاعب والمتاعب ، وصل معسكر اخوته فى اليرموك وتولى قيادة المعركة الحاسمة التى انتهت بسحق القوات البيزنطية وفتح الطريق امام المسلمين لاجتياح المواقع والمدن الشامية الواحدة تلو الاخرى •

وفى فلسطين تمكن عمرو بن العاص عند اجنادين من تحقيق انتصار لا يقل اهمية عن اليرموك فتح

الطريق لتصفية المدن الفلسطينية وحصار القدس ثم استسلامها اخيرا وتوقيعها شروط الصلح بحضور الخليفة عمر بن الخطاب الذى ما لبث ان عقد مع كبار قادته هناك مؤتمرا في الجابية لتحديد استراتيجية العمل في المرحلة التالية ٠ ويبدو انه تردد اول الامر في توسيع نطاق الفتوحات الى مساحات جديدة ريثما يتمثل المسلمون الحجم الكبير للانتصارات التى حققوها في تلك الفترة الزمنية القياسية ٠ لكن عمرو بن العاص تمكن ــ اخيرا ــ من اقناعه بضرورة فتح مصر لتامين الجبهة الشامية ٠ وقد تمكن الرجل عبر سلسلة من الانتصارات من تحقيق هدفه ٠

وفي خلافة عثمان حاول الفرس والروم استرداد بعض مواقعهم القديمة فقاموا بسلسلة من حركات التمرد تمكن الخليفة من سحقها بسهولة ، اعتمادا على عدد من العناصر القيادية الشابة ، كما وانه وافق ــ اخيرا ــ على اجتياز تجربة القتال البحرى فسمح لرجليه في مصر والشام : ابن ابى سرح ومعاوية ان يبنيا اسطولا اسلاميا تمكن خلال سنوات قلائل من تحقيق عدد من الانتصارات الاستراتيجية ، كان ابرزها فتح قبرص وردوس ومعركة ذات الصوارى التى تم فيها سحق الاسطول البيزنطى المكون من خمسمائة قطعة بحرية ٠

ولا يتسع المجال هنا لتحليل ، ولا حتى لاستعراض ، العوامل التى مكنت المسلمين من تحقيق هذه المنجزات العظيمة في هذا المدى المحدود من الزمن، الامر الذى حير كبار المؤرخين وجعلهم يقفون عاجزين عن تفسير هذه الظاهرة « العجيبة » في تاريخ البشرية ٠ ٠ لكن عنصر (الغرابة) يزول بمجرد تذكرنا دور العقيدة ، بابعادها المختلفة ، في صنع الواقعة الفذة في التاريخ : العقيدة ببعدها الفكرى ، اى بالبرنامج الذى خرجت به الى العالم ، وببعدها النفسى ــ الروحى ، اى بالقدرات الهائلة التى فجرتها في كيان المقاتل المسلم ، وببعدها الاخلاقى ، اى بالسلوكية القتالية، التى لم يشهد لها التاريخ مثيلا والتى فتحت قلوب الخصوم لجند الاسلام قبل ان تفتح اراضيهم ، وببعدها الفلسفى (التصورى) الذى كان يجعل المقاتل المسلم يهرع الى ساحات القتال وهو يحمل يقينا عميقا بان الموت والحياة بيد الله وانه ليس سوى اداة لتنفيذ قدر الله في العالم ومن لم تتحقق المعجزات ٠

والتخطيط العسكرى

ونتذكر مع دور العقيدة ، دور التخطيط العسكرى الذكي الدقيق الذى اعتمده المقاتلون ابتداء من الخليفة ــ القمة ــ وحتى الضباط الصغار ، مرورا بقادة الجبهات ، وهؤلاء جميعا كانوا قد تعلموا الكثير خلال كفاحهم المرير في عهد الرسول القائد عليه السلام ٠ فاذا ما تذكرنا ــ فضلا عن هذا وذاك ــ ما كانت تعانيه الدولتان الساسانية والبيزنطية من تمزق على شتى المستويات : الاجتماعية والدينية والسياسية والنفسية ، ادركنا كيف ان الفتح الاسلامى كان امرا طبيعيا بقدر ما هو ــ في الوقت نفسه ــ عجيبة من عجائب التاريخ !!

اما النتائج التى ترتبت على الفتح فلن يتسع المجال لتحليلها او لمجرد عرضها هي الاخرى ، ولنا ان نشير فقط الى ان الفتح الاسلامى احدث تغيرا جذريا عميقا في كافة مساحات الارض التى احتواها وعلى كافة المستويات : السياسية والاجتماعية والفكرية والادارية ٠ انه ــ باختصار ــ صنع عالما جديدا وفتح الطريق لظهور حضارة جديدة هي وليدة ذلك اللقاء الخلاق بين ايجابيات الحضارات القديمة وبين قيم الاسلام ومثله ونظرياته ومبادئه ورؤاه ٠٠ الحضارة التى عرفت كيف تستلهم النظرية القرآنية وتحقق التوازن المنشود بين العلم والدين ، وترسى دعائم المنهج العلمى التجريبى الذى يدين له الغرب بالشيء الكثير ، المنهج الذى اكد عليه القرآن ودعا اليه في مئات من آياته ، حث بعضها على اعتماد الاجهزة الحسية من سمع وبصر خلال تاملنا وتفحصنا للظواهر والاشياء وصولا الى الله سبحانه ، واكد بعضها الاخر على اعتماد (العقل) خلال تاملنا في نواميس الكون والعالم ونظمها والتى لا يمكن للصدفة ان تصوغها وتضبطها ٠٠ ويكفى ــ اخيرا ــ ان نشير ، مجرد اشارة ، الى ان كلمة (علم) بتصريفاتها المختلفة وردت في عدد من الايات جاوز السبعمائة والخمسين !!

الموصل ــ د٠ عماد الدين خليل

الماضى..معروضا للبيع !

تامل واجهات المكتبات المنتشرة فى الشـــارع العربى ، او اقرأ جيدا اعلانات الكتب « الجديدة » فى اى معرض عربى للكتاب ، او حتى تابع قوائم الكتب واعلاناتها فى صحفنا ٠٠ ماذا ستجد ؟

ستفاجأ بان اكثر الكتاب والمؤلفين يبيعون لنا الماضى معبأ فى نماذج واشكال مختلفة، وان الذين يتحدثون عن المستقبل فى عالمنا العــربى لا يزالــون هم ـ بالدرجة الاولى ـ المنجمين وقراء البخت والطالع !

الكتب القديمة يعاد طبعها باغلفة جديدة ، او باسماء جديدة ٠ الكتب القديمة تضـم الى بعضها ويعاد طبعها بحجة انها « الاعمــال الكاملة » ٠ الكتب القديمة تختصر وتقدم لنا ملخصات ، ابتداء من ســيرة النبى محمد (ص) لابن هشام وقد اختصرت اجزاؤها الاربعة فى كتاب واحد ، ثم تفسير الطبرى باجزائه الاربعة ايضا التى جمع الاستاذ توفيق الحكيم مختارات منها صدرت اخيرا فى كتاب واحد ، وانتهــاء بمحاولات « تهذيب » فيض الخاطر للاستاذ احمد امين وتهذيب « وحى الرسالة » للاستاذ احمد حسن الزيات٠٠وهكذا٠

فى الجامعات نجد الظاهرة ذاتها ٠ رسائل الماجستير والدكتوراه يغوص اكثرها فى الماضى بصورة تثير الدهشة ٠ وآخر صيحة فىهذه الرسائل هي ان تبحث عن مخطوط قديـم وتقوم بتحقيقه ٠ بقراءته وشرحه فقط ، وليس للخروج منه باى معنى او دلا[illegible]

هل المطلوب ان نخاصم الماضى ونقاطعه ؟

بالتاكيد لا ٠ لاننا اذا اقتلعنا الماضى من اذهاننا فسنظل [illegible] اعماقنا ٠ وشعوب لها حضارة عظيمة مثل شعوبنا لا بد وان تعتز بهذا الماضى وتطعم كل ما هو جديد بقيمه النبيلة التى ينبغى ان تستمر وتبقى ٠ ثم ان الضياع الحقيقى هو مصيرنا اذا انفصلنا عن هذا الماضى وعشنا فى عزلة عنه ٠

لكن الاعتراض الوحيد هو ان يتحول الماضى الى عبء يثقل كاهلنا ويعوق تقدمنا الى الامام من ناحية ، ثم ان تكون كل حركتنا محصورة فى هذا الماضى بحيث ندير ظهرنا للعا[illegible] الامر الذى يحجب عنا رؤية الحاضر او المستقبل ٠

اذا كان تعاملنا مع الماضى ـ والتراث جزء منه ـ على اساس الانتقاء ، [illegible] ما فيه من غث وهو كثير ، ونبقى على ما فيه من جاد وثمين وهو اكثر ، واذا امددنا هـذا الماضى بما نتسلح به من اجل الوعى بالحاضر وبناء المسـتقبل ٠٠ اذا تحقق هذا وذاك فعندئذ فقط يصبح الماضى والتراث معه مطلبا حيويا لا غنى عنه ٠

لكن الماضى المعروض امامنا ، والمعبأ فىاغلفة وصياغات جديدة ، ابعد ما يكون عـن هذا المفهوم ٠بعضها يستحضر الماضى لانه ماض ٠وبعضها يستحضره لكى يحاكمه ويشهر به٠

الماضي المعروض للبيع امامنا ــ في اغلبه ــ هدف وليس وسيلة ٠ وهذه هي القضية٠

●

وبينما نحن مشـــغولون بالدر النظيم في اخبـــار موسى الكليم ، وبنقائض جرير والفرزدق ، وبينما مطابعنا تدفع الى العقل العربي بسيل من الكتب الاخرى تدين وتتهم وتدافع عن ماضينا البعيد والقريب ٠ بينما يحدث هذا كله يمضي العـــالم في اتجـــاه مخالف تماما ٠ يحتدم الجدل فيه حول المستقبل ٠

لقد صار المستقبل علما يدرس في الجامعات « Futurology » ٠ ونوادي ومؤتمرات سنة ٢٠٠٠ منتشرة الآن في العديد من عواصم العالم الغربي وجامعاته ٠ ونادي روما ولجنة سنة ٢٠٠٠ بالاكاديمية الامريكية للعلوم والفنون نموذجـان بارزان لذلك ٠ بل ان اغلب الجامعات الاوروبية تجري دراسات لا تتوقف حول المستقبل بكل تفاصيله ٠

وهذا التوجه للمستقبل ليس حديثا في الفكر الغربي ، فمنذ نصف قرن تقريبا بدأ هذا الباب يفتح على مصراعيه ، عندما اصدر اثنان من المفكرين (كيجان بول في انجلترا واي ٠ ب ٠ دتون في نيويورك) سلسلة منالدراسات التي تتصور «عالم اليوم والغد»في ٨٠ كتابا متتالية ٠

ومنذ ذلك الوقت والجهد العلمي المستقبلي ، المبني على الخيال احيانا والمعتمد على المنهج التجريبي احيانا اخرى ، لا يتوقف ٠ حتى صدر في عام ٦٧ كتاب الباحث الامريكي الشهير هيرمان خان وزميله انتوني وينر « سنة ٢٠٠٠ » ، وكان ابرز الدراســات الجادة التي تركز على المستقبل الاقتصادي والسياسيللعالم بعد ٣٠ سنة ٠ وقد اصدر هيرمان خان ايضا منذ اسابيع قليلة كتابا جديدا مع زميلين له يتجاوز هذه المرحلة عنوانه « المائتي سنة القادمة » يهدم فيه الكثير من الآراء المتشائمة التي تنبات بمستقبل مظلم للانســان بسبب احتمالات الانفجار السكاني ونفاد الموارد، ويقدم صورة متفائلة لعالم سنة ٢١٧٦(!)

ويقف كتاب « صدمة المســـتقبل » لمؤلفه الفين توفلر على قمة الكتب التي تصــور مستقبل البناء الاجتماعي والثقافي والسلوكيللانسان (صدر الكتاب سنة ٧٠ وطبع حتى الآن ٢٥ مرة وترجم الى اللغة العربية سنة ٧٤) ٠

هم هناك لا يهملون التراث ولم يلقوا به في سلة المهملات ٠ فهو غذاء اســاسي في مراحل التعليم المختلفة ٠ وتلاميذ المدارس يحفظون اسماء رواد الفكر والفن والادب في كل بلد (كيف تقدم اعمالهم هذا موضوع آخر) ٠ المهم ان التراث العظيم ياخذ مكانه في كل عقل ، والى جانب ذلك هناك الجهد الذي لا يتوقف لتصور المستقبل ورؤيته ٠

●

قد يتصور البعض ان الحديث عن المستقبل نوع من الترف الفكري ٠ وهذا خطأ فادح لا يغتفر ٠ ذلك ان العالم يتطور ويتغير بسرعة مذهلة ٠ والسـقوط والضياع ــ ايضا ــ هما مصير الذين يعجزون عن استيعاب هذهالمتغيرات ، وفي غيبة رؤية مستقبلية ناضجة وواعية لن يتحقق الاستيعاب باي وجه ٠ وعلى حد تعبير عالم الاجتماع دارين بينيس فان « العيار قد انفلت في الســـنوات الاخيرة لدرجة انه لا المبالغة ولا الغلـــو ولا الافراط تستطيع ان تصف مدى التغير وسرعته ٠ وقد صارت المبالغات وحدها هي التي تبدو قريبة من الواقع » ٠

ولعل بعضنا سمع شكوى الاطباء من ان كتب الطب التي تطبع حديثا ، تصبح متخلفة ساعة صدورها ، لانه خلال الوقت الذي تستغرقه مراحل التاليف والطبـاعة والتوزيع ، تتغير كثير من الاراء والحقائق العلمية والوسائل العلاجية ٠ الامر الذي يفضل معهالكثيرون

الآن ان يتابعوا ابحاثهم ويطوروا معلوماتهم اعتمادا على الدوريات العلمية · فهذه فرصتها اكبر فى ملاحقة المتغيرات فى عالم الطب ·

والتطور المثير والمذهل فى عالم النقل والمواصـــلات نموذج يجسد بوضوح بالغ تلك المتغيرات · فقد كان الجمل فى سنة ٦٠٠٠ قبل الميلاد هو اسرع وسيلة نقل عند الانسان ، اذ كان يسير بمعدل ٨ اميال فى الساعة · وحوالى سنة ١٦٠٠ اخترع الانسان العربة ذات العجلات ، فارتفع معدل السرعة الى حوالى ٢٠ ميلا فى الساعة · وفى الثمانينات من القرن الماضى ، وبفضل القاطرة البخارية المتطورة ، استطاع الانسان ان يصل الى سرعة قدرها مائة ميل فى الساعة ·

وهكذ احتاج الانسان الى الوف السنين ليصل الى هذا الرقم فى سرعة الانتقال · ولكنه احتاج الى ٥٨ عاما فقط ليصل الى اربعة امثال هذه السرعة · وذلك حين استطاع فى عام ١٩٣٨ ان يطير بسرعة ٤٠٠ ميل فى الساعة · ثم احتــاج الى عشرين عاما فقط ليضاعفها · وفى الستينات من هذا القرن وصلت سرعة الطائرات الصاروخية الى ٤٠٠٠ ميل فى الساعة ، واستطاع الانسان ان يدور حول الارض فى كبســولات الفضاء بسرعة ١٨٠٠٠ ميل فى الساعة ·· والله اعلم بما يخبئه المستقبل !

●

ويظل عالمنا مشغولا بالماضى !

مستقبل الصراع العربى الاسرائيلى · عرب ما بعد نفاد البترول · المشكلة السكانية فى بلادنا ، مفارقتا الانفجار والندرة · علاقتنا بالصحارى والشــواطىء التى تحيط بنا (نشر اخيرا تقرير عن زحف زمال الصحراء على وادى النيل فى مصر) · مستقبل الزراعة· الصناعة · التعليم · الاسرة · الثقافة ·· هذا كله يحتاج الى دراسة جادة لم تتم · ثمة « تقارير » هنا وهناك ـ ربما ـ اعدتها اجهزة بحكم وظيفتها ، لكنها لم تشكل بعد تيارا ثقافيا يسهم فيه المفكر العربى ·

لماذا ينسحب المفكر العربى من الحاضر والمستقبل ؟

باختياره يفعل ذلك احيانا · فمواجهة الحاضر تحتاج الى شجاعة ، ورؤية المستقبل تتطلب جهدا ومعاناة · والامر كله عبء وتكاليف ، وربما مغامرة ·

ورغما عنه يفعل ذلك فى احيان اخرى عندما يمتنع على المفكر العربى ان يشارك فى الحاضر او المستقبل ، ولا يبقى مفتوحا امامه سوى طريق واحد فقط هو : الماضى ·

وتظل مقتضيات الواقع العربى الراهن هى المسئول الاول عن هذا المناخ · لان هـذا المفكر العربى المنسحب الى الماضى فى بلادنا ، هو ذاته المبدع والخلاق عندما يهجر وطنه الى مناخ آخر ، فى اوروبا وامريكا مثلا ·

وثمة اعتبار آخر لا يمكن انكار دوره ، هو ان العقل العربى اعطى اجازة رسمية منذ اغلق باب الاجتهاد ، بينما العقل مستمر فى خدمة الانسان الاوروبى منذ عصر النهضة·

وقد كانت النتيجة انهم ظلوا يمدون ابصـــارهم الى الامام ، بينما نحن ابصارنا شاخصة الى الخلف ، الى الماضى · وكل عاش حيث توجه ببصره وفكره ·

ان المستقبل ليس نبتا شيطانيا يطـل على الناس فجاة · لكنه حصـــاد ما نزرعه بايدينا اليـوم ·

وسيظل قانون الكون ساريا · ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ·

ولهذا سيظل حصادنا من جنس ما نزرع دائما ·

ولنتذكر ان الذين يزرعون الحصرم ، يحصدون المر · ■■

فهمى هويـــدى

للذكرى

في شهر النكسة !

هرتزل

والسلطان
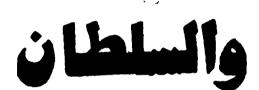
بقلم : الدكتور محمد أحمد خلف الله

■ كان له رأى ثم استبدله بآخر .

كان رايه اول الامر ان المشكلة اليهودية انما تحل فى المجتمع الاوروبى حلا جذريا عن طريق المضى فى ذوبان اليهود فى المجتمعات التى يعيشون فيها ، وفى اكتساب اليهود جنسية الدول التى تدير امور الحياة فى هذه المجتمعات ، وفى التمتع بكافة الحقوق والواجبات التى يتمتع بها المواطنون جميعا من غير تفرقة فى ذلك بين مواطن ومواطن بسبب الجنس والدين :

وكان رايه الثانى ان المشكلة اليهودية لايمكن ان تحل حلا جذريا الا اذا اصبح هناك وطن قومى لليهود يعيشون فيه وينتمون اليه ويعملون جاهدين على اعزازه وازدهاره .

وكان السبب فى التحول من الراى الاول الى الراى الثانى انه عاصر محاكمة الضابط اليهودى دريفوس فى فرنسا وتبين له أن القسوة فى محاكمة هذا الضابط واتهامه بالخيانة ، قد لعب الدور الاول فيهما انه يهودى بصرف النظر عن كونه فرنسيا .

السلطان عبد الحميد

عبد الحميد

لقد تبين له ان العنصرية والطائفية عاملان مهمان فى نشأة عداوة المجتمع الاوروبى لليهود واحتقاره لهم ، وأن ليس ينقذهم من ذلك الا البحث عن وطن قومى لهم خاص بهم ·

ومن اجل تحقيق هذه الفكرة والتحول بها من الجانب النظرى الى الواقع العلمى اخذ هرتزل يعمل فى ميادين ثلاثة فى وقت واحد معا ·

الميدان الاول . ـ ميدان اليهود انفسهم ·

والميدان الثانى : ميدان الدول الكبرى وبخاصة الاستعمارية منها ·

والميدان الثالث : ميدان السلطان عبد الحميد الذى تقع فلسطين تحت سيطرته وتعتبر من ممتلكاته ·

كان العمل فى الميدان اليهودى يتمثل فى : ـ

أولا : اقناع اليهود انفسهم بفكرة الوطن القومى من حيث انه هو وكثيرون غيره كانوا يرون ابقاء اليهود فى الدول التى يعيشون فيها من حيث ان ذلك ييسر لهم سبل التعاون فى السيطرة الاقتصادية على العالم اجمع · ولم يكن من اليسير تحول اليهود عن هذه الفكرة الا بعد حوار وقناعة عقلية ونفسية ·

ثانيا : اعداد اليهود لتنفيذ هذه الهجرة عن طريق تيسير سبل الهجرة ، و لاقامة فى الوطن القومى بعد تذليل كل العقبات التى يمكن ان تصادفهم ـ وبخاصة الاقتصادية منها ·

وكان سبيل هرتزل الى ذلك عقد المؤتمرات وكتابة المقالات وتاليف الكتب ·

اقام سبع مؤتمرات فى مدينة بازل ، وكان يطالب فى كل منها بانشاء المؤسسات الاقتصادية التى سوف تيسر سبل الحياة فى الوطن القومى. كما كان يعرض الخطوات التى قطعها فى سبيل تحقيق فكرته والعقبات التى تقوم فى الطريق وكيفية ازالة هذه العقبات .

واستجاب له اليهود . ونشأت حينذاك الفكرة الصهيونية وتبعتها الحركة الصهيونية .

والامر الذى نؤكد عليه فى هذا المقام من حيث علاقته بالسبل التى كان يسلكها هرتزل للاتصال بالسلطان عبد الحميد واقناعه بفكرة قيام وطن قومى لليهود فى فلسطين ، انه كان يبعث دائما على لسان كل مؤتمر برقية للسلطان يحيى فيها السلطان ويؤكد له ولاء اليهود باعتبارهم من رعاياه .

وكان العمل فىميدان الدول الاستعمارية يتمثل فى جذب هذه الدول الى الوقوف الى جانب انشاء وطن قومى لليهود .

كان هرتزل يقدر انه لا وزن له ، ولا وزن لليهود عند السلطان عبد الحميد ، ورأى أن يوجد وزنا ما لقضيته عن طريق تبنى دولة كبرى لها . وراح يتصل بالعديد من الدول لتقبل فكرته وتقبل فىالوقت ذاته الضغط على السلطان عبد الحميد من أجل الاذن لليهود باقامة وطن قومى لليهود .

وكان يمنى الدول بالفوائد العديدة التى يمكن ان تعود عليها من جراء اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين .

ونقدم هنا بعض النماذج من اقواله هو فى هذه المسالة :

١ ـ كتب هذا الخطاب لاحد المسئولين من الانجليز:

هناك طريقة لتصحيح المالية التركية، وبالتالى المحافظة على التوازن الدولى لمدة اطول . ولايجاد طريق الى الهند فى الوقت ذاته ـ وهو الطريق الاقصر بالنسبة لانجلترا .

اقصد بهذه الطريقة انشاء دولة يهودية فى فلسطين ، لها استقلالها الذاتى مثل مصر ، وتحت سيادة السلطان .

وكما تعلم مهدت الجو لهذا المشروع فى زيارتى للقسطنطينية فى الصيف الماضى .

ان الامر ممكن اذا توفر لنا دعم دولة كبرى ، واكرر هنا انه دعم مستور .

وما دام السلطان هو السيد وما من قوة تمنعه من دعوة اليهود الى الهجرة الى فلسطين. وسوف نحصل له مقابل عمله هذا على قرض كبير ـ زيادة على الضريبة التى سيؤديها اليهود له والتى سوف تكون مؤمنة مسبقا .

وسيكون من مصلحة انجلترا بناء خط حديدى راسا عبر فلسطين ـ من البحر الابيض الى الخليج الفارسى :

٢ ـ وتلقى من وزير الداخلية الروسى مكتوبا يفيد موافقة القيصر وحكومته على تاسيس دولة يهودية فى فلسطين وكان مما جاء فى هذا المكتوب:

ان خلق دولة يهودية مستقلة تستوعب عدة ملايين من اليهود يوافقنا جدا . ولكن هذا لا يعنى اننا مستعدون ان نتخلى عن جميع اليهود عندنا.

نريد ان نبقى ذوى الذكاء المتفوق منهم امثالك. فالنبوغ لا يعرف تفريقا لا فى المذهب ولا فى القومية .

نريد ان نتخلص من الفقراء وذوى العقول الضعيفة ، ونبقى كل من يستطيع أن يندمج .

نحن لا نعادى اليهود كيهود .

اما الميدان الثالث ، وهو ميدان العمل عند الخليفة او السلطان عبد الحميد فقد كان أصعب هذه الميادين .

لقد استطاع هرتزل ان ينجح معاليهود انفسهم ويقنعهم بالفكرة الصهيونية والحركة الصهيونية، واستطاع أن ينجح مع الدول الاستعمارية واتخذ منها اداة ضغط على الخليفة من حيث تبنيها لفكرة العمل منأجل قيام دولة لليهود فىفلسطين.

اما هنا فلم ينجح ، وتوفى قبل ان يصدر وعد بلفور ، وتبنى الانجليز لانشاء دولة اسرائيل .

كانت خطة هرتزل فى العمل لدى السلطان تتلخص فى التالى : ـ

اولا : الاستعانة بالمسئولين الاتراك ومن فى حكمهم للتمهيد للامر عند السلطان . وكانت سبيله الى هؤلاء هى الرشوة .

ثانيا : الاستعانة باصدقائه من الاجانب الذين يعملون لدى السلطان او لهم علاقة شخصية بالسلطان ويستطيعون التاثير عليه .

هذا الى جانب الدول الاستعمارية كما سبق ان ذكرنا .

كان ممن قابلهم من الاتراك الصدر الاعظم وابنه جاويد بك ، ووزير العربية وابنه ، وبعض السفراء الاتراك في كل من النمسا والمانيا .

وكان الامر المطروح هو اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود .

وكان الحوار فيما بين هرتزل وبينهم يدور حول مقدار الارض التى تمتطع من فلسطين لتكون وطنا قوميا منحيث أن فلسطين مساحة كبيرة منالارض. كما يدور حول نظام الدوله الجديدة وعلاقتها بالدولة العثمانية :

ذكر هرتزل للصدر الاعظم أن مساحة الارض المطلوبة متوقفة على مدى ما يمكن أن يدفع من اموال في سبيل انقاذ المالية التركية وارضاء السلطان .

وكانت عبارته في ذلك : أن ذاك يعتمد على مدى ما تعدمه نحن من منافع . سنضحى بكمية اكبر لجزء أكبر من البلاد .

واستبعد جاويد بك ابن الصدر الاعظم مدينة القدس منذ أول الامر من حيث كونها مدينة قديمة وفيها مسجد عمر ولا يملك السلطان أن يتنازل عنها ويجب بقاؤها في يد المسلمين .

ورضى هرتزل بذلك .

واستبعد جاويد بك أيضا أن يكون نظام الحكم جمهوريا ، واكد على هرتزل الا يذكر ذلك مرة اخرى لان ذلك يغضب السلطان .

وقبل هرتزل ذلك ، ورضى بان تكون علاقة الدولة اليهودية بالسلطان مثل علاقة مصر أو بلغاريا .

وحرر هرتزل في تلك الاثناء مذكرة بما يقدمه اليهود من السلطان مقابل فك الضائقة المالية ، قال :

ترغب جماعتنا في عرض قرض متدرج من عشرين مليون جنيه استرليني يقوم على الضريبة التى يدفعها اليهود المستعمرون لفلسطين لجلالته. تبلغ هذه الضريبة التى تضمنها جماعتنا مائة الف جنيه استرليني في السنة الاولى ، وتزاد الى مليون جنيه استرليني سنويا . ويتوقف هذا النمو التدريجي في الضريبة على هجرة اليهود التدريجية الى فلسطين .

أما سير العمل المفصل فيتم وضعه فياجتماعات شخصية ومقابل ذلك يهب السلطان لليهود الامتيازات التالية :

الهجرة اليهودية الى فلسطين تلك الهجرة التى لن تكون محدودة العدد ، والتى يجب أن تشجعها الحكومة العثمانية وتيسر لها السبل بكل وسيلة ممكنة .

يعطى المهاجرون اليهود الاستقلال الذاتى المضمون في القانون الدولى .

يجب أن يقرر في المفاوضات الشكل المفصل الذى ستمارس به حماية السلطان في فلسطين اليهودية ، وكيف سيحتفظ اليهود انفسهم بالنظام والقانون عن طريق قوات الامن الخاصة بهم .

ويستطيع السلطان أن يصدر دعوة كريمة الى اليهود في مختلف البلاد للعوده الى ارض آبائهم.

ورفض السلطان ذلك كله . وحدد ما يمكن أن يقبله من الامر على الوجه التالى : ـ

يمكن للاسرائيليين أن يستقبلوا ويستقروا في الامبراطورية العثمانية بشرط : ـ

الا يكونوا جميعا في مكان واحد ، وانما يفرقون في اماكن تعينها لهم الحكومة .

أن يحدد عددهممسبقا منقبل الدولة العثمانية.

أن يعطوا الجنسية العثمانية ويسالوا عنجميع الضرائب المدنية .

أن يكونوا خاضعين لجميعقوانين البلاد كالاتراك تماما .

ولم يقبل هرتزل هذا [illegible] وراح يضغط على السلطان ويغريه ، لا بحل المشكلة الاقتصادية فقط ، وانما في الوقوف الى جانبه ضد كل حركات التحرير التى يقوم بها الارمن واليونان والاتراك انفسهم .

وخاض هذه المعركة فعلا ارضاء للسلطان . ولكن ذلك لم يزحزح السلطان عن موقفه . وظلت فلسطين من أملاك السلطان الىان كان الاستعمار. وكانت الحرب العالمية الثانية وكان وعد بلفور. وكان تحقيق قيام الدولة [illegible] بحماية الاستعمار وقوته .

وظلت هذه الدوله تعيش في كنف الاستعمار، وتخدم الاستعمار حتى اليوم . ■■

القاهرة ــ دكتور محمد أحمد خلف الله

الفكرة ·· واللحية !

● فولتير ، شاعر وكاتب فرنسا الكبير الذى مهد بكتاباته « لأم الثورات » ، كان طفلا ضعيفا عند ولادته ،حتى انهم توقعوا له الموت ، ولم يحاول الطبيب الذى اشرف على ولادته ان يخفى هذه الحقيقة عن والديه ، الامر الذى اضطرهما الى تعميده صباح اليوم التالي لولادته ··ولكن الطفل الصغير الضعيف الذىكان يتنفس بصعوبة، عاش حتى جاوز السادسة والثمانين من عمره ، وملأ الدنيا بكتاباته وافكاره التى سبق بها عصره ، ومهدت لقيام الثورة الفرنسية التى ذهب قبل اندلاعها ، قالوا يوما يسألونه وهو يحتفل بعيد ميلاده الحادى والثمانين : « ماذا صنعت بنفسك، كيف استطعت ان تتحدى الموت الذى كان يتربص بك ؟ »

وقال فولتير : « لم اكف لحظة واحدة عن العمل ، أما الافكار التى ملأت رأسى وصدرى ، فهى لم تأت ، الا بعد أن تقدمت بى السن ·· ما اشبه الفكرة الجديدة باللحية ·· ان الرجل لا تنمو له لحية الا عندما يكبر وينضج ويتقدم به العمر ويعيش تجارب الحياة ، هكذا ولدت كل افكارى مع لحيتى ! كل ما صنعته اننى تركتها تنمو وتكبر ! » ·
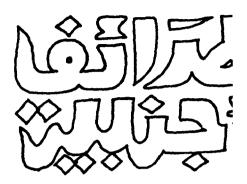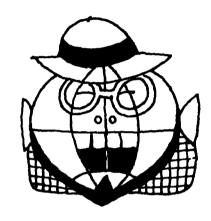
آباء ·· وابناء

■ شكسبير ، شاعر الانجليز الكبير ، وابو المسرح فى انجلترا ، كان ابوه بائعا للصوف ·

■ الامبراطور ديوكليشيان الرومانى كان ابنا لعبد من عبيد الاباطرة !

■ ابراهام لنكولن محرر العبيد كان ابوه رجلا فقيرا اشتغل بالزراعة حينا وحمل الاثقال على كتفه احيانا ·

■ الكاردينال انتونيللى الذى احتل منصبا مرموقا فى الفاتيكان كان ابنا لواحد من رجال العصابات !

■ كريستوفر كولومبس مكتشف «العالم الجديد » ، كان والده يجلس على الشاطىء وينسج شباك الصيد ·

■ سوفوكليس ،الشاعر اليونانى العظيم كان ابنا لحداد ·

ومع هذا لم يتنكر احد من هؤلاء الابناء الذين دخلوا التاريخ لاصله،بل كان البعض منهم يفاخر بماضيه، حتى الكاردينال،رجل الدين الذى لم يجد فى ماضيه ما يفخر به، كان يقدم والده للناس ويقول : « لقد ضل الطريق ولكنه تاب ··وقد قبل الله توبته!»

الضحك .. والشخير !

● اضحك وسوف تجد الدنيا كلها تضحك معك ، اما اذا رفعت صوتك بالشخير اثناء نومك، فسوف تجد نفسك نائما وحدك !

« ايلد روبنر »

النجـاح !

● لورد بيفربروك ملك الصحافة فى ...نيا الذى ترك وراءه بعد رحيله اكبر ...طورية للصحافة فى اوروبا ، بـدأ ... يبيع الصحف للناس ، قالوا له يوما: ...و سر نجاحك ؟ » وقال بيفربروك : ...كم السليم على الامور ! »

ولكن اين تعلمته ؟

... بيفربروك : « بفضل الخبرة التى ...بتها من الحياة ! »

وكيف اكتسبت هذه الخبرة ؟ »

...ضحك بيفربروك وقال : « بفضل سوء ...ى الى الامور ، وما اكثر ما كان حكمى ... الناس والاحداث سيئا ! »

رحلة بلا نهاية !

● هنرى ماتيس الرسام الفرنسى المشهور الذى رحل فى منتصف هـذا القرن بعـد ان اثـرى الفن بلوحاته الرائعة التى تميزت بجمال الوانها كان لـه فلسفة معينة فـى هذا الفن الذى افنى فيه سنوات عمره الطويل . كان يقول : « ما اشبه الحياة مع الفن، برحلة بالقطار الى مكان بعيد ..ان كل لوحة ينتهى الفنان من رسمها تقترب به من نهاية رحلته .. او من المحطة التى يريد ان ينزل فيها ويترك القطار. وقد يأتى الوقت الذى يشعر فيه الفنان انه اقترب من هدفه بالفعل ولكنه سرعان ما يكتشف انه لم يصل على الاطلاق او ان المحطة التى اختارها لنزوله فى بداية الرحلة ، ليست هى هدفه .. وهكذا يعود من حيث بدأ ، ويمضى فى رحلة اخرى قد لا يكون لها نهاية .. هذا الاحساس هو الفن بعينه .. لان الفن تجديد وابتكار ورحلة مـع الحياة نفسهـا ، لا تنتهى الا عندمـا يشعر الفنان انه لم يعد قادرا علـى ركوب القطار من جديد !

★★★

تعريف جديد !

● الدعاية ، ماهى ؟

انها قصة شخصية مشهورة يعرفها كل الناس ، ويقوم صاحبها بعمل معين، لم يقربه فى حياته ، او يحب شيئـا يكره مجرد النظر اليه ، او يذهب الى مكان لـم يره يوما ، ولم يفكر فى الذهاب اليه !

ومع ذلك نرى الناس يقومون بنفس هذا العمل ،ويحبون نفس هذه الاشياء، ويذهبون الى نفس هذه الاماكن ، وهم يعرفون ان اصحاب هذه « الاعلانات » يخدعونهم !
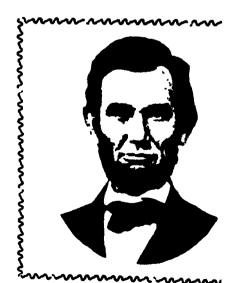
بعد المؤتمر الاسلامي المسيحي في قرطبة

لأول مرة منذ قرون :

علماء اللاهوت يدافعون عن

هل يبدأ وفاق جديد بين الديانتين الأعظم ؟

بلغة هذا الزمان ، فان ما حدث في قرطبة كان بمثابة اعلان لفض الاشتباك بين المسيحية والاسلام ، وتوقيع لاهوتي بالاحرف الاولى على نبوة محمد يحدث لاول مرة منذ قرون ، ويفتح الباب لمرحلة وفاق من نوع آخر بين الديانتين الاعظم •

جرى هذا كله على مدى اسبوع حافل بالمفاجآت والمعاناة والاثارة ، تحولت خلاله قاعة بلدية قرطبة الى كرسي اعتراف كبير ، جلس الجميع فوقه وقالوا شهادتهم ، ثم انفض المؤتمر الاسلامي المسيحي العالمي الثاني ، ليعود الى جولة جديدة بعد عامين •

خلال ذلك الاسبوع الاخير من شهر ابريل ، التقى في عاصمة الاندلس ، فريق من رجال اللاهوت والمثقفين المسيحيين مع فريق آخر من المفكرين والعلماء المسلمين ، ليشاركوا في محاولة

شهدت مجلة العربي اخطر مؤتمر ، حول اخطر موضوع . كان المؤتمر في قرطبة في اسبانيا الكاثوليكية المتشددة . وكان الموضوع هو الحوار الاسلامي المسيحي، وقد دار بالذات ولاول مرة حول أكثر النقاط حساسية : اعتراف المسيحية بالاسلام دينا ومحمد نبيا ..

ورغم دقة الموضوع ، الا أن العربي رأى تقديم هذا التقرير الدقيق عنه، لانه من حق القارىء أن يعرف .

محمد ويعترفون بنبوته

رسالة قرطبة بقلم :

فهمي هويدي

اعضاء المؤتمر من العلماء المسلمين والرهبان ورجال اللاهوت في ساحة مسجد قرطبة الشهير ، الذي يحمل اسم «المسجد الكاتدرائي»

الدكتور عبدالعزيز كامل وكلهم مسلمون عبد الله ..

فريدة من نوعها تستهدف تقييم النبيين محمد وعيسى من وجهة نظر كل فريق .

وهذا الموضوع الذى وصفه مطران مدريد ورئيس اساقفة اسبانيا الكاردينال انريكى ترانكون بانه خطير وعسير . واعتبره الدكتور سلفادور نوجالس رئيس جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية « محاولة لتغيير موقف المسيحية منمحمد ، ص و .. «تحريك للضمير المسيحى لكى يتبنى موقف التقدير الايجابى لنبى المسلمين،يختلف عن الموقف الحالى» .واعتبره مقرر المؤتمر الدكتور ميخائيل ايبالسا الاستاذ بكلية الفلسفة واللاهوت بجامعة مدريد « ضرورة الانتقال من المهاترات المذهبية للقرون السالفة، ومن الصمت العذر او الجاهل لعدد كبير من مسيحيى اليوم . الى المعرفه الواسعة والتقدير الايجابى لمحمد نبى الاسلام » .

ازالة الركام أولا

لماذا اختاروا هذا الموضوع بالذات ؟

يرد الدكتور ايبالسا قائلا : لان شخصية النبى محمد(ص) مقدمة الى العالم المسيحى بصورة مشوهة الى حد كبير . حولها نسجت العديد من الافتراءات والاكاذيب والخرافات ، التى نشات كلها من الفكر المتعصب الذى ساد الغرب منذ بدأ الاسلام يدخل اوروبا . وكانت مثل هذه الافتراءات احدى وسائل تعبئة الجماهير ضد المد الاسلامى .

« كان لا بد ان نزيح هذا الركام اذا اردنا ان نفتح الطريق لتعاون اسلامى مسيحى » ، هكذا قال الدكتور ايبالسا ، الذى اعد رسالته للدكتوراه عن راهب اسبانى من جزيرة مايوركا اعلن اسلامه فى القرن السادس عشر ، وعاش فى تونس حتى صار رئيسا لديوان الخليفة . كان اسمه انسلم تورميدا واصبح عبدالله الترجمان.

اضاف ايبالسا : لقد كان موضوع مؤتمرنا الاول الذى عقد فى سنة ٧٤ ، وكانت قرطبة مقرا له ايضا ، هو : الضمير الاسلامى والمسيحى امام مشاكل التطور . وكان هدفنا أن يعدم ممثلو كل دين رؤيتهم الفكرية لقضايانا المعاصرة وذهبت مناقشات المؤتمر الى ما هو أبعد . اذ تعرضت الى رؤية كل دين للآخر . الاسلام من وجهة نظر المسيحية . والمسيحية من وجهة نظر اسلامية .

كان التقدير والفهم والتفاهم هو السمة الاساسية للمناقشات التى جرت فى المؤتمر الاول. وهو ما اطلق عليه مطران الجزائر الكاردينال دوبال « روح قرطبة » .

بعد النجاح الذى حققناه ، قررنا ان نخطو خطوة اخرى . وان نقترب من نقطة اللبس الحقيقة عند العالم المسيحى وهى : شخصية النبى محمد (ص) . ولكى تكتمل الصورة فى الاذهان فتحنا الباب ايضا لتقييم شخصية المسيح . لان هناك لبسا من نوع آخر يحيط بهذه الشخصية عند جماهير المسلمين » .

قال الدكتور ايبالسا أيضا : ان هذا الكلام الذى قيل فى المؤتمر الثانى يعد نقطةتحول كبيرة فى الفكر المسيحى والنظرة المسيحية الى النبى محمد . يكفى ان يقف رجال اللاهوت بكل ما يمثلونه من وزن دينى وفكرى ليعترفوا بنبوة محمد ، وبدوره الهائل فى تاريخ الانسان .

ثم اضاف مقرر المؤتمر قائلا . ان المؤتمر القادم ـ الثالث ـ سيطرح للمناقشةموضوع العلاقة بين الدين والتوسع السياسى . الفتوحات الاسلامية من ناحية . والاستعمار والتبشير من ناحية اخرى، وستكون احدى نقاط البحث هى : كيف تقدم الفتوحات الاسلامية الى الفكر الغربى ؟ وكيف تفسر الحروب الصليبية امام الفكر الاسلامى ؟

« اننا نريد أن نطوى صفحة الماضى ، ونزيل معها كل بذور الكراهية والرفض ، لنفتح الطريق لمرحلة التعاون والثقة فى المستقبل » .. هكذا يقول الدكتور ايبالسا . « لقد اتفقت فرنسا

والمانيا بعد الحرب العالمية الثانية على منهج يعالج جراح الحرب والكراهية التى ترسبت فى الاعماق نتيجة لها ، بحيث يقدم ما جرى للاجيال الجديدة ، بصورة تزيل هذه الكراهية ولا تسمح لها بالاستمرار فى المستقبل . ونحن نريد أن نفعل الشىء نفسه بالنسبة للمسلمين والمسيحيين » .

يقول الرجل ايضا :لهذا السبب كلفنا فريقا من الباحثين بدراســـة ٢٥٠ كتاب يتداوله التلاميذ فى مختلف مراحل التعليم باسبانيا . وطلبنـــا منهم حصر العبارات والوقائع التى تقدم الاسلام ونبيه بصورة مشـــوهة الى التلميذ ، تمهيدا لتصحيح تلك الوقائع . واستبعاد كل ماهو مختلق ومكذوب منها .

غاب الازهر والفاتيكان

هل تمضى المسالة بهذه البسـاطة التى تروى بها القصة ؟

بالتاكيد لا . ونظرة الى وجوه المشتركين فى المؤتمر تقودنا الى حقيقة تثير الانتباه هى : لقد غاب عن المؤتمر كل من الازهر والفاتيكان !

وتردد ان الازهر غير مقتنع بجدوى الحوار ، وانه ارسل تعميما برأيـه الى الدول العربيـة والاسلامية .وهو مافسر غيبة دول المشرق العـربى باستثناء سوريا ومنظمة تحرير فلسطين ، بينما شاركت فى المؤتمر دول المغرب العربى، وبعض الشخصيات التى تمثل النشاطات الاسلامية غير الرسمية فى اندونيسيا وماليزيا والهند ، غير عدد آخر من المفكرين المسلمين الذين دعـوا بصفاتهم الشخصية .

قيل أيضا ان الفاتيكان يرحب بالحوار ويدعو اليه . لكنه لم يعترف رسميا حتى الان بنبوة محمد ، فكيف يشترك فى مؤتمر يطرح هـذه القضيةموضوعا للمناقشة.ولهذا السببفقد اوفد الفاتيكان مندوبا عنه لحضور مؤتمر قرطبة الاول، لكنه التزم الصمت حيال هذا المؤتمر الثانى .

اعترف الفاتيكان بالاسـلام فقط ، بعد دورة مجمع الفاتيكان الثـانية التى اســـتمرت ثلاث سنوات ، من ٦١ الى ٦٤ (مناقشـات المجمـع الاول استمرت ٣٠ سنة فى القرن السابع عشر). وفى أعقاب هذه الدورة الثانية جاء فى قرارات مجمع الفاتيكان :« ان الكنيسة تنظر أيضا بتقدير الى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحى القيوم الرحيم ، القادر على كل شىء ، خـالق السمـاء والارض ، الذى كلم النـاس والذى يخضعون لاوامره الغيبية بقلوب راضية . كمـا خضع له ابراهيم الذى يحتل مكانة خاصـة فى العقيدة الاسلامية . انهم يعظمون المسيح كنبى ، وان كانوا لا يعترفون به كاله . يحترمـــون أمه البتول مريم ، وأحيانا يذكرونها بكل تقـوى . ثم انهم يرتجون اليوم الاخر ، يوم يجزى الله جميع الناس بعد البعث . وهم ، بالتـالى ، يقدرون الحياة الاخلاقية ويعبدون الله ، خاصة بالصلاة والزكاة والصيام .

« واذا نشأت عبر القرون خلافات وعداوات غير قليلـة بين المسلمين والمسيحيين ، فان المجمـع الفاتيكانى المقـدس يدعو الجميع الى نسيـان الماضى ومحاولة التفاهم المتبادل الصادق ، والعمل المشترك ، لنصرة وتاكيد العداله الاجتماعية والقيم الاخلاقية والسلم والحرية لجميع الناس » .

هذا هو نص رأى مجمع الفاتيكان ، الذى لم يشر من قريب أو بعيد الى النبى محمد (ص) الا انه دعا صراحة الىاحترام العقيدة الاسلامية. لاول مرة فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية . وهى خطوة غير كافية من وجهة نظرنا ، لكنها ايجابية بغير شك ، كانت هى البداية الحقيقية لما اطلقنا عليه وصف « مرحلة الوفاق بين الديانتينالاعظم».

وهذا المعنى أكدته احدى أمانات الفاتيكان ، التى أصدرت فى عام ٧١ كتابا من ١٠٠ صفحة يتضمن بعض التوجيهات للحوار الاسلامى المسيحى. لا يعترف بوضـع محمد (ص) كنبى بالنسبـة للمسيحيين ،ولكنها تطلب منهم أن ينظروا «لمؤسس الاسلام » بالاحترام .

وعندما أرسلت جمعية الصداقة الاســـلامية المسيحية الى الفاتيكان تدعوه للاشتراك فى المؤتمر. وقوبلت الدعوة بالصمت الذى فهم انه مقاطعة لمناقشاته ، كتب الدكتور سلفادور نوجالس رئيس الجمعية (رسالته للدكتوراه عن [illegible]) خطاب احتجاج الى سكرتارية الفاتيك[illegible] ان موقفهم من المؤتمر يتعارض مع [illegible] المجمع الثانى الذى يدعو الى احترام عقيدة المسلمين ، « الامر الذى لا يمكن ان ينفصل باى حال عن احترام نبى المسلمين » .

لكن الفاتيكان ظلعلىموقف الصمت، والقطيعة.

قصة استرداد المسجد

وقال وليقو الصلة بدوائر الفاتيكان من حضروا المؤتمر ان هناك تيارات محافظة تضغط شدة لكي لا يذهب الفاتيكان الى ابعد من لاعتراف بالاسلام ، وان البابا لا يريد ان يغوض ي هذا الموضوع ، الذي قد يفجر قضايا كثيرة طول حولها الجدل ، خصوصا وانه بلغ مرحلة متاخرة من العمر .

وفي البحث الذي قدمه الى المؤتمر الاب جي باوتيه حول « مواقف معاصرة من نبوة محمد » سجل تفسيرا طريفا لعدم الاعتراف بنبوة محمد ، منسوبا الى راهب آخر هو الاب جاك جونبيه يقول فيه : انه لا يمكن اعتبار محمد نبيا لان ذلك يعني بالنسبة للمسيحيين الاعتراف بانجيل جديد يحل محل انجيل المسيح . وان الاعتراف بمحمد نبيا يعني الاعتراف بكل ما يتضمنه القرآن ، وبالتالي بان محمدا خاتم المرسلين وخاتم الاديان . وهذا لا يعتبر سوى الغاء لانجيل المسيح !

ولم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة التي صادفت الاعداد للمؤتمر . لان اطرافا عديدين كان من مصلحتهم ان يتوقف الحوار باي وسيلة (في اسبانيا جمعية صداقة يهودية مسيحية نشطة انشئت عام ٦٣) .

وكان من بين محاولات « التشويش » التي حدثت ان صحيفة A.B.C اليومية الاسبانية نشرت قبل خمسة شهور من عقد المؤتمر ان المسلمين يريدون غزو اسبانيا من جديد ، وانهم سيطالبون في المؤتمر الاسلامي المسيحي بمسجد قرطبة الشهير !

الدكتور ايبالسا مقرر المؤتمر (الى اليمين) والدكتور جون تايلور (الى اليسار) .. الاول دعا الى انصاف النبي محمد . والثاني دعا الى ان يعيد الطرفان النظر في موقفيهما .
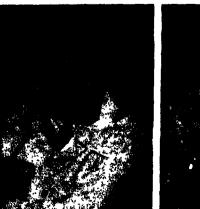
احدث المقال ردود افعال مختلفة ، حتى ان قاضي قرطبة انزعج وكاد ان يصدق الرواية ، واستدعى المسئولين عن جمعية الصداقة الاسلامية المسيحية التي تنظم المؤتمر (انشئت سنة ٦٦ وتضم ١٥ من المثقفين المهتمين بالقضايا العربية والاسلامية في مدريد) وسالهم عن مدى صحة هذه المعلومات.

ولم يطمئن قاضي قرطبة الا بعد تاكيدات قاطعة من جانب ممثلي جمعية الصداقة ، بان المقال مختلق من اساسه . وان المسلمين لا ينوون المطالبة بمسجد قرطبة !

اذن فقد تراوحت المواقف من المؤتمر بين رفض المبدأ (الازهر) ورفض الموضوع (الفاتيكان) . وتسميم الجو باي وسيلة (عناصر محلية) .

ومع ذلك فقد انعقد المؤتمر وقيل خلال جلساته كلام كثير يستحق ان يسمع ويسجل .

كلهم مسلمون

وخلال المناقشات التي استمرت اسبوعا ، والقى خلاله ١٦ بحثا ، كانت هناك « ايضاحات » حرص كل طرف على ان يسجلها امام المؤتمر .

● في بحث الدكتور عبد العزيز كامل ، مستشار ولي عهد الكويت ونائب رئيس وزراء مصر السابق ، قال :

ان الاسلام جاء مصدقا لكل نبي ورسول ، وقد دعا النبي والذين يؤمنون معه الى ذلك . « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين احد من رسله ، وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » .

والقرآن الكريم يطلق تعبير « المسلم » على جميع الانبياء والمرسلين ، فكلهم مسلمون له . فعن ابراهيم يقول : « اذ قال له ربه اسلم ، قال اسلمت لرب العالمين » ـ وكذلك ابناء ابراهيم ويعقوب كانت الوصية لهم « يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ». وكان قول الحواريين عندما سالهم عيسى « من انصاري الى الله ؟ قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون » . ★

★ للامام الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الازهر السابق اجتهاد بالغ النضج يرد فيه على الاتهام الذي يطلقه البعض على غير المسلمين ـ بمعنى

والناس جميعا فى الاسلام ابناء اسرة كبيرة واحدة ، ابوهم واحد :« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء .واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا »٠

هذا الموقف الرحب ،حرص الدكتور عبد العزيز كامل على ان يسجله فى بداية بحثه حول « محمد الرجل السياسى ، مؤسس لمجتمع سياسى ونظـــام اجتماعى عادل وانسانى » ٠

وفى بحث الدكتور احمد هيكـل مدير معهـــد الدراسات الاسلامية بمدريد حول « محمد شخصية تاريخية » ايضاح آخر يتعلق بمنهج التقييم قال فيه : لكل اصحاب الكتب والمقالات والاحكام التى لا تقدر محمـدا حق قدره القـول : ان التحقيق العلمى الذى يضع محمدا فى مكانه من التاريـخ ويعرفنا به كشخصية تاريخية ،يقتضى اولا الرجوع الى المصادر الاصلية المحققة المتصلة بعصر محمد وحياته ، وعدم الاعتماد على الخرافات والاوهـــام واقوال المغرضين او الجاهلين بسيرة حياته ٠ كما يقتضى التحقيق العلمى ، ثانيا ، الاتصال ببيئته وتمثـــل روح عصره ، وتعـرف اهم عادات تلك البيئة وتقاليدها ، فى اطار الزمان والمكان ، مع التنزه عن كل تلفيق وتخمين ٠ واخيرا يقتضى المنهج العلمى وضع ما كان عليه امر الحياة قبل محمد وبدء دعوته ـ فى مقارنة منصفة ـ اما ما آل اليه أمر تلك الحياة بعد محمد وتمام رسالته، فهنا يكون التحقيق ويكون المنهج ، ويكون قـــول الحق ٠

رؤية مختلفة للمسيح

● ايضاح ثالث ، سجله الكاردينال انريكـــي ترانكون رئيس اساقفة اسبانيا ، الذى بدا كلمته

معتنقى الدين الاسلامى هنا ـ بانهم كفار اعتمادا على تصورات خاطئـة ومعرفـة ٠ يقول الشيخ شلتـوت « مـن لـم يـؤمن بوجـود اللـه ،بوحدانيته وتنزهه عن المشـــابهة والحلـــول والاتحاد ، أو لم يؤمن بتفـــرده بتدبير الـكون والتصرف فيه ، واســـتحقاق العبادة والتقديس واســـتقباح عبادة مخلوق ما من المخلـــوقات ،او لم يؤمن بان لله رسالات الى خلقه ، بعث بها رسله ، وانزل بها كتبه عن طريق ملائكته ،او لم يؤمن بما تضمنته الكتب من الرسل ، أو فرق بين الرسل الذين قص علينا فآمن بالبعض وكفر بالبعض ، أو لم يؤمن بأن الحياة الدنيا تمضى ويعقبها دار أخرى هى دار الجـزاء ودار الاقامة الابدية ، ٠٠ من لم يؤمن بجانب من هذه الجوانب أو حلقة من هذه الحلقات لا يكون مسلما ، ولا تجرى عليه أحكام المسلمين فيما بينهم وبين الله ، وفيما بينهم بعضهم وبعض ، وليس معنى هذا ان من لم يؤمن بشىء من ذلك يكون كافرا عند الله ، يخلد فى النار ، وانما معناه انه لا تجرى عليه فى الدنيا أحكام الاسلام ، فلا يطالب بما فرضه الله على المسلمين من العبادات ، ولا يمنع مما حرمه الاسلام كشرب الخمر واكل الخنزير والاتجار بها ، ولا يغسله المسلمون اذا مات ولا يصلون عليه ولا يرثه قريبه المسلم فى ماله ، كما لا يرث هو قريبه المسلم اذا مات » ٠

أما الحكم بكفره عند الله فهو يتوقف على ان يكون انكاره لتلك العقائد او لشىء منها ـ بعد ان بلغته على وجهها الصحيح ، واقتنع بها فيما بينه وبين نفسه ، ولكنه أبى ان يعتنقها ويشهد بها عنادا واستكبارا ، او طمعا فى مال زائل او جاه زائف ، أو خوفا من لوم فاسد ، فاذا لم تبلغه تلك العقائد ، او بلغته بصورة منفرة او صورة صحيحة ولم يكن من اهل النظر ، او كان من اهل النظر ولكن لم يوفق اليها ، وظل ينظر ويفكر طلبا للحق ، حتى ادركه الموت اثناء نظره فانه لا يكون كافرا يستحق الخلود فى النار عند الله ٠

ومن هنا كانت الشعوب النائية التى لم تصل اليها عقيدة الاسلام او وصلت اليها بصورة سيئة منفرة ، أو لم يفقهوا حجتـــه مع اجتهادهم فى بحثها ـ بمنجاة من العقاب الاخروى للكافرين ، ولا يطلق عليهم اسم الكفر ٠

والشرك الذى جاء فى القران ان الله لا يغفره ،هو الشرك الناشىء عن العناد والاستكبار ٠٠ الذى قال الله فى اصحابه «وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا» ـ سورة النمل ـ انظر كتاب الشيخ شلتوت « الاسلام عقيدة وشريعة ص ١٩ »٠

يدبر اسم الله الرحمن الرحيم واسم سيدنا المسيح • قال الرجل وهو يدعو الى فتح صفحة جديدة « يجب ان نعترف بأن العقيدة المسيحية ترى فى المسيح اكثر مما يراه المسلمون • واننا على اى حال نحسه بطريقة مختلفة • ذلك ما نريد أن نبديه لكم ، دون ان نثير من جديد جدلا لاهوتيا تقليديا بيننا • والحق انه من الصعب عرض العقيدة المسيحية التى تنسج لغتها داخل الجماعة المؤمنة كى تفهم هذه العقيدة امة غير مسيحية • ان ذلك يستلزم عمليا تغيير اللغة ، ويستلزم على الخصوص الثقة فى ان ينير الله القلوب لمعرفة الحق •

ان شهادة عيسى المسيحية تنطلق من الايمان بوحدة الله• « آمنا بالله وحده »• هذا ما نعلنه بكل قوة مع اخواننا المسلمين • وكاتباع المسيح • نؤمن بالله الاحد ، المنزه ، خالق السماء والارض، المثيب ، الرحيم ، الغفار ،الخ• وفى استطاعتنا ان نتبنى كل اسماء الله الحسنى التى يطلقها المسلمون على الله الواحد ، اله ابراهيم واسحاق ويعقوب وعيسى ومحمد والمسلمين • ان عقيدتنا فى التثليث لا تنقص شيئا من ذلك التأكيد القاطع المطلق ، من ذلك الايمان الذى ينبغى لاخواننا المسلمين أن يعترفوا لنا به • فنحن كذلك نرفض الشرك مثلهم ولا نرضى ان نتهم باننا نشرك مع الله الهة اخرى •

ثم قال الكاردينال ترانكون : بجانب ذلك ، نؤمن بان لعيسى صبغة الهية • وهذا سر مسيحى عميق جدا يشغل بحق بال المسلمين • لكن يجب ان نعترف لاخواننا المسلمين بان صبغة المسيح الالهية ، تلك العلاقة الخاصة والحميمة بين الله وهذا الانسان،هى بالنسبة لنا ايضا سر لا يدرك• «استنادا الى نصوصنا وتقليدنا العقيدى ، نعبر عن الوحدة الالهية بالتثليث ، غير اننا لا نستطيع ادراكه• وكذلك تظل غامضة فى نصوص القرآن الكريم تلك الصلة بين الله وروحه القدس الذى اوحى به الى مريم وعيسى ، كلمة اله التى ولدت منها • فالعلاقة بين الله وروحه وكلمته تطرح لكم مشكلا ايضا ، اذ يقول القرآن نفسه « ويسالونك عن الروح ، قل الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا » •

جذور المشكلة

بعد ذلك اقتربت الابحاث من جوهر المشكلة • شيئا فشيئا •

احد هذه الابحاث كان عنوانه«الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التى كونتها المسيحية عن النبى محمد (ص) »،وقد قدمه الى المؤتمر احد كبار رجال اللاهوت الاسبان ، هو الدكتور ميجيل كروت ايرناندث •

فى السطور الاولى من بحثه قال : ربما لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والاهانة ظلما على مدىالتاريخ مثل محمد (ص)• كذلك لا نكاد نجد اتهاما اساسه السياسة — لا الدين — مثل تلك الاتهامات التى وجهت للاسلام •

ثم طرح تصوره لبدايات الصدام بين المسيحيين والاسلام على الوجه التالى : ان المسار الطبيعى لانتشار الاسلام من الجزيرة العربية كان يمر قسرا عبر المدن الاماكن المسيحية ، وهى الارض التى ولد وعاش ومات فيها عيسى الناصرى الذى هو بالنسبة للمسيحيين ابن الاله الحى • ذلك ان الاسلام انتشر اولا فى آسيا الصغرى وشمال افريقيا ، وقد كانت مهد الكنائس الاولية والكبرى للمسيحية مثل القدس والاسكندرية •

لهذا السبب — يقول الدكتور ايرناندث —سرعان ما الصقت اتهامات بغير حصر بالنبى محمد (ص) تشهر به وتطعن فى نبوته • حتى وصف عند المسيحيين بانه « أمير الظلام » ، خاصة بعدما كاد الاسلام يقضى على المسيحية فى اسبانيا ، بعدما فتح كل الجزيرة الايبيرية •

وفى مرحلة تالية — يضيف الدكتور ايرناندث — عندما حلت الدولتان الفاطمية والسلجوقية محل الامراء العباسيين بدأت تظهر بوادر عدم التسامح الذى عرف به الاسلام تجاه المسيحيين ، وتولت الاساطير المبالغة فى هذه البوادر الف مرة ، حتى ادت الى حركة الحملات الصليبية التى استهدفت طرد الاسلام من الاراضى المقدسة •

وقد استمرت الخرافات وحملات التجريح تحيط بالاسلام والمسلمين ونبيهم حتى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى • وفى مطلع القرن الثالث عشر بدأت تتقلص الخرافات ، دون ان تتغير

صورة النبى محمد (ص) فى اذهان المسيحين الذى ظل يوصف بانه مزيف وكاذب .

وفى القرن التاسع عشر اختفت تماما صورة الكاذب عن محمد (ص) ، عندما درست شخصيته دراسة علمية . ولكن صورته « نبيا مزيفا » ما تزال سائدة حتى ايامنا هذه .

وبنفسه تصدى الدكتور ايرناندث للرد على هذه المزاعم ، قال :

● ان نصوص التوراة والاناجيل لا تشير الى ان طريق النبوة قد اغلق بنبوة يعقوب ولا بنبوة عيسى .

● ان بعض العبرانيين كانوا يرفضون عمليا احتمالات مجيء انبياء جدد بعد يعقوب . « وليذكر الجميع ان عيسى الناصرى اتهم وحوكم باعتبار انه كافر ، وليس باعتباره نبيا » .

● ان كل الدلائل التاريخية والاجتماعية ، بل وحتى من وجهة النظر الدينية المسيحية ، فان محمدا (ص) يعد نبيا حقيقيا (اشار الدكتور ايرناندث الى انه نشر دراسة فى سنة ١٩٦٨ تؤكد هذه الحقيقة) .

وبعد هذه الشهادة ملأ الدكتور ايرناندث ٦ صفحات فى فضائل النبى محمد الاجتماعية والسياسية (القدرة على تحليل بناء مجتمع شبه الجزيرة العربية ـ الحكمة السياسية « رجل الدولة » ـ المقدرة غير العادية على تحريك الجماهير) ـ ثم فضائل النبى الشخصية (الجلد ـ الاعتدال ـ الحكمة ـ العدالة) ـ ثم فضائله اللاهوتية ، بالتعبير المسيحى الشائع ، العقيدة والامل والمحبة .

شهادة ورد

شهادة اخرى سجلها الدكتور ميغائيل ايبالسا تكمل الصورة :

قال امام الجميع : لقد جئنا بالضغينة منذ آماد بعيدة . لقد نشر فى اسبانيا منذ قرن تماما كتاب يحمل اسم «القرآن» وقدم على انه ترجمة امينةللاسبانية-مفسر ومفند تبعا للعقيدوالتعاليم الكاملة للدين الكاثوليكى المقدس ، الرسولى الرومانى والحقيقة الوحيدة ... و .. الموجز التاريخى لحياة وافعال النبى الكاذب محمد ...

الكاردينال ترانكون . والدكتور احمد هيكل .. عن المنهج تحدثا . فى رؤية المسيح وتقييم النبى محمد (ص) من الناحية العلمية .

القوانين المضللة والجاهلة والمتناقضة التى نشرها هذا القائد الخبيث بين ابناء قومه من العرب » .

واضاف ايبالسا : وتستمر ٤٩٢ صفحة على هذه الوتيرة :

ثم قال : وقبل ذلك بقرن اصدر رجل دين فاضل كتابا آخر اكثر اعتدالا عنوانه « حـ ـة اخلاق محمد ودينه : فكرة عادلة عن هذا النبى المزيف ، بدون الثناء عليه بافراط ودون السخط منه بعقد .. ضد ميل الفلاسفة الذين يدافعون عن المحمديين » .

وتساءل الرجل : اى قدر من الضغينة تجاه نبى الاسلام غرسناه فى اعماق اجيالنا ؟

وبعد ان استعرض صفات النبى وخصاله قال : ان مجرد السؤال عن صحة اخلاص النبى محمد (ص)فى مهمته النبوية ورسالتهالقرآنية، كما فعل اليسوعى المطران لامانيس فى مطلع هذا القرن ، هذا السؤال يعد طعنا خطيرا للمسلمين ، بل هو عين الاستفزاز الجدلى .

ومحمد (ص) ـ يضيف الباحث ـ عرففى مجتمعه التصعيد الروحى دون ان يفقد مادية حياته ومحيطه . استطاع ان يبلغ مرتبة ال... والالهى للمجتمع المؤمن دو... الصفه الالهية المباشرة التى تنسـ... ليسوع .

انه بالنسبة للمسيحية يتجسد الوحي الالهي في شخص انسان هو المسيح . بينما هو بالنسبة للاسلام يتمثل في كتاب هو القران .

وعندما تكلم الدكتور جون تايلور ممثل مجلس الكنائس العالمي ، مضى في نفس الاتجاه . فقال انه « اذا كان المسيحيون قد اظهروا مشاعر الرفض او عدم الاكتراث » عندما يتعلق الامر بالاعتراف بالقران الكريم والصفات الرائعة للنبي محمد (ص) فقد كانوا اكثر تباطؤا في تصدير المفاهيم والانجازات التي قامت بها الجماعة الاسلامية في التاريخ وفي المجتمع المعاصر » .

ثم اضاف قائلا : انني الح على ضرورة الدراسة التاريخية من الجانبين . المسيحيون الذين ينبغي أن يعترفوا بنفوس تائبة بما ارتكب في حق النبي محمد من اخطاء لوثت التاريخ الروحي والثقافي المسيحي . والمسلمون الذين قليلون منهم فقط درسوا بروح متفتحة تاريخ ورمزية الكتابات المسيحية وعقائد وتراث الكنيسة .

في استعراض المواقف

من نقطة التقييم انتقلت الابحاث الى نقطة استعراض مواقف المفكرين المسيحيين من محمد عليه السلام ..

وقد تولى عرض هذه المواقف بالدرجة الاولى الاب جي هارتيه ، الذي قدم ابرز اراء علماء اللاهوت في هذ القضية ابتداء من منتصف القرن العشرين . فمنهم من يؤكد نبوة محمد (ص) الحقيقية مثل لويس ماسينيان الذي قال « ان نبوة محمد ايجابية من حيث كونها احدثت ثورة في القيم ودفعت البشرية الى الايمان بالله واحد . وقال « يعتبر محمد (ص) في المقام الاول نبي الرفض . اذ قال « لا » باسم ربه قالها للوثنيين الذين يعبدون الاصنام . وقالها لليهود الذين حولوا وعد ابراهيم الى تمييز عنصري ، وقالها للمسيحيين الذين حرفوا رسالة يسوع واعتبروه ابن الرب . في حين يرى محمد (ص) ان عيسى لم يدع ذلك على الاطلاق .

ومن علماء اللاهوت من يعتبر محمدا (ص) نبيا ارشاديا. مثل شارل لودي اي ان نبوته ليست مرتبطة بتعاليم دينية محددة (يقول الاب هارتيه ان هذه النظرية تؤدي الى اخطاء جسيمة) .

وثمة اراء اخرى لعلماء اللاهوت لا تعترف بنبوة محمد (ص) او بالقران الكريم .

الاب توماس بو مثلا يقول انه ليس نبيا «لانه لا ينتمي الى اي وجه من اوجه الخلاص » . ويستند في ذلك الى مجموعة الوقائع التاريخية التي نقلت الى الغرب بصورة مشوهة لم تداولها الجميع كحقائق ومسلمات . مثل قصية زوجات النبي (ص) وقصة زواجه من السيدة زينب بنت جحش التي طلقها زيد بن حارثة . والظروف التي احاطت بالفتوحات الاسلامية .

والبروفسور روجيه ارنلويز انتقد القران في كتاب له . « لانه يتضمن خروجا عما تعارف عليه المسيحيون . فيما يتعلق بالمسيح مثلا » و .. «لانه لا وحي بعد وفاة اخر الحواريين» ..وهكذا..

وفي نهاية بحثه قال الاب هارتيه ان تباين هذه المواقف واختلافها يؤكد الحاجة الى ضرورة تعميق الفكر اللاهوتي المسيحي في هذا المجال .

وفي نطاق الاستعراض ايضا .. قدم الاب جيوليو باسيتي ساني . من جماعة الرهبان العاملين بحثا اخر موضوعه : محمد نبيا .

وقد حدد الاب جيوليو موقفه بصراحة في قوله : انني ارى التاريخ الانساني برمته . وبصفة خاصة تاريخ الانسانية الديني . وقد اتخذ من المسيح محورا . ثم استعرض الادلة التي تؤكد صدق نبوة محمد (ص) في التوراة وفي التاريخ . وانتهى الى انه يعد « نبيا حقيقيا في اطار تاريخ السلام الذي يتخذ من يسوع المسيح محورا » .

وحول الموضوع ذاته قدم الدكتور جريجوريو رويث الاستاذ بجامعة كومباس (مدريد) بحثا يجيب على السؤال : باي معنى يمكن اعتبار محمد (ص) نبيا من قبل المسيحيين ؟

وكانت خلاصة الاجابة انه طبقا لمقاييس التوراة وانبياء العهد القديم . فان محمدا (ص) يعتبر نبيا من وجهة النظر المسيحية ★

★ اثار هذا البحث ضجة شديدة في جلسة المؤتمر، اذ اعترض بعض ممثلي الدول الاسلامية على بعض ما ورد فيه . وكان رد الدكتور رويث انه اجتهد مستندا الى ما توفر لديه من معلومات وانه مستعد للتخلي عن وجهة نظره اذا وجد معلومات اخرى مغايرة ومقنعة .

اعضاء المؤتمر ادوا صلاة الجمعة فى مسجد قرطبة لثالث مرة منذ ٧٠٠ سنة ٠ كانت المرة الاولى فى سنة ٦٥ عندما زاره الملك عبدالعزيز آل سعود ٠ والمرة الثانية سنة ٧٥ اثناء انعقاد المؤتمر الاسلامى المسيحى الاول ٠ فى الصورة جلس صف من الرهبان وراء المصلين بينما تجمع السياح يتابعون المشهد ٠

تصوير :
اوسكار مترى

وفى نهاية هذه الرحلة ، دعا الدكتورسلفادور نوجالس الى تقييم جديد للنبى ، فى بحث عنوانه « محمد : رؤية تاريخية جديدة » ٠ ومن ابرز ما سجله فى هذا البحث :

ـ ان التعصب العام للمسيحيين فى تاريخ الخلاص قد تم الغاؤه الى حد ما عن طريق النصوص الصادرة عن المجمع الفاتيكانى الثانى٠

ـ انه يمكن عن طريق تلك المبادىء(قرارات المجمع الفاتيكانى) ان تكون هناك نظرة جديدة الى الرؤية التى كانت لدى المسيحيين عن شخصية محمد ٠

ـ الكنيسة المسيحية تقوم بدور الشاهد ودلالة الخلاص فى الحياة الاخرى ، ولكن لايمكن ان تصبح باى حال المكان الوحيد للخلاص ٠

ـ من وجهة النظر المسيحية ليست هناك عقبات كبيرة فى وصف محمد (ص) بالنبوة ٠ « ولابد من اعترافنا بانه الى جانب معطيات النبوة التى توفرت له ، فهناك ايضا الكمال الشخصى والقدرة الفائقة على التبشير بالرسالة ٠»

دفاعا عن العقيدة الجامعة

لماذا الحوار اساسا ؟

البعض عندما يرفض طرح هذا السؤال ، قائلين انه بغير جدوى ، لان المسلمين سيظلون مسلمين ، والمسيحيين سيظلون على دينهم ٠اللقاء اذن مستحيل « الا ان يتنازل التوحيد عن شىء من عقيدته ليلتقى مع التثليث فى منتصف الطريق٠

وهذا امر يرفضه الاسلام » .. على حد تعليق احد الكتاب في مقال نشر عقب المؤتمر .

ان هذا الطرح يفترض ان كل طرف يستهدف من الحوار ان يحول الاخر عن عقيدته ، وهو امر لم يقل به احد على الاطلاق .

ان هدف الحوار هو تعميق الفهم ، وتبديد المخاوف ، واقتلاع جذور الحساسية والرفض ، لتمتد جسور المودة والتعاون بين بني الانسان مهما اختلفت مواقفهم المذهبية والعقيدية .

ثم اننا في عصر الحوار .

فهناك حوار مستمر بين المذاهب المسيحية ذاتها. وحوار بين المسيحية واليهودية ، وبين المسيحية والبوذية ، وبين المسيحية والماركسية ★

منافذ الحوار مفتوحة في كل اتجاه ، فلماذا نصم آذاننا نحن وننغلق عن العالم ، بينما لدينا الكثير مما هو مشرف ، نقوله ونقدمه الى من حولنا .

وهناك واقع آخر يفرض ضرورة الحوار بين الاسلام والمسيحية ، طرحه امام المؤتمر الدكتور خ . اجنايفوا نايت استاذ تاريخ الثقافة بجامعة مدريد ، مصحوبا بخريطة احصائية دقيقة .

قال الدكتور نايت : ان الاسلام هو اكبر قوة حية اليوم ، وهو الذى يدفع تيارات العالم الثالث ، اذ انه ينتشر اساسا في ٤٢ دولة ، من خلال ٧٢ مذهبا تتفرع عنه (يذكر صاحب البحث ان المسيحية يتفرع عنها ٢٦٠ مذهب) .

ويقول الرجل أيضا ان سكان العالم الان ينتمون الى ٦ ديانات : ثلاث منها محلية (اليهودية التى تغذى اليهود فقط والهندوكية للهنود والمجوسية للمجوس) ، بينما الديانات الاوسع انتشارا في رايه هي : الاسلام والمسيحية والبوذية .

ويضيف الدكتور نايت : ان ربع سكان الكرة الارضية الان (الف مليون) ينتمون الى الاسلام، والربع الاخر يعتنق المسيحية . والربع الثالث موزع بين الهندوكية والبوذية. واليهودية والمجوسية، وبقايا ديانات اخرى.الربع الاخر يعتنق الشيوعية. اى ان الشيوعية انتقلت خلال ١٠٠ سنة من لا شيء الى السيطرة على ربع الكرة الارضية .

وينتهي من هذا العرض الى ان الشيوعية تتقدم فقط في الدول المسيحية والبوذية . ولما كانت اليهودية والهندوكية والمجوسية ديانات محلية لم تتاثر كثيرا بالمد الماركسي ، فان الاسلام يصبح الدين الوحيد الذى يتقدم ولا يتراجع .. خصوصا وان هذا الدين ـ الاسلام ـ قادر على مواجهة الشيوعية والراسمالية في آن واحد .

ويسجل الدكتور نايت ايضا انه في افريقيا « نجد الان ان هناك شخصا واحدا يعتنق المسيحية مقابل شخصين يعتنقان الاسلام » .

ثم يصل الى هدفه عندما يقول ان هناك خطرا ماثلا يهدد العقيدة الجامعة (يعني الايمان بالله) وهو واقع يجب ان يتنبه اليه الجميع ، ويتكاتفوا من أجل صده ، بالحوار والتعاون الدائمين .

دور السياسة والاقتصاد

على ان المسالة ليست دينا خالصا .

ذلك ان الدعوة الى الحوار الاسلامي المسيحي نشطت بشكل بارز في السبعينات ، بعد ما تصاعد الدور العربي في الساحة العالمية ، خصوصا في اعقاب حرب اكتوبر . ونظرة على تتابع مراحل الحوار تؤكد هذه الحقيقة : في سنة ٧٠ عقد مؤتمر للحوار في عجلتون بلبنان اشترك فيه ممثلون للاسلام والمسيحية والهندوكية والبوديه ـ في سنة ٧٢ اقيم حوار اسلامي مسيحي في برمانا بلبنان ـ في سنة ٧٤ عقد المؤتمر الاول الاسلامي المسيحي في قرطبة ـ سنة ٧٥ عقد مؤتمر آخر للحوار في تونس ـ سنة ٧٦ عقد مؤتمر للحوار في طرابلس بليبيا ـ سنة ٧٧ مؤتمر قرطبة الثاني الذى نتحدث عنه .

وقد اقرني الدكتور ايبالسا على هذا الراى . ان هناك مناخا سياسيا واقتصاديا هو الذى حرك الدعوة الى الحوار . لكنه اضاف ان هناك التزاما اخلاقيا ايضا من جانب فريق المثقفين الاسبان ،

★ راجع في استعراض اتجاهات الحوار المعاصرومستوياته ومحاولات اسرائيل استغلال حوار المسيحية واليهودية لصالحها في كتاب « الحوار بين الاديان » ـ للدكتور وليم سليمان .

جثة الميت تتحرك ٠٠٠٠ « بقية »

اذى اعتبر بريئا ٠٠ اما اذا اصابه مكروه ثبتت عليه التهمة وعوقب ٠

وفى بورما يعطى المدعى والمدعى عليه شمعتان متساويتان فى الطول ، وتضاءان معا وفى وقت واحد ٠٠ فالمذنب منهما هو الذى تنطفىء شمعته ويكتمل احتراقها قبل الاخر ٠٠ والبرىء هو الذى تبقى شمعته مضاءة ولو لثوان معدودة بعد انطفاء الاولى ٠٠

وفى بورنيو يحتكمون الى الصدف الحى ٠٠ فيضعون امام كل من المدعى والمدعى عليه صدفة ٠٠ ثم يصبون عصير الليمون المالح عليهما لاثارتهما وحملهما على الحركة ، فالذى تتحرك صدفته اولا يدرن هو صاحب الحق البرىء

ولملك تستغرب ... مثل هذه الاساليب والمحز ... سائدة فى القرن العشرين ٠٠ وهو الذى تقدمت فيه العلوم حتى غزا الانسان الفضاء ودق بقدميه القمر ٠٠

■■

ردا على الدعوة لاعادة النظر

في كتب الدكتور طه حسين

الشعر الجاهلى

بين الرواية والدراية

بقلم : على حيدر النجارى

■ فى الذكرى الثالثة لوفاة الدكتور طه حسين ، رغبت مجلة « العربى » فى ان تفسح المجال لنشر دعوة تلقتها من الاديب الباحث الاستاذ سعيد الافغانى احد اعضاء المجمع اللغوى . وهو فى دعوته تلك يهيب بالباحثين الى اعادة النظر فى كتابى : حديث الاربعاء و .. فى الشعر الجاهلى(١) .

ويبدو من تقدمة المجلة للمقال انها فتحت الباب للبحث فى الموضوع ، متجردة وغير منحازة. وهو ما يدعونى الى ان اشارك فى الحوار مع الاستاذ الافغانى ، لا سيما وقد سبق ان كنت ادخل معه فى نقاش مشابه حول تعليق له فى مجلة المجمع اللغوى بدمشق(٢) على تعقيب لى فى المجلة ذاتها لقصيدة منسوبة الى واعظ اندلسى يكنى بابى عمران نشرها الاخ العالم الجليل الاستاذ الشيخ عبد الله كنون (٣) واعدت نشرها عن نسخة مخطوطة فى حيازتى مع تغاير فى بعض كلمات القصيدة وترتيب الابيات ، ورايت احتمال نسبتها الى كمال الدين بن العديم حسبما اشارت اليه نسختى المخطوطة او فى رايى كذلك الى شاعر آخر عاش فى أواخر عهد الايوبيين او أوائل عهد المماليك ،وابديت شكوكى فى سماع ورواية النسخ المخطوطة التى ذكرها الاستاذ كنون .

وهنا ترى أواصر التشابه بين الموضوعين فقد تساورتنى آنئذ الشكوك فى رواية قصيدة منسوبة الى واعظ اندلسى عاش فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى ولم يعثر قط على ترجمة له وحتى على ورود اسمه خلال تراجم المشاهير ، وبين النسبتين نسبتى ونسبة الاستاذين كنون والافغانى نحو من قرنين ، فروح القصيدة ولغتها تنمان عن نهج وسبك الشعر فى عهد المماليك .

---

(١) العربى العدد ٢١٨ يناير كانون الثانى ١٩٧٧

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشـق الجـزء الثالث المجلد التاسع والاربعون تموز يوليو١٩٧٤.

(٣) مجلة مجمع اللغةالعربية بدمشق الجزء الرابع المجلد الثامن والاربعون تشرين الاول اكتـوبر ١٩٧٣ .

ويطول بي الحديث ان شرحت او لخصت رأيي مستندا الى حقائق ووقائع تاريخية وادبية ملموسة اوردتها على صفحات مجلة المجمع اللغوي(٤) .

المهم في التشابه والدخول في صلب الموضوع أن الاستاذ كنون رد علي في نحو من عشر صفحات مستشهدا باصول رواية الحديث وقواعد علم مصطلحه(٥) ، امران اقدرهما حق التقدير ولكن في غير مجال الادب والشعر . فالمحدث حين يروي حديث الرسول عليه الصلاة والسلام تحف به خشية الله من أن ينحرف ولو قليلا ، اذ ان قول النبي العظيم ماثل في مخيلته يحيط به احاطة السوار بالمعصم : « من كذب علي عامدا متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . وقد اتخذ علماء مصطلح الحديث قول الرسول هذا شعارا لهم ، طالما اوردوه ورددوه .

على حين ان الادباء القدامى هم في رواياتهم للشعر بعيدون عن ذلك الجو الديني المهيب .

حتى أن العالم الديني اذا روى الشعر فهو ولا شك كائن في غير ذلك الجو الذي يروى فيه الحديث النبوي .

ألم ترو اشعار لعديد من العلماء ؟ ابرزها ما روي عن الامام الشافعي قوله :

ولولا الشعر بالعلماء يزري
لكنت اليوم اشعر من لبيد
ولولا خشية الرحمن ربي
لقلت الخلق كلهم عبيدي

وما نظن أن الامام الشافعي قائله .

وكنت في ختام تعقيبي على مقال الاستاذ كنون في مجلة المجمع اللغوي قلت في التعليق على البيت الاخير من نسخة والذي المخطوطة — وهي في مدح السيدة عائشة بنت ابي بكر الصديق — « يحتمل أن يكون هذا البيت مدخولا في نسخ سابقة ، شبيه بما ادخلوه على بردة البوصيري :

أبياتها قد اتت ستين مع مائة
فرج بها كربنا يا واسع الكرم

الخ .. »

فالسمو الشعري الذي استهل به البوصيري قصيدته والقسم الاول منها ثم نهجه خلالها ، كل ذلك ينأى به عن أن يسف في الخاتمة !! ابياتهي مجرد حديث عابر بعيدة كل البعد عن ان تكون شعرا بالمعنى الوجداني .

حتى في عصرنا الحاضر

السيد رشيد رضا وهو من هو في الفقه والكتابة وسعة الاطلاع ، يروي عن استاذه الامام الشيخ محمد عبده ابياتا قال انها من نظمه وهو على فراش مرضه الاخير ، وتناقلها المؤلفون على انها شعر الامام :

ولست أبالي ان يقال محمد
أبلَّ أم اكتظت عليه المآتم
ولكنه دين أردت صلاحه
أحاذر ان تقضي عليه العمائم
وللناس آمال يرجون نيلها
اذا مت ماتت واضمحلت عزائم
فيارب ان قدرت رجعي قريبة
الى عالم الارواح وانفض خاتم
فبارك على الاسلام وارزقه مرشدا
رشيدا يضيء النهج والليل قاتم
يماثلني نطقا وعلما وحكمة
ويشبه حتى السيف والسيف صارم

وقد أثبت الاخ الاستاذ محمد عبد الغني حسن عضو المجمع اللغوي بدمشق انها للشاعر المغربي المراكشي ابي عبد الله محمد بن كنسوس المتوفي سنة ١٨٧٧ — اى عندما كان الشيخ محمد عبده في الثامنة والعشرين — « وكان شاعرا لامعا في بلاده . وكان على خير الصلات مع رجال الحكم والادارة في المغرب » فالشعر ليس للامام كما قال السيد رشيد وليس من وضع السيد رشيد رضا كما ارتأى الدكتور طه حسين(٦) .

وقفة أمام المقال

اذكر هذا وامامي مقال الاستاذ الافغاني في مجلة « العربي » في العدد [illegible] بعد المائتين وقد أراد به [illegible] وذمه زميله

(٤) نفس المجلة الجزء الثاني المجلد التاسع والاربعون [illegible] ٩٠٤ .
(٥) نفس المجلة الجزء الرابع المجلد التاسع والاربعون تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٤ .
(٦) مجلة الاديب اكتوبر ١٩٧٣ مقال للاستاذ محمد عبد الغني حسن بعنوان ابيات ولست ابالي .

[illegible] رئيس مجمع
الدكتور طه حسين ، حول اعترافه بالخطأ فى كتابيه حديث الاربعاء وفى الشعر الجاهلى ·

واود هنا ان الفت النظر الى أن نهج كتابه فى الادب الجاهلى وقد صدر بعيد الشعر الجاهلى وحل محله ـ وفيه يحلل الكثير من هذا الشعر ، المختلف جدا عن منهج حديث الاربعاء · فهذا الاخير ، واوافق الاستاد الافغانى على رايه فيه ، مجموعة مقالات نشرت فى مجلة السياسة حتى أن بعضها نشر فى صحف يومية كالجهاد لصاحبها المرحوم الاستاذ توفيق دياب ، وتكاد المقالات تخلو منِدقة البحثوسعة التمحيص· وعلى عكسها كتابه فى الادب الجاهلى فيه منحى التدقيق وانتهاج كلى لقواعد البحث العلمى ، اذ هو محاضرات القيت على طلاب كلية الاداب بالجامعة المصرية قبل عام ١٩٢٧ العام الذى طبع فيه الكتاب وهو الذى بين يدى الان(٧) ·

وحسنا ما نقله الاستاذان الافغانى والحوفى عن المرحوم العميد وحاشاى أن أكذبهما فيه ·

بيد أننا نلاحظ أن كلام الاستاذ الافغانى فى تبرئة ذمة الاستاذ الحوفى : « وكان تعقيبه شهادة اداها بان طه حسين رجع عن نظريته فى انتحال الشعر الجاهلى » ·

شهادة فى غير محلها

نلاحظ بهذا القول على عمومه تجنيا على الدكتور العميد ، فطه حسين لم يقل البتة فى انتحال كافة الشعر الجاهلى وانما قال بعضا منه ، ومن هذا البعض ما اعترف بخطا رايه فيه·

كان ينبغى للاستاذين السامع والناقل ان يلفتا النظر الى هذا ، وان يخصصا حين التعقيب · فللتعميم خطورته . اذ أن « العام حجة ما لم يرد مخصص » وما نحسب الدكتور طه قذف بجميع ما ارتاه فى الشعر الجاهلى عرض الحائط خلال حديث عابر وهو العالم الفطن ، وكما أشرنا وكما سنوضح فان رايه فى الشعر الجاهلى نتيجة روية وامعان فى التفكير وانتهاج لقواعد البحث ·

ونعزز هذا بفقرة وردت فى كتابه فى الادب الجاهلى فى الصفحة (٦٤) فهو يقول عن نفسه : « وقد تجنبنا فى هذا الحديث الطرق التى يسلكها المهرة من الكتاب ليدخلوا على الناس ما لم يألفوا ، فى رفق واناة وشىء من الاحتياط كبير »·

والان لنستمع الى الدكتور العميد وهو يقول فى التعليق على قسم من معلقة طرفة بن العبد ، حين ياتى على ابيات سبعة منها بدءا من :

وانى لامضى الهم حين احتضاره
بعوجاء مرقال تروح وتغتدى

يقول فى الشاعر : « وهو يمضى على هذا النحو فى وصف ناقته فيضطرنا الى ان نفكر فيما قلناه من قبل من ان اكثر هذه الاوصاف اقرب الى ان يكون من صنعة العلماء باللغة الى اى شىء آخر· ولكن دع وصفه للناقة واقرأ ·

ولست بحلال التلاع مخافة
ولكن متى يسترفد القوم أرفد

(الى عشرة ابيات بعده من المعلقة) ·

« فسترى فى هذه الابيات لينا ولكن فى غير ضعف وسترى كلاما لا هو بالغريب الذى لا يفهم، ولا هو بالسوقى المبتذل ، ولا هو بالالفاظ قد رصفت رصفا دون أن تدل على شىء · وامض فى قراءة القصيدة فستظهر لك شخصية قوية ، مذهب فى الحياة واضح جلى : مذهب اللهو واللذة يعمد اليهما من لايؤمن بشىء بعد الموت ولا يطمع من الحياة الا فيما تتيح له من نعيم برىء من الاثم والعار على ما كان يفهمها عليه هؤلاء الناس ·

وما زال تشرابى الخمور ولذتى
وبيعى وانفاقى طريفى ومتلدى

الى ان تحامتنى العشيرة كلها
وافردت افراد البعير المعبد

رايت بنى غبراء لا ينكروننى
ولا أهل هذاك الطراف الممدد

الا أيهذا الزاجرى احضر الوغى
وان اشهد اللذات هل انت مخلدى

فان كنت لا تستطيع دفع منيتى
فدعنى ابادرها بما ملكت يدى

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى
وجدك لم أحفل متى قام عوّدى

(٧) قامت بطبعه لجنة التاليف والترجمة والنشر فى مطبعة الاعتماد عام ١٣٤٥ هـ ١٩٢٧ م

« في هذا الشعر شخصية بارزه قوية لا يستطيع من يلمحها أن يزعم انها متكلفة او منتحلة او مستعارة وهذه الشخصية ظاهرة البداوة واضحة الالحاد بينة الحزن واليأس والميل الى الاباحة في قصد أو اعتدال ، تمثل رجلا فكر والتمس فلم يصل الى شيء وهو صادق في يأسه ، صادق في حزنه ، صادق في ميله الى هذه اللذات التي يؤثرها . ولست أدرى أهذا الشعر قاله طرفة أم قاله رجل آخر ؟ وليس يعنيني أن يكون طرفة قائل هذا الشعر بل ليس يعنيني ان اعرف اسم صاحب هذا الشعر ؟ وانما الذى يعنينى ان هذا الشعر صحيح لا تكلف فيه ولا انتحال ، وان هذا الشعر لا يشبه ما قدمنا من وصف الناقة ولا يمكن ان يتصل به(٨) » .

مستقل برأيه ويتنكر للمستشرقين

وان طالما سمعنا وقرانا لبعض مهاجمي الدكتور العميد يصمونه باخذه من المستشرقين وان رايه في الشعر الجاهلي ليس من بنات افكاره ، فلنستمع اليه وهو يقول في مقدمة كتابه « في الادب الجاهلي » .

« والذى لا ياخذ بحظ من اسلوب القدماء في النقد ولا من اسلوب المحدثين في البحث وانما يحاول ان يقلد الاوروبيين فيما يسمونه تاريخ الاداب ، فيعمد الى الكتاب والشعراء والخطباء والفلاسفة فيترجم له او يختلس لهم ترجمة عن كتب الطبقات على اختلافها ثم يتبع كل ترجمه بشيء من شعر لشاعر او نثر لكاتب او بيان لخطيب ثم يلم في كل عصر بطائفة من المعاني يلفق بعضها الى بعض في غير فقه ولا فهم ولا احتياط ولا دقة ويسمى هذا الخليط كله ادب اللغة العربية وتاريخ آداب اللغة العربية حينا آخر » .

حتى أن طه حسين يتنكر للمستشرقين حين يرون تاثير المصادر العربية ومنها الشعر الجاهلي كشعر امية بن ابي الصلت في القرآن الكريم فيقول :

« والغريب في امر المستشرقين انهم يشكون في صحة السيرة نفسها ويتجاوز بعضهم الشك الى الجحود فلا يرون في السيرة مصدرا تاريخيا صحيحا، هم يقفون هذا الموقف الـ من سيرة وعلون في هذا الموقف ولكنهم يقفون من امية الصلت وشعره موقف المستيقن المطمئن . فما هذا الاطمئنان الغريب الى نحو من الاخبار دون النحو الاخر . ايمكن أن يكون المستشرقون انفسهم لم يبرءوا من هذا التعصب الذى يرمون به الباحثين من اصحاب الديانات (٩) .

ثم يقول الاستاذ الافغاني : « من هنا كانت كتبه ومقالاته في تاريخ الادب حالية من الخلق والاضافة العقة وبعضها كان اشبه شيء بسنحات الخواطر يزينها باسلوبه العاطفي وبيانه العلو وتكريراته وتاكيداته وسائر خطا بيانه وهي على كل حال بعيدة عن مقومات البحث ومعطيات البراهين » .

يبدو ان الاستاذ الافغاني لم يقرأ كتابه في الادب الجاهلي ، وليس في هذا ما يعد من سعة اطلاعه ومكانته ، فاليه بعض عناوين المواضيع المتعلقة بتاريخ الادب الواردة في هذا الكتاب :

مقاييس التاريخ الادبي : المقياس السياسى ، المقياس العلمي ، المقياس الادبي .

ثم يلي هذه الثلاثة بحث في : « متى وجد تاريخ الاداب العربية » .

ان من يبحث في مثل هذه المواضيع في نيف وعشرين صفحة سالكا فيها المقاييس المذكورة بامعان وتدبر لا يمكن قط أن يكون بعيدا عن مقومات البحث ومعطيات البراهين » وما اكثر الادلة والبراهين في كتابه ! ..

هذا ما اردت به أن انهى النقاش مع الاستاذ الافغاني لا سيما وهو يقول في مقدمة مقاله نقلا عن « حديث غير واحد من نابهي طلاب الدكتور القدماء .. ان دروسه في الادب اعلى كثيرا من دروسه في تاريخ الادب لافتقار الثانية الى أدوات لم تتح له اذ كان اعتمادها جميعا على المباصرة وهيهات ان يكون المعاونون له (ماجورين او متطوعين) بديلا منها في حال ..

ان افضل رد على هـ[illegible]
« لا تعمى الابصار و[illegible] التي في الصدور » .

دمشق — علي حمد

(٨) في الادب الجاهلي ص ٢٤٨

(٩) في الادب الجاهلي ص ١٤١

اعداد : يوسف زعبلاوى

هرمون ذكورة جديد

● اكتشف العلماء في اسكتلنده هرمونا جديدا فعالا تقدر قوته بعشرة اضعاف قوة هرمون الذكورة المعروف باسم تستسترون Testosterone ، وقد اشار الى ذلك الاكتشاف مجلس الابحاث الزراعية في ادنبره Agricultural Research Council ، في تقريره السنوى الصادر في ديسمبر الماضي ٠٠

ويعود الفضل في الاكتشاف المذكور الى مركز ابحاث الدواجن Boultry ، ومركز الطب الاستوائى البيطرى التابع لجامعة ادنبره ٠٠ فقد لاحظ العلماء في هذين المركزين ان بعض الدجاجات كانت تتصرف وكأنها ذكور لا اناث، وانها امتنعت عن وضع البيض٠٠ ولاحظوا ايضا ان بيوت تلك الدجاجات قد فرشت بنجارة الخشب المأخوذ من شجرة افريقية ، هى شجرة مطاط برية هجينة ٠ واثبت الفحص والتحليل ان تلك النجارة كانت مصابة بمرض فطرى، وان التفاعل بين هذا المرض والخشب هو الذى ادى الى ظهور الهرمون القوى الجديد ، الذى قد يدخل في صناعة حبوب منع الحمل على نطاق واسع في مستقبل غير بعيد ٠ واثبتت التجارب ايضا ان التغير الذى طرأ على سلوك الدجاجات الجنسى جاء نتيجة لما اكلته الدجاجات من تلك القطع المصابة ٠٠ وقد كان ضئيلا للغاية ولا يزيد في بعض الحالات على جزء من الخمسين من الاونسة في الاسبوع (والاونسة الواحدة تساوى ٢٨ر٣٥ غراما) ٠

وفيما عدا ذلك اشار التقرير السنوى السالف الذكر الى الطريقة الجديدة التى طورها مجلس الابحاث الزراعية بقصد تطرية اللحوم ٠٠ فبدلا من ترك امر هذه التطرية للعوامل الطبيعية التى تستغرق نحو سبع ساعات تعقب ذبح الحيوان ٠٠ والتى كثيرا ما يتجاهلونها في المسالخ فيستعجلون تجميد اللحوم قبل مضى الوقت الكافي للتطرية الطبيعية٠٠ وتقوم الطريقة الجديدة على تعريض الذبائح لتيار كهربائى بقوة (٧٠٠) فولت ، وذلك لمدة ربع ساعة بعد الذبح مباشرة ٠ الا ان التطرية لا تحدث بتأثير التيار الكهربائى على نحو مباشر ٠ اذ من غير المعقول ان يستثير هذا التيار عضلات الذبيحة وقد فارقتها الحياة ٠ فالذى يستثيره التيار الكهربائى انما هو بعض الاعصاب التى تحتفظ بالحياة لمدة وجيزة بعد الذبح ٠٠ وهذه بدورها تنقل الصدمات الى العضلات فتحدث التطرية المرجوة في اللحم ٠

جهاز لتخطيط القلب

● يبدو أن النزعة الى صنع الالات والاجهزة باحجام صغيرة باتت سائدة لا فى صناعة السيارات وصناعة الراديو والتليفزيونات فحسب ، وانما فى صناعة الاجهزة الطبية ايضا . فقد اوردنافى عدد سابق خبر جهاز مصغر للصدمات الكهربائية ونورد اليوم خبر جهاز طبى اخر نجحوا فى صنعه بحجم صغير ..

وجهاز اليوم ليس سوى جهاز تخطيط القلب . فهو فى حجم يسمح بوضعه فى الجيب دون أن ينتقص من قدرتـه على تخطيط قلب المريض بوضوح ، وذلك على شاشتـه الصغيرة ، التى لا يزيد عرضهـا على بوصتين. ويوضع الجهاز كما ترىفى الصورة فوق قلب المريض ، على ان تبل قاعدته حيث توجد الاقطاب الكهربائيـة الموجودة فى اسفل الجهاز قبل ذلك . ولدى الضغط علىالزر المحركيبدأ الجهاز عمله فى سرعـة تتراوح بـين ٣ مليمتر و ٢٥ مليمترا فى الثـانية الواحدة ، ولا يلبث ان يظهر على الشاشة الضوء الذى يكشف خفقان قلب المريض .

ويعمل الجهاز الجديد ببطارية قابلـة للشحن..ويمكن استعمال بطاريته هذه فى
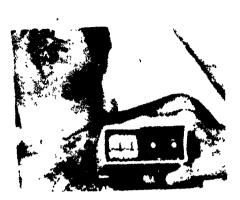
فى مائة قراءة قبل الحاجة الى شحنها من جـديد . ويتوقف الجهـاز عـن العمـل اوتوماتيكيا بعد مضى دقيقة واحدة على تشغيله وذلك بقصد التوفير فى طاقته .

والفـارق بين هـذا الجهاز والاجهزة الاخـرى المعروفـة ليس فـارق حجـم فحسب ، بل انه فارق فى التشغيل ايضا . فالاجهزة القديمة بحاجة الى محاليل لزجة واشرطة واقطاب كهربائية معقدة ، فىحين ان الجهاز الجديد لا يحتاج سوى ما ذكرنا من ترطيب لقاعدتـه .. فهو اذن الجهاز المثالى للاستعمال فى الخارج .. خـارج المستشفيات والمصحات .

فى عالم الحيوانات المنقرضة

● الـدبلودوكس Diplodocus ، هو احد الحيوانات المنقرضة .. وهو فى الواقع ديناصور ضخم يبلغ طوله ٨٠ قدما ووزنه ٣٠ طنا .. وقد ساد الاعتقاد فى الاوساط العلمية ان ولاية (يومنج) فى الولايات المتحدة الامريكية هـى الموطـن الاصلى الوحيد الذىعاش فيه الدبلودوكس قبل نحو ١٤٠ مليون سنة او تزيد . ذلك انهيكلا عظميا كاملا منهياكل هذا الحيوان اكتشف فى تلك الولاية فى اوائل القرن العشرين . وقد اعتبر هذا الهيـكل من عجائب متاحف التـاريخ الطبيعى واصبح متحف كارنيجى فى بتسبورغ ... الهيكل لاغراض العرض ... المتاحف منحيث الثروة ... امريكيين وغير امريكيين ..

وهكذا لم يجد الانجليز مفرا من صنع هـيكل من البـلاستر للهيكـل الامريـكى الاصلى .. صنعوه سنة ١٩٠٥ ووضعـوه

للعرض في متحفهم الشهير ، متحف لندن للتاريخ الطبيعي . وما كان الانجليز ليرتضوا بالبديل لو انهم اشتبهوا باحتمال كون بريطانيا موطنا آخر من مواطن الدبلودوكس الاصلية .

لذلك كان للاكتشاف الذى تسنى لاحد رجال الشرطة الانجليز فى هذا الصدد أثر ودوى . فقد عثر المستر هات ، وهو من هواة التنقيب عن الاثار ، على ٢٧ عظمة من عظام الدبلودوكس .. عثر عليها في جزيرة وايت البريطانية ، فسارع الى تسليمها الى متحف التاريخ الطبيعي في لندن .. وهناك نجح الخبراء في جمع تلك العظام ، واذا بها اجزاء مختلفة لعظمة واحدة ، هى احدى عظام ذيل الدبلودوكس .. فهذا الحيوان المنقرض يتميز عن سائر الديناصورات بذيله الضخم المحدودب .

واستكمل الخبراء دراساتهم للدبلودوكس البريطاني ، فكان أهم ما توصلوا الى معرفته هو ان هذا الحيوان كان يسرح ويمرح في ربوع بريطانيا قبل حوالى ١١٠ ملايين من السنين .. اى بعد انقراض الديناصور الامريكى بنحو ثلاثين مليون سنة .

مخاطر حبوب منع الحمل

● نشرت مجلة لانست Lancet فى عددها الصادر فى شهر نوفمبر الماضى ، تقريرا عن حبوب منع الحمل وعن احتمالات الاصابة بامراض القلب والاوعية الدموية ، وبالتالى احتمالات الموت ، التى قد تترتب على تعاطى تلك الحبوب .. وتؤكد المجلة الطبية البريطانية أن تلك احتمالات كثيرة .. اكثر مما كان يظن ..

اما الابحاث التى استند اليها التقرير فقد قامت بها الدكتورة فالرى برال Dr.Valerie Beral المتخصصة بالاحصاءات الطبية في مدرسة الصحة العامة والطب الاستوائى فى لندن .. اذ اتخذت هذه العالمة من احصاءات منظمة الصحة العالمية اساسا لدراساتها ، وراحت تحلل اسباب الوفيات ، وتتحسس الانماط او الاتجاهات التى امكنها تحسسها فى تلك الاسباب .. وذلك فى ٢١ قطرا من اقطار العالم المختلفة .. وقد تبين للدكتورة برال ان التقلبات فى عدد الوفيات بسبب امراض القلب والاوعية Cardiovascular diseases ارتبطت فى تلك الاقطار جميعا بمدى تعاطى حبوب منع الحمل . ولم يظهر للدكتورة فالرى مثل هذا الارتباط بين التقلبات التى ذكرنا وبين التغيرات التى طرأت على عادات المدخنين .. باعتبار التدخين سببا محتملا آخر من اسباب تلك الوفيات وقد اثبتت ذلك بحوث وتجارب اخرى ليس هنا مجال ذكرها .

وتعتقد الدكتورة برال ان عدد النساء (بأعمار ١٥ ـ ٤٤ سنة) اللاتى يمتن بسبب امراض القلب والاوعية ، بل قل بسبب حبوب منع الحمل التى قد تسبب هذه الامراض ، لا يقل عن ٢٠٠ امرأة فى المليون سنويا . وهذا عدد كبير نسبيا اذا ذكرنا انه يقارب ٣٠٪ من مجموع وفيات

النساء اجمالا ٠ فهذا المجموع يبلغ بالمتوسط ٧٠٠ فى المليون سنويا ٠٠

وتضيف الدكتورة الى ان انقاص كمية الاستروجين Oestrogen هرمون الانوثة المعروف ، فى حبوب منع الحمل الحديثة ، لم يقض على خطر هذه الحبوب ٠ فالانماط التى سبقت الاشارة عليها بقيت ثابتة ، حتى فى سنة ١٩٧١ ـ ٧٢ ، وهى السنة التى أقبلت فيها اكثر الدول الصناعية على الحد من محتويات الاستروجين فى حبوب منع الحمل ٠

اجهزة الكترونية للخدمات الطبية

● العقل الالكترونى الذى يغنى عن الطبيب فى اجراء الفحوص الطبية ، ليس جهازا جديدا ٠٠ فهو قديم نسبيا وبدأ استعماله فى أمريكا واليابان منذ مطلع الخمسينات ٠٠

أما الجديد فهو العقل الالكترونى الذى ابتكره وصنعه مؤخرا رئيس قسم طب الكبار فى مستشفيات وسكونسن فى الولايات المتحدة الامريكية ، الدكتور نورمان جنسن (Dr. N. Jensen) ، وذلك بالتعاون مع أحد أخصائيى العقول الالكترونية ، لارى فان كورا (L. Van Cura) فهذا جهاز لا يقف نشاطه عند أخذ المعلومات من المريض وموافاته بالنتائج ٠٠ فهو يتجاوز ذلك ليجرى حوارا مباشرا مع المريض ، كالحوار الحى الذى يجرى بين الطبيب ومريضه ٠٠٠ حتى اذا انتهى الحوار أعطى الجهاز تقييما فوريا لصحة المريض وصورة عن المخاطر التى تهدد حياته ٠٠ واليك طائفة من الاسئلة التى يطرحها هذا الجهاز على مرضاه :

« مرحبا بك نريد أولا أن نكون فكرة عن تاريخك الطبى ٠٠

كم عمرك ؟ هل تمارس الرياضة باستمرار ؟

وهل تمارسها بصورة فعالة بحيث تضطر للتنفس السريع لمدة (٢٠) دقيقة ، ولو مرة واحدة فى الاسبوع ٠٠ ؟

هل تشعر بالتعب والارهاق أحيانا بالرغم من حصولك على القدر الكافى من النوم ؟

هل أصيبت أمك أو أختك بسرطان الثدى ؟ »

ويستمر الجهاز فى طرح الاسئلة التى قد يبلغ عددها (٧٠) سؤالا والتى قد تتضمن أسئلة غريبة حقا ، مثل :

« هل فكرت يوما بالانتحار ؟ »

واليك فيما يلى التقييم الذى حصلت عليه من الجهاز فتاة رياضية فى الواحد والثلاثين من عمرها ٠٠٠

« انت مهددة بالموت خلال السنوات العشر القادمة ٠٠٠ ونسبة هذا الاحتمال لا تقل عن ١٣ ٪ ! ، ذلك انك تشربين الخمرة احيانا وتدخنين السجاير باسراف ولا تشدين حزام مقعد السيارة ٠٠٠ ولو عدلت سلوكك فى هذا الصدد لهبطت بنسبة الوفاة التى ذكرنا الى ٨ ـ ٩٪ » ■■

إنذار الى كل الذين يعانون من الإرهاق

شبح السكتة القلبية ليس بعيدا!

« لم يعد الأمر محل شك ، فقد ثبت يقينا ان نوبات القلب قد تصيب الذين يعملون طوال النهار ثم يقومون بعمل ثان فى المساء ، او من يعمل ٦٠ ساعة فاكثر اسبوعيا »

بقلم : الدكتور ابراهيم فهيم

■ السكتة القلبية هي عدو البشرية الاول اذ تنتقى ضحاياها من بين الشباب اللامع المكافح ذى المستقبل المرموق ومن الرجال المحنكين ذوى الدربة والخبرة .

وقد شك الاطبـاء قديما فى وجود علاقة بين الارهاق فى العمل وبين نوبات القلب ـ وكثيرا ما اسدوا النصح لهؤلاء المكافحين بالترفق بقلوبهم

والاهتمام بصحتهم والرحمة بحياتهم التي يقصفها الارهاق •

وقد ثبت الان بما لا يدع مجالا للشك وجود علاقة وثيقة مؤكدة بين الارهاق في العمل والسكتة القلبية ، اذ اتضح ان نوبات القلب قد تاتي لمن يعمل طول النهار لم يقوم بعمل ثان في المساء او لمن يعمل ٦٠ ساعة اسبوعيا وخصوصا اذا كان ممن يفتقرون الى الاستقرار في العمل ام ممن تنقصهم الطمانينة في حياتهم •

وقبل انبين كيف تؤدى هذه العوامل الىالاصابة بنوبة القلب نرى لزاما علينا ان نؤكد ان مرض القلب عملية تستغرقعدة سنوات ولا تصيبالانسان دفعة واحدة • وهناك عدة تغيرات تدريجية تحدث في الشرايين وخاصة الشرايين التاجية التي تغذى عضلة القلب ـ وليست التغيرات التي نعنيها هي تصلب الشرايين الذى هو احد مظاهر الشيخوخة ولا علاقة لها كذلك بنوبات القلب انما الذى نعنيه هنا هو ضيق الشرايين بسبب ترسب مواد دهنيةعلىالطبقة الداخلية لجدر هذهالشرايين•

وحينيتطلب الجسمكمية اضافية منالدم ليتسنى له القيام بعمل اضافي لا تتمكن الاوعية الضيقةمن تادية هذه المهمة وهذا هو ما يعرف بعدم كفاءة الشرايين التاجية ، فيشعر المصاب بالم حاد في منطقة القلب ، هذا الالم هو في الواقع نوبة قلب ، او اللحظة الحرجة في عملية تدهور الشرايين تدهورا استغرق وقتا طويلا •
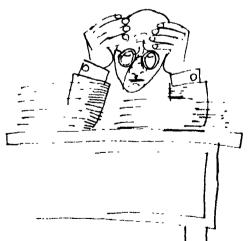
وقد تنشا نوبة القلب بسبب انسداد شريان كبير نتيجة للضيق التدريجي في الوعاء ، او نتيجة جلطة ، او نتيجة كليهما معا ، وقد يسبب هذا تلفا في جزء من عضلة القلب لحرمانه من الدم ومن الاوكسجين •

وقد اتجهت البحوث الحديثة نحو الاجابة عن الاسئلة المنطقية الاتية : ـ

لماذا يحدث ضيق الشرايين ؟ ولماذا يصيب هذا المرض بعض الرجال فيسن مبكرة ؟ ولماذا لا يصيب صغار السن من النساء اطلاقا ؟

ولماذا ينتشر هذا المرض في البلاد التي ضربت بسهم وافر في المدنية والحضارة ؟ وما الذى يحدث تماما في الدم وفي جدر الشرايين حتى ينشا هذا المرض ؟

وعلى مر السنين تفرغ آلاف الباحثين سعيا وراء الاجابة عن هذه الاسئلة ، فدرسوا الغذاء ، والوزن وبنيان الجسم ، ووسائل المعيشة ، وعوامل الوراثة ، وكيمياء الدم ، والفرازات الغدد الهرمونية ، وحالة النشاط العقلي ، واستعار الباحثون من الاطباء النظريات الهندسية عن ديناميكية السوائل عند مرورها في الترع والقنوات ، لتطبيقها على الدم والاوعية الدموية•

ومنذ أربعين عاما اكتشف وجود خلايا دهنية على جدر شرايين ضحايا نوبات القلب ، كما اكتشف وجود نسبة عالية في الدم من مادة دهنية تعرف بالكولسترول ، مما حدا بشركات التامين الى تركيز اهتمامها بامر البدانة كعامل هام في احداث الامراض •

ولكن ماذا عن الارهاق في العمل ؟

طالما أحس الاطباء باهمية هذا الموضوع ، ولكن صعوبة قياسه وتحديد مداه ، القيا به في زوايا الاهمال على نقيض نظرية ارتفاع نسبة المواد

الدهنية فى الدم ، الواضحة للانظار والتى يمكن تحديدها وقياس مداها •

وقد برز دور الاجهاد فى العمل عندما لوحظ ان نسبة نوبات القلب مرتفعة بين اطباء التخدير، وهناك اعمال قليلة فى الحياة يمكن ان تقارن بما يعانيه طبيب التخدير ، وهو يقف امام طاولة العمليات يوما بعد يوم وليلة بعد ليلة متحملا مسئولية كل مريض يطلق عليه عقاقيره فيتخدر وينام والطبيب يخشى دائما ان تكون نومة الابد •

وفى احصائية حديثة ظهر ان بين كل ١٠٠ حالة من مرضى الشرايين التاجية للقلب ، ممن يقل عمرهم عن الاربعين ، يوجد ٩٧ رجلا ، ٣ نساء فقط ولقد اتضح ان ٩١٪ من المرضى يعانون ارهاقا شديدا فى العمل •

ولقد ظهر ايضا ان نسبة الكولسترول مرتفعة فى د. هؤلاء المرضى ، فما علاقة الاجهاد فى العمل بهذه الظاهرة ؟

لقد اجريت تجارب عديدة البتت زيادة الكولسترول عند المحاسبين ومديرى البنوك اثناء ربط الميزانية • وكذلك شوهد ان نسبة الكولسترول فى دماء الطلبة تزيد فى فترة الامتحانات عنها فى الايام العادية •

وهكذا اتضحت معالم الطريق ، فالاجهاد يزيد نسبة الكولسترول فى الدم والكولسترول يترسب فى جدر شرايين القلب مسببا لها العطب والتلف•
وقد سبق ان اثبت «هانزسايل» «Hanz Syele» ان الاجهاد يؤثر على الغدة فوق الكلوية،وقد اجرى تجاربه على الحيوانات فكان يعرضها للمؤثرات متنوعة كان يحقنها بالفورمالين تارة ، أو يعرضها للبرد الشديد تارة أخرى ، أو يضعها فى اقفاص تدور بالكهرباء ليمنع عنها النوم فى سلسلة ثالثة من التجارب • وكانت الاستجابة فى جميع الحالات تضخم الغدة فوق الكلوية وتضخم الغدة النخامية فى قاع الجمجمة •

وبذلك اصبح الترتيب المنطقى للاحداث هو ان الاجهاد ينبه الغدد الصماء ، وبخاصة الغدة فوق الكلوية وان تاثير ما تفرزه من هرمونات على المقدار المطلوب لتمثيل المواد الدهنية يزيد فى نسبة الكولسترول فى الدم ، فيترسب على جدر شرايين القلب الخارجية ، ومن ثم يضيق مجرى الدم بها • مما يهيىء الظرف الحرج للاصابة بنوبة القلب •

ومن ذلك يتضح ان نتائج الاجهاد تاتى تدريجيا، وليست دفعة واحدة، والاجهاد البدنى يمكن تعويضه بالغذاء والنوم ، اما الاجهاد الذهنى فهو العامل المهيىء فعلا للمرض •

صحيح ان لعوامل الوراثة والتغذية اثرها ، ولكن الاقلال من المواد الدهنية ليس هو العامل الاول كما كان الرأى السائد منذ عهد قريب •

والان ، ما هى الوسيلة لمنع او تقليل اثر الاجهاد فى العمل ؟

الوسيلة لذلك هى ان تحب عملك وتسعد بمنصبك ، وتدرك تماما ان الانتاج المرموق لا يزيده التسرع او الاندفاع ، ولا يضاعفه القلق او التوتر ، ويجب أن يعلم كذلك اصحاب الاعمال أن الانسان قدرة بدنية وذهنية محدودة •

ويجب ألا تدع عملك يستغرق وقتك كله ، وينسيك مباهج الحياة البريئة التى هياها لك الله لكى تستمتع بها • تعلم رياضة تروقك ، ومارس هواية مفيدة تحول ذهنك بعيدا عن عملك، من غير ان ترهقك • وتذكر جيدا انه قد ثبت عمليا ان الارهاق فى العمل يقصف العمر •

■■

الدكتور/ابراهيم فهيم

الاستاذ بكلية الطب ــ جامعة عين شمس ــ القاهرة

■ ان الذين آمنـوا ، والذين هادوا ، والنصارى ، والصابئين ـ من أمن بالله واليوم الاخر ، وعمل صالحا ، فلهم اجرهم عند ربهم ، ولا حوف عليهم ، ولا هم يحزنون .

(قرآن كريم)

■ ما عظمت نعمة الله على أحد الا عظمت عليه مؤنة الناس .

(حديث شريف)

■ ما أضمر احد شيئا الا ظهر فى فلتات لسانه ، وصفحات وجهه .

(الامام على)

■ أسد حطوم أهون من وال غشوم ، ووال غشوم أهون من فتنة تدوم .

(عمرو بن العاص)

■ ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

(طرفة بن العبد)

■ فان تسألونى بالنسـاء فاننـى
حبير بـأحوال النسـاء طبيـب
اذا شاب رأس المرء ، او قل مالـه
فليس لـه فـى ودهـن نصـيب
يردن ثراء المال حيث وجدنـه
وشـرخ الشـباب عندهن عجيـب

(علقمة الفحل بن عبدة التميمى)

■ كم وعظ الواعظـون فينا وقـام فى الارض أنبيـاء
وانصرفوا ، والبـلاء باق ولم يزل داؤنـا العيـاء
حكم جرى للمليك فينـا ونحن فى الاصل أغبيـاء

(أبو العلاء المعرى)

■ لا اعلم شيئا ازيـد فى السيئة مـن استصغارها ، ولا احبط للحسنة من العجب بها .

(الجاحظ)

■ ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

(المتنبى)

■ اذا استشارك عدو لك فاخلص له النصيحة ، لانه باستشارتك قد خرج عن عداوتك ، ودخل فى مودتك .

(قاسم امين)

بقلم : منير نصيف

■ الفراغ ما هو ؟ هل هو وقت ضائع نبحثعنشيء نملؤه به ؟ هل هو فكر يعيش في وحدة لانه لا يلتقي بفكر آخر يناقشه ويحاوره مؤيدا او حتىمعارضا ؟ هل هو قلب امتلا بالحب ، ولكنه لم يجد من يحب او ما يحب ؟

الفراغ كل هذا ٠٠ فالفراغ حياة بلا حياة ٠٠او هو حياة لا يحسبها احد حتىصاحبها نفسه ، لانها بلا طعم وبلا معنى وبلا هدف !

والفراغ نحسه في البيت ، ونحسه في العمل،وفي كل مكان نفتقد فيه المعنى الحقيقي للحياة، والهدف الذى نعمل ونعيش من اجله !

يقول الدكتور « جون شندلر » استاذ علم النفس في كتابه « كيف نعيش ٣٦٥ يوم كل عام » : « كل سنة تقدم لك هذا العدد من الايام الذى يزيد يوما مع السنة الكبيسة ، وهى ايام يستطيع الانسان ان يعيش كل لحظة ٠٠ كل ساعة فيها ٠٠ ايام يمكن ان يجد مع شمسها او حتى فى ليلها عندما تغرب الشمس الارتياح والمتعة والعمل الخلاق الذى يملا به حياته ! »

احساس وليس ظاهرة !

وتقول الدكتورة ماريون هيليارد ، فى كتابها : « المراة والتعب » ، : الفراغ احساس اكثر منه ظاهرة ٠٠ وهو عند المراة غيره عند الرجل ٠٠ فلا شيء يثير هذا الشعور عند المراة حتى لو كانت تعمل كل ساعات يومها ، وتشغل كلدقيقة من وقتها ، غير الاهمال ٠٠ ان تحس انها مهملة،

او انها لا تاخذ بقــدر ما تعطى .. او ان هؤلاء الذين تحبهم وترعاهم وتعمــل وتكدح من اجـل اسعادهم فى البيت او فى خارج البيت ، يحجبون عنها ، وبما عن غير قصد ، ما تنتظره منهم ! وليس الاخذ الذى نعنيه هنا هو هذا الشيء المادى المحسوس .. لان المراة عندما تحب ، سواء كانت اما ام زوجة ام عاملة .. عندما تعطى ابناءها او زوجها او عملها هذه المشاعر التى يمتلىء بها قلبها ويفيض ، لا تنتظر اجرا .. وانمــا هى تنتظر ما هو اغلى واعز .. انها تتوق لكلمة شكر وعرفان .. وحتى هــذه قد لا يهمهــا كثــيرا ان تسمعها باذنيها كلاما ، فقد ترضيها ابتسامة ، وقد تسعدها نظرة حلوة تحمل كل هذه المعانى التى تتوق لرؤيتها فى عيون هؤلاء الصغار الذين ولدتهم وربتهم ، وسهرت وما زالت تســهر على رعايتهم ، وايضا فى تصرفات الزوج الذى يستطيع ان يتكلم بعينيه فتقولان لها كلاما تعجز الشفتان عن نقله وتصــويره ! بل فى معاملة رؤســـائها بعيدا عن البيت والزوج والاطفال .. فهى تجد فى الكلمة الطيبة والاعتراف بالجهد الذى تبذله، اكثر مما تجد فى المرتب الذى تقبضه فى اول كل شهر ، فالحافز الادبى اقوى من الحافز المادى ، لانه اذا غاب توقفت الايدى عن العمل ، وتعطل العقل عن التفكير ! »

المرأة اقدر على مــلء الفراغ

والفراغ عند الرجل غيره عند المراة .. قد يشترك الاثنان فى بعض الاسباب التى تؤدى الى احساسهما بهذا الشعور .. ولكن الثابت علميا ان المراة اقدر على ملء الفراغ فى حياتها باعمال اكثر نفعا واكثر جــدوى من تلك التى قد يلجا اليها الرجل ..

قد يكون السبب فى ذلك ان الرجل يجد دائما مجالا اوسع لشغل هذا الوقت الذى يحار فى شغله ، بحكم انه رجل وانه يتمتع بقدر اكبر من الحرية التى لا تنعم بها المراة الا بمقدار ، والا فى حدود ما تسمح به تقاليدنا وعاداتنا فى مجتمعنا المحافظ،

ولكن هل عرف الرجل حقا كيف يملا اوقات فراغه، وكيف يتخلص من هذا الشعور الذى قد ينتابه فى كثير من الاحيان عندما يلتفت حوله فلا يجد عملا نافعا يقوم به ، او هواية مجدية يمارسها ؟ !

والجواب بالنفى .. فالفراغ مشكلة هذا العصر والفراغ بعد لا يصاحب سنا معينة .. فالشاب يشكو الفراغ .. والرجال فى منتصف العمر يشكون الفراغ .. والشيوخ يعيشون فى فراغ هائل بحكم السن التى شلت بعض او كل قدرتهم على الحركة..

قشور الحضارة

وليس غريبا ، كما يتصور البعض ان نرى هذه المشكلة ونحسها ونعيشها فى هذا العصر الذى طغت فيه الماديات على كل شيء .. لقــد حققنا هذا التقدم الكبير فى شتى المجالات واصبحت الحياة من حولنا فى حركة دائبة لا تتوقف ،وسخر الانسان كل شيء من اجل خدمته والترفيه عنه.. وبالرغم من هذا فقد واكب الفراغ هذه الحضارة التى نعيشها ،لان كل ماحملته وتحمله لنا ليس سوى قشور لا تشبع النفوس والقلوب التى كادت تنسى اعظم عاطفة فى الوجود .. عاطفة الحب .. الحب لكل شيء واى شيء يربط بين مصائرنا ، ويجعلنا نحس باننا اسرة واحدة فى مجتمع واحد يعيش افراده من اجل بلوغ هدف واحد !

فى الامس القريب

فى الحياة البســيطة التى سبقت زحف المدنية والحضارة ، لم يكن هناك فراغ ، لا فى حياة المراة ولا فى حياة الرجل ولا حتى فى حياة الابناء فى مختلف مراحل اعمارهم .. فقد كانت حياتهم وكان جهدهم وكان تفكيرهم كله مرتبطا بالارض متصلا بجذورها ، نابتا منها ناميا فوقها وعليها.. كان الفلاح يزرع ارضه ، ولم يكن يعمل وحده وسط هذه الحقول الواسعة [illegible] كانت تقف معه زوجته تشــاركه [illegible] وكان يلتف من حولهما اطفالهما منذ اللحظة التى يخطون فيها اولى خطواتهم على الارض .. اطفال مــن كــل الاعمار .. اولاد وبنات كلهم يستوون عندما تجىء ساعة العمل عند الشروق ..

كانوا ينثرون الحب وينتظرون .. ويروون وينتظرون ، ويرقبون النبات وهو يعلو ويعلو في قلب هذه الارض الطيبة ويطول بهم الانتظار ..

ثمار الحب !

لم تجيء لحظة الفرح ، عندما يخرجون كلهم لجني ثمار كدهم وتعبهم .. لقد امضوا حياتهم كلها ينتظرون ، هكذا عاش الفلاح واسرته .. ولكن مع هذه الايام والاسابيع والشهور الطويلة التي قضوها ينتظرون الخير ، كانت قلوبهم جميعا تمتليء بالحب .. حب الارض التي يعيشون فوق ترابها وياكلون من ثمارها .. حب الحيوانات التي يرعونها ويغذونها ويشربون لبنها .. حب الماء الذي يجري امامهم في الجداول والقنوات .. حب الطبيعة الحانية عليهم وعلى رزقهم .. ومع هذا الحب الكبير لم تبرز امامهم يوما اية مشكلة .. حقيقة لديهم احزانهم عندما يرون الطبيعة تقسو عليهم احيانا ، فتشح المياه او يتوقف المطر .. ولكن ما اسرع ما كانوا ينهضون من جديد ويعيدون بناء كل الذي جف ومات تحت وطاة الحر او قرصة الصقيع .. بقدر ما كانت دموعهم ساخنة ، كانت ابتساماتهم مشرقة وضحكاتهم تدوي عندما تزول الغمة وياتي الفرح ..

في البر والبحر

وفي البادية ايضا .. كانوا قبائل وعشائر .. تجري في عروقهم دماء كريمة توارثوها عن الاباء والاجداد ، دستورهم غير مكتوب ، ضيوفهم فوق الرؤوس ، واعداؤهم كل ظالم ومعتد وقاطع طريق .. عاشوا في الفة ، الا فيما ندر ، وامتلات حياتهم بالعمل والكفاح والحل والترحال والضرب في الصحراء الواسعة بحثا عن الماء والكلا من اجل الاستمرار ومن اجل الحياة ..

وتحابوا وتعاهدوا على الوفاء وامتلات قلوبهم بالحب ، ولم يشعروا بالفراغ ، اوحتى عرفوا اسمه ! فقد كانت قلوبهم مليئة دائما بكل العواطف الانسانية . وركبوا البحر ، وطافوا بسفنهم شرقا وغربا يحملون سلعهم البدائية على سطوحها ، ويتركون لاشرعتها العنان تحملهم الى حيث شاءوا .. وامتلات حياتهم بالعمل والبحث عن الرزق حتى لم يعد فيها مكان لشيء آخر غير العمل والعمل الشاق الذي احبوه ومضوا فيه حتى نهاية العمر ..

.. في الظل !

اين حياة الامس من اليوم .. هل اختفت تلك الصور البسيطة لحياة الكفاح مع الارض والصحراء والبحر تماما ؟ طبعا لا .. ولكنها توارت في الظل لكي تاتي محلها حياة اخرى لا تمت الى الماضي القريب البعيد بصلة .. ففي هذا القرن العشرين ونحن نقترب من نهايته ، زحفت المدنية الينا ، وجاءت الحضارة لتحتوي حياتنا ، وتغيرت الصورة من جذورها .. هذا التطور الهائل السريع قلب حياتنا راسا على عقب في اقل من نصف قرن !

ولم يكن غريبا ، كما قلنا ، ان نحس في دوامة هذه الحياة الجديدة بالفراغ .. فقد شغلتنا هذه القشور اللامعة عن الجوهر .. وانستنا الزخارف الملونة التي نجري وراءها ونتسابق في الحصول عليها ، معنى الحياة وهدفنا فيها ومنها .. فقد اصبحت الحياة اكثر تعقيدا .. اصبحت صراعا من اجل البقاء .. الشباب اليوم يشكو الفراغ .. وهي مشكلة تحاول كل الدول ان تضع لها الحلول .. اعداد المتعلمين في تزايد مستمر ، وهي نعمة ، ولكن ماذا بعد ساعات الدرس والتحصيل ؟ الرياضة البدنية وسيلة .. والرياضة الذهنية وسيلة .. ولكن هل استطعنا ان ندفع بكل شبابنا الى الملاعب .. او ان نضع في يد كل شاب كتابا جديدا يملا وقته بقراءته .. ان هذه كلها هوايات ونحن نحاول ان ننميها في طفولتهم .. ولكن ما اكثر الذين هربوا منها وعزفوا عنها لانهم لا يهوونها !

فراغ .. في فراغ

والرجال يشكون الفراغ .. الرجال من كل سن وفي كل عمل .. ماذا يصنعون بانفسهم بعد انتهاء ساعات العمل .. ما الذي يمكن ان يقدموه لاسرهم

ولمجتمعهم فى ساعات الفراغ ؟ ان المفكرين والعلماء والادباء وحدهم ، هم الذين وجدوا فى كل عصر وفى كل وقت لذة الاستمتاع بالحياة من خلال قراءاتهم وبحوثهم وما قدموه للاجيال التى جاءت من بعدهم .. لقد نسيت مارى كورى موعد زفافها وهى مشغولة بابحاثها فى معملها ، فلما ذكروها به ، قالت : « انا واثقة من ان بيير (خطيبها) ، سوف يغفر لى عندما يعلم انني قد وضعت يدى على اول الخيط ! » وتزوجا ، وكانت نهاية الخيط الذى بدأت معه بحوثها هو «الراديوم» الذى اوقف نمو الاورام الخبيثة ! ولكن ماذا عن القطاعات الاخرى، وهى اكبر واكثر عددا ..كيف يمضى هؤلاء الرجال العمال والموظفون وغيرهم اوقات فراغهم .. ان الوظيفة عندهم وسيلة للكسب والعيش ، وبفضلها استطاع رب الاسرة ان يحقق حياة كريمة لاسرته .. ولكن ماذا بعد ذلك .. ماذا بعد ان تنتهى ساعات عمله فى وظيفته ؟ انه يعود الى بيته .. هذه هى القاعدة .. وفى البيت تبدأ مشكلة الفراغ ، وهى مشكلة تجر معها مشاكل اخرى وهذه الاخيرة هى معاناة الزوجة مع اطفالها ، ومشاكلهم معها ، ومع بعضهم البعض .. وقت ضائع لا يستطيع ان يملاه ، الا من كانت له هواية نافعة ، والا من كان له هدف يسعى من اجل بلوغه ويشرك فيه اسرته ، وربما مجتمعه الصغير او الكبير من حوله !

عرض .. ومرض !

ثم ماذا ؟ هل هناك « وصفة » يمكن ان يقدمها الباحثون والعلماء للذين يشكون الفراغ ؟ هل هناك حل لهذه المشكلة التى تتفاقم ويتزايد خطرها، بين الشباب بصفة خاصة فى العالم كله ؟

يقول الدكتور سمايلى بلانتون فى كتابه « فن السعادة الحقيقية » عن الفراغ : « ان المرض واحد ، ولكن اعراضه تختلف من شخص لاخر .. او من مريض لمريض .. ولذلك يصعب كتابة « وصفة » واحدة لعلاج كل هذه الحالات .. شىء واحد يمكن ان يساعد على التخفيف من اثر هذه العلة التى اصبحت طابع هذا العصر .. وهو شىء لا يكلفنا جهدا ولا مالا ، فنحن نحمله فى صدورنا ولكن بنسب متفاوتة ، او نسب بسيطة .. انه الحب .. اعظم عاطفة فى الوجود ..حب الله وحب الحياة وحب الناس وحب الارض وحب الطبيعة بشمسها وظلامها .. خريفها وربيعها .. فالحب الذى يجعل كل شىء من حولنا ينبض بالحياة حتى لو كان بلا حياة .. الحب هو اصل الحياة .. الذى خلق المفكرين والساسة والعلماء والمخترعين ، ولولا حبهم للحياة وللناس ، لما كان هناك فكر ولا اختراع ، ولما كانت هذه الحضارة التى نعيشها ونتنعم بثمارها .. »

بالحب وحده يحيا الانسان

والحب هو الذى يفتح قلوب الشباب على العالم الواسع المنبسط من حولنا .. حبهم لله ولارضهم ووطنهم يدفعهم الى التضحية بارواحهم من اجل صد اى خطر يتعرض له .. حبهم للعلم وحبهم للمجتمع الذى ينتمون اليه ، هو الذى يخلق من بينهم رجالا ونساء قادرين على حمل العبء بعد آبائهم ..

الحب يقهر عالم الماديات

فالحب هو الذى اوصلنا الى القمر ، وهو الذى دفعنا الى المضى فى رحلاتنا فى الكون الواسع لاستكشاف المجهول ! فوراء كل نجاح حققه انسان القرن العشرين ، قصة حب اكبر من هذا النجاح نفسه !

ان عالم الغد محتاج الى كل الحب الذى يمكن ان نملأ به قلوبنا ، وقلوب ابنائنا واحفادنا .. هؤلاء الذين تنتظرهم مفاجآت المستقبل حتى لا يحسوا بالفراغ الذى نشكو منه اليوم ، وهم يرون انفسهم يدورون حول انفسهم ، كما تدور تروس الالة الهائلة .. فالغد هو الالة .. نفس الالة التى صنعها الانسان بيديه ، وهو [illegible] يصبح جزءا منها او عبدا [illegible]

اذا تعلمنا الحب بمعناه [illegible] فلن نشكو الفراغ بعد اليوم . لاننا سوف نقهر عالم الماديات ..

منير نصيف

اعرف وطنك أيها العربي

هموم موريتانيا

نقطة الإلتقاء بين العرب والأفارقة

الكويت تساهم في إقامة صناعة الحديد في أقصى العالم العربي

عم الجفاف والقحط مختلف مناطق موريتانيا • فاتجه الناس من البادية الى العاصمة نواكشوط ، حيث استقروا حولها فى مدن الصفيح وتحت الخيام ، يقفون بالطوابير لملء الأوعية بالمياه •• اما العاصمة فقد اصبحت تعانى من ازمة سكن خانقة ، ولم تعد مساكنها القديمة تكفى سكانها •• واشتد الاقبال على المدارس ، ولكن الامكانات الشحيحة القليلة تجعل نسبة القبول فى المدارس لا تتعدى ١٧٪ من عدد الأولاد والبنات الذين فى سن التعليم !

استطلاع :

سليم زبال

تصوير :

اوسكار مترى

انها تمر بفترة عصيبة .. كل شيء فيها يتبدل ويتغير .. اهلها طلقوا حياة البداوة والترحال ، ليبدأوا حياة الراحة والاستقرار .. مجتمعها البسيط يحلم بالتحول الى مجتمع انتاجى .. مدنها القديمة تتداعى وتندثر .. واخرى حديثة تنمو وتزدهر ..

مشاكل بالجملة !

وموريتانيا الحديثة المستقلة لا يتجاوز عمرها ٢٠ عاما امضت نصفها تحت وطأة الجوع والجفاف والقحط .. ! ومن خلال نسيج الاستقلال والجفاف، تسربت عشرات المشاكل والمتاعب ..

« ولكن مشاكلنا الحالية هى نفس مشاكلنا السابقة ، الا انها تشعبت وتطورت لتشمل كل الميادين .. »

هكذا استهل الرجل الثانى فى موريتانيا ووزير الدولة للسيادة الداخلية احمد محمد صالح ، حديثه الطويل الذى تابعه قائلا : « الانسان لا يدرى انه يفتقر الى هذا الشيء او ذاك الا عندما ينفتح على العالم وتتكاثر مطالبه .. وكذلك حالنا فى موريتانيا كأنما قطعنا خطوة ، خطوة ، نشعر وكاننا لم نقطع شيئا ..فى حين اننا لو قارنا حالنا اليوم بحالتنا فى اول ايام الاستقلال لوجدنا الفارق كبيرا شاسعا .. ولكنا عندما نقارن انجازاتنا مع حاجيات الدولة ، نجد انفسنا ما زلنا فى بداية الطريق ..

نحن مثلا نريد تعميم التعليم ، ونعتبر ان هذا من اهم واجباتنا ، لكن امكاناتنا الضعيفة تقف عقبة فى هذا السبيل .. وما نقوله عن التعليم ينطبق على كل مجالات الحياة الاخرى عندنا .. »

الطبيعة تفرض الاسلوب !

وحتى نتعرف على مشاكل موريتانيا كانت لنا رحلة طويلة فى الاطراف الشمالية الصحراوية القاحلة المجدبة من البلاد ، ثم نزلنا جنوبا حيث الخضرة الدائمة والامطار والغابات والوحوش والنهر الكبير ..

وهذا التناقض الجغرافى من الرمال الساخنة الى الخضرة اليانعة ، هو الذى فرض اسلوب الحياة فى موريتانيا : بدو رعاة رحل فى الشمال، وصيادون مزارعون مستقرون فى الجنوب ..

ويعيش سكان موريتانيا ، وعددهم نحو مليون و ٤٠٠ ألف نسمة ، فوق ارض شاسعة مساحتها نحو مليون و ٤٠٠الفكيلومتر مربع،أى ما يوازىمساحة جمهورية مصر العربية مرة ونصف مرة ، بينما لا يزيد عدد سكان موريتانيا عن نصف عدد سكان حى من احياء القاهرة الكبيرة !

وهذه القلة فى عدد سكان موريتانيا هى التى جعلت المخططين يقولون : « من المستحيل ان نخطط تخطيطا سليما لسكان يعيش كل واحد منهم فوق كيلو متر مربع من الارض .. ! يجب ان يستقروا اولا فى تجمعات ثابتة ، ثم نخطط لهم ! » .

وكانت الاجابة الدائمة : من المستحيل ان تبدل اسلوب حياة الرعاة الرحل ، انهم يتنقلون دائما الى مناطق الكلأ والاعشاب اللازمين لحيواناتهم..

يولدون ويموتون فى غفلة من الزمان !

وفجأة جاء الفرج من حيث لا يدرى احد .. جاء قاسيا فادح الثمن ..

الامطار توقفت .. والاعشاب اختفت .. والريح السموم تتابعت .. والخيام تطايرت .. والحرارة تصاعدت .. ونقطة الماء تبخرت قبل ان تبتلعها الرمال .. والمعزة والاطفال ، وحتى الجمال والغزلان والابقار ، لم يستطيعوا الثبات امام العطش ، فكان الموت والفناء ..

واستمر الجفاف كاسحا مخربا .. حددوا بدايته عام ١٩٦٩ اما نهايته فاختلفت من جهة لاخرى .. وما زالت هناك مناطق حتى اليوم ، تعانى من القحط وانحباس الامطار !
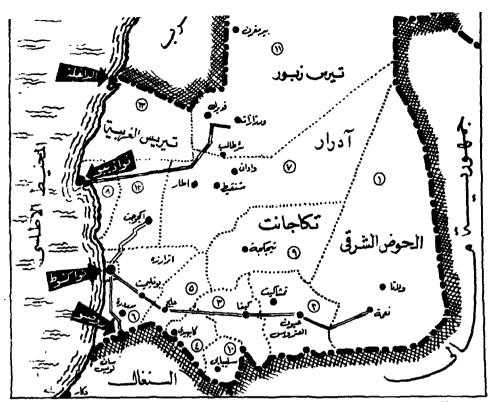
حريطة جمهورية موريتانيا الاسلامية ·· والاسهم فـي الخريطة تشير الى المناطق التى زارتها بعثة العربى ·· وتنقسم موريتانيا الـى ١٣ منطقة او ولاية ، كل منها يحمل رقمـا مختلفا ·· ومساحة موريتانيا نحو مليون و ٤٠٠ الف كيلو متر مربع ، وعدد سكانها مليون ونصف مليون نسمة تقريبا·· والسكك الحديدية فى البلاد مخصصة لنقل خام الحديد من مناجمه فى فديرك حتى ميناء نواذيبو ، وطول الخط ٣٠٧ كيلو مترات ، اما الطرق البرية المرصوفة فتنطلق من نواكشوط العاصمة الى روصو فى الجنوب ، واكجوجت فى الشمال ·· اما الطريق الى نعمه فقد تم رصف ما يزيد عن ٣٠٠ كيلو متر منه ، وطوله الاجمالى ١١٠٠ كيلو متر ··

وبدا تقدير الاضرار ، فكانت اصابات الاطفال فى المقدمـة ، هكذا قالوا دون احصاءات ، فابناء الصحراء يولدون ويموتون دون شهادات ميـلاد او وفاة !

وكانت الاصابات بين الحيوانات فادحة ، قدروها بنحو ٧٥ ٪ من الثروة الحيوانية الموريتانية ، التى كانت اكبر ثروات بلاد غرب افريقيا ، اذ كـانت تشتمـل على ١١ مليون راس حيـوان ، من جمال وابقار وخراف وماعز وخيول وحمير ··

وقدروا المدة اللازمة لتعويض الخسارة الحيوانية بنحو عشر سنوات « سمان » على الاقل !

خنقوا المدن ·· !

ان تعويض هذه الخسارة امر ممكن ، ولكنه لن يتم وفق اسلوب الرعى التقليدى القديم، فقد فات الاوان وتبدلت عجلـة الزمان ، وتغيرت الصورة تماما.فالبدو الرحل الذين كانوا هائمين على وجوههم دائما ، هربوا من القحط الى ضواحى المـدن ·· احاطوها بالخيام والاكواخ ومدن الصفيح··فخيموا العاصمة الصغيرة نواكشوط وضاعفوا عدد سكانها ثلاث مرات ، من ٤٠ الف الى ١٢٠ الف نسمة ··

ماساة ٧٠ الف شخص

وذهبنـا لمدن الخيـام ·· لتذكرنا بجولاتنا في مخيمات اللاجئين·· الا ان [illegible] من ماساة بدو موريتانيا.هو جهل اخوانهم العرب بالامهم··وانعدام الامكانات لاصلاح اوضاعهم ··

خيام على امتـداد البصر يعيش تحتها ٧٠ الف شخص فى نواكشوط فقط ·· الميـاه تصلهـم فى سيارتين تفرغان حمولتهما على مدار ساعات الليل

« ما شاء الله ٠٠ حياتي كلها زينة !! » ٠٠ ان ابن موريتانيا راض بقليله ٠٠ كرامته تمنعه من الاعتراف بمتاعبه والامه ٠٠ وتحت الخيام المحيطة بنواكشوط العاصمة تعيش ٧٠ الف «مشكلة»، جاءت هاربة من مناطق الجفاف والقحط لتزيد من متاعب العاصمة وتخنقها !٠٠ وهذه ثلاث صور لثلاث مشاكل الطلاق ينتشر بين النازحين ، بنسبة تفوق انتشار الأوبئة!! فبين العائلات الثمانية التي زرناها وجدنا خمس حالات طلاق وفي الصورة اليمنى نرى «متيتو بنت محمد» تركها زوجها مع ثلاثة اطفال، شقيقها يتكفل بالمصروف ٠٠ والصورة الثانية داخل المستوصف العجيب الذي اقيم لخدمة الفي شخص فاصبح يعالج ٥٠ الف شخص ٠٠٠ وفي مدرسة المعسكر كانت الصورة الثالثة ٠٠ تجمع التلاميذ مبهورين حول اول كتاب يدخل مدرستهم ، جلبه والد احد الطلبة « المقتدرين » ٠٠ ؟

السيارتين كانت معطلة ، والثانية كانت على وشك التوقف خلال زيارتنا !!

ودخلنا مدرسة فى المعسكر ، اقاموها لمائتى طفل، فالتحق بها ١٧٠٠ تلميذ وتلميذة ، يتعلمون باسلوب غريب اليم ، يستمعون فقط الى استاذهم «... المؤهل» وهو يتحدث اليهم ، انهم لا يكتبون ولا يقرءون ، فليست عندهم كتب او كراسات او حتى اقلام !

و... الطعام التى تقدم لاربعة وستين طفلا منهم فقط ، تصل دائما متاخرة بالساعات عن موعدها !

« انها مشاكل هائلة فرضتها الطبيعة علينا»..

هذا ما قاله لنا حاكم المنطقة : المقداد بن دحان الذى تابع كلامه قائلا: «لا اعتقد ان هؤلاء القادمين الينا سيعودون الى مضاربهم الصحراوية مرة اخرى»

... فى ميناء نواكشوط، والادارات الحكومية والتجارة.. وقد وزعنا عليهم حتى اليوم ٦٠٠٠ قطعة ارض ليقيموا عليها منازل ويستقروا نهائيا مع عائلاتهم .. »

البحث عن المستقبل !

لقد حدثت قطيعة بين البدوى ومجتمعه الاصلى بعد ان اندمج فى الحياة المدنية ، واصبح يتقاضى مرتبا شهريا ، ويتعامل بالنقود بدلا من المقايضة، وبدات طيبات الحياة الحديثة تخلب لبه ، لقد تبدلت العلاقات العائلية واهتز نظام الاسرة التقليدى ، وتغيرت نظرة الاجيال بعضها الى بعض فزاد الزواج وتضاعف الطلاق .. وبدا مجتمع القبائل يذوب .. وتبدلت نظرة البدوى الى العمل اليدوى ، وظهر مجتمع عمالى غريب عن البدو والرعاة يحمل قيما جديدة .

كان ... ن الخروف الواحد ٥٠٠ اوقية ارتفع الى ٢٥٠٠ اوقية بعد الـ... الذى اصاب البلاد ، واصاب الثروة الحيوانية الموريتانية اصابات قاتلة .. فالخسارة فى الابقار كانت ٥٥٪ وفى الاغنام والماعز ١٢٪ وفى الجمال ٣٪ ومما يذكر ان الحيوانات تصدر وهى حية للخارج ، فى حين ان عمل مصنع لتعليب اللحوم فى كايهيدى، حيث اكبر اسواق الحيوانات الموريتانية ، سوف يضاعف من ايرادات بيع هذه الثروة ..

تعانى نواكشوط من مينائها الصغير ، الف طن من البضائع سنويا على رصيفه المحيط الاطلسى .. وحتى يتوقف المطار وميناء دكار البعيد ، تجرى حاليا نواكشوط يتسع لتفريغ وشحن مليون مليون دولار ، تشترك فى تمويله الحكومة الاقتصادية ، والبنك الدولى، والصندوق
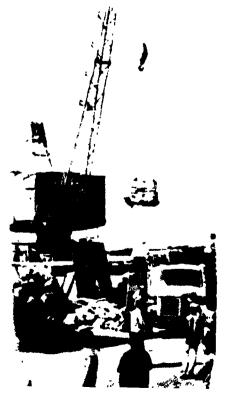
ان هذا الرجل العربى الطيب النحيل ، الذى ينظم الشعر بالسليقة دون ان يتعلم ، يمر اليوم بفترة ضياع كبيرة ، انه يبحث عن الشكل الجديد الذى سيكون عليه مستقبله ٠٠ انه لم يختلط بالعلوم الحديثة بعد ، ومدنية هذا اليوم اساسها العلم !

الرعاة والمعادلات الصعبة

ورأينا صورة من هذه الحياة الجديدة فى الثانوية الصناعية بنواكشوط ، التى اقامتها موريتانيا بمساعدة فرنسية قال لنا مديرها مسيو درووبه :

« انهم فطاحل وعباقرة ٠٠ بمجرد دخولهم الى غرفة الالات والمعدات تتغير عقلية هذا الشاب الموريتانى العربى ،ويقبل على العمل بمهارة فائقة على مختلف الالات التى لم يرها من قبل فى حياته ان ذهنه الصافى يستوعب فى الحال كل ما نقدمه له من معلومات ومعادلات علمية وميكانيكية مهما كانت صعبة او معقدة ٠٠ ان مستقبل موريتانيا الصناعى يبدأ من هنا ٠ واذا كانت هنـــاك مؤسسات او شركـات كبيرة تريد تاهيل اى نـوع من العمـال الموريتانيين صناعيا او فنيا ، فنحن على اتـم استعداد لمدهم بكل ما يلزمهم من هؤلاء العمال، اذا حصلنا على الاعتمادات المالية اللازمة ٠٠ »

ولكن كم عدد الطلبة الذين يمكنهم تلقى التعليم فى موريتانيا ؟

تجيبنا الاحصاءات :

من كل مائة طفل فى سن التعليم ، لا يدخل المدارس النظامية الا ١٧ طفلا فقط ،والباقى، اى ٨٣ طفلا لا توجد لهم اماكن فى المدارس !! ؟

هـذه هى ماساة التعليم فى موريتانيا التى جعلت عدد طلبة الثانويات لا يزيد على ٤٥٦٠ والتعليـم الفنى على ١٣٠٠ طـالب ٠٠ بينمـا تؤكد الاحصائيات الرسمية ان عدد شباب موريتانيا

صراع مرير مع الرمال الزاحفة المتحركة فى موريتانيا ٠٠ ففـى الشمال اندثرت شنقيط القديمة تحت امواج الرمال الصحر اوية ٠٠ وعلى امتداد الساحل يرتفع سد كبير من الرمال البحرية الناعمة ٠٠ اما فى الجنوب حيث الاراضى الزراعية الخصبة فقد اقتلع الرعى الجائر الاعشاب وقتل الاشجار ،فظهرت كثبـــان الرمال ، وجاء خبراء الامم المتحدة يحاولون اعادة التشجير والاعشاب ٠٠ وتراهم فى الصورة على مائدة حاكم مدينة روصو ٠ اداه بنو سيدى هيبة

الذى لا يستطيع تفريغ او شحن الا ٥٠ المتد مسافة ١٩٠ متر داخـــل مياه الاستيراد « الجائر » المكلف من طريق عملية انشاء ميناء جديد كبير فـى طن سنويا ٠٠ وتكاليف هذا الميناء ٢٧ الموريتانية والصندوق الكويتى للتنمية المركـزى للمساعدات الاقتصـادية ٠٠

منذ عشر سنوات ذكرنا في «العربي» ان عددسكان موريتانيا مليون شاعر.اما اليوم فلم يعد الموريتاني يتحدث عن الشعر الا اذا ذكرته به !! لقد داهمتهم تعقيدات الحياة الحديثة . فضاعت شاعريتهم وهم يتصدون لازمات السكن والتعليم والنزوح والصحة وغيرها ·· لقد تحول الشعر الى نثر فظهر كتاب القصة القصيرة . والشعر الحر ·· وتكونت رابطة للاداب والفنون منذ عام فقط ·· وترى في الصورة مؤرخ موريتانيا المختار بن حامد الرئيس الشرفي للرابطة الموريتانية ·· جالسا في الوسط ومن حوله مجموعة من الشعراء والادباء . على اسلم بيه رئيس لجان الاداب ، وجار الله احمد محمود ، وعبد الله ابو بكر مدير المعهد الموريتاني للبحث العلمي .والشاعر محمد كابر هاشم رئيس لجنةالفنون بالرابطة·· ومن الغريب انك لا تعثر على اى كتاب عن موريتانيا في مكتباتها . ويقول البعض ان هناك مؤلفات قيمة ما زالت مخطوطة . لان اصحابها يبخلون بنشرها مفضلين الاحتفاظ بمعلوماتها لانفسهم ·· اما الادباء فيقولون اننا نعاني من أزمة طبع ونشر ·· ومما يذكر ان الشركةالوطنية للصحافة والنشر قد ولدت منذ سنة فقط وتصدر عنها جريدتان · الشعب بالفرنسية والعربية .

الصورة المشرقة لمستقبل زاهر راهناها فى الكلية الصناعية بنواكشوط ٠٠ ان طلبة هذه الكليـة قد هجروا التفكير التقليدى الذى دس عليهم ، واقبلوا على العمل الفنى بنجاح باهر ٠٠ لقد تحقق فى هذه الكلية النداء الذى وجهه حزب الشعب « تغيير العقليات والاقبال على العمل ، فالعمل شرف ٠٠ »

«الى اليمين : « اننا لا نريد زيادة مشاكل العرب باضافة مشاكلنا العديدة اليهم ٠٠ اننا [illegible] لحلها بانفسنا ٠٠ » وموريتانيا استقلت عام ١٩٦٠ وبعد ١٣ سنة دخلت الجامعة العر[illegible] [illegible]ب الموريتانى هو الحزب الوحيد فى الدولة ٠ وقد تأسس عام ١٩٦١ اثر اندماج [illegible] ٠٠ وحزب الشعب هو الموجه والمنظم لحياة الامة ٠٠ فهو يرشح اسم رئيس الجمهورية لد[illegible]م انتخابه عن طريق الاقتراع العام المباشر ، ورئيس الجمهورية هو الذى يعين الوزراء ٠ وينتخب مؤتمر حزب الشعب اعضاء الجمعية الوطنية (الصورة اليمنى) وعددهم ٧٧ عضوا منهم اربع نساء ٠ وتدور مناقشات [illegible] بالعربية والحسانية والفرنسية ٠٠ وتقام دورات توعية للنواب ، تلقى فيها محاضرات عن [illegible] البلاد ٠٠

... في ... موريتانيا .. فمنذ عشر سنوات كانت الطرق المعبدة شبه معدومة .. والسيارة الصحراوية « اللاندروفر » ، كانت الوسيلة الوحيدة للانتقال عبر كثبان الرمال الناعمة ، والطقوس العالية .. وكان تموين الاهالي والاتصال بهم من اكثر الامور صعوبة .. وفي اول يوليو عام ١٩٧٥ بدا شق واحد من اهم الطرق التي تربط ساحل الاطلسي بالـ .. الشرقي من موريتانيا .. انه طريق نواكشوط ... ، وطوله الف ومائة كيلو متر بدأ العمل في المرحلة الاولى منه ، وطولها ٦٠٠ كيلو متر ... منتصف عام ١٩٧٥ على ان تنتهي بعد مضي ٣ سنوات من بدء العمل .. وتكاليف هذه المرحلة الاولى ١٠٥ ملايين دولار ، ساهمت بدفع جزء منها : العربية السعودية ، والصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية ، والصندوق العربي للانماء الاقتصادي ، وابو ظبي .

... و ٨٥٤ الف شاب اى ٦١٪ من مجموع عدد السكان ، نجد ان مجموع عدد التلاميذ والتلميذات في جميع مراحل التعليم لا يتعدى ٤٧ الف شاب!!

اما عن انخفاض اسلوب ومناهج ومستوى المدرسين ، فقد انعكست نتائج هذا التدهور على نسبة الطلبة الذين يعيدون السنة الدراسية وهي ٣٥,٧٪ وعدد الذين يتسربون من المدارس خلال السنة الدراسية ونصيبهم ١٦,٨٪ .

ان السر وراء ماساة التعليم في موريتانيا انها ترجع في احد اسبابها الى امتناع الاهالي عن ارسال اولادهم الى المدارس أيام الاحتلال الفرنسي لان التعليم كله كان بالفرنسية .. وجاء الاستقلال ولم يكن بالامكان تحقيق التعريب بجرة قلم ، فالمصاعب هائلة . وستظل مشكلة تعريب التعليم هي مشكلة موريتانيا حتى سنوات طويلة مقبلة ، الى ان تحل مشاكل الكتاب المدرسي والمدرسين الاكفاء وتعريب الادارة ..

وهناك جهود كبيرة لا تنكر ، تبذلها حكومة موريتانيا من اجل التعريب ، ولكنها ليست كافية ، كما ان ما تقدمه الدول العربية من معونات ثقافية لا يكفي ابدا لاحداث اى تغيير جذري في اسلوب التعليم ... حتى مدارس « بني عامر » العربية الخالصة ، التي تعتمد على التبرعات في تكملة رسالتها تشكو من ازمات مالية خانقة ..

ان التعليم ، اذا انتشر ، سيغير نظرة الناس الى كثير من الامور والعادات المتوارثة المدمرة .. فالزراعة لن تستمر مهنة حقيرة .. والالعاب الرياضية سيقبل عليها الشباب .. والفخر بالحسب والنسب سيتحول الى الفخر بالعمل .. واسلوب بقاء الاصدقاء ضيوفا لفترات طويلة سينتهي ، ويخف العجز الدائم في ميزانية الاسرة .. والمريض سيعزل في المستشفى لمنع انتشار الاوبئة والامراض !

٤ دنانير الدخل الشهرى للفرد !

ان مجتمع موريتانيا يقاسي ظروفا بالغة العسر ، لانه يجهل شق الارض واخراج الطعام .. والجفاف الذى اصاب البلاد ، تسببت الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والادارية في مضاعفة وطاته ، فالمياه

لعبت موريتانيا دورا كبيرا في التاريخ ، فقد كانت دائما همزة الوصل ، ومنطقة الاحتكاك بين الشمال والجنوب الافريقي .. لهذا نجدها غنية بالاثار التي تعود الى عصور موغلة في القدم تمتد الى عصر النيوليتيك .. وفي متحف نواكشوط اعيدت الاثار الموريتانية التي كانت في مدينة سان لويس بالسنغال .. وبدا تكوين متحف جديد يمثل كل مظاهر الحياة الموريتانية ..

السيدة « عائشة كان » وزيرة حماية الاسرة والشئون الاجتماعية ، ورئيسة المجلس الاعلى للنساء الموريتانيات ..انها كتلة نشاط وحركة من اجل رفع شأن المرأة : « حالة المرأة في بلادنا مثل حالة شقيقاتها العربيات .. كانت كالمتاع .. ونحن نرفض ان نباع أو نشترى .. اننا نريد التعاون والتكامل مع الجنس الاخر .. ولا نريد التساوى . لاننا نرفض التساوى مع كل انواع الرجال ..الرجال الكرماء ..الرجال المتقدمون ، نرحب بالتساوى معهم .. ان قانون الاحوال الشخصية هو املنا في حل مشاكلنا .. وهذا سوف يرى النور قريبا .. »

الجوفية موجودة في جوف الارض تحت الرمال الساخنة التي كان يموت فوقها الانسان والحيوان .. والارض الطيبة موجودة مهملة لا يزرعها احد الا الطبيعة التي تنبت الاشجار في هدوء وبطء في غفلة عن الانسان والزمان !

ونتيجة لتراكم كل هذه العوامل انخفض متوسط دخل الفرد في موريتانيا الى نحو ١٨٠ دولار سنويا .. اى نحو اربعة دنانير شهريا يعيش بها الانسان طوال الشهر !! والسبب هو نقص التعليم .

الانسان هو مشكلتنا الاولى

وننقل انطباعنا الى وزير الدولة للتوجيه الوطنى الاستاذ عبدالله ابن بيه ، فيؤكدها قائلا : « مشكلة موريتانيا الاولى هى الانسان .. ومن اجل هذا رفعنا شعار تغيير العقليات .. اننا نطالب ابن البلد بالرجوع الى منابع الدين، ونبذ التقاليد المدسوسة علينا .. اننا نطالبه بالعمل دون اعتبار للحسب او النسب ، الذى يعتقد البعض بانه يعطيهم الحق في عدم العمل ..

« والحمد لله ان الكثير من العادات بدأ يتغير ويتبدل ، وقد ساعدت سنوات الجفاف على قلع جذور تقليدية راسخة كان من الصعب تغييرها في مجتمعنا الاسلامى الصميم ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ..

« ان التاريخ والثقافة والحدود المشتركة اعطت مجتمعنا طابعا عربيا افريقيا ، فاصبحت موريتانيا همزة الوصل او الجسر الذى يربط بين افريقيا البيضاء والسوداء .. »

بوابة موريتانيا ..

وحتى نتعرف على الوجه الاخر للمجتمع الموريتانى اتجهنا جنوبا .. الى مدينة روصو ، آخر مدننا العربية في اقصى الجنوب الغربى من الوطن العربى .. انها تقبع بهدوء على نهر السنغال .. منازلها ذات الطابق الواحد تختلط بالاكواخ ومدن الصفيح، انها مدينة ليس لها اى طابع هندسى او معمارى.. وروصو هى البوابة الجنوبية لموريتانيا يمر منها الانسان والتجارة والبضائع القادمة من السنغال.. يكفى عبور النهر لينتقل المرء من بلد الى بلد،ولا يحتاج المواطنون في كلا البلدين الى تأشيرة دخول او خروج ..

الوجه السياحى الموريتانى بدأ انطلاقته الكبيرة ..انه يحظى برعاية كبيرة من الدولة ..الفنادق تفتح في كل المدن بالرغم من مشاكل البعد العاملة .. وهذا هو فندق الصباح الحديث في نواكشوط : تمويله كويتى .. ادارته هندية.. مبانيه كندية جاهزة .. صيانته لبنانية .. نزلاؤه فرنسيون في الغالب !!!

على امتداد نهر السنغال
تقوم التجمعات السكانية
الصغيرة البدائية ..اهلها
يصطادون السمك النهري
اللذيذ يطبخونه مع المرق
والبامية والقرع .. انهم
يصطادون ما يكفي استهلاك
اسرهم فقط .. واذا حدث
فيهم النشاط فانهم يبيعون
فائض صيدهم في اسواق
« روصو » لعدم وجود غرف
مبردة .. والى اسفل
« القوارب العاكسي » التي
تنقل الاهالي بين الضفتين
الموريتانية والسنغالية ..

هذه الخضروات الجمبو العملاقة تثبت ان ارض موريتانيا المطلة على نهر السنغال ، هى ارض طيبة يمكن ان تغل محصولات ذهبية ، ولكن الذى يحدث ان خضروات موريتانيا تأتيها بالطائرات والسيارات من وراء الحدود فتصبح اسعارها فاحشة ·· والصورة اليسرى لسيارة الطماطم القادمة من السنغال ·· وقد تألمنا عندما قالوا لنا: « الفلاح الموريتاني ورث خبرة قرون كثيرة مضت ·· » قد يكون هذا صحيحا ، ولكنه بقى يزاول الزراعة على نفس الأسلوب · اسلوب الأجداد ·· لم يطور هذا الأرث أو يزيد عليه ·· روث البهائم ما زال سماده، والمنكش الصغير محراثه ، لم يسمع بالأسمدة الكيماوية ولا بالات الحرث والبذر ·· كان الله فى عون المشاريع الزراعية الطموحة التى يجرى التخطيط لها فى موريتانيا !

النهر الغريب !

وبهر السنغال نهر غريب الاطوار .. انه نهر رشاب اخو يد الذى تتقاسمه مع السنغال ومالى، وهو فى الوقت نفسه الحدود الطبيعية والسياسية بين موريتانيا والسنغال ..

وقفنا على شاطىء النهر فخلناه النيل فى غزارة مياهه التى تندفع نحو المحيط الاطلسى لتضيع فى سرعة بمعدل ١٠ الاف متر مكعب فى الثانية خلال شهرى اغسطس وسبتمبر.ولكن هذا الزخم سرعان ما ينخفض الى ٣ امتار مكعبة فى الثانية خلال شهر مايو ، مما يسمح للناس بعبور مجرى النهر الكبير على الاقدام فى منطقة كيهيدى . !!

لماذا تعطش مدن النهر ؟

ويحدثنا وزير المصادر المائية محمد بن اعمر عن هذا النهر العجيب فيقول : « .. وليت المسألة متوقفة على فيضان وجفاف ، ولكن الذى يحدث انه فى شهور جفاف النهر تندفع مياه المحيط الاطلسى المالحة الى داخل مجرى النهر ، لمسافة ٧٠ كيلو مترا تقريبا فتحوله الى نهر مالح تماما ! .

وقد حتم هذا الوضع على اهالى مدن النهر ضرورة تخزين المياه العذبة لمدة شهرين على الاقل لاستعمالها فى الاغراض المنزلية !!

ولن يتم التغلب على هذا الوضع الا بعد بناء سدين كبيرين على مجرى النهر واحد فى منطقة منتالى بجمهورية مالى لتخزين مياه الامطار .. والثانى على مسافة ٣٠ كيلو مترا من المصب ، ليمنع تدفق مياه المحيط المالحة الى مجرى النهر ..

وقد استطعنا تدبير التمويل اللازم للسد الاول، اما تمويل السد الثانى فما زال عقبة .

وعندما ينتهى العمل فى هذين السدين ستحصل موريتانيا على قوة كهربائية مقدارها ٨٠٠كيلووات ساعة ، وسيوفران لنا مياها منتظمة على مدار ايام السنة بمعدل ٣٠٠ متر مكعب فى الثانية .. وسوف نتمكن من استصلاح اكثر من نصف مليون هكتار من الارض الطيبة .. »

هذه الصورة توضح مدى صعوبة الاستفادة من مياه نهر السنغال الغريب الاطوار ! انها المضخات التى تسحب ٦٠٠ لتر فى الثانية ، لتروى مزارع الارز فى المشروع الصينى بمزرعة روربيه .. ولكن عندما تشح مياه النهر تتوقف المضخات عن العمل ويعطش الناس والزرع .. ولا علاج لهذا الوضع الا باقامة سدين كبيرين على مجرى النهر ..

ان الارض الطيبة المطلة على النهر يمكن ان تحقق معجزاتزراعية اذا توافرتلها العناية اللازمة ..اما اليوم فان الاهالى يزرعون الارض بعد ان تنحسر عنها مياه الفيضان !

٧ طن ارز فى الهكتار !

ويقوم الخبراء الصينيون منذ عشر سنوات بعمليات استصلاح بطيئة فى منطقة روصو يتم خلالها استصلاح نحو ٨٠ هكتارا من الارض سنويا .. وذهبنا الى هذه المزرعة النموذجية فوجدنا شجيرات الارز الاخضر تغطى الارض بلونها الزاهى الجميل على امتداد البصر . ان هذه المنطقة هى الموطن المثالى لزراعة الارز والخضروات .. فالهكتار الواحد من الارض (اى ١٠ الاف متر مربع) يعطى سبعة اطنان من الارز ، وهى كمية تفوق ما تغله اخصب الاراضى فى العالم . اما الطماطم فتعطى ذهبا ،اى ٤٠ طنا فى الهكتار الواحد .. وكذلك الحال مع البطاطس والجزر والبنجر والبامية والباذنجان والبقدونس ، كل منها يعطى محصولا خياليا .. انها ارضنا الطيبة ..

اكتفاء عائلى !

هذا ما تغله الارض المستصلحة .. وتجولنا فى بعض المزارع العادية فهالنا اننا لم نعثر على

موريتاني واحد من اصل عربي ، يعمل في الزراعة .. انها عمل يدوي لا يرغبون فيه . لهذا تركوها لابناء موريتانيا المنحدرين من اصول غير عربية ، والذين يتحدثون بلكنات الولاف والتوكلور والتكروري ...ان انتاجهم الزراعي هزيل لان الواحد منهم ليس فلاحا عريقا ، وزراعته تهدف الى تحقيق الاكتفاء له ولعائلته فقط ، مع جهله بكل متطلبات الزراعة الحديثة من سماد كيماوي ودورات زراعية .. والزراعة ليست مهنته الوحيدة فقد رأيناه يعمل صيادا وراعيا ، الى جانب الزراعة .

امي زنجية وابي عربي

وعندما سألنا حاكم مدينة روصو والمنطقة السادسة السيد « اداه بنو سيدي هيبة » عن مجتمع روصو، اجابنا « انتم في بلد اختارته الطبيعة ليكون نقطة امتزاج بين العرب وافريقيا .. وانا امثل الاثنين: امي زنجية ، وابي عربي ..ومثلي بعشرات الالوف يعدون .. اننا مواطنون موريتانيون .. كلنا مسلمون ونتكلم العربية لغة القرآن .. والامتزاج امتد الى مختلف مظاهر حياتنا اليومية ، حتى فنوننا وموسيقانا واحاديثنا ولكناتنا ، كلها متأثرة بالطابع العربي الافريقي ..

« لقد شق الاستعمار اخدودا عميقا بين العرب وافريقيا ، وقال انهما عالمان ، وانا اقول انهما مكملان لبعضهما البعض .. ان امكانات العرب المادية ، وامكانات افريقيا الطبيعية ، لو تضافرت سويا لحولت العالم الثالث من عالم البقشيش -كما يسموننا - الى عالم الرخاء والازدهار .. لهذا اعتقد انهم عندهم حق في التفرقة بيننا لانهم يخافوننا .. »

روصو .. هل تموت ؟

قلنا للحاكم الصريح : « تشتهر موريتانيا بان مدنها تموت عندما تتحول عنها طرق القوافل .. وادان ماتت في الشمال .. ولاته ماتت في الشرق .. ويقولون ان الدور قادم على مدينة روصو بعد ان بدأ العمل في طريق الالف كيلو متر الموصل بين نواكشوط ونعمه مباشرة دون المرور بروصو ؟

واعتدل حاكم روصو في جلسته وقال « لا اعتقد ان روصو ستندثر مثل غيرها من المدن .. حقيقة ان الطريق الى « نعمه » سيتحول من عندنا ، ولكن روصو ستبقى روصو المزدهرة النشطة، لانها نقطة الوصل بين داكار وموريتانيا ..والمبادلات بينهما في ازدهار متزايد ، وفي العام الماضي صدرنا الى السنغال ١٥ الف طن من الجبس مرت كلها من عندنا لاول مرة ، وسوف تتضاعف هذه الكمية في السنوات القادمة .

« والمشاريع الكبيرة المقترحة من مصنع للنسيج الى مصنع لتعليب اللحم ،الى استغلال الفوسفات والفحم ،فضلا عن تحويل المنطقة لتصبح منطقة زراعية مصدرة .. كل هذا يجعلني اؤكد لكم ان مركز روصو سيزداد اهمية مع الايام .. قد تخسر من جهة ، ولكن مكاسبها ستتضاعف من جهات اخرى .. »

الحليب من جزر الكناري !

والمؤلم في مشاكل موريتانيا هو انها في الوقت الذي كانت تشكو فيه جفافا وقحطا كانت مياه نهرها تذهب هباء في المحيط !

ان بلاد الخيرات تستورد كل شيء من الخارج .. الطماطم من السنغال ، والحليب من جزر الكناري، والزيتون من اليونان ،والسردين من فرنسا ،بالرغم من ان بحار موريتانيا تعتبر من اغنى بحار العالم بالثروة السمكية !!.

ومشاريع التنمية في موريتانيا تحاول الانطلاق بالبلاد نحو آفاق جديدة ، ولكن نقص الكوادر ، والتمويل المنخفض المختصر من الحكومة ، يجعل اللجوء الى القروض الخارجية امرا ضروريا .. ومن هنا تأخرت خطة التنمية الرباعية الاخيرة التي لم ينفذ منها الا ٦ر٥٨٪ من مشاريعها ..

حديد ونحاس ويورانيوم

والاقتصاد الموريتاني ينقسم الى قسمين قطاع حديث نشط يشمل الصناعات الحديثة المختلفة ومنها المنجمية ، وهذا القطاع يساهم بنسبة ٧٥٪ من الناتج المحلي الاجمالي الذي يعادل ما قيمته ٣٤٦ مليون دولار امريكي .. اما القطاع الثاني فهو القطاع الريفي ويساهم بنسبة ٢٥٪ فقط من الناتج الاجمالي ..

تعالوا نقترب اكثر

واخيرا ان الحكم على موريتانيا لن يكون صحيحا ابدا ، الا اذا استوعبنا جميع جوانب مشاكلها التي

اليه الى تطوير ورفع مستوى علاقاتنا وتبادلنا مع هذين العالمين المتكاملين • واشير هنا الى اننا ما فتئنا ولن نبرح نواصل العمل جاهدين من اجل تحقيق هذه السياسة ان شاء الله •

وهكذا فاننا نرحب فى هذا المجال بالاستثمارات العربية التى يمكن توجيهها فى معظم ميادين الاقتصاد وبالاخص فى ميادين الصناعة والبحث المنجمى والتجارة والاصلاحات الزراعية والرعوية والتجهيزات • وقد نشرنا مؤخرا قانون استثمارات يعطيها كل الضمانات الضرورية •

وتجدر الاشارة فى هذا الصدد الى ان بلادنا قد انضمت الى الاتفاقية القاضية بانشاء المؤسسة العربية لضمان الاستثمارات والى الاتفاقية المتعلقة باستثمار رؤوس الاموال العربية وتداولها داخل الدول العربية والاتفاقية المتعلقة بتسوية النزاعات التى قد تحدث فى مجال الاستثمارات بين الدول المستفيدة من الاستثمارات العربية ورعايا الدول العربية الاخرى وذلك بالاضافة الى كافة المؤسسات العربية المتخصصة فى ميدان الاستثمارات •

● الزراعة والاصلاح الزراعى هل يمكن تطبيقه ؟

ـ تحتل الزراعة مكانة مرموقة فى اقتصادنا الوطنى • وتوجد على وجهه الخصوص فى جنوب البلاد بمحاذاة نهر السنغال • وفيما يخص هذا القطاع من النشاطات الوطنية تجدر الاشارة الى اننا اسسنا مؤخرا شركة مكلفة بتطبيق برامج هامة تتعلق باستصلاح وتطوير التنمية الزراعية ، وهى الشركة الوطنية للتنمية الريفية • ونشير فى هذا المجال الى ان الاصلاح الزراعى الذى يوجد قيد الدراسة والذى ننوى تطبيقه فى القريب ياخذ منابعه من تعاليم الشريعة الاسلامية فيما يخص الملكية العقارية وياخذ بعين الاعتبار المبدأ القائل بان الارض لمن احياها •

● متى يستفيد البدو الرحل ؟

ـ تدخل هذه المسالة فى اطار الدراسات المسندة للشركة الوطنية للتنمية الريفية وهى الدراسات التى يجرى انجازها فى الوقت الراهن•

● متى يبدأ استغلال الثروات المعدنية فى الصحراء الغربية •• وهل العقبات مادية ، ام سياسية •• ام سكانية •• ؟

ـ لم يتم العثور على ثروات معدنية فى الجزء الموريتانى من الصحراء الاسبانية سابقا ومن ثم لا يمكن الحديث عن استغلالها •

● ما هى احتمالات تصنيع الحديد على نطاق واسع ، بدلا من تصديره خاما ؟

ـ فى هذا المجال لدينا مشروع انشاء صناعة مدمجة للحديد تم اسناد دراستها وتنفيذها الى الشركة العربية للصناعة الحديدية « ساميا» وهى فرع من الشركة الوطنية للصناعة والمناجم « سنيم » •

ان فكرة انشاء شركة موريتانية كويتية فى مجال الصناعة الحديدية قد برزت نتيجة لتزايد نمو وازدهار العلاقات الاخوية القائمة بين الدولتين الشقيقتين وهى العلاقات التى تشكل مثلا حيا للتعاون والتكامل الاقتصادى العربى•

لقد تم الاتفاق على انشاء هذه الشركة الموريتانية الكويتية للصناعات الحديدية بموجب بروتوكول تعاون اقتصادى تمت المصادقة عليه فى الـ ٢١ يوليو سنة ١٩٧٤ فى الكويت بين شركة سنيم والشركة الكويتية للتجارة والمقاولات والاستثمارات الخارجية ،وقد حدد راس مال شركة ساميا بعشرين مليون دولار امريكى اكتتبت الشركة الوطنية للصناعة والمناجم ب ٥٠٪ منه • وستتم زيادة راس المال هذا فور ان تبدا الشركة مرحلة تنفيذ مشاريعها •

وقد تم بالاضافة الى هذا المشروع للصناعة المدمجة اسناد مشروع انشاء مصفاة للنحاس الى الشركة الموريتانية الكويتية للصناعات الحديدية•

■■

في شهر الحسم

بكل بيت ...

محنة.. أم امتحان؟!

بقلم : الدكتور يحيى الرخاوى

استاذ الطب النفسى - كلية الطب جامعة القاهرة.

نحن نعيش فى محنة وجـودحقيقية .. ونواجـه بين العين والعين محطات امتحان متفرقةومتنوعة .. ونحن نهتم بالاخيرة اضـعاف مـا نعي الاولى ..ـ وهذا بديهى ـ ولكنه خطـر اى خطر لسببين : الاول : انهماقضيتان مرتبطتان اشد الارتباط واوثقه مهما حاولنا التعـامى والهرب . والثانى : انه حتى لو خفى هذا الارتباط الاعمـق.. او تقطعت اوصاله لأصبح نجاحنا فى الامتحان العابر عبثاعلى محنة الوجود .. التى هى الامتحان الاكبر .

■ ورحلة الحياة ـ للانسـان الفرد ـ رحلة موقوتـة لها بداية ولها نهايـة ، والانسان يمـر بينهما فى امتحان متصل ، ياخذ احيانا شـكل الاختبارات التحصيلية اثناء الدراسة .. وياخـذ احيانا اخرى شكل المأزق والتحدى فى امور المعيشة جميعا .. واذا كان لنا ان نعرض راينا بشـان الامتحان الخاص بالدراسة الذى يهم ابناءنا هذه الايام ، فان علينا بادئ ذى بدء ان نضعه فى مكانه الصحيح بالنسبة لامتحان الحياة برمتها .

وامتحان الحياة يواجه الفـرد ، كما يواجـه الشعوب ، بل انه قبل ذلك وبعد ذلك يواجـه التحدى البيولوجى الحيوى النفسى امـام الجنس

... البقاء والتطور ..

وفي خبرتي في مواجهة مشاكل هذه الامتحانات العابرة استطعت ان امسك الخيط الذي يربط بين المستويات المختلفة لاختبارات الحياة.. فوجدت ان الاعراض والمضاعفات تزيد وتتضخم بالقدر الذي تنفصل فيه هذه المستويات عن بعضها ،وانها تقل وتتضاءل بمدى الوعي والترابط بينها ..

ولنبدأ من هنا في ترتيبهذه المستويات باعتبار شمولها واهميتها .

اولا : « الجنس البشري » .. واختبار البقاء

ليس جديدا ـ ولا ينبغي ان يكون كذلك ـ ان نعرف أن انسان العصر العاصر يواجه تحديا حقيقيا يهدده بالانقراض اذا هو لم ينجح في امتحان البقاء ، ذلك ان الانسان عبر تاريخ تطوره المستمر حتى وقف على قمة الهرم الحيوي قد نما لديه عضو لعين نموا هائلا ومجيدا .. ذلك هو « المخ البشري » شديد الروعة شديد التعقيد ، وقد اكتسب بفضله بوجه خاص مزايا متعددة على سائر انواع الموجودات (المعروفة) .. ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ قدرته على استعمال الرمز، وقدرته على التجريد ، وقدراته الابداعية ، وقدرته على الاحتفاظ ـ واعيا ـ بالامس ، والتخطيط ـ واعيا ـ للغد .. الخ وهو انما اكتسب هذه الصفات كضرورة يحافظ بها على بقائه ويتميز بها عن سائر المعروف من المخلوقات انسانا متفوقا يستطيع ان يسخر الطبيعة ويتناغم معها في نفس الوقت ..

واذا قلبنا بعض صفحات العلم لنطالع بعض المعلومات الجزئية العالية التي تعتبر نذيرا خطيرا في محنة وجودنا .. لوجدنا مؤشرات مرعبة .. تبرر الالم .. (ولا تبرر اليأس على كل حال) ومن ذلك :

(١) ان المخ البشري ـ فخر الانسان ـ عند معظم الناس لا يعمل باكثر من ١٠ ٪ من كفاءته (وتختلف هذه النسبة زيادة ونقصا باختلاف مصادر هذه الرؤية) .

(٢) ان الوعي البشري ـ الامانة التي حملها الانسان ـ عند اغلب الناس ، لا يتخطى المرحلة ... يسمى ان « حالة اليقظة » العالية للانسان العادي ليست سوى تنويما جماعيا وانه يليها ـ صعودا ـ ثلاث مراحل (او اربعا في اقوال اخرى) وان هذه المراحل التالية المغفلة هي التي تعمق الوجود البشري وتطلق قدراته نحو آفاق بلا نهاية .

(٣) ان طغيان الجزء الحاسب المنطقي من المخ (النصف الكروي الطاغي للمخ في احدث الآراء الفسيولوجية)على الجزء الجمالي الاجمالي التشكيلي من المخ(النصفالكروىالمتنحى)هو طغيان يقرب الانسان من الالة عظيمة الكفاءة ، ويبعده عن التكامل البشري عميق الوعي .

هذه مجرد امثلة للتحديات التي يواجهنا بها بعض حقائق العلم المتاحة ...

ويمكن صياغة تحدى البقاء المطروح علىالانسان المعاصر على الوجه التالي :

« اذا استمر الطغيان التكنولوجي يسبق الوعي البشري بهذه الخطوات المتزايدة دون محاولة ثورية للحاق بهذا الغول المتمرد ثم السيطرة عليه لصالح التكامل ..

واذا استمر الانشقاق بين ما يتصور البعض انه علم نهائي ، وما يتصور الآخرون انه خرافة غيبية دون محاولة تاليف ـ مؤلم ـ بينهما يوفق بينعمل نصفي المخ في جماع جديد .

واذا استمر الاغتراب يفصل بين الكلمةومعناها، بين الانسان والطبيعة ، بين التاريخ الفردي والشمول الكوني ، بين الفن الفرح او المتألم وبين الواقع اليومي العاجز الفارغ من فحواه ..

اذا استمر كل ذلك كذلك ـ وبنفس الاسلوب السادي ـ سقط الانسان لا محالة في اعظمامتحان يتحدى بقاءه اليوم ، وانتهى جسما غريبا في الكون لا يتناغم مع هزاته المتآلفة ، ولا يدور مع دوراته ولا يثريه ويثرى منه .. فلا يلبث الكون ان يلفظه نيزكا ساقطا لا معنى له .. مصيره الارتطام كتلة باردة من الظلام الميت .. ولعله الان يهيىء لنفسه مقومات هذا الارتطام بما يواصل من اختراع لوسائل التدمير المرعبة . »

اما احتمال النجاح في هذا الامتحان الاساسي .. فهو يحتاج الى ثورة شاملة ، كانت النبوات العظيمة والفلسفات الثائرة بعض مؤشراتها ،

ولكن الله سبحانه قد انهى على لسان نبينا محمد صلواته عليه هذه القصة باعلان ختم النبوات ، كما ان الفلسفات الثائرة حين تعجلت فى التطبيق السطحى اعلنت فشل تصنيع الانسان بمواصفات طوبائية من الخارج .. وهكذا بقينا الآن نواجه فردا فردا هذا التحدى البقائى العاسم :

وعندى – وليس هنا مجال التفصيل المستطرد – ان الامراض النفسية وخاصة الجنون ليست الا مضاعفات هذه المواجهة المرعبة ، ولا حل لذلك الا يقظة وثورة ليس نتاجها دين جديد .. وانما نتاجها ملايين الانبيـــاء من الناس العاديين .. يبداون مسيرة التطور وتعميق الوعى ولا يتوقفون ابدا .. ويتزايدون دائما !! وكل ما نفعـله فى حياتنا الايجابية هو اتاحة الفرصة لظهور ونجاح تلك الثورة الشاملة وذلك بقتل الخوف واعـــلاء العدل حتى نجرؤ على ان ينمو شعور عالى بهذا التهديد بالانقراض .

ثانيا : التحدى الحضـــارى وامتحان الامة العربية المعاصر

فاذا انتقلنا من هذا الامتحان الشـامل الذى يخوضه النوع البشرى الى بعض صوره التنوعية المفصلة .. واجهنا مباشرة امتحانا حضاريا يمر به كل شعب بطريقته الخاصة وحسب الظـروف التى تحدد موقعه على خريطة الدنيا ودوره على مسار التاريخ ، وهو امتحان لا يحتمل التاجيل لاى عذر سخيف (حتى ولو كان شهادة مرضية لهزيمة او تخلف) لان خريطة العـــالم تتغير بسرعة .. ولان امجاد التاريخ وحدها – ان وجدت – لا تبرر البقاء ، ويصدق هذا بخاصة على الامة العربية ، فلها مكانها على الخريطة ودورها التاريخى .. واى تاجيل بالنسبة لها وراءه – على حد تقديرى – مضاعفات قد تصل الى الهـــلاك فعلا ، فاذا كان البترول والموقع الجغرافى هما اللذان افسحا لنا مجالا على الخريطة .. وكانت امجاد التاريخ هى التى تبعث النبض فى عروقنا احيـــانا .. فان البترول لا شك سـينضب يوما .. والتـــاريخ ستعاد كتابته ، ولا يبقى الا قيمة الانســـان بما فعل فى هذه الفترة التى اتيحت له فيها فرصة القفزة الثورية ، فاذا نحن نجحنا فى هذا الامتحان الملح فى ان نصنع باموالنا .. ومن وحى تاريخنا انسان الغد ، واذا ايقنا بلا ادنى شك ان شيئا فى الوجود لا يبقى الا الكائن الحى القادر على تحدى الانقراض ومواصلة التطور ، اذا كان ذلك محتملا ، فهو الاستعداد المطمئن للنجـــاح الذى يتطلب حركة ثورية مستمرة حيث نسـتفيد من عقيدتنا دون ان نسجن فيها ، ونتمسك بتاريخنا دون ان يجذبنـا الى وراء ، ونثـور اذ نستشار بالتحديات الراهنة ، ولست ارى فرصة اكبر من هذا التحـدى الذى تمثله اسرائيل ، الخنجـر العنصرى المغروس فى صدورنا ، اذ لا يكفى ان ننتزعه او ان تكون هذه هى مشكلتنا ، بل ينبغى ان نعرف كيف دخل ولماذا .. ونستفيد من كل هذا باقصى طاقاتنا .. حين نتحدى وجوده هكذا بهذه الصلابة الغبية والعناد الاعمى ... هذه فرصتنا – كما اتصور – التفوق والثورة والاستمرار ، وهذا هو الامتحان الحضارى فى لحظتنا الراهنة.

ولن يغنينا فيه نجاح فى حرب عسكرية فحسب، او ازدهار فى تنمية اقتصادية وكفى .. (وان كانت هذه بدايات لا غنى عنها) ...ما لم نستثمر هذا وذاك بالحاح وبشكل مباشر فى تنمية الانسان العربى بالمعنى الذى اشرت اليه سابقا ..

ومهما قيل ان التهديد الاول شامل لكل النوع البشرى ، فان الوقت الحـــاضر وتحديات الواقع تجعل الانسان فى مرحلة تطـــور اقل من احتمال تحالف جميع افراده لقضية واحـدة عامة .. ولا يمكن ان نتخطى هذه الخطوة تحت اوهام الشمولية والانسانية العالمية.. والا كنا نهرب من مسئوليتنا ومواجهة مصيرنا بادعاءات طوبائية معجزة.. ما دامت غير قادرة على أن تترجم الى انتصار نوعى محدد بالزمان والمكان والاشخاص ، وبالتالى فان الامتحان الحضارى التنافسى مع العدو الاسرائيلى لا يلغيه ذوبان فى الامتحان البشرى الشـامل بل ان الاخير يحفزنا للنجاح فيه .. لاننا اصحاب القضية الاصلية فى هذا الصراع – [illegible] ينبغى ان نكون كذلك – فالتميز [illegible] اعداد اكبر و[illegible] الى التفوق والتكامل [illegible] تمييز البشرى كطريق مفتوح لكل [illegible] ينبغى ان نكون)وبما ان هذه المجموعة العسكرية العنصرية بتاريخها وطبيعة تكوينها ضد فتـــح باب التطـــور البشرى على مصراعيه ، فاننا لا بد ان ننتصر عليها لصالحنا وصالح البشر عامة .

ثالثا : النجاح الفـــردى وموقعه من القضايا السابقة

بديهى ان كل ما ذكرت من تحديات وامتحانات لا بد وان يترجم الى فعــل فردى يومــى ، وان يختبر باختبارات الواقع فى « الهنا » و « الآن » والا فان خدعة كبرى تستدرجنا الى عبث لفظى يلهينا عن مسئوليتنا الفردية ، فالافراد هم لبنات بناء الشعب ، ومجموع قدرات الشعوب هى الطاقة الحيوية لمسيرة الانسان .

ومهما كانت رؤية الفرد ضيقة وآماله محدودة فى اللحظة الراهنة ، فان نجاحه الفردى والجزئى والمؤقت هو جزء لا يتجزأ من هذه المسيرة الشاملة لو اخذ موقعه الحقيقى وتاكدت اتصالاتــه ، فكان الفرد فى تاريخه القصيـــر يمر بمرحلتين ، او بامتحانين اساسيين يلى بعضهما بعضا .

الاول : ان يحقق نجاحا بالمعنى العـــادى فى الشهادات والعمل والكسب والبيت .. الخ

والثانى : ان ينجح فى ان يستثمر هذا النجاح بما يرتقى به هو ومجتمعه .. ويمتد الى صالح جنسه .. ليندعم بقاء نوعه وتطوره كما ذكرنا .

ونحن فى بيوتنا ، ونظم تربيتنا ، وموقفنا من الحياة نبالغ فى الاهتمــــام بالنـــوع الاول حتى نستبعد تماما النوع الثانى .. وان كنا بين الحين والحين نتكلم فيه لتمضية الوقت او للسخرية او التحسر دون رؤية الارتباط الوثيق بين الاثنين .

ومن خلال خبرتى فى الممارسة الاكلينيكيةوجدت ان اغلب الاعراض والمضاعفات التى تظهر بسبب الامتحانات او تتعلق بها انما تنشا من هذا الفصل الحاد بين هذين البعدين ، ومظاهر الفشل والخوف والرفض بما يشمله ذلك من التقليل من اهمية هذه الامتحانات العادية والانسحاب منها : قبلها او اثناءها ... كل هذا هو اللغة التى يـريـد ابناؤنا ان يحتجوا بها على هذا الانشقاق المخزى الذى نعيشــه .. ، ويظهـر هذا جليا بالنسبـة للشبان والشابات الـذين سبق لهم التفوق .. ولكـن هـذا التفوق عجز عن ان يثرى وجودهـم الاعمق . كما تشتد هذه الاعراض قرب الامتحانات الفاصلة (مفترق الطرق) والنهائية ..

واكرر ان كل هذا ليس الا احتجاجا صارخا ، ولـو احسنا ترجمة الاعراض لسمعنا من يقول :

« اذا كان هذا هو كل ما تريدونه منى..ولى،
اذا كان هذا النجاح هو«انا»بلا زيادة اونقصان
اذا كـان نوع وجودكـم هذا هو المثال الـذى تقدمونه لى
وتغروننى بالنجاح من اجله ...
فلا .. والف لا ... »

واحيانا اتعمق مع مثل هذا الشاب (او الفتاة) اكثر فاكثر فاكـاد اسمعـه يقول « لقـد كشفت لعبتكم الغبيــة .. ولــن العبها .. علىّ وعلى اعدائى » وتظهر الاعراض .

- وتزيد هذه المشكلة وضوحا (تزيد الاعراض ظهورا بالتالى) فى البلاد التى تقل فيها فرص كسب العيش .. بحيث تصبح القضيــة الاولــى (وربما الاخيرة) فعلا هى مجرد الحفاظ على البقاء الحيوى .. وبالتالى تزداد درجة عدم الامان فى المجتمع عامة .. وتختفى النظرة الشموليـة الى التحديات الابعـد ويصبح الابناء فى مثـل هـذا المجتمـع هـم مجرد ادوات استثمار .. لتعويض الحرمان عند الاهل وتامينهـم هـم من الحرمـان مستقبلا .. وهنا يتفاقم الرفض فى داخل الابناء وتحتد الاعراض . كما تزيد ايضا فى المجتمعات التى ترتبط فيهـا ، فرص اكل العيش ودرجـة الرفاهية بالحصول على مؤهلات خاصة تزيد عدد الحروف بجوار الاسم .

- واخيرا فانها تزيد فى المجتمعات التنافسيـة الفردية التى تلزم فيها هـذه الحروف والمكاسب لتحديد الطبقة الاجتماعية (والاقتصادية) التى يندرج تحتها صاحب هذه المؤهلات .

وكل هذه المواقف متواترة ومنتشرة تماما فـى مجتمعاتنا العربية ، وان تميز كل مجتمع بناحية منها اكثر من الاخرى .

الامتحانات الراهنة

فاذا اضفنا الى ما سبق ان نظم الامتحانـات الراهنة بها من القصور والمآخذ ما يجعل الامتحان خبرة مؤلمة ومخلة لامكن ان نفهم اسباب تضاعف دوافع الرفض ومظاهر الهرب ، وكامثلة لهـــذه المآخذ الشائعة ان هذه الامتحانات انما تقيس قدرة

الطالب فى موقف موقوت ، وانها مجرد عينة ليست بالضرورة ممثلة لبقية السلوك ، ثم انها تحصيلية وليست قياسا للقدرات (وخاصة الابداعية منها) كما ان طرق التصحيح ليست فوق مستوى الشبهات، فهى ليست مقننة تقنينا يعتمد عليه ، كما ان العوامل الانفعالية والشخصية (الشعورية واللاشعورية) تتدخل فى الاختبارات الشفهية بلا ضابط واضح .

وقد قامت محاولات عديدة لاصلاح بعض هذه المآخذ سواء فى شكل الامتحان او فى طريقة التقييم ومن ذلك ادخال نظام الاختبار المتعدد من بين احتمالات مطروحة ، وادخال اختبارات القدرات مع الاختبارات التحصيلية جنبا الى جنب وتعدد المختبرين .. الخ .. الا ان هذه التعديلات زادت فى ميكنة التقييم كما ثارت شكوك متزايدة حول قيمة اختبارات القدرات .

هذا فضلا عما تحتاجه هذه التعديلات الى وقت وامكانيات ليست متاحة فى كثير من الدول النامية حيث اعداد طالبى العلم هائلة بالنسبة الى القائمين على مهمة الامتحان والتقييم .

تجارب ثورية جديدة

ونظرا لهذه المصاعب جميعا قامت بعض المدارس التجريبية بالغاء الامتحان اصلا والاعتماد على التدريب المكثف والتقييم المستمر واتاحة الفرص لاصلاح القصور والتقصير اولا باول بحيث يصبح مجرد انقضاء فترة معينة فى معهد بذاته كافى للحصول على الخبرة والمعلومات التى تضع الدارس فى الموضع المراد له .. كما الغت هذه المدارس التجريبية فكرة التنافس اصلا .. وان كانت هذه التجارب قد نجحت على حد زعم القائمين عليها ـ فانها اولا : ما زالت محدودة تماما وتحتاج الى جهد مضاعف وهيئة تدريس من نوعية جديدة .. وهذا امر ليس متاحا حاليا اذا اريد تعميمها وثانيا : انها تخرج انماطا من الناس ذوى صفات مميزة .. ولكنها خاصة اشد الخصوصية ، حتى ينبغى ان نتريث كثيرا قبل أن نحكم لها او عليها الا من خلال اختبارات الحياة اليومية والاحتكاك بالواقع .. ومقاييس التفاعل والفاعلية مع الناس وللناس .. وتتبع كل ذلك لمدد طويلة .

وخلاصة القول ان هذا الحل المثالى التجريبى يحتاج الى تأن ودراسة وحكمة قبل المسارعة فى النداء بتعميمه (وخاصة فى ظروفنا نحن حاليا) كما يحتاج الى متابعة وامانة فى تقييم النتائج على المدى الطويل قبل الحماس له .. او حتى العلم به كمنفذ حقيقى فعلا .

بداية ام نهاية ؟

على انه مهما قيل عن نظام الامتحانات الحالى، ومهما عددنا قصوره ومآخذه ، ومهما دار الجدل حول البدائل المطروحة ، فاننا لا بد ان نعترف بان الامتحانات ـ حتى فى صورتها هذه ـ ضرورة واقعية فى مرحلة تطورنا الحالى .. ، وفى رايى ان التوقف عند مآخذها والمبالغة فى تصوير عيوبها هو جزء من تبرير هروبنا من مواجهة اصل المشكلة الاعمق ، فالفشل الذى يحوط بها ـ فى رايى ـ ليس فى طريقتها ولا فى طبيعتها بقدر ما هو فيما نحمله لها من قيمة اكبر من قدرها ، ففى كثير من الاحيان يعتبرها اغلب الناس نهاية ما .. او النهاية فعلا ، فى حين انها فى جوهرها دائما بداية متجددة .. فنحن نسمع دائما امتحان (نهاية العام) و (نهاية المرحلة) و (نهاية الدراسة) .. ويخيل للسامع العابر ان هذا يتضمن تلقائيا انها نهاية بعدها بداية ، الا ان واقع الحال وحقيقة مشاعر الممتحنين ومن حولهم ـ كما تظهر بالذات فى خبرة المعالجة الاكلينيكية ـ تثبت انها تمثل عند الغالبية نهاية .. فحسب ، لانه باجتيازها [illegible] النشاط العقلى نهائيا .. ذلك النشاط الذى كبل الطالب طوال سنى الدراسة ومع ذلك حافظ على حيويته ، ويا ليت هذا التوقف يعنى بداية النشاط العقلى الحر .. بل ان الذى يحدث فعلا فى اغلب الاحوال ان النشاط العقلى كله يتوقف .. وتبدأ معلومات الفرد التى حصلها طوال سنى [illegible] التقليص .. وتبدأ قدراته [illegible] حتى ينتهى به [illegible] جعله شيئا) ميت [illegible] المتوقع ان يبدأ من هذا النجاح [illegible] (جعله انسانا) حر لوجوده ...

ومن خلال مواجهة هذا الواقع المر [illegible] لنا ان نتصور ما فى اعماق الشباب الذى يخاف من هذه

الامتحانات « النهائية » ، فهو لا يخاف من الفشل فحسب ، بل انه في اعمق اعماقه يخاف من النجاح ايضا •• لانه بهذه الصورة ينذره بالتوقف والاقتراب من نهاية خبيثة يفرضها عليه هذا الفكر الجامد السائد •

من ذلك نستطيع القول ان الذى نحتاج الـى تغييره وبسرعة ليس فى طبيعة الامتحانات وشكلها ولكن فى الفلسفة من ورائها •• وفى الموقف الشامل من الحياة ومن الاهداف الابعد ••

وفى تصورى انه بتغيير موقفنا الحضارى كله ، وبتعميق موقفنـا الانسانى الشامل ، وبيقظتنـا الثورية سوف ناخذ الحياة على انها رحلة مستمرة •• تبدأ وتتعدد بلا انقطاع ، نمر خلالها بامتحانات مختلفة من بينها هذه الامتحانات التحصيلية التـى ما هى الا علامات على الطريق لبدايات متجددة •• وان هذه البداية ملزمة دائما سواء كانت نتيجـة الامتحان هى الفشل ام النجاح ، فبعد الفشل يزيد التحدى ويتعلم الانسان رؤية جديدة وخبرة جديدة، وبعد النجاح تزيد المسئولية ويتحدد الاتجاه اكثر فاكثر نحو تحد جديد لانطلاق اعمق واكثر شمولا •

اقول اذا تحقق هذا كله — او شيء منه — فان الطالب سوف يستشعره من خلال موقفنا الحضارى الشامل •• وسوف تقل مضاعفات ومشاكل كثيرة••

وهنا لا بد من عودة الى كلمة موجزة عن معنـى استثمار نتائج هذه المرحلة الاولى من الامتحانـات وذلك بغية النجاح فى الامتحان الاصعب والتحديات المتصاعدة الاخرى •• فاقول :

« ان هذه الامتحانات السائدة بعيوبها ومآخذها ضرورة بلا جدال ، يكتسب الانسان من خلالها معرفة اكبر ، ويتأكد من قدراته فيضيف بها ثقة الـى نفسه تتيح لها مزيدا من تنمية عمل هذا الجهـاز الرائع « المخ البشرى » وهو يحصل من خلالها على الادوات التى تؤهله الى صياغة الحياة من جديد ، وبالتالى فهى من هذا المنظور قوة دافعة نحو التقدم ولبنة قوية للبناء الحضارى المعاصر • ودعم فى مواجهة تحديات الانقراض •

اما اذا كان مجرد النجاح فيها هو غاية المراد من رب العباد ، فهى قفزة فوق حاجز وهمى ليس وراءه الا الفراغ والعدم ، فاذا نجح الطالب فى اجتيازه انقطعته بئر اللاشيء •• واذا فشل ظل يدور حول نفسه فى دوامة الضياع المغزى •

وبعد •••

فانى اود ان اعتذر للقارئ — وللطالب خاصة — اذا بدا منى انى استدرجته بعيدا عن مشكلة آنية حادة وملحة ، (وهى المشاكل التى يواجهها حالا حول امتحاناته) ولكنى اوكد له ان هذه المشاكل التى طرحتها فى اول المقال (التهديد بالانقراض •• والتحدى الحضارى) والتى تبدو احيانا كما نحب ان نقول عنها (نظرية) ، او (مثالية)، او (ضخمة) او (ما لنا بها الان) •• الخ هى من صلب تكويننا العادى ••وان لها تاثيرها فى عمق عملنا اليومى، حقيقة نحن لا نعيها طوال الوقت (وان كانت تلح علينا فى اوقات الازمات والمرض) • ولكنا لا ينبغى ايضا ان نلغيها تماما والا واجهنا الانشـقاق والاغتراب والضياع ، ولكنى احذر ايضا ان نكتفى باعلانها شعارات مستقبلية تلهينا عن معنـى وجودنا الحالى ••

هى قضية واحدة — صدقونى — من اول لقمة الخبز الجاف (الحاف) التى ياكلها فلاح عربى على راس حقله الى آخر ما وصلت اليه معادلات تفتيت الذرة وآخر نظريات الفلسفات المعاصرة •• هى هى من اول امتحان الجغرافيا فى الصف الثانى من المرحلة الاعدادية الى اعمق درجة من الوعـى بتهديد الجنس البشرى بالانقراض •

هى قضية واحدة : اما ان نعيش •• او نموت••

والاتصال بين اجزائها لازم ، وترتيب تصعيد الامتحانات فيها حقيقة لا مهرب منها •

اما ان نعيش •• او نموت

وما دمنا لم ننتحر — بالمعنى المادى فعلا — بعد •• فخليق بمن وهب اقل درجات المنطق ان يحاول ان يعيش ، وان ينجح اليوم وغـدا • وان يبـدا بما يفعله الان فيتقنه ، ويتصاعد به ليؤكد انسانيته ••

ثم اعود لانظر لما نحن فيه •••• ، واستغفـر الله لى ولكم ••• •• ولا اياس ابدا •

■■

يحيى الرخاوى

يجيب على هذه الاسئلة
نخبة من الاطباء

التهاب رموش العين

● اصبت منذ مدة قصيرة بحبوب صغيرة ذات رؤوس بيضاء تظهر في جفون العين ، وبين الرموش ، وكلما عالجتها اختفت ٠٠ الا انها تعود ثانية للظهور بمجرد انتهاء العلاج ٠٠ فهل هي دمامل وما هو علاجها ؟

وائل الرحماني ــ دير الزور

ــ هذه الحبوب الصغيرة تعرف باسم Stye وتظهر كنتيجة لالتهابات بصيلات شعر الجفون (الرموش) عندما تنفذ الميكروبات الى جذور بعض الرموش ذاتها ٠٠ وعندما يغلق المصاب جفنيه ، فان الميكروبات قد تنتقل من الجفن العلوى الى السفلى او العكس ٠٠

اما السبب في عودتها الى الظهور ، فراجع الى ان العلاج لم يكن كافيا لقتل جميع الميكروبات التي تبقى كامنة في جذور الرموش ، فتعود للظهور عند انتهاء العلاج ٠ وقد يلزم احيانا اقتلاع الرمش المصاب ، ويقوم الطبيب بعملية كي جذر هذا الرمش المصاب بواسطة جهاز خاص لا يسبب اى الم للشخص المصاب ، ولكنه يكفى لقتل الميكروبات المختفية في الجذور ٠

ويحسن عمل مزرعة لهذه الميكروبات ومعرفة مدى حساسيتها للمضادات الحيوية المختلفة ، وبعدها يمكن استعمال الدواء المناسب للقضاء عليها حتى لا تعود للظهور مرة اخرى ٠

وهذه الحبوب تختلف [illegible] الجبرية التي [illegible] التهابات ال[illegible] P.T.D. والعلاج في [illegible] يختلف تماما ٠٠ فالتهاب بصيلة شعر الجفون الذى تعانى منه ينتهى بعد اقتلاع الرموش المصابة ، ولا يحتاج الى اى نوع من العمليات داخل الجفن ٠

مرض الزهرى

● ظهرت حبيبات في جسمي تشبه الحساسية ، الا ان الطبيب اخبرني ان هذا « زهرى ثانوى » ، فما هو هذا المرض ... وهل هو معد ؟

ك٠ع ـ دمشق

ـ الزهرى الثانوى هو الطور الثاني من مرض الزهرى Syphilis ويظهر خلال فترة من شهر الى ستة اشهر من بداية الاصابة بقرحة المرض او الزهرى الابتدائي ·

وهو لا شك مرض معد خاصة فى هذا الطور . لدرجة ان افرازات الجسم مثل الدم واللعاب والسائل المنوى يكون متأثرا بالمرض ·· وكذلك تكون الاغشية المخاطية تكون اشدها تأثرا بالعدوى ·

ويتميز الزهرى الثانوى بوجود طفح منتشر على جميع انحاء الجسم وتورم الغدد . مع قروح فى الاغشية المخاطية · وهذا الطفح غالبا ما يظهر على شكل بقع او حبيبات على الصدر والبطن والظهر والذراعين . ونادرا ما يكون على شكل دمامل او قروح مما يجعل تشخيصها صعبا الا بواسطة الاخصائي . ومن الملاحظ ان هذه الحبيبات برغم كثرتها فانها لا تكون مصحوبة باى حكاك او مضايقات للمريض سوى مظهرها ·· وهذا يفرقها عن امراض الحساسية التي تكون دائما مصحوبة بحكة ، مثل الارتكاريا ، وكثيرا ما تظهر حبيبات الزهرى على الكفين والقدمين فقط بدون ظهورها على الجسم . وعادة تكون البقع او الحبيبات وردية اللون . وقد تتحول الى بنية . وتختلف في الحجم من رأس الدبوس الى حبة السلة وقد تكون اكبر ·

وعادة يظهر الطفح بدون أى حرارة الا انه فى الحالات الشديدة قد يكون مصحوبا ببعض الحرارة ، كما ان هذه الحبيبات تختفي في العادة بدون ان تترك اى اثر على الجسم الا فى حالة القروح ، فانها تترك ندبات ·

ويؤدى مرض الزهرى الثانوى الى تضخم الغدد ، حيث يكبر حجم جميع الغدد الليمفاوية فى الجسم ويمكن للطبيب ملاحظتها ، الا انها تكون غير مؤلمة وغير ساخنة ، وقد يتورم الطحال ايضا ·

اما ما يحدثه هذا المرض من قروح فى الاغشية المخاطية ، فان هذه القروح تحدث على الشفاه واللسان والحلق. وهي شديدة العدوى ، وكذلك تظهر اورام زهرية على شكل حبيبات بنية اللون في الاماكن الرطبة الدافئة مثل مكان الاعضاء التناسلية وتحت الابط وجوانب الفم وتحت الثدى فى المرأة · Condyloma lata

ويلاحظ كذلك فى الزهرى الثانوى سقوط شعر الرأس بطريقة معينة تسمى Moth eaten وقد يؤثر السقوط فى شعر الحاجبين والرموش ايضا ·

كما ان التهاب العين يحدث في حوالى ٢٪ من حالات الزهرى الثانوى ، وقد يحدث التهاب فى الكبد والصفراء ،والتهاب بالكلى والعظام . كذلك قد يؤثر على الدورة الدموية والاعصاب ، ويبدأ المريض يعانى من صداع شديد خاصة فى الليل ·

لذلك فانى انصح المصاب باتباع ارشادات الطبيب الاخصائي ، والمواظبة على العلاج حتى يشفى المرض ويتقى مضاعفاته ·

تبول الاطفال أثناء [illegible]م

● ولدي يبلغ من العمر خمسة اعوام وما زال يت[illegible] اثناء النوم ..
فما اسباب هذه الحالة .. وما علاجها؟

اسيه عبد الحميد ـ الموصل

ـ وجد انه عندما يبلغ سن الطفل حوالي (٣٠) شهرا تكون قدرته على التحكم في التبول عادية .. واذا احس بحاجته للتبول ترك الفراش ، أو طلب التبول .. واذا بلغ ثلاث سنوات من عمره ولم يتمكن من التحكم في التبول ، وبال في فراشه ، فعند ذلك يمكن القول بأن قدرته على التحكم ضعيفة .

وضعف قدرة الطفل على التحكم في تبوله ترجع الى اسباب نفسية أو عضوية .. او السببين معا .

وقد وجدت الاحصائيات ان حوالي ١٥٪ من الاطفال الذكور ، و ١٠ من الاناث ، يتعرضون لمثل هذه الحالات بعد سن الخامسة .

ومن الاسباب العضوية لعدم التحكم في التبول ، والتبول في الفراش ليلا ، مرض البول السكري (، ولا يستبعد ذلك عند الاطفال ، خصوصا المولودين من ابوين يعاني كل منهما من مرض البول السكري)، وكذلك مرض الكلى .. أو الالتهابات في مجرى البول .

وفي بعض الحالات يكون الطفل مصابا بصغر حجم المثانة .. او نوبات الصرع الصغرى ، وكذلك حالات التخلف العقلي او الاضطرابات النفسية .. فكل هذه عوامل تسبب المرض ...

واخيرا ، فان صحة الطفل العامة ، من ضعف أو وجود ديدان او معاناته من اي مرض قد يؤدي الى عدم قدرة الطفل على التحكم في تبوله .

يتضح مما تقدم انه من الواجب فحص المريض فحصا دقيقا جسمانيا ونفسيا لمعرفة السبب وعلاجه .

في الحالات التي لا يوجد سبب عضوي ظاهر ، يعالج المريض بأن يوقظ ليلا للتبول ومعاملته بالحسنى مع الابتعاد عن تهديده او ضربه ، لئلا تزداد حالته سوءا .. ثم يمتنع عن تعاطي الشراب المدر للبول ليلا .. بالاضا[illegible] ادوية تقلل من [illegible] ابلادرنا او المركبات المنبهة حتى يحس المريض بمثانته .. فيقوم للتبول ، كمركبات الافدرين .. وحديثا وجد مركب التوفرانيل Tofranil ومركب Ceteprin من الادوية المساعدة لذلك ، ولا بد من استشارة الطبيب قبل اخذها .

وتجد[illegible] [illegible] تنبه الطفل مؤخرا [illegible] نقطة بول على للقيا[illegible] العلاج ليس منتشرا في الجهاز [illegible] الوقت [illegible] ..

ولا بد من د[illegible]اسة حالة الابوين النفسية تجاه الطفل .. لان ذلك يعتبر من العوامل المهمة في السيطرة على هذا المرض . ■■

للسياح فقط :

دراكيولا بطلا قوميا !

وجه فلاد المخوزق من لوحة عصر قديمة .

لوحة قديمة تمثل فلاد المخوزق يتناول طعام الطاره .

بقلم : فريد كامل

■ دراكيولا عاش حقا . كان اميرا (اسمه فلادتيبيتس) حكم ولاية فالاكيا (برومانيا) ثلاث مرات بين عامي ١٤٤٨ و ١٤٧٦ ـ ولم يمتص دم ضحاياه من رقابهم . بل كان . يخوزقهم . (او يتفنن في ميتات اخرى اكثر بشاعة) .. قتل اكثر من اربعين الفا فاشتهر في التاريخ باسم . فلاد المخوزق . وفي الاساطير الشعبية لم قصص الرعب والوحشية باسم . مصاص الدماء دراكيولا ـ اي الشيطاني (دراك تعني الشيطان) .. والآن تعلنه رومانيا بطلا قوميا ، وتصدر بوخارست ـ بمناسبة مرور خمسمائة عام على مصرعه ـ عشرات الكتب والدراسات التي تمتدحه وتطريه ، وتعرض الافلام والمسرحيات وتقام التماثيل والمعارض التي تشيد به وبحكمه ..

غلاف كتاب دراكيولا ــ تاليف برام ستوكر ــ طبعة ١٩٥٢ ٠

لا ننوى هنا ان نتناول تاريخ فلاد المخوزق (بل ظاهرة تنصيبه بطلا قوميا) لذا يكفينا ان نذكر انـه تـولى الحكم فى عصر توسع الامبراطوريـة العثمانية ، تراضى مع القسـطنطينية قليلا ثم انقلب عليها حينما حاولت عزله ، وحاربها طويلا حتى سقط فى ساحة القتال ٠٠٠ يروى التاريخ ايضا عنه انه خوزق على مدى ايام قليلة عشرين الفا (خمسمائة من الافراد المنافسين مع جميـع افراد عائلاتهم وخدمهم)«ليحمى البلاد من تامرهم ضده » ، وانـه جمـع اكثر من خمسـة آلاف من المشوهين والمشلولين والعميان والشحاذين فى قصر له فاولمهم ثم احرقهم«لكى لايبقى فى بلادى فقراء» كما قال-موء وحينما رفض مبعوثو الباب العالى ان يخلعوا طرابيشهم فى حضرتـه لان تقاليدهـم تمنع ذلك ، امر « تدعيما لتقاليدهم » ان تدق طرابيشهم فى رؤوسهم بالمسامير ٠٠ وحينما ارسل السلطان ...د الثانى حمزان باشا ـ حاكـم نيقوبول ... مسمائة من حرسه ، نخلع الامير ، خوزقهم ... امر باستقبال الحملة العثمانية على حد ... حوفيست » بعابة من الجنود الاتراك ... والصقت به الاساطير الشعبية صفات ... ى ـ كتحوله الى خفاش وعودته الى الحياة فى الليـل وامتصاصه دم ضحاياه ٠٠٠ ... الفولكلورية التى اوحت للكاتب الايرلـندى برام ستوكر بروايتـه « دراكيولا ... فى ١٨٩٧ ... نشرت اسطورة مصاص الدماء فى العالم جمعواستلهمتها السينما والتليفزيون والمسلسلات المرسومة ٠٠ الخ٠٠ وفى ١٩٧٤ بدأت الحكـومـة الرومانيـة فى استغـلال اسطورة دراكيولا لاثارة المزاج العادى والمعتـل للكثيرين فنظمت « رحلات دراكيولا السياحية » ـ وتشمل زيارة اطلال قلعته فى سيجسوارا ومقابر المخوزقين فى بران ودير سناجوف ... توجد مقبرته وبها تابوته الفارغ (يقول المؤرخون ان الاتراك قطعوا راسه وارسلوها للقسطنطينية ، اما جسده فدفن فى ذلك الدير) ، وبينما يقوم السياح بهذه الجولة ، تظهر لهم « اشباح » وتخرج « جثث »من مقابرها (من موظف ... الرومانية) ـ ويقدر عدد سياح دراكيولا بحوالى ١٥٠٫٠٠٠ سنويا ٠٠

لكن استغلال اسطوره دراكيولا للسياحة شىء ، ورفع فلاد المخوزق الى درجة بطل قومى شىء آخر!!

★★★

الدراسـ...
كثيرا ... ...رخون عن فلاد
المخوزق ... ...سية ، على
كانت ظاهر ... الوسطى وحكامها ٠٠٠
انها لا تنـ... ...
بل تقلل من ... ساوى

فلادتيبتس » : « ربما كان صارما حقا ولكن كان
يه هدف سياسي يملي تصرفاته ـ فهي لم تنبع
ن غرائزوحشية لديه ... فقد تخلص من معارضيه
قوى حكمه وتخلص من العناصر المتطفلةوالمنحرفة
بدعم مجتمعه وتحدى سلطان العثمانيين معلنا
سكه بحرية واستقلال بلاده .. »

في السياسة الداخلية للامير فلاد يقول دان
مفيرسكو في مجلة لوشيا فارول « ادرك فلاد ان
لدولة لا يمكن ان تعرف الرفاهية الا عن طريق
لسلطة المطلقة مما يضمن لها الوحدة السياسية
الادارية والتنسيق في حركتها ونموها ، ان
لقيادة المركزية التى تجمع في يدها سلطة مطلقة
ي الضمان الوحيد للنظام في الداخل ـ وهو شرط
ساسي لاستقلالها اذ يمكنها من الدفاع ضد اى
طر من الخارج » ويضيف قسطنطين كازانستيانو
ي يومية الحزب الروماني شنتيا انه « اقام النظام
رفع راية الواجب الوطني والعدالة الاخلاقية ،
هي نفس العناصر التي تدعمها لائحة التصرف
لاشتراكي »(صدرت في ٢٠ ديسمبر ١٩٧٤ لتحدد
النظام في العمل والمثاليات الاشتراكية والواجب
لوطني ») ..

وفي السياسة الخارجية ـ « ادرك فلاد المغوزق
من البدء قوة الامبراطورية الجديدة (العثمانية)
ي الشرق ومرض الامبراطورية المسيحية(في الغرب)
فاهتم ـ بينما تظاهر بصداقة الباب العالي ـ ببناء
جيش قوى وانشا نظاما للحرب الشعبية للدفاع عن
الوطن ضد اكبر امبراطورية في ذلك العصر (اى
ان دراكيولا ـ وليس ماوتسي تونج ولا هو شيء منه

...) .. وكون الجبهة التي
صخره امام العدو وشاغله باشتباكات جانبية
مستمرة ـ وهكذا تمكن من الحفاظ على استقلال
البلاد .. بل انه استعمل الحرب النفسية ايضا :
عندما اقترب جيش الاتراك من مدينة تارجوفيست
ورأى الجنود غابة من زملائهم المخوزقين ، دب
فيهم الرعب .. » (قسطنطين سربان ـ مجلة
ريفستادي استوريا) ... واضاف المؤرخ ستيفان
ستيفانسكو في نفس المجلة قائلا:« حاول فلادتيبتس
عمل تحالفات اقليمية مع ترانسلفانيا والمجر
ومولدافيا لمقاومة خطر الاختراق الاسيوى من
الشرق ولكنه فشل في ذلك واضطر لمواجهة
العثمانيين وحده .. فاوقف زحف الاتراك بقيادة
محمد الثاني فاتح القسطنطينية .. حقا انه ليس
من السهل على دولة صغيرة ان تتحدى قوة كبرى ـ
رغم انها هزمت في بلغراد (في ١٤٥٩) ـ الا انها
كانت قد استمرت تدريجيا في محو دول وامارات
جنوب شرق اوروبا عن الخريطة السياسية » ..
اه .. الصورة واضحة اذن بعد ان اتضحت
الحكمة في رفع دراكيولا الى مصاف الابطال
القوميين الرومانيين (الى جوار ميشيل الشجاع
ودمترى كانتمير) .. يا شعب رومانيا ، دولتكم
صغيرة قوية ولكنها قوية لان السلطة بها مركزية
والنظام مستقر ، وقد يكون حاكمها قاسيا احيانا،
ولكنه عادل يتصرف وفق اهداف سياسية ،يضمن
لكم الحرية والاستقلال في مواجهة قوة جديدة
شابة في الشرق قوية وخطرة ، رغم انها قد
هزمت في بلغراد (في ١٩٤٨) ! !

■■

روما ـ فريد كامل

Dracula — Vlad Tepes — Vallachia — Vlad the Impaler — Dracula the Vampire Drac Nicopol — Targoviste — Bram Stoker — Sighisoara — Bran — Snagov.

Nicolae Stoicescu — Dan Zamfirescu — Lucerfarul — Constantin Casanisteanu Scinteia — Constantin Serban — Revista de Istorie — Stefan Stefanescu

Transelvania — Moldavia — Michel the Brave — Dmitri Cantemir.

المرتد التائب

طليحة بن خويلد

أخطر زعماء الردة الذى أصبح أبرز أبطال الفتح

بقلم : أحمد عادل كمال

■ كانت ردته شبحا رهيبا يؤرقه ، فكانما اخذ نفسه ان يقدم فى كل يوم - لله لا للناس - دليلا على صدق ايمانه واخلاص توبته . وانقلب من زعيم دجال يطلب الجاه والسلطان الى جندى فدائى زاهد متواضع يؤثر ما عند الله !

القبيلة - بنو اسد - كثيرة البطون ، امتدت منازلها ما بين نجد الى الفرات ، منازل تميم الى الشرق منها ومنازل طيىء الى غربيها . تاريخها زاخر بالحروب، كانت كلها هزائم قبل الاسلام ولم تعرف النصر الا فى رحاب الاسلام ابان الفتوح.

واول ما يطالعنا من اخبارهم فى الاسلام ان طليحة ابن خويلد حشد جمعا منهم بعد هزيمة المسلمين فى احد ليهاجم المدينة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بادره بسرية ابى سلمة بن عبد الاسد فبداهم الغارة وبدد جمعهم وعاد بغنائم من اموالهم ، فلما حشد اليهود احزاب الوثنية فى جزيرة العرب لغزو المدينة لم ينسوا بنى اسد فساهمت بثلاثة آلاف وخمسمائة مقاتل يقودهم طليحة . فلما كان العام التاسع للهجرة جاء وفد بنى اسد فيهم طليحة الى المدينة يعلن اسلامهم .

واطلت الردة براسها قبل وفاة الرسول وكان طليحة من صانعيها ، وبعث اخاه حبالا الى النبى صلى الله عليه وسلم يخبره انه صار نبيا مثله ويدعوه الى موادعته ! وراح يسجع بما يزعم انه وحى مثل قوله « والعمام واليمام ، والصرد الصوام ، قد صمن قبلكم باعوام ، ليبلغن ملكنا العراق والشام » فارسل النبى صلى الله عليه وسلم ضرار بن الازور الاسدى ليتصدى لطليحة فاشتد عليه حتى اوقعه فى هم وخوف . وظل المسلمون فى زيادة وحزب طليحة فى نقصان حتى ضربه ضرار بسيفه فتلافاها طليحه ، وكان مقاتلا

فزعم ان السلاح لا يؤثر فيه ، واضافها الى معجزاته • وما لبث ان جاءت الاخبار بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت معجزة اخرى له !! وانفض الناس عن ضرار الى طليحة واضطر ضرار ومن معه الى الفرار امام طليحة •

واذ هزم ابو كبر مرتدى عبس وذبيان على مشارف المدينة انحازت فلولها الى طليحة ،وجددت غطفان حلفا كان مع طليحة في الجاهلية وانضمت اليه بعض بطون طيىء فاشتدت شوكته • وعقد ابو بكر الوية جيوشه لحروب الردة ووجه جيشه الاول بقيادة خالد بن الوليد الى بنى اسد ثم بنى تميم ثم بنى حنيفة • خرج خالد في اربعة آلاف ومعه عدى بن حاتم الطائي الذى استطاع ان يثنى بطون طيىء التى انضمت الى طليحة وكانوا الف فارس فانصرفوا عنه وانضموا الى جيش خالد •

وفي بزاخة من مياه بنى اسد التقى الجمعان وجيش طليحة يزيد الف مقاتل عن جيش خالد • ودارت المعركة وقد جلس طليحة في فناء بيته متلففا في كساء يتنبأ ، وكان عيينة بن حصن يتردد بينه وبين جيشه يسأله « هل جاءك جبريل ؟» فيقول « لا » والدائرة تدور عليهم • واخيرا ادعى ان الوحي انزل عليه « ان لك رحا كرحاه وحديثا لا تنساه » فصاح عيينة في قومه « هذا والله كذاب فانصرفوا »، وانهزمت بنو اسد فاقبلوا على نبيهم يسالونه بم يامرهم ، ولاول مرة يعترف طليحة بكذبه •• قام فحمل امراته ووثب بها على فرس كان قد اعده وانطلق بها هاربا وهو يقول « من استطاع منكم ان يفعل مثل ما فعلت وينجو باهله فليفعل ، قاتلوا عن احسابكم فاما دين فلا دين » وفر نحو الشام وانتهت حركته •

من الكفر الى الايمان

لبث طليحة اشبه بالصعلوك عند بنى كلب بالشام ، وراجع نفسه فاسلم ثم خرج معتمرا ، فلما مر بجانب المدينة في طريقه الى مكة قالوا لابى بكر هذا طليحة ! فقال « ما اصنع به ؟ خلوا عنه فقد هداه الله للاسلام »•

وبقي طليحة عند بني كعب حتى توفي ابو بكر، وكان ابو بكر قد حظر على كل من سبقت له ردة ان يساهم في الفتوح فظل طليحة قعيد بيته ، ثم سمح لهم عمر بشرط الا يتولوا قيادات •

وجاء طليحة يبايع عمرا فجرى بينهما هذا الحوار •• قال عمر « انت قاتل الرجل الصالح عكاشة (بن محصن) وثابت (بن ارقم) ، والله لا احبك ابدا • وكان طليحة لبقا حاضر البديهة فقال « يا امير المؤمنين ما تهم من رجلين اكرمهما الله بيدى ولم يهنى بايديهما ، وان الناس قد يتصالحون على الشنئان » • قال عمر « انت الكاذب على الله حين زعمت انه انزل عليك ان الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح ادباركم شيئا فاذكروا الله قياما فان الرغوة فوق الصريح » • قال طليحة ذلك من فتن الكفر الذى هدمه الاسلام كله فلا تعنيف علىّ ببعضه • فاسكت عمر وبايعه ثم رجع طليحة الى موطنه من منازل بنى اسد فاقام بها حتى خرج عام ١٤ هـ في جيش سعد بن ابى وقاص لفتح العراق • كان الجيش بضعا وثلاثين الفا فيهم ثلاثة آلاف من بنى اسد ، طليحة فرد منهم لا يقود •

وجاء جيش فارس بقيادة رستم مائة وعشرين الف مقاتل ومثلهم للخدمات ، فلما عبروا نهر الفرات نزلوا فى عدة معسكرات حول النجف وبينها وبين القادسية • وبعث سعد طليحة استكشافية لتاتيه باخبارهم كما طلب ان يصيبوا له اسيرا من جيش فارس ليستخبره ، وكانوا لا يختارون لمثل هذا التكليف الا الصناديد المغاوير ، فكان عمرو ابن معدى كرب في خمسة من اصحابه وطليحة بن خويلد منفردا وقد كلف باستكشاف معسكر جالينوس وهم مقدمة جيش رستم • كان المسلمون يظنون جيش فارس بالنجف ، فما قطعت الطليعة سبعة كيلومترات حتى راوا جيش المجوس قد ملا الارض يتحرك نحو القادسية بين النخيل فعاد افراد الطليعة الا طليحة فقد سار وحده على فرسه حتى بلغ معسكر رستم فتسلل الى داخله مستترا بظلام الليل ، وبات فيه يتفحصه ويتنقل في جنباته ، ما اجراه رجل بمفرده يقضى ليلا باكمله في معسكر عدوه • فلما كان آخر الليل انتقى جوادا اعجبه

كان مربوطا الى جوار فسطاط فقطع رباطه بسيفه
وربطه بلجام فرسه ثم انطلق يعدو به ، واحس به
المجوس فانطلقوا فى اثره نحو القادسية وبينها
وبين النجف ٢٥ كيلو مترا مليئة بقوات الفرس
المجوس فى معسكراتها • ومع خيوط الصباح
ادركه فارس منهم وصوب اليه رمحه ثم دفعه

ليطعنه فى ظهره فمال طليحة عن مسار الر
فانكب الفارس حتى صار امامه فطعنه طليحة
برمحه فقصم ظهره وانطلق ، ولحق
به مثل سابقه ، ثم ادركه
قتل به الاولين وساقه امامه ... ى قد
اسلمه الى سعد •

بطولات في سبيل الله

وجاء رستم في جيشه ومعه افيال القتال الى مواجهة جيش المسلمين بالقادسية • وكان طليحة واحدا منخطباء الجيش الذين يحمسونه ايامالقتال كلها اربعة ايام وبعض لياليها ، وكان يقوم باشق تكاليف القتال مثل مهاجمة الافيال وركابها والقيام بالهجوم المضاد والثبات في وجه الجحافل المتفوقة عددا • وبعث عمر الى سعد اربعة اسياف واربعة افراس مكافاة لاصحاب البطولة والبلاء فنال طليحة سيفا منها •

ودحر المسلمون جيش فارس ثم فتحوا المدائن وهزموا جيش فارس مرة اخرى في جلولاء وطليحة يساير ببطولاته تلك الفتوح • وحشد الفرس مائة وخمسين الفا في نهاوند لرد المسلمين من حيث اتوا • كانت نهاوند قلعة حصينة باعلى مرتفع شاهق يصعب ارتقاؤه فضلا عن اقتضاض القلعة• وبعث عمر بن الخطاب النعمان بن مقرن المزني على رأس للاثين الفا لمواجهة هذا الجيش ، وامره عمر باستشارة طليحة بن خويلد وعمرو بن ابي سلمى وعمرو بن معدى كرب وبشرط الا يوليهم امارات • وارسل النعمان من معسكره في الطزر هؤلاء الثلاثة طليعة استكشافية نحو نهاوند لياتوه بالخبر • فلما ساروا يوما الى الليل رجع عمرو بن ابي سلمى وقال « كنت في ارض العجم وقتلت ارض جاهلها وقتل ارضا عالمها » • وسار طليحة وعمرو بن معدى كرب حتى اذا كان اخر الليل الثاني رجع عمرو الى المعسكر وقال « سرنا يوما وليلة ولم نر شيئا وخفت ان يؤخذ علينا الطريق » • وسار صاحبنا طليحة وحده في ارض عدوه حتى انقطعت اخباره وظن به بعض المسلمين انه ارتد مرة اخرى ولحق بالمجوس •ولكن طليحة سار ١٣٠ كيلومتر حتى بلغ نهاوند واطلع على ما اراد ثم رجع ، وما ان راه المسلمون حتى كبروا واخبروه بظنونهم فانكرها عليهم واخبر النعمان بمشاهداته •

وتوالت الايام والمسلمون امام نهاوند في العراء والمجوس في قلعتهم ، يتناوشون ثم يعود كل فريق الى مواقعه حتى اطل شتاء ٦٣٩/٦٤٠ ، وشق الامر على المسلمين ، فعقد النعمان مؤتمرا حربيا لذوى الفكر فتداولوا الراى ، وفضوا رايا بان يتحصن المسلمون امام المجوس ويطاولوهم•ورفضوا رايا اخر بشن هجوم على خنادق المجوس وحصونهم وراوا في ذلك مناطحة للجدران • ثم ادلى طليحة برايه وكان يتلخص في عناصر :

— ان تتحرش فرقة من الفرسان بالمجوس وتغريهم بالالتحام بهم •

— ان تتظاهر هذه الفرقة بالانكسار وتتراجع امام ضغط المجوس الى مواقع يترصد فيها جيش المسلمين •

— ان يطبق المسلمون على جيش المجوس حين يصل الى هذه المواقع ويبيدوه بعيدا عن قلاعه •

وتم التنفيذ طبقا للخطة التى اقترحها طليحة وسقطت قلعة نهاوند • واستشهد في هذه المعركة النعمان قائد المسلمين واستشهد معهصاحبنا طليحة ابن خويلد رضى الله عنه ، وعرفت المعركة بفتح الفتوح اذ لم يحتشد للدولة الساسانية جيش بعدها ابدا . انما كان كل اقليم يدافع عن نفسه•

لقد بدا طليحة بطل على التاريخ انتهازيا يستبيح كل شىء في سبيل طموحه . ولكنه افاق على هزيمته في بزاخة فامن ايمانا كبيرا اراد به ان يمحو ما فعل في ردته •لقد كان طليحة شاعرا مرهفا . ليس بين ايدينا من شعره الا ابيات قلائل تتميز بالعذوبة • وكانت كفاءته القتالية بيده وتخطيطه العربيبفكره ابرز ما يميزه من كفاءات•

وبعد ، فليس منا الا وتتنازعه نوازع الشر ودوافع الهدى • وعلى هذا فقد كان طليحة بن خويلد نموذجا حيا لقضية من اهم قضايا البشر ، هى قضية الانسان المسرف على نفسه كذبا وبهتانا وجحودا وكفرانا اذا فامت نفسه فعاد في قمة الشجاعة تائبا • ان في سيرة هذا البطل دعوة لكل فاسد ظالم ان يعود ••• فطريق العودة دائما مفتوح « قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم » •

وما دمنا لسنا صديقين ولا انبياء •• وما دمنا نخطىء ونصيب فان لنا في طليحة بن خويلد رضى الله عنهنموذجا للاعتبار وقدوة للاهتداء • ■■

القاهرة ــ احمد عادل كمال

● صفحة فى اللغة ●

المصدر

كيف يثنى ؟ وكيف يجمع ؟

بقلم : محمد خليفة التونسى

■ فى « صفحة لغوية » سابقة من هذه المجلة (العدد ٢١٩) عرفنا المصدر وانواعه الثلاثة (الاصلى ، والميمى والصناعى) ، ووضحنا انه لا يثنى ولا يجمع حين يدل على حدث مجرد من كل القيود والعلاقات ، لانه حينئذ يكون دالا على معنى ذهنى مطلق ، شامل للحدث على عمومه . وكذلك وضحنا انه اذا ارتبط باى قيد او علاقة ـ كما اذا دل على مرة ، او هيئة ، او على نوع او عدد ، او على صفة فى موصوف ونحو ذلك ـ فانه يجوز ان يثنى ، كما يجوز ان يجمع اذا كان جمعه سائغا ، وقد ضربنا امثلة لكل هذه الاحوال .

كيف يثنى المصدر ؟

تثنية المصدر ـ ايا كان نوعه ـ يسيرة ، كما انها سائغة دائما ، وهى تتبع القاعدة العامة لتثنية الاسماء المعربة ، اى زيادة الف ونون فى حالة الرفع ، وياء ونون فى حالة النصب وحالة الجر ، فمن المصادر الاصلية مثلا : تجارة، شفاعة، فهم ، طرب ، سرور ، تمهيد ، زئير ، صعوبة ، انفجار ، زلزلة ، تبيان ، استقامة ، استنباط ـ نقول فى تثنيتها رفعا : تجارتان ، شفاعتان ، فهمان .. استنباطان . ونقول فى تثنيتها نصبا او جرا : تجارتين ، شفاعتين ، فهمين .. استنباطين .

ومن المصادر الميمية مثلا : ملعب(١) ، موعد ، مصلحة ، ممزق ، مجادلة(٢) ، منتهى ، مستغفر . نقول فى تثنيتها رفعا « ملعبان ، موعدان ... مستغفران » وفى تثنيتها نصبا او جرا : «ملعبين، موعدين ، مستغفرين » وكذلك تعامل المصادر الشاذة فى صيغتها لورودها على صيغة اسم المفعول ، مثل « معقول » و « مجلود » فيقال : « لا معقول له فى النوائب ، ولا مجلود عليها » اى لا عقل [illegible] عليها . ويقال فى [illegible] معقولان ومجلودان : ويقال نصبا او جرا : معقولين ومجلودين .

ومن المصادر الصناعية مثلا : خصوصية ، جاهلية ، وطنية ، قومية ، رجعية ، انسانية ، عنجهية ، دكتاتورية . يقال فى تثنيتها رفعا : « خصوصيتان ، جاهليتان ... دكتاتوريتان » وفى تثنيتها نصبا او جرا : [illegible]وصيتين ، جاهليتين ... دكتاتوريتين

---

(١) تظهر مصدرية الكلمة حين توضع فى الجملة: فتقول [illegible] نيرا ... واستغفرت الله مستغفرا خالصا .

(٢) اذا كان الفعل رباعيا على وزن « فاعل » [illegible] مفاعلة » ، وقد يكون على وزن « فعال » مثل : « جادلته مجادلة وجدالا » ويرى العلماء ان [illegible] اذا [illegible] على وزن « مفاعلة » فهو مصدر اصلى ، وهذا يحتاج الى نظر ، ورايها انه [illegible] ميمى ، لان فيه خصائص المصدر الميمى التى وضحوها وان كان مؤنثا لفظه . ولا يتسع المقام هنا لتفصيل اكثر .

جمع المصدر

واما جمع المصدر فيحتاج غالبا الى اناة ، ويحتاج دائما الى لباقة تسوغه ، وكثرة استعماله تجعله مألوفا ، او غير مستغرب ، والالفة ترفع الكلمة او تخفضها • ونوضح هذا ببعض التفصيل•

لا تجمع المصادر الا على احد نوعين من الجمع : جمع مؤنثسالم ، او جمع تكسير ، وبعضها قد يجمع جمع تكسير ، وهذا الجمع بعد ذلك يجمع جمع مؤنث سالما ، فنقول مثلا : « فاض النهر فيضا سريعا » ، ثم نجمع فيضا على فيوض ، ثم نجمع فيوضا على « فيوضات » • وعلى هذا النحو نقول : قيد وقيود وقيودات، وفتح وفتوح وفتوحات، ونحن نتبع فى ذلك ما يتبع فى الاسماء المعربة ، كقولنا : بيت ، وبيوت ، وبيوتات ، وشعم ،وشعوم، وشعومات •

مصادر فى صيغة جمع المؤنث السالم

وايسر جمع للمصادر واشيعها هو جمع المؤنث السالم ، ونحن نعلم ان جمع المؤنث السالم قياسيفى كل ما ينتهى بتاء التانيثاو الف التانيث المقصورة ، وفى المصادر على انواعها ما يتحقق فيه هذا الشرط ,و ذلك • فكل المصادر الصناعية تنتهى بتاء التانيث ، ولذلك تجمع كلها قياسيا جمع مؤنث سالما ، ومن امثلتها : عبقرية ، شاعرية ، همجية ، مدنية ، وحشية ، طائفية ، مادية ، سلوكية ، لاادرية ، ماهية ، نقول فى جمعها : « عبقريات ، شاعريات ••• حيثيات » ومثلها فى ذلك المصادر الاصلية التى تنتهى بتاء التانيث ، مثل صناعة ، سعادة ، بطولة ، عبادة ، افادة ، هنعنة ، استقالة ، فيقال فى جمعها : صناعات ،سعادات ، بطولات ••• استقالات •

ومثلها كذلك المصادر الاصلية التى ينتهى كل منها بالف التانيث المقصورة مثل : ذكرى ، فكرى، طيبى ، طوبى ، رجعى ، فتوى ، حيثيفى (حث) ، خليفى (خلافة) (٣) فنقول فى جمعها : « ذكريات، فكريات •••خليفيات » •

ومثلها المصادر الميمية التى تنتهى بتاء تانيث ، مثل : مشغلة ، محمدة ، ملحمة ، مسعاة ، مباهاة ، مغامرة • يقال : فى جمعها مشغلات ، محمدات ، مسعيات ، مباهات ، مغامرات (٢) ومثلها ايضا مقابسات ، مسامرات ، مهاترات ، مصارعات •

وعلى هذا النحو تجمع كثير من المصادر الميمية التى تنتهى بالف مقصورة ليست للتانيث مثل : مجرى ، مقتضى ، مستشفى ، نقول فى جمعها : مجريات ، مقتضيات ، مستشفيات •

وكذلك المصادر الميمية التى لا تنتهى بعلامة تانيث ولا الف مقصورة ، مثل مقام ، مسار ، مجاز ، مغار ، مخرج ، مدخل ، منعطف ، مدخر ، مستقر ، نقول فى جمعها : مقامات ، مسارات •• مستقرات •

ومثلها كذلك المصادر الاصلية التى تنتهى بعلامة تانيث ، مثل توصية ، تعنية ، تعلية ، تفسرة ، تذكرة ، تكملة، تجلية ، يقال فى جمعها : توصيات •• تجليات •

ومثلها : زلزلة ، زمزمة ، حوقلة ، زركشة ، يقال فى جمعها : زلزلات ، زمزمات ، حوقلات ، زركشات •

ومثلها كثير من المصادر الاصلية التى لا تنتهى بعلامة تانيث ، واغلبها تقوم على افعال ماضية رباعية او خماسية او سداسية •

فمن هذه المصادر ذوات الفعل الرباعى (على وزن « فعل ») : تقسيمات ، تحليلات ، تقريرات، تصميمات ، تعرينات ، تدريبات ، تفسيرات ، تعقيبات ، تعليقات ، تعميدات ، تسبيحات ، تحسينات •

ومنها (على وزن « افعل ») : افرازات ، اعلانات ، ، احسانات ، اقرارات ، ارهاصات ، اكرامات •

ومنها (على وزن « فاعل ») نزاعات ، خلافات، حسابات ، قرانات ، صراعات •

ومن ذوات الاصل الماضى الخماسى (على وزن « افتعل ») احتمالات ، اختلافات ، امتحانات ، اجتماعات ، اقتراحات ، التباسات ، احتجاجات ، اتحادات ، ائتلافات ، احتلافات ، امتيازات ، اتجاهات ، انتقادات ، انتصارات ، انتفاضات ، انتقاضات •

ومنها (على وزن « انفعل ») : انفعالات ، انكسارات ، انهزامات ، انقسامات ، انفتاحات ، انعطافات ، انبعاثات ، انحسارات •

---

(٣) من اقوال عمر بن الخطاب « لولا الخليفى لاذنت » اى . لولا الخلافة التى اتيوا منصبها ــ وهورفيع يجل عن ان أؤدى الاذان ــ لقمت بادائه•

تعصبيات ، تعزبات ، تعسفات ، تكهنات ، تنبؤات ، توقعات ، تمحلات ، تقولات ، تهكمات ، تمحكات .
ومنها (على وزن « تفاعل ») تساؤلات ، تجاوزات ، تناحرات ، تسابقات ، تسارعات ، تساميات .
ومن ذوات الاصل السداسي (على وزن « استفعل ») : استفسارات ، استعلامات ، استفزازات ، استحسانات ، استهجانات ، استغلالات، استجوابات، استحكامات ، استعدادات، استطلاعات .
ومنها (على وزن « افعال ») اطمئنانات .
ومنها (على وزن « افونعل ») احونصالات .

مصادر على صيغة جمع التكسير

وبعض المصادر التي مرت بنا وامثالها ـ مما يمكن ان يجمع جمع مؤنث سالما ـ قابل لان يجمع جمع تكسير .
فمن المصادر الاصلية المنتهية بتاء التانيث : قسمة ، بنية ، بِنْية ، تجمع تكسيرا ، فيقال : قسم ، بنى ، بِنى .
ومن المصادر الاصلية المنتهية بالف التانيث : ذكرى ، فكرى ، يقال في جمعها : ذكر ، فكر .
ومن المصادر الاصلية التي افعالها الماضية رباعية : تقرير ، تقسيم ، .. يقال في جمعها : تقارير ، تراكيب ، تقاسيم ، ومثلها : تحاميد ، تسابيح ، تصاميم ، تشابيه ، تعاجيب كما في قول سلامة بن جندل :

اودى الشباب حميدا ذو التعاجيب
اودى ، وذلك شاو غير مطلوب

وقول عبد الله الغامدي في وصف خاطية (وهي كرمة العنب) وما يعصر من عنبها المختلف الانواع:

« ومن تعاجيب خلق الله خاطية
يعصر منها ملاحي ، وغربيب »

ويكثر جمع التكسير في المصادر الاصلية التي افعالها الماضية ثلاثية ، وتجمع هذه المصادر غالبا كما تجمع الاسماء المعربة التي تشاركها وزنا .
فكما يجمع الاسم المعرب «شهر» على «شهور» تجمع المصادر الاتية : ظن ، شك ، بيع ، حدس ، كسر ، غيب ، عيب ، هم ، غم ، فهم ، فيقال في جمعها : ظنون ، شكوك ، بيوع ، حدوس ، كسور ، غيوب ، هموم ، غموم ، فهوم . ومثلها : زيود ، سعود ، نحوس ، عقود ، مدود ، نقول ، بحوث ، . ، نقود ، جموع ، حدود ، قصود ، ضروب . . ومثلها عشرات من المصادر) .
وكما ي[illegible] اسم المعرب « جذر » جذور يقال في المصدر [illegible] علوم .
وكما [illegible] واشربة (اسما) يقال في المصدر [illegible] في لغتنا الدارجة .
وكما يقال : طيف واطياف (اسما) يقال في المصدر ، مثل : وهم واوهام ، قول واقوال ، بحث وابحاث ، وصف واوصاف ، صوم واصوام ، دور وادوار ، قدر واقدار .
وكما يقال غراب واغربة (اسما) يقال في المصدر : دعاء ادعية ، [illegible] اسئلة .
وكما يجمع الاسم جراب على اجربة ، يجمع المصدر شفاء على اشفية .
وكما يقال : سبب واسباب (اسما) يقال في المصدر : فزع افزاع (القاموس) .
وكما يقال : عش واعشاش (اسما) يقال في المصدر حب ، واحباب ، كما في قول الشاعر :

ثلاثة احباب : فحب علاقة
وحب تملاق ، وحب هو القتل

وكذلك بعض المصادر الميمية ذوات الفعل الماضي الثلاثي تجمع جمع تكسير ، مثل : مسعى ومسعاة، معنى ، محمدة ، يقال في جمعها ، المساعي ، والمعاني ، والمحامد .

جمع الجمع

وقد مربنا ان الجمع قد يجمع . فكما نقول في الاسم المعرب : اناء ، آنية ، اوان ، وكذلك وعاء، اوعية ، اواع . نقول في بعض المصادر : شفاء ، اشفية ، اشاف ، ومثله : قول ، اقوال ، اقاويل ، ومثله : فتح ، فتوح ، فتوحات .
ولا بد في [illegible] من [illegible] نظائرها من [illegible] حس الاديب ، حتى يرى لها جمعا سائغا ، فيمضيه ، ليستن [illegible] الاخرين المضي في اثره .

السيد م.م.م. وحكايته

بقلم : أبو المعاطى أبو النجـا

مقدمة

■ كان السيد « م ، م ، م » رجلا مهذبا حقا ، وفى طفولته كان طفلا مهذبا كذلك ، مع انه ولد فى القرية فقد كانت ثيابه فى اغلب الوقت نظيفة وناصعـة ، لانـه لا يلعب مـع الاولاد الاشقيـاء الذين يمزقون ملابسهم ويوسخونها ٠

والسيد « م ، م ، م » مثل كل الرجال المهذبين الذين وجـدوا أسرة متماسكـة تحسن تربيتهم ، وتبعث بهـم فى الـوقت المناسب الى المدارس ـ بالتدريج ـ الابتدائية ، الثانوية ، الجامعة ٠

لا تخلو حياتهمن اناس يحبونه،واناس يكرهونه، مع انه قلما يتورط فى فعل اشياء تضايق احـدا منـه ، لكنـه مثل كل الرجال المهذبين يدرك على نحو ما ان الحياة كذلك ، وان الاختلاف بل والتغير سمات طبيعية فى الناس وفى الاشياء، لا شىء مثل الاخر ، ولا شىء يبقى على حالـه ، وربما لهـذا لا يضيق تماما بما يلقاه فىحياته وفى حياة الناس من تباين وتغير ، بل يتلقاه شبه راض ، شبـه متوقع ، ومهما يكن حجم التباين او نوع التغير ٠

هكذا كانت البداية

متى بدأ السيد « م ، م، م » يلاحظ ان ذلـك الوجه هو وحده الذى لا يكاد يتغير ؟

لكن متى راى ذلك الوجه لاول مرة ؟

ثم متى تاكد انه هو نفس الوجه ، نفس الملامح الحادة السمراء ، نفس العينين الغائرتين اللتين يصعب فى غير ضوء الشمس ان تميز لونهما البنى احيانا ، العسلى احيانا ، الأسود احيانا ؟

مع الوجه الذى لا يتغير

نفس الشعر الخشن الاكرت ، نفس الاذنين اللتين لم يرهما ابدا لان ثمة لاسة صوفية او قطنية تدور حول الراس ، تدور صيفا وشتاء لتحميهما من الحر او البرد ، وتكاد ان تحجب معهما جرحا قديما فى صفحة الوجه اليمنى او اليسرى ، واحيانا فى الجبهة ، وآنذاك تدور اللاسة الماكرة بحق لتخفى جرح الجبهة .

متى راى حقا ذلك الوجه لاول مرة ؟

يذكر انه كان فى القرية ، اول مرة ذاقت فيها قريتهم طعم مياه الشرب النقية ، التى تاتى من محطة بعيدة لتنقية المياه عبر مواسير تمتد فى باطن الارض ، كان صاحب ذلك الوجه الاسمر الحاد الملامح هو الذى يحمل فاسا تختلف عن كل الفؤوس التى يراها فى قريته ، حديدتها اكثر طولا ،واكثر صلابة ، وهو [illegible] الارض لتمتد فيها هذه [illegible] كبيرة تغطى جميع القرى، وفى الحقيقة لم يكن وجها واحدا هو الذى يصنع ذلك ، ولكنه اعنى السيد « م.م.م » عجز فى ذلك اليوم عن أن يميز بين كل هذه الوجوه التى كانت تقوم بنفس العمل ، عجز عن ان يجد بينها فروقا واضحة ، كانت كلها سمراء [illegible] الشمس يبللها العرق،اغلبها [illegible] ودائما كانت هناك [illegible] الملامح ، وحتى حين كان [illegible] ، كانت كلها تغنى معه [illegible] وهى [illegible] الارض تحفرها ، على المواسير [illegible] فى باطن الارض .

ولم يكن [illegible] يوما من صفات السيد « م.م.م » فقد أوصته امه وربما أبوه بألا يهتم بما

لا يفيده،والا يشغل نفسه بشئون الناس فليس وراءهم سوى الشر والمشاكل ، ولم يكن معنى هذا طبعا ان السيد « م.م.م » لا يحب الناس ولا يفعل الخير، بل كان يكتفى بحبهم على البعد ، يتفرج على الموالد والاعراس والاعياد دون ان يشارك فيها بدور ، وحين يفعل الخير يفعله ويجرى قبل ان يراه احد ، ودون ان تلمس يده يد الفقير او السائل ، ولولا ان اصحاب هذا الوجه كانوا مسالمين جدا وغرباء ولا يتسع وقتهم لغير العمل والغناء لما قدر له ان يعرف ما عرف عنهم •

وكان حريا به ان ينسى هذا الوجه تماما لولا ان رآه مرة اخرى بعد عدد من السنين ، كان السيد « م.م.م » قد اصبح فتى يافعا ، سافر الى عاصمة الاقليم ليستكمل دراسته فى المرحلة الثانوية وكان هناك كما كان فى القرية فتى مهذبا كذلك جلبابه النظيف اصبح بدله نظيفة وانيقه ، وحجرته مرتبة ومنسقة ونافذتها تطل على ارض خلاء فسيحة ، اختار له ابوه هذه الحجرة فى هذا البيت المنعزل بعيدا عن الضجة ، بعيدا عن رفاق السوء ، حتى يذاكر فى هدوء وينجح فى تفوق •

فوجىء ذات يوم بضجة هائلة فى المكان الخالى الفسيح ، آلات ضخمة تدك الارض ، وايد كثيرة تحمل الفؤوس التى تختلف عن ـ الفؤوس فى قريته وتحفر اساسا لعمارة جديدة تجرى الاستعدادات لبنائها ـ ورغم تهذيبه الشديد ـ حلم بجيران ، بالتحديد بجارة حسناء تسكن فى العمارة الجديدة ولكنه وقبل ان يتحقق حلمه بالجارة الحسناء تحقق من انه يرى نفس الوجه الذى رآه فى قريته منذ سنين •

الوجه الاسمر الملوح بالشمس والمبلل بالعرق ، لم يتغير فيه شىء ، حتى مكان اللاسة ، كان هو الذى يحفر الاساسات وينقل الطوب الاحمر فى سطور منظومة على ظهره ، ويصعد السقالات حاملا قصاع الاسمنت المعجون ، ويغنى •••• ولا يبدو ان شيئا ما قد تغير سوى نوع العمل « نفس العمر كأنه لم يكبر كل هذه السنين ، نفس الثياب ، نفس الوجه الواحد المتعدد • »

وفى الواقع انها لم تكن هذه هى المرة التى انتابه فيها الرعب من رؤية هذا الوجه الذى لا يتغير ، كان قد بدا يعرف الكثير عن هذا الوجه ، فهو قادم من الاقاصى الصعيد ، وهو متنقل ابدا وراء العمل هنا وهناك ، وهو يختلف عن وجوه الفلاحين فى القرية حيث يولد الفلاح ويعمل ويكبر ويموت فى نفس القرية ، كان السيد « م.م.م » قد بدا يعرف الكثير عنه وعن اشياء اخرى كثيرة ، وينسى الكثير مما يعرف ، وكانت دهشة المعرفة المتجددة لا تسمح له بالتفكير طويلا فيما يعرف •

والذى حدث انه نسى تماما هذا الوجه بعد ان اختفى من امام عينيه ، بعد ان ارتفعت العمارة ، وسكن بجواره كما كان يحلم وجه فتاة كالقمر ، احبها على طريقته من بعيد ، فقد كانت صورتها تملأ راسه فى احلامه ، كانت الفتاة تسكن فى البيت المقابل ، اما نصائح ابيه فقد كانت تسكن فى راسه ، ولم يكن غريبا ان ينجح فى الثانوية العامة بتفوق ، رغم قصة حبه التى كانت تتحرك فى راسه مع الدروس ، ودون أن تصطدم بها ،ودون ان تتحرك خطوة خارج راسه•

وكانت النقلة الكبرى فى حياته يوم دخل الجامعة من اوسع ابوابها، اختار كلية العلوم رغم ان مجموعه كان يرشحه لكلية الطب ، لم يقدر على ان يتخيل نفسه يوما امام جثة كائن بشرى يمزقها بالمشرط •

اما « كيمياء البترول » فهذا هو العلم الخالص الذى قد يسعد الانسان دون ان يغوص فى آلامه •

فى الجامعة اكتشف انه لم يعرف الحب ابدا قبل هذه المرة ، كانت هذه بنت حقيقية ، يعرف اسمها، يعرف ملمس يدها ، تتحدث اليه بصوت مسموع واضح ، صحيح فى العلوم وفى السيما وفى الكرة وفى السياسة ، ولكن لتقول له من خلال ذلك كله

انها تحبه وبالتحديد تحب تهذيبه الشديد وتفوقه معا .

ولم يقل لها احبك ابدا رغم انه كان يموت فيها ... ولكنه قال لها يجب ان تهتمي بدروسك لنسافر ، في بعثة واحدة الى الخارج كزوجين .

ولم يكن يجد معنى لدهشة زملائه لانه يحب بنتا واحدة اربع سنوات كاملة .

اما هي فلم تجد معنى لذلك الوجوم الشديد الذى انتابه فجأة في نهاية تلك الليلة التى دعته فيها الى فنجان شاى في احد « الكازينوهات »على النيل بمناسبة عيد ميلاده ، كان هذا « الفنجان شاى » هو الهدية الوحيدة التى وافق على قبولها منها ، كما كان اقصى مغامرة حب قاما بها خلال اربع سنوات ، في تلك الليلة كانا سعيدين،كادا يلمسان النجوم ، فاحلامهما تبدو على بعد شهور قليلة ، النجاح والسفر والبعثة و.. وفجأة يقطع احاديثهما صوت غناء .. غناء مكتوم .. قادم هذه المرة من شاطىء النهر ، لا صلة له بالموسيقى الخفيفة الهادئة التى تأتى من ميكروفون «الكازينو» ، فجأة يلوح في ضوء انوار «الكازينو» الهادئة وجه اسمر لا تكاد تتضح ملامحه ، وجه مندفع الى الامام كانه يوشك ان ينكفىء ولكن حبلا غليظا يدور هذه المرة حول الكتفين ، حبلا يجر وراءه مركبا شراعيا محملا بالاوانى الفخارية ، هذا الحبل الذى يجر المركب المطوى الشراع في عكس اتجاه الريح هو وحده الذى يمنع الوجه المنكفىء الى الامام من ان يسقط على الارض ، ولكنه لم يكن قادرا على منعه من الغناء المكتوم الذى يتردد مع ايقاع القدمين اللتين تغوصان في ارض الشاطىء الطينية الرخوة التى تنمو فوقها الاعشاب .

ـ تصورى ... الدنيا كلها تتغير هدا هذا الوجه.

نطق السيد « م،م،م » بهذه العبارة على نحو مفاجىء بعد لحظات صمت مفاجئة ، ثم عاد الصمت مغلفا هذه المرة بقدر من الوجوم ، لم تستطع هى ان تفهم [illegible] حومه في تلك الليلة ، معلـنى استمرار [illegible]

وعجزت [illegible] المبتسرة التى اوما بها الى قصته مع [illegible] تعتذر لها عن وجومه في مثل هذ[illegible] [illegible] ان تجعلها تفهم [illegible] المعنى الحقيقى لها !

لمحات عن حياة السيد م،م،م في أوروبا :

ست سنوات زمن كبير جدا في حياة الافراد ، بل والجماعات والمسألة دائما هي ماذا يحدث خلالها ؟

اصبح السيد « م ، م ، م ، » الدكتور « م ، م ، م ، » وعلاقة الحب اصبحت علاقة زواج ، وتوقف طموح الزوجة قبيل الماجستير بسبب الاجور المرتفعة لدور الحضانةفي اوروبا،والاجور المنخفضة لاعضاء البعثات من مصر ، ولاسباب اخرى كثيرة لا اهمية لذكرها ، ووقعت في حياة السيد « م ، م ، م ، » ثلاثة احداث هامة ، الاول : انه اصبح ابا لطفلتين جميلتين جدا . الثانى : انه لم يبصر مرة واحدة ذلك الوجه الذى لا يتغير . ثالث هذه الاحـ[illegible] .. فكرته عن التغير [illegible] و [illegible] » .

... الواقع ان الامانة التى نلتزمها في كتابة هذه اللمحات من حياة السيد « م ، م ، م » تحتم علينا ان نعيد النظر في صياغة الحدث الهام الثانى في حياته ، والا نترك حرصنا [illegible] تفصيله الايجاز يؤذى فضيلة الا[illegible]

فالحقيقة [illegible] قد ابصر الوجه الذى [illegible] خلال هذه السنوات الست .. مرات ... في خياله .

ويتصل بتوضيح هذه المسألة [illegible] الحدث الهام الثالث في حياة [illegible] « م

ونعنى به « كيف ان فكرته عن التغير قد تغيرت الى حد كبير ، فمع ان تخصصه فى « الكيمياء الصناعية » كان يقف به عند حد دراسة وجوه التغير التى يمكن ان تحدث فى حياة الانسان نتيجة لتقدم المعرفة فى مجال تخصصه والتطور المذهل فى تطبيقات هذا التقدم فى شتى نواحى الحياة .. الا انه لم يتوقف ـ برغمه ـ عند هذه الحدود ، فقد كان يعيش كل يوم وفى كل مجال منذ سافر الى اوروبا صدمة التغير ، ووجد نفسه دون ان يدرى يفكر طويلا فى معنى هذا التغير ، فى اتجاهاته ، فى معدلات سرعته ، فى المجالات التى يشملها سواء فى العلوم البحتة ام فى العلوم الانسانية، فى الناس الذين يتاثرون او لا يتاثرون به ، وفى النهاية وجد نفسه يقارن بين معنى وايقاع التغير هنا وهناك فى وطنه ، ورغم كل ما كان يقرؤه ويسمعه عن التغير فى بلاده فقد كانت الهوة التى تفصل بين ما يحدث هنا وهناك تملؤه بالفزع ، وربما كانت هذه هى المرة الاولى التى شعر فيها برعب حقيقى حين راى ـ فى خياله ـ الوجه الذى لا يتغير ، وحين خيل اليه انه يسمع على البعد غناءه المكتوم وهو يعمل بطريقته ليغير كل شيء فى بلده ودون ان يتغير .

اعتقد اننا بهذه الطريقة فى سرد هذه اللمحات من حياة السيد « م ، م ، م » قد اسانا الى فضيلتى الامانة والايجاز معا فنحن لم نذكر شيئا عن الشيء الذى لم يتغير فى حياة السيد « م ، م ، م » طوال هذه السنين ورغم كل ما قلناه عن التغير، ونعنى به تهذيبه الشديد، وقد نجم عن هذه الواقعة انه كان يشعر برعب حقيقى آخر يشبه ذلك الرعب الذى كان يشمله حين يرى فى خياله ـ الوجه الذى لا يتغير ، كان يشعر بذلك الرعب كلما فكر فى اجتياز مثل هذه الهوة التى تفصل بين بلاده وبين اوروبا ، ولم يكن يحب فى هذا الصدد ان يذكره احد بالتغير فى امريكا ، ان اجتياز مثل هذه الهوة قد يحتاج الى العنف او الى ما يشبه الجراحة الاليمة على مستوى الشعب كله .

ويبدو اننا قد نسينا تماما ان السيد « م ، م ، م » قد رفض فى بداية حياته دخول كلية الطب ، حتى لا يجد نفسه مضطرا لتشريح جثة انسان .

وقد كان يريحه احيانا ما يسمعه فى شك كبير من ان التغير فى بلاده يتم بلا عنف ودون اراقة دماء وفى كل مرة كان يسمع فيها مثل هذا الكلام كان يقول : ايمكن ان تتحقق هذه المعجزة ؟ ايمكن ان يكون هذا الكلام صحيحا رغم الدعايات المضادة العنيفة ؟ ثم عاد الدكتور « م ، م ، م » الى بلاده فى نهاية عام ١٩٧٦ .

« السيد م،م،م يعود الى بلاده »

حين عاد السيد « م ، م ، م » الى بلاده ، لم يكن قد فعل ذلك فى الحقيقة لمجرد ان المهمة التى سافر من اجلها قد انتهت ، بل فعله لانه رفض رفضا قاطعا النصائح الكثيرة التى همس بها البعض فى اذنيه ، لكى يبقى هناء ويعمل ، ويعيش الى ان تتضح الامور او تنصلح.

وحين عاد كان يعرف تقريبا ما سيلقاه فى بلاده، ومثل كل الناس كان يريد ان يعرف كيف حدث ما حدث ؟ وكان اعتقاده انه قد يجد اجابات غير التى قراها وسمعها فى الخارج ، وانه سيضع يده على الحقيقة بشكل او بآخر ، وانه فى النهاية سيجد مع مواطنيه طريقا للخلاص ، على الاقل لبداية الخلاص .

وظل يرى ويسمع ويقرأ : كان هناك من يقول: لقد حدث ما حدث لان المسئولين عن التغيير فى بلاده ، قد اتخذوا العنف اسلوبا ، ولم يترددوا فى البطش بمن يخالفهم فى الراى ، فساد الخوف ، وضاعت الحقيقة فى ظلامه ، وانكسرت روح الامة الواحدة ، وهى تواجه الخطر الواحد .

وكان هناك من يقول : لقد حدث ما حدث لانهم لم يتخذوا العنف اسلوبا لاحداث تغيير حقيقى ،

ولجأوا الى الحلول الوسطى المقيتة، فضاعت البلاد وقبل ان تولد من جديد .

كان عقله مع أصحاب الرأى الثانى ، وقلبه مع أصحاب الرأى الاول (وقد رأى بعض الاطباء الذين تولوا علاج الدكتور « م ، م ، م » فيما بعد أن ذلك كان بداية الانقسام (الذى أصبح خطيرا) فى شخصيته ، والذى لم يظهر تماما فى البداية ، لانه كان جزءا من الانقسام الاخطر الذى كان موجودا فى بلده كله) .

ودائما كما يقولون ، وكما كان الدكتور نفسه يعتقد : كان العمل افضل وسيلة لالتماس الحقيقة، والتماس الصحة ، وقد بدأ الدكتور عمله بعد فترة وجيزة مع العاملين فى نقل مصانع البتروكيماويات ، من مدينة السويس (التى كانت مهددة بالقصف المستمر من مدافع العدو فى الضفة الشرقية للقناة) الى مدينة الاسكندرية.

وفى هذه الفترة من حياته قدر له ان يرى وأن يعيش جزءا من الحقيقة .. حقيقة العنف الشامل الفظيع الذى لا يستهدف فردا أو فئة أو طبقة ، العنف الاعمى الذى لا يفرق بين من يحمل بندقية أو فاسا ، بين مصنع أو شجرة أو مدرسة ، العنف الذى يوحد الناس امام المصير الواحد .

وفى هذه الفترة من حياته قدر له أن يبقى فترة طويلة غير مصدق لامرين مع تحققه من وقوعهما تماما :

« الامر الاول» أنه لايزال يحيا رغم الاصابة التى كادت ان تودى بحياته .

الامر الثانى انه رأى بعينيه ولاول مرة (الوجه الذى لا يتغير وهو يتغير) وهو يصبح مثل بقية الوجوه .

فحين ذهب الى مدينة السويس — لاول مرة — رآه هناك ، ولم تذهله المفاجأة هذه المرة ، كان هو الذى اقام سواتر من الاسمنت المسلح حول خزانات الزيت ، واقامها حول كل المواقع التى تحتاج الى تحصينات ، لم يكن ينقصه سوى بدلة الجنود ، وحين [illegible] القرار بنقل المصانع من السويس كان هو [illegible] مهد الطريق امام الجرارات والروافع ، وحين [illegible] تتعطل الالة احيانا كان هو الذى ينقل [illegible] ، وحين كانت تجىء لحظة العنف [illegible] كل الوجوه بلون واحد تعجز اللاسة [illegible] ، ولم يعد ذلك الوجه وحده هو الذى يحتاج الى تغطية جراحه القديمة، فقد كانت الجراح تملأ صفحات الوجوه .

وحين جلس الدكتور « م ، م ، م » على شاطىء البحر فى الاسكندرية فى التماس الهدوء والحقيقة، عجز البحر عن أن يمنحه الهدوء أو الحقيقة ، ففى كل مرة كان يطالع صورته أمام أى سطح ساكن لامع، كان يرى الرباط القطنى الابيض الذى يحيط برأسه وأذنيه فى شكل لاسة تخفى وجها أسمر ، وشعرا خشنا ، وبعض الجراح ، على أن الدكتور « م ، م ، م » لم يصارح أحدا فى هذه الفترة من حياته بما كان يخيل اليه انه يراه ، واكتفى بتجنب الوقوف امام الاسطح الساكنة اللامعة .

قال الطبيب لزوجة السيد « م،م،م » :

[illegible] بوجود عقلين [illegible] عقل ظاهر طيب ، وعقل شرير خفى ، وانه لا يدرى كيف يعمل معهما ، فاحدهما يدمر ما يقوله او يفعله الآخر ، واحيانا يلوح أن السلطة الفعلية فى يد العقل الشرير الخفى ، وأن العنف لا يجىء من العدو [illegible] يخشى [illegible] ان يجد نفسه [illegible] العنف » .

الشرخ الذى حدث [illegible] ، فهو [illegible] المرحلة [illegible] لعلاج [illegible] شخصية [illegible] به [illegible] بالعقلين [illegible]

الاجـازات ، يسهر ويشرب منفـردا ، لا شيء يثير اهتمامه ، حتى ولا طفلتيه اللتين كان يحبهما الى درجة العبادة .

ـ لا جدوى من مناقشته فيما يفعل الان ،لننتظر مفعول العقاقير المهدئة في هذه المرحلة .

حادث عرضي وهام يقع فجاة في حياة السيد « م،م،م » :

كان عائدا بعـد منتصف الليل ، رأسه مثقـل بالشراب ولكن روحه منتعشة ومحلقة ، لماذا يتقاتل الناس حتى الموت في هذا العالم الجميل الساكن؟؟ أغراه الشارع الطويل الخالي بان يسرع في القيادة ليتناغم ايقاع روحه مع ايقاع السيارة المسرعة .. لو زادت السرعة الى حد كبير جدا لتصبح في سرعة الضوء لتحولت السيارة بمن فيها الى موجات من الضوء .. يا لها من طريقة للانتحار .

لماذا يصرون على وصمه بالمرض؟وماهي الصحة؟ ان يضنوا عليه بالشراب الذي يطلق اسار روحه.. اللعنة على كل الاصحاء ، الاصحـاء وحدهم هم الذين يلجاون الى العنف عندما يمتلكون المزيد من القوة ! ولا سبيل الى الغاء العنف الا بتوازن القوى !!

لماذا لم يحقق الله توازنا طبيعيا بين قوى البشر كهذا التوازن الذي حققه بين النجوم في افلاكها ، وبين الكهارب في ذراتها ؟ .

لـماذا يتحتم على الانسان وحـده ان يصل الى التوازن عبر بحر من الدم؟والعنف لم يحدث الاختلال من جديد لان قـوى البشر-تنمو بطرائق مختلفة ، وفي ايقاع مختلف ؟ .

امن الضروري ان يكون هذا العذاب ثمنا ابديا للحرية والاختلاف والتغير ؟ لماذا لا تتشابه الوجوه الا في لحظات الفزع او الموت ؟ .

... السيارة المسرعة ، تندفع قدمه اليمنى بطريقة لا شعورية لتدوس على « البريك » السيارة تتوقف بالكـاد بعد ان تنغمس مقدمتها في الحائط الترابي الذي يرتفع على جانب حفرة تقطع الطريق ، كيف لم يبصر هذا المصباح الاحمر الكابي ؟ ولكن هـا هو يبصر بين الفزع والدهشة وفي ضوء نفس المصباح « الوجه الذي لا يتغير » .... يبصره وهو يخرج من الحفرة التي كان يعمل فيها وهو مغطى باكوام التراب التي دفعتها مقدمة العربة المندفعة . كاد يقتله ويقتل معه . عليه اللعنة . دائما يعترض طريقه « انتبه .... » هنا عملية توصيل كبلات الكهرباء « شركة حسن علام » تخيل ورأسه يدور: ان هناك لافتات في طول البـلاد وعرضها تحمل هذا التحذير « انتبه .... هنا رجل ملعون .... يغير كل شيء ولا يتغير ... احذروا قتله لانه لا غنى لكم عنه » .

ـ انت رجـل اعمى ... تقـود السيارة وانت مخمور ، فاقد لصوابك كدت تقتل الابرياء وتقتل نفسك .

قالها شرطي المرور وهو يتفقد اجـازة القيادة ودفتر السيارة ، قالها وهو يعمل بمساعدة الوجه الذي لا يتغير على نقله من سيارتـه الى سيارة اخرى كانت تمر بعـد لحظات لتنقلـه الى اقرب مستشفى .

ـ الحمد لله ، جاءت سليمة ، وربنا ستر .. لا مؤاخذة يابيه .... قالها الوجه الذي لا يتغير بعد ان نقله مـع الشرطي الى السيارة الاخرى .

قالها مواسيا ومعتذرا عن التراب الذي اسقطه عليه وهو يشارك في حمله الى السيارة .

قالها قبل ان يعود ليزيح السيارة التي كـان يستقلها السيد « م ، م ، م » الى جانب الطريق مع الشرطي .

قالت زوجة السيد « م،م،م » للطبيب :

ـ « لا زالت حالته مقلقة ياسيدى حتى بعد عودته الى البيت ، لا يزال يتصور انه قتل العمال الذين كانوا يحفرون الطريق ولا يصدق انهم هم الذين انقذوا حياته • »

ثم اضافت بلهجة مترددة تنم عن قلق عميق وكأنها تبوح بسر خطير •

ـ « امس فتح نافذة الحجرة فى الطابق الثالث، كان عامل البياض يتدلى على سقالة معلقة لدهان واجهة العمارة ، بالصدفة كان بجوار النافذة،لم يكد يراه حتى اطلق صرخة عالية ، لولا لطف الله لسقط الرجل من الطابق الثالث • ثم اجهشت الزوجة بالبكاء •

حاول الطبيب تهدئتها ، قال لها بعد ان امر لها بفنجان قهوة ـ ياسيدتى ••• زوجك سيىء الحظ، الحادث الذى وقع له فى الطريق جاء فى وقت غير مناسب ، فضاعف من سوء حالته ، وعلى كل حال نحمد الله فقد كان من الجائز ان تكون النتائج اقسى ثم اضاف محاولا توضيح الامور :

ـ لدى زوجك شعور عميق بذنب لم يرتكبه ، يعاقب نفسه على اشياء لا دخل له فيها ••• ثم تابع فى لهجة اقتراح (ليتكم ـ بعد تحسن زوجك ـ تسافرون للعمل فى اى بلد عربى •• فربما ••• يؤدى تغيير الظروف الى نتائج افضل) •

مقتطفات عن الفترة الاخيرة من حياة السيد « م،م،م » :

المعلومات التى وصلتنا عن هذا الجزء من حياة الدكتور « م،م،م » يشوبها الغموض ، بسبب تعدد مصادرها ، ولسنا نقطع بصحة كل ما نورده هنا ، وقد جاء على السنة عديد من الشخصيات التى تصادف ان تقابلت معه او عملت فى عدد من البلدان العربية المنتجة للبترول التى تنقل بينها التماسا للطقس المناسب لصحته ومزاجه •

★ هناك ر... ...ه الاجماع عن تحسن واضح فى الصحة ـ ... والدخل ، ويقال ان هذا التحسن وصل الى قمته بعد حرب اكتوبر المجيدة ، حتى انه فكر بعدها فى العودة فورا الى وطنه ،ولكن زوجته من ناحية ، واخبار الازمات الاقتصادية فى بلده من ... ...وقفتا بهذه الفكرة عند حدود التفكير الدائم فيها •

★ يزعم بعض الرواة ان التدهور المفاجىء الذى حدث فى صحة الدكتور « م،م،م » سببه المباشر تمزقه بين رغبته الملحة فى العودة الى بلده وعجزه عن تنفيذ هذه الرغبة (اختلفت الاقوال فى اسباب هذا العجز)

★ بينما يضيف بعض الاصدقاء ذوى الصلة الحميمة بالدكتور ان السبب الحقيقى«هو الطريقة الغريبة والمفاجئة التى بدا يظهر بها الوجه الذى لا يتغير فى تلك البلاد التى تنقل بينها الدكتور « م،م،م » كان يظهر فجاة وباعداد كبيرة فى اماكن خالية لم يختفى لتظهر فى مكانه عمارات وطرق مرصوفة ، ومستشفيات وفنادقونواد وحدائق ••

★ يزعم بعض ... آخر بلد استقر بها ... ...نى حتفه فى حادث سيارة ، آخر سيارة اشتراها ، وقد كان يقودها وهو فى حالة سكر بينة •

كدنا نصدق هذه الرواية لانقطاع اخبار الدكتور « م،م،م » عن كل اصدقائه ، ولكن عدم عودة ... وابنتيه من ناحية وعدم ... ...له فى صحف بلده او صحة ... جعلنا نفسح مكا... اخرى ـ كنا ... لاسباب سترد خلالها •

الرواية الأخرى :

تقول هذه الرو... ...م،م ... يمت تماما، ...

كثيرا عن الموت ، بل ربما كانت اشاعة موته اكرم كنهاية .

تقول الرواية ـ وهي تنسب في الجزء الاخير الى زوجته ـ ان حادث السيارة صحيح ، وان الدكتور حين فتح عينيه بعد اصابته وهو بين الحياة والموت وجد ان الوجه الذى لا يتغير هو الذى يندفع الى سيارته المحطمة ليخرجه منها وينقله الى سيارة الاسعاف (ان هذا الجزء المبنى على مصادفة غريبة هو الذى جعلنا نتردد في قبوله ، ولكن لا شيء سوى هذه المصادفة يجعلنا نتقبل النهاية المبنية عليها) .

تقول الزوجة : لقد وقع الحادث بجوار بناية كبيرة كان يعمل فيها الوجه الذى لا يتغير باعداد كبيرة ،وكانت شاحنة ضخمة تحمل شكائر الاسمنت الى هذه البناية هى التى صدمت سيارة الدكتور وحطمتها تماما ، ثم تضيف الزوجة : في فترة العلاج التى لزم فيها الدكتور « م.م.م » سرير المستشفى ، حلم انه مات في حادث السيارة.وان احدا لم يتقدم لاخراج جثته من السيارة المحطمة ، لقد هرب سائق الشاحنة بعد الحادث متخلصا عن كل مسئوليه . وكان ما يخافه الدكتور وهو ميت في هذا الخلاء ، ان بعض الوحوش قد تجيء وتمزق جثته ... لقد ظل يقتله الخوف خلال موته حتى ظهر الوجه الذى لا .. يتغير .. باعداده الكبيرة في المكان الخالى .. وحملوه الى مقبرة حفروها بفؤوسهم التى تختلف عن فؤوس الفلاحين في قريته ، لم دفنوه فيها ، ووقفوا على حافة المقبرة ليهيلوا فوقه التراب بنفس الفؤوس ، وانذاك استيقظ الدكتور م.م.م من الموت صارخا ، ليروى الحلم المفزع لزوجته .. لم يقول بصوت منقطع اخر كلمات نطق بها ـ « لم اكن اتصور انه يخفى وراء وجهه المسالم كل هذا العنف » . لم تقول الزوجة : ان زوجها لا يزال يعيش ولكنه عازف عن اى كلام .

كلمة أخيرة

اننا ننقل هذه الرواية على مسئولية رواتها نقلا عن الزوجة وعلى مسئوليتها ، ويضيف هؤلاء الرواة : انهم وجدوا عملا لهذه الزوجه تقديرا لخدمات زوجها ولتتحمل مسئولية حياتها وحياة البنتين وهذا هو السبب في عدم عودتها الى بلدها .

ملحوظة أخيرة :

سوف نعيد كتابة النهاية لهذه اللمحات من حياة السيد « م.م.م » في ضوء اية حقائق جديدة يمكن ان تظهر . ■■

الكويت ـ محمد ابو المعاطى ابو النجا

■ مقالة السوء الى اهلها اسرع من منحدر سائل .
(محمد بن حازم الباهلى)

■ شاب رأسى ، وما رأيت مشيب الـ
ـرأس الا من فضل شيب الفؤاد
(ابو تمام)

■ أريد لانسى ذكرها ، فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل .
(كثير عزة)

وجه سورى من مجموعة الفتيات
اللاتى قدمن الفقرات الراقصة .

ابى خليل القبانى و الغرباء

مسرحيتان للمسرح القومى السورى فى الكويت

بقلم : الدكتور على الراعى

حفلة ذكر فى مسرحية ابى خليل القبانى

... المسرحي : كتابا ونقادا ومتفرجين واعين ٠

ورغم ان هذه الدعوة قد حملت ـ في بادىءالامر ـ على محمل الحذلقة الفكرية والبحث عن الجديد بأي ثمن ، فان توالي الايام ، وتتابع المحاولات لخلق مسرح عربي : هوية ومضمونا وفكرا وتاريخا ، لم تزد الباحثين الا اصرارا على بحثهم ، ومن ثم قامت مسرحيات مثل : « حلاق بغداد » و « على جناح التبريزي » للكاتب المصري الفريد فرج ، وكتب يوسف ادريس مسرحيته المثيرة « الفرافير » ، وطلع الفنان المسرحي الشامل الطيب الصديقي ـ في المغرب ـ بمسرحيتيه الهامتين : « ديوان سيدي عبد الرحمن المجذوب» و « مقامات بديع الزمان الهمذاني » ٠ وكتب الكاتب المسرحي السوري سعد الله ونوس مسرحيات من التراث :مثل «الفيل يا ملك الزمان» ،ومثل : « مغامرة راس المملوك » ، ومثل مسرحيته التي نحن الان بصددها وهي :

« سهرة مع ابي خليل القباني » ٠

وتعتبر هذه المسرحية انجح ما كتب سعد الله ونوس في الصيغة المسرحية التي اختارها لنفسه، بدأ بمسرحيته الهامة : « حفلة سمر من اجل ٥ حزيران » ٠ ... سعى فيها الى استخدام صيغة ... على علينا قصة الهزيمة ، وما ... من احداث ، مستخدما في ذلك ... ح الشعبي واهمها جميعا التعام بين ... الخشبة ، ورفض لفكرة الاندماج ... في النص ، واندماج المتفرج في ... الذي ورد الينا مع المسرح الغربي٠

وفي ... رحيته : « مغامرة راس المملوك » ، استخدم ونوس صيغة المسرح الشعبي ايضا ،وادخل في هذه المرة تقليد : الراوي والمقلد ، حكاية قصة مسرحية تارة وتشخيص ادوارها تارة اخرى، ... تعليقا جاريا على حوادث المسرحية من ممثلين قاموا بدور المتفرجين ، وذلك لكي يسقط ... على الحاضر ، ويجعل الماضي تعليقا على ... الحاضر من مثالب ٠

... مع ابي خليل القباني » ٠ ازداد ... ونوس نضجا ، وتمرسا بصيغته المسرحية ... موفقا في اختيار الموضوع الذي يسمح لمفردات هذه الصيغة جميعا بالاستخدام المشروع والمقنع والناجح معا ٠

« سهرة مع ابي خليل القباني » تلعب على مستويات ثلاثة ، وليس مستويين اثنين وحسب كما يعتقد المؤلف والمخرج في كلمتي التقديم ٠ المستوى الاول : هو قصة نشأة مسرح ابي خليل القباني في سوريا في خمسينات القرن الماضي ، وما واجه ذلك المسرح من صعاب وعداوات ، وما دل عليه من بدء ظهور الروح القومي عند العرب ، وتطلعهم الى انشاء دولة عصرية تضم شتاتهم جميعا بعد التحرر من ربقة الامبراطورية العثمانية ومن باقي المستعمرين ٠

وعلى هذا المستوى عرض ونوس احدى مسرحيات ابي خليل القباني ، وهي المسماة : هارون الرشيد مع غانم بن ايوب وقوت القلوب ٠ وبهذا عرض ونوس مسرح القباني بصورة شبه متكاملة :عرضه في النظرية والتطبيق والهدف الاجتماعي ٠ وكان حكيما حين اصر على أن يحتفظ لمسرح القباني بكل مقوماته النظرية والعفوية ، وهنا افادته فائدة كبرى صيغة المسرح المرتجل ظاهريا ، وما تسمح به من حركة نشطة بين القاعة والخشبة ، وما تعطيه للمتفرج من حق التعليق على العرض وما تمنح الممثل من حق الخطاب المباشر للجمهور٠ ذلك ان هذا مسرح في دور التكوين ، وشيء طبيعي فيه ، بل وشيء فاتن ان يلغى فيه عنصر الاندماج وان يتدخل الجمهور في العرض ، وان يعلن الممثلون عن بضاعتهم بالطبل والزمر واحيانا ـ كما كان يحدث في تاريخ المسرح الشعبي ـ بجزء من المسرحية تمثل خارج الخيمة كمينة مما سوف يحدث بالداخل بعد بدء العرض ٠

جمهور ابى خليل القبانى ، بعضهم كان يدخل المسرح مجانا بتهديد العصا ،
ممثلو الجمهور جلسوا فى الصف الأول من القاعة ٠

العناصر الفنية المستخدمة فى مسرحية : « سهرة مع ابى خليل القبانى » كلها موظفة فى موضعها، وكذلك وضع مسرح ابى خليل فى الاطار الاجتماعى والسياسى الذى نشأ داخله ٠

ولولا الحاح من المؤلف على تفسير كل الاشياء وتتبع كل الاحداث ، لجاء العرض اكثر تماسكا واوفر امتاعا ، خاصة اذا ما كان قد اتيح له اصوات غنية فعلا ورقصات احسن تصميما ٠

والمؤلف نفسه يشعر باحتمال الاطالة فى العرض فيترك للمخرج حرية الاختصار المعقول ويحمله ايضا مزيدا من مسئولية البحث عن الاشكال

والتقاليد والاعراف المسرحية الشعبية ، لكى يضفى على العرض كامل الاقناع و [illegible]
الشعبى دعما مطلقا ٠

ولقد اعطى الممثلون جميعا [illegible]

وبرز منهم محمد [illegible]
القبانى ، و [illegible]
بركات فى [illegible] النص ، الذى [illegible]
القبانى ، [illegible] من اول ظهوره حتى
اغلق [illegible] المسرح [illegible]
ياسين بافوش فى [illegible] النادى [illegible]
فضة بقيادة هذه [illegible] طيبة [illegible] انه

مشهد من مسرحية « الغرباء » ..
المختار يقف وسط القرية واهلها حوله.

ابو خليل الذي مثل دور ابي خليل القباني.

يوسف حنا الذي ادى دورا بارزا في
دور يوسف ، الشاب الثائر الذي
يعترض على دخول الغرباء .

ياسين بقوش ، المنادي وسكرتير الولاة.

تصوير :

يوسف الغريب

نايرة الشاويش ، قامت بدور الراوية
في مسرحية « سهرة مع ابي خليل القباني ».

مشهد راقص من مسرحية هارون الرشيد والتاجر غانم وقوت القلوب • وضع المؤلف الملقن على المسرح لاظهار بداية العرض المسرحي فى عهد ابى خليل القبانى •

استمع .ى نصح المؤلف بان يلجا الى الاختصار فى ''التفسيرات السياسية والاجتماعية لجاء العرض اسر ، والفعل ، فان مما لاشك فيه انه كانت تمر بنا .. ، لحظات نشعر فيها ببطء الاحداث ورتابة الايقاع •

اعو: فاقول ان المسرحية مثل طيب جدا من . لتفات الى التراث المسرحى ، وهى خدمة تقدم للمسرح العربى ، فرجة ودراسة وتاريخا معا •

كذلك عرض المسرح القومى السورى مسرحية : « الغرباء » للكاتب السورى على عقلة عرسان •

والغرباء تحكى عن قرية سورية جاءتها طائفة من الغرباء ذات يوم متمسكنة ، تطلب المأوى ، فانقسم اهل القرية بازائها قسمين : قسم يمثله الشاب يوسف ، وهو يحذر القرية من قبول الغرباء ويقول انهم طردوا من قرى كثيرة قبل مجيئهم، لانهم ما ان ينزلوا مكانا حتى يبذروا فيه بذور الشقاق، ثم يقوم النزاع المسلح وتسفك الدماء •

وقسم ثان يمثله الشاب مصطفى ، شاب عربى طيب القلب ، يرى انه مما يجافى الروح العربية المضيافة ان يرد قوم جاءوا يطلبون المأوى • ويطول الكلام وتبادل الحجج بين يوسف ومصطفى،

فيقرر هذا الاخير ان يدخل الغرباء الى المكان الذي يسكن فيه ويجعل لهم هناك ماوى .

وبالفعل يدخل الغرباء . ويحتلون المكان المعطى لهم . ثم يتزايد عددهم . ويبدو واضحا انهم يتصرفون وفق خطة موضوعة . يساعدهم على تنفيذها رئيس مخفر المنطقة . ثم ياخذون يجلبون السلاح خفية ويتحصنون في موقعهم حتى يصبح ممتنعا على اهل القرية .

ثم تدور احداث كثيرة من بعد . يقتل مصطفى بيد رئيس جماعة الغرباء . واسمها في المسرحية جماعة ابي داود . يقتل مصطفى بيد داود هذا . ويتهم بالجريمة يوسف . لسابق الخلاف الذي دب بينه وبين القتيل حول دخول الغرباء القرية .

وينفى يوسف من القرية بدعوى الحفاظ على حياته من انتقام اهل القتيل . بينما يستفحل نفوذ جماعة ابي داود . فيستقلون من المسكنة الى الغطرسة ويتعدون مختار القرية وسائر اهلها . وتقع بينهم وبين الاهالي المعارك المسلحة . فيهزم الاهالي . وتنهار روحهم المعنوية . وتروج بينهم اسطورة ان عدوهم لا يقهر .

ثم يعود يوسف من بعد . وقد اثبتت الايام صدق رؤيته للامور . وياخذ في اقناع المختار وشباب القرية بضرورة التصدي المسلح والمخطط للعدو . فيقتنع الاهالي . والشباب منهم خاصة . بعد لأي ولكثرة ما تجرعوا من غصص الهزيمة . ثم يدخلون معركة كبرى مع عدوهم يكون لهم فيها النصر . ويثبت بالدليل العملي ان المختار كان على حق حين كان يجادل مخالفيه في الرأي قائلا : ان القرية لم تهزم .. لم تفقد روحها . وانما هي عانت ـ فقط ـ من مرارة الهزيمة .

هذه هي حكاية المسرحية التي كنى بها المؤلف عن ماساة فلسطين .

ولعل اتخاذه طابع الحكاية او الامثولة مسئول ـ الى حد ما ـ عن هذا التبسيط الشديد الذي يلف المسرحية واحداثها . فاننا لا نعرف سببا وجيها لتاييد مصطفى للغرباء وتماديه في استباق اهل القرية لاستضافة الغرباء ووضع الجميع ـ بهذا ـ امام الامر الواقع .

كما ان يوسف في خصومته للغرباء لا يصدر الا عن كلام عام . وتردد المختار والناس والشباب يصور وكانه نابع من داخل نفوسهم لا لسبب خارجي هذ[illegible] الى قيامه .

كذلك [illegible] المؤلف الى التصوير المبسط للعدو الص[illegible] فهو يهودي تقليدي يتظاهر بالمسكنة و[illegible] نسائه كي يتمكن من الارض التي يسعى [illegible] . وليس ابعد من هذا عن العقيقة في و[illegible] و الصهيوني لارتباطاته الدولية العديد[illegible] متماده على التقدم التكنولوجي البالغ التعقد . وعلى حملات الدعاية المنظمة في كسب الرأي العام العالمي له .

كما ان هذا التصوير يعفي بعض العرب من مسئولية وقوع فلسطين في ايدي الصهاينة . فالذين اخطاوا اخطاوا بحسن نية والذين تنبهوا لم يفعلوا شيئا سوى الصياح !

قدم المخرج ، وهو نفسه مؤلف المسرحية .عرضا طويلا شيئا ما . حشده بكل الوان المؤثرات الزاعقة من قتل على المسرح ، واتهام واتهام مضاد .. وجدل .. جدل كثير يبدأ من نقطة ويتقدم نقطتين او ثلاثا ليعود من حيث اتى ويبدأ من جديد . فخلق لنا الانطباع بان موضوعه غارق في مستنقع من الكلام ، لا يستطيع الخروج منه الا بصعوبة شديدة . وبالفعل يخرج الموضوع في النهاية من دوامة الكلام الى مرحلة اتخاذ القرار والقاء النفس في خضم المعركة .

ولقد قام الممثلون جميعا بادوارهم على قدر ما فيهم من طا[illegible] . وبرز منهم عدنان بركات في دور المختار المتردد بين قبول الغرباء او رفضهم وعبد المولى غميض في دور المتحمس للغرباء بغير تبصر ولا روية . واحمد عداس في دور الص[illegible] ابي داود . وقد كان ـ في رأيي ـ اقدر [illegible] واكثرهم تمكنا من الاداء .

بقي ان نعبر [illegible] الذي قدم لنا هذين [illegible] ود
المجلس [illegible]
اثراء [illegible] كويتي [illegible] ما
ومونتر [illegible] المختلفة .

الي م طوّر، تعرّف على بنك الكويت الوطني فتثق به

مستجلات - راديو فيليپس
الكمال رفيقك
اينما كنت
مجموعات آلات تسجيل الصوت
المهنية تستلزم التقيد بمعطيات
علمية وتقنية دقيقة. هذا ما
توصلت اليه فيليپس من مدة طويلة
واوجدته في مجموعة كاملة للتسجيل
من أصغر آلة الى أكثرها تطورا.
إنها ثمرة خبرة عالمية واسعة ناتجة
عن تفوق تقني وفني تتطوره
فيليپس بنجاح منذ نصف قرن تقريبا.
هذا التفوق التقني والفني
ظاهر أيضا في كل مسجل
راديو
مع فيليپس
على الأ
فيليپس الأفضل لكم دوما

فنان

عربى

الفنان
سعد كامل
فى مرسمه

سلالة الغضب.. تجد الطريق

بقلم : راجى عنايت

■ عندما احيل الضابط محمد عبيد الى الاستيداع ،ضمن من ابعدوا من الجيش فى اعقاب [illegible]طرابى الوطنية ، منحته الحكومة قطعة ارض [illegible]محافظة القليوبية على الطريق المؤدى الى [illegible] الاسماعيلية كما هى العادة مع الضباط الذين يتركون خدمة الجيش . ولسبب ما .. ربما [illegible] الارض من قلب الاراضى الزراعية ، وربما لعدم خصوبتها .. بل وربما لمجرد احالته الى الاستيداع ، غضب الضابط محمد عبيد على الارض ، وقاطعها ، فاطلق عليه الفلاحون اسم « الغضبان » .

يموت الضابط محمد عبيد فيرثه ابنا له ، يرث الارض واللقب ، فقد كان عمدة للقرية القريبة من ارضه ،واشتهر بين الفلاحين بالعناد والسخط وسرعة الغضب .

غير ان الاجيال التالية ، تمردا على اللقب .

- الجد الغاضب .. ضابط فى جيش عرابى .
- الصفعات والرعب فى جحيم المدرسة الابتدائية .
- حادث اليم .. يقود الى اكاديمية روما .
- لحظة الاكتشاف فى مصنع جوبلان بباريس .
- المعرض الاول ، وثيقة اعتراف فنية .
- الرحله القاسية من داخل البيت الى « الجراج »

بعثت لنفسها عن اسباب ووسائل تمتص ذلك الغضب . فعمل محمد كامل حفيد محمد عبيد مهندسا فى المساحة بمدينة شبين الكوم ، وبحث لنفسه عن هواية يلجا اليها كلما احس ان بوادر الغضب التقليدى فى العائلة تقترب منه ،عشق فن الخط العربى ، وابتكر طريقة لرسم لوحات الخط بواسطة طوابع البريد القديمة !

وفى مدينة شبين الكوم ولد لهذا المهندس فى عام ١٩٢٤ ابنا اسماه سعدا ، تيمنا بالبطل الوطنى الغاضب سعد زغلول ! . ولقد قدر لهذا الابن سعد محمد كامل ان يترجم الغضب التقليدى فى العائلة الى ثورة فنية على اساليب الرسم والتصوير الاكاديمى ، والى رفض حاسم لتبعية الفنان التشكيلى للمدارس الفنية الاوروبية الحديثة . قدر لحفيد الضابط الوطنى محمد عبيد ،ان يصبح رائدا لاتجاه العودة الى استيحاء الاصول الشعبية والمنابع الاصيلة فى الفن التشكيلى المصرى .

توزعت طفولة الفنان ، بين مباهج روضة الطفل الفرنسية التى ارسل اليها ، بما فيها من اقلام والوان وورق للرسم متعدد الالوان ، وبين سعيه الدائم لاقتحام حجرة الاسرار بما فيها من غرائب وعجائب . فرغم ما توفر له من [illegible] التعبير الفنى المتنوعة فى المدرسة ، كـ[illegible] يدفعه الى انتهاز فرصة انشغال الاب فى [illegible] اموره بعيدا عن حجرة عمله فى البيت ،فيتسلل متطلعا حوله الى ذخيرة الادوات التى كان الوالد يستخدمها فى هواية الخط العربى ، [illegible] والريش والفراجين والمقصات الضخمة ، يتعمد بيديه فى حافة منضدة العمل الكبيرة ، محاولا الوصول بنظره الى سطحها ، فتميل المنضدة ويتساقط ما عليها من ادوات واحبار فى [illegible] مفزعة ، تستدعى اهل البيت ، وما يعقب الاستدعاء من صراخ وتانيب وعقاب بدنى

صدمة العائلة

فى السادسة من عمره ، دخل المدرسة الابتدائية ، فهاله عالم العمالقة كان اصغر التلاميذ سنا واضالهم حجما ، من عراكهم الخشن ، ويتحاشى معابثاتهم لم امام الصغير من وسيلة لمنافسة هؤلاء [illegible] ان يتفوق فى دروسه ، فكان هذا [illegible] طريقا الى الجحيم .. جحيم ال[illegible] والـ[illegible] البدنى .

. .نحاء المعاصر
النمية السائدة بعد
تصويرها .

، في كل بد من
..الحفر والطباعة.

من اعمال الحفر والطباعة .

ذاته
الشعب من
الحفر والطباعة
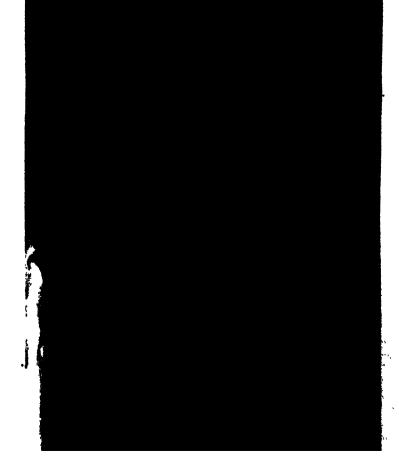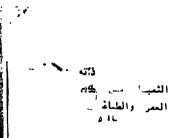
.. اللغة الانجليزية ، واعجاب مدرسها به ..
كان يوجه اسئلته الى كبار التلاميذ في الفصل، وعندما يعجزون عن الوصول الى الرد السليم ، يعيد سؤاله على طفلنا فيعطى بالاجابة المطلوبة.
وكان مدرس اللغة الانجليزية يعاقب هؤلاء المهملين في دروسهم ، بان يطلب من سعد ان يصعد واقفا فوق مقعده حتى يدرك طول التلميذ الآخر . ثم يامره بان يصفع التلميذ المهمل فوق وجهه .. يتردد طفلنا ، او يكتفي بلطمة رقيقة تحسبا للمستقبل ، فيثور المدرس ويطالبه بصفعة يسمع لها صوت في نهاية الفصل .. وعندما يمتثل سعد لهذا الامر ، كان الحزن والرعب يغلبان عليه ، وهو يتصور عاقبة امتثاله لهذا الامر ، عندما ينتهي الدرس ، وتنطلق هذه العمالقة بلا رقابة مدرس ، تنتقم من صفعاته بكل ضروب الركل والصفع .

اما محنته الثانية في المدرسة الابتدائية ،فقد كان مصدرها مدرس اللغة العربية ، بجسمه الضخم . وتقاطيعه القاسية والعصا الخيزرانية التي كان يحملها دائما داخل كم سترته ، لتخرج مشرعة في الوقت المناسب ، هابطة على رؤوس الجميع . وكان نصيبه من هذه العصا اكبر من غيره ، نتيجة لصغر سنه وضآلة حجمه ، وعدم قدرته على ابتكار وسائل الدفاع التي يجيدها باقي التلاميذ .

بالنسبة له ، عالم من الخوف والفزع فحسب . فقد كانت لديه تلك الواحة المبهجة التي يلجأ اليها كلما وجد الى ذلك سبيلا . لقد اتاح له تفوقه في دروس الرسم ، ان ينتسب الى جماعة الرسم . يذكر زيارة جماعة الرسم لحظيرة الدواجن بالمدرسة بعد انتهاء الدروس ..... والمحاولات الناجحة لرسم الطيور ، من دجاج وبط واوز .

انتهت مرحلة الدراسة الابتدائية بنجاح كبير، يتيح له ان يتمتع بمجانية التعليم الثانوى الذى كانت له في ذلك الحين مصروفاته التي لايطيقها كل تلاميذ المرحلة الابتدائية . لم تكن هذه المجانية هي التي شجعت الوالد على ادخال ابنه الى المدرسة الثانوية .. فهو من الناحية المالية كموظف مرموق بمصلحة المساحة ، وصاحب ارض بالقليوبية قادر على مصروفات المدرسة الثانوية بكل يسر .

رغم كل هذا ، فقد حدثت المفاجأة التي منعت الابن من دخول المدرسة الثانوية . كان الابن هو مصدر هذه المفاجأة ، عندما اعلن رفضه الالتحاق بالتعليم الثانوى ، واصراره على دخول المدرسة الصناعية !

كانت الصدمة قوية على العائلة باكملها . فمدرسة الصنائع كما كانت تسمى ، هي ملاذ

واحدة من مجموعة قطع النسيج القبطى الضخمة التي يحتفظ بها الفنان سعد كامل ويستوحى منها عناصر اعماله .

عرائس العظم الشعبية الاثرية من العصر القبطي ، ضمن مجموعة التحف الفنية الاثرية الكبيرة التي يعتز بها الفنان سعد كامل .

البسطاء من الناس الدين لا يطيقون تكاليف الدراسة الثانوية . وهي لن توفر لغريجيها ما هو ابعد من العمل الحرفي . كان الاختيار الذي يصر عليه الصبي رغم عناد العائلة ، فضيحة اجتماعية ! وخاصة بالنسبة لهذه العائلة التي تساندها الوظيفة المحترمة لعائلها ، والارض المملوكة بالقليوبية .

أما الصبي الصغير الذي جلس مطرقا امام مجلس العائلة ، فقد كانت له خطته الخاصة . لقد عرف من زملائه ان الطريق الى الفن يمر خلال مدرسة عالية يطلق عليها الفنون التطبيقية .. وان السبيل الى تلك المدرسة هو الدراسة الصناعية ، وبالتحديد قسم الزخرفة والنقش .

ويقول الفنان سعد كامل ضاحكا : لم اكن قد سمعت في ذلك الحين عن مدرسة الفنون الجميلة العليا.. والا لكنت قد تنازلت عنعنادي واصراري في وجه معارضة الاسرة .

ينجح الصبي في دخول المدرسة الصناعية ، ويسعد بالدراسة ويستمتع بها ، فيتفوق ، ويحصل على الدرجات التي تؤهله لدخول مدرسةالفنون التطبيقية .. حلمه القديم .

خبر في جريدة الاهرام

في انتظار رد مدرسة الفنون التطبيقية التي تقدم اليها عام ١٩٣٩ ، تنشب الحرب العالمية الثانية . وفي نفس الوقت ينقل الاب الى مصلحة المساحة باسيوط . فترفض العائلة اقامته بمفرده في القاهرة وفي زمن

وتبدأ ... الصبي وعائلته . ... عن غضبه ، ويلعا... ... عندما يصل رد الفنون التطبيقية بالقبول ، يخفي الخطاب عن ابنه ، وتتحرك العائلة الى أسيوط في صعيد مصر .

تمر الايام ، دون ان يصل الخطاب المنتظر فيشعر الصبي بمرارة تملأ نفسه كلما ... ان الفنون التطبيقية قد ... ضغط هذه الظروف ... لكن ... بد ينتسب الى المدرسة الصناعية الثانوية باسيوط مستكملا دراسته في طريق لم يفكر فيه من...

كان العزاء الوحيد ، هو تلك السمعة التي حظي بها في مدرسته وفي ... كرسام ناجح . يرسم صورا كبيرة للاشخاص

والطباعة .
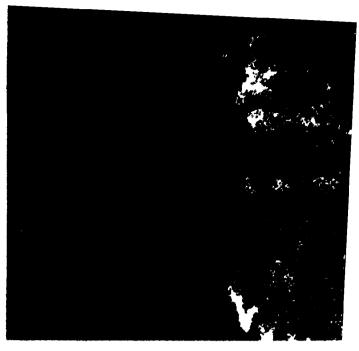
واحدة من القطع العديدة
التي تخاطفتهـا متاحف
اوروبا من اعمال السجاد
او النسجيـات المرسمة
التي صممها واشـرف
علـى تنفيذها الفنـان
سعـد كامـل .

ويتقاضى الهدايا والمكافات فى مقابلها • كما كانت زياراته لحى العرفين باسيوط مصدر متعة اخرى له ، يمضى الساعات متنقلا بين صناع العاج وسن الفيل والعظم ، منبهرا باشكالهم الزخرفية التى يسجلونها على العاج •

يحصل سعد كامل على دبلوم المدارس الصناعية الثانوية بتفوق ، ويمضى وقته فى قراءة الصحف والمجلات ، لم يعثر بعد على بداية الطريق الذى يواصل منه رحلتـه • وذات يوم يقرا بجـريدة الاهرام ، عن افتتاح القسم الحر بمدرسة الفنون الجميلة العليـا ، فيسـارع بالتقـدم الى هذه الدراسات الحرة • متجاهلا مخاوف الاسرة من ظروف الحرب التى لم تكن قد انتهت بعد ، فى مدينة القاهرة •

يرضخ الاب لرغبة الابن ، ويسافر معه الى القاهرة ، فيذهبان معا الى الفنان فوزى حسين صديق الوالد من شبين الكوم ، والرسام الصحفى الكاريكاتيرى بمجلة روز اليوسف فى ذلك الحين •

وعلى يد الفنان فوزى حسين يتلقى سعد كامل عدة دروس وتدريبات فى المواد التى سيتضمنها امتحان القبول بالدراسات الحرة •

اسندت الدراسات الحرة فى ذلك الحين للفنان الكبير الراحـل احمد صبرى الاستاذ بالفنـون الجميلة ، واحد رواد الحركة التشكيلية المصرية المعاصرة ، يساعده فى عمله تلميذه الموهوب الفنان حسين بيكار ، وسبقت الاختبار فترة انتاج يتابع فيها الاستاذ اعمال المتقدمين حتى يكون الاختبار اكثر تعبيرا عن خط المتقدمين منالموهبة والاستعداد الفنى •

وعندما ينتهى الامتحان ، ينجح سعد كامل ضمن خمسة يقبلون فى الدراسات الحرة الصباحية • ومنذ ذلك التـاريخ ، تتـاكد صلة سعد كامل بالفنون الجميلة ودراساتها الحرة على مدى سبعة اعوام ، من عام ٤٢ الى عام ١٩٤٩ ، ويشعر انه وصل اخيرا الى الدراسـة التى كان يبحث عنها منذ سنوات عديدة •

من اعمال التعليم الشعبى تصميم وتنفيـذ الفنـان سـعـد كامـل •

فجيعة •• وانهيار

يقبل سعد كامل على دراسته بكل حماس ويستمتع حتى بالقسوة التى اشتهر بها الفنان احمد صبرى فى حرصه على التقاليد الفنية • فعندما كان ينتهى من المشروع الفنى المخصص له اسبوع كامل فى يومين ، لم يكن يغضبه ان يمر الاستاذ احمد صبرى فلا يرضى عن تعجله، ويمسك بغرفـة يمسح بها كل ما انجزه ، مطالبا اياه بالعودة الى مزيد من التامل فى الموضوع ، لم

لمزيد من التانى فى التنفيذ • كان يحس ان مثل هذا التصرف لا يستهدف ابعد من انضاج موهبته وتاصيلها ، فيقبل على عمله بحماس جديد •

فى السنة الرابعة من دراسته ، اعتاد الفنان سعد كامل ان يكثر التردد على مكتبة الكلية الزاخرة بالمراجع الفنية لمختلف المدارس الفنية ، فتستهويه اعمال المدرسة التاثيرية ، ويحاول ان يتحرر من قيود الاسلوب الاكاديمى برسم لوحات تاثيرية ، لكنه لا يجرؤ على عرضها امام استاذه احمد صبرى الذى يرفض من طلبته مثل هذا الانحراف ، ويكتفى برأى الفنان بيكار الذى كان اكثر تسامحا من استاذه احمد صبرى •

يقول الفنان سعد كامل ، انه فى المرات القليلة التى ضبطه فيها الاستاذ صبرى متلبسا بعمل تاثيرى ، كان يجلس امام لوحته مركزا نظره على اللوحة ، خائفا من مواجهة الاستاذ ، شاعرا بدخان سيجارة الاستاذ يلسع قفاه !

فى عام ١٩٤٧ ، يبدأ الفنان فى البحث عن نشاط خارجي يتكسب منه ، فينضم الى مكتب من مكاتب تصميم الاعلانات ، الا انه يستجيب بعد ذلك لاقتراح زميل ارمنى يدعى هاجوب، فيشتركان معا فى انشاء مكتب خاص لتصميم الاعلانات والملصقات، يصيبان معا نجاحا لم يكونا يتوقعانه، ويصل ايراد كل منهما الى ١٥٠ جنيه شهريا • ويحس سعد كامل ان مصيره قد ارتبط بهذا العمل الناجح • ولا ينقذه من ذلك المصير سوى ظروف خاصة ، ادت الى دخول شريك ثالث ، سرق جهدهما واوصل المشروع الى حالة من الخسارة والكساد •

فى نفس الوقت الذى تعثر فيه العمل بمكتب الاعلانات ، يفوز الفنان سعد كامل بالجائزة الاولى فى « مسابقة مختار » عن لوحة له تسمى « زفة العروسة » • نتيجة لهذه الظروف مجتمعة ، يبدأ الفنان تفكيرا جادا فى مستقبله ، وفى الطريق الذى يجب حقيقة ان يسلكه ، فيرفض فكرة العمل فى تصميم الاعلانات ، وتتاكد لديه فكرة دراسة الفن فى الخارج •

انتظارا لتحقق هذا الهدف ، يعمل الفنان ، بعد انتهاء دراسته بالفنون الجميلة • رساما بقسم الاثار العربية ، وتكون مهمته زيارة الجوامع والاضرحة وتسجيلها بامانة ، فيستفيد من هذه الفرصة فى استيعاب جوهر الفنون الاسلامية وتامل خصائصها •

ما ان تمضى سبعة اشهر على عمله بقسم الاثار العربية ، حتى يصاب بفجيعة تدفعه الى حالة من الانهيار العصبى •

فى حادث تصادم ، تتوفى والدة الفنان ، التى كانت لها منزلة كبيرة فى نفسه ، يركن اليها فى ازماته فيجد عندها التفهم والعطف • يؤثر ذلك الحادث فى الفنان تاثيرا عميقا ، فيسقط مريضا • وما ان يتماثل للشفاء حتى يتخذ قراره بالسفر الى الخارج هربا من الذكريات المؤلمة التى تثيرها حياته بالبيت ، وتحقيقا لحلم راوده دائما •• وتتهاوى معارضة الوالد ، امام نصيحة الطبيب الذى راى ان مرض الابن يعود الى الازمة النفسية اكثر من اى سبب عضوى •

اكتشاف الطريق فى باريس

يسافر الفنان سعد كامل ، مع مجموعة من زملاء الدراسة بالقسم الحر الى روما ، للدراسة فى اكاديميتها • وعندما يتم امتحان القبول ، يسمح له بالانتظام فى السنة الثالثة نتيجة لمستواه الفنى المرتفع •

يبدأ سعد كامل دروسه على يد الاستاذ الشهير « فراتسى » ، صاحب الرسوم الحائطية الناجحة ، فيحظى باعجاب الاستاذ ، ويحصل على اعلى الدرجات • ومن فرط حرصه على الاستيعاب ، يلتحق بدراسة مسائية لتعلم فنون الميدالية • وينتهز فرصة وجوده بايطاليا فيزور اهم متاحفها ومعارضها وآثارها الفنية ، فى روما وخارجها • ويسعى الى الاتصال بالفنانين فى مراسمهم ، يتعرف على اساليبهم •

ينهى الفنان دراسته بقسم التصوير الجغرافى باكاديمية روما للفنون الجميلة ، فيكون الاول على زملائه من المصريين والاجانب ،ويتم اختيار

مشروع الدبلوم الذى انجزه ، ليكون ضمن المعرض العام لاكاديميات الفنون الجميلة بايطاليا ، والذى يطوف على مدى سنة كاملة فى انحاء ايطاليا .

عندما تنتهى دراسته بايطاليا ، ورغم ما حققه من نجاح ، يصمم على زيارة باريس والاستفادة من زيارة متاحفها الفنية ولقاء فنانيها ، فيسافر اليها فى عام ١٩٥٢ .

فى باريس ، يلتقى سعد كامل بالتجربة التى حددت مسار حياته الفنية بعد ذلك . فما ان يزور متحف ومصنع جوبلان للسجاد الحائطى او لنسجيات المرسمة ، حتى يقع اسير هذه التجربة . قد وجد اخيرا اللغة الفنية التى يسعى اليها نذ زمن بعيد . هذا هو ما يريده .. وهذا هو ما سيفعله .

يمضى الفنان اغلب ساعات اقامته بباريس ، مصنع جوبلان ، وبين العاملين فيه .. وفى صباح الباكر يحشو جيوبه بارغفةالخبز الفرنسى، ى تتاح له فرصة البقاء بين الفنانين والعرفيين حين انتهاء عملهم . يقضى الساعات الطويلة لفا فى صمت كالراهب ، خلف الفنان الذى ل على نول النسيج ، يصنع من اعمال كبار نانين سجادة مرسومة زاهية الالوان . وحتى ساعات الغذاء ، عندما يتوجه العاملون الى مهم الخاص ، يروح يناقشهم فى اصول حرفتهم يتناولون طعامهم ، وهو يمد يده الى جيبه العين والاخر ، متناولا الشطائر التى اعدها الصباح الباكر .

عندما يعود الفنان الى سريره فى المساء ، مجموعة الكليم التى كانت تملأ بيته وهو من صناعة الفنانين الشعبيين بالقليوبية .. الوانها الفاقعة الحمراء والخضراء والزرقاء تقالية . ويفكر .. كيف يزاوج بين تلك ة الشعبية وبين الحرفة الفنية المتوفرة فى جوبلان ، بكل ما تتميز به من تطور .

عرف طريقه الحقيقى .. واحس بالرفض لكل ما عداه .. رفض لاساليب الاداء يكية التقليدية التى درسها فى مصر وروما رفض لاساليب المدارس الفنية الفرنسية ة . لقد تحددت منابعه بوضوح ، انها فنون لشعب العريقة ، عليه ان يدرسها ويطورها وينفذها على الكليم مستفيدا من الحرفة المتطورة التى عاينها فى مصنع جوبلان .

المعرض الاول ، وثيقة اعتراف

يعود الفنان سعد كامل الى مصر .

يعود ليجد الاسرة قد اتخذت لها بيتا بالعمرانية فى طريق الهرم بالجيزة . لم تنصب فرحة الفنان على « الفيلا » الانيقة ، ولا الحديقة الواسعة التى تحيط بالبيت .. ولكن على ذلك « الجراج » القائم فى اقصى الحديقة بعيدا عن البيت ، يقع بابه على شارع جانبى . لقد قرر الفنان ان يستغل ذلك « الجراج » كمصنع صغير ، يضع فيه نولا ويجرى تجاربه على صناعة الكليم المرسوم .

وكانت الصدمة قاسية على الاب الذى كان يتوقع من ابنه ، الفنان الناجح القادم من ايطاليا وفرنسا ان يحتل مكانته كفنان مرموق فى صالونات القاهرة ، لا ان ينزوى فى « الجراج » مع نوله ، وسط مجموعة من الحرفيين الشعبيين ، يحادثهم ويؤاكلهم ويعاشرهم .

كان الفنان، ما ان تنتهى ساعات عمله بمصلحة الاثار التى عاد ليعمل بها ، حتى ينطلق مسرعا الى مصنعه الصغير ، يتابع رسومه وهى تتحول الى سجاد ملون جميل . تلك الرسوم التى امضى اكثر من عام كامل يجمعها خلال جولاته فى الاحياء الشعبية فوق ظهر دراجته البخارية الصغيرة ، والتى تزين حوائط العائدين من تادية فريضة الحج ، رسوم طائرات وقطارات وجمال وبيوت واهرامات ، وتلك الرسوم التى جمعها خلال تردده على سوق امبابة بالجيزة ، من محترفى الوشم الذين يتواجدون فى هذه السوق .

ورغم ان رد الفعل المباشر لتجاربه هذه ، كان رفضا من الزملاء والاصدقاء ، فقد واصل الفنان سعد كامل تجاربه ، مؤمنا بانه يسير فى الطريق السليم .

وتتاكد للفنان ثقته بنفسه بعد المعرض الاول الذى اقامه لاعماله هذه فى عام ١٩٥٤ ، والذى لقى اهتمام النقاد والفنانين . لقد كان ذلك المعرض بمثابة وثيقة اعتراف به كفنان موهوب اصيل .

مائة كيلو • وعندما يحملها اليه العمالون يخشى ان تتبدد او تسرق لو تركها فى « الجراج » ، فيطلب من العمالين ادخالها الى البيت •

ويتصادف فى هذه اللحظة خروج الاب من البيت، فيطرد العمالين •• ويطرد فى نفس الوقت ذلك الابن الفنان الذى خيب امله •

يثور الفنان لهذه اللطمة ، فيقرر مقاطعة البيت والاقامة فى « الجراج » • وعندما يقبل المساء ، يبسط رسالة الصوف على الارض كحشية تقيه رطوبة بلاط الارض ، ويغطى نفسه بلوحات النسيج التى اكتملت •• تلك اللوحات التى عرفت طريقها بعد سنوات قليلة الى اشهر المتاحف العالمية فى امريكا ولندن وباريس •

وخوفا من الفضيحة ، كان الفنان يبكر فى الخروج من « الجراج » متوجها الى عمله ، وقبل ان يكتشف الجيران اقامته فى هذا « الجراج » • الى ان تدخل اخوته ، يعاتبونه على هذا الحبس الانفرادى الذى ارتضاه ، ويتوسطون بينه وبين والده ، الذى كان قد ندم على فعلته ، بعد ان رأى الصدى الواسع للمعرض الناجح الذى اقامه الابن الفنان، وقصائد المدح والاعجاب التى انهالت عليه من النقاد والشخصيات الفنية •

يرضى عنه الاب ، وتعود المياه الى مجاريها • وكنتيجة للمعرض الذى اقامه، يتم نقله من مصلحة الاثار ، ليعمل فى مؤسسة الثقافة الشعبية، مفتشا وموجها للصناعات والحرف الشعبية فى فروع المؤسسة بالمحافظات • وكانت هذه فرصة نادرة ، تعرف فيها على فنون الشعب بكل انحاء مصر • وهكذا استطاعت معارفه الجديدة ، ان تثرى نسجياته التى واصل انجازها بعد ذلك ، وكانت مثار استحسان شديد عند عرضها بالمعارض العامة التى شارك فيها بعد ذلك •

النهاية السعيدة

الى هذا الحد ، تنتهى قصة الكفاح، فى مواجهة التحديات التى صادفها الفنان فى بيته او دراسته فى [illegible] عن اشكال جديدة للتعبير ، وادوات صالحة لتجسيد هذه الاشكال الجديدة •

فالى جانب النسجيات المرسمة ، يهتم الفنان باعمال الطباعة والحفر ، فتظهر له التجارب الجديدة فى كل عام • لا يرضيه الوقوف عند تجربة ناجحة ، بل يروح يبحث من جديد عن خامات مبتكرة واساليب فريدة يعبر بها عن افكاره الفنية الجياشة • فيتوج نجاحه بالحصول على الجائزة الاولى لمعرض بينالى الاسكندرية عام ١٩٥٩ ، ذلك المعرض الذى يشترك فيه كبار الفنانين من دول حوض البحر الابيض المتوسط ، فى اسيا واوروبا وافريقيا •

الى هذا الحد ، نصل الى النهاية السعيدة . يقين فنى ووضوح رؤية واستقرار على طريق الفن • مساهمة نشيطة فى كافة المناسبات الفنية• نجاح فنى تشهد به كتابات النقاد وآراء النقاد ، نجاح مادى يتمثل فى الاقبال على شراء اعمال الفنان ، فى الداخل والخارج معا • عائلة مستقرة سعيدة ، وبيت هو اقرب الى المتحف منه الى مكان السكنى •• تجتمع فيه الاثار الفنية من مختلف الحضارات والعصور ، مختلطة باعمال الفنان من النسجيات المرسمة واعمال طباعة الباتيك على القماش ومحاولات الزجاج المعشق بالجبس ولوحات الحفر المطبوعة •

الى هذا الحد ، يتحقق الكثير من احلام الفنان، التى يعبر عنها قائلا « لا نستطيع ان ننكر الدور المهم الذى يستطيع الفنان المصرى ان يقوم به ، فعليه ان يصبح شيئا اكثر من صانع اشياء جميلة لنفسه فقط ، بل يستطيع ان يكون روحا مرشدة للبيئة المحيطة به ، بايجاد مجالات جديدة تنمو فيها تلك الفنون وتتطور وتزدهر •• حتى نستطيع ان نحقق فنا قوميا ناضجا ذا طابع مميز ،وشخصية واضحة ، له كل مقومات الفنون الاصيلة »•

■■

راجى عنايت

المسألة العربية فى البانيا

بقلم : محمد موفاكو

■ يكاد يبدو ان الكتابات العربية ، فى فترة ما ، اشبعت الامبراطورية العثمانية بدراسات متنوعة عن اسباب وظروف ومغزى سقوط الامبراطورية ، وما ادى اليه .

مع هذا يكاد يبدو ، فى الفترة الاخيرة ، اتجاه نام فـى الكتابات العربية لاعادة كتابة ما قد كتب سابقا ، الا ان الكتابة العربية ستبقـى احادية وايديولوجية فيما لو اقتصرت على جانب دون جانب . اذ انـه الـى جانب العرب ، عاشت اقوام اخرى فى اطار الامبراطورية العثمانية ساهمت فى محاولة اصلاح الامبراطورية ومـن ثم فى اسقاطها . وطالما ان مركز الثقل فـى سقوط الامبراطورية كان فى البلقان ١٩٠٨ - ١٩١٢ ، كان لا بد للبلقان ان يحظى برعاية اكثر من جانب المهتمين بالامبراطورية العثمانية .

لا بد لنا كذلك ان نعود الى العنوان ، الذى قد تلائمه صيغة اخرى اشمل هى « اسماعيل كمال والمسألة الشرقية » ، اذ ان دبلوماسية القرن ١٩ لم تستخدم فى قاموسها ما يسمى « المسألة العربية » ، فمع أن محمد على باشا - كما يكتب بالمرستون ١٨٣٣ - « كان هدفه الحقيقى تكوين مملكة عربية تضم كل الاقطار التى تتكلم بالضاد » ، الا ان دبلوماسية القرن ١٩ تعاملت مع مسالته على انها « مسالة شرقية » وكذلك اسماعيل كمال كـان يرمز الـى تيار شرقى ، وبكلمة اخرى عثمانى ، ولهذا حـاول بياس ، وحتـى اللحظة الاخيرة - ان يدفع الامبراطورية نحو مسار ديمقراطى ، تتفادى به سقوطها المحتوم . الا انه - ازاء اصرار وتعنت الزعامة التركية - لم يعد امام زعماء هـذا الاتجاه الا أن يلتحقوا بالموجة القوميـة . فنجـح اسماعيل كمال ، حيث فشل الاخرون فى الجبهة العربية ، اذ أصبح رئيسا لحكومه الاستقلال فى البانيا . ومن ثم يتوجه الموضوع . . . ى عنوانه الحالى الـى اهتمام وتعامل اسماعيل كمال مـع المسالة العربية فى اطارها الشرقى .

وقد ولد سنة ١٨٤٤ . . . ت امتيازات . . .
فى فلور . . .
حادثة و . . .
انتقلـ . . .
الـى . . .
لوحيد . . .

تلقى صاحبنا العربية على يديه . وبعد انتهاء راسته ، انتقل الى استنبول مسلحا بتعليم فيع ، اذ اتقن اللاتينية واليونانية ، بالاضافة لى التركية والعربية والفرنسية والايطالية . فى استنبول تقلد عدة مناصب فى الادارة لامبراطورية . وهناك انتمى الى جبهة المصلح دحت باشا ، حيث بقى وفيا له الى آخر حظة .

كان واليا مصلحا

ى ١٨٩١ كان حاكما عاما فى غاليبولى Gallıbolı عندما اصدر السلطان عبد الحميد فرمانا بتعيينه حاكما عاما على بيروت . وعن بيروت يحدثنا سماعيل كمال عن أمور عديدة : عن أهمية لمنطقة ، وتهافت بعض العائلات لخدمة القنصليات لاجنبية ، والوضع المزرى للمدارس الرسمية المقارنة مع المدارس الاجنبية ... كذلك يحدثنا ن حادثتين ، تلقيان بعض الضوء على تفكيره، فى احدى المناسبات بادر الى فك الاستبداد لذى كانت تلاقيه صحيفة « البشير » اليسوعية، على يد المسئول على الرقابة حسن افندى » لذى ثارت نخوته لقراءة عبارة ام الله فى وصف مريم ، مما دفعه الى ايقاف الصحيفة ، وفى مناسبة اخرى ، يقوم اسماعيل كمال بنفسه هذه المرة بمنع مسرحية تتناول تاريخ العرب قبل لاسلام ، حيث كان ستظهر فيها مكة والمدينة ، ما اعتبره هو ماسا بالاسلام .

وبعد فترة قصيرة ، صدرت ارادة عن السلطان عبد الحميد ، بتعيينه حاكما عاما بالوكالة لولاية سوريا ، لان الوالى عثمان باشا ذهب الى الحجاز ، وفى اول انطباع له عن سوريا ، يكتب اسماعيل كمال فى مذكراته « مع أن سوريا هى اجمل واهم الاقطار التركية فى اسيا ـ نجد دمشق التى هى عاصمة الولاية تحتاج للكثير » الا أن هذا لم يكن محيرا ، لان سوريا كان يحكمها كرسى يحمل رجلا مشلولا هو عثمان باشا الذى لا يميزه شىء الا قرابته من لسلطان عبد الحميد . الا أن اسماعيل لم يستمر طويلا فى سوريا ، اذ سرعان ما استدعى الى ستنبول .

محاولة لانقاذ الامبراطورية العثمانية

جاء استدعاؤه الى استنبول وسط تدهور أخذ يحوم حول الامبراطورية . وهناك طلب منه السلطان عبد الحميد ان يقدم له مذكرة عن وضع الامبراطورية ، وعن مسالة الاصلاح ، هذه المذكرة التى تؤكد اولا ان «الامبراطورية العثمانية أحوج الامم الى اصلاحات ، وحتى قبل هذا هى احوج الامم الى مصلحين » وهذه الالتفاتة توضح شرقيته وتفهمه للمسالة العربية . فهو يرى بوضوح ان القوتين اللتين هما اكثر اهتماما بالشرق هما : انجلترا ، وروسيا . ومن ثم فان خطة انجلترا فى مجابهة روسيا تستند على احتمالين:اما الاعتماد على الامبراطوية العثمانية كعاجز فى وجه الطموحات الروسية . او الاستناد الى جسم آخر اكثر حيوية ، فى حالة عدم المراهنة على تركيا . وهذا الجسم هو العالم العربى بمفهومه آنذاك .

هنا يذكر أن فائدة هذا « التشكيل » هى مقاومة التوسع الروسى ، ودولة كهذه يمكن ان تشكل من مصر ، وطرابلس (ليبيا فيما بعد)، وسوريا ، وما بين النهرين (دجلة والفرات) ، والحجاز والعربية واليمن ـ وهذه تحيط بقناة السويس ، والخليج العربى ، حيث أن شعوبها واحدة سواء فى اللغة ، او فى العادات ، او فى الدين » .

فى اتجاه هذا التنافس الروسى ـ الانجليزى، يرسم صاحبنا فى مذكراته مشروعا للاصلاح ، بدا حينئذ انه متقدم على لحظته . وهو فى مشروعه يدعو الى حلف بين الدول البلقانية ، والامبراطورية العثمانية من خلال اتفاقية دفاعية واقتصادية . وهذا سيكون مقدمة لنهوض دولة شرقية عظمى . والاتحاد ـ كما يتصوره ـ سيكون حرا ، وستمنح فيه الحرية لمواطنى دول الاتحاد فى الاقامة والتنقل والنشاط الاقتصادى وغير ذلك . وكدول نذكر فقط رومانيا ، صربيا، الجبل الاسود ، اليونان ، وبلغاريا .

مع ذلك بدا وكانه يرسم فى الهواء ، لان السلطان عبد الحميد « لم يكن عنده الوقت ابدا للتفكير فى هذه الخطط والافكار » ، كما

يقول صاحبنا عنه ، غير انه في احد ايام ١٨٩٢ دعاه السلطان الى البلاط ، حيث اخبر عن تعيينه واليا على طرابلس (ليبيا) وبتفويضه صلاحيات كاملة لتنفيذ سلسلة من الاصلاحات ٠

المسالة الشرقية

ولهذا قام بانتقاء مجموعة عمل من الاداريين لاصطحابهم معه الى طرابلس ٠ اما هدف السلطان من هذا الاهتمام ، فيلخصه صاحبنا في نقطتين ، اولا رغبة السلطان في ان يواجه الدول الكبرى بتطبيق جدي للاصلاحات ، وثانيا ميل السلطان الى مواجهة بريطانيا باعادة الاهتمام بالمسالة الشرقية ، التي كان صاحبنا داعيا ومحاربا في سبيلها ٠ الا انه في اليوم الذي جاء فيه البلاط مودعا ، طلب منه السلطان ان يؤجل قليلا انطلاقته ٠ ليبقى قريبا منه بسبب الازمة الارمنية ٠

ومن الطريف ان تتكرر مسالة اهتمام السلطان بـ « خطط وافكار » صاحبنا بعد سبع سنوات اي في ١٩٠٠ اذ في صباح باكر جاءه مبعوث البلاط ليخبره بان السلطان عبد الحميد ، لم تغمض له عين في الليلة السابقة بسبب ما يحدث في طرابلس » ٠

اذ ان تدخلات فرنسا وايطاليا المستمرة ولدت قلقا لدى السلطان قلقا على حالة السكان ، كما ان السلطان كان منزعجا من ان الولاة السابقين في طرابلس كانوا مهتمين بذاتهم اكثر من اهتمامهم بالامبراطورية ٠ الا ان صاحبنا يذكر لنا بان دافع السلطان في هذه المرة لم يكن غيرته ، بقدر ما هو نفيه الى تلك المنطقة النائية عن استنبول ٠ حيث ان اسماعيل كمال كان في هذه الفترة قد التفت للصحافة ، فاصدر مجلة « مجرى افكار » التي ارادها ان تكون « منبرا للاصلاحات ولمصالح الامبراطورية » ، ولذا لم يعد شخصا مرغوبا فيه في العاصمة ، وازاء الحاح السلطان ، في جو ارهابي ، اضطر صاحبنا الى اللجوء للسفارة الانكليزية لتؤمن سفره الى خارج استنبول ٠

في المنفى الذي غص بالمعارضين ، اتيح لاسماعيل كمال ان يطور نشاطه هنا وهناك ، وان يطور ايضا « خططه وافكاره » على وفق ظروف المنفى ٠ ٠ وهو يحدثنا بانه في خلال اقامته في بروكسل ، هبط باريس ابنا الداماد محمود باشا : صباح الدين ، ولطف الله ، للدعوة لمؤتمر يناقش الحالة في تركيا ٠ ولهذا الغرض جاء لطف الله الى بروكسل ليطرح الدعوة على صاحبنا الذي يذكر لنا هنا انه وضع شرطا محددا لقبول الدعوة ، وهو ان تمثل كافة شعوب الامبراطورية في المؤتمر ٠

مؤتمر باريس وآثاره

اما المؤتمر ذاته الذي انعقد في باريس ١٩٠٢ ، فيذكر لنا عنه اسماعيل كمال ثلاثة اتجاهات متصارعة في داخله ، هناك اتجاه تركيا الفتاة الذي مثله وقاده احمد رضا A Riza ودعا فيه الى تشكيل دولة مركزية تستند على العنصر التركي ٠ وفي مواجهة هذا برز تيار آخر ، نادى به الارمن ، يرمي الى تشكيل دولة مستقلة لا ترتبط بالمركز الا في الدفاع الخارجي، استنادا الى فقرة (٦١) من معاهدة برلين ٠ وبين هذا وذاك بقي التيار اللامركزي الذي احتوى العرب والالبانيين وغيرهم ٠ الا ان هذا التيار اللامركزي ، بدا اثره واضحا في بيان المؤتمر ٠ اذ صدرت عن المؤتمر دعوة ، الى كل القوى ، نحو نظام منسجم مع مبادىء الدستور، ستتعايش فيه كل العناصر العرقية في الامبراطورية، وسيضمن حقوق ، وحرية ، وحماية حقوقهم القومية ٠

لكن الاصلاح بقي سرابا ، كما بقي السلطان عبد الحميد صامدا في وجه خصومه في الداخل، اما في الخارج ، فالامور لم تكن بافضل في اوساط المعارضة مما يكتب لنا صاحبنا ، فيقول « وضع تركيا كان يسير من سيىء الى أسوأ وبدا ان ماساة قريبة تحوم ٠ وتوجهت كل افكارنا الى العثور على منفذ لهذه الورطة ٠ الا ان وجهات نظرنا كانت متباينة ٠ بعضنا كان يرغب في اجراءات صارمة تفضي الى انتفاضة ٠ على

بين ان بعضنا الاخر كان يحبذ اجراءات حكيمة
طينة ، لا يمكن ان تؤدى الى نتائج سريعة •
ما انا فقد كنت مؤيدا لعمل ما ، يدفع السلطان
لى قبول شروطنا ، دون ان يودى الى دمار
لبلد » •

من هنا ... اجل دفع السلطان الى الاصلاح ،
لد مشروع ١٩٠٣ ، الذى سيتكرر بنجاح فى
١٩٠، مع تعديل طفيف • خطة المشروع اعتمدت
لمى الاستيلاء على سالونيك ، حيث تكون القوى
قطة عسكرية قد اصبحت فى يد المعارضة ، ومن
ناك يتم الضغط على السلطان لاجراء تنازلات •
لتغطية العسكرية للمشروع اعتمدت على المارشال
جب باشا الالبانى ، قائد القوات التركية فى
لرابلس ـ ليبيا ، الذى سينقل قسما من قواته
دجة المناورة ، ومن ثم الى سالونيك حيث
نضم اليه المتمردون الالبانيون • اما التغطية
لسياسية فقد كلف بها صاحبنا اسماعيل كمال
ملاقته مع الدول الاوروبية • كذلك اعتمد
لمشروع على الامير صباح الدين ، الذى كان
كلفا بتامين واسطة النقل البحرية • الا انه
ى اثينا ، انتهى الموضوع بخيبة غير متوقعة •
ذ ان صاحبنا الذى وصل اثينا للتوقيع على
لاتفاق مع شركة السفن اليونانية ، وجد ان
لشركة لم تلتزم بتامين السفن • وبالتالى تاجل
لمشروع الى حين آخر •

الثورة على السلطان

الا ان المشروع انتقل اخيرا من يد الى يد •
فى ٢ تموز (يوليو) ١٩٠٨ ، اتجهت كل
لانظار الى حشد مسلح فى مدينة البانية هى
ريزاى Ferizaj ، حيث بدات هناك لعبة اعصاب
ع السلطان عبد الحميد • هناك فى فريزاى ،
بدا الحشد صغيرا ثم اخذ ينمو حتى وصل الى
(٥٠) الف مسلح• واتجهت الى هناك كل الاطراف
لسيطرة على هذا الحشد • وخلال الايام الاولى
بدا ان حزب السلطان لم يعد له سيطرة على
لحشد الهائج ، وبالتالى تمكنت المعارضة ـ
لاتحاد والترقى ـ من السيطرة عليه • وازاء
لبرقية الشهيرة التى عدد فيها زعماء الحشد
المسلح بالسير نحو استنبول ، لم يعد أمام السلطان
عبد الحميد الا ان يتراجع ويعلن الدستور فى
٢٢ ـ ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٠٨ •

مع عودة الدستور ، عادت الحياة البرلمانية •
ومع عودة البرلمان بعثت من جديد خلافات مؤتمر
باريس ١٩٠٢ • لقد بدا للاتجاه اللامركزي الذى
كان فى غالبيته من العرب والالبانيين ، ان
« المصالحة » مع « الاتحاد والترقى » ليست الا
سرابا ، وبالتالى لابد من جولة صراع أخرى •
ولهذا الغرض تاسس فى تشرين الثانى ١٩٠٨
حزب « الاحرار » ، الذى شكلته مجموعة المعارضة
العربية ـ الالبانية ، ومن اعضائه اسماعيل كمال
(البانى) ونافع باشا (حلب) ، ومهدى بك
(كربلاء) ، حسن برشتنا (البانى ورئيس وزراء
لاحق) ، وخضر وشفيق المؤيد (دير الزور ـ
سوريا) ، وشكرى العسلى ورشدى بك (الشام)
وانتخبت هذه المجموعة اسماعيل كمال رئيسا
للحزب ، كما كان فى الوقت نفسه رئيسا
للمعارضة فى البرلمان • وقد كافح هذا الحزب ،
فى مواجهة الاتحاد والترقى ، من اجل لا مركزية
الادارة ، والحكم الذاتى لشعوب الامبراطورية •

وفى تصريح لاسماعيل كمال الى صحيفة
Palll Mall Gazette اللندنية ، نجد نموذجا
واضحا لاتجاه الحزب والمعارضة ، اذ قال : « ان
مخرج النجاة لتركيا يكمن فى ضمان حرية عريضة
وواسعة•كذلك لا بد أن يتمتع الاتراك واليونانيون
والسلاف والارمن والالبانيون والعرب ، وكل
شعوب الامبراطورية الاخرى ، بدرجة واحدة من
المساواة • على حين ان الدعوة التى تنادى باحتلال
الاتراك للصدارة من اجل تحقيق هذه المساواة ،
ليست الا شعوذة • ان الجيش والاسطول والادارة
المدنية، ينبغى ان تكون مفتوحة أمام كل القوميات،
والرجل الاشد كفاية هو الذى يجب أن يشغل
المركز الافضل •

محاولة فاشلة

ازاء التوتر بين المعارضة البرلمانية والاتحاد
والترقى ، حاول السلطان عبدالحميد فى
١٢ ـ ١٣ نيسان (أبريل) ١٩٠٩ ، ان يسترجع

سلطاته فى ظل ثورة مضادة • ويبدو ان عبدالحميد حاول ان يستميل اليه حزب الاحرار » ، الذى كان قد عايش تجربة فاشلة مع الاتحاد والترقى• وهكذا نقرا فى مذكرات اسماعيل كمال ان حزب السلطان عرض عليه منصب وزير الداخلية فى الحكومة الجديدة ، الا انه رفض ذلك لرغبته ان يبقى ممثلا لامته فى البرلمان • ومع ذلك انتخب رئيسا للبرلمان لايام قليلة • اذ ان جيش الاتحاد والترقى عاد ليدخل العاصمة ، وليطيح بسلطة الايام العشره ، ١٣ ـ ٢٣ نيسان (ابريل) لكن اسماعيل كمال تمكن من انقاذ رأسه ، اذ انتقل الى اثينا وبقى هناك فترة الى ان برائه المحكمة فعاد بعدها الى استنبول ليمارس نشاطه فى البرلمان •

الا ان العودة الصارمة للاتحاد والترقى الى السلطة ثانية ، لم ترهب المعارضة البرلمانية • اذ قام الاعضاء السابقون فى « حزب الاحرار » بتشكيل تجمع جديد للمعارضة ، هو « الليبراليون العصريون » ، الذى كان بقيادة اسماعيل كمال ايضا • وقد حمل هذا التجمع تراث « حزب الاحرار » فى الكفاح من اجل لا مركزية الادارة ، والحكم الذاتى للقوميات •

والى جانب هذا ، ظهر فى الحياة السياسية حزب آخر فى اواخر ١٩٠٩ ، الا وهو « الحزب الديمقراطى العثمانى » الذى تحول الى طرف فعال فى معارضة الاتحاد والترقى • وقد اسس هذا الحزب « د • ابراهيم تيمو I.Temo » ، الالبانى الا انه استند فى قاعدته على تعاون عربى ـ البانى • ففى مدينة حلب/سوريا ظهر فرع للحزب ، كما صدرت فى حلب جريدة « الاحالى » كصحيفة ناطقة باسم الحزب • أما فيما يتعلق ببرنامج الحزب ، فقد نادى بديمقراطية الحكومة ، وحماية الحقوق الدستورية ، التى تتضمن حق رعايا الامبراطورية فى التعلم بلغتهم القومية •

كذلك تاسس فيما بعد ـ فى تشرين الثانى ١٩١١،وفى الاتجاه نفسه ـ حزب آخر للمعارضة، ذلك الذى سمى « الحرية والائتلاف » • وقد ساهم النواب العرب (عبد الحميد الزهراوى) والالبانيون (حسن برشتنا ـ مدحت فراشرى) ، فى تاليف هذا الحزب الذى توصل بعد شهور من تاسيسه الى ان يمارس تاثيرا حاسما فى البرلمان التركى ، لا بل وان يزيح « الاتحاد والترقى » عن السلطة • وكما هو الامر فى الحزبين السابقين ، كانت مساله لا مركزية الادارة، والاعتراف بالحقوق الدستوريه للاقاليم القومية فى الامبراطورية نقاطا رئيسية فى برنامجه •

ومع كل هذا الطابع المتواضع الذى قادته المعارضة العربية ـ الالبانية ، كانت صرامة « الاتحاد والترقى » ، فى وجه هذه المطالب المشروعة ،تزداد قوة •

استقلال « البانيا »

ولهذا لم يكن من الغريب ان يترعرع الياس بين الاطراف ، وان يتاكل الخيط الرفيع لينقطع اخيرا ، بحيث يفتح صفحة عداء بين الاطراف • وقد وعى اسماعيل كمال مبكرا الطابع العقيم للتعامل مع « الاتحاد والترقى » الا انه بقى يراهن على كسب حتى اللحظة الاخيرة • حيث التحق بعدها بالانتفاضة المسلحة فى البانيا ، وقد انتهت فى ٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٢ ، الى اعلان استقلال البانيا السياسى ، وانتخب اسماعيل كمال ليقود اول حكومة لالبانيا المستقلة •

ومما لا شك فيه ان خروج البانيا كدولة مستقلة ، قد ساهم فى اندفاع موجة جديدة فى الشرق العربى نحو الاستقلال •

ثم جاءت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) لتطحن البانيا الفتية ، وتضع مصيرها ثانية على مهب الرياح ، لكن اسماعيل كمال قدر له ان يعيش الى ما بعد الحرب ، ليرى البانيا وقد خرجت مستقلة مرة اخرى ، ثم توفى بعدها نحو ١٩١٩ • ■■

محمد موفاكو
استاذ فى فرع الاستشراق
جامعة برشتنا ـ يوغسلافيا

• كتاب الشهر •

الجــــذور

الكتاب الذى حقق أكبر رقم فى التوزيع فى تاريخ أمريكا

تاليف : اليكس هلى

عرض وتقديم : عبد الوهاب الحكمى

■ كتاب « الجذور » هو اكثر الكتب رواجا فى ولايات المتحدة الامريكية حتى الان ، وقد تجاوز زيعه مليون نسخه ، ولا تزال اصداؤه تتردد فى ، المجالات الثقافية فى امريكا • مؤلفه زنجى هو يكس هلى،وكان قد عرض على شاشة التليفزيون امريكى فى حلقات مع بداية هذا العام ، ثم انتج يلم تليفزيونى بلغت تكاليفه ــ كما ذكرت مجلة يم الامريكية ــ ٦ملايين دولار • وشاهد الفيلم والى ٨٠ مليون امريكى •• وكانت هذه بداية ضجة الواسعة التى احاطت بالكتاب وجعلــت امريكيين يقفون فى طوابير امام المكتبات لشرائه•

ويصور الكتاب ببراعة ودقة مدهشة رحلة الزنوج ى امريكا، بكل الظروف التعسة التى احاطت بها، بسببه اعطى المؤلف شهادات دكتوراه فخرية من ة جامعات امريكية ،ودارت حوله مناقشات وندوات ثيرة فى التليفزيون • وكانت المفاجاة ان احـد شخصيات من البيض قال فى احدى الندوات ان احد جداده القدامى كان هو الشخص الذى تحدث عنه يكس هلى،باعتباره « السيد » الذى اشترى اول جداده القادمين الى امريكا !

لقد اجرى استفتاء حول اثر الكتاب فى المجتمع امريكى ، فكان رد ٧١٪ انه سوف يعمق الفهم والروابط بين البيض والسود ، بينما قال ١٧٪ انه سيحد من هذا الفهم وقد يؤدى الى حوادث عنصرية اكثر ، وقال ١٢٪ انه لن يكون له اثر فعال •

حاول المؤلف ان يتتبع فى الكتاب حياة اسرته وتطورها حتى جده السابع الذى نزح من جامبيا فى غرب افريقيا ، واستطاع ان يسجل تاريخ سلالته لمدة قرنين من العذاب وحياة العبودية التى عاشها اجداده عندما اجبروا على ان يتركوا بلادهم فى غرب افريقيا ويهاجروا الى امريكا الشمالية •

ينتهى الفصل (١١٧) من هذا الكتاب بميلاد المؤلف ، ويشرح من بداية الفصل (١١٨) الى نهاية الفصل (١٢٠) قصة تاليف الكتاب كـ[illegible] تخمرت فى ذهنه وهو مازال طفلا يحبو حتى صو[illegible] فى شيخوخته على صفحات هذا الكتاب •

نشا اليكس هلى فى قرية هننج التى يبلغ [illegible] سكانها حوالى خمسمائة نسمة فى ولاية تنس[illegible] جنوب امريكا • فى تلك القرية الصغيرة وهـ[illegible] يتدحرج بين افراد عائلته بدات ترن فى اذنه بعض الكلمات الافريقية المتقطعة ومن خلال تلك الاصوات بدات تترسخ فى مخيلته قصة تاريخ اسرته وتبرز امام عينيه خريطة القارة الافريقية التى نزح منها اجداده •

يخط تخيلاته على القرطاس والقلم ، وجد نفسه مدفوعا الى كتابة تاريخ اسرته والى اثبات فعالية التاريخ الشفوى والحكايات المتداولة بين الافراد كمصدرين اساسيين لدراسة التاريخ .

بدأ اليكس هلى بحصر بعض الكلمات التى يتذكرها منطفولته والتىمازالت متداولة بيناسرته واتصل ببعض العلماء المختصين فى اللغات والتراث الشعبى فى افريقيا . اتصل بالدكتور جين فانسينا صاحب كتاب « التراث الشفوى » والذى يدرسالان بجامعة ويسكنسن . استطاع الدكتور فانسينا ان يثبت بان بعض الكلمات مثل - Kamby Bolongo ماخوذة من لغة شعب ماندنقا Mandinka وهى تعنى نهر جامبيا فى غرب افريقيا .

استمر الكاتب على سيره الحثيث لمدة اثنىعشر عاما وبعد ان زار ما يقرب من ٥٢ مكتبة وزارآثار اجداده فى جامبيا فى غرب افريقيا اخرج هذا السفر الضخم فى خريف ١٩٧٦ . وهكذا جسد احلامه فى خمسمائة وسبع وثمانين صفحة . ولقد نالالمؤلف تقديرا لجهده تسع شهادات دكتوراه فخرية من كبريات الجامعات الامريكية .

يهمنا هذا الكتاب كعرب ومسلمين من ناحيتين:

١ ـ الامر الاول ، يثبت هذا الكتاب ان الزنوج الاوائل الذين استعبدوا وارغموا على الهجرة الى القارة الامريكية هم من المسلمين الافريقيين .

٢ ـ الموضوع الثانى يصور الكتابالحالة المزرية التى عومل بها العبيد فى امريكا .لذلك فان هذا الكتاب هو وثيقة تاريخية لحالة البؤس والشقاء التى رافقت فلسفة العبودية بامريكا فى تاريخ الحرب الاهلية الامريكية فى عهد لنكولن . ان هذا الكتاب يعتبر ردا مفحما على اولئك الذين اتهموا العرب والمسلمين بمعاملة العبيد السيئة القاسية.

هذه الاصوات وتلك الصور التاريخية الجغرافية تحركت فى نفس الكاتب عندما التحق بخفر السواحل الامريكى وتحولت الى رغبة فى الكتابة وحبالاطلاع بالاضافة الى التشجيع المعنوى الذى وجده منوالده الذى حمل شهادة الدكتوراه فى الزراعة . ثابر هذا الشاب علىالمطالعة والكتابة حتى اصبح مراسلا لمجلة « المختار » واجرى عدة مقابلات مع الزعيم الزنجى المسلم اكس، انتهت هذه المقابلات باخراج كتاب السيرة الذاتية لمالكوم اكس ، بالاشتراك مع اكس نفسه .

بعد اخراج هذا الكتاب وجد اليكس هلى نفسه مدفوعا لكى يحقق الحلم الذى طالما راوده وان

المسلمون الاوائل فى امريكا الشمالية ★

الشواهد التى تدل على اسلام تلك القبيلة
اضحة فى الاسماء والعادات فى تاريخنا المعاصر•
شير المؤلف الى انه بعد ان تعرف على ان اجداده
ن قبيلة تعيش فى جامبيا غرب افريقيا تعرف على
اب يدرس الاقتصاد الزراعى فى احدى جامعات
يويورك وهو ينتمى الى قبيلة ماندنقا •

وافق هذا الشاب واسمه ابو منجا AbouManga
ن يرافق اليكس هلى الى جامبيا وان يكون مترجما
• •

فى صفحة ٥٧٨ يشير المؤلف الى ان جد الاسرة
جا اسمه الحاج منجا Alhaji Manga ويعلق
ؤلف فى نفس الصفحة بان اغلب سكان جامبيا
ن المسلمين •

فى صفحة ٥٧٨ يشير المؤلف الى ان جد الاسرة
ول عاش فى موريتانيا وان اسمه كيربيا كينا
ته Kairaba Kunta Kinte ، ويقول المؤلف
معنى هذا الاسم باللغة الانجليزية Marabour
يضيف قائلا فى نفس الصفحة انه (الرجل
ندس فى عقيدة المسلمين)

والواقع ان معجم اكسفورد يشير الى ان الكلمة
رد الى الاصل العربى «مرابط» ويشرح قاموس
سفورد ان كلمة « مرابط » تطلق فى لغة البربر
لور على الراهب او الناسك •

وعالمنا العربى يعرف الكثير عن دولة المرابطين
ى عاشت فى شمال افريقيا فى القرن الثانى
ر •

جد الاسرة الذى هاجر من موريتانيا الى جامبيا
مه Omoro وهذا تحريف واضح لاسم عمر او
رو •وعندما رزق عمرو بمولود رفع سكان القرية
يهم وراء الامام مهللين ومكبرين : الله اكبر
هد ان لا اله الا الله • (الكاتب سجل الكلمات
ربية ذاتها بحروف لاتينية) •

لم يذكر الكاتب ان هذا المولود سمى بعد سبعة ايام باسم جده الاكبر كنتا كنته •

وهذا القادم الجديد هو الذى اختطف وهرب الى قارة امريكا الشمالية ليكون جسرا انسانيا على المحيط الاطلسى رابطا ما بين اسرة كنتا كنته فى غرب افريقيا والسلالة التى تفرعت من نفس الجد فى ولاية فرجينيا ثم اخيرا استقرت فى جنوب امريكا فى ولاية تنسى •

الفصول الاولى من هذا الكتاب تصور حياة سكان قرية جوفيور التى منها خرج كنتا كنته بانهم قوم متمسكون بتعاليم دينهم الاسلامى العنيف وان عمرو وابنه كنتا كنته يكثرون من استخدام الآيات القرآنية واستعمال المصطلحات المتداولة عند المسلمين مثل ان شاء الله وآمين• وعندما اكتشف عمرو بان ابنه قد خطفه الجنس الابيض فانه خر لله ساجدا وسلم أمره له • فى صفحة ١٢٣ ذكر المؤلف بان كنتا كنته كان يتمنى ان يزور مكة وان يؤدى فريضة الحج ، ولقد كان مثل اقرانه من اطفال القرية يحافظ على الذهاب الى المسجد لدراسة القرآن على أيدى الامام • لقد كان كنتا فى قريته وعندما اختطف الى امريكا الشمالية ، مثالا للمؤمن الصادق الذى يعتصم بحبل الله المتين ومع ذلك يجاهد بنفسه وماله فى سبيل التحرر من العبودية •

يبرز ايمان كنتا كنته الشديد واعتصامه بحبل الله أنه كان دائما يردد اسم الله ★ • وفى أحد أيام رحلته التعسة وهو على الباخرة التى اقلته الى امريكا الشمالية ضاقت عليه الارض بما رحبت ، سأل نفسه اين الله الموجود فى كل مكان وكل زمان لينقذه فى تلك اللحظات الحرجة • ولكنه راجع نفسه قائلا بان هذه الشكوك سوف لا تجعله احسن من هؤلاء « السكفرة » الذين استقبلوه على ظهر هذه الباخرة وعاد يستغفر ربه ويدعو لروح المعذبين معه على ظهر هذه الباخرة •

عقيدة كنتا كنته لم تتزعزع حتى عندما اصبح عبدا فى ولاية فرجينيا فى امريكا الشمالية •

هذا العنوان والذى يليه غير موجـــود فى الكتاب وانما وضعتها لكى تساعد القارىء على متابعة الافكار الاساسية فى الكتاب •

من امانة المؤلف العلمية انه استعمل لفظ الله ALLAH والممثلون فى الفيلم استعملوا نفس اللفظ بدون اى ترجمة او تعريب •

يقول للعبد الذى كلف برعايته وتعليمه اللغة الانجليزية (انا كنتا كنته اول ابن لعمرو الذى هو ابن الرجل المقدس كريبا كنتا كنته) • وبعد حديث طويل يقول له كذلك (خادم الله لا يغيب امله فى النضال اذا اراد احد ان يعتدى عليه وابن عمرو لن يقبل الاستسلام) •

صور من تاريخ العبيد فى امريكا

والكتاب يعطى صورة حية عن المعاملة الوحشية التى عومل بها العبيد فى امريكا الشمالية ، صور وحشية عدة عطت صفحات هذا الكتاب منذ ان ركب كنتا كنته الباخرة التى حملته الى امريكا الشمالية حتى تم تحرير العبيد على يد الزعيم الامريكى ابراهام لنكولن فى اثناء الحرب الاهلية الامريكية• انه يسجل تاريخ قرن من العذاب الذى عانى منه الزنوج فى امريكا ، فلقد وصلت الباخرة التى اقلت كنتا كنته الى الساحل الشرقى فى يوم ٥ يوليو ١٧٦٧ واعلن تحرير العبيد فى امريكا فى عام ١٨٦٣ •

ان الكتاب ، كذلك حجة داحضة تدفع باطل المستشرقين الذين سلطوا اقلامهم على العرب والمسلمين ووصموهم بمختلف الاوصاف والبدع لمعاملة العبيد الوحشية • ان مشاهد هذا الكتاب المبكية خير دليل يشهد على المعاملة القاسية التى وجدها الزنوج من الاوروبيين والامريكان ، وان تاريخ العبودية فى امريكا اتسم بصور بشعة قل ان تجد لها مثيلا فى اى بقعة من بقاع العالم •

تبرز صور المعاملة الوحشية منذ ان امتطى كنتا كنته ظهر السفينة التى اقلته الى امريكا الشمالية ، عندما يجد نفسه مسلسلا فى اقفاص الحيوانات فى قاع السفينة • عندما يصاب كنتا كنته بمرض فتاك على ظهر السفينة بسبب الغذاء الغريب عليه فانه لا يجد من يعالجه ولا يستطيع ان يمد يده الى الطعام حتى يسد رمقه من شدة المرض ، وانما يساعده على ذلك رفاقه فى الاسر • مع هذا المرض الشديد الذى ينازع به سكرات الموت فانه لا يجد الا ضربا بالسياط ورفسا بالارجل • وعندما يتماثل للشفاء صمم هو ورفاقه على القيام بثورة ضد ربان وبحارة السفينة ، وفعلا قاموا بتنفيذ مخططهم وقتلوا بعض البحارة ولكن احد هؤلاء البحارة صوب نحوهم مدفعا اباد منهم ما يقرب من [illegible] شخصا فى دقائق معدودات• وعندما وصلت الباخرة الى ميناء اينابولس فى ولاية ميريلاند كان فى انتظارهم مندوبون لبعض الشركات التى تشترى العبيد مع بعض البضائع الاخرى الموجودة فى الباخرة وهذه الشركات بدورها تقوم ببيع هؤلاء العبيد فى حراج عام • ويسجل هنا بسخرية مرة ان الاقطاعيين وممثليهم كانوا عندما يشترون العبيد يفحصون اسنانهم قبل توقيع عقد البيع مثلما ينظر العربى الى اسنان الكبش قبل شرائه •

كان كنتا كنته من نصيب سيد اقطاعى فى فرجينيا ومع انه ذاق الوان العذاب على يدى ذلك السيد الاقطاعى الا انه ظل مصرا على الاحتفاظ بتراثه وقوميته • لم يتعلم اللغة الانجليزية الا بعد جهد جهيد ، وظل يخلطها بلهجة قومه ماندنكا نسبة الى القبيلة الافريقية التى ينتمى اليها وببعض الكلمات العربية •

سمى كنتا باسم جديد وهو توبيه Toby ،ولكنه رفض ان يعترف بهذا الاسم واصر على الاحتفاظ باسمه الاصلى • مع انه فى احدى المناسبات ضرب حتى اشرف على الموت لكى يعترف وينطق باسمه الجديد ، ولقد رفض ان ينسى قوميته وحريته الاصلية ويتقمص ثوبا دخيلا على تراثه الخالد • ان كنتا كنته الذى اصبح رمز القومية الافريقية فى القارة الامريكية ورمز المجاهد الملح الذى اصر على الاحتفاظ بدينه الاسلامى وتراثه القومى ، صمم على الاحتفاظ باسمه الافريقى حتى بلغ من الكبر عتيا وقبل وفاته لقن اسمه لابنته كيزى ، وكذلك لقنها اسم النهر الذى يجرى فى قريته كامبى بولونجو ، ذلك النهر الذى اختلط ماؤه بدمه واصبح جزءا من تكوينه النفسى والجسمانى •

يسجل المؤلف ان كنتا كنته عندما كان في لثلاثينات حاول الهرب للمرة الثانية بعد ان قام نفس المحاولة وهو في بداية العشرينات من العمر، لكن القى القبض عليه بواسطة شبكة من ذلك لنوع الذي يستخدمه الاوروبيون لصيد الحيوانات ى افريقيا ! ولكي لا يستطيع الهرب مرة اخرى فان دمه اليمنى قطعت بفاس من النصف !

وكيزى ـ ابنته ـ كانت قد خطفت امام عيني الديها وهي ما زالت في سن الشباب لان سيدها اعها الى اقطاعي آخر • انجبت كيزى طفلا اسمته ورج • الذى عاش طوال حياته مدربا للدجاج • لقد نال حريته لان سيده خسر رهانه في احدى حارك الديكة ، ولما لم يستطع السيد دفع مبلغ لرهان وهو عشرة الاف دولار فقد قدم جورج بديلا لمبلغ المطلوب • ولكن السيد الجديد الذى اشترى جورج تعهد له بانه اذا اخلص في تدريب دجاجة وفاز في صراع الديكة فانه سوف ينال حريته خلال خمس سنوات، وفعلا بر السيد بوعده• عاد جورج الى زوجته واطفاله مفعما بفرح الحرية وحلاوتها ،ولكنه سرعان ما وجد نفسه مرغما على تركهم مرة اخرى لان قانون فرجينيا يقضي بانه اذا قضى الزنجي فيها ستين يوما فانه سوف يكون عبدا مملوكا مرة اخرى ، الامر الذى اجبره على ترك الولاية على الفور •

وبعد اعلان تحرير العبيد عاد جورج الى ابنائه واسرته وطلب منهم ان ينتقلوا معه الى قطعة من الارض اشتراها في ولاية تنسى اطلق عليها جورج اسم « ارض الميعاد » • ■■

عبد الوهاب علي الحكمي

١

كتب وصلتنا

انفاس السحر

تاليف : الدكتورة عاتكة الخزرجي •

الناشر : مؤسسة فن الطباعة / مصر •

● ديوان شعر يضم مجموعة من القصائد تنوعة في الحب الصوفي ، والوطنية ، والوصف، كلها تسير على نهج الشعر العربي الاصيل قوافي وزانا ، وتمتاز بانها نسوية الشعور والابداع لتصوير ، لم بالنزعة الانسانية الصادقة ، يث تترقرق في عبارات حية ، ولها موسيقاها حلوة التى تلائم موضوعاتها ، وكذلك تلتحم افكار فيها بالاحاسيس ، كي تصور تجارب شاعرة كما عاشتها ، وبذلك تصور حياتها في تها ، وحياتها مع الطبيعة والناس •

وقد كتب مقدمة الديوان الشاعر الكبير الاستاذ يز اباظة ، فتحدث عن الشعر ورايه فيه فقال : « الشعر عندى هو ما اذاقني بقيوده وضوابطه لونا من الوان الجمال ، اى جمال كان ، وهو الى جانب ذلك ما هياني او وسدني او يسرني بصورة من الصور أن أتذوق ذلك الجمال ، والشعر عندى هو ما اشعرني ـ لسبب اعرفه او اجهله ـ بمتعة او نشوة تحسها روحي متغلغلة فيها ، او حافقيها، والشعر عندى ما قذف في اوصالي برعدة حلوة ، والشعر عندى ليس عارضا في الحياة الانسانية ، انه اصيل فيها يشرق حيث تشرق الحياة الانسانية، نلمحه بصورة او اخرى ناطقا في نبضة القلب ، وصرخة العاطفة ، وهمسة النفس،ونلمحه بصورة او اخرى صامتا مترجا على شفاه حسناء ، وفي اعماق عينيها ، وفي خفرها النعسان ، او في وهجها اليقظان ، وفي عبارة اجمع تلمح هذا الشعر حيثما تلمح آية من بديع صنع الله » •

واول قصائدها حوار شعرى عنوانه « شهر زاد » مطلعه :

هوم الليل ، ولف الكون في اثناء ثوبه
وخلا العابد في محرابه يدعو لربه
واقام الشاعر المفتون يتلو آى حبه
وكان الليل من هذا الورى مرآة قلبه

قاموس المصطلحات النفطية
انجليزى – فرنسى – عربى

الناشر دار الترجمة والنشر لشؤون البترول
بيروت – لبنان

● لا شك ان العرب بحاجة ماسة الى لغة عربية خاصة لصناعة النفط ، ذلك المورد الهام الذى تعتمد عليه الغالبية العظمى من الدول العربية ، وله تكنية متعددة الوجوه من استكشاف واستخراج وما يتبع ذلك من علوم وتقنيات . لان التنمية النفطية لن تؤدى ثمارها الكاملة مادية كانت او اجتماعية او قومية الا اذا تجاوزت مرحلة استعارة المصطلح النفطى الاجنبى ، واستنبطت لنفسها لغة نفطية عربية كاملة متطورة يتكلمها ويفكر فيها المشرفون ، والمخططون ، والمهندسون ، والعمال ، وحتى الرجل العادى .

وهذا المعجم ليس المحاولة الاولى وانما سبقتها جهود قام بها لغويون فى المجامع اللغوية ، وعاملون فى حقول النفط ، ولكن ياتى هذا المعجم محاولة لتنسيق هذه الجهود ومستدركا لما فاتها منه وفى ميدان يشهد كل يوم جديدا فى هذا العلم .

وقد اعتمد المعجم على اللغة الانجليزية اساسا ثم اضاف اليها الفرنسية معتمدا على معجم معهد البترول الفرنسى كما رتب المعجم ابجديا وفق ترتيب الحروف الهجائية الانجليزية على اساس تسلسل الكلمات المفردة . وقد اورد تحت كل مادة اهم التعابير المتداولة بصددها ، ثم التوسع او الايجاز تبعا لصلة المادة المعينة فى التعبير بالعمليات الاساسية واللاحقة فى صناعة النفط .

اما المنهج العام الذى قام عليه المعجم فهو الاكتفاء بالترجمة دون التفسير ، على ان المعجم قد خرج عن هذا النهج فى حالتين الاولى حين يكون التعبير الاجنبى اصطلاحيا او مجازيا ، والثانية حين وجد ان المادة تتصل بتكنية حديثة العهد لم تتناولها البحوث العربية بعد او انها تحمل معانى متباعدة تتفاوت بتفاوت مواطن الاستعمال .

واخيرا فان المعجم لم يحاول ان يستقصى كل الدقائق التفصيلية المتصلة بصناعة النفط وتوابعها بل اقتصر على الرئيسى جدا من المصطلحات المتصلة بالنقل والتسويق والعقود ، وهذا يفى كل الوفاء بحاجة صناعة النفط العربية فى مرحلتها الراهنة ويفى كذلك بحاجة الباحثين العرب المعنيين بشئون النفط فى هذه المرحلة .

المختار فى مراجع تاريخ ليبيا

تاليف : [illegible] عبد الله بعيو
الناشر : دار [illegible] بيروت / لبنان .

● هذا الكتاب يقع فى جزئين تزيد صفحاته على ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير ، كتب بخط دقيق ، وقد توخى فيه مؤلفه – وهو من رواد الفكر والادب والاصلاح فى ليبيا – أن يهيىء لمن يريد الاطلاع على تاريخها من مواطنيه وقومه وغيرهم معرفة المراجع التى تعينه فى مهمته ويعرفه بمزايا كل مرجع فيها ، وقد كتبت هذه المراجع بلغات شتى كالانجليزية والفرنسية والايطالية والالمانية والاسبانية وغيرها بالاضافة الى ما كتب بالعربية ، كما أن كتاب هذه المراجع من امم مختلفة ، وهذا بعض ما يدل على اهمية ليبيا واهلها عربيا وعالميا طوال عصور التاريخ حتى الآن .

وليست كل هذه المراجع كتبا مستقلة فى تاريخ ليبيا ، بل بعضها فصول من كتب ، او مقالات فى جرائد وصحف سيارة ، او محاضرات ، او بحوث قائمة بذاتها ، ولكن المؤلف جهد فى استقصائها اكثر من عشرين سنة للتعريف بها وبكتابها .

والمؤلف حين يعرف باى مرجع يكتب عنوانه بلغته وأسم كاتبه وسنة طبعه ومكانها ثم ياخذ فى التعريف بكاتبه فى ايجاز بما قدمه من معلومات فى الموضوع وما اذا كان اصيلا فيما كتبه او معتمدا على غيره ، ومزايا ما كتبه ومقدار ما يستحقه من ثقة ، ويوجه الانظار الى أهم ما اهتم به الكاتب من معالم ليبيا واهلها فى رحلته اليها ان كان ممن ساح خلالها وكتب فى هذا الجانب وما استفاده من السابقين له ، وأفاده للاحقين به ، وما نشره من صور ضوئية او يدوية ، وبيان اهمية هذه الصور تاريخيا ، لانها تسجل معالم للبلاد واهلها قد اختفت اليوم ، لما طرأ على البلاد من تطور فى العمران و الثقافة .

رحلة الخرافة في :

عالم التفاؤل والتشاؤم !

اعداد : محمد عدنان فرعون

لسنا وحدنا ضحايا هذه الخرافة : التفاؤل والتشاؤم ! فالتشاؤم من بعض ايام الاسبوع شائع في العالم الغربي• فيوم النحس عند الفرنسيين هو الاربعاء ، وعند الالمان الاثنين ، وعندالانجليز الثلاثاء • وافضل الايام عند الامريكيين يوم السبت ، الذى يقيمون فيه حفلاتهم •

■ ومما يتشاءمنه الغربيون المشى تحت ،و وراء السلم • ولعل ذلك يرجع الى ازمنة العقاب : محاكمة قانونية •• فكان المحكوم عليهم يشنقون عليقهم على سلم اذا لم تكن هنالك شجرة فى لان التنفيذ •• وكان كل شخص يتفق وجوده راء السلم يصبح مستهدفا لخطر الاتهام بالاشتراك المشنوق فى جرمه •

ويتشاءم بعض الناس من القط الاسود ، متقدون انه مجلبة للشر وطالع نحس وعنوان كارثة مقبلة ، وربما يرجع هذا التشاؤم الى راده ، فالسواد رمز للحزن •

ويتفاءل الناس بنعل الفرس ، ويعلقونها ى الحوانيت وابواب المنازل لتجلب السعد اكنها •• ومن وجد نعلا فى الطريق عد ذلك لا حسنا يستانس بهطول يومه ••بل طول عامه••

واصل هذا الاعتقاد ان نعل الفرس كانت فى من القديم رمز « عشتروت » فكان كل من يجد يتفاءل بها كان « الاله عشتروت » قد اهداها •• وربما يرجع ايضا الى انها تشبه الهلال•

ونعل الفرس حديثة العهد فى التاريخ ، لان الحديد لم يعرف الا منذ ثلاثة آلاف سنة ، لذلك قد يتوهم الانسان ان الاعتقاد فى حسن الحظ من النعال هو من مبتكرات المجتمع المتحضر الذى عرف الحديد • وان مجتمع الغابة لا علاقة له بهذا الاعتقاد •• ولكن الحقيقة ان هذه الخرافة آتية من مجتمع الغابة وانتقلت الى المجتمع المتحضر المتمدين •• فنعل الفرس تشبه الهلال الجديد : والمرجح ان الانسان كان يصنع هلالا من خشب او عظم للتيمن ، فلما ظهر الحديد صار يصنعه منه•

ومن الخرافات السائدة بين الناس عامة والنساء خاصة التشاؤم من كسر المرآة ، والاصل فى ذلك ان الانسان القديم كان يحسب ان ظله جزء منه ، وان ايذاء الظل هو ايذاء له ، لانه بمثابة الروح منه • وكلمة ظل عند بعض الامم فى آسيا تعنى الروح ، وكان الانسان قبل اختراع المرآة ينظر ظله على سطح مياه الانهار والبحيرات • وذلك لان الزجاج لم يكن قد عرف بعد ، ومازلنا نرى فى « المندل » بعض آثار هذه الخرافات القديمة • فان هناك اعتقادا بان من ينظر فى كوب به ماء لم

نتلى عليه الرقى ،يرى اشياء خفية لايراها غيره..
واكثر مايكون الخطر من المرآة فى الوقت الـذى
يكون احد فى النزع الاخير ، او قد توفى من وقت
قريب ، لان الموت عند ذلك يكون يرفرف بجناحيه
على المنزل ، فليست رؤية الظل « الروح » مما
يؤمن عاقبتـه .. ولذلـك كثيرا مايقلب الناس
مراياهم فى ذلك الوقت العصيب .

وان كثيرا من الغربيين يعتبـرون ان رقـم ١٣
يحمل الويـل والدمار فى طياته .. ومن الغريب
ان رقم ١٣ تناول العلماء والملوك والعظماء ، كما
سرى بين معظم العامة ، وتناولته بعض الحكومات
ايضا : لـذلـك يتجنب هـذا الرقم فى الولائـم
والحفلات والفنادق ..

ويـرد الباحثـون الضائقـة الاقتصاديـة التى
غشيت العالم من اقصاه الى اقصاه الى اسباب
شتى . الان احدهم فى «نيويورك» قال ان السبب
فى ضائقة عام ١٩٣٠ هى عام ١٩٣٠ نفسه.وحجته
فى ذلك ان مجموع ارقامه ١٣ ، ولكى يزيد حجته
اقناعا وبرهانا بتايد ذلك رجع الى سنى الضنك
المشهورة فاذا هى كمايلى :

سنة ١٩٠٣ ومجموع ارقامها ١٣ ـ سنة ١٩١٢
ومجموع ارقامها ١٣ ـ سنة ١٩٢١ ومجموع ارقامها
١٣ ـ سنة ١٩٣٠ ومجموع ارقامها ١٣ .

وادرك الوهم ايضا اصحاب البواخر ، فوضعوا
عدد ١٢ بدل ١٣ ،كما ان حكومة فرنسا اذا وضعت
الارقـام على المنازل ووصلت الى المنزل الـذى
ينبغى ان يوضع عليه الرقم ١٣ لا تكتب عليه هذا
الرقم وانما تضع عليه رقم ١٢ والى جانبه لفظة
« مكرر » وذلك تخلصا من شؤمه ! .. وقد علل
بعض العلماء شؤم هذا الرقم ،بانه لا يقبل القسمة
على حين ان غيره من الارقام التى قبلـه او بعده
تقبل القسمة .

كما ان جميـع الامـم تقريبا تتفاءل بالهـلال
الجـديـد ، وكثيرا مـا تتهلل الوجـوه استبشارا
لرؤية الهلال فى اول الشهر القمرى ، وفى انجلترا
يتشاءمون من النظر الى الهلال المولود حديثا من
وراء زجاج النوافذ .

والمرجح ان الانسان الاول كان يعتقد انـه اذا
ظهر القمر جديدا وجب عليه ان يخرج الى العراء
للترحيب به بوسائل كانت معروفة عنده..والانسان
نظـر الى القمر من زمان بعيـد نظـرة التفاؤل
والاستحسان . والانسان الاول معذور فى تفاؤله
بالهلال الجديد ، اذ هو يعيش فى خطر المداهمة
والغارة .. فالهلال يكشف له عن ظلمات الليل..
ويؤمنه بعض التامين .. لذلك كان القمر من اقدم
الالهـة التى عبدهـا الناس وان العرب اشتقوا
لفظة « تهلل » من « الهلال » . ■■

دمشق ـ محمد عدنان فرعون

■ من امتلأ بروح الله شعر بالحضرة الالهية فيه ، غير انه يكتم هذا السر الجليل فى نفسه كما يكتم العاشق عن الناس اسرار عشقه .

(مكس مولر) .

■ من ظن لغيره من المشاعر مثل ما عرفه منها لنفسه فقد سد على نفسه باب معرفة الناس .

(جستاف لوبون)

■ ليس ادل على رجاحة العقل من أن يقول الانسان مـا يريده بعبارة وجيزة .

(لارشفوكو)

التاريخ الاسلامي

● طالما تشوقت لدراسة التاريخ الاسلامي والاطلاع على تلك الحقبة التي شع فيها حكم سلام ٠٠ وكان للمقال الذي نشرته العربي في عدد فبراير / ١٩٧٧ تحت عنوان « البرتغال سلامية » اثرا طيبا في نفسي ٠٠ ولا شك ان الكثير من القراء يتشوقون لما اشتاق اليه ٠٠ فليت عربي يقدم لنا ضمن اعداده القادمة مقالات تتحدث عن الحكم الاسلامي في كل من تركيا لباكستان والهند وجمهوريات الاتحاد السوفيتي وغيرها ٠٠ لنعرف المزيد من ملامح تلك الحقبة تاريخية ٠

المهندس محمد محمد كامل

الكويت

ملاحظة عابرة

● قرات في « صفحة اللغة » التي نشرها لعربي » في عدد رقم ٢١٩ قول الكاتب ستاذ محمد خليفة التونسي : « ٠٠ وقول برنا كثيرة عزة » :

الا ليت ايام الشباب جديد
ودهرا تولى – يابثين – يعود

وقد توقفت عند نسبته هذا البيت لكثير عزة والحقيقة ان هذا البيت من قصيدة مشهورة يل بن معمر المعروف « بجميل بثينة » ، ويروى البيت هكذا :

الا ليت ايام الصفاء جديد
ودهرا تولى يا بثين يعود

يقول فيها :

يقولون جاهد يا جميل بغزوة
واى جهاد غيرهن اريد
لكل حديث بينهن بشاشة
وكل قتيل عندهن شهيد

الذي اعتقده جازما انها هفوة قلم ٠٠

ركس بن زائد العزيزي / عمان – الاردن

العربي » شكرا للاستاذ العزيزي على هذا يه ٠٠ وقد احسن اذ وصف هذا السهو بانه وة قلم » ٠

لكي اتعلم العربية

● انني ادرس اللغة العربية في الكلية الاسلامية بجزيرة سرى لانكا ، وارجو ان تقدموني الى قرائكم لكي اتبادل معهم الرسائل واستفيد من لغتهم ، وانمي لغتي العربية ٠ ومعذرة اذا كتبت عنواني بالانجليزية ٠

M S M Rasheed:
House No. 137 - Uyanwatta Paranagama
Mawanalla. SRI LANK (Ceylon)

صحراء سيناء

● صحراء سيناء تعرضت للغزو مرتين ٠٠ ولا زالت اجزاء منها حتى الآن ترزح تحت الاحتلال الاسرائيلي مما يدعونا – نحن القراء – الى ان نطلب منكم خريطة لها تبين تضاريسها ومساربها والثروات المعدنية التي تزخر بها ٠٠ فارجو ان تستجيبوا ٠

مأمون ابو غنيمة

الكويت

دفاع عن اللغة العربيــة

● قصة عباس احمد « ما لم اقله للوزيــر » حافلة بالكلمات العامية المصرية ، وبهـا بعض الكلمات الاجنبية مثل «موتور » التى نعرف انها بالعربية « محرك » ، وكلمة « اجنس » التى لم افهم معناها . وتصورت انها تعني موادا كهربائيا سريعا • لمـاذا لا يستخدم كتابنا اللغة العربية الفصحى بدلا من المحلية والافرنجية ؟

عاطف علي حسن
العراق ــ بغداد

ــ نؤيدك فيدعوة الكتاب لاستخدام اللغة العربية الفصحى وكلمة « اجنس » يقصد بها وكالة •

نضم صوتنا ••

● نرجوكم زيادة المطبوع من نسخ العربي حتى نعثر عليها ، ونستريح من عناء البحث عنها كل اول شهر والمساومة على سعرها مع باعة الصحف•

دمشق ــ بشير بليبل

ــ المطبوع من العربي زاد فعلا بنسبة ٢٠٪ من العدد الماضي ، ولا زلنا نامل في رفع النسبة مرة اخرى . نضم صوتنا الى صوتك •

مكانة طه حسين باقية

● اذا صح ان الدكتور طه حسين قد تراجععن آرائه التى سجلها فيكتابي حديث الاربعاء والشعر الجاهلي كما نشرتم فـي مقـال الاستـاذ سعيد الافغاني ، فسيظل باقيا ان اسلوب طه حسين في كتابيه وصل الى مستوى رفيع لم يرق اليه احد من كتاب العرب المحدثين • اذا كان مضمون الكلام قد اهتز او اختلفت في شانه الاراء ، فان شكله وصياغته تحفظان لعميد الادبالعربيمكانته وقدره•

عبد المنعم محمد جاسم
العراق ــ ذى قار ــ الشطره

اول صحيفة عربية

● ذكرتم في مسابقة العدد ٢١٩ من العربي، ان اول صحيفة صدرت باللغة العربية هيصحيفة « التنبيه » يوم ٢٦ نوفمـــبر / ١٨٠٠ على يد نابليون بونابرت في القاهرة •

ويبدو ان هنالك آراء كثيرة حول هذا الموضوع، فبعض المؤرخين يؤكد صـــدور هذه الصـحيفة ، والبعض الآخر ينفي ، وبالطبع فلكل فريق حجته•

ويذكر فيليب دى طرزى في « تاريخ الصحافة العربية » ان نابليون اصدر في مصر اول صحيفة عربية سنة ١٧٩٩ اسماها « الحـوادث اليومية » مســتنتجا ذلك مما جاء في « عجـــائب الآثار » للجبرتي • ثم تراجع عما ذكره في الجزء الاول ، وقـرر ان اول صـــحيفة صدرت بالعـــربية هي « التنبيه » وانها صدرت في الاسكندرية •

ويؤكد هذا الدكتور مهدى علام في كلمته التى وطا فيها لكتاب « روضة المدارس » •

اما الدكتور محمد زكريا عناني فينفي صــدور اى صحيفة عربية في عهد نابليون •

ولكن الثابت ان نابليـــون اسس في مدينة الاسكندرية مطبعة عربية سميت «المطبعة الأهلية»•

احسان حمر
معهد حول جمال ــ اللاذقية

« العربي » اعتمدنا في هذا السؤال علىالاجابة التى تضمنها كتاب « الصحافة العربية » نشاتها وتطورها للاستاذ اديب مروة •• وفيها يقول : ان اول صحيفة عربية ظهرت في العالم العربي هي جريدة « التنبيه » التى اصدرها نابليون بونابرت في مصر سنة ١٨٠٠ •

ما رايكم ؟

قرات في كتاب مخطوط قديم ان اهل الكهف سبعة هم :

مينا ، وتمليخاء ، ومرطونس ، وتنيونس ، يونس ، وذو نـواس ، وفلستطيونس وهـو ي ، واسم كلبهم قطمير وقيل حمران وقيـل ، وقال بعضهم علموا اولادكم اسماء اهـل ب فانها لو كتبت على باب دار لم يحرق وعلى لم يسرق وعلى مركب لم تغرق • وقال ابن ن رضي الله عنهما: خواص اسماء أهل الكهف في تسعة اشياء :

طلب والهرب ولطفي الحريق تكتب على خرقة وترمى في وسط النار تنطفيء باذن الله تعالى ـ ولبكاء الطفل وللحمى المثلثة وللصداع ، تشد على العضد الايمن ، ولام الصبيان وللركوب في البر والبحر ولنماء العقل ولعفظ المال ولنجاة الآثمين « من حاشية الجمل على الجـلالين » ـ مارايكم ؟

عبد القهار الدردير احمد
بيش ـ جيزان ـ السعودية

ـ ربما هو الحديث الشريف الذي يقول ان لو اجتمعت الانس والجن على ان ينفعوك بشيء . لم ينفعوك الا بشيء اراده الله لك •ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء .لم يضروك الا بشيء كتبه الله عليك •

● أنت تسأل ٠٠ ونحن نجيب ●

صادرات السودان ستتضاعف ثلاثمائة مرة في مستقبل قريب

● سمعنا ان السودان تشهد الكثيرمن اعمال الاستصلاح الزراعى ٠٠ فهل هذا صحيح وما هى تلك الاعمال ؟

ان مـا يجرى في السودان اقرب الى الثورة صاديـة الاجتماعية العارمة منـه الى اعمال تصلاح الزراعي بمعناها العادى ، انه مخطط ع ، تضطلع باعبائه المملكة العربية السعودية ـة الكويت ، ويستهدف تطوير السودان على ع نطاق ممكن ، وفي غضون الخمس والعشرين القادمـة ، وذلك لا لصالح السودان فحسب لصالح العالم العربي باسره ايضا • وقـد وزراء المال العرب اجتماعا لهم في الرباط ، هر ابريل الماضي ، رصدوا فيه مبلغ ٣٠٠٠ ن جنيه كمخصصات لمخطـط السـودان • ضخامة هذا المبلغ فانه مرصود لصالح المرحلة ى من المخطط فقط ، وهي تستغرق خمسـ سنة ••• وانشاوا في اجتماع الرباط ايضا ة التي ستتولى الاشراف على تنفيذ مخطط ـدان وهي تعرف باسم « السلطـة العربيـة ـة والتثمير » •

وتجدر الاشارة الى ان السودان كبير المساحة (مليون ميل مربـع) ، قليل السكان نسبيا (١٧ مليون نسمه) • ولا تزيد مساحة مـا استغل من اراضيـه على ١٧ مليون فدان ٠٠ اما اراضيـه الصالحه للزراعة والتى لم تستغل حتى الانفتبلغ مساحتها نحو ٢٠٠ مليون فدان • لا عجب اذن ان كان استغلال هذه الاراضى البكر هو فى طليعـة الاهداف التى يسعى الى تحقيقها مخطط السودان•

ولو ذكرنا ان الاراضي الزراعية في السودان ، المستغل منها وغير المستغل ، مهددة بسبب ما يعرف بزحف الصحراء (وهي تزحف بمعدل ٦ كم فـي السنة) ، ونتيجة لما تعانى منه تربته من انجراف وانهيار (erosion) لشعرنا ان مخطط السودان الذى ذكرنا ليس مخطط تطوير وتنمية فحسب وانما هو مخطط انقاذ ايضا •

ويتميز هذا المخطط ببعده عنالارتجال،واعتماده على التخطيط الواسع الدقيق • فقد دعى العلماء

عن فكرة الموسوعة العربية

● عندما تدعو مجلة العربي الى اصدار موسوعة عربية جامعة على غرار ما هو موجود فى الدول المتقدمة ، فيجب الا تنسى الجهود التى بذ لها بعض العلماء والمفكرين العرب فى هذا المجال، مثل الموسوعة التى اصدرها الاستاذ بطرس البستانى فى عام ١٨٦٦ فى ستة مجلدات ، وزاد عليها ابنه الاكبر مجلدين ، ثم اصدر ابناءه ثلاثة مجلدات اخرى ، وتوقف المشروع عام ١٩٠٠ ثم اعيد طبع الموسوعة عام ١٩٥٦ ۰ وهناك ايضا الموسوعة العربية التى صدرت باشراف الدكتور محمد شفيق غربال ۰

المغرب ـ حرش عبد الله

● دعوتكم الى اصدار موسوعة عربية هى تعبير عن عودة الثقة الى العرب بعد سبات عميق دام عدة قرون ۰ ولا شك ان تنفيذ الفكرة سيكون له اثر كبير فى نقل العلوم الحديثة لتصبح فى متناول الجماهير العربية ، بعد حرمان طويل نتيجة للحواجز اللغوية التى ارسى قواعدها الاستعمار البريطانى والفرنسى ، ولا تزال اثارها باقية فى جامعاتنا القديمة والحديثة ، حيث تدرس العلوم والطب والهندسة بلغات اجنبية !

د ۰ محمد هانى برمنجهام ـ بريطانيا

الكتب التى تصلنا

● تصلنا رسائل كثيرة من بعض القراء يطلب اصحابها منا تزويدهم ببعض الكتب التى نعرضها فى باب « كتب وصلتنا » ۰۰ والحقيقة ان المجلة تتلقى عادة نسخة واحدة من هذه الكتب التى تصدرها دور النشر ۰۰ وليس امام القارىء الا ان يتصل بالدار الناشرة عندما يريد الحصول على كتاب ما ۰

« العربى »

والخبراء من مختلف الدول المتقدمة للقيام بالدراسات والابحاث التى يتطلبها المخطط ۰ واعتمد هؤلاء على احدث الاجهزة والالات المتطورة ، واعتمدوا كذلك على الصور الفوتوغرافية التى التقطتها لهم الاقمار الصناعية ۰

وانتهت المرحلة التمهيدية وبدات مرحلة التنفيذ ۰۰ فكانت الخطة الخمسية الاولى (١٩٧٧ ـ ١٩٨٣) التى تتضمن ٦١ مشروعا متكاملا من مشاريع التنمية الضخمة ۰ اما غاية هذه الخطة المباشرة فمضاعفة صادرات السودان الزراعية ٣٠٠ ضعف !

كذلك بدا العمل فى بناء مصنع كبير للسكر فى بلدة كنانا التى تقع على بعد ١٨٠ ميلا الى جنوب الخرطوم ۰ واختاروا للمصنع منطقة تقع بين النيلين ـ النيل الازرق والنيل الابيض ـ وتعتبر تربتها مثالية لزراعة قصب السكر ۰ ويعتبر مصنع كنانا من اكبر مصانع السكر فى العالم ۰۰ وحسبك تكاليف تاسيسه التى لا تقل عن ٤٧٥ مليون دولار وكميات انتاجه التى ستبلغ ٣٥٠٫٠٠٠ طن سنويا ۰۰ اى ما يعادل حمولة قطار بكامل عرباته كل يوم ۰۰

ويشمل مخطط السودان بالاضافة الى ما ذكرنا عددا كبيرا من المصانع المعدة لانتاج المواد الغذائية وتحويل المنتجات الزراعية ۰ وسيشمل كذلك عددا من شبكات الرى والمزارع ۰۰ مزارع الحبوب والخضرة والفاكهة ومزارع الدواجن والمواشى ۰۰ اضف الى ذلك كله ما يهدف اليه المخطط من تعبيد الطرق وتنشيط المواصلات النهرية وانشاء السكك الحديدية وبناء المخازن والمستودعات على اوسع نطاق ممكن ۰

وسيصبح فى مقدور السودان ، لدى اكتمال مخططه فى مطلع القرن المقبل ، ان يسد حاجات العالم العربى باسره ، فضلا عن حاجاته المحلية ۰۰ وتكفى الاشارة الى أن عدد سكان العالم العربى الذى يبلغ حاليا ١٣٠ مليون نسمة سيتضاعف فى مستقبل قريب جدا ليصبح ٣٠٠ مليون نسمة ۰۰ وتتضاعف بالتالى حاجاته لتبلغ بمجموعها ، وعلى سبيل المثال ، ١١ مليون طن قمح و ٢٫٧ مليون طن سكر و ٦٠٠٫٠٠٠ طن من اللحوم ۰ فهذه الحاجات وكثير غيرها سيكفل تلبيتها مخطط السودان ۰

بقى ان نذكر ان مخطط السودان هذا يفتح الباب على مصراعيه لرؤوس الاموال والشركات الخاصة لتقيم المصانع والمزارع ، وتسهم باعمال المقاولات والانشاءات بالقدر الذى تستطيع ۰
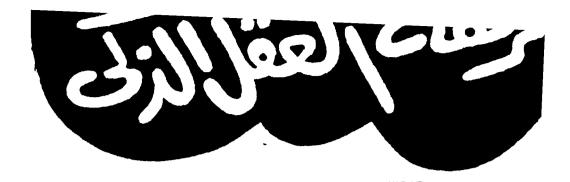
مسابقة العدد

■ مسابقة هذا العدد هي « الكلمات المتقاطعة » .. والمطلوب ايجاد الاجابات الصحيحة لها وارسالها الينا .. ويمكنك اعادة رسم مربعات الكلمات المتقاطعة على ورقة مستقلة ، حتى لا تشوه صفحة العدد بقطعها منه .. اما الكوبون المنشور في اسفل الصفحة المقابلة، فمن الضروري ان يرفق بالاجابة حتى تفوز بواحد من الجوائز التي مجموعها ١٠٠ دينار تمنح على الوجه الاتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا ـ الجائزة الثانية ٢٠ دينارا الجائزة الثالثة ١٠ دنانير و ٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير .

ترسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ الكويت «مسابقة العدد ٢٢١ » وآخر موعد لوصول الاجابة الينا هو اول اغسطس (آب) ١٩٧٧ .

● اذا استطعت حل مسابقة الكلمات المتقاطعة ستجد في (٨) أفقيا اسم شاعر مصري راحل ، كما ستجد في (٨) رأسيا اسم مكتشف جغرافي شهير .

الكلمات الافقية :

١) مدينة مقدسة ـ احدى ولايات استراليا .
٢) ولاية امريكية ـ مستوى .
٣) تتبع ـ نصف غروب ـ دولة اوروبية (معكوسة) ـ في الفم .
٤) للنداء ـ اديب امريكي شهير من القرن التاسع عشر ـ تباعض (معكوسة) .
٥) مستمر ـ تألقت ـ اكتمل ـ حرف استفهام (معكوسة) .
٦) من اشهر اعمال اميل زولا ـ ضعيفات .
(٧) نتهمك ـ غابا ـ سريع (معكوسة) .
(٨) شاعر مصري راحل .
(٩) امعان النظر ـ من أباطرة الرومان .
(١٠) نصف (مفصل) ـ في الكلمات ـ صاحب الفرسان الثلاثة .
(١١) ابتغين ـ انفذ اليها .
(١٢) من الامراض ـ وحدة زمن ـ دولة اوروبية .
(١٣) من الزهور ـ قصر ملكي انجليزي شهير .
(١٤) مخلص ـ يلمسنا ـ وقته .
(١٥) اداهنها ـ هروبه .
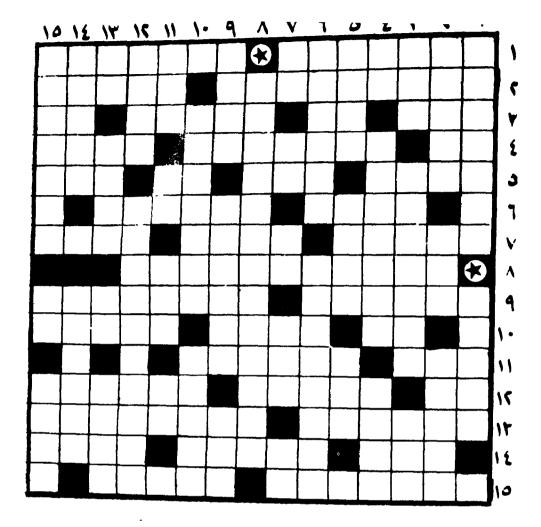
الكلمات الرأسية :

(١) من المعادن ـ قمة عالية شهيرة ٠
(٢) متاعب شديدة ـ قبر (معكوسة) ـ رقم كبير ٠
(٣) حكى ـ زعيم صينى راحل ـ وكالة انباء عربية ٠
(٤) من الحواس ـ من سور القران الكريم ـ مستانس ٠
(٥) حلوى شرقية ـ نكبت ـ حرف جر ٠
(٦) يسرها ـ صلح بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين قريش ٠
(٧) مقام موسيقى ـ فى الصوان ـ من الاقارب ـ لين ـ حرف استفهام ٠

(٨) مكتشف جغرافى شهير ٠
(٩) دولة افريقية ـ شعور بالتقارب الشديد ـ فى الوجه ٠
(١٠) غايتها ـ لم يتزوجن ٠
(١١) باعثات على السام ـ حرف جر ـ من العناصر الكيميائيه ـ نصف (ديون) ٠
(١٢) وعاء ـ ظاهرة جغرافية ٠
(١٣) نصف (نسيج) ـ اثمر عملا ـ بحر ـ جشعة ٠
(١٤) فاكهة ـ أبوان ٠
(١٥) قرشى من اعلام الغناء العربى من القرن الهجرى الثانى ـ متشابهان ـ أوقع ٠
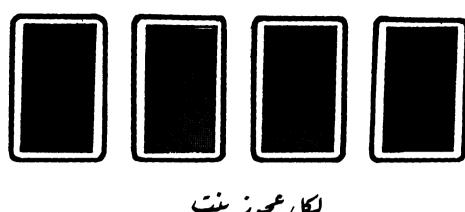
لكل عجوز بنت

● ما نراه هو ظهر أربع أوراق من ورق لعب ، يختفي تحتها زوج من (الشياب)وزوج (البنات) • والمطلوب منك أن تعرف ترتيب الاوراق ، وتستنتج اين يختفي كل شايب وكل بنت ونوع كل منها •
واليك المعلومات التي ستساعدك في استنتاجك:
أ ـ هناك على الاقل شايب واحد على يمين البنت مباشرة •
ب ـ هناك على الاقل بنت واحدة على يمين الشايب مباشرة •
ج ـ هناك على الاقل شايب واحد على يمين شايب آخر مباشرة •
د ـ هناك على الاقل ورقة بستوني على يمين ورقة بستوني اخرى مباشرة •
هـ ـ هناك على الاقل ورقة بستوني على يمين ورقة ديناري مباشرة •

بالعقل فقط •

استاذ نبيه يسأل :

ما مهنة حداد الابن ؟

● عندنا في مدينتنا الصغيرة ثلاثة رجال : السيد نجار ، والسيد خراط ، والسيد حداد • وتشاء الصدف العجيبة أن يعمل كل واحد منهم في احدى المهن التالية : النجارة والخراطة والحدادة ، ولم يكن اي منهم يعمل في المهنة المطابقة للقب عائلته •

وكل واحد من الثلاثة كان يساعده في عمله احد ابني الاخرين • وكما في حاله الآباء ، لم يكن اي من الابناء يعمل في المهنة التي تطابق لقب عائلته •
فاذا كان السيد خراط لا يعمل في التجارة ، فما هي مهنة حداد الابن ؟

النجمة والسهم

رائد مسرحى عربى :

● ابدأ اولا بحل مسابقة الكلمات المتقاطعة ،بعد ذلك انقل الحروف التى فى المربعات الموجود فيها السهم ، ورتبها بحيث تصنع الاسم الاول لواحد من رواد المسرح العربى ، ثم انقل الحروف التى فى المربعات الموجود فيها النجمة ، ورتبها بحيث تصنع لقب ذلك الرائد المسرحى .

الكلمات الافقية :

(١) خامس اكبر جزيرة فى العالم .
(٢) ارض منبسطة حول مجرى النهر .
(٣) حرفان متشابهان ـ نضج .
(٤) اجادة .
(٥) من الطرز المعمارية .
(٦) رافعة ـ للنداء

الكلمات الراسية :

(١) امارة اوروبية شهيرة .
(٢) زعيم اليعاقبة فى الثورة الفرنسية .
(٣) بعد اليوم ـ عملة عربية .
(٤) يوسوس فى نفوس الناس .
(٥)من الجنس اللطيف . ٣٥/
(٦) نسق ـ للنداء

العملات السبع
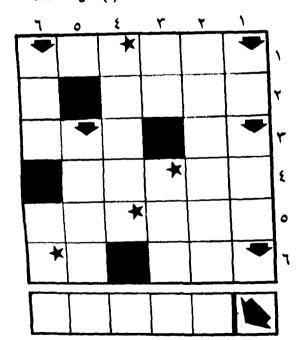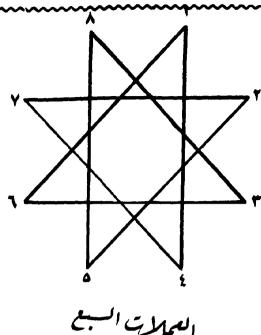
● حاول ان ترسم شكلاكبيرا لهذه النجمة ذات
مانية رؤوس • ضع عملة معدنية عند اى راس
النجمة ، حركها فى اتجاه احد الخطوط لتصل
راس مقابل ، وكرر العمل مع عملة ثانية •
لوب وضع سبع عملات عند رؤوس النجمة
بنفس النظام بحيث يبقى واحد من الرؤوس
خاليا •

قد تتمكن بسهولة من وضع خمس او ست
عملات . تذكر المطلوب سبع عملات . اما الارقام
فقد وضعت للاعتماد عليها عند شرح الحل .

بالقلم الرصاص

● دون أن ترفع القلم من فوق صفحة
رقة ، هل يمكنك أن ترسم اربعــة
وط مستقيمة ، تمر بجميع النجــوم
ن داخل هذا المربع ؟

العملات

من بين ا
وضع العملا
ثم ٢ الى ا
ثم ٥ الى ٨

استاذ نب

السيد خر
ولا النجارة
نجار لايعمل
يعمل السيد
حداد الابر
لان اباه يعم
الغراطة عند

رائد مسر

مارون نقا

لكل عجو

١ ـ من (ا) ن
ان يكو
٢ ـ من (
ان يكو
٣ ـ من (ج
بين شا
+ اذا يقع ال
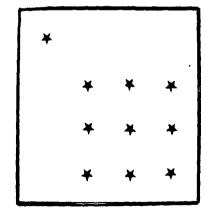
ت السبع

ن الحلول ، ان تتبع التوالى التالى فى
ملات وتحريكها : ١ الى ٤ ، ثم ٦ الى١ ،
، ٧ ، ثم ٣ الى ٦ ، ثم ٨ الى ٣
، ٨ ، ثم د الى ٢ ·

نبيه يسأل

خراط لا يمكن ان يعمل فى الخراطة،
ة ، فلا بد انه يعمل حدادا · والسيد
ملفى النجارة ، فهو يعمل خراطا ·وبهذا
يد حداد نجارا ·
الابن لا يعمل فى الحدادة ، ولا النجارة
يعمل نجارا ، فهو اذا يعمل فى محل
عند السيد نجار ·

سرحى عربى

نقاش ·

بوز بنت

) نعلم ان الورقتين ٣ ، ٤ لا يمكن
يكونا معا شايبين ·
ن (ب) نعلم ان الورقتين ١ ، ٢ لا يمكن
يكونا معا شايبين ·
(ج) نعلم انه لا يمكن ان توجد بنت
شايبين ·
، الشايبان فى الوسط ورقماهما ٢ ، ٣

٤ ــ من (د) نعلمانه لا يمكن ان توجد ورقة ديناري بين ورقتي بستوني ، اى لا بد ان تتجاور ورقتا البستوني ·

٥ ــ من (هـ) نعلم ان الورقتين ٣ ، ٤ لا يمكن ان يكونا بستوني ، ولا بد ان يكونا من نوع الديناري ·

على ذلك يكون ترتيب الاوراق كالتالى :

الورقة رقم ١ هى بنت بستونى ·
الورقة رقم ٢ هى شايب بستونى ·
الورقة رقم ٣ هى شايب ديناري ·
الورقة رقم ٤ هى بنت ديناري ·

★ ★ ★

بالقلم الرصاص

كما فى الرسم ·

أمان بالإضافة إلى
فائدة حسنة
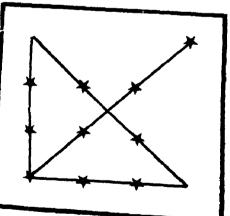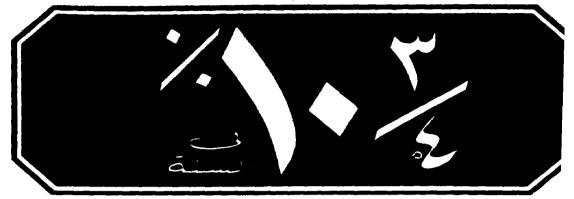
مدّة محدّدة طولها سنتان

مبالغ مقدارها ١٠٠٠ جنيه استرليني أو أكثر ومودعة في حساب وديعة زمنية لمدة محدّدة طولها سنتان تربح ١٠¾٪ في السنة. عن مدّة محدّدة طولها سنة واحدة، تدفع فائدة بنسبة ١٠٪، أما عن مدة ٣ و ٤ و ٥ سنوات، فتدفع فائدة بنسبة ١٠½٪ في السنة. تدفع الفائدة كل نصف سنة دون خصم الضريبة البريطانية في المصدر.

١٠¼٪ في السنة ودائع دخل شهري

١٠٠٠ جنيه أو أكثر تربح ١٠¼٪ في السنة لمدة محدّدة طولها سنتان. الوديعة ذات الدخل الشهري، والمودعة لمدة محدّدة طولها سنة واحدة تربح ٩¾٪ في السنة، أما عن ٣ و ٤ و ٥ سنوات فتدفع فائدة بنسبة ١٠٪ في السنة. الفائدة تدفع كل شهر دون خصم أي ضريبة في المصدر.

لومبارد نورث سنترال هو عضو في مجموعة بنوك ناشونال ويستمنستر. لذلك يمكنك فتح حساب ودائع بأمان تام لرأسمالك. تفضّل بارسال الكوبون طلباً لتفاصيل مجموعتنا الكاملة لمختلف حسابات الودائع وأسعار الفائده الجارية.

أسعار الفوائد أعلاه صحيحة وقت تحضير هذا الإعلان للنشر

Lombard North Central
Bankers

To: The Deposit Accounts Manager, Lombard North Central Ltd., 17 Bruton Street, London W1A 3DH, England.

الاسم: ____________

العنوان: ____________

____

K182

عضو في مجموعة بنوك ناشيونال ويستمنستر التي يزيد رأسمالها واحتياطيها على ٨٥٩,٠٠٠,٠٠٠ جنيه استرليني.

Registered Office: Lombard House, Curzon Street, London W1A 1EU England

CHATELAIN
روجر شاتلان ش.م جنيف
التحفة الفنية التي لا تضاهى في عالم الساعات
ROGER CHATELAIN S.A. - 1214 VERNIER-GENEVA/Swit
P.O. Box 251 - Cables: Chatelaintime

فوزو
الشاحنة رقم ١
في اليابان
هنالك العديد من الشاحنات الثقيلة المتينة في اليابان ، غير أن فوزو تتفوق عليها كلها جميعا. تكلموا مع موزع كرايزلر في منطقتكم وتحققوا بأنفسكم من أن فوزو لها من القوة والمتانة ما يكفي لكل مهمة . إن مؤسسة كرايزلر هي التي جاءت بفوزو إلى الشرق الأوسط . ولذلك يمكنكم أن تتحققوا من توفر قطع الغيار والخدمة التي تعقب البيع .
ناقلة الماء ميتسوبيشي فوزو
في جميع انحاء الشرق الأوسط
شركة المسيلة للتجارة
ص ب ٢٧٠٢
صفاة، كويت
تلفون ٤٢٣٢٣١
تلكس ALMULLA 107496
عبد الرحمن الزياني وأولاده
ص.ب ٣٢، البحرين
تلفون ٥٢٦٠٧
تلكس GJ8305 A A ZAYANI
الشركة الاقتصادية. ش م
١٨(ب) شارع ٢٦ يوليو. القاهره
تلفون ٤٦٠٥٥
برقيا رايداواجون القاهرة
الشركة التجارية الأردنية المحدودة
ص ب ١٢٩
عمان. الاردن
تلفون ٥١٣٣١
تلكس TWAL JO 1311 AMMAN